

جيفري آرتشر

الرواية الأكثر مبيعاً بين الروايات في العالم

جيفري آرتشر

www.rewity.com

^RAYAHEEN^



الإخوة الأعداء

كتبها مؤلف أكثر الكتب مبيعاً، طبقاً لما جاء
عن صحيفة نيويورك تايمز وصاحب رواية
TO CUT A LONG STORY SHORT

الفصل الأول



الجزء الأول



١٩٠٦ - ١٩٢٣

١٨ أبريل عام ١٩٠٦

سلونيم ؛ بولندا

لم تكف عن الصراخ إلا عندما لفظت أنفاسها الأخيرة . عندها بدأ هو يبكي .
لم يكن الطفل الصغير الذى كان يطارد الأرناب فى الغابة واثقا مما إن كانت هذه الصرخة التى اخترقت أذنه الصغيرة هى صرخة الأم الأخيرة أم صرخة الوليد الأولى . استدار فجأة ؛ مستشعرا الخطر المرتقب ؛ وأخذت عيناه تدوران بحثا عن الحيوان الذى بدا من الواضح أنه يتألم . لم يكن قد سمع من قبل أن هناك حيوانا يمكن أن يصرخ بهذه الطريقة . اقترب بحرص وتؤدة من مصدر الضوضاء ؛ عندها تحول الصراخ إلى نواح ولكنه كان مازال مختلفا عن أى صوت من أصوات الحيوانات التى كان يعرفها . تمنى أن يكون حجم القريسة صغيراً إلى الحد الذى يمكنه من قتلها ؛ على

الأقل كان هذا سوف يمثل وجبة تختلف عن عشاء الأرانب المعتاد فى كل مساء .

أخذ الصياد الصغير يتحرك خلسة فى ترقب باتجاه النهر الذى انبعتث منه هذه الضوضاء الغريبة وهو يعدو من شجرة إلى شجرة ويستشعر لحاء الأشجار وكأنها تحتضنه وترتبت على كتفيه ؛ كان هذا يثير فيه الشعور بالطمانينة . " إياك أن تبقى فى الخلاء " ؛ هكذا علمه والده . عندما وصل إلى حافة الغابة ؛ أصبح المشهد أمامه واضحاً تماماً ؛ كان الطريق المنحدر صوب الوادى ومنه إلى النهر مفتوحاً ولكن بالرغم من ذلك فقد وجد بعض الصعوبة إلى أن تبين أن مصدر الصوت الغريب ، لم يكن حيواناً تقليدياً . واصل اقترابه الحذر من مصدر النواح ولكنه كان عندها وحيداً فى الخلاء . وفجأة رأى امرأة ؛ ترتدى ثوباً مرفوعاً لما فوق خصرها ؛ وساقاها العاريتان كانتا مفتوحتين عن آخرهما . لم يكن قد رأى امرأة بهذه الصورة من قبل . جرى سريعاً إلى أن وقف بجوارها وأخذ يحدق فى بطنها وهو يخشى أن يلمس أى شيء . وهناك وجد ما بين ساقيهما ؛ جسداً لمخلوق صغير مبتل وردى اللون ؛ لا يربطه بالأم سوى شيء أشبه بالحبل . ألقى الصياد الصغير حصيلة صيده من الأرانب وجثا على ركبتيه بجوار هذا الكائن الغريب .

تأمل المشهد طويلاً ؛ وبقي مذهولاً للحظة ثم أدار عينيه جهة المرأة ودأبه على الفور شعور بالندم على قراره . كانت المرأة قد فارقت الحياة بالفعل ؛ كان جسمها بارداً أزرق اللون ؛ بدا وجهها ذو الثانية وعشرين عاماً منهكاً عجوزاً مقارنة بوجه الطفل ؛ لم يكن بحاجة لأن يتأكد من أنها كانت قد فارقت الحياة . التقط الجسد الصغير الزلق ؛ ولكن ما الذى دفعه إلى ذلك ؟ لم يسأله أحد أبداً عن السبب ولكنه لو كان قد سئل لأجاب بأن الذى دفعه هو تلك

الأنامل الصغيرة التى كانت تعبت بوجهه الجعد ؛ كان هذا هو ما أثار شفقته ؛ ثم سرعان ما أدرك بأنه لا يمكن فصل الطفل عن الأم بسبب هذا الحبل النحيل .

كان الصياد قد شهد مولد حمل صغير منذ بضعة أيام وحاول أن يسترجع ما حدث . أجل ؛ هذا هو ما فعله الراعى ولكن هل أجرؤ على فعل نفس الشيء مع الطفل ؟ كان الرضيع قد كف عن البكاء وأدرك عندها أن القرار كان واجباً . استخرج سكينه ؛ الذى كان قد سلخ به الأرانب ومسحه فى سترته ؛ لم يتردد سوى لحظات ثم قطع الحبل بالقرب من جسد الطفل . تدفق الدم من نهايات الحبل . ثم ماذا فعل الراعى ؟ لقد عقد عقدة لكى يوقف تدفق الدماء . أجل بالطبع ؛ بالطبع هذا ما قد حدث . اقتلع بعض العشب الطويل من الأرض وبسرعة عقد عقدة فى الحبل ثم حمل الرضيع بين ذراعيه . نهض ببطء من فوق ركبتيه وترك وراءه ثلاثة أرانب نافقة وجثة السيدة الميتة التى أنجبت هذا الرضيع . وقبل أن يدير ظهره أخيراً للأم ؛ وضع ساقيهما بجانب بعضهما البعض وجذب ثوبها حتى ركبتيها . بدا له ذلك هو التصرف الصحيح الذى يجب أن يقوم به .

قال الطفل فى صوت مرتفع ؛ " يا إلهى ! " ؛ كانت هذه هى العبارة التى اعتاد أن يقولها كلما أقدم على فعل شيء جيد للغاية أو سيئ للغاية . ولكنه فى هذه المرة لم يكن بعد واثقاً إن كان تصرفه هذا جيداً أم سيئاً .

ثم أسرع الصياد الصغير خطاه بعد ذلك عائداً إلى الكوخ الذى كان يقطن فيه ؛ كان يعرف جيداً أن والدته كانت هناك تعد العشاء ؛ فقط فى انتظار حصيلة صيده من الأرانب ؛ أما فيهما عدا ذلك فكل شيء كان معداً . كانت والدته تسأله فى كل مرة عن عدد

الأرناب التي نجح في اصطيادها في ذلك اليوم والتي تكفى لإطعام أسرة مؤلفة من ثمانية أشخاص ؛ كان بحاجة إلى ثلاثة أرناب على الأقل . كان أحيانا ؛ ينجح في اصطياد بطة أو أوزة أو حتى طائر ضل طريقه من مزرعة البارون حيث كان يعمل والده . ولكنه في هذه الليلة تحديدا كان قد اصطاد حيوانا مختلفا ؛ وعندما وصل إلى الكوخ ؛ أبى إلا أن يمسك بحصاد يومه بكلتا يديه ، فطرق الباب بقدمة العارية إلى أن فتحت له والدته . لم تبادر والدته بحمل هذا الكائن من بين يديه وإنما بقيت واقفة ؛ بعد أن صكت صدرها بإحدى يديها بينما أخذت تحملق في هذا المشهد العجيب .

قالت : " يا إلهي " . أخذ ابنها يحملق في وجهها بحثا عن أية إشارة تنم عن السعادة أو الغضب . بدت علامات الحنو - التي كان ابنها قد شاهدها من قبل - تلوح في عينيها . أدرك عندها الصبي أنه قد أحسن صنعا .

" إنه طفل رضيع يا أمي ؟ "

أجابته الأم ؛ وهي تومئ في أسي ؛ " إنه ذكر ، أين وجدته ؟ "

قال الابن : " وجدته أسفل النهر يا أمي " .

" وأين الأم ؟ "

" لقد ماتت " .

" ماتت ؟ ! "

" هيا ؛ أسرع وأخبر والدك بما حدث . اطلب منه أن يبحث عن أورزولا يوجانك في المزرعة وأن يذهب سويا بحثا عن الأم ثم احرص على أن يعودا إلى هنا " .

سلم الصياد الصغير الرضيع إلى أمه وهو يشعر بالغبطة لأن هذا المخلوق الزلق لم يسقط من بين يديه . والآن بعد أن تخلص من حملته ؛ مسح يديه في بنطاله ثم أخذ يعدو بحثا عن والده .

أغلقت الأم الباب بكتفيها ونادت على ابنتها الكبرى لكي تضع الإناء على الموقد . ثم جلست على المقعد الخشبي وفكت أزرار ردائها وزجت بحلمة ثديها المنهكة صوب فم الرضيع المتغضن . كان هذا يعنى أن على صوفيا - ابنتها الصغرى ذات الستة أشهر - أن تبقى بلا عشاء هذه الليلة . عندما طرأ ذلك على بالها ؛ أدركت أنها ليست صوفيا وحدها التي سوف تبقى بلا عشاء وإنما كل أفراد الأسرة .

قالت المرأة بصوت مرتفع ؛ وهي تلف بشالها ذراعها وجسد الصبي : " ولم كل هذا العناء ؟ إن هذا الطفل المسكين سوف يموت بحلول الصباح " .

ولكنها لم تفصح عن مشاعرها ثانية لـ " أورزولا يوجانك " عندما قامت بغسل الرضيع وتعهده الحبل الصرى بالتنظيف في وقت متأخر من مساء ذلك اليوم . بقي زوجها واقفا في صمت وهو يراقب المشهد . " ضيف في البيت يعنى هدية من السماء " . هكذا قالت المرأة مستشهدة بالمقولة البولندية القديمة .

بصق زوجها قائلا : " اللعنة على هذا الطفل . يكفيننا ما لدينا من أبناء " .

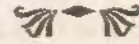
تظاهرت السيدة بأنها لم تسمع ما قاله الزوج بينما أخذت تربت على تلك الشعيرات السوداء القليلة النابتة على رأس الطفل . سألت السيدة وهي تنظر إلى زوجها : " ما هو الاسم الذي سوف نطلقه عليه ؟ "

أجاب مستهجنا : " لا يهم ؛ دعيه يذهب إلى قبره بلا اسم " .

يبقى بجوار الأم ويراقبها ما يجرى من أحداث عملية الوضع . كان أحد الأطباء يرتدى ملابس السهرة فى انتظار حضور حفل عشاء فى تلك الليلة غير أنه لم يكن بوسعه أن يفوت هذه الولادة تحديدا . كان الأطباء قد اقترحوا فى وقت سابق لاختيار الطبيب الذى سيتولى مهمة التوليد وجاء الاقتراح من نصيب الدكتور مكينزى ، طبيب العائلة . " أريد اسما أنيقا ، أصيلا " ، هذا ما كان يجول فى ذهن الأب بينما كان يذرع الردهة جيئة وذهابا . لم تكن هناك أية أسباب تستدعى القلق . كان روبرتز قد قاد السيدة آن زوجة الرجل إلى المستشفى هذا الصباح فى العربة الفاخرة ، كان ذلك اليوم هو اليوم الثامن والعشرين من الشهر التاسع ، هكذا حسبها الأب . كان الخاض قد داهمها بعد الإفطار بفترة قصيرة ، وكان زوجها واثقا من أنها لن تلد قبل انتهاء موعد عمله فى ذلك اليوم . كان الرجل فى غاية الانضباط ولم يجد أن هناك سببا يفرض أن يحول الإنجاب دون متابعته لبرنامج اليومى الدقيق . ومع ذلك فقد واصل سيره ذهابا وإيابا . كانت الممرضات والأطباء يسرعون الخطى بجواره وهم يدركون وجوده مما كان يدفعهم إلى خفض أصواتهم وهم بالقرب منه ليفهموا ثانية فقط عندما يدركون أنهم قد باتوا بمنأى عن أذنيه . ولكنه لم يلاحظ هذا التصرف ؛ لأن الكل كان يتصرف معه على هذا النحو . لم يكن معظمهم قد رآه من قبل بشكل شخصى ، ولكنهم كانوا جميعا يعرفون من يكون .

لو كان الوليد ذكرا ، فإن الرجل على الأرجح سوف يتولى مهمة بناء جناح الأطفال الجديد على نفقته والتي كان المستشفى فى أمس الحاجة إليه . كان بالفعل قد بنى من قبل مكتبة ومدرسة . حاول الأب أن يقرأ صحيفة المساء ، حاول أن يركز على الكلمات ولكنه لم ينجح فى فهم المعنى . كان قلقا بل ومضطربا . إنهم يجب أن

الفصل الثانى



١٨ أبريل عام ١٩٠٦
بوسطن ، ماساشوسيتس

التقط الطبيب الطفل الوليد من كاحليه وربت على مؤخرته ، فأخذ الطفل يبكي .

فى بوسطن ، ماساتشوسيتس ، كان هناك مستشفى يرعى الأغنياء من المرضى وفى بعض المناسبات المعدودة يتولى مهمة توليد الأغنياء . فى مستشفى ماساتشوسيتس العام كانت النساء لا تصرخ كما أنها بالطبع لم تكن ترتدى كامل ثيابها أثناء الولادة . لم يكن هذا هو ما يجرى .

كان هناك رجل شاب يحوم ذهابا وإيابا أمام غرفة الولادة ، كان هناك اثنان من أطباء التوليد وطبيب العائلة لإنجاز المهمة . لقد رأى هذا الأب أنه ليس هناك مجال للمجازفة فى إنجاب أول أبنائه . كان الأب سيدفع مبلغا طائلا لهذين الطبيبين فقط لكى

يدركوا جميعا (ثم نظر إلى كل شخص منهم تقريبا ؛ كان هؤلاء الأشخاص هم من يعنون بالنسبة له جميعا) أنه يجب أن يكون ذكرا ؛ ولدا يحل محله لاحقا كرئيس ومدير للبنك . أخذ يقلب صفحات الجريدة . لقد اندمجت شركة بوسطن " ريد سوكس " مع شركة " نيويورك هايلاندرز " - لا بد أن الآخرين يحتفلون بقلك المناسبة . ثم تذكر الرجل العنوان الرئيسى فى الصفحة الأولى وعاد إليه ثانية . أسوأ زلزال فى التاريخ يضرب أمريكا . دمار فى " سان فرانسيسكو " ؛ أربعمائة شخص على الأقل لقوا حتفهم وآخرون سوف يلحقون بهم ، سوف يتذكر الناس أن هناك حدثا آخر قد وقع فى نفس هذا اليوم .

لم يطرا ببالة قط ؛ حتى ولو للحظة ؛ أن الوليد يمكن أن يكون أنثى . عاد إلى صفحات الشئون المالية فى الجريدة وأخذ يتفقد أحوال سوق الأسهم ؛ لقد انخفض مؤشر البورصة بضع نقاط ؛ هذا الزلزال اللعين قد انتقص من قيمة أسهمه فى البنك بمقدار ١٠٠ ألف دولار ولكن ثروته الشخصية مازالت تتخطى الـ ١٦ مليون دولار . إن زعزعة مثل هذه الثروة تتطلب ما يفوق زلزال " كاليفورنيا " بمراحل . يمكنه الآن أن يعيش على الفائدة فقط ؛ إن رأس ماله الذى يتألف من ١٦ مليون دولار سوف يبقى دون أن يمس ؛ فى انتظار ابنه ؛ الذى لم يولد بعد . واصل الرجل تظاره بقرائة الصحيفة .

دفع طبيب التوليد الذى يرتدى ملابس السهرة الباب الهزاز لغرفة الوضع لكى يعلن النبأ . شعر أنه يجب أن يقوم بعمل شئ ما مقابل المبلغ الطائل الذى سوف يحصل عليه بلا جهد يذكر . كما أنه كان يرتدى الثياب الأكثر ملاءمة لإعلان النبأ . أخذ الرجلان يحدقان فى وجه بعضهما البعض للحظة . شعر الطبيب هو الآخر

بشئ من التوتر ؛ ولكنه كان يجب أن يتمالك نفسه ولا يبدى هذا الشعور أمام الأب .

" تهانينا يا سيدى ؛ لقد رزقت ولدا ؛ ولدا صغيرا رائعا " .
 " ما هذه التعليقات السخيفة التى يطلقها الناس على الأطفال حديثي الولادة ؛ كيف يمكن أن يكون رائعا وهو ليس سوى جسد متناهى الصغر ؟ " . ولكن النبأ لم يكن قد أخذ بعد مأخذه من الأب - إنه ولد . أخذ الرجل يحمد الله . ثم بادر طبيب الولادة بطرح سؤال لكى يكسر حاجز الصمت .
 " هل اخترت له اسما بعد ؟ " .

أجاب الوالد بدون أى تردد : " ويليام لويل كين " .

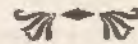
والجهد الشاق الذى كانت تبذله وضيق ذات اليد . لم يطرأ بباليها يوما أن تشكو أو تتذمر ؛ ولكن تلك الخطوط المرتسمة على وجهها كانت تجعلها تبدو وكأنها جدة لأبنائها وليست أما لهم . لم تكن قد حظيت من قبل بملابس جديدة حتى ولو مرة واحدة فى حياتها .

أخذت هيلينا تنضغط على ثديها لكى تدر اللبن حتى ارتسمت علامات حمراء غامقة اللون حول حلمة ثديها . وتساقطت بعض قطرات اللبن منها . فى الخامسة والثلاثين من العمر ؛ أى فى منتصف طريق الحياة ؛ لابد أن يملك المرء قدرا من الخبرة التى يمكن أن يستفيد بها ، وقد كانت هيلينا كوسكيفيتش تشعر أنها قد تلقت هبة من السماء .

" أنت طفلى الصغير " ، همست فى حنان للرضيع وهى تمرر ثديها الذى يقطر باللبن على فمه المغلق . ففتح الرضيع عينيه الزرقاوين وبدأت قطرات العرق الرقيقة تتصبب فوق أنفه بينما كان يبذل جهده ليلتقم ثديها . وأخيرا راحت الأم رغما عنها فى سبات عميق .

كان جازيو كوسكيفيتش هذا الرجل البدين الكئيب الذى يحمل شاربيا كبيرا - الذى كان يمثل مصدر ثقته الوحيد فى الوجود - أول من اكتشف وجود زوجته نائمة وهى تحتضن الرضيع فوق الكرسى الهزاز عندما استيقظ فى الخامسة صباحا . لم يكن قد لاحظ غيابها عن الفراش طوال الليل . أخذ يحرق فى ذلك اللقيط الذى كان عندها - والحمد لله - قد كف على الأقل عن النواح . هل مات الرضيع ؟ لم يجد جازيو لنفسه مخرجا من هذه الحيرة إلا أن يمضى فى طريقه إلى العمل دون أن يمس الرضيع . سوف أدعها هى تهتم بأمور الحياة والمات ؛ كانت مهمته وشغله الشاغل أن يذهب إلى

الفصل الثالث



بعدما خبا الشعور بالإثارة الذى صاحب وصول الرضيع بفترة طويلة وآوى كل أفراد الأسرة إلى فراشهم ؛ بقيت الأم ساهرة وهى تحمل الطفل بين ذراعيها . كانت هيلينا كوسكيفيتش تؤمن بالحياة ؛ كانت قد أنجبت ستة من الأبناء تعبيراً عن صدق إيمانها بذلك . بالرغم من أنها كانت قد فقدت ثلاثة أبناء فى سن الطفولة ؛ فإنها كانت قد ناضلت طويلا قبل أن تسلمهم إلى النية .

كانت هيلينا فى ذلك الوقت فى الخامسة والثلاثين من عمرها وكانت تدرك تماما أن زوجها جازيو الذى كان يوما مقعما بالرجولة والفحولة لم يعد قادرا على منحها المزيد من البنين أو البنات . لقد منحها الله ذلك الرضيع ؛ وهذا يعنى أنه قد قدر له بكل تأكيد أن يبقى على قيد الحياة . كانت " هيلينا " محدودة الفكر ولعل هذا كان أمرا جيدا لأن القدر لم يكن ليمنحها أكثر من تلك الحياة المتواضعة . كانت شاحبة وهزيلة ؛ ليس باختيارها ولكن لقلة الغذاء

عمله فى مزرعة البارون مع بزوغ أول خيط من خيوط الصباح . شرب القليل من لبن الماعز ومسح شاربته الكث الطويل بأكمائه . ثم اقتطع جزءا كبيرا من الخبز وأمسك به فى إحدى يديه وأمسك مصيدته باليد الأخرى ثم تسلل فى هدوء خارج الكوخ خشية أن يوقظ زوجته ويوقع نفسه فى ساق . مضى فى طريقه سائرا فى الغاية ، بدون أن يشغل باله ولو لحظات بهذا الرضيع الدخيل ، ظنا منه بأن هذه هى المرة الأخيرة التى سوف يراه فيها .

كانت فلورنتينا ، الابنة الكبرى ، هى ثانى شخص يدخل المطبخ ، قبل أن تعلن الساعة القديمة التى حافظت على انضباطها على مدى سنوات طويلة ، عن السادسة صباحا . لم تكن هذه الساعة العتيقة تعنى لهم أكثر من كونها وسيلة لتبين موعد النهوض والاستيقاظ من النوم أو موعد الإيواء إلى الفراش . من بين مهام فلورنتينا اليومية ، كان تحضير الإفطار - الذى كان فى حد ذاته لا يمثل سوى مهمة بسيطة تتمثل فى تقسيم مقدار معروف من لبن الماعز ورغيف من خبز الجاودار بين أفراد الأسرة الثمانية .. ومع ذلك فإن هذه المهمة كانت تستوجب حكمة سليمان حتى لا يتدمر أى من أفراد الأسرة من أن نصيب الآخر يفوق نصيبه من الغذاء .

كانت فلورنتينا تثير إعجاب وانبهار كل من يراها للمرة الأولى بوجهها الجميل الواضح وجسدها المكتنز . لم يكن من الإنصاف ألا تحظى على مدى عامين على الأقل إلا برداء واحد فقط كانت ترتديه طوال الوقت ؛ ولكن كل من كان يملك القدرة على الفصل بين الطفلة وبين البيئة التى تحيط بها كان يستطيع أن يستشف السبب الذى جعل جمل جازيو يسقط فى هوى زوجته . كانت فلورنتينا تملك شعرا مسترسلا طويلا أشقر وعيوناً بندقية اللون كانت تتلألأ بالرغم من حياتها المتواضعة وغذائها الفقير .

سارت فلورنتينا على أطراف أصابعها نحو الكرسي الهزاز وأخذت تحديق فى أمها والطفل الرضيع الذى عشقته منذ أن وقع نظرها عليه للمرة الأولى . لم تكن فلورنتينا على مدى الثمانية أعوام التى تمثل كل عمرها قد امتلكت دمية ؛ بل إنها لم تكن قد رأت أى دمية إلا فى المرة الوحيدة التى دعيت فيها لحضور حفل سانت نيكولاس فى قصر البارون . حتى فى تلك المرة لم تلمس الدمية الجميلة ولكنها فى هذه المرة شعرت برغبة ملحة غير مبررة فى لمس هذا الشيء الجميل المائل أمامها . انحنفت وجذبت الرضيع ببطء من بين ذراعى والدتها وأخذت تحديق فى عينيها الزرقاوين ، يالها من عيون زرقاء جميلة ، بدأت تتمتم . بيد أن تغير درجة الحرارة ما بين يديها الأم الدافئة ويدي الفتاة الباردة كان قد أثار استياء الرضيع . فشرع على الفور فى البكاء وأيقظ الأم ، التى كان رد فعلها الأول هو الشعور بالذنب لأنها قد استسلمت للنوم .

قالت لفلورنتينا : " يا إلهى ، إنه مازال حيا . أعدى أنتى الإفطار لإخوتك بينما سوف أحاول أنا أن أرضعه ثانية " .

أعادت فلورنتينا الرضيع فى تردد إلى والدتها وأخذت تراقب الأم ثانية وهى تحاول أن تضغط على ثديها المتعب لكى يدر بعض قطرات من اللبن . تسمرت الفتاة فى مكانها .

صاحت الأم : " أسرعى يا فلورنتينا يجب أن يأكل باقى أفراد الأسرة بدورهم " .

أطاعت فلورنتينا أمر والدتها ، وفى هذا الوقت كان أخوتها قد استيقظوا من نومهم وجاءوا إلى حيث كانت تجلس والدتهم لكى يتقبلوا يدها ويحدثوا إلى الضيف الرضيع . كان كل ما يعرفونه هو أن هذا الطفل لم يكن قد ولد من بطن أمهم . كانت الإشارة قد بلغت مبلغها من فلورنتينا فى هذا الصباح حتى أنها لم تتمكن من تناول

وجبة إفطارها ، فتقاسم باقي الإخوة نصيبها من الطعام فيما بينهم بدون أى تفكير وتركوا نصيب أمهم على المائدة . لم يكن أى منهم قد لاحظ ، بينما كان كل منهم يؤدي عمله اليومي المعتاد ، أن الأم لم تكن قد تناولت شيئاً من الطعام منذ وصول الرضيع .

كانت هيلينا كوسكيفيتش تشعر بالرضا لأن أبناءها كانوا قد تعلموا منذ وقت مبكر فى حياتهم كيف يعتمدون على أنفسهم . فقد كانوا يعرفون كيف يطعمون الحيوانات ويحلبون الماعز والبقر وكيف يعتنون بخضراوات الحديقة بدون أى مساعدة أو إرشاد من والديهم . عندما عاد جازيو إلى المنزل فى هذا المساء ، أدركت زوجته عندئذ فجأة أنها لم تكن قد أعدت أى طعام للعشاء ، ولكن فلورنتينا كانت قد تسلمت الأرناب من أخيها الصياد وبدأت بالفعل فى طهيها للعشاء . كانت فلورنتينا تشعر بالفخر لأنها قد تولت مهمة إعداد العشاء ، لم يكن يسعدها الحظ بالقيام بهذه المهمة إلا نادراً ، فقط عندما تكون أمها متعبة ، وهو امتياز لم تكن هيلينا كوسكيفيتش تمنحه لنفسها إلا نادراً . كان الصياد الصغير قد حمل أربعة أرناب فى ذلك اليوم والوالد كان قد أحضر ست ثمرات من عيش الغراب وثلاث ثمرات من البطاطا ، أى أنه كان عيداً حقيقياً .

وبعد العشاء ، جلس جازيو كوسكيفيتش على كرسيه بجوار الدفأة وأخذ ينظر إلى الرضيع ملياً ويتفحصه جيداً للمرة الأولى . حملة من تحت إبطه وأحكم الإمساك برأسه الضعيف براحة يده ثم أخذ يحدق فى كل جزء من الطفل . وجهه الجمعد الخالى من الأسنان ، لم يكن يميز وجهه سوى تلك العيون الزرقاء الزائغة . وبينما أدار الرجل وجهه صوب جسد الرضيع النحيل ، لفت أمر ما

انتباهه فى الحال ، . فقطب وجهه وفك أزرار رداء الصبي بإبهاميه ليكشف عن صدره .

قال الصياد ، وهو يشير إلى القفص الصدرى للرضيع : " هل لاحظت ذلك يا هيلينا ؟ إن هذا اللقيط القبيح لا يحمل سوى حلمة واحدة ! " .

فتجهمت زوجته وهى تحك جلد الرضيع بإبهامها كما لو كانت هذه الحركة سوف تعيد إلى الطفل عضوه الناقص . كان زوجها محقاً ، كانت الحلمة اليسرى متناهية الصغر عديمة اللون موجودة ، بينما مثلتها التى كان يجب أن تبدو فى الجانب الأيمن ، كانت لمساء ووردية اللون .

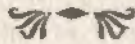
بدأت النزعة الخرافية لدى المرأة تكشف عن نفسها فى الحال ، حيث صاحت تقول : " لقد وهب لى الله ، هذه هى علامة الهبة الإلهية " .

دفع الرجل بالرضيع إليها فى غضب : " أنت مجنونة يا هيلينا . إن هذا الطفل هو ثمرة رجل ملوث الدماء " ثم يصرق فى النار لكى يعبر عن مزيد من شعوره بالاستياء من نسب الطفل . " على أية حال إننى لن أبذل أى جهد للإنفاق على هذا اللقيط " .

لم يكن جازيو كوسكيفيتش بالفعل يكثر البتة بحياة هذا الطفل . لم يكن الرجل بطبعه قاسى القلب ولكن الطفل لم يكن ابنه ، وكانت مهمة إطعام شخص إضافى لا تعنى سوى قدر أكبر من الشقاء . ولكن إن كان قد قدر له أن يبقى هذا الطفل فى بيته فهذه هى إرادة الله التى لا يمكن أن يعترض عليها . وبدون مزيد من التفكير فى الرضيع ، استسلم للنوم العميق بجوار الدفأة .

وبمرور الأيام ، بدأ جازيو كوسكيفيتش يؤمن بأن الطفل قد يبقى على قيد الحياة وأن يقينه بأن الطفل لن ينجو كان خاطئاً . أما الابن الأكبر ، الصياد ، فقد نجح بمساعدة أخويه الأصغر منه فى إعداد سرير صغير للطفل من الخشب الذى جمعه من غابة البارون . كما أعدت له فلورنتينا ملابس به بقص قطع صغيرة من ملابسها وحياتها مع بعضها البعض . كان يمكن أن يطلقوا عليه اسم هارلكين لو كانوا يعلمون معنى الاسم . إن تسمية الطفل كانت بمثابة مشكلة حقيقية أثارت أكبر قدر من الجدل بين أفراد الأسرة على مدى شهور ، كان الأب وحده هو الذى لم يبد رأيه فى هذا الموضوع . وأخيراً ، اتفقوا على تسميته وودك ، وفى يوم الأحد التالى على التسمية ، اقيم حفل بسيط وسمى الطفل باسم وودك كوسكيفيتش حيث شكرت الأم الله على نعمة بقاءه على قيد الحياة ، أما الأب فقد أعفى نفسه من كل ما يمكن أن يقوم به تجاهه . وازداد الحفل ابتهاجاً بوصول أوزة هدية من البارون . تناول الجميع الطعام فى سعادة . ومنذ ذلك اليوم ، تعلمت فلورنتينا كيف تقسم الطعام على تسعة .

الفصل الرابع



نامت آن كين طوال الليل فى هدوء . وبعد الإفطار ، عاد إليها ابنها ويليام تحمله إحدى ممرضات المستشفى . كانت تتوق إلى حمله ثانية .

قالت الممرضة فى زبها الأبيض بحماس : " والآن يا سيده أن هل نتولى نحن أيضاً تقديم طعام الإفطار للطفل " .

ثم أجلس آن - التى شعرت فجأة بثديها المتورم - فى فراشها وأخذت ترشد الأم إلى كيفية إرضاع طفلها . آن - التى كانت تعلم أن إبداءها لأى شعور بالحرج يمكن أن ينال من أمومتها - حاولت أن تتخطى هذا الشعور بتركيز نظرها على عيني ابنها ويليام الزرقاء . لقد كانت عيناه أشد زرقة من عيني أبيه ، ثم قامت بدورها الجديد الذى لم يكن من المنطقى إلا أن يشعرها بالسعادة . لم تكن آن ، البالغة من العمر واحداً وعشرين عاماً ، تشعر بأنها مفتقدة لأى شيء فى حياتها . فقد ولدت فى أسرة كابوت ، و تزوجت من أحد أبناء

عدثة لويل ، أما الآن فقد أنجبت أول أبنائها مصداقا للتقليد الذى لخصته لها ببلاغة إحدى صديقاتها القدامى فى المدرسة من خلال بطاقة تهنئة أرسلتها إليها .

وهذه هى بوسطن القديمة الجميلة
التي تجمع بين الزراعة والملاحة
حيث تلجأ عائلة لويل إلى عائلة كابوت
أما عائلة كابوت فهي لا تلجأ إلا إلى الله

أخذت آن تتحدث على مدى نصف ساعة مع ويليام ولكن بدون أى رد . عندها عاد لينام ثانية واستسلم لنفس السبات العميق الذى كان قد وصل به إليها . امتنعت آن بمنتهى الإباء عن تناول الفاكة والحلوى التي كانت موضوعة بجانبها . كانت مصممة على ارتداء كل ملابسها واستعادة رشاققتها بحلول فصل الصيف وكذلك استعادة مكانتها التي تستحقها فى كل صحف الموضة . ألم يقل الأمير دى جارون ذات يوم إنها أجمل شىء فى بوسطن ؟ كان شعره اندهى الطويل ، وقسماتها الدقيقة الرقيقة وقوامه الرشيق مثار إعجاب الآخرين حتى فى المدن التي لم تكن قد زارتها . نظرت إلى نفسها فى المرآة ، ليست هناك أية خطوط فى وجهها ، كان من الصعب التصديق بأن هذا الطفل المتلى هو ابنها . قالت آن لنفسها : " أشكرك يا إلهي ، إنه طفل معافى " .

تناولت آن غداء خفيفا وأعدت نفسها للزيارات التي كان من المقرر أن تبدأ فى الظهيرة والتي كانت قد علمت بها مسبقا من سكرتيرها الخاص . لن يسمح بزيارتها فى الأيام الأولى إلا لأفراد العائلة أو المنتمين لأعرق العائلات ، أما الآخرون فسوف يقال لهم بأنها ليست بعد على استعداد لاستقبال الزائرين ، ولكن بما أن

بوسطن كانت آخر مدينة قد بقيت فى أمريكا يعرف كل من فيها مكانته الاجتماعية بمنتهى الدقة ، فلم يكن من الوارد حدوث أى خطأ فى هذا الصدد .

كانت العرفة التي تشغلها آن ، تتسع بمنتهى الارتياح لتشمل خمس أسرة أخرى ما لم تكن قد ملئت . كما حدث بالفعل - بالورد والزهور . إن أى عابر كان يمكن أن يخطئ العرفة على أنها أحد المتاحف الزراعية باستثناء وجود الأم فى سريرها فى منتصف العرفة . أدارت آن الضوء الكهربائى ، الذى كان مازال أحد المستحدثات فى ذلك الوقت ، كانت هى وريتشارد قد انتظرا لحين إدخال عائلة كابوت الكهرباء فى بيوتهم ، إيذانا لكل من فى بوسطن بإمكانية إدخال الكهرباء وبأنه قد بات أمرا مقبولا اجتماعيا .

كان أول الزائرين هى حماة آن ، السيدة توماس لويل كين ، التي أصبحت عميدة العائلة بعد وفاة زوجها فى العام السابق . كانت السيدة توماس فى نهاية سنوات منتصف العمر ، كانت تجيد فن اقتحام أى عرفة وهى محتظة بكمل هيبتها ومثيرة بلا شك لارتباك كل الحاضرين . كانت تتردى ثوبا طويلا يستحيل أن يكشف عن كاحليها ، كان الرجل الوحيد المسموح له برؤية الكاحلين هو زوجها الذى كان قد توفى عندئذ . وقد حرصت السيدة دائما على رشاققتها إذ إنها كانت تعتبر أن المرأة البدينة علامة على الطعام السيئ والنشأة الأكثر سوءا . كانت فى ذلك الوقت هى الأكبر سنا فى عائلة " لويل " ، كما كانت أكبر فرد فى عائلة كين . ولذلك فقد كانت ترى أنها يجب أن تكون أول من يحضر للزيارة . أليست هى من أعد اللقاء بين آن وريتشارد ؟ كد الحب لا يشكل أى اعتبار يمكن الاعتداد به بالنسبة للسيدة كين . بل كان

الثراء والمكانة الاجتماعية والهبة هو كل ما يمثل قيمة بالنسبة لها . كان الحب بالنسبة لها أمراً لا بأس به ولكنه كان آخر ما ينبغي أن يهتم به المرء ؛ أما العناصر الثلاثة الأخرى فقد كانت هي الأكثر أهمية وقللاً بالنسبة لها . طبعاً قبلت على جبين زوجة ابنها تعبيراً عن رضاها عنها . لمست أن أحد الأرزاء الموجودة على الجدار وإذا بـ ريز حفت بصدر منه . فاجأ الصوت السيدة كين . فلم تكرر تتوقع أن تدخل الكهرباء مدينتهم بهذه السرعة . ثم ظهرت المرضة وهي تحمل ولي العهد . تفحصته السيدة كين وعبرت عن ارتياحها ثم صرفته .

قالت السيدة الكبيرة كما لو كانت زوجة ابنها قد فازت بجائزة : " أحسنت صنعا يا آن . نحن جميعاً فخورون بك " . وصلت والدة آن السيدة إدوارد كابوت بعد مرور بضع دقائق . كانت هي الأخرى - مثل السيدة كين - قد فقدت زوجها في سن مبكرة وكانت لا تختلف عنها كثيراً من حيث المظهر بحيث كن يصعب على أى مشاهد لهما عن بعد التمييز بينهما . ولكن إحداهما بلحق . فقد أبدت قدراً أكبر كثيراً من الاهتمام بحفيدهما الوليد وبابنتها . واصلت السيدة كابوت تفحصها حتى للزهر التي كانت تملأ الغرفة .

همست السيدة كابوت : " يا له من كرم من عائلة جاكسون أن يرسلوا لنا زهوراً " .

أما السيدة كين فقد قامت بإجراء أكثر عملية حيث ألقت نظرة خاطفة على الورود ثم تفحصت بطاقات المهنئين . أخذت تتمتع لنفسها بالأسماء الواحد تلو الآخر : عائلة آدمز ، عائلة لورنس ، عائلة لودج ، عائلة هيجنسون . لم تعلق أى من الجدتين على أى اسم مجهول بالنسبة لهما ؛ كانا قد تخطا سن الرغبة في تعلم أى

جديد أو معرفة أى شخص جديد . غادرا المستشفى سوياً في سعادة ورضا حيث بدا لهما ولي العهد للولادة الأولى في صحة جيدة . اعتبرت كل منهما أن التزامها الأسرى الأخير قد تم إنجازها على أكمل وجه وأن كلا منهما يمكن أن تراجع عن دور الريادة وتعيش حياتهما كبقاى أفراد العائلة . ولكن ظنهما لم يكن في محله .

توافد أصدقاء آن وريتشارد المقربون إلى الغرفة في عصر نفس اليوم محملين بالهدايا ، وأما الأمنيات الطيبة . أما الهدايا فقد كانت من الذهب والفضة ، وأما الأمنيات فقد جاءت في لهجة ريفية أثينة .

عند وص زوجها إليها بعد الانتهاء من العمل في ذلك اليوم ، كانت آن تشعر بالإنهاك . كان ريتشارد قد تناول الشراب مع الغداء لأول مرة في حياته ، حيث أصر أموس كريس المعجور . بينما كن الجميع في نادى سمرست ، على أن يتناول ريتشارد الشراب فلم يكن يوسع إلا أن يلبي رغبته . بدا لزوجته أكثر مرونة عن ذي قبل . وقد وقف في ثبات مرتدياً معطفه الأسود الطويل وبظلاله دقيق الخطوط . وظهر طولهُ اسرع الذي يبلغ ستة أقدام وشعره الأسود المفرق من الوسط الذي كان يلمع تحت ضوء الصباح الكهربائي في الغرفة . القليل فقط كان يمكن أن يقتبأ بسنه الحقيقي الذي لا يتعدى ثلاثة وثلاثين عاماً ، ولكن الشباب لم يكن يعنى أى شيء بالنسبة له ؛ كانت المادة هي كل ما يعنيه . وثانية تم استدعاء ويليام لويل كين ليتفحصه والده ويلقى عليه نظرة وكأنه يتفحص ميزانية البنك في نهاية يومه المصرفى . بدا له كل شيء طبيعياً ؛ كان ابنه يملك ساقين وذراعين وعشرة أصابع في يده

وأخرى فى قدمه ؛ لم ير ريتشارد أن هناك ثمة ما يمكن أن يثير حرجه فيما بعد لذا سمح بصرف ويليام .

" لقد اتصلت بمدير مدرسة سانت بول مساء أمس . وسوف يلتحق بالمدرسة فى سبتمبر عام ١٩١٨ " .

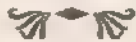
لم تجب آن بكلمة ؛ يبدو أن ريتشارد كان قد بدأ بالفعل التخطيط لمستقبل ويليام المهنى .

أخذ يسألها : " حسنا يا عزيزتى ؛ هل تعافيت تماما اليوم ؟ " لم يكن قد أمضى من قبل يوما كاملا فى المستشفى بطول عمره الذى يبلغ ثلاثة وثلاثين عاما .

أجابته زوجته فى خجل ؛ وهى تكبت رغبتها المتزايدة فى الكاء لكى لا تغضب زوجها . أجل - كلا - أعتقد ذلك " لم تكن إجابتها من النوع الذى يمكن أن يفهمه زوجها . قرر ريتشارد زوجته على خده وعادوا فى عربته الأنيقة إلى البيت الأحمر فى ميدان " لويس برج " حيث بيت العائلة . فى وجود طاقم العاملين والخدم والمولود الجديد وممرضته ، أصبح هناك الآن تسعة أفواه ليطعمها . لم يتعد تفكير ريتشارد هذا الحد .

أقدم ريتشارد حقلا فاحرا مناسبة ولادة ابنه ويليام حضره عدد من الشخصيات المهمة ممن كانوا يشغلون مكانة مرموقة فى مجال العمل المصرفى . أمثال مورجن وآلان لويد وميلى مرستون وصديقات آن المقربات . نثر الأب ماء الورد على رأس الوليد الذى بقى رابط اجأش وكأنه قد بدأ بالفعل يتشرب أسلوب عائلته فى الحياة شكرت آن ربها على وصول المولود بسلام وشكر ريتشارد الله على أن منحه وريثا يترك له ثروته ، ولكنه مازال يعتقد أنه من الأخطبوط أن ينجب ابنا ثانيا . بينما كان جالسا على المائدة نظر ريتشارد إلى زوجته بجواره وهو يشعر بتمام الرضا عنها .

الفصل الخامس



كان وودك كوسكيفيتش ينمو ببطء . بدأ من الواضح لأمه بالتنبئ أنه سوف يعاني دائما من مشاكل صحية . فقد كان يصاب بكل أنواع الأمراض والعدوى التى يصاب بها فى العادة كل الأطفال فى هذه السن والتى لا يصابون بها أيضا . وكان ينقل هذه الأمراض بدون أى تعريق لكل أفراد أسرة كوسكيفيتش . كانت هيليف تعلمه على أنه واحد من أبنائها الذين أحببتهم وكنت تستميت فى الدفاع عنه عندما يشرع جازيو فى التحدث عنه وكأن الشيطان وليس الله هو الذى ربح به فى بيتهم المتواضع . أما فورنينا فى المقابل فقد كانت تعتنى بوودك وكأنه ابنها الذى أنجبته . وقد أحبته منذ لحظة الأور اتى وقع فيها بصرها عليه وبدافع شعور مسح كن مسيطرا عليها بأنها لن تجد من يتزوجها عندما تكبر لأنها فتاة معدمة وابنة رجل فقير ، مما كان يعنى بالنسبة لها أنها لن تنجب أبناء . ومن ثم كانت تعتبر أن وودك هو ابنها .

أما الأخ الأكبر ، الصياد ، الذى كان قد عثر على وودك ، فقد كن يعامه على أنه لعبة يعيث بها وكان يخشى أن يفصح لوالده عن أية مشاعر يكنه للطف الصغير والذى أصبح طفلاً غنيماً على أية حال كان من المقدر أن يترك الطفل الأكبر المدرسة فى يناير التالى لكي يلحق بالعم فى مزرعة البزرون وكان الأطفال بالنسبة له عبث يجب أن تتحمله الأم ، هكذا علمه والده . أما الأشقاء الثلاثة الأصغر سن فم بدوا اهتماماً بـ وودك . أما العصور المتبقية من أفراد الأسرة وهى صوفيا فقد كانت تكتفى بمداعبته وهددته .

وما لم يكن مستعداً له أى من الزوجين هو أن يشب هذا الطفل ليملك عقل وشخصية تختلف تمام عن أنسابهم . لم يكن هناك من يمكن أن يحظى بأوجه الاختلاف البدنى والفكرى . كان كرس أفراد عائلة كوسكيفيتش طوال القمة . قوى انبئية . أصحاب شعر أشقر وعيون رمادية باسئذ ، فلورنتين . أما وودك فقد كرس قصير القامة ومفتنى الجسم وصاحب شعر أسود وعيون شديدة الزرقة . كان أفراد عائلة كوسكيفيتش لا يميلون إلى التعليم وكان يتم استبعادهم من مدرسة القرية بمجرد أن يسمح لهم سبهم بذلك أو تملئ عليهم الظروف . أما وودك . فى المقابل . فبالرغم من أنه قد تأخر فى المشى فإنه قد تحدث وهو فى الشهر الثامن عشر من عمره . وتعلم القراءة وهو فى الثالثة من عمره ولكنه مع ذلك بقي غير قادر على ارتداء ثيابه بنفسه . كان يكتب فى الخامسة ولكنه كان مازال يتبول فى فراشه . أصبح وودك بذلك مثار فخر أمه وإحباط أبيه . كانت سنواته الأربع الأولى فى الدنيا لا تنمى بسبب مرضه البدنى المتواصل فما يكاد يشفى من مرض إلا ويصاب بغيره ، ولولا جهود هيلينا وفلورنتينا المتواصلة للحفاظ على صحته لما نجا من تلك الأمراض . كن يعدو حول الكوخ الخشبي بقدمين عاريتين وهو

يرتدى ثياباً رثة ، مع عدم الابتعاد كثيراً عن أمه . عندما كانت فلورنتينا تعود من المدرسة كان يظل ملتصقاً بها ولا يتركها إلا عندما تضعه فى فراشه . عندما كانت فلورنتينا تقسم الطعام على تسعة أنصبة كانت تعتمد فى أغلب الأوقات إلى تقسيم حصتها بينها وبين وودك أما فى حالة مرضه فقد كانت تترك له حصتها كاملة . كان وودك يرتدى الملابس التى كانت تعدها له ويحفظ الأغاني التى تعلمها له ويشركها اللعب ببعض الألعاب لقليلة والهدايا التى كانت تقدم لها .

ونظراً لأن فلورنتينا كانت تتغيب معظم اليوم فى المدرسة ، فقد حدث وودك رغبة منذ نعومة أظفاره فى اسدحب معها إلى هناك وحيث سمح له بذلك (على أن يبقى متشبهاً بيد فلورنتين إلى أن أن يص إلى مدرسة القرية) كن يسير فى طريق يبلغ طوله ما يقرب من تسعة أميال ، على قدميه عبر غابات أشجار البتولا المغطاة بلطخات وشجر السرو وأشجار الليمون والكرز إلى أن يصل إلى " سلونيم " حيث يبدأ يومه الدراسى .

أحب وودك المدرسة منذ اليوم الأول ؛ فقد كانت مهرياً له من الكوخ الضيق الذى كان يمثل له حتى ذلك اليوم عالمه كله . وقد واجهته المدرسة للمرة الأولى فى حياته بوحشية الاحتلال الروسى بولندا الشرقية . وقد أدرك بعدها أنه لا يمكن أن يتحدث لغته البولندية الأم إلا داخل جدران منزله ، أما فى المدرسة فلا يجب أن يتحدث إلا الروسية . كان كل من حوله من الأطفال يستشعرون محراً طاغياً باللغة والثقافة الأم المقهورة فى ظن الاحتلال . كن هو الآخر يشعر بنفس هذا الفخر . ولكن ما فاجأه هو أن مدرس الفصل السيد كوتوميسكى لم يكن ينظر إليه نفس النظرة امتدنية التى كان ينظر إليه بها أبوه فى البيت . ولم يمض وقت طويل إلا وكان قد

أثبت تفوقه على كل زملائه في الفصل في كل شيء باستثناء طول القامة . كانت ضالة حجمه سببا دائما لسوء تقدير قدراته بشكل دائم ؛ فقد كان الأطفال يتصورون دائما أن الأكبر يعنى الأفضل . ومع بلوغ الخامسة كان وودك قد أثبت تفوقه في كل المواد التعليمية .

وفي مساء ؛ بعد عودته إلى الكوخ الخشبي الصغير ؛ بينما كان الأطفال يلعبون لقطف زهور البنفسج التي كانت تزدهر وتفتح في الربيع وجمع التوت وتقطيع الأخشاب والإسك بالآرانب وإعداد الثياب ، كان وودك يشغل وقته بالقراءة المتواصلة إلى أن فرا كل كتب أحبه الأكبر وأخته الكبرى التي لم يساها . وبدأت هيليب كوسكيفيتش تدرك أنها قد حظيت بأكثر مما راھت عليه عند عاد إليها ابنه الأكبر بهذا المخلوق الغريب بدلا من الأرانب . فقد كان وودك بدأ بالفعل يطرح عليها أسئلة تعجز عن الإجابة عنها . وسرعن ما أدركت أنها من تكون قادرة على مجاراته ولم تكن تعرف كيف تواجه هذا الأمر . كانت هيلينا تملك إيمان راسخ بالقدرة ولذلك فإنها لم تفاجأ عندما جاء القرار خارجا عن نطاق سيطرتها

في مساء أحد أيام الخريف من عام ١٩١١ ؛ حدثت أول نقطة تحول في حياة وودك . كانت الأسرة جميعها قد انتهت من تناول طعام العشاء البسيط المعد من حساء جنود البنجر والقليل من اللحم . كن كوسكيفيتش يغط في سبات عميق بجوار المدفأة بينما كانت هيلينا تحيك بعض الملابس وكان وودك جالسا عند أقدام والدته يقرأ عندما سمع . بالوغم من الضوضاء التي كان يثيرها ستيغان جوزيف أثناء شجارهما على بعض أخشاب الصنوبر المطلية حديثا . طرقا قويا على الباب . ساد الصمت المكان . كان هذا الطريق دائما بمثابة مفاجأة بالنسبة لأسرة كوسكيفيتش لأن أهل هذا الكوخ

الصغير ، والذي كان يبعد مسافة تسعة أميال عن قرية سلونيم وأكثر من ستة أميال من ممتلكات البارون ؛ لم يعتادوا استقبال ضيوف ولم يكن يوسعهم أن يقدموا سوى عصير التوت وضوضاء تسع من الأطفال الذين يقطنون بداخله . تحول نظر جميع أفراد الأسرة إلى الباب في حلع وترقب . وبقوا بلا حراك وكأنهم لم يسمعوا شيئا . لحين أن يعاد الطرق مرة ثانية . وبالفعل عاود الطرق ولكن في هذه المرة على نحو أكثر قوة . نهض جازيو وهو نصف نائم من فوق كرسيه وسار باتجاه الباب وفتحه بحذر . عندما رأى الجميع الرجل انشأ أمام الباب . أحنوا رؤوسهم باستثناء وودك الذي أخذ يحدق في هذا الوجه الأرستقراطي النبيل الموهب وهو يرتدى معطفه السميك بن افراء ، والذي استحوذ وجوده على كل من في العرفة الصغيرة وترى الحوف في عيني والده . ولكن الرجل بابتسامة رقيقة أدا هذا الخوف . ودعا الصياد البارون روزنوفسكى للدخول . لم ينبس أحد ببنت شفة . لم يكن البرون قد زارهم من قبل ولم يكن أحد واقفا مما يجب قوله .

نحي وودك كتابه جانبا ونهض وسار باتجاه الرجل الغريب ؛ وهو يمد له يده قبل أن يتمكن والده من ثنيه عن ذلك . قال وودك : عمت مساء يا سيدى .

أمسك البارون بيده ونظر كل منهما في عيني الآخر . وعندما ترك البارون يده ؛ وقعت عينا وودك على السوار القضى الرائع الذي كان يلف معصمه والذي كان يحمل حفرا لم ينجح وودك في فك طلاسمه .

" لا بد أنك وودك " .

أجاب الفتى بدون أن يبدى أية دهشة أو شعور بالمفاجأة لكونه يعرف اسمه : " نعم يا سيدى "

قال البارون : " أنت من جئت أقابل والدك بشأنه . "

بقى وودك أمام البارون يحدق فيه . أشار الصياد إلى أبنائه لكي يغادروا الغرفة ويتركوه مع البارون ، استحنى اثنان منهم في تبجيل بينما حياه الأربعة الآخرون وانسحب الستة في صمت داخل غرفة النوم . بقي وودك ولم يطلب منه أحد أن يفعل غير ذلك .

بدأ البارون حديثه قائلاً : " كوسكيفيتش ، لقد جئت لكي أطلب منك أن تسدى لي خدمة " ، وكان الرجل لا يزال واقف إذ لم يدعه أحد للجلوس . لم يكن القناع قد عرض عليه الجلوس لسببين أولاً لأنه كن يشعر بخجل بالغ وثانياً لأنه اهترض أن البارون قد جاء إليه لكي يصدر إليه تائيباً قاسياً .

قال الأب وهو يتسائل ما إذا كان يملك ما لا يملك البارون منه أضعافاً مضاعفة : " أمرك مجاب يا سيدي " .

واصل البارون حديثه : " إن ابني ليون الآن قد بلغ السادسة من عمره وقد بدأ يتلقى تعليمهما خصوصياً في القصر بواسطة مدرسين . أحدهم بولندي والآخر ألماني وقد أخبروني أنه ولد ذكي ولكنه بحاجة إلى المساعدة ، حيث إنه يتلقى الدروس منفردة ولا يجد من يداخسه . وقد أخبرني السيد كوتوفيسكي مهندس القرية أن وودك هو الفتى الوحيد القادر على هذه المنافسة التي يتطلع إليها ابني بشدة . وإنني أرجو أن تسمح لابنك بأن يعبر مدرسة القرية وينضم إلى ابني ليون ومدرسيه في القصر " .

بقى وودك واقفاً أمام البارون يحدق فيه بينما أخذ يتخيل المشهد اللاحق باطعام والشراب والكتب والمدرسين الذين هم بك تأكيد أكثر كفاءة من السيد كوتوفيسكي . ثم ألقى نظرة على والدته ، التي كانت هي الأخرى بدورها تحدق في البارون بينما

غطى وجهها الشعور بالأسى والدهشة . استدار الأب جهة الأم بحثاً عن إجابة صامتة فورية مرت على وودك وكأنها دهر كامل . ثم أجاب الوالد في صوت أجش وهو ينظر إلى حذاء البارون : " سوف يشرفنا ذلك يا سيدي " .

نظر البارون نظرة استفهام إلى هيلينا كوسكيفيتش . أجابت في رقة : " الله يحرم على أن أقف في طريق ابني بالرغم من أنه هو وحده الذي يعلم كم سيحزننى ذلك " . " ولكن يا سيدة كوسكيفيتش إن ابنك يمكن أن يعود إلى البيت باستطاء لزيارتك " .

" نعم يا سيدي أتوقع أنه سيفعل ذلك . هي اليداية " وكانت عسى وشك إقافة ربح ، ولكنها تراجعت

بقسم اسرون . " حسن ، قضى الأمر ، أرجوك أحضر الصبي إلى مصر في تمام الساعة صباحاً عدا سوف يعيش معنا وودك طول فترة الدراسة وفي أعياد رأس السنة سوف يعود لزيارتكم " . انفجر وودك في البكاء .

قال الأب : " اهدأ يا فتى " . قال وودك في تصميم الذي كان يريد بالفعل الذهاب : " لن أذهب " .

" اهدأ يا فتى " قالها الأب بصوت أكثر حزمًا في هذه المرة . سأله البارون ، بتبرة عطف : " ولم لا ؟ " .

" إننى لن أترك فلورنتينا أبداً " . تساءل البارون : " فلورنتينا ؟ " .

تدخل الأب قائلاً : " إنها ابنتى الكبرى يا سيدي ، لا تشغل بالك يا سيدي . إن الصبي سوف يفعل ما أمره به " .

لم يتحدث أحد . ثم فكر البارون للحظة . وواصل وودك بكاءه المصطنع .

سأل البارون : " كم يبلغ عمرها ؟ "

قال الأب : " إنها فى الرابعة عشرة "

سأل البارون ؛ بعد أن شعر بالارتياح من كون هيلينا كوسكيفيتش لم تكن على وشك البكاء هى الأخرى : " هل تجيد أعمال المطبخ ؟ "

أجابت الأم : " أجل يا سيدى بالطبع . إن فلورنتينا تستطيع أن تظهر وتحيك و "

" حسنا ؛ هذا جيد ؛ يمكنها أن تاتى هى الأخرى . إننى أنتظر مجيئهما فى الساعة من صباح الغد . "

سار البارون جهة الباب وألقى نظرة ثانية على وودك وابتسم له ؛ فرد عليه وودك بنفس الابتسامة . كان وودك قد نجح فى عقد أول صفقة له واستسلم لحضن والدته الدافئ بينما أخذ يحدق فى الباب المغلق ؛ عندها سمع أمه وهى تهمس قائلة : " آه ؛ يا ابنى الصغير ؛ ما الذى سوف يؤول إليه حالك الآن ؟ " .

لم يكن وودك يطيق صبرا لمعرفة الإجابة .

أمضت هيلينا كوسكيفيتش ليلتها فى إعداد حقيبة وودك وفلورنتينا . لم يكن الأمر ليستغرق كل هذا الوقت حتى وإن كنت تحزم كل ممتلكات الأسرة . وفى الصباح وقف كل أفراد الأسرة أمام الباب لمراقبة رحيل الاثنين إلى قصر البارون بينما كان كل منهما يحمل لفافته الورقية تحت إحدى ذراعيه . أخذت فلورنتينا ذات القوام المشوق تنظر خلفها وتبكي وتلوح لكل أفراد الأسرة . أما وودك ذو القامة القصيرة ، فلم يكن يعبأ حتى باللتفات مرة واحدة

خلفه . تشبثت فلورنتينا بيد أخيها طوال الرحلة إلى قصر البارون . لقد انقلبت الأدوار الآن ؛ لقد أصبح منذ اليوم هو المسئول عنها وليس العكس .

كان هناك رجل فى انتظار وصولهما إلى القصر . كان الرجل يرتدى حلة خضراء مطرزة أنيقة وفتح لهما بعد أن سمع طرقهما الرقيق على الباب الكبير المصنوع من خشب البلوط . لقد سبق لهما رؤية الجنود الذين كان يحرسون الحدود البولندية الروسية بزيمهم الرمدى وكنوا يتأملونهم بعجب ولكنهم بالطبع لم يكن قد سبق لهم من قبل أبدا رؤية شيء يفوق تألق هذا الخادم صاحب البزة المسزة الذى بدا شديد الاعتزاز والترفع والذى كان من الواضح أنه صاحب أهمية بالغة . كانت هناك سجادة سمكية فى قاعة الاستقبال أخذ وودك يتأمل تداخل لونها الأخضر والأحمر منبهرا بحداها ومتسانلا ما إن كان يجب أن يخلع حذاءه قبل أن يمر عليها واندهش عندما مر عليها بدون أن تحدث أى صوت . قادهما هذا الرجل المذهل إلى غرفة نومهما فى الجناح الغربى للقصر . كانتا غرفتين منفصلتين ، وهن يمكن أن يذما فى غرفتين منفصلتين ؟ على الأقل كان هناك باب واصل بينهما ؛ أى أنهما لن يفصلا عن بعضهما البعض انفصالا كلياً ؛ ولكنهما أثرا النوم بجوار بعضهما البعض فى فراش واحد فى ليلال كثيرة .

عندما أفرغ كل منهما محتويات حقيبته ؛ اقتيدت فلورنتينا إلى المطبخ وودك إلى غرفة اللعب فى الجناح الجنوبي من القصر حيث قابل ابن البارون . كان ليون طويلا ووسيماً وأبدى على الفور فرحته وترحيبه الحار بـ وودك مما دفع وودك إلى التخلي عن تحفظه المصطنع ليحل بدلا منه الشعور بالدهشة والارتياح . كان ليون وحيد أبويه ، ولم يكن لديه رفيق للعب إلا مربيته ؛ تلك السيدة

اللواتية المتفانية في خدمته التي كانت قد أرضعته وتولت كل شئونه منذ وفاة والدته في سن مبكرة . لقد كان هذا الفتى القصير المثلثي القادم من الغابة يمثل له الصحبة الدائمة التي طالما تاق إليها . كان هناك شيء واحد على الأقل يدرك كلاهما أنهما متساويان فيه .

عرض ليون على وودك على الفور أن يريه القصر ، واستغرقت الجولة باقى اليوم كله . بقى وودك منبهرا بحجم القصر واتساعه وثره . أثنائه وتلك السجاجيد التي كنت تغطي أرضيت كل الغرف كان ليون يشعر بتقدير ممتزج بسعادة لوجود وودك . فقد كان يشعر أنه اكتسب مكانه في القصر عن استحقاق . وأوضح ابن البارون أن القصر مبنى على الطراز القوطى . فأومأ وودك يعرف معنى كلمة قوطى . ثم قاده ليون بعد ذلك إلى القبو الشاسع الذى كان زائرا بصفوف زجاجات انبيد المتراصة المعصدة بالتريبة وخيوط العنكبوت . كانت غرفة وودك المفضلة هى غرفة المائدة الكبيرة الواسعة بأعمدتها الشاهقة وأرضيتها المكسوة بالرحم . كسبت رؤوس الحيوانات تزين كل الجدران . وقد عدد عليه ليون أسماء تلك الحيوانات . إنها رؤوس الثور الأمريكى والدب والظبى والخنزير اببرى والدب . وفى نهاية الغرفة . كان معظم البارون استوفج معلقا تحت قرون وعل . كان شعار عائلة روزنوفسكى هو " الثروة تحب الشجاعة " . بعد تناول العشاء الذى لم يتناول منه وودك إلا القدر البسيط لأنه لم يكن يجيد استخدام أدوات المائدة ، التقى بمدرسيه ، اللذين لم يرحبا به بنفس قدر ترحيبهما بابن البارون . وفى المساء صعد وودك فوق أطول سريز شاهده وقص على فلورنطين كل مغامراته . بقيت عينيها المشدوهتان مثبتتين على وجهه وبقيت

غرة فاما وهى تنصت فى انبهار لكل ما يقصه عليها وخاصة عندما حكى لها عن أدوات المائدة .

بدأت الحصص التعليمية فى السابعة تماما قبل تناول الإفطار وعبت متواصلة على مدار اليوم مع فترات استراحة مقتضية لتناول لوجبات . كان ليون فى البداية متفوقا بوضوح على وودك ولكن وودك دخل بتصميم والتهم الكتب التهاما وبمرور الأسابيع أخذت اهوة التى تفصل بينهما تضيق شيئا فشيئا بينما أخذت الصداقة وروح التبارى بينهما تتزايد فى نفس الوقت . وجد المدرسان الألمانى والبولندى صعوبة فى تعليم تلميذيهما ابن البارون وابن الصياد على قدم المساواة بالرغم من أنهما أكدا للبارون عندما كان يسألهما أن لسيد كوتوفيسكى قد قدم لهم الاختيار الأكاديمى الصحيح . ولكن سوك هذين المدرسين تجاه وودك لم يزعجه أو يشغل باله يوما لأنه كان يلقى دائما نفس المعاملة التى يلقاها ليون .

كان البارون سعيدا بالتقدم الذى ينجزه ليون وودك وكان من دفت إلى آخر يكافئ وودك ويقدم له الملابس والألعاب . وقد تطور إعجاب وودك المتحفظ للبارون إلى احترام ، وعندما حان وقت عودة وودك إلى الكوخ الصغير فى الغابة لقضاء عيد رأس السنة بين أفراد سرتة ، شعر بالحزن لفكرة مفارقة ليون .

وقد كان لهذا الحزن مبرر قوى . فبالرغم من السعادة التى شعر بها فى بادئ الأمر لأنه سوف يرى والدته ، فإن تلك الفترة القصيرة حتى امتدت لثلاثة أشهر فى قصر البارون كانت قد كشفت له عن أوجه القصور فى بيت الأسرة التى لم يكن قد التفت إليها من قبل . وجاءت العطلة . وأحس وودك بالضيق من هذا الكوخ الخائى البسق وهذا الطعام الفقير القليل الذى يؤكل باليد ، ليس هناك من يتسم الطعام على تبة أنصبه فى القصر . كان وودك يتوق للعودة

إلى ليون والبارون . وفى مساء كل يوم كان يسير مسافة ستة أميال كاملة إلى أن يصل إلى القصر ويجلس هناك ليحصد إلى الجدران الضخمة التى تحيط به . أما فلورنتينا التى كانت هى الأخرى تعيش فى القصر ولكن داخل حدود المطبخ فقط . فقد كانت العودة بالنسبة لها أسهل كثيرا ولم تكن تدرك لم لا يمكن أن يعود هذا الكوخ ثانية منزلا لـ وودك . لم يكن الأب واثقا من الطريقة التى يجب أن يتبعها فى معاملة وودك . الذى أصبح الآن يرتدى ثيابا أنيقة ويتحدث بطريقة متأنقة ويتحدث عن أشياء لم يكن حتى يفهمها ولم يكن يعيا بفهمها وهو ما زال فى السادسة من عمره . كان الصبى يقضى يومه كاملا فى القراءة . الذى يمكن أن يجنيه هذا الطفل إن لم يكن بوسعه أن يصوب قوسا أو يصطاد أرنا . فكيف يمكن أن يتنبأ له بأنه سوف ينجح فى كسب قوت يومه ؟ كان يدعو الله هو الآخر أن تنتهى العطلة سريعا .

كانت هيلينا فخورة بـ وودك ولم تكن تريد أن تعترف لنفسها فى البداية أن هناك حاجزا يفصل بينه وبين إخوته . ولكن فى النهاية لم يكن بوسعه سوى أن تعترف بذلك . وأثناء مسيرته لعبة الجنود فى إحدى الأمسيات ، رفض كل من ستيفان وفرانك اللذين كن كل منهما يمثل قائد لحيشين متعادين أن يضم وودك إلى جيشه .

قال وودك وهو يبكى : " لم يريد كل منهما دائما إبعادى عن جيشه ؟ أريد أن أتعلم القتال أنا أيضا " .

قال ستيفان : " لأنك لست واحدا منا ، أنت لست أحدا لنا فى حقيقة الأمر " .

ساد صمت طويل قبل أن يواصل فرانك حديثه قائلا : " لم يكن أبون يريدك أن تنقى فى المقام الأول ولكن أمد هى التى أصرت على ذلك " .

بقى وودك واقفا بدون حراك مثبتا عينيه على دائرة الأطفال حثا عن فلورنتينا .

سأل وودك : " ما الذى يعنيه فرانك بشأننى لست أأخاكم ؟ " .

وهذا استمع وودك للمرة الأولى لقصة مولده وفهم سر انفصاله الدائم عن بقى إخوته وأخواته . بالرغم من أن والدته قد شعرت غفعا بحزن بالغ لما آل إليه حاله ، إلا أن وودك شعر بقبطة دفيئة داخل نفسه عندما علم بهذا الأمر وبأنه لا ينتمى إلى دماء هذا الصبي الوضيع . إنه ينتمى إلى أصر مجهول . إنه يحمل بداخله يدور افكر والحكمة وبدا له عندها كل شيء .

عندما وصلت العطلة الحزينة أخيرا إلى نهايتها ، عاد وودك إلى القصر فى سعادة . رحب به ليون ثانية وهو فاتح ذراعيه وكأنه ينتصر من ثروة أبيه . وهو ما فعله وودك بدوره وكأنه ينتصر من فقر أسرته وذلك العيد المتواضع الذى لم يحظ خلاله إلا بقدر ضئيل من الاحتفال . منذ تلك اللحظة ازداد التقارب بين الاثنين حتى أنهما كان لا يفترقان عن بعضهما البعض . وعندما اقتربت العطلة الصيفية ، توسل ليون لأبيه أن يسمح لـ وودك بالبقاء فى القصر ، فوافق البارون ؛ حيث كان هو وابنه يكتان له الاحترام . شعر وودك بسعادة غامرة ولم يدخل كوخ الصيد من يومها سوى مرة واحدة فقط .

عندما كان وودك وليون ينهيان واجبهما المدرسى فى كل يوم ؟ كانا يقضيان الساعات المتبقية من اليوم فى اللعب . كانت لعبتهما

المفضلة هي لعبة شوو أميجو أى لعبة التستر . ونظرا لأن القصر كان يصم اثنتين وسبعين غرفة فلم تكن هناك سوى فرصة ضئيلة لتكرار مكان الاختباء . كان مكان وودك المفضل للاختباء، هو القصر الواقع تحت القصر والذي كان مظلماً ولا يتنذ إليه سوى خيط من النور من خلال صخرة صغيرة أعلى الحدار . وحتى بالرغم من ذلك فقد كان أى شخص بحاجة إلى شمعة للتحرك فى المكان . لم يكن وودك يعرف سبب وجود هذا المكان ولم يشر إلى ذلك أى من الخدم لأنه لم يكن قد سبق لأحد منهم استخدامه من قبل .

كان وودك يعرف جيدا أنه كان مساويا له ليون فقط فى الفصل الدراسى . أما خارج هذا النطاق فلم يكن يقوى على منافسته فى أية لعبة إلا الشطرنج . كان نهر شررا الذى يحيط بانقصر امتدادا للمساحة التى كان يعبان فيها فى الربيع كان يمارس اصييد وفى الصيف كانا يسبحان وفى الشتاء عندما كان النهر يتجمد ؛ كانا يرتديان الزلاجات ويطردان بعضهم البعض فوق الجليد بينما كنت فلورنتينا تحذره من المناطق الهشة . ولكن وودك كان لا يلتقى إليها بالا دائما ولا يلتفت لما تقول ولذا كان يسقط دائم فى مثل هذه البؤر الهشة . كبر ليون سريعا وأصبح قويا . كان يجيد السباحة والعدو وكان يبدو دائم صحيح البدن وكأنه لا يصاب بآى مرض أو تعب . أما وودك فقد أدرك للمرة الأولى معنى كلمة وسيم الملامح وقوى البنيان ؛ وكان يعلم جيدا عندما كان يمارس السباحة أو العدو أو التزلج أنه لا يمكن أن يصل إلى مستوى ليون . ولكن الأسوأ من ذلك هو أن ما كان يطلق عليه ليون سرية البطن ؛ كان غير ملحوظ عليه تقريبا ؛ لأن وودك كان قصيرا وسمينا وقبيحا وبارز البطن .

كان وودك يقضى الساعات الطويلة منزويا فى غرفته الهادئة ؛ كن يتفحص خلالها تكوينه البدنى فى المرآة ؛ ويسأل نفسه دائما ماذا وخاصة فيما يتعلق بحلمة ثديه ؛ لم لا يملك سوى حلمة واحدة بينما يملك كل الصبية الذين سبق ورآهم حلمتين بما يضى التناسق المطلوب على شكل الجسم . وأحيانا كان عندما يستلقى على فراشه فى حالة أرق ؛ كان يتحسس صدره بأصابعه وتتساقط دموع الشفقة على وسادته إلى أن يغلبه النعاس فى النهاية فيستسلم للنوم على من أن يستيقظ فى الصباح ليجد الأشياء قد اختلفت . ولكن دعاهم لم يخش يستجاب .

كان وودك يخصص وقتا كل ليلة لأداء التدريبات الرياضية وليس لم يكن أحد يراه وهو يمارسها ولا حتى أخته فلورنتينا . وقد جمع من خلال قوة عزيمته فى تعلم شد قامته بحيث يبدو أكثر طولاً كان يشد ذراعيه وساقيه ويتشبث بأطراف أصابعه بممارسة فى عرفه نومه أملا أن ينمو بعض الشيء بينما ليون كان يزداد طولاً حتى وهو نائم . ولكنه وجد نفسه فى النهاية مجبرا على قبول كونه سيظل دائما أقصر قامته من ابن البارون بكثير وأنه ليست هناك وسيلة ؛ أية وسيلة ، لاستعادة الحلمة المفقودة . لم يكن ليون هو الذى يؤثر بداخله عدم الرضا بجسمه لأنه لم يعلق يوما على مظهره وسه يكن يعرف أطفالاً غيره ؛ كان عشق ليون لودك يتعدى مستوى ليقدر

كان إعجاب البارون روزنوفسكى هو الآخر يزداد يوما بعد يوم بعد الفتى العنيد أسود الشعر الذى حل محل الأخ الأصغر لليون عندما مات ميتة مأساوية بوفاته والدته البارونة أثناء الوضع . كان ليون وودك قد دأبا على تناول العشاء كل ليلة مع البارون فى القاعة الكبيرة ذات الجدران المبنية بالحجارة ، بينما كان

وميض الشموع يعكس ظلاله الكثيرة على رؤوس الحيوانات المحتطة على الجدران . كان الخدم في ذلك الوقت يروحون ويجيئون بدون إحداث أية ضجة حاملين أواني التقديم المصنوعة من الفضة والأطباق المصنوعة من الذهب ؛ ويقدمون الأوز واللحم والأسماك والشراب الفاخر والفاكهة وأحياناً طبق المارورت الذى أصبح طبق وودك المفضل . وبعدها ؛ عندما يلقي الليل بظلاله الكثيفة حول المائدة ؛ كان البارون يصرف انخام ويحكى - ليون وودك قصصاً مقتبسة من انتاريخ البولندي . وكان وودك يلح دائماً على البارون لسماع قصة تاديوز كوسكيوسكو .

" إنه كان رجلاً وطنياً عظيماً وبطلاً مفواراً " ، هكذا كان يجيبه البارون . " إنه رمز كفاحنا ونضالنا من أجل الاستقلال ؛ لقد تدرب في فرنسا ... " .

أجاب وودك ؛ الذى كان سر إعجابه بالقصة يزداد بمعرفته الدقيقة للكلمات التى يستخدمها ابارون لروايتها " التى تكن لشعبها كل الإعجاب والحب بقدر ما نكره الروس والنمساويين " .

ضحك البارون : " من منا الذى يقص القصة يا وودك ؟ ... " ثم قاتل مع جورج واشنطن فى أمريكا سعياً وراء الحرية والديمقراطية . وفى عام ١٧٩٢ ؛ قاد البولنديين فى معركة دوبيونكا . عندما تخلى عنا الملك الخائن " ستانيسلو أوغسطس " لينضم إلى الروس ؛ عاد كوسكيوسكو إلى وطنه الذى يحبه ليلم شمل الوحدة الوطنية . ثم انتصر فى معركة ؛ ماذا ؛ يا ليون ؟ " .

" انتصر فى معركة راكلاويس يا سيدى ثم حرر وارسو " ممتاز يا بنى . ثم حشد الروس مع الأسف قوات ضخمة فى ماسجويز حيث منى بالهزيمة هناك ووقع فى الأسر . لقد حارب

جدى الأكبر مع كوسكيوسكو فى هذا اليوم وحارب بعده مع فيالق دبروسكى التى انضمت إلى نابليون يونابرت العظيم " .

قال وودك : " وقد حظى بلقب البارون روزنوفسكى تقديراً لهذه الجهود التى بذلها لبلاده ، وهو اللقب الذى سوف نحمله دائماً تخليداً لذكرى هذه الأيام العظيمة " ، قالها فى فخر وكأنه سوف يحمل هذا اللقب فى يوم من الأيام

قال البارون فى هدوء : " نعم وهذا الأيام العظيمة سوف تعود ثانية ، إننى أدعو الله أن أبقي على قيد الحياة إلى أن أشهد هذه الأيام " .

فى عيد رأس السنة ؛ جاء بعض الفلاحين العاملين فى المزرعة بصحبة أسرهم إلى قصر الدرون للاحتفال بعشية العيد . كان اكل بصوم عشية عيد رأس السنة وكان الأطفال يسيطرون عبر النافذة بحثاً عن ظهور أول نجمة فى السماء التى كانت بمثابة إشارة بدء الاحتفال بالعيد . كان البارون عندها ؛ يتمنى للجميع عيداً سعيداً ؛ بنبرة صوته الرصين العميق ولسانه البليغ . عندما كان يجلس الجميع لتناول العشاء ؛ كان وودك يشعر بحرج شديد بسبب شره جازيو كوسكيمينش الذى كان يصير على تناول كس صنف من الأصناف الثلاثة عشر المقدمة على مائدة الطعام بدءاً من الحساء وحتى الكعك والفاكهة ثم كان يصيبه بالإعياء والغثين - كدأبه فى السنوات السابقة - وهو فى طريق عودته إلى المنزل عبر الغابة .

وبعد العيد ؛ كان وودك يجد متعة بالغة فى توزيع الهدايا على أبناء الفلاحين المعدمين ؛ وقد أعطى دمية لصوفيا وسكينا لجوزيف وثوباً جديداً لفلورنتينا ؛ كانت هذه الهدية هى أول طلب يطلبه وودك من البارون .

قال جوزيف لوالدته عندما تلقي الهدية من وودك : " أهذا صحيح ؟ إنه ليس أخانا يا أمي ؟ " .
أجابت الأم : " بلى ولكنه سوف يبقى دائما ابني " .

وعلى مدى شتاء وربيع عام ١٩١٤ ، ازداد وودك علما وقوة . وفجأة في شهر يوليو من ذلك العام ، ترك المدرس الأناني القصر بدون حتى كلمة وداع ، لم يعرف أى من الصبيين سر هذا التصرف . لم يدر بحد أي منهما أن يكون لرحيله علاقة باغتيال الأرشيدوق فرانزيس فرديناند في سارييفو على يد طالب متمرّد ، وهو الحادث الذي كان قد قصه عليهما مدرسهما البولندي منيرة جدة بدون أن يبدي أي تبرير . ولكن البارون في هذا الوقت أصبح يميل إلى العزلة . لم يكن أي من الصبيين يعرف السبب . ثم بدأ الخدم الأصغر سنا الذين كانوا الأكثر قربا من الأناء . يحفون الواحد تلو الآخر بدون أن يدرك أي من الصبيين السبب . وبمرور العام ازداد ليون طولا وازداد وودك قوة . وازداد الاثنان حكمة ونضجا .

وفي صباح أحد الأيام من شهر أغسطس عام ١٩١٥ ، في تلك الأيام الخاملة الجميلة ، تاهب البارون للقيام برحلة طويلة إلى وارسو لكي يدير شؤونه ، على حد تعبيره . وقد استغرقت هذه الرحلة ثلاثة أسابيع ونصف الأسبوع أي خمسة وعشرين يوما كاملة أحصاها وودك كل صباح على الروزنامة التي كان يحتفظ بها في غرفة نومه ، بدأ هذا الوقت لـ وودك دهرًا كاملاً . وفي اليوم الذي كان من المقرر فيه وصول البارون ، ذهب الصبيان إلى محطة القطار في سلونيم لاستقبال القطار الأسبوعي ذي العربة الواحدة والترحيب بالبارون فور وصوله . ثم عاد الثلاثة إلى القصر في صمت تام .

شعر وودك أن الرجل الكبير بدا متعبا وأكبر سنا : كان هذا بمثابة حدث غير متوقع بالنسبة له ، وعلى مدى الأسابيع القليلة التالية كان البارون كثيرا ما يثير مع كبير خدمه حوارا سريعا قلقا وكان يقطع حوارا معه دائما عنديا يقتحم وودك و ليون الغرفة ؛ كان هذا سلوكا غير مألوف ومثيرا للريبة بالنسبة للصبيين اللذين شعرا بالخوف وعدم الارتياح لكونهما ربما السبب المحتمل لهذه الحالة . خشي وودك من أن يعيده البارون ثانية إلى منزل الصيد الفقير لأنه لم ينس يوما أنه شخص غريب يعيش في بيت غريب .

وفي مساء أحد الأيام التالية ، بعد عودة البارون ، طلب من الصبيين اللحاق به في القاعة الكبيرة . سار الاثنان في تؤدة وحذر يحدوهما الخوف منه . وبدون أية مبررات أخبرهما البارون أنهما يصدد القيام برحلة طويلة . ولكن هذا الخبر المقتضب الذي بدا غير موضوعي لـ وودك في ذلك الوقت قد بقى راسخا في ذهنه طوال حياته .

بدأ البارون حديثه بنبرة خفيفة متردة قائلا : " أبلاني الأعزاء ، لقد وصل المسافحون من القوات الألمانية والنمساوية والمجرية إلى قلب وارسو وسرعان ما سوف ينتفضون علينا هنا " . تذكر وودك عبارة كان المدرس البولندي قد قالها رغما عنه للمدرس الألماني في آخر عهدهما سويا الذي كان يسوده التوتر . فسأل وودك : " هل هذا يعني أن ساعة الاجتياح الأوروبي علينا قد أتت ؟ " .

نظر البارون في حنان إلى وجه وودك البريء وقال : " إن روحنا الوطنية المتأججة لم تخذل على مدى مائة وخمسين عاما من القهر والإذلال ، ولكن يبدو أن بولندا على شفا نفس الهاوية التي تتعرض

لها صربيا وإننا لا نملك القوة الكافية لتغيير مجرى التاريخ . لقد سقطنا تحت رحمة ثلاث قوى عظمى محيطة بنا " .

قال ليون : " ولكننا أقوياء ، ونملك القدرة على المقاومة ، نحن نملك سيوفاً خشبية وبروعاً وإقية . نحن لا نخشى الألمان أو الروس " .

" يا بني ، أنت لم تعرف الحرب إلا من خلال اللعب . ولكن هذه المعركة ليست معركة أطفال . يجب أن نبحث الآن عن مكان صغير آمن وهادئ نعيش فيه إلى أن يقرر التاريخ مصيرنا ، ويجب أن نغادر هذا القصر بأسرع ما يمكن . إننى فقط أدعو الله ألا يكون قد حان وقت نهاية طفولتكما " .

أثار حديث البارون حيرة وغضب كل من ليون وودك . لقد كانت الحرب بالنسبة لهما بمثابة مغامرة مثيرة سوف تفوتهم إن غادروا القصر . استغرق الخدم عدة أيام لحزم ممتلكات البارون وأحبر لبرون بيون وودك أنهم سوف يبددان إلى منزل لصيغى الصغير فى شمال " جرونود " يوم الاثنين القادم . واصل الصبيان جدهم وبهولهما سوب بدون إشراف فى معظم الأوقات وكسبهما له يجدا فى القصر أذنا مصغية على استعداد للإجابة عن طوفان الأسئلة التى كانت تدور فى خلدتهما .

فى أيام السبت ، كانت الدروس تقتصر على الفترة الصباحية فقط . كان ليون وودك يترجمان إحدى القصائد لأدم ميكيفيتش إلى اللاتينية عندما سمعا طلقات نارية . فى البداية ، ظن وودك أن هذا هو أحد الأصوات المألوفة لأحد الصيادين الذى خرج بحثاً عن غنيمة فى مزرعة البارون ، فواصل هو وليون ما كانا يقومان به . ثم سمعا دفعة أخرى من الطلقات ولكن فى هذه المرة كانت الطلقات أكثر قرباً مما دفعهما إلى النظر إلى أعلى ، ثم سمعا صرخات من الدور

السفلى . أخذ كل منهما يحدق إلى الآخر فى دهشة وتعجب ، لم يخشيا شيئاً ، لأنهما لم يشهدا من قبل فى حياتهما شيئاً كهذا يدفعهما إلى الشعور بالخوف . ثم انسل المدرس وتركهما بمفردهما ، ثم سمعا طلقات أخرى ولكن فى هذه المرة فى ردهة المنزل خارج الغرفة التى كانا يجلسان بها . بقى الولدان بلا حراك ، تسمر كس منهما فى مكانه فى حالة من الذعر عاجزاً عن التقاط أنفاسه .

وفجأة اقتحم رجل يقارب مدرسهما فى العمر باب الغرفة ، كان يرتدى زى الجنود الرمادى وخوذة من الصلب ، وقف الرجل أمامها فى استعلاء . تشبث ليون بـ وودك بينما ثبت وودك بصره على هذا الرجل المقتحم . صاح الجندى فى وجهيهما باللغة الألمانية سائلاً كلا منهما عن هويته ولكن بدون أية إجابة من الصبيين بالرغم من أن كليهما كان يجيد الألمانية إجادة تامة . ثم ظهر جندى آخر خلف الجندى الأول بينما تقدم الجندى الأول قبالة الصبيين وأمسك بعنقيهما وجذبهما إلى الردهة ومنها إلى القاعة إلى الساحة الأمامية للقصر ومنها إلى الحديقة حيث وجدا فلورنتيننا تصرخ بصورة هستيرية مثبتة بصرها على الأرض أمامها . لم يقوى ليون على النظر ودفن رأسه بين كتفى وودك . أخذ وودك يتأمل المشهد وقد سيطر عليه شعور بالدهول أكثر من الشعور بادعر أسم هذه الكومة المؤفة فى الجزء الأكبر منها من جثث الخدم . وقد وقف مشدوها عندما شاهد وسط كومة الجثث هذا الشارب الذى يعرفه جيداً وسط بركة من الدماء . إنه الصياد . لم يشعر وودك بشئ ، بينما واصلت فلورنتيننا صراخها .

سأل ليون : " هل أبى وسط هذه الكومة ؟ هل أبى وسط هذه الكومة ؟ " .

تفقد وودك كومة الجثث ثانية . وحمد الله لأنه لم يجد أثرا للبارون روزنوفسكى . كان على وشك إعلان النبأ السار لليون عندما نهض أحد الجنود إليهما .

قال الجندى فى وحشية : " من الذى تحدث الآن ؟ " أجابه وودك فى تحدٍ : " أنا " .

رفع الجندى بندقيته وضرب بها رأس وودك ، فسقط وودك وقد تساقطت الدماء على وجهه . أين ذهب البارون ؟ ما الذى يجرى ؟ لم يعملان بهذه الطريقة فى منزلهما ؟ قفز ليون سريعا فوق وودك محاولا حمايته من التسديدة الثانية التى كان سيوجهها الجندى إلى معدته ؛ فانطلق عيار نارى فى ظل هذه الفوضى وأصاب مؤخرة رأس ليون .

سقط الصبيان بلا حراك ؛ وودك لأنه كان لا يزال فاقد الوعي إثر اللكمة التى تلقاها وسقوط جسد ليون المفاجئ عليه ، وليون لأنه كان قد مات .

استطاع وودك تحت وطأة هذا الوضع أن يتبين توبيخ أحد الجنود لزميله الذى أقدم على هذه الفعلة . وانتقظ ليون فشبب به وودك . تطلب الأمر جنديين لرفع جسد ليون وإلقائه بدور كثرات فوق كومة الجثث التى وضعت وجوها صوب الأرض . لم يدر وودك عينيه عن جثة صديقه الحميم الهامدة إلى أن اقتيد أخيرا داخل القصر مع حفنة من المذعورين الذين بقوا على قيد الحياة ، اقتيد الجميع إلى القبو . لم ينس أي منهم ببنت شفة خشية أن يلحق بكومة الجثث الملقاة على أرض الحديقة إلى أن فتحت أبواب القبو وزج بهم جميعا بداخله وخبا صوت الجنود مع ابتعادهم عن المكان . تمتم وودك قائلا : " يا إلهى ! " . وإذا بالبارون جالسا منزويا فى أحد الأركان فى مقابل الجدار ، كان مصابا ولكنه كان

فى حالة زهول ، كان يحدق فى الفضاء وكان مازال على قيد الحياة فقط لأن الغزاة أرادوا له أن يبقى مسئولاً عن السجناء . سار وودك نحوه بينم ظل الباقون على أبعد مسافة ممكنة من سيدهم . أخذ الاثنان يحدقان إلى بعضهما البعض تماما كما حدث فى أول يوم التقى فيه ثم مد وودك يده فأمسك بها البارون . شاهد وودك الدموع وهى تنهمر على وجه البارون الشامخ . لم ينطق أى منهما بكلمة . كان كل منهما قد فقد الشخص الذى يكنن له كل الحب فى هذا العالم .

الأطفال الذين كانت تعرفهم في بيكون هيل .
وقد حرصت الممرضة الإنجليزية على تنشئة الطفل وفق نظام
محكم وكأنه من أبناء أحد الملوك والأمراء . كان والد ويليام يزوره
فى كل مساء فى السادسة . وبما أنه كان يرفض أن يتحدث مع
الطفل بلغة الأطفال ؛ فقد آل به الحال إلى عدم التحدث معه
كلية ؛ كان كل منهما يكتفى بالتحديق إلى الآخر . كان ويليام
يقيض على سبابة أبيه ؛ هذا الإصبع الذى كان الأب يراجع به
أوراق الميزانية ، وكان الطفل يتشبث بهذا الإصبع بأقصى قوته .
وكان ريتشارد فى هذه الحالة يسمح لنفسه بأن يمنح ابنه الصغير
ابتمامة . ومع نهاية العام الأول ؛ تغير النظام المتبع قليلا وسمح
للطفل بالنزول إلى الدور السفلى لرؤية والده . كان ريتشارد يجلس
على كرسيه المرتفع من الجلد البنى ويراقب ابنه الأول وهو يزحف
على أربع بين قطع الأثاث ويختفى فيهما يظهر من أقس
الأماكن توقعا ، مما قاد ريتشارد إلى الاعتقاد بأن ابنه سوف يصبح
بلا شك سيناتور . خطأ ويليام خطواته الأولى عندما بلغ ثلاثة عشر
شهورا عندما كان يتعلق بذيل معطف أبيه . كانت كللته الأولى هى
كلمة دادا ، والتي كانت تثير إعجاب الجميع بمن فى ذلك جدته
كين وجدته " كابوت " اللتان كانتا تحرصان على زيارته بانتظام .
لم تكن أى منهما فى واقع الأمر تدفع بنفسها عربة الصبي التي كان
يجوب بها أرجاء بوسطن ، وإنما كانتا لا تمانعان فى السير فى
تؤدة خلف العربة التي كانت الممرضة تتولى مهمة دفعها عصر أيام
الخميس بينما يراقبان الأطفال الذين يتبعون نظاما أقل التزاما فى
الاسترد . بينما كان باقى الأطفال يطعمون البطى فى الحدائق العامة ؛
نجح ويليام فى إطعام البجع الجميل فى البحيرة التابعة لتقصر
فينيتيان الرائع التي كان يمتلكها السيد جاك جردنر .

الفصل السادس



كبر ويليام سريعا وكان كل من يعرفه يُكن له كل الإعجاب
والحب ، كان كل من يعرفه فى السنوات المبكرة من عمره هم
الأقارب والخدم الذين يتولون رعايته .

تحول الدور العلوى من منزل عائلة كين المبني على طراز القرن
الثامن عشرة فى ميدان " لويز برج " فى " بيكون هيل " إلى حضانة
أطفال ؛ كان المكان زاحرا بالألعاب . تمت إضافة غرفة نوم وغرفة
جلوس للممرضة الجديدة . كان هذا الطابق العلوى بعيدا كل البعد
عن ريتشارد كين لكى يبقى دائما بمنأى عن مشاكل الطفل مثل
التسنين والحفاضات المبللة و الصراخ غير المنضبط وغير المبرر لمزيد
من الطعام وهكذا . وقد تم تدوين كل ما يخص الطفل الناشئ فى
كتاب الأسرة على يد أمه ؛ أول صوت وأول سنة وأول خطوة وأول
كلمة ؛ كما حرصت أيضا على تدوين طوله ووزنه . ولكن آن شعرت
بالانزعاج قليلا من كون هذه الإحصاءات تختلف قليلا عن باقى

وبعد مضي عامين ، ألمحت الجدتان بكل الوسائل إلى أنه قد آن الأوان للإقدام على إنجاب ولي عهد ثان ، شقيق مناسب له ويليام . وقد انصاعت آن لهذا الطلب ولكنها شعرت بالحزن عندما شعرت بابوهن وأصاحبها الشحوب وهي تدخل شهرها الرابع من الحمل .

كف الدكتور مكنزى عندهما عن الابتسام وتخلّى عن تفاؤله بينما كان يختبر الجنين المتنامي والأم المغمة بالأمل ، وعندما فقدت آن جنينها فى الأسبوع السادس عشر من الحمل ، لم يندهش الطبيب من ذلك ، ولكنه لم يسمح لها بالاستمرار فى أحزانها . حيث أخبرها قائلا : " عزيزتى آن ، إن سبب شعورك بالتعب أثناء الحمل هو ما تعرضت له من ارتفاع شديد فى ضغط الدم والذى كان سيواصل ارتفاعه على الأرجح مع التقدم فى الحمل ، إن الطب لم يعثر إلى الآن - مع الأسف - على إجابة لارتفاع ضغط الدم ، بل إننا لا نعرف عنه سوى أنه من الحالات شديدة الخطورة بالنسبة لأي شخص وخاصة السيدة الحامل " .

كتمت آن دموعها بينما أخذت تفكر فى المعنى الذى يحمله حديث الدكتور مكنزى وعدم قدرتها على إنجاب أبناء فى المستقبل .

" إن هذا لن يتكرر بالطبع فى حملى المقبل ؟ " قالت آن ذلك وهى تصيغ سؤالها لكى تفرض على الطبيب موافقتها بإجابة مرضية .

" سوف يدهشنى كثيرا عدم تكرار الأمر يا عزيزتى . للأسف يجب أن أصارحك بأننى يجب أن أشدد عليك بعدم الإقدام على الحمل مرة أخرى "

" ولكننى لا أكره إن كنت سأصاب بالشحوب لبضعة أشهر إذا كن المقابل هو ... " .

" إننى لا أقصد بذلك الإصابة بالشحوب يا آن وإنما أعنى أنك بذلك تعرضين حياتك للخطر " .

كان وقع الصدمة مروعا على ريتشارد وآن ، اللذين كان كل منهما قد حرم فى طفولته من الأشقاء ، ربما بسبب وفاة أبويهما فى سن مبكرة . كان كلاهما يتطلع إلى إنجاب الكثير من الأبناء بما يتناسب مع حجم البيت الكبير والمسؤولية التى يتحملان عيبتها أمام الجيل التالى . " ما الذى بقى إذن نشبة فى مثل سنّها ؟ " هكذا أخذت تتساءل كل من الجدة " كابوت " والجدة كين . لم يكثر أحد بالتفويه إلى هذا الأمر ثانية وأصبح ويليام هو محط انتباه الجميع .

كان ريتشارد الذى تولى رئاسة بنك " كابوت " و كين بعد ستة أعوام قضاها عضواً فى مجلس إدارة البنك ورأس شركة " تراسنت " بعد وفاة والده عام ١٩٠٤ ، يفرق نفسه دائم فى العمل المصرفى . كان البنك الذى يقف فى شموخ فى شارع " ستيت " رمزا للجمال المعماري والصلابة المالية وكان يملك فروعا فى كل من نيويورك ولندن وسن فرانسيسكو . كان الفرع الأخير قد تسبب فى مشكلة لريتشارد يوم مولد ابنه ويليام عندما تعرض هو وبنك " كروكر القومى " و " ويلز فراجو " وبنك " كاليفورنيا " للانهيار ، ليس الانهيار المالى وإنما الانهيار الفعلى للمباني إثر الزلزال المدمر عام ١٩٠٦ . كان ريتشارد بطبيعته رجلا حريصا حذرا وكان قد أمن تأميناً شاملا على البنك لدى شركة " تامين " ليوود " للإنجليزية التى سددت كل نفقات إعادة بناء البنك من جديد . ومع ذلك فقد كن ذلك العام عاما شاقا بالنسبة لـ " ريتشارد " حيث فرض عليه صوال

العام التنقل بالقطار ذهاباً وإياباً إلى سان فرانسيسكو في رحلة تدوم على مدى أربعة أيام داخل القطار لكي يشرف بنفسه على مهمة إعادة البناء . فتح البنك فرعه الجديد في ميدان يونيون في أكتوبر من عام ١٩٠٧ ، وما كاد ريتشارد ينجز هذه المهمة إلا وتوالت عليه المشاكل من الجانب الشرقي للبحر . كان هناك تراجع بسيط في سيولة بنوك نيويورك مما أعجز بعض المنشآت الصغيرة عن مواصلة العمل فانسحبت من المشروعات التي تمولها البنوك ، مما حدا برئيس بنك " جى بي مورجان " الرئيس الأسطوري للبنك الذي يحمل اسمه إلى طلب الاندماج مع ريتشارد لمواجهة الأزمة . وافق ريتشارد وبالفعل تصدى هذا الدمج للأزمة إلى أن تلاشت المشكلة ولكن بعد بضع ليال قضاه ريتشارد في أرق وترقب .

أما ويليام ، فقد كان في المقبل ؛ ينام بعمق غير مدركة لخطورة الزلازل أو انهيار البنوك . كان يعرف أن هناك دائماً جمعاً في انتصر الإطعام ورحلات لا تنتهى من وإلى " بوسطن " و " بروكلين " و " بيفرى هير " لزيادة أفراد عائلته الدارس من أصحاب المكنة الربحية .

وفي وقت مبكر من ربيع العام التالي عاد ريتشارد لاستثمار المال بحرص وحذر مع رجس يدعى هنرى فورد ؛ زعم بأنه يستطيع أن يخترع سيارة مزودة بموتور للتنقل . دعا البنك السيد فورد لتناول الغداء ، وكان ريتشارد متخوف من فكرة استثماره سيارة موديل " تى " مقابل مبلغ كبير يصل إلى ٨٥٠ دولاراً . ولكن هنرى فورد أكد لـ " ريتشارد " بأن السعر سوف يتراجع بمئتين ألفاً - إلى ٣٥٠ دولاراً في غضون سنوات قليلة وأن كل شخص سوف يملك عندها القدرة على شراء هذه السيارة ، مما سوف يدر للبنك أرباحاً

صله . وقد ساند ريتشارد بالفلس وكانت هذه هي المرة الأولى التي أقدم فيها على مساندة شخص بمبلغ طائل من المال أصلاً في أن ينخفض سعر منتجه لكي يصل إلى أقل من النصف .

كان ريتشارد في البداية متخوفاً من ركوب هذه المركبة - بالرغم من أنها كانت سوداء اللون - وبأنه يمكن ألا يعتبرها الناس وسيلة نقل محترمة لرئيس بنك ، ولكنه استعاد رباطة جأشه وطمأنينته عندما لمح نظرات الإعجاب التي يلتقيها المارة على المركبة أثناء سيرها في المدينة . كانت تلك المركبة تسير بسرعة ١٠ أميال في ساعة محدثة جلبة وضجة تفوق جلبة الحصان ولكنها لم تكن ترك أية مخلفات وراءها في شوارع " ماونت فرنون " . كان اختلافه الوحيد مع السيد فورد هو أن المركبة يجب أن تكون متوافرة في جميع مدنوعة من الألوان غير اللون الأسود . ولكن السيد فورد أصر على أن يقتصر الانتاج على اللون الأسود للمحافظة على انخفاض السعر . أما آن التي كانت أشد حرصاً من زوجها على اكتساب قبول المجتمع الراقى فقد رفضت ركوب المركبة إلى أن تقدم عائلة " كابوت " على اقتناء واحدة .

ويليام - في المقابل - كان يعيش " السيرة " كما أطلقت عليها الصحافة ، وقد افترض على الفور أن هذه المركبة قد جاءت عوضاً عن عربة الأطفال التي أصبحت الآن بالية فضلاً عن أنها كانت غير مزودة بمحرك . كما أنه كان يفضل أيضاً قائد السيارة - بقفازه وقبعته - عن مربيته . أما الجدة " كابوت " والجددة كين فقد أعلنتا رفضهما التام للسفر داخل هذا الاختراع المخيف وبالفعل لم يركبها يوماً بالرغم من أنه تجدر الإشارة إلى أن الجدة كين قد شيعت جنازتها داخل السيارة ذات المحرك ولكن بدون أن يخبرها أحد .

وعلى مدى العامين التاليين ، ازداد البنك ازدهاراً وحجماً وهو ما ينطبق بنفس الدرجة على ويليام . بدأ الأمريكيون ثمانية يستثمرون أموالهم في التوسعات ، فتوالت دفعات كبيرة من المال على بنك كير و " كابوت " حتى يعد استثماره في مشروع لتوسع مثل مشروع توسع مصنع " لويل " للجلود في " مساتشوستس " . أخذ ريتشارد يرقب ازدهار البنك وابنه برضا تام . وفي عيد ميلاد ويليام الخامس ، انتزع الوالد طفله من بين أيدي النساء لكي يتلقى دروسه على يد معلم خاص مقابل ٤٥٠ دولارا سنويا ، كان قد وقع اختيار ريتشارد على السيد مونرو من بين قائمة تحمل أسماء لثمانية معلمين متخصصين تم اختيارهم من قبل سكرتيره الخاص . كانت مهمة السيد مونرو هي تهيئة ويليام للالتحاق بمدرسة " سانت بول " مع بلوغ الثانية عشرة من عمره . وقد تعلق ويليام من فوره بالسيد مونرو الذي وجد أنه معلم كبير السن والذكاء أيضا . كان السيد مونرو في واقع الأمر في الثالثة والعشرين من عمره وكان عند شهادة امتياز من الدرجة الثانية في اللغة الإنجليزية من جامعة إيدنبرج .

سرعان ما نجح ويليام في تعلم القراءة والكتابة بسهولة ولكنه كن مولعا في المقام الأول بالأرقام . كانت شكواه الوحيدة من أنه كان يتلقى ثمانى حصص في كل يوم من أيام الأسبوع من بينها حصّة واحدة فقط للرياضيات . وسرعان ما ذكر لوالده أن تخصيص ثمن اليوم فقط لمادة الرياضيات كان وقتا متواضعا بالنسبة لشخص سيصبح يوما ما رئيسا ومديرا لأحد البنوك .

لتعويض هذا التقصير من جانب معلمه ، عمد ويليام إلى الإفادة من خبرة أقاربه المقربين ومطالبتهم بطرح مسائل رياضية لكي يجربها في عقله . وسرعان ما وجدت الجدة كابوت - التي كانت

تملك قناعة بأن قسمة الرقم على أربعة لا يجب أن تتساوى بالضرورة مع ضربه بالربع والتي كانت بالفعل تحصل على قيمة مختلفة لكلا العمليتين الحسابيتين - نفسها أقل من مستوى التجاوب مع حفيدها ، أما الجدة كين فيقليل من التعلم والذكاء وجدت نفسها قادرة على التعامل مع الأرقام العشرية والفائدة المركبة وقسمة ثمانى قطع من الكعك على تسعة أطفال

قال ويليام بلطف لجدته ولكن بحزم عندما عجزت عن إجابة الحسبة التي طرحها عليها " جدتي ألا يمكنك أن تشتري لى مسطرة رقمية وعندما لن أعاود إزعاجك ثانية ؟ " .

تعجبت الجدة من نضج حفيدها المبكر ولكنها مع ذلك أجابت طلبه وهي متشككة في إمكانية استخدامه لهذه الأداة . كانت هذه هي أول مرة في حياتها تدعن فيها للحل الأسهل للخروج من أية مشكلة

بدأت مشاكل ريتشارد في الجانب الشرقى تتفاقم . كن مدير فرع لندن قد توفي في مكتبه ووجد ريتشارد نفسه مطالبا بالذهاب إلى الفرع في شارع " لبارد " . اقترح على أن تصحبه هي وريتشارد إلى أوروبا ورأى أن الرحلة لن تضير الصبي في تعليمه بل على العكس يمكنه هناك أن يزور كل الأماكن التي حدثه عنها السيد مونرو كثيرا . رحبت آن - التي لم تكن قد زارت أوروبا من قبل - بالفكرة وحزمت كل ملابسها الثمينة الأنيقة الجديدة في ثلاث حقائب سفر كبيرة لكي تواجه هذا العالم القديم . وقد وجد ويليام أنه من غير المنصف أن ترفض أمه طلبه في حمل دراجته التي تمثل أهمية قصوى بالنسبة له .

سافرت أسرة كين إلى نيويورك بالقطار للحاق بالسفينة " أكيثانيا " التي سوف تقلهم في رحلتهم إلى ساوثمبتون . شعرت

آن بالفزع من الباعة المتجولين من المهاجرين الذين كانوا يعرضون سلعهم ولم تشعر بالسعادة والأمان إلا عندما وطئت قدمها سطح السفينة واستقرت داخل غرفتها المخصصة . أما ويليام - فعلى النقيض - فقد انبهر باتساع نيويورك لأنه كان يتصور حتى ذلك الوقت ؛ أن بنك أبيه هو أكبر بناء فى أمريكا بل وفى العالم بأسره . أراد أن يشتري البوظة الصفراء والوردية الملونة من أحد الباعة المتجولين وبكر وأده كى يسحير أن يوافق على ذلك كب أنه على أية حال لم يعتد الاحتفاظ بأية عملات نقدية صغيرة . عشق ويليام السفينة الضخمة منذ أن وقع بصره عليها وسرعان ما اكتسب صداقة القبطان الذى شرح له كل أسرار المهنة . وقد شعر كل من ريتشارد وأن اللذين كانا يجلسان بطبيعة الحال على مائدة القبطان بوجوب الاعتذار للقبطان - بعد قطع مسافة قصيرة من الرحلة - على ذلك الوقت الذى يهدره طاقم البحارة بسبب أسئلة ابنهم ويليام .

أجاب القبطان ذو اللحية البيضاء : " كلا البتة ، هناك بالفعل صداقة قوية تجمع بينى وبين ويليام . ولكننى فقط أتعنى أن استصعب الإجابة عن كل الأسئلة التى ي طرحها علىّ بشأن البوظة والسرعة والمسافة . يجب أن أتدارس هذه المعلومات جيدا مع المهندس الأول للسفينة أملا فى الإجابة عن كل الأسئلة المخرجة التى سوف يطرحها علىّ ويليام فى صباح اليوم التالى " .

أبحرت أكيتانيا إلى أن وصلت إلى سولنت لكى ترسو فى النهاية فى ساوثمبتون بعد عشرة أيام من الإبحار . حزن ويليام لمغادرة السفينة ولم يمنعه من البكاء سوى رؤية تلك السيارة الفارغة من طراز " الرولز رويس " المائلة أمام الميناء والتى كانت ستقله هو وأسرته بقيادة سائقها إلى لندن . قرر ريتشارد فى خضم الموقف أن هذه

السيرة هى التى سوف تقله فى نهاية الرحلة إلى نيويورك ، كان هذا القرار السريع غريبا عن طبيعته الشخصية المتأنية ولم يتخذ قرارا مثله طوال حياته . ثم أخير أن أنه يريد أن يرى هذه السيارة - " هنرى فورد " .

كانت عائلة كين قد اعتادت الإقامة فى فندق " ريتز " فى سيدنى فى لندن ؛ لأن موقع الفندق كان مناسباً لكتبه فى المدينة . كانت آن تستغل هذا الوقت الذى كان يقضيه ريتشارد فى عمله لكى ترى ويليام برج لندن وقصر " بكنجهام " ومراسم تغيير حرس القصر . وقد كان ويليام منبهرا بكل ما رآه باستثناء اللهجة الساحنة التى كان يجد صعوبة فى فهمها .

سألها ويليام : " لم لا يتحدثون مثلنا يا أمى ؟ " فتعجبت من عريضة طرحه للسؤال لأنه عادة ما يطرح الأسئلة بشكل عكسى . كانت أكثر الأشياء التى يفضل ريتشارد إنفاق وقت فراغه فيها هى مراقبة الحرس سربهم اللامع الأحمر وأزرهم الذهبية اسراقة الكبيرة من كانوا يتولون الحراسة خارج قصر بكنجهام . حاول أن يتحدث معهم ولكنهم بقوا مثبتين بصرهم فى الفضاء بدون أن ترمش لهم

سأل ويليام والدته : " هل يمكن أن نحمل أحدهم إلى بلادنا ؟ " .

" كلا يا عزيزى ؛ يجب أن يبقوا هنا لحراسة الملك " .
" ولكنهم يملكون الكثير من الحرس ؛ ألا يمكن أن نأخذ ولو حسى واحدا منهم ؟ " .

وبناء على طلب أن كان ريتشارد يأخذهما لمشاهدة مسرحية انجليزية بعنوان " جاك آند ذا بيتسك " كانت تعرض بالطريقة الإيمانية

أحب ويليام " جاك " كثيرا وشعر على الفور برغبة ملحة فى جز كل شجرة تقع عيناه عليها متصورا أن كل هذه الأشجار لابد أنها تؤوى وحوشا بداخلها . تناول الجميع الشاى بعد مشاهدة العرض فى مطعم فورتنام وماسون فى شارع " بيكاديلى " وسحب آن لـ ويليام يتناول حصتين من البوظة وفطيرة يطلق عليها اسم الدونت . دأب ويليام يوميا بعد ذلك على الذهاب إلى غرفة الشاى فى فورتنام لتناول " الدون بان " كما كان يطلق هو عليها .

مرت العطلة سريعا لـ ويليام وأمه ، ولكن ريتشارد كان راضيا عن مقدار ما حققه من إنجاز فى شارع " لمبارد " وكان راضيا أيضا عن المدير الجديد الذى أوكل إليه مهام البنك ومن ثم أخذ يتنصع إلى يوم العودة إلى بلاده . أخذت البرقيات تتوالى عليه يوميا من زملائه مما أثار قلقه وعجل برغبته فى العودة السريعة إلى هناك . وعندما وصله أخيرا بـ إبريل ٢٥٠٠ عام من عمل بـ لندن فى أحد مصانع النسيج كتب بعد استثماره هناك فى بنكهة فى لندن فى مستنشوستس . كان سعيدا من الموعد المريب لـ بحرن لستيبه فـ حدد بعد ثلاثة أيام فقط

كان ويليام يتوق إلى العودة هو الآخر لكى يقص على السيد موروكس سـ " لاشيب " اثرة اسى محب فى بحرن وكذلك كى يلتقى بجديديه . كانت أكثر التجارب إثارة بالنسبة له هى زيارة المسرح المفتوح ومشاهدة العرض مع العامة . كانت أن هى الأخرى سعيدة بعودتها إلى وطنها ، بالرغم من أنها كانت قد استمتعت برحلتها بنفس قدر ويليام ، لأن ملابسها وجمالها كان قد اجتذب إعجاب حتى الإنجليز الذين يتحفظون عادة فى التعبير عن مشاعرهم . كانت الرحلة الترفيهية الأخيرة لـ ويليام هى ذهابه بصحبة والدته آن إلى حفل الشاى المقام فى ميدان " إيتون " كانت

قد دعت إليه زوجة مدير البنك الجديد لفرع لندن . كانت هى الأخرى لديها ابن يدعى " ستىوارت " وكان فى الثامنة من عمره وكان ويليام ينظر إليه ، بعد الأسبوعين اللذين قضاهما فى اللعب معه ، على أنه صديق كبير فاضح . ولكن بهجة الحفل كانت قد حبت بسبب مرض ستىوارت وقد قرر ويليام - كما ذكر لأمه - أن يمرض هو الآخر تعاطفا مع صديقه . عادت آن وويليام إلى فندق " ريتز " فى وقت مبكر عن المتوقع ، مما منحها المزيد من الوقت لـ تكبر حشرف على إعادة حزم حقائبها الكبيرة . وعندما وضعت ويليام فى فراشه فى المساء ، وبالرغم من أنها كانت واثقة من أن ويليام سيصبر بمرض بـ لصديقه ستىوارت ، إلا أنها وجدت أنه لم يدر على ما يرام وأنه مصاب بسخونة بسيطة . وذكرت ذلك لـ ريتشارد " على العكس ،

حدثنا ريتشارد بـ أن تبدو عليه أية امرة للقلق ربما مرضه سيعال به سبب عودنا إلى بوسطن "

حدثنا " أننى ذك . وكفى لا أريده أن يكون مريضا ، وحر بصد رحلة بحرية سوف تدوم لسته أيام "

حدثنا ريتشارد وكأنه يصدر أمرا غير قابل للمناقشة : " سوف يكون على خير ما يرام غدا ولكن عندما ذهبت آن فى الصباح لكى أوقف ويليام ، وجدت جسده مغطى ببقع حمراء صغيرة وقد وصلت درجة حرارته إلى ١٠٣ درجات . شخص طبيب الفندق المرض على أنه الحصبة وأصر فى أدب جم على أن حالته لا تسمح له بحال بأن يسافر فى رحلة بحرية ، ليس فقط من أجل سلامته الشخصية وإنما أيضا من أجل سلامة الركاب . لم يكن أمامه سوى أن يبقى فى الفراش وبجواره زوجة الماء الساخن إلى أن يشفى تماما . ولكن ريتشارد لم يكن بوسع أن ينتظر طيلة أسبوعين ، فقرر بناء على

ذلك أن يبحر في الموعد المحدد وحده ، واستجابت آن - في تردد - لتلك التغيرات السريعة . أخذ ويليام يتوسل إلى والده أن يصحبه معه حيث بدت له الأربعة عشر يوما التي كان سيلزم فيها الفراش إلى أن تعود السفينة ثانية إلى ساوثمبتون وكأنها دهر ، ولكن ريتشارد أصر على بقائه واستأجر له ممرضة لكي تبقى بصحبته وتقمعه بوجوب ملازمته للفراش نظرا لحالته المرضية الضعيفة .

سافرت آن بصحبة زوجها ريتشارد إلى " ساوثمبتون " في السهارة الرولز رويس .

" سوف أشعر بالوحدة في لندن بدونك يا ريتشارد " اجترأت أن على التصريح بهذه المشاعر بالرغم من أنها كنت تدرك جيد زوجها لم يكن يقر هذه النزعة العاطفية في النساء .

" حسنا يا عزيزتي ، وأنا أيضا سوف أشعر بالوحدة في بوسطن بدونك " قالها وعقله منشغل بأضراب العمال .

عادت آن إلى لندن في القطار ، وهي تتساءل كيف ستشغل وفنها على مدى الأسبوعين التاليين . قضى ويليام يله أصر من سفينته وفي الصباح كانت لتقع قد حفت حداثي قليلا ومع ذلك فقد أصر كل من الطبيب والممرضة على أن يبقى ملازم لمرأته كانت آن تستغل وقت فراغها الطويل في كتابة خطابات مطولة لأفراد عائلتها ، بينما بقي ويليام ملازما لفراشه في حالة تمرد ولكنه في صباح يوم الثلاثاء ، نهض مبكرا وذهب إلى غرفة أمه ، وكأنه قد عاد إلى حالته الطبيعية . صعد بجوارها وأيقظها على الفور عندما شعرت ببرودة . شعرت آن بالارتياح عندما رأت أن ويليام قد استعاد كامل عافيته . فدقت الجرس لتطلب الإفطار في السرير لكي تتناولوه مع ابنه ، كان هذا هو أحد أنواع الرفاهية المفرطة التي لم يكن يسمح بها والده أبدا .

سمعا طرقا على الباب ، ودخل رجل يرتدى زيا ذهيبا به بعض لأحمر حاملا صينية الإفطار الفضية . كان يحمل البيض واللحم لدخن والطماطم والخبز المحمص والمربى وكأنه عيد حقيقي . نظر وسيم إلى الطعام في شره ، لم يكن يذكر آخر مرة تناول فيها مثل هذا الطعام الشهى . ألقت آن نظرة سريعة على الصحيفة اليومية . كان ريتشارد يحرص دائما على قراءة التايمز وهو في لندن ، مما دفع إدارة الفندق إلى إرسال الصحيفة كالعادة .

قال ويليام وهو يحدق في الصورة داخل الصحيفة :
آه ، انظري إنها صورة السفينة التي أبحر عليها أبي . ما معنى كرفة يا أمي ؟

كانت هناك صورة للسفينة تيتانيك بعرض الصفحة . تخلت آن عن كل تقاليد عائلتي كابوت وكين ، وانفجرت في بكاء حار وتعلقت بابنها . بقي جالسين على الفراش على مدى عدة دقائق مسمكين ببعضهما البعض . لم يكن ويليام يدرك السبب ، أدرك أن أمهم قد فقدت هما الاثنين الشخص الأحب إليهم في هذا العالم .

وصل السير " بيرس كامبل " - والد ستيوارت الصغير - إلى الجناح ١٠٧ في فندق ريتز . انتظر في غرفة الاستقبال إلى أن ارتدت الأملة زيتها الأسود الوحيد الذي كانت تملكه . ارتدى ويليام ثيابه وهو مازال غير متأكد من معنى كلمة كارثة . طلبت آن من السيد بيرس أن يشرح لابنها كل ما تعنيه هذه الأنباء بالنسبة له ، فما كان من ويليام إلا أن رد قائلا : " أردت أن أركب السفينة معه ولكنهم لم يسمحوا لي بذلك " . لم يبك لأنه لم يكن يريد أن يصدق أن هناك مكروها قد وقع بالفعل لأبيه . فقد كان متأكدا من أن أباه سوف يكون من بين الناجين .

على مدى عمر السير بيرس السياسى والدبلوماسى ومنصبه الحالى فى ذلك الوقت كرئيس لبنك كابوت وكين فى لندن ، لم يكن قد صادف رباطة جأش فى صبي فى عمر ويليام . إن الحضور لا يُمنح إلا نقطة ، هكذا سمع بعد مرور بضعة سنوات . لقد كن ريتشارد كان يملك هذا الحضور الذى أورثه لابنه الوحيد . فى يوم الخميس من نفس الأسبوع ، ام وييم السادسة من عمره ولكنه به يفتح أى هدية من هداياه .

كانت قوائم الناجين التى تصل بشكل دورى من أمريكا تفحص بمنتهى الدقة وبعد فحصها من قس آر كانت كل ابتوائم تؤكد أن ريتشارد لويل مازال مفقودا فى البحر أى أنه من المفترض أنه قد لقي حتفه غرقا . وبعد مرور أسبوع آخر حتى ويليام نفسه كان قد فقد أمه فى أن يكون والده قد بقى على قيد الحياة .

خافت أن من ركوب السفينة " أكيثانيا " ، ولكن ويليام كان يشعر بحماس مستغرب لأن يركب البحر ثانية . بقى جالسا - ساعة بعد ساعة - على سطح المراقبة مثبتا عينيه على صفحة الماء . .

أخذ يعد أمه مرارا وتكرار : " غدا سوف أعثر عليه " ، فى لبداية كنت نبرة صوته واثقة ثم نوارت هذه الثقة مع مرور الأيام وكأنها تفضع خيبة أمه ويأسه من العثور على أبيه .

" ويليام ، لا يمكن أن يبقى أى شخص على قيد الحياة على مدى ثلاثة أسابيع فى المحيط الأطلنطى "

" ولا حتى والدى ؟ "

" ولا حتى والدك . "

عندما وصلت آن إلى بوسطن ، كانت الجدتان فى انتظارها فى البيت الأحمر ، وقد كانا يشعران بوطأة المسؤولية التى أقيمت على عاتقهما ، لقد عادت المسؤولية إليهما ثانية . وقد قبلت آن فى

استلام دور الوصاية الذى فرضاه عليها . لم يعد قد بقى لها أمل فى الحياة سوى ويليام ، والذى كان مصيره يبدو وكأنه تحت السيطرة التامة . كان ويليام مهذبا ولكنه لم يكن متعاوننا . على مدار اليوم كان يجلس فى صمت لتلقى دروسه مع السيد مونرو وفى المساء كان يبكى فى حجر أمه .

أعلنت الجدتان فى ثقة : " إن ما يحتاجه ويليام هو صحة غيره من الأطفال " . لذا قررا إقالة السيد مونرو والمربية وإرسال ويليام إلى أكاديمية " ساير " أملا فى أن يدفعه الاحتكاك بالعالم الحقيقى والصحة الدائمة لغيره من الأطفال إلى الرجوع إلى سابق عهده .

كان ريتشارد قد ترك النصيب الأكبر من ثروته لويليام على أن سعى اشروود تحت وصيه لعنته . إن سبع احدى عشر واثني عشر من عمره . كما هناك ملحق بالوصية . كان ريتشارد يريد لابنه أن يصبح رئيسا ومديرا لبنك " كابوت " و " كين " عن جدارة . كان هذا هو الجزء الوحيد الذى يثير حماس ويليام فى وصية أبيه لأن باقى الوصية كان حقا اكتسبه بالولادة ليس إلا . حصلت آن على مال يقدر بـ ٥٠٠ ألف دولار ودخل على مدى الحياة يقدر بمئة ألف دولار سنويا بعد خصم الضرائب شريطة ألا تتزوج ثانية . كما أنها حصلت على منزل " بيكون هيل " والبيت الصيفى فى " نورث شور " وبيت " مين " وجزيرة صغيرة فى " كاب كود " والذى كان جميعه سوف يؤول إلى ويليام بوفاة والدته . تلقت كل من الجدتين مبلغ ٢٥٠ ألف دولار وخطابات أكدت لهما حجم المسؤولية التى يجب أن يتحملا عيئها إن توفى ريتشارد قبلهما . كان البنك هو الذى سيتولى إدارة رأس المال بينما جدتا ويليام سوف يتوليان دور

الوصى المساعد . أما العائد من رأس المال فكان يعاد استثماره سنويا في بعض الشركات ذات الثقل .

بقيت الجدتان في حالة حداد على مدى عام كامل وبالرغم من أن آن كانت مازالت في الثامنة والعشرين من عمرها ؛ فقد بدت للمرة الأولى في حياتها في سننها الحقيقي .

كانت الجدتان - بخلاف آن - يخفيان حزنهما عن ريتشارد إلى أن عاتبهما ريتشارد في النهاية قائلا .

" ألا تفقدان أبى ؟ " مثبتا عينيه الزرقاوين على وجه جدته كين مما أعاد إليها ذكرى ابنها .

" أجل ي بى . ولكنه لم يكن يبتنى أبدا أن نستسلم للجنوس والرائاء لحالنا . "

قال ويليم في صوت مهدج . " ولكنى أريد أن سدخره جميع دائما "

ويليم . سوف أحدثك إنك للمرة الأولى وكانت شخص ناضج . سوف نحفظ دائما بذكرى أبيك . سوف نظل دائما نحيط بنا . وسوف تقوم أنت بالدور الذى يجب أن تقوم به وهو أن تظل دائما عند مستوى توقعات أبيك . أنت عميد ورأس العائلة الآن ووريث ثروة طائلة . يجب لذلك أن تعد نفسك من خلال العمر الجاد لكي تكون جديرا بهذه الثروة الهائلة وأن تتحلى بنفس الروح التى تحلى بها أبوك وعمل من خلالها على تنمية ثروته من أجلك "

لم يجب ويليام . لقد حصل على دافعه في الحياة الذى كان يفتقده من قبل وقد عمل على تنفيذ وصية جدته . حيث تعلم كيف يتعايش مع الحزن بدون شكوى ومنذ هذه اللحظة أغرق ويليام نفسه في الاستذكار والتهام دروسه في المدرسة ولم يكن يشعر بالرضا

إلا عندما يشعر برض جدته كين عنه . كان متفوقا في كل المواد أما في مادة الرياضيات على وجه الخصوص فقد كان دائم التفوق فيها بل وكن سابقا لعمره بسنوات . كان مصرا على إنجاز كل ما كان بحوزه والده بل ويتفوق عليه . كبير ويليام وهو شديد الالتصاق بأمه والتشكك في كل شخص لا ينتمى إلى العائلة ؛ لذا كان كثيرا ما يحذر إليه على أنه يؤثر العزلة والوحدة وكثيرا ما كانت تفسر هذه الرغبة - خطأ - على أنه تدل

وقد قررت الجدتان عندما أتم ويليام السابعة من عمره أن الوقت قد حار بتعيينه قيمة المال . لذا قررا منحه مصروفا يقدر بدولار واحد أسبوعيا وكسبا صرا على أن يحتفظ بكشف حساب لكل سب يقوم بإمضائه على مدى الأسبوع . بعد أن اتخذوا القرار ؛ قدما به دفتر أحضر اللونين المصروفات والذى بلغ ثمنه ٩٥ سنتا حصصا من أول مصروف أسبوعى له . ومنذ الأسبوع الثانى كانت الجدران تسمان الدولار في صباح كل سبت . كان ويليام يستثمر ٥٠ سنتا ويبلغ ٢٠ سنتا ويمنح ١٠ سنتات للجمعيات الخيرية التى يقع اختياره عليها ويحفظ بـ ٢٠ سنت كمدخرات ومع نهاية كل أسبوع كنت الجدتان تتفقدان دفتر ويليام وتراجعان تقريره المكتوب عن التعاملات المالية . عندما مرت الشهور الثلاثة الأولى ؛ كان ويليام قد أثبت جدارته في تحمل مسئولية نفسه . كان قد منح دولارا و ٣٠ سنتا لمؤسسة الكشافة التى كانت قد أسست حديثا في أمريكا . واستثمر ٥ دولارات و ٥٥ سنتا كان قد طلب من جدته كين أن تحتفظ له بها في مدخراته في بنك أبيه الروحى الراحل السيد جى بى مورجان . وقد أنفق دولارين و ٦٠ سنتا ؛ واحتفظ

بدولارين و ٦٠ سنتا كمدرجات . وقد حاز دفتره على رضا وقبول الجدتين ؛ لقد كان ويليام - بلا شك - هو ابن ريتشارد كين .

اقتصرت أصدقاء ويليام في المدرسة على عدد قليل من الزملاء ؛ ربما لأنه يرجع ذلك في جزء منه إلى خجله الذي يحول دون اختلاطه بأشخاص خارج نطاق عائلة " كابوت " و " كين " و الأطفال الذين ينتمون إلى عائلات أكثر ثراء من عائلته . وقد عمل هذا على الحد من اختياراته بدرجة كبيرة ؛ فتحول إلى حد ما إلى طفر يميل إلى العزلة والتأمل مما أثار قلق والدته التي كانت تريد له أن يحيا حياة طبيعية والتي لم تكن في صميم قلبها توافق على دفتر الحساب الذي مُنح إياه وبرنامج الاستثمار . كانت آن تفضل لو أن ابنها قد حظى بعدد كبير من الأصدقاء بدلا من المستشارين كييري السن ؛ كانت تفضل لو أنه أخذ يلهو إلى أن يصيب نفسه بالوسخ والجروح بدلا من أن يبقى دون أن يصس ؛ كانت تفضل لو أنه سار ليجمع الضائع من اسفين ويطارد السلاحف بدلا من أن يجمع الأموال وتغارير الشركة . سخرت كتب تفصّل أن يكون طعنا نشر بقي الأصفال ولكنيا لم يملك يوم الشجاعة الكافية لكي تفصح عن رغباتها للجدتين ؛ لقد كان شغلهم الشاغل على أية حال هو ذلك الفتى الصغير .

وفي عيد ميلاد ويليام التاسع ؛ قدم دفتر الحساب لجدتيه للفحص السنوي الثاني . وقد كشف الدفتر عن قيمة مدخرات ويليام على مدى عامين والتي كانت قد وصلت إلى خمسين دولارا . وقد شعر ويليام بمنتهى الفخر وهو يشير لجدتيه إلى أحد أبواب الدفتر الذي أطلق عليها اسم " ب ٦ " والذي يثبت أنه قد سحب أمواله التي كان قد أودعها في بنك جي بي مورجر فور سماعه نب وفاة الرجل لأنه كان قد لاحظ أن قيمة الأسهم في بنك أبيه كانت قد

انخفضت فور إعلان نها وفاته . كان ويليام قد أعاد استثمار نفس قيمة المبلغ بعد ثلاثة أشهر لاحقة قيل أن يدرك العامة أن المنشأة كانت أكبر حجما من أي شخص .

وقد ترك ذلك انطباعا رائعا لدى الجدتين فسمحا لويليام باستبدال دراجته القديمة بدراجة جديدة ؛ وقد بقي معه بعد هذه الصفقة ١٠٠ دولار استثمرتها له جدته كين في شركة " ستاندرد " للبترول في نيو جيرسي . قال ويليام في وعى عن البترول ؛ إن ثمنه سوف يزداد ارتفاعا . كان ويليام يحرص بمنتهى الدقة على تحديث بيانات دفتر الحساب الخاص به حتى عيد ميلاده الحادي والعشرين . ولو أن جدتيه كانتا قد بقيتا على قيد الحياة حتى ذلك الحين لشعرتا بالفخر لرؤية الباب الجديد الذي أطلق عليه اسم " أصول "

بما أن وودك هو الشخص الوحيد الذى كان يجرؤ على البقاء فى زنزانة البارون ؛ فإن الخدم لم يستطيعوا يوما مساء لته . وهكذا أصبح وودك وهو فى التاسعة من عمره مسئولاً عن السجناء . لم يجد سكان القبو - بعد أن تحول سكونهم إلى ذهل بانس إثر الاعتقال - أية غرابة فى أن يتولى طفل فى التاسعة إدارة شئون حياتهم . وبذلك أصبح وودك القائد المسئول . قسم من تبقى من الخدم والذين وصل عددهم إلى أربعة وعشرين شخصا إلى ثلاثة مجموعات ؛ كل مجموعة مؤلفة من ثمانية أشخاص مع حرصه على إبقاء الأسر مع بعضها البعض . كان ينقلهم بشكل منتظم بناء على نظام بلورديات ؛ بحيث يبقون على مدى الساعات الثماني الأولى فى الزنزانة العلوية حيث الضوء والهواء والطعام وممارسة الرياضة ثم الوردية الثانية والأكثر شعبية المؤلفة من ثماني ساعات للعمل فى القصر المستعمر والثماني ساعات الأخيرة فى النوم فى الزنزانة السفلية من القبو . لم يكن أحد يعرف على وجه التحديد - باستثناء البارون وفلورنتينا - متى كان ينام وودك ؛ فقد كن متواجدا بشكل دائم مع نهاية كل دورية للإشراف على الخدم أثناء انتقالهم من وردية إلى أخرى . وكان الطعام يقسم كل اثنتى عشرة ساعة . كان الحرس يعطونه لبن الماعز والخبز الأسمر والدخن والقليل من المكسرات من آن إلى آخر وكان وودك يتولى مهمة تقسيم الطعام على ثماني وعشرين حصاة ؛ وكان يحرص دائما على منح البارون حصتين من الطعام ولكن بدون أن يحبره

وبمجرد أن يفرغ وودك من تنظيم كل دورية كان يعود ثانية إلى البارون فى زنزائته الصغيرة . كان فى البداية ينتظر الحصول على بعض الإرشاد من قبله ولكن نظراته المثبتة كنت تنم عن حقد وقهر يكاد لا يختلف كثيرا عن تلك النظرة التى كان يراها فى عيون

الفصل السابع



وودك كان اشخص لوحيد لذي يعرف لغو جيد من بير كن هؤلاء الذين بقوا على قيد الحياة . فقد كان - أيام لعبة الاختب - مع ليون - يقضى ساعات طويلة فى حرية وسط غرف القبو الصمعة - كان يشعر بالارتياح وقلته لأنه كان يدرك أن بإمكانه العودة إلى القصر وقتما شاء .

كان هناك أربعة زنزانات فى القبو ؛ مقسمة على طابقتن . كانت هناك غرفتن ؛ غرفة صغيرة وأخرى كبيرة فى الطابق الأول . كانت الغرفة الصغيرة متاخمة لجدران القصر مما كان يسمح بمرور خيط رفيع من الضوء عبر نافذة مزودة بقضبان مثبتة فى مكان مرتفع بين الأحجار . أما الطابق السفلى ؛ بعد نزول خمس درجات من الدرج ؛ فقد كان هناك غرفتان أخريان من الحجر غارقتان فى ظلام دامس وبهما القليل من الهواء . قاد وودك البارون إلى الزنزانة العلوية حيث بقى جالسا بدون حراك فى صمت محققا إلى الفضاء ؛ ثم عين بعد ذلك فلورنتينا خادما شخصيا له .

الحراس الألمان المتوافدين للإشراف على الزنزانة . لم يكن البارون قد نطق بكلمة واحدة منذ اللحظة التي وقع فيها انقصر تحت قبضة الأسر والاحتلال . نما شعر ذقنه إلى أن صار طويلا ووصل إلى صدره وبدأت بنيتة القوية المستقيمة تتهاوى مع الوقت . وحلت نظرة استياء محل النظرة الشامخة الفخورة التي كانت تميزه . أصبح وودك نادرا ما يسترجع ذلك الصوت المحبب العميق لسيدة بل وهيا نفسه لعدم سماعه ثانية . وبعد فترة ؛ انصاع وودك لصمت البارون وبقي صامتا في حضرته .

عندما كان وودك يحيا في أمان القصر لم يكن يشغل باله كثيرا بما حدث في أيوم السابق لكثرة الأمور التي كان يعجز بها يومه من ساعة إلى ساعة . ولكنه أصبح الآن عاجزا عن تذكر حتى مساعدته السابقة لأن شيئا لم يكن يتغير . تحولت الدقائق البانسة إلى ساعات والساعات إلى أيام وأيام إلى شهور أو أن فقد وودك قدرته على إحصائها كمن وصوف السعداء أو حول لصلوات ويرجع السوء إلى إشارات الوحيدة لمرور السنين عشده ساعة أخرى . ينفذ كمنب حدة الضوء وخفوفته وهبوب العواصف وتساقط الثلوج وتكتلها على جدران الزنزانة وذوبانها عند بزوغ الشمس ثانية علامات تميز كل فصل على نحو لم يكن وودك ليتعلمه بمثل هذه الدقة إلا من خلال حصص الطبيعة أثناء أسبائ طويلا . أصبح وودك أكثر إيمانا لرائحة الموت التي تخللت كل شيء حتى أكثر الأركان بعدا في الزنزانات الأربع ؛ تلك الرائحة التي كان لا يخفف من وطأتها إلا أشعة الشمس التي كانت تتخلل المكان من آن إلى آخر أو تلك النسمة الرقيقة أو الوسيلة الأفضل على الإطلاق وهي هطول الأمطار . وفي نهاية أحد الأيام العاصفة ؛ استغل وودك وفلورنتينا هطول امطر واغتسلا في إحدى البرك المائية الصغيرة التي تشكلت فوق

الأرضية الحجرية للزنزانة العلوية . لم يلحظ أي منهما أن عيني البارون قد ازدادا اتساعا عندما خلع وودك سترته وأخذ يتدحرج في الماء الذي كان نظيفا نسبيا حيث واصل حك نفسه إلى أن ظهرت علامات ببضاء على جسمه . وفجأة نطق البارون :

" وودك - كانت الكلمة مسموعة بالكاد - إنني لا أراك جيدا " ثم أضاف الرجل ؛ في صوت متهدج : " اقترب هنا " .

ذهل وودك عند سماع صوت سيده بعد طول صمت حتى أنه لم يسمع له . لقد كان شبه واثق من أنه قد سقط فريسة الجنون الذي

عنه .

بعد هذا -

أصبح وودك أكثر وعيا في خوف ووقف أمامه . قلص الرجل عينيه في حركة ثم عن التركيز الشديد وهو يتقدم متعثر صوب حصي . **مجلس صديقه** وودك وأخذ يتأمل في ارتياب .

وودك من عكث أن تشرح لي سر هذا التشوه البسيط ؟

قال وودك وهو يشعر بالحرج : " كلا يا سيدي ؛ لقد ولدت بهذا الشكل . وقد دأبت أُمِّي بالتبني على تفسيره بأنه علامة إلهية خفية بها الله " .

قال البارون في رقة : " امرأة عيبة . نهب علامة أبيك " ثم سقط في صمته لبضع دقائق . بقي وودك واقفا أمامه بدون أن يحرك ساكنا . ثم تحدث البارون أخيرا ثانية ؛ وجاء صوته هذه المرة

سحب

" اجلس يا بني "

أطاع وودك الأمر في الحال . وبينما جلس ؛ لاحظ وودك ثانية الأسورة فضة الثقيلة التي كانت في ذلك الوقت تدور حول معصم البارون . ثم سقط وميض من الضوء نفذ عبر أحد شقوق الجدار على

الحروف المحفورة في الأسورة القضية مما أضفى ضياءً على ظلام الرزناة

"إننى لا أعرف إلى متى سوف يبقينا الألمان سجناء هنا . لقد ظننت في البداية أن هذه الحرب سوف تنتهى في غضون أسابيع . ولكننى كنت مخطئاً ، ويجب أن نفكر الآن فى أننا يمكن أن نبقى هنا لفترة طويلة من الوقت . ولهذا فإننا يجب أن نشغل أوقاتنا بشئ ، بناءً لأننى أدرك الآن أن حياتى قد أوشكت على النهاية " .

أجاب وودك متذمراً : " كلا ، كلا " ولكن البارون واصل حديثه وكأنه لم يسمع شيئاً :

" ولكن حياتك أنت يا بنى سوف تبدأ ولذلك فإننى سأواصل مهمة تعليمت بنفسى "

لم يتحدث البارون ثانية في هذا اليوم . بدا وكأنه يفكر فى معنى كل حرف يتفوه به ، وهكذا اكتسب وودك معلماً جديداً ولكن لم يكن لديهما أية كتب أو أوراق للكتابة ، لذا حرص وودك على تكرار كل ما يقوله البارون . حفظ وودك مقطوعات شعرية طويلة عظيمة لأدم ميكيفيتش وجورج كوشوفسكى وفى حد الكتيب الكتيب القسوى تعلم وودك الجغرافيا وأربع لغات وهى الروسية والاسبانية والفرنسية والإنجليزية . ولكن أسعد لحظته كانت - كما كان دائماً - عند تعلم التاريخ ، تاريخ وطنه على مدى مائة عام من التقسيم والاحتلال ، الأمال المحبطة المتوالية لتوحيد بولندا ، الحزن العميق الذى سيطر على كل البولنديين عندما منى نابليون بهزيمة منكرة على يد الروس فى عام ١٨١٢ . عرف وودك قصص البطولة فى العهد السابق الأكثر سعادة ، عندما استطاع الملك جان كزيمير تحرير بولندا بعدما دحض الجيش السويدى فى معركة " زستوشووا " ، وكيف أن الأمير العظيم

" رادزويل " ، أحد كبار ملاك الأرضى ومحبب الصيد شكل محكمته فى القصر العظيم بالقرب من وارسو لمحاكمة الخونة . كانت الحصاة الأخيرة التى يلقاها وودك فى نهاية يومه عن تاريخ عائلة روزنوفسكى . لم يكن البارون يكف عن رواية قصة جده الأكبر الذى خدم تحت قيادة الجنرال دبروسكى عام ١٧٩٤ ثم تحت قيادة نابليون شخصياً عام ١٨٠٩ وكيف أنه حصل فى انفس على رصه ولقب البرونزية كمكافأة من الإمبراطور المضيف تقديراً لجهوده . وقد تعلم وودك أيضاً أن جد البارون كان من بين أعضاء مجلس وارسو وأن والده قد لعب هو الآخر دوراً مهماً فى بناء بولندا الجديدة . كان وودك يشعر بسعادة غامرة عندما يحيل البارون زبائنه الصغيرة إلى فصل تعليمي .

كان الحراس المشرفون على القيو يستبدلون كل أربع ساعات وكانت الحوارات المتبادلة بينهم وبين السجناء مقتضبة . ولكن وودك من خلال بعض الكلمات واعتبرت استطاع أن يعرف تصور مجرمات الحرب وأفعال كل من " هيدنبرج " و " لودندورف " وقيام الثورة فى روسيا وانسحابها من الحرب بموجب اتفاقية " برستليتوف " .

بدأ وودك يؤمن بأن مهرب المساكين الوحيد من الزنازة هو الموت . كانت أبواب قفحة الجحيم الننتة قد فتحت تسع مرات على مدى العامين التاليين حتى بدأ وودك يتساءل بما يمكن أن تعود به عليه كل هذه المعرفة التى سلح نفسه بها إن لم يخرج من غيبوب هذا السجن .

واصل البارون تعليم وودك بالرغم من التدهور التدريجى الذى أخذ يصيب سمعه وبصره مما فرض على وودك بمرور الوقت أن يزداد فى مجلسه اقتراباً أكثر فأكثر من البارون .

أما فلورنتينا - أختها وأمه وصديقتها المقربة - فقد انخرطت في صراع أكثر مادية لإزالة النتن الذي كان يملأ المكان . كان الحراس يمدونها من وقت إلى آخر بدلو من الرمل النقي أو القش لتغطية الأرض السبخة لتصبح الزنزانة أقل قبحا على مدى الأيام التالية لذلك . كانت الهوام تحوم في الظلمة بحثا عن بقايا خبز أو بطاطس وتنقل معها الأوبئة والمزيد من القذارة . كانت الرائحة النتنة الكريهة المنبعثة من الجثث المتحللة وبول وبراز الحيوانات ينفذ عبر الأنوف ويصيب وودك دائما بحالة من الغثيان والدوار . لقد كان أكثر ما يتقطع إليه فبر كل شيء هو أن يستمد بضعة ساعات من يقضى الساعات جالسا متأملا سقف الزنزانة متذكرا مشهد البخار المنبعث من المواشير والماء الساخن والصابون ذا الرغوة الغزيرة في دورة المياه القريبة منه مكانيا ولكن البعيدة عنه زمانيا والتي كان يغتسل بها بعد يوم زاحر بالمرح والسهو مع ليون وبعد أن يكون الطين قد غطى ركبتيه وأصاب الوسخ أصابعه .

ومع حلول ربيع عام ١٩١٨ ، لم يكن قد بقى مع وودك على قيد الحياة سوى خمسة عشر سجينا من الستة والعشرين سجينا الذين كانوا قد سجنوا معه . كان البارون يعامل من قبل الجميع على أنه السيد بينما أصبح وودك راعيه الرسمي المعتقد به . شعر وودك بمزيد من الحزن حيال عزيمته فلورنتينا التي كانت في ذلك الوقت قد بلغت العشرين من عمرها . كانت قد يشبت من الحياة منذ فترة طويلة وكانت قد أقنعت نفسها بأنها سوف تبقى ما بقى لها من عمر في الزنزانة . أما وودك فإنه لم يستسلم يوما لليأس وكان يحدوه دائما الأمل ولكن بالرغم من أنه كان مازال في الثانية عشرة من عمره ، فقد بدأ يسأل نفسه ما إن كان مازال يملك الجرأة على التطلع إلى المستقبل

وفي مساء أحد الأيام ، في وقت مبكر من الشتاء ، اقتربت فلورنتينا من وودك في الزنزانة العلوية الكبيرة :
" البارون يستدعك لرؤيته "

نهض وودك سريعا وترك مهمة تقسيم الطعام لأحد كبار الخدم وذهب إلى الرجل العجوز . كان البارون يعاني آلاما مبرحة وقد رأى وودك بوضوح - كما لو كان ذلك للمرة الأولى - كيف أن المرض قد اتهم كل بشرة البارون ولم يخلف وراءه سوى قشرة خضراء نحيلة تغطي عظام وجهه . طلب البارون بعض الماء ، فجاءت له فلورنتينا ببعض الماء في الجرة نصف الممتلئة التي كانت تتدلى خارج الأسوار الحجرية . عندما فرغ العجوز من الشرب ، تحدث ببطء وبصعوبة بالغة :

" لقد شهدت الكثير من الوفيات يا وودك ، أى أن هذه الوفاة لن تمثل فارقا بالنسبة لك . أعترف بأننى لم أعد خائفا من الهروب من هذا العالم

بكى وودك ، وهو يتعلق بالرجل لأول مرة في حياته : " كلا ، كلا ، لا تقل هذا ! نحن على وشك الانتصار عليهم ، لا تستسلم يا سيدى البارون . لقد أكد لي الحراس أن الحرب على وشك الانتهاء وأنه سوف يطلق سراحنا قريبا

" لقد وعدونا بهذا منذ شهور ، يا وودك ، لم يعد بوسعنا أن نثق بهم ، وعلى أية حال فإنه لم يعد بهى رغبة لمواصلة العيش في ظل هذا العالم الجديد الذى خلقوه لنا " . توقف وهو ينصت إلى بكاء الصبي . تركز فكر البارون وقتها على أنه يمكن جمع الدموع لكي تكون مياه شرب ثم تذكر أن الدموع ملحية ثم ضحك فى نفسه !

" استدعى الساقى وكبير الخدم يا وودك " .

أطاع وودك الأمر في الحال وهو لا يدري سبب الاستدعاء .
أيقظ وودك الخادمين اللذين كانا يقفان في سبات عميق فهربا
وجاءا ليمثلا أمام البارون . بعد ثلاث سنوات في السجن كان النوم
هو أسهل امتياز يمكن الحصول عليه . كان كل منهما مازال يرتدى
زيه الرسمي للخدمة ولكن بعد أن خيا اللونان الأخضر والذهبي
المميز للزى والذي كان في أحد الأيام فخر عائلة روزنوفسكى . وقف
كلاهما في صمت أمام سيدهم في انتظار ما سوف يقول

سأل البارون " هل وصلا يا وودك ؟ "

" أجل يا سيدى . ألا تراه ؟ " أدرك وودك لأول مرة في
حياته أن البارون قد فقد بصره تماما

" اطلب منهما أن يقرب منى حتى أستطيع أن أسمعهم " .
أحضر وودك الخادمين بالقرب من البارون لكي يتحدثوا
وجهينهم

قال البارون آمرا " اجلسا هه سمعنى جيد يا وودك
والفونس ؟ "

" أجل يا سيدى "

" إن اسمى هو البارون روزنوفسكى

أحب البسفى فى نروا " . تعلم يا سيدى

قال البارون " لا تقاطعنى أنا على وشك الوفاة "

كان الموت قد أصبح باليسة لهم من الأشياء المؤوبة لذا لم يبد
أى منهم اعتراضه على ما يقول البارون .

" ليس يوسعنى أن أعد وصية جديدة لأننى لا أملك ورق أو ريشة
ومحبرة . ولذلك فربى سوف أترك لكم وصيتى شعيب وسوف
تكون شهودا عليا طبقا للقانون ليولدى اغدي هه تعهد هه
أقول ؟ "

أجاب الاثنان فى صوت واحد : " أجل يا سيدى "
" ابنتى الأولى ليون ، قد توفى " ثم سكنت البارون ثم قال :
" ولدك فسوف أترك ممتلكاتى كاملة ومزرعتى لهذا الفتى الذى
يدعى وودك كوسكينيتش

وهنا أدرك وودك أنه لم يكن قد سمع اسم عائلته منذ عدة
سنوات حتى أنه لم يستوعب فى الحال ما كان يقصده البارون
بصمته

وأصل البارون حديثه " ودليل قرارى هذا هو أننى سوف أمنح
أسرة ابنة وودك "

جمع لمحور ذراعه اليمنى بسطه ونزع الاسورة الفضية من معصمه
وامسك بها ومضى الى وودك " بدون أن ينطق بكلمة ثم عانق
وودك بقوة وهو أصابعه يمسك بياض صدره ويتأكد من أنه لشخص
مفوض . قال البارون وهو يضع الاسورة الفضية حول معصمه
باسمى

حيث وودك باليك ، وترتمى فى أحضان البارون طواب اسبس إلى
أن بوتلت رفات قلب العجوز وشعر بأصبعه وقد نراخت حوله
وفي الصباح نهر حضان الدرون بواسطة ابحرس وسمح للوودك أن
يذهب بحسب ربه ليون فى حديقة لقصر انتابعة لعائلة أمام
قصر وينيم كن احمد ينكم فى ابقر غير العميق اذى حفرة
وودك بيده . انفتحت سرة البارون . وأخذ وودك يحدق إلى صدر
الرجل الميت .

ثم تكن لديه سوى حصة واحدة

وهكذا ورث وودك كوسكينيتش ثروة تقدر بـ ٦٠ ألف فدان من
أراضي وقصر ومنزلين واثنين وسبعين كوخ ومجموعة قيمة من
سوحات والأثاث والمجوهرات سمما كن بعيش فى غروفه حجرة

مظلمة صغيرة تحت الأرض . منذ ذلك اليوم ؛ اعتبره باقى المسجونين سيدهم عن جدارة ؛ وكانت كل مملكته مؤلفة من أربع زنانات وكانت حاشيته مؤلفة من ثلاثة عشر خادما فى حالة يرثى لها فضلا عن حبه الوحيد فلورنتين

عاد وودك نظمه ايامى المجهود حتى قرب نفيه شدة عام ١٩١٨ وفى أحد الايام اجبه فينة اسروية . سنع للسجناء واصل من الطلقات النارية وصوت معركة قصيرة . كان وودك واثقا من أن الجيش البولندى قد جاء لينقذه وأنه سوف يكون قادرا الآن على المطالبة بميراثه الشرعى . عندما ترك الحراس الألمان باب السجن الحديدى ؛ بقى السجناء فى حالة من الصمت مذعورين فى الدور السفلى من القبو بينما وقف وودك وحيدا عند المدخل يعميت بأسورته الفضية فى معصم يده وهو يشعر بالانتصار فى انتظار محرريه . وأخيرا وصل الجنود الذين هزموا الألمان وتحذثوا باللغة السلافية التى كان وودك يعرفها جيدا من أيام المدرسة كما أنه تعلم كراهية ناطقين بها أكثر من كرهه لألمانيين اقتيد وودك فى وحشه هو وباقى السجناء فى الممر . انتظر السجناء ؛ ثم تم تفحصهم بمنتهى الدقة وزج بهم ثبته دحر الزبرنة . لم بكر العزاة لجدد يدركون أن هذا الصبي ذا الاثنى عشر عاما كان وريث كل تلك الممتلكات التى تحيط بهم . لم يكن أى منهم يتحدث لفته . كانت الأوامر الصادرة إليهم واضحة وضوح الشمس وهى قتل العدو إن أبدى أية مقاومة لاتفاقية بريست ليتوفسك والتى أحالت هذا الجزء من بولندا إلى مستعمرة تابعة لهم ؛ وإرسال كل من لا يبدى مقاومة إلى المعسكر ٢٠١ لباقى حياته . غادر الألمان المكان بعد مقاومة لا تذكر لكى يتراجعوا خلف حدودهم الجديدة بينما بقى وودك

وملاؤه متطلعين إلى حياة جديدة ؛ غير مدركين لما سوف يؤول إليه بصيرهم المشنوم .

يعد قضاء ليلتين آخرين فى الزنزانة ؛ بدأ وودك يوطن نفسه على أنه بعدد فترة اعتقابه أخرى طويلة بمعونة لم يكن أى من حراس تجديد يتحدث إليهم . وكان هذا يذكره بما كان يحدث على مدى السنوات الثلاث السابقة . بدأ وودك يشعر أن جحيمه لأن كان جنة بالنسبة لما جرى .

وفى صباح اليوم الثالث ؛ ولدشة وودك ؛ اقتيد كل من فى سحر إلى الحديقة الخارجية أمام القصر ؛ كانوا خمسة عشر جمدا بحسب قفزا . انهار اثنان من الخدم تحت وطأة أشعة الشمس غير بالوفة بالنسبة لهم . حتى وودك نفسه شعر بوطأة هذا الضوء المكثف لأشعة الشمس ودأب على تغطية عينيه . وقف السجناء فى سميت فوق العشب فى انتظار أوامر الجنود . طلب منهم الحراس أن يقفوا جميعا فى صف واحد ويسيروا باتجاه النهر ليقتلوا هناك . فوضع وودك الأسورة المصبة بين صيت ملاسه . ثم قمر فى الماء محاولا أن يضبط أنفاسه مع برودة الماء بالرغم من أن تأثير الماء كان رائعا على بشرته . أما باقى السجناء فقد انضموا إليه وحاولوا بلا جدوى إزالة وسخ ثلاث سنوات كاملة .

عندما خرج وودك من النهر مجهدا ؛ لاحظ أن الحراس ينظرون فى فلورنتين بطريقة عريضة وهى تغتسل فى الممر كانوا ينضاحون ويشيرون إليها . أما المرأة الأخرى التى كانت معهم فإنها لم تشر نفس درجة الاهتمام . ثم قبض أحد الجنود وكان رجلا ضخما الجشة قبيح الوجه على نراعها عندما مرت بجواره فى طريق عودها إلى الضفة بعد الاستحمام وألقى بها على الأرض ؛ لم تكن عيناه قد فارقتها منذ أن وقع نظره عليها . ثم بدأ يخلع ملابسه بسرعة فى

نهم ويطويها بإتقان ويضعها على العشب . أخذ وودك يحدق في عدم تصديق إلى الرجل الذي بدأ يحاول اغتصاب فلورنتينا ثم انقض عليه ولكمه في بطنه بكل ما أوتي من قوة . تراجع الرجل إلى الوراء ثم أمسك الآخر بـ وودك وشل حركته بعد أن عقص يديه بقوة وراء ظهره . أثارت هذه الضجة انتباه باقي الحرس فهرعوا للمشاهدة . كان الرجل الذي قبض على وودك يضحك عندها ضحكة عالية بلا شفقة . ثم توالى التعليقات والكلمات من قبل باقي الجنود والتي لم تزد إلا من شعور وودك بالضيق والحزن .

قال الأول : " أدخل حامى الحمى العظيم " .

قال الثاني : " تعالى لكي تدافع عن شرف الأمة " .

قال الجندي الذي كان يمسك به " دعوا على الأقل نفسك له مساحة ضيقة للنظر " .

توالى الضحكات بين كل تعيق وآخر وعجز وودك عن فهم غضب أحد يراقب الجندي العري وهو يتقدم بجسده لصحم الصلب بببط من فلورنتينا التي شرعت في الصراخ وأخذ وودك يناصر لكي يفلت من قبضة الجندي ويحرر نفسه من بين يديه . ولكنه كان عديم الحيلة بين ذراعي الحارس سقط الرجل العري بكر ثقته على فلورينيد وأحد يقبله ويضعها على وجهه كلف حوسب أن تقاوم أو تدبر وجهه عنه . وأخيرا اعتصم عندها سمع وودك صرخة لم يكن قد سمع مثله من قبل . واصل الحرس حديثهم وصحكهم الذي اقتصر عليهم حتى بين من لم يكن ينظر إلى المشهد

قال الجندي الأول وهو يمين من فوقه " السعة . إنها عذراء . "

ضحك الجميع .

قال الحارس الثاني : " لقد سهلت مهمتي " .

تعالى الضحكات . وعندما نظرت فلورنتينا في عيني وودك . بدأ يتقيأ ولكن الجندي الذي كان يقبض عليه لم يكرث . كان كـ ما يعنيه هو ألا يسقط أي من التقيؤ على ملابسه العسكرية أو حذائه . أسرع الجندي الأول لكي يغتسل في النهر . استغرق الحارس الثاني فترة أطول في اغتصاب فلورنتينا ويبدو أنه كان يجد متعة أكبر وسعادة كبيرة أيضا في صفها . وصاحت فلورنتينا ولكن بصوت أقل حدة عن ذي قبل .

" هيا يا فلدي ! لقد استكثرت " .

عندها توقف الرجل فجأة وانضم إلى زمرة أصحابه . أجبر وودك نفسه على النظر إلى فلورنتينا . كانت مصابة بجروح وكانت ادعاء تنزف بين ساقيها . ثم تحدث الجندي الذي كان يمسك به .

تعال هنا وأمسك بهذا الملعون يا بوريس . لقد حان دوري .

خرج الجندي الأول من النهر وأمسك بـ وودك بقوة وثنية حاول وودك أن يفلت نفسه من قبضته مما أثر ضحك الحود ثانية

" بحر لأن نعرف مبيع قوة الجيش البولندي " .

تواصلت الضحكات الصاخبة غير المحتملة بينما كان هــ

جسدي ثالث يخضع لملابسه لكي يأخذ دوره مع فلورنتينا التي كانت عندها مستغنية في حالة بلادة فوق العشب عندما انتهى منها

ونزل إلى النهر . صعد الجندي الثاني وبدأ يرتدي ملابسه

أعتقد أنها قد بدأت تستمتع " . قاله وهو يجلس تحت

شمس وهو ينظر إلى زميله . بدأ الجندي الرابع يقترب من

فلورينيد . حيث بلغ عدد لجنود الذين اغتصبوا اخته ستة عشر

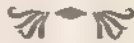
جسديا كما أحصاهم وودك . عندهما فرغ الجندي الأخير من

مضاجعتها أقسم قائلا : " أعتقد أنني قد عاشرت امرأة ميتة . " وتركها بلامبالاة فوق العشب .

أخذ الجميع يضحكون بصوت أكثر ارتفاعا ؛ بينما كان الجندي الأخير يسير متمسكا صوب النهر . وأخيرا أطلق الجندي سلاح وودك . جرى وودك بجوار فلورنتينا بينما كان باقي الجلوس مستلقين على العشب يتناولون الشراب الذي كانوا قد أخذوه من قير البارون ويأكلون الخبز الذي جاءوا به من المطبخ .

بمساعدة اثنين من الخدم ؛ حمل وودك فلورنتينا على حافة انهر وهنأ أخذ يبكي وهو ينظف لدهاء واجروح التي ضحبه . لم يكن هناك بصيص من الأمل ؛ فقد كانت آثار الكدمات السوداء والحمراء تغطي كل جسدها وكانت عاجزة عن الكلام . بعد أن يذو وودك أقصى جهده ؛ غطى جسدها بسترته وحملها بين ذراعيه . وبقيت مستلقية بين ذراعيه ولكنه كان يعرف أنها لم تكن واعية ؛ وبينما كانت دموعه تتساقط على جسدها الملى ، يآثر الكدمات شعر أنها قد تهبست . أخذ ينتحب بينما كان يحمل جسدها الميت أعلى الضفة . صمت الحرس وهم يراقبونوه وهو يحمل جسدها نحو المقابر . وضعها على العشب بجوار قبر البارون وبدأ يحفر بيديه قبرها . عندما عكس ضوء الشمس ظلال القصر الطويل على العشب ؛ كان وودك قد انتهى من الحفر . دفن فلورنتينا بجوار ليون ؛ ثم انهار وودك فوق الأرض بين فلورنتين وسون وسقط على الحال في سبات عميق غير آبه إن كان سيستيقظ نوبة ام لا

الفصل الثامن



عاد وليام إلى أكاديمية ساير في شهر سبتمبر وهو أكثر استقرارا وسعة في الاختلاط . بدأ على الفور يبحث في المناقشة مع من هم أكثر منه سنا . كان وليام لا يرضى بأقل من التفوق والامتياز في كل ما ينجزه من أعمال وقد أثبت بالفعل تفوقه على كل زملائه ممن في مثل سنه الذين كانوا أقل من مستوى المناقشة بالنسبة له . بدأ وليام يدرك أن كل هؤلاء الزملاء ممن كانوا ينتمون إلى بيئات لا تقل ثراء ومكانة عن ثرائه ومكانته كانوا يفتقدون عاملا بالغ الأهمية ألا وهو رافع وحجر مدفنة حيث كنت أعنى مناقشة صديقه من هؤلاء الزملاء ضعيفة سبب النسبة له

وفي عام ١٩١٥ ساد هوس جمع ملصقات علب الثقاب أكاديمية ساير . أخذ وليام يراقب هذا الهوس المحموم على مدى أسبوعين . خدم بالغ ولكن بدون أية مشاركة من جانبه . وفي غضون أيام قليلة بدأت حركة استبدال الملصقات وتداولها بين الطلاب حيث

وصى سعر الملقق العادى إلى عشرين سنتا بينما وصل سعر الملقق النادر إلى خمسين سنتا . بدأ ويليام يدرس الوضع جيدا وقرر أن يصبح تاجرا وليس جامعا للطوايع

وفي اسبوت السالى . ذهب ويليام إلى بيعت وبيرس . أحد أكبر تجار تنغ فى بوسطن وقضى فترة الظهيرة فى تدوين أسماء وعدود أكبر مصنعي علب أعواد الثقاب فى العام . مع التركيز بوجه خاصة على الدولاب التى لم تكن فى حالة حرب . استمر ويديم خمس دولارات شراء أوراق وأطراف وطوبيع وراسل مديري ورشة . ثم اشرك ، التى دوس فى قننته . كن حصته بسط برعم من أنه قد سعى لإعادة كذنته وصيغته سبع مرات

سيدي الرئيس

أنا مولع بجمع ملصقات علب أعواد الثقاب ولكنى لا است القدرة المادية على شراء كل الأنواع . يطلع مصروفى الأسبوعى دولارا واحدا فقط ولكنى أرق فى هذا المصروف طبع بريديا يصير ثمنه إلى ثلاثة سنتات بكي ثبت جذبتى فى هذا الشأن . اسف لإرجاع شخصك ولكن اسمك هو الاسم الوحيد الذى نجحت فى العثور عليه ومراسنته

صديقك المخلص

ويليام كير (٩ سنوات)

ملحوظة : أنت من بين أكثر اشخصيات التى قصصها

وفى غضون أسبوعين ، حصل ويليام على استجابة وصلت نسبتها إلى ٥٥ بالمائة من الخطابات التى أرسلها معا عاد عليه

بـ ٧٨ ملصقا مختلفا . وقد أعادت معظم الشركات التى راسلها الطابع الذى تصل قيمته إلى ثلاثة سنتات إليه ثانية كما توقع .

وعلى مدى الأيام السبعة التالية ، أنشأ ويليام سوقا لبيع الملصقات فى المدرسة وكان يحرص دائما على اختبار السوق واستدب الرئحة فى أن يقدم على الشراء . وقد لاحظ أن هناك بعض الصبية ممن لا يكثرئون بندرة المص واهم يركزون فقط على نكهة وقد حرص على مدينتهم بكي يحرص على استمات البندرة بكي يفسينا من هم أكثر حرصا على شراء الطوايع البندرة . بعد مرور الأسبوعين آخرين من حركة البيع والشراء ، أحس ويليام أن السوق كان قد شبع وأنه إن لم يحرص - مع اقتراب العطلة الدراسية - على تسع كل الملصقات ، فإن نسبة الربح سوف تنبؤ . ومع خلال حملة دعائية محكمة ، أعد ويليام مطبوعات كتف بصا ست فقط للمصروع الواحد ووضعها على مكتب كل طاب من زملائه . وقد أعلن ويليام أنه سوف يجرى مزادا لبيع الملصقات التى يصل عددها إلى ٢١١ ملصقا . وقد أقيم المزاد فى مرحاض المدرسة أثناء وقت الغداء وفاق عدد الحضور أفضل مباريات الهرجى على كانت يعقد فى المدرسة

والسيحة هى أن يحصل المبيعات الذى حققه ويليام وصل إلى ٥١ ٣٢ - دولار . وربح صافى بلغ ٥١ ٣٢ دولار على استثماره الأصلى . وقد أودع ويليام ٢٥ دولار فوق رسامه ادى كن يحفظ به على است مقس فائدة نص إلى اثنين ونصف فى المائة واشترى نفسه آلة تصوير بمبلغ ١٠ دولارات وتبرع بمبلغ ٥ دولارات خمسة خيرية والتى كانت قد وسعت نطاق نشاطها لى تخدم افواج المهاجرين الجدد واشترى لوالدته باقة من الزهور واحتفظ بما سقى له من دولارات قليلة فى جييبه . وقد انهار سوق علب الثقاب

بالفعل حتى قبل نهاية الفصل الدراسي . كانت هذه هي المرة الأولى من بين مرات كثيرة نجح فيها ويليام في اعتلاء قمة لسور شعرت اجدتان بالفخر عندما علمت تفصيل ما قام به ويليام . وهو ما لم يكن يختلف عما قام به روحه لجمع ثروته في طر حاله الذعر التي سادت اسواق عام ١٨٩٣

وعندما جاءت العجلة . لم يقو ويليام على مقاومة فكرة مكتبة الحصول على عند أفصح برأس مده يفوق الانس ونصف سائنة التي كان يحصل عليها على مدخراته . وعلى مدى الثلاثة أشهر التالية أخذ يستثمر ماله . من خلال حدته كبر . في سوق الاسهم وفق توصيت حريصة ايجول ستريت . وعلى مدى اعراض الدراسي الذي حصر أكثر من نصف ماله على كاد جده من عيلة في ملصقات غلب الثقب . كانت هذه هي امرة الوحيدة في حياته التي اعتمد فيها على حيرة حريصة ايجول ستريت أو أنه معلومة عامة منحه للجميع

وقد ثارت هذه الخبره التي وصلت لأكثر من ٢٠ دولار عصم ويليام مدى قرر أن يعوض خسارته ثمة عطلة اربعين بحرين على الحفلات وكثر المناسبات لاجرى التي كانت امه تريدة أن يحضرها ووجد أن كل ما تبقى له هو أربعة عشر يوما فقط وكانت هذه الفترة كافية بالنسبة له لكي ينجز مشروعه . باع ويليام كل أسهمه التي اشتراها بناء على نصائح " وول ستريت " والذي وصل إلى مبلغ صافي قدره ١٢ دولارا فقط . واشترى لنفسه بهذا المبلغ قطعة مسطحة من الخشب ومجموعتين من الأطر ومحاور للأطير وحبالاً بتكلفة ٥ دولارات بعد التفاوض . ثم وضع قبعة يالية فوق رأسه وارندى ملابس قديمة كان قد كبر عليها وذهب إلى محطة القطار . انبحلية . وقف عند باب الخروج وقد ارتسجت عليه علامات الجوع

ولعب . وأخذ يخبر بعض المسافرين الذين كان ينتقيهم بدقة أن يسافر بكري في بوسطن كانت تقع بجوار محطة القطار . أي سافر في كوبري بحجة . في ركوب سيرة حرة أو غيرها من اركبت عليه لاجرى انه يستطيع أن يحصل حقنهم فوق عربته انقله من ٢٠ ساعة من تكفه لسيرة لاجرة وقد أضاف أيضا أن يمشي سوف يعو . عليهم بالعدد . ويحصل ثمة ست ساعات يوم واحد ويبيع أن يملكه أن يكسب ٤ دولارات يوميا

فمن بدأ استس اسراني اشى بحسنة اسم . كان ويليام قد سعد حيرة كنه وكسب عشرة دولارات صافية . ومع ذلك ثم صدمه بمسكه بدا فيبدو لسدرات الاجرة بزعمون من وجود . وكرو ويليام كد لهم انه سوف يكسب عن مدرسة مهله يحد في ادمه من عمرة فقط . صرحه كل سبب ٥٠ سبب لكي يعنى سبب عربته انقله التي كان قد صعب بنفسه . وقد وافقوا جميع على هذا العرض وجمعوا له ثمانية ونصف دولار إضافية وفي ثمره عودته إلى مدرسه في يكون هول . باع ويليام عربته سبب مدرسه . دولارين فقط لأحد صنفه في مدرسه يكره بعين ووعده سبب من يتراجع عن صفته . وسرعان ما اكتشف صدقه في مدرسة أن سائقى السيارات الأجرة كانت يقربصون به فضلا عن أن الأمطار انهمرت على مدى ذلك الأسبوع .

وفي اليوم الذي كان من المقرر فيه العودة إلى المدرسة . كان ويليام قد أضاف المبلغ إلى وديعته البنكية بغائدة اثنين ونصف سبب . وعلى مدى العام التالي لم يشعر أن هذا القرار قد أثار لديه مخاوف لأن مدخراته كانت تزداد باطراد . لم يسبب غرق اسببه بوسيدا في ديو عام ١٩١٥ وإعلان بيكسون احرب في ربيع عام ١٩١٦ في ويليام ليس هذا شي . أو شحص يمكن أن

يتقهر أمريكا ؛ هكذا أكد لأمه . وقد أقدم ويليام فى هذه الفترة على استثمار ١٠ دولارات فى ليبرتى بوندز لكى يؤيد حكمه . ومع بلوغ ويليام الحادية عشرة من عمره ؛ وصلت الفائدة فى بند الدائن فى دفتره إلى ٤١٢ دولارا . كان ويليام قد أهدى والدته قلم حبر وأهدى كل جدة من جدتيه بروش اشتراه من أحد المتاجر المحلية . وقد كان القلم الحبر من طراز باركر . أما البروش فقد وصل إلى بيت جداته فى علب تحمل أسماء المحلات الكبرى مثل شريف وكرامب والتي كان قد عثر عليها فى سلة المهملات خضب هذه المتاجر الشهيرة . ولإصاف الفتى ؛ فإنه لم يكن يهدف إلى خداع جدتيه وإنما كان قد تعلم من تجربة علب النقاب أن القبعينة الجيدة تساعد على بيع المنتج . وبالرغم من أن الجدتين كانتا تعلمان جيدا أن البروشات لم تكن تحمل علامات محلات شريف وكرامب . إلا أن كلا منهما قد حرصت على إرضائه بمسبقي

واستبعد لجدته مديحه من حركات وتصرفات ويليام وقررت أن تتحقق بمدى صحة ما تقول فى كوكور . فى مايو همسفير فى سبتمبر لدى وهو الحصة الموضوعه وقد نلى العلى نلاء حمد فى النفس عندما حصل على أعلى منحة دراسية فى محار الرياضت ووفر مائة ٣٠٠ دولار كمت فى عسى عبد بدفيره وقد قب ويليام المنحة وأعطت جداته المبلغ لـ " فتى أقل حظا " على حد تعبيرهما . كانت أن تكره فكرة ابتعاد ابنها عنها والاتحاق بمدرسة داخلية ولكن الجدتان أصرتا على هذا القرار ولكن الأهم من ذلك هو أن آن كانت تعلم أن هذه كانت رغبة ريتشارد . حاكمت اسم ويليام ووضعت على حذائه وفحصت ملابسه وحزمت حقائبه بنفسها ووضعتها فى السيارة رافضة مساعدة أى من الخدم .

بعد ما كان وقت رحيل ويليام ؛ سألتته أمه عن قيمة المصروف الذى يريد أن يأخذه على مدى الفصل الدراسى . لا أريد شيئا . " هكذا أجاب بدون أن يضيف كلمة واحدة . فى مساء يومه على حدها مودعا . لم تكن لديه دنى فكرة إلى متى سوف يتفقه . سار فى طريقه نحو امبر برتديا أول بطلان صوب فى حديثه بعد أن كان قد خلق شعره جيدا وحسن حفيظة معمره ؛ سار ويليام فى طريقه نحو روبرت قائد السيارة . وركب فى نعد الخلفى للسيارة الزولز رويس التى انطلقت به . لم يفتت حسنه . أخذت أمه تلوح وتلوح له بيدها ثم أجهشت بالبكاء . كان ويليام يريد أن يبكى هو الآخر ولكنه كان يعلم أن والده ما كان يود ذلك

أول ما صدم ويليام كان فى ريلاء المدرسة لإعدادة لجديدة وهو حرايم به دخله وسببه ما نعد هنت نظرت عجبوا . تدير شحمه ووجوده بل ن أحد لصبه الأكبر منه سن قد سألته . نحن عن سبه وكنت الصمته أنه عندما أخبره . لم يند الصبي أى ساره صهار أو إعجب حتى أن بعض الزلاء كان يطلقون عليه سـ " نر " وهو ما صوته سريع بتكريره بأنه لم يسبق أن أطلق احد مني وند اسم " ديث "

كانت غرفة ويليام الجديدة صغيرة ومزودة بأرفف خشبية وطولتين وسريرين وأريكة وثيرة مريحة . كان زميله فى الغرفة من بوزرك وكان يدعى " ماثيو ليستر " وكان والده هو رئيس بنك ستر وشركة أخرى فى نيويورك أى أنه كان ينتمى هو لآخر إلى عائلة مكنية عريقة

سرعان ما تعود ويليام على نظام المدرسة الجديدة . كان يستيقظ في الساعة والنصف صباحا ويمتثل ويتناول الإفطار في قاعة تناول الطعام الرئيسية مع باقي طلبة المدرسة الذين كان يبلغ عددهم ٢٢٠ طالبا ؛ كانوا يتناولون جميعا البيض وشرائح اللحم المدخن والعصيدة . وبعد الإفطار ؛ كان الجميع يبدأون يومهم الدراسي بثلاث حصص دراسية يصل زمن كل منها إلى خمسين دقيقة ثم يندوبون طعام اعداد يواصلوا يومهم الدراسي على مدى حصتين تليهما حصص موسيقى وهي الحصص التي كان يمتثل ويستمع لأنه لم يكن يجيد التوافق مع الإيقاع الموسيقي فضلا عن أنه لم يكن يملك أية رغبة في تعلم العزف على أي من الآلات الموسيقية كان الطلبة يدرسون معه كرة القدم في الحرف والملاهي والاسكواش في الشتاء وللمنجديف وكرة السلة في ربيع الصيف لا بدع لهم سوى مقدار الضئيل من وقت الفراغ . بصفته حاصلا على منحة في مادة الرياضيات ؛ كان ويليام يتلقى ثلاثة حصص خصوصية أسبوعية على يد ناظر المدرسة السيد " جي راجلان " . وأما على كين يطلق عليه باقي الطلبة اسم " العيوس "

على مدى العام الدراسي الأول ؛ أثبت ويليام جدارته استحقاقه لحصوله على هذه المنحة الدراسية . كان دائم من بين أغنى المتفهمين في كل مادة وكان له فصله الخاص في مادة الرياضيات . كان صديقه الجديد ماثيو ليستر هو الوحيد الذي يملك بالكاد القدرة على منافسته في هذه المادة ربما لأنه كان يشاركه نفس الغرفة . في الوقت الذي رسخ فيه ويليام مكانته الأكاديمية ؛ ذاع صيته في الأمور المالية على الصعيد الآخر . بالرغم من أن استثماره الأول كان سيئ العواقب ؛ فإنه لم يتخل عن إيمانه الراسخ بأنه سوف يجني ثروة ضائلة ويحقق أرباح كبيرة في سوق الأسهم . كان ينظر إلى

هذا الأمر على أنه أحد الأمور الأساسية . أخذ ويليام يتقرب في حصر صحيفة الوبل ستريت وتقارير الشركات وبينما كان مازال في الثانية عشرة من عمره . بدأ حياته العملية بترتيب استثماري حصر . كان يسجل في دفتر كل مشترياته ومبيعاته الخيانية ؛ كل ما هو جيد وكر ما ليس جيدا من خلال دفتر جديدة مختمة . لانوان وكان يقارن مستوى أدائه في نهاية كل شهر في ضوء القوائم . لكن قوائم لاسهم ارتأته تشير انصاحه بس كين يركز بدلا من ذلك على الشركات لأكثر غموض . وأما كين كان حجم تعاملاتها لديه محدودا بحيث كان يستحيل على أحد شراء أكثر من خمسة أسهم قبية في أي وقت من الأوقات . كان ويسم يتوقع بحذر أربعة أشهر وراء استثماره . أولا قدر بسيط من المكاسب وبعد نمو مرفوع وأسهم قوية وبطء تجربة شعبة لم يعثر ويليام إلا على القليل من الأسهم التي تحقق له هذه الأهداف الأربعة ولكنه عندما كان صاحب في العثور عليه . كان بلا شك يجني من ورنهيب اندرج حيدده .

في الوقت الذي تأكد فيه ويليام أنه استطاع أن يهزم مؤشر داو جونز لبرنامج الاستثمار الخيالي ؛ أدرك ويليام أنه قد أصبح متب لاستثمار أمواله ثانية . بدأ نشاطه بـ ١٠٠ دولار ولم يتوقف أبدا عن تحديث أسلوبه في التعامل مع سوق الأوراق المالية . كان دائم يبحث عن المكسب والربح ويسعى للحد من الخسائر . وبمجرد أن يرتفع سعر أي أسهم من أسهمه كان يبيع نصف حصته ويحتفظ بالنصف الباقي بدون أن يمس على اعتبار أنه امتياز محفوظ . من بين مكتشفاته المبكرة أنه كانت هناك بعض الشركات التي أصبحت غيب بعد شركات قومية رائدة مثل شركة كوداك وشركة آي بي إم . كذلك قد ساند شركة سيرز ؛ إحدى شركات الخدمات البريدية

الكبرى إيماناً منه بأنها إحدى الشركات التي تواكب مجريات العصر والتي سوف يكون لها شأن كبير .

ومع نهاية عامه الأول كان بمثابة مستشار مالي لنصفه أعضاء هيئة التدريس وعدد من آباء زملائه في المدرسة . كان " ويليام كين " سعيداً في المدرسة .

ولكن " آن كين " لم تكن سعيدة وكانت تشعر بالوحدة في بيئها بعد أن رحل ويليام إلى " سانت بول " وبقيت هي في محيطه الأسرى المؤلف من الجدتين ، اللتين كانتا تقتربان في ذلك الوقت من سن الهرم . كانت قد أدركت آسفة أنها قد تخطت الثلاثين من عمرها وكان ذلك الجمال البريء الشاب الذي كانت تتمتع به قد خبا بدون أن يخلف وراءه الكثير . فبدأت تواسي نفسها بعد أن حطمتها وفاة زوجها مع بعض أصدقائهم القدامى . بدأ جون وميى بريستون ، صديق العائلة والذان كانت تعرفهما طيلة حياتها ، يدعوان آن للمساء والمسرح ، مع الحرص على دعوة رجل إضافي في كل مرة في محاولة للتوفيق والعثور على رفيق لـ " آن " . كانت اختيارات آل " بريستون " دائماً غير موفقة وصادمة حتى أن آن كثيراً ما كانت تضحك منها في سريرتها إلى أن جاء أحد أيام شهر يناير عام ١٩١٩ فور عودة ويليام من المدرسة بعد الفصل الدراسي الشتوي ، عندما تلقت دعوة من آل " بريستون " لمساء آخر لأربعة أشخاص . اعترفت لها ميللى بأنها لم تقابل الضيف المرتقب من قبل ، السيد " هنرى أوسبورن " ، ولكنها تعتقد أنه كان في هارفرد في نفس الوقت الذي كان فيه جون هناك .

قالت ميللى لأن عبر الهاتف : " في الواقع جون لا يعرف الكثير عنه يا عزيزتي باستثناء كونه وسيماً "

بالفعل كان كذلك وهو ما تأكدت منه آن وميللى . كان هنرى أوسبورن يستدفيء بجوار النار عندما وصلت آن وقد نهض من مكانه في الحال لكي يسمح لميللى بأن تقدمه إليها . كان طوله يبلغ ستة أقدام ، صاحب عينيْن سوداوين أو تكاد تكون سوداء وشعر ناعم أسود اللون ، كان نحيفاً كما كان يتمتع بهيئة رياضية . شعرت آن بميض سريع من السعادة لأن هذا الرجل الشاب المغم بالحياة سوف يكون رفيقها في هذه الليلة بينما كان على ميللى أن توطن حسب على زوجها الذي كان يبدو في منتصف العمر مقارنة بزميل ربه الفاتن . كانت هناك ضادة تحيط بذراع هنرى وتكاد تغطي راحة عنقه كاملة .

سألت آن في تعاطف : " هل هي إصابة حرب ؟ " أجاب وهو يضحك : " كلا ، لقد وقعت على السلم في الأسبوع الذي عدت فيه من الجبهة الغربية " .

كان عشاءً جميلاً استمتعت به آن إلى حد أنها لم تشعر بسوقت ، مضى الوقت على المائدة مريعا وانسل في سعادة وسلاسة . كان هنرى أوسبورن يجيب عن كل أسئلة آن الفضولية ، بعدما تخرج من هارفرد ، عمل في إحدى شركات العقارات في شيكاغو ، موطنه الأصلي ، ولكن عندما اندلعت الحرب لم يقو على مغادرة رغبتة في مواجهة الألمان . كان يملك ثروة من القصص المأرعة عن أوروبا وحياته هناك وهو يخدم كملازم أول صغير حفاظاً على مجد وشرف أمريكا في موقعة مارن . لم يكن ميللى وجون قد سيرا لهما رؤية آن تضحك بهذه الصورة منذ وفاة ريتشارد وقد ابتسم كل منهما للآخر عندما طلب هنرى من آن أن تسمح له بتوصيلها إلى المنزل بعد نهاية المسهرة .

سألت آن هنرى أوسبورن وهو يقود سيارته متوجها إلى شارع تشارلز : " وما الذى سوف تفعله الآن بعد أن وطئت ارض الأبطال ؟ " .

أجاب : " لم أقرر بعد . إننى لحسن الحظ أملك ثروة متواضعة أى أننى لست بحاجة للتسرع فى اتخاذ قرار ، كما يمكننى أن أشرع فى تأسيس شركة عقارية هنا فى بوسطن . فلطالما شعرت بألفة مع هذه المدينة منذ أيام دراستى فى هارفرد . أى إنك لن تعود تشبهى شيكغو ؟ "

" كلا ، ليس هناك ما يستدعى عودتى إلى هناك . لقد توفى وادى وكنت انعم الوحيد . أى نسي يمكن أن أبدأ من أى مكان يقع حيتيرى عليه ابن سيدير ؟ " .
قلت ان " الشارع القاده إلى اليمين " .
" هل تعيشين فى بيكون هيل ؟ "

" نعم . ما يقرب من خمسين بركة إلى احسان الامن من تشيست نات . إننى أسكن فى البيت الاحمر فى حدرك ممدار لويز برج "

أوقف هنرى أوسبورن سيارته وصحب آن إلى الباب الأمامى للمنزل . بعدما تعنى لها أمسية طيبة ، انصرف حتى فى ان يبيع لها فرصة تقديم الشكر له . أخذت تراقب سيرته وهى مدحرجة فوق مرتفعات بيكون هيل ، وهى تدرك تماما أنها ترغب فى رؤيته ثانية . كانت تشعر بغبطة ، ولكنها لم تشعر بدهشة كاملة عندما اتصل بها هاتفيا فى صباح اليوم التالى .

" أوركسترا بوسطن السيمفونى ، موتزارت وهذا الفتى البصر الجديد الرائع ، " مائل " ، يوم الاثنين القادم ، هل يمكن أن تغبى دعوتى ؟ "

انزعجت آن قليلا من مدى تطلعها للقاء هنرى يوم الاثنين . حسبت أنه قد مر وقت طويل إلى أن عثرت على رجل جذاب يسعى وراءها . وصل هنرى أوسبورن فى الوقت المحدد ، تصافحا فى تى . من التردد وقبل دعوتها لتناول شراب .
" لابد أن العيش فى ميدان لويز برج أمر ممتع . أنت فتاة بحسنة "

" نعم . اعتقد ذلك . إننى لم أشعر بدسى كثيرا باستكثير فى بيتي . لقد وجدت ونشأت فى شارع كومن ويلث . كنت أجد هذا مثيرا جدا . "

اعتقد به يجدر به أن أشرى مدرا فى ايهيل أن الآخر إن قريب منك فى بوسطن .

قلت ان " إن مثل هذه المنزل لا تتوافر فى اسوق بسهولة . بشر فى يكون محفوظ . ألا يحذر بها أن يذهب إلى إسبى اكرو أن من مدحرجة عن الحصى وضمر إلى دهن أصعب الاحمر إلى أن من مفعدي .

اغنى هنرى نظرة على ساعة يده : " أجل ، أوافقك الرأى . أحب ألا نفوت دخولنا على يد المرشد . ولكن لا تشغلى بالك بأقدام أى احد باستثنى أن نحن نسير على امشى الآن " .

مع نواى المعروفات الموسيقية من الصبغى أن يملك هنرى بدرع . بيت كانا يشقان طريقهما للوصول إلى مقعدهما . كان الشخص سرحب الذى فعل ذلك منذ وفاة ريتشارد هو ابنها ويليام ، فقط بعد عزى جناح من جانبها لأنه كان ينظر إليه على أنه تصرف جبان غير لائق . ومرة أخرى انسل الوقت بدون أن تشعر آن ، هل كان سبب هو الطعام الشهى أم صحبة هنرى ؟ فى هذه المرة جعلها هنرى تضحك على القصص التى رواها لها عن هارفرد وتبكي على

القصص التي رواها لها عن الحرب . بالرغم من أنها كانت واثقة تماما من أنه كان يبدو أقل منها سنا ؛ فإن تجربته في الحياة كانت تشعرها دائما وهي بصحبتها بأنها أقل منه عمرا وأقل خبرة . قصص عليه آن وفاة زوجها وازدواجها من المزدوج . فأفكك بيدها ثم تحدثت عن ابنها بفخر وحنو . فأخبرها بأنه أراد دائما أن ينجب ولدا . لم يكن هنري يتحدث عن شيكاغو أو حياته في بيته إلا نادرا ؛ ولكن آن كانت واثقة من أنه كان بلا شك يفتقد عائلته ؛ عندما أوصلها إلى بيتها في هذه الليلة ؛ بقي معها لتناول شراب سريع ثم قبلها برفق على خدها وغادر . أخذت آن تسترجع كل أحداث الليلة دقيقة بدقيقة قبل أن تستسلم للنوم .

ذهبا سويا إلى المسرح يوم الثلاثاء ؛ ثم زارا منزل آن الصيفي في نورث شور يوم الأربعاء ؛ وتزلقا على الجليد سويا في ساحة مشوسيتس يوم الخميس ؛ وتسوقا في متجر التحف يوم الجمعة وفاتحها في الزواج منها يوم السبت . وبعد يوم الأحد لم يكذب أي منهما يفتقر عن الآخر . شعر ميللي وجون "بسعادة غامرة" . لأن اختيارهما قد توج بالنجاح أخيرا . وأخذت ميللي تجوب أنحاء بوسطن لتخبر الجميع بأنها صاحبة الفضل في جمع شمل الاثنين سويا .

لم يكن إعلان خطبتهما في صيف هذا العام مفاجئا لأحد باستثناء ويليام . لم يكن ويليام يحب هنري على الإطلاق منذ اليوم الذي أقدمت فيه آن بشيء من التردد على تقديم كل منهما للآخر . اتخذ الحوار الأول بينهما شكل استجواب حيث كان هنري يطرح أسئلة طويلة محاولا إثبات رغبته في اكتساب صداقة ويليام ؛ في الوقت الذي اكتفى فيه ويليام بذكر إجابات مقتضبة تعبيراً عن رغبته في عدم قبول هذه الصداقة . وقد بقي ويليام متشبهاً بموقفه

وه غير رأيه . وقد أرجعت آن شعور ويليام بالاستياء إلى شعور ميريل بالغيرة إذ كان ويليام هو محور حياتها منذ وفاة زوجها ريتشارد . كما أنه كان من المعروف أيضاً أن يرى ويليام أنه ليس هناك رجل يستطيع أن يحل محل أبيه . وقد أقنعت آن ويليام بأنه بمرور الوقت سوف يتخلص من شعوره بالغضب .

أصحبت آن كين زوجة لهنري أوسبورن في أكتوبر من نفس العام حيث عقدت مراسم الزفاف في سانت بول في الوقت الذي كان قد بدأ فيه تساقط الأوراق الحمراء والذهبية ؛ أي بعد ما يقرب من تسعة أشهر من لقاءهما الأول . تظاهر ويليام بالمرض لكي لا يحصر الزفاف أما الجدات فقد حضرتا ولكن لم تنجح أي منهما في إخفاء عدم رضاها للزواج آن ثانية وخاصة من شخص يبدو أقل منها عمرا بكثير . حيث قالت الجدة " كين " : " إن هذا الزواج لا يمكن أن ينتهي إلا بكارثة " .

أبحر العروسان إلى اليونان في اليوم التالي ولم يعودا إلى البيت الأحمر في هيلز إلا في الأسبوع الثاني من شهر ديسمبر ؛ في الوقت المناسب تماما لاستقبال ويليام عند عودته لقضاء عطلة عيد رأس السنة . وقد صدم ويليام عندما وجد أن كل شيء في البيت قد تغير وتم إعادة تجديده على نحو مماثل أثر لوالده فيه . وعلى مدى عطلة عيد رأس السنة ؛ لم تصدر أية بادرة من ويليام تشير بأي تحسن في علاقته مع زوج والدته بالرغم من الدراجة الجديدة التي أهداها إليه هنري والتي اعتبرها ويليام شكلاً من أشكال الرشوة . وقد تقبل هنري هذا الرضا كأمر واقع وكف عن محاولة اكتساب رضا . وشعرت آن بحزن بالغ عندما وجدت أن زوجها لا يبذل أي جهد يذكر لكي يخاطب ود ابنها .

لم يعد ويليام يشعر بالارتياح فى هذا البيت الذى غزاه هذا الشخص الدخيل مما كان يدفعه إلى الاختفاء لفترات طويلة أثناء اليوم . وكانت آن كلما سألت عنه ، لم تتلق أية إجابة تذكر . لقد كان بالطبع يلتفتد جديته ، فضلا عن شعوره بالوحشة فى بيت أبيه . وعندما انتهت عطلة عيد رأس السنة ، شعر ويليام بسعادة بالغة لعودته إلى المدرسة ، كما لم يشعر هنرى من جانبه بأى حزن على فراقه .

أما آن فقد شعرت بالضيق تجاههما .

الفصل التاسع



صبح أحد الجنود وهو من بينديفبه على ضريح وودك
جس وودك فى ايداية ونظر
الى سر احد رقبه ليون والبارون ولم يذرف ولو دمعة واحدة ثم
سأله الجندى .
" سوف احد : إنك لن تقتلنى " ، قالها بالبولندية وأضاف :
" هذا هو سبي وأنت فوق أرضى " .

بصق الجندى على وجه وودك ودفعه إلى الخلف فوق الحشائش
حيث كان يقف الخدم ؛ كانوا جميعا يرتدون ثيابا أشبه ببيجاما
نوم رمادية تحمل أرقاما من الخلف . صدم وودك عند رؤيتهم لأنه
درك عندهما ما هو بصدد الوقوع له . اقتدده الجندى إلى الجانب
اشلى من القصر وأمره أن يجثو على ركبتيه فوق الأرض . شعر
سكين حادة تمر فوق رأسه بينما شاهد شعره الأسود الكثيف
بتساقط على العشب . عشر ضربات دموية على رأسه تماما مثل
زالة فرو الخروف وكانت المهمة قد أنجزت . بعد أن حلق شعره ؛

أمره أحد الجنود أن يرتدى الزى . الذى كن عبارة عن قميص رمادى وسطار . وقد نجح وودث فى إخفاء الإسورة الفضية جيدا بينت سر ينضم إلى الخدم أمام القصر

بينمابقى اجميع منظرا فوق العشب . بعد أن أصبح كل منهم الآن يحس رقعة ويسر سنا . وصلت إلى مسمع وودث صوصه عن بعد لم يكن قد سمع مثلها من قبل أدار عينيه فى اتجاه الصوت المريب ومن خلال لأسوار الحديدية العالية رأى حافلة سحرى على أربعة إطارات وكان دون أن تجره الخيول أو اشتران أخذ كل السجناء يتأملون الحافلة فى حالة ذهول عندما توقفت الحافلة . جذب الجنود السجناء المتوجسين فى اتجاهه وظنوا منهم أن يصعدوا على متنها ثم استدارت الحافلة التى لا تجرها الخيول وتحركت بطول الممر عبر الأسوار الحديدية لم يجرؤ احد على انقوفه بكلمة واحدة . جلس وودث فى مؤخرة الحافلة وأخذ يحدق فى القصر إلى أن اختفى وتوارى صف

سارت الحافلة اتى لا تجره الخيول وشفت طريقه عسى نحو غير معلوم نحو قرية سوتيم . كانت الحافلة ستثير قلقا وسرعان وودث بدرجة كبيرة إن لم يكن بالقمع منزعجا ومشغول الفكر بشكل الذى سوف تقودهم إليه الحافلة بدأ وودث بتعرف على الطرق التى كن يعرفها بالقمع منذ أيام ذهبه إلى مدرسه وكان ذاكره كن قد أصبها بتشوش بأقمع من جراء السنوات الثلاث التى قصها فى القبر حتى أنه عجز عن تذكر أى مكان سوف يقودهم إليه الطريق وبعد مرور بضع دقائق فقط . توقفت الحافلة وزج بهم جميعا خارجها كانوا قد وصلوا إلى محطة القطر المحلية . كن وودث قد شهد مرة واحدة من قبر فى حياته عندما ذهب مع نيون لاستقبال البرون فور عودته من رحلته إلى وارسو تذكر ن

بحرس وقتها قد ألقوا التحية عليهم عندما ساروا على رصيف المتنصر . وكان فى هذه المرة لم يكن هناك أحد يحييه . وقد تذكروا السجناء عندها لبن الماعز وحساء الكرنف والخبز الأسود وتولى وودث تربية مسئولية تقسيم الطعام على حصص بمنتهى العذبة على سجناء . ثلاثة عشر المتبقين بالإضافة إليه هو . جلس على الأريكة الخشبية . مفترضا أنهم فى انتظار وصول القطر . نام الجميع لينب على الأرض وأخذوا يتأملون النجوم . كانت نوبة هائلة متيرة بهم فى القبر . وقد حمد وودث الله وقتها عسى أن الجو لم يكن شديدا البرودة

حاء الصباح وبقي الجميع منتظرين ثم قاد وودث الخدم مباشرة معص التدريب ارياضية ولكن معظمهم لم يقو عسى سحاليه وسهوى بعد بضع دقائق أخذ يدون بعض الملاحظات لحصه بأسماء كن من بقى على قيد الحية من السجناء . كن قد تلى اثن عشر رجلا وامرأتان من أص سبعة وعشرين سجينا كانوا محبوسين داخل القبر . بقى الجميع فى انتظار وصول القطر الذى لا سى ابد . وصل قطر بالفعل وركل من على متنه المزيد من السجوناء . كانوا يتحدثون لغتهم البغيضة . ولكن لقطار مصرى فى طريقه بدون أن يحس جماعة وودث المثيرة للربا . فنام الجميع يلبس ثنية فى اعراء .

بقى وودث مستيقظا أثناء استلقائه تحت النجوم وأخذ يفكر فى عريقه تمكنه من الهرب ولكن أثناء هذه الليلة حاول أحد السجناء لثلاثة عشر أن يقلت من قبضة الجنود عبر شريط القطار ولكنه صيب بطلقة نارية من قبل أحد الحرس حتى قبل أن يندح فى الوصوف إلى الجانب المقابل . أخذ وودث يحدق إلى المنطقة التى وقع عنده السجناء . وهو يخشى أن يذهب بنفسه للمساعدة خشية أن

يلقى نفس المصير . ترك الحراس الجسد ملقى على الشريط طوال النهار لكي يكون عبرة لكل من تسول له نفسه أن يقدم على نفس هذا التصرف .

لم يشر أحد إلى هذا الحادث طوال اليوم بالرغم من أن عيني وودك نادوا ما كانت تبرح جثة الرجل . كانت الجثة لساقى البارون ؛ " لودويك " ، الذى كان شاهدا على وصية البارون أى أن وودك كان قد فقد بذلك أحد شهود وصيته .

وفى مساء اليوم الثالث ، وصل أحد القطارات إلى المحطة ؛ كان قصيرا ضخما يعصر بالبخر وكذا يجر عربات بضائع مفروحة وعربات ركاب مغلقة . كانت أراضي عربات الركاب مغطاة بالقش وكانت كلمة " كاتل " مدونة على كلا جانبيه . العديد من العربات المفتوحة كانت محملة بالسجناء . ولكن لم يتمكن وودك من تحديد جنسيتهم . كان مظهرهم يشبه مظهره ؛ إشعاع ربح له هو وجدعه فى إحدى العربات لكي يبدأوا رحلتهم . بعد انتظار استمر لعدة ساعات أخرى ؛ بدأ القطار يتحرك خارجا من المحطة فى اتجاه شروب الشمس - وفق علم وودك - أى أنه سوف يتجه صوب الجانب الشرقى .

بين كل ثلاث عربات مفتوحة كان هناك حارس يجلس فوق سقف عربة مغلقة . وعلى مدى الرحلة اللانهائية ؛ كان وودك يسمع من وقت إلى آخر وأبلا من الرصاص يثبت له عدم جدوى أو إمكانية التفكير فى الهروب .

عندما توقف القطار فى " مينسك " تناول السجناء أول وجبة مشبعة لهم مؤلفة من الخبز الأسود والماء والكسرات والدخن ؛ ثم واصلوا رحلتهم . أحيانا كان يمضى عليهم ثلاثة أيام كاملة دون أن يعبروا بصحطة قطار واحدة . كان الكثير من الركاب الضعفاء يلقون

جسده من شدة الجوع حيث كان يتم التخلص من جثثهم بإلقائهم من القطار أثناء سيره . وعندما كان القطار يتوقف فى محطاته - سنية - كان عليهم فى العادة الانتظار لمدة يومين آخرين لكي يتم فتح صرير لقصر حر منوجه نحو الغرب . كنت تلك القنارات حتى تؤخر رحلتهم زاحرة بالجنود مما أكد لودوك أن القطارات - مة للجنود كانت مقدمة على كل وسائل النقل الأخرى . كانت فكرة الهروب لا تبرح عقله لحظة ولكن كان هناك شيئا يحولان من إقدامه عليها . أولا ؛ أنه لم تكن هناك سوى أميال من البرية الوحشة الممتدة على جانبيه شريط المسكة الحديد وثانيا ؛ أن كل من سقى على قيد الحياة من القبو كان يعتمد عليه . فقد كان وودك هو الذى ينظم لهم طعامهم وشرابهم ويحاول أن يبقى الرغبة على مرصلة العيش بداخلهم . كان الأصغر سنا وآخر من ظل متمسكا بدنه فى الحياة .

عندما حل المساء ؛ كان البرد قد أصبح قارسا ؛ كان قد وصل لما يقرب من ٣٠ درجة تحت الصفر وكان كل منهم يستلقى فى خط مستقيم فى مقابل الآخر فى صف واحد فوق الأرضية بحيث يدفن جسد كل منهم جسد زميله المقابل . كان وودك عندها يوتل قصائد شعر على نفسه بينما كان يسمى فى نفس الوقت لاسترقاق بعض النوم . كان يستحيل على أى منهم أن يدير جسده ما لم يوافق الجميع ؛ لذا كان وودك يستلقى فى المؤخرة وفى كل ساعة - فى غروب نقطة يمكنه فيها أن يراقب تغيير الحرس - ويضرب جانب أسيرة لكي يستدير الجميع على الجانب الآخر . كانت كل الجسود تستدير على الجانب الآخر وراء بعضها البعض تماما مثل صنع الدومينو المتساقطة . وفى إحدى الليالي ؛ لم يقو جسد امرأة فى حديقته على الحركة لأنو كان قد فقد قدرته على ذلك ؛ فتم إخبار

وودك بذلك الذى أخبر بدوره الحارس فقام أربعة من الحرس بحمل جنتيب وألقوا بها على جانب القصر المتحرك . ثم أطر الحرس بعدها الجسد بوابل من الرصاص لكنى يتأكدوا من أنها ليست محاولة للهرب .

بعد مائتى ميل من " مينسك " ، وصلوا إلى بلدة " سمولنسك " حيث تناولوا المزيد من حساء الكرنب الساخن والخبز الأسود التقى وودك فى عريته ببعض السجناء الجدد الذين كانوا يتحدثون نفس لغة الحرس . كان قائد السجناء الجدد فى مثل سن وودك . وقد شعر وودك وجماعته المؤلفة من الأحد عشر رفيق المتبقين ، عشرة رجال وامرأة واحدة ، باستوجس من هذه البرسة الجديدة التى انضمت إليهم مما دفعهم إلى تقسم السيارة إلى صنفين بحيث تبقى كل مجموعة بعيدة عن المجموعة الأخرى .

وفى إحدى الليالى ، كان وودك مستلقيا فى حله يفظة يذمر النجوم ، كان يحاول أن يستدفئ عند شاهد زعيم زكرة اسمولنسكيين وهو يحبو صوب أحر رجس فى صفة حماما قطعة حبل صغيرة فى يده . شاهده وهو يلف الحبل حول عنق أفونس - حدم البرون - الذى كان نائم . وقد أدرك وودك أنه إلى نحرك بسرعه باغة فمن لصبى كن سيسمعه ويلود بالعرار إلى النصف الخاص بجماعته فى السيارة وينلقى الحماية من زملائه . مما دفعه إلى الزحف ببطء على بطنه بطول صف السجناء البولنديين . عندما وصل إلى نهاية الصف ، وثب فوق المعتدى وأيقظ كل من فى العربة . تراجعت كل من فى العربة إلى الوراء ما عدا أفونس الذى بقى بلا حراك أمام الجميع .

كان قائد السمولنسكيين أكثر طولا ورشاقة من وودك ولكن هذا لم يكن يشكل فرقا كبيرا بما أن الصراع كان يدور على الأرض . دام

سحر لعدة دقائق مما لفت انتباه الحرس وأثار ضحكهم وأخذ كل سيم يراهن على أحد المصارعين . وعندما مل أحد الحراس من صراع الذى لم يرقه دماء ألقى بسكين فى وسط العربة . تصارع الصبيان من أجل اقتناء هذه السكين اللامعة ، ولكن قائد السمولنسكيين كان أول من التقطها . صاحبت عصية السمولنسكى نحية لبطلها المعوار الذى غرس السكين فى جانب ساق وودك وحذبا وهى مخضبة بالدماء ثم طعنه بها ثانية . ولكن الطعنة الثانية هزمت السكين بشدة فى أرضية السيارة بجوار أذن وودك . بينما كن زعيم السمولنسكيين يسمى لانتزاع السكين ، ركله وودك بخل ما بقى له من قوة فى أحد الأركان ، وبعد أن أطاح به إلى وراء ، جرح فى نزع السكين . وأمسك بها وقفز فوق خصمه ، وصوب سكين فى فيه بهيمة صرخ القتي صرخة مدوية أيقظت كل من فى النظار . استخرج وودك السكين من فم الصبى وهو يصرخ واحد بسك بب اللكمات المتوالية لخصمه السمولنسكى حتى بعد أن بعد أسنانه الأخيرة بفترة طويلة . جث وودك فوقه وأخذ يمسك بطنه مرتفع ثم حصل الجسد وبقى به من العربة . سمع صوت ارتطم الجسد بجانب الطريق وطلقات الجنود المصوبة على الحشد اتفاق

سار وودك فى اضطراب نحو " أفونس " . الذى كان يرقد جنة هامة فوق الأرضية الخشبية وجثا بجواره وأخذ يهز جسده مس ، ها هو شاهده الثانى قد توفي هو الآخر . من الذى سيصدق الآن ان وودك هو الوريث المختار لشرورة البارون ؟ هل بقى هناك هدف ليعيش من أجله . انهار على ركبتيه . جذب السكين بكلتا يديه مصوبا إياه نحو معدته . ولكن قفز أحد الحراس فجأة داخل العربة وأخذ يصارع وودك إلى أن انتزع السلاح من يده .

قال في صوت أجش : " كلا ، كلا ، لا تفعل . نحن نريد أمثالك من أجل الحفاظ على النظام داخل المعسكرات . لا يمكن أن نقوم نحن بكل العمل هناك "

دفن وودك رأسه بين يديه ، وقد شعر للمرة الأولى بهذا الألم المبرح الذي أصاب ساقه المجروحة . كان وودك قد فقد ميراثه وتحول إلى زعيم لعصابة معدمة من السمولنكيين . أصبحت العربية يأكلها تحت قيادته ، أصبح الآن مسئولاً عن عشرين سجيناً . قسم المجموعة على الفور إلى فريقين بحيث يسم كير بوندى بجوار سمولسكى بحيث يستحق أن يشب حرب بين الفريق بعد ذلك . أمضى وودك قدراً كبيراً من وقته في تعلم لغة الغربية لكي يقي عدة أيام غير مدرك كويك اروسية . لأنه يخشى بدرجة كبيرة عن اللغة الروسية التقليدي التي نعلمها على يد اسارون . ولسي بينيف للمرة الأولى عندما أدرك الوجهة التي كان سيذهب إليها . ثم ، النهار ، كان وودك يستعين بأثنين من السمولنكيين لكي ينفذوا منهم وبمجرد أن يشعر بسوء كير يختار اثنين آخرين وهكذا دواليك إلى أن يصبب الدم الجميع .

وبالتسريح أصبح وودك قادراً على تحدث اللغة بطلاقة مع الحارس التابع له . وقد اكتشف أن بعضاً منهم كان من الجنود الروس الذين تم نفيهم بعد تحريرهم من الأسر بينهم الاستسلام لألمانيا . أما باقي المجموعة فقد كانت تنتمي إلى روسيب البيضاء - أي من الفلاحين وعمل المزارع والعمال - ممن كانوا بناهضون الثورة .

مر العطر على أرض له يكن وودك قد شهد أراسي أكثر قحلا منها في حياته . ولقد لم يكن قد سمع بها من قبل - أو مست ونوفوسيبيرسك وكركازويرسك - كانت أسماء أجداد ذات وقع مشنوم

على أذنيه . وأخيراً بعد شهرين وأكثر من ثلاثة آلاف ميل : وصل لقطار إلى إيركوتسك حيث توقف هناك بشكل مفاجئ .

دع الجميع خرج انقطاع - حيث تناولوا الغذاء وارتدوا أحذية طويلة وسترات ومعاطف ثقيلة وبالرغم من أنه قد نشبت الكثير من لنزاعات بفرض انتقاء الملابس الأكثر ثقلًا : فقد كانت الملابس توفر به قدراً ضئيلاً من الحماية ضد البرد القارس .

وصلت عربات بدون خيول قريبة الشبه بتلك العربية التي حملت وودك بعيداً عن قصره . وتم إلقاء فيود توليه خارجها . تملك وودك مرعب وانزعج عندما لم يصب لدى الأسرى بالأغلال ، خمسة وعشرون زوج من السجناء مع بعضهم البعض أخذت العربية تجربهم : هي سير بين ركاب الحراس في مؤخر العربية . ساروا على هذا النحو على مدى اثنتي عشرة ساعة قبل أن يمنحوا فترة استراحة مدد ساعتين ليواصلوا السير بعدها . بعد مرور ثلاثة أيام ، شعر وودك أنه سوف يموت من قسوة البرد والانهيار . ولكن حينئذ كانوا يسرون في مناطق غير أهله بأسسك . كان السير يتوصل على مدى يوم ويوقف طوال سبل الراحة . كان هناك مطبخ متحررت مع حطب مسحق ، كان يقدم لهم حصاة السلاح أو الفت والخبز مع روع . إذ خيوط لصح ثم بعد تقديمه نفس الوجهة ثانية في المساء . وقد عرف وودك من السجناء أن الظروف داخل المعسكر كره قسوة من ذلك .

على مدى الأسبوع الأول ، بقي السجناء مكببين بملابسهم ولكن عندما دخل السجناء ، تماماً عن فكرة الهروب في وقت لاحق ، كان يتم في فيودهم ليلاً لكي يذموا حيث كانوا يحفرون ثقوب في الثلج للاستدفاء . أحداً في بعض الأيام لطيفه كان الحظ وجود عليهم باعتبار على غربة لكي يناموا في ظلمة ، بدأت الرفاهية عندما

تتخذ أشكالا غريبة - واصل السجناء مسيرتهم ومروا على بحيرات شاسعة وشغوا طريقهم عبر العواصف الباردة والتساقط الكثيف للثلوج . كانت ساق وودك المصابة تسبب له ألما خفيفاً متواصلاً ؛ ثم تطور الألم ليصبح أكثر حدة بعد أن أصابت لسعة الصقيع أذنيه وأنصبه . لم يكن هناك أثر للحياة أو انصمام بامتداد الثلوج البيضاء التي كانت تغطي هذه الأماكن وقد أدركت وودك وقتها أن أية محاولة للهروب لا تعنى أكثر من "سوت البضي" من شدة الجوع . كان العجائز والمرضى يلقون حتفهم في هدوء أثناء النوم ليلاً إن أسعفهم الحظ . بينما كان الأقل حظاً يسقطون جثثاً هامدة أثناء المسيرة المنهكة وينهبون من القنود يتركوا فرادى في ظل الثلوج اللانهائية . واصل الناجون مسيرتهم عبر الثلوج - متجهين دائماً نحو الشمال إلى أن فقد وودك كل حسه بالوقت ولم يعد واعياً إلا بتلك القبضة القاسية للقبود التي تحيط بيده . بدون أن يدرك متى سوف يحفر حفرة في الثلج لكي ينام لئلا أو يدرك ما إن كان سوف يستيقظ ثانية في الصباح . كان كرس من لم يحفر حفرة لكي ينام فيها ؛ حفر قبره .

بعد مسيرة دامت تسعمائة ميل ؛ قابل كل من بقى على قيد الحياة قبائل الأوستيك ؛ إحدى القبائل الروسية الرحالة ممن كانوا يرمدون الرلاجات مصنوعة من جد الربة . قبد السجناء بالزلاجات لكي يواصلوا مسيرة . ثم هبت عاصفة ثلجية عاتية أجبرتهم على التوقف على مدى يومين كاملين واستقل " وودك " هذه الفرصة للتواصل مع الأوستيكي الصغير الذي كان مقيد إلى زلاجاته وباستخدام لغة روسية ذات لهجة بولندية ؛ كان التواصل صعباً للغاية . ولكنه استطاع أن يكتشف أن الأوستيك كانوا يبعثون روس الجنوب ممن كانوا يعاملونهم تماماً مثلما يعاملون أسراهم . وقد

أبدى الأوستيكي قدراً من التعاطف مع السجناء البائسين ممن كانوا قد فقدوا كرس في المستقبل أو " المنبوزين " كما كان يطلق عليهم

وبعد مرور تسعة أيام ؛ وفي ظل الضوء الخافت لإحدى ليالي بداية شتاء المنطقة القطبية الشمالية ؛ وصل الأسرى إلى معسكر ٢٠١ . لم يكن وودك يصدق أنه يمكن أن يسعد لمشاهدة مثل هذا المكان ؛ كانت هناك صفوف من الأكواخ الخشبية المراسمة المتتالية في هذا المكان الموحش في الخلاء . كانت الأكواخ مرقمة تصب مثل السجناء . كان كوك وودك يحمل رقم ٣٣ . كانت هناك مدفأة صغيرة سوداء في وسط الغرفة وكانت هناك مصابيح خشبية بايئة مضاءة بجوار الجدران مغطاة بمراتب صلبة من القش وغطى هزيل واحد لم ينجح سوى عدد محدود للغاية من السجناء في الاستسلام للنوم في الليلة الأولى وكانت الصرخات والنأوهات الصادرة من الكوخ ٣٣ تعلو على عواء الذئاب في الخارج .

وفي صباح اليوم التالي وفي إشراق الشمس ؛ استيقظ الجميع على صوت ارتطام مطرقة بمشيت معدني . كانت الثلوج الكثيفة تغطي جانبي النافذة وشعر وودك أنه سوف يموت حتماً من شدة البرودة . تناول الجميع الإفطار في قاعة عمدة شديدة البرودة حيث كان الوقت المخصص لهذا الغرض هو عشر دقائق فقط . كان الإفطار مؤلف من إن من العصيدة المفاترة المزودة بقطع من السمك العفن وأوراق من الكرب . ألقى السجند الجدد معظم السمك فوق المائدة بينما أتى السجند المتقدمون على السمك كله بغطائه وحتى عينيه

وبعد الإفطار ؛ كان قد خصص لكل واحد منهم مهمة يقوم بها . أصبح وودك مسئولاً عن تقطيع الأخشاب . سار مسافة سبعة

أميال عبر بادية عديمة الملامح إلى أن وصل إلى الغابة حيث أمره الجنود بتقطيع عدد معين من الأشجار يوميا . كان الحرس يتركونه بصحبته مجموعته ، مؤلفة من ستة أشخاص ومعهم حصتهم من الطعام ، المؤلفة من الخبز وعصيدة الجوار الصفراء عديمة الطعم . لم يكن الحراس يخشون هروب أى من المساجين أو سعى أحد منهم لذلك ؛ لأن الأمر كان يتطلب قطع أكثر من ألف ميل لحين الوصول إلى أقرب بلدة حتى إن كان الشخص يعرف وجهته جيدا .

ومع نهاية كل يوم ؛ كان الحراس يعودون لإحصاء عدد الأشجار التي تم تقطيعها . بعد أن احبروا كل فريق أن المجموعة التي سوف تعجز عن إنحار مئمتين من تدنوب الصغار في يومين . ولكن الحراس عندما عاد إلى وودك في السابعة مساء ، لاحظ عمال الخشب ، كان سلام قد حل بالفعل حتى انه عجز عن انحدار كمية لأشجار التي نجحوا في قصعها . وقد عجز وودك زملاؤه في الفريق أن يقضوا الجزء الآخر من الظهيرة في إزالة الخشب عن الخشب المقطع في اليوم السابق ورص الاحشاش المقطعة في ذلك اليوم . وقد اثبتت هذه الخطة نجاحها ، لانه حتى انها لم تقف يوما تدنوب الصغار على وودك وجذعته . حدث . كان الفريق ينجح في تهريب قطعة خشب صغيرة إلى المعسكر ؛ بعد ربطها في الجوز الداخلي من ساق أحدهم لكي تكون وقودا للمدفأة في المساء . كان الحذر مطلوباً ؛ حيث إنه في كل مرة يخرجون فيها من المعسكر ثم يعودون إليه ؛ يتم اقتياد واحد منهم على الأقل ويطلب منه أن يحلج أحد نمرة أو الروج كملا ليعف وسط الشوج . وكانت العنوبة المستحقة لأي شخص يسعى لتهريب أى شيء هي الحرمان من الغذاء على مدى ثلاثة أيام .

وبمرور الأسابيع ؛ ازدادت حالة ساق وودك سوءا واشتدت عليه الآلام . كان يتوق وقتها للأيام الخوالي لأنه عندما كانت تقل درجة الحرارة لتصل إلى أربعين درجة تحت الصفر ؛ كان يحظر الخروج في ذلك للعمل في ذلك الجو ، أما الآن فيتم تعويض تلك الأيام بالعمل أيام الآحاد التي من المفترض أن يبقوا خلالها مستقلين في مرشهم طوال اليوم باعتباره يوم راحة أسبوعية .

وفي مساء أحد الأيام بينما كان وودك يشد الأخشاب ؛ بدأت ساقه حرجف بلا رحمة . عندما نظر إلى الجرح الذي أصابه به استونسكي . وجد أنه قد أصبح منتفخ ولامعاً . وفي هذه الليلة رأى وودك جرحه للحرس الذي أمره بأن يستشير طبيب المعسكر مع منصف الصباح . بقي وودك مسدقظ طوال الليل وساقه تكاد تنسحر منه ومحنة الروح السعال . ولكن السحوة كانت خفته إلى حد ما . كان يسمح له بـ **تدنيف الألم** .

في صباح اليوم التالي ؛ استيقظ وودك في ساعة أكثر بكورة من عادة . لأنه إن لم يعثر على الطبيب قبل موعد العمل المحدد في بيده إلا في اليوم التالي . لم يكن وودك يطيق تحمل مثل هذا الألم المبرح ليوم آخر .

ذهب وودك إلى الطبيب وذكر له اسمه ورقمه . كان بيير دوبان رجلاً مسناً وودوداً ، أصلع الرأس ؛ صاحب انحناء واضحة في جسمه حتى شعر وودك أنه حتى أكبر سناً من البارون في أيامه الأخيرة . تفحص ساق وودك في صمت .

سأل وودك : " هل سيشفى الجرح يا سيدى الطبيب ؟ "

" أنت تتحدث الروسية ؟ "

" نعم يا سيدى " .

" بالرغم من أنك سوف تصاب بالعرج لياقي حياتك أيها الشاب الصغير فإن ساقك سوف تصبح على ما يرام ، ولكن ما جدوى ذلك ؟ سوف تبقى باقي عمرك تقطع الأشجار هنا " .
قال وودك : " كلا يا سيدى الطبيب ، إننى عازم على الهروب والعودة إلى بولندا " .

نظر إليه الطبيب فى حدة " أخفض صوتك أيها الفتى النبى ... يجب أن تكون قد أدركت الآن أن الهروب مستحيل لقد بقيت فى السجن على مدى خمس عشرة سنة ثم يمض يوم حلالها لم أفكر فيه فى الهروب ليس هناك أمر . لم ينجح أحد فى الهروب والبقاء على قيد الحياة . وحتى الحديث فى هذا الأمر يعنى الحبس عشرة أيام فى زنزانة الفردانية ، وعده تناول الطعام إلا كل ثلاثة أيام وعدم إشعال المدفأة إلا لإدابة الجليد من على الجدران . أى أنك إن خرجت من الزنزانة حيا فهذا يعنى انت محظوظ " .

قال وودك وهو يحدق فى العجور " سوف أمرب . سوف أفعل . سوف أفعل " .

نظر الطبيب فى عيني وودك وابتم " يا صديقى . إيك أن تذكر فكرة الهروب ثانية وإلا فسوف يقتلوك عد إلى عملك ثانية . ودرّب ساقك جيداً وأعلمنى بحالتك بشكر دورى صباح كل يوم " .

عاد وودك إلى الغابة وتقطيع الأشجار ولكنه اكتشف أنه لا يقوى على سحب الأنواع لأكثر من بضعة أميال قليلة وأن الألم قد أصبح أكثر حدة حتى أنه شعر أن ساقه سوف تنهدر عندما عاد فى صباح اليوم التالى ، فحضر الطبيب ساقه بدقة أكثر .

قال الطبيب " سيئة للغاية كم عمرك يا فتى ؟ "

قال وودك : " أعتقد أنني فى الثالثة عشرة . فى أى عام نحن ؟ " .

أجاب الطبيب : " نحن فى عام ١٩١٩ " .
سأل وودك " أجل ، أنا فى الثالثة عشرة . كم يبلغ عمرك أنت ؟ " .

نظر الرجل فى عيني الفتى الصغير الزرق ، وهو مندهش من سؤله

وجسه فى هدوء " أنا فى الثامنة والثلاثين " .

قال وودك " ب إلهى " .

" سوف تبدو هكذا عند تبقى فى الأسر لمدة خمسة عشر عاماً " .
بسى . فلهذا الطبيب وكأنه يقر أمراً واقعاً

قال وودك " ما هو سبب وجودك هنا فى المقدم الأول ؟ لم تدعوت لرحل بعد كل هذا الوقت ؟ " .

سجنت فى موسكو عام ١٩٠٤ بعد أن حصلت على شهادة الطب مباشرة . كنت أعمل فى السفارة الفرنسية هناك وادعوا أنني كنت جاسوساً وزجوا بى فى سجن موسكو ظننت أن وضعى هناك كان سيئ إلى أن انتهت الثورة . حيث أرسلوني إلى هذا السجن لى نعيش فيه . حتى الفرنسيون أنفسهم قد نسوا الآن أمرى كئيبه لم يسبق أن أتم أحد فترة عقوبته فى معسكر ٢٠١ وهذا يعنى أننى حتماً سوف أموت هنا . مثل غيرى . لن يكون هذا قريباً " .

لا . يا سيدى الطبيب . يجب ألا تتخنى عن الأمر " .

" أمل ؟ لقد فقدت أملى منذ فترة طويلة . ربما يمكننى أن أتمسك بالأمل فيك أنت ، هناك سجناء هنا يمكن أن يقايضوا مثل هذه الأحاديث مقبلاً ثم زهيداً يتعدى قطعة خبز إضافية أو ربع

غطاء . الآن يا وودك ، سوف أتحكك بالعمل فى المطبخ لمدة شهر ويجب أن توصل موافقاتي بحالتك الصحية صباح كل يوم . هذا هو أملك الوحيد لكى لا تفقد ساقك وأنا لا أستسيغ فكرة كونى من سيتولى بتر ساقك . " ثم أضاف الطبيب وهو ينظر إلى سكين حادة : " نحن لا نملك أية أدوات جراحية متقدمة هنا . "

انتفض وودك .

دوّن السيد دوبار اسم وودك على قطعة ورق صغيرة وفى صباح اليوم التالى . اقتد وودك إلى المطبخ . حيث كان ينظف الأطباق بالماء المجدد ويساعد فى إعداد الوجبات التى لم تكن بحاجة إلى تجميد . بعد أن كان يقطع الأشجار طوال اليوم ، وجد أن العمل فى المطبخ مريح ، حيث كان يحصل على حساء سمك إضافي ويندول الخبر الأسود وشرائح بروت اغراض وكذات لديه الفرصة فى قضاء الوقت فى الداخل حيث التدفئة . وفى إحدى المرات أتاحت له فرصة ساول نصف بضعة مع الصلصة بالرغم من أن ي سمع لم يكن واثقا أى الطيور بأض هذه البيضة . تعافت ساق وودك ببطء ١٤ وحلفت الإصابة عرجا واضحا . ثم يكن بوسع انكبور دوبار أن يفعل الكثير لمساعدته فى غياب كل المعدات والعقاقير الطبيعية باستثناء مراقبة مدى ما يحرزّه وودك من تطور . وبمرور الأيام ، توطدت الصداقة بين الطبيب وودك حتى أنه بدأ يحدوه اسمه الممد فى المستقبل . كانا يتحدثان بلغة مختلفة فى صباح كل يوم ، ولكن صديقه الجديد كان يستمتع بالفرنسية التى كانت لغته الأم .

" بعد سبعة أيام يا وودك ، يجب أن تعود إلى عملك فى الغاية ، سوف يفحص الحراس ساقك ولن أتمكن من إبقائك فى المطبخ لأكثر من ذلك . لذا يجب أن تصفى إلى جيدها ، لأننى قد قررت خطة سوف تمكنك من الهروب "

قال وودك : " سوف نهرب سويا يا سيدى الطبيب ، سويا . " كلا ، فقط أنت . أما أنا فقد كبرت على هذه الرحلة الطويلة وسأعود من ابنى حليب بالهروب على مدى خمسة عشر عاما فإننى سوف أكتفى بمساندتك . سوف يكفينى أن ينجح شخص آخر فى تحقيق هذا الإنجاز ، أنت أول شخص قابلته وأقنعتنى بأنه يمكن أن ينجح فى هذا الأمر "

جلس وودك على الأرض فى صمت وهو ينصت إلى خبطة طبيب

" لقد ادخرت على مدى خمسة عشر عاما ، مائتى روبل ، وهو مبلغ جيد بالنسبة لسجين روسى . " حاول وودك أن يضحك على تلك المزحة القديمة المعروفة فى المسكر . " وقد احتفظت بهذا اسع مخبى فى حدى زجاجة الأدوية . أربع عملات ورقية كس منها بمبلغ خمسين روبل . عندما يحين وقت رحيلك ، سوف أحيك لك هذا المبلغ فى ملابسك . سوف أكون قد أنجزت هذه المهمة بالفعل من أجلك . "

سأل وودك : " أية ملابس ؟ " .

" إننى أملك بزة وقميصاً كنت قد رشوت أحد الحراس منذ اثنى عشر عاما لكى أحصل عليها عندما كنت مؤمنا أننى يمكن أن أهرب بالفرار . ليست البزة حديثة ولكنها سوف تفى بالغرض "

خمس عشر عاما كان قد قضاه الطبيب فى جمع مائتى روبل وقميص وبزة وكان على استعداد للتضحية بها من أجل وودك فى لحظة . لم يقدم وودك فى حياته ثانية على مثل هذا التصرف الذى يتم عن أنانية .

واصل الطبيب حديثه : " الخفيس القادم هو فرصتك الوحيدة ، سوف يصل السجناء الجدد بالقطار إلى إيركوتسك ، وقد دأب

الحراس على اصطحاب أربعة أشخاص من المطبخ لإعداد شاحذات ، بعدم اللواذيين اجدد . وقد تدبرت لأمر باعس وانتقت مع كبير الطهاة - ثم ضحك على هذه التسمية - ، إننى سوف أقدم له بعض الأدوية مقابل أن يسمح لك بأن تنضم إلى شاحنة المطبخ . لم يكن هذا مستحيلاً لأن أحدا لا يحب أن يقوم بهذه الرحلة المجهدة ذهاباً وإياباً ، ولكنك لن تقطع الرحلة إلا ذهاباً فقط " كان وودك مازال ينصت فى اهتمام .

" عندما تصل إلى المحطة ، انتظر إلى أن يصل قطار السجناء بمجرد أن يهبط الجميع على رصيف المحطة ، اعبى صف السجناء وضع نفسك فى القصر ، متحاً إلى موسكو . الذى لا يمكن أن يرحل بدون أن يصل أولاً القطر الذى يحمل السجناء ، لأنه لا يوجد سوى خط حديدى واحد فى المحطة . ادع الله أن تنجح فى الأخب ، عن أعين الحرس فى خضم زحام السجناء الجدد الذين سوف يجمع بهم المكان . منذ هذه اللحظة فصاعداً ، سوف تكون حراً ، تذكر انهم إن عثروا عليك فسوف يطلقون عليك النار من فورهم بدون لحظه تردد واحدة . هناك شيء واحد فقط يمكننى أن أفعله من أجلك . منذ خمسة عشر عاماً عندما جئت إلى هنا ، كنت قد رسمت خريطة من لذاكرة لطريق من موسكو إلى تركيا . ربما لم تعد صحيحة بشكل كامل . ولكنها سوف نفي بغرضك . ولكن احرص على التأكد من أن لروس لم يحتلوا تركيا أيضاً . يعلم الله إلى أى مدى قد وصوا إلى الآن . ربما يكونون قد وضعوا أيديهم على فرنسا أيضاً "

ذهب الطبيب إلى خزانه الأدوية وسنخرج زجاجة كبيرة بدت وكأنها تحوى على كمية كبيرة من مادة بنية . فاك غطه ، زجاجة وأزال قطعة قماش قديمة . كان الحبر الأسود قد بهت لونه على مدى السنوات . كانت الورقة تحمل تاريخ " أكتوبر عام ١٩٠٤ "

وكبت تحتوى على خارطة للطريق من موسكو إلى أوديسا ومن أوديسا إلى تركيا ، إنها مسافة ١٥٠٠ ميل نحو الحرية " تعال لتقابلنى صباح كل يوم على مدى هذا الأسبوع وسوف تراجع الخطة مراراً وتكراراً سوياً . وهذا يعنى أنك إن فشلت فلن يكون السبب هو نقص الإعداد " .

بقى وودك مستيقظ طوال الليل على مدى الأيام التالية وهو يحدق إلى الشمس عبر النافذة ، ويراجع خطة تصرفه فى ظل كل موقف ، ويعد نفسه لكل احتمال ممكن . وفى الصباح كان يراجع الخطة مراراً وتكراراً مع الطبيب . فى مساء يوم الأربعاء الذى سبق محاولة وودك للهرب نسي الطبيب اخريطة على ثمانى ثنيات ووضعها مع ورقين لخمسين روبل الأربع فى لفافة صغيرة وحباك اسدقه فى كم البيرة . خضع وودك ملابسه وارسد قميم البزة ثم اعد ملابى السجن فوقها . بينما كان وودك بعيد ارسدها رى السجناء . وضع بصير لطبيب على الأسورة الفضة للبارون ، والننى كان وودك يحفظ بها فوق مرفقه منذ أن تلقى زى السجن لكى لا يرد الحرس ويقدموا على سرقة الكنز الوحيد الذى بقى له .

سأل الطبيب " ما هذا " إنها أسورة رائعة " قل وودك " إنها هدية من أبى . هو يمكننى أن أمنحك إبى كى أعبرك عن مدى شكرى " ثم خلع الأسورة من معصمه وأعطها لطبيب .

أخذ طبيب يحدق فى الأسورة الفضية عدة لحظات ثم نكس رأسه قائلاً " كلا لا أفيل أيد . إن هذه الأسورة لا يمكن أن تقتنى إلا من قبل شخص واحد فقط " . بدأ الطبيب حديثه فى هدوء مع النسى . " لابد أن والدك كان رجلاً عظيماً "

أعاد الطبيب الأسورة ثانية إلى معصم وودك وصافحه بحرارة بيده .

" حظا سعيدا يا وودك . أتمنى ألا نلتقي ثانية أبدا " .

احتضن كل منهما الآخر ثم سار وودك لبيبت - كما كان يمدح الله - ليلته الأخيرة في السجن . عجز عن الاستسلام للنوم طوال الليل خشية أن يكتشف أحد الحراس البزة التي كان يرتديها تحت ملابس السجن . وعندما دق جرس الصباح ، كان بالفعل قد ارتدى ملابس وحرص على عدم التحرر عن المطبخ . دفع أكبر السحب في المطبخ وودك إلى الأمام عندما جاء الحرس لاستلام تفاصيل شاحنة الطعام . كان الفريق مؤلفاً من أربعة أشخاص فقط . وكان وودك من الأصغر سناً بفارق كبير .

سأل الحارس وهو يشير إلى وودك : " لم اخترت هذا الشخص ؟ "

توقف قلب وودك وتسربت البرودة في كل أنحاء جسمه . غرأوشكت خطة الطبيب على الفشل ولن تصل دفعة جديدة من السجناء إلى المعسكر قبل ما لا يقل عن ثلاثة أشهر . وعندها سوف يكون قد استبعد من المطبخ .

قال المسجون الأكبر سناً : " إنه طاه ممتاز ، لقد تدرب في قصر البارون إنه الأفضل لحرس " .

قال الحرس وقد سبق صدعه تشككه : " جر سريع إذن "

أسرع الضباط الأربعة إلى الشاحنة - وبدا الركب يشق طريقه بدأت الرحلة بطيئة وقسية . وكر على الأقصر كس راكب داخل الشاحنة في هذه المرة كما كان الوقت صيف وليس شتاء غير محتبل كما في المرة السابقة . بدأ وودك جبهته في إعداد عصمه . لم يكن

يريد أن يلحظه أحد ولم يكن يتحدث تقريباً مع أى شخص طوال الرحلة باستثناء ستانيسلو ، كبير الطهاة .

وعندما وصل الركب في النهاية إلى إيركوتسك ، كان الطريق قد تنقرو ما يقرب من ستة عشر يوماً . كان القطار المتجه إلى موسكو موجوداً بالفعل في المحطة . كان قد وصل إلى هناك منذ عدة ساعات بالفعل ولكن لم يكن من الممكن أن يبدأ رحلته إلى موسكو من وصول القطار الآخر المحمل بالسجناء الجدد . بقي وودك جالساً على حافة الرصيف مع باقي زملائه في المطبخ ، بقي الثلاثة بلا أى رغبة أو هدف في التطلع إلى أى شيء يحيط بهم ، بعد أن سئموا حياتهم . أما الرابع الذي هو وودك فقد بقي منتبهاً ويقظ يحرس ما يجري من حوله ، أخذ يدرس بمنتهى الحرص القطار واقف في الجانب المقابل من الرصيف . كانت هناك أربعة مداخل تنظر انتقى من بينها وودك المدخل الذي سوف يستخدمه حينئذ نحن اللحظة الموعودة .

سأله ستانيسلو فجأة : " هل أنت عازم على الفرار ؟ " .

بدأ وودك يتصبب عرقاً ولكنه لم يجب .

أخذ ستانيسلو يحدث إليه : " أنت بالفعل عازم على ذلك " .

على وودك صدم دون أن يصور بكلمة واحدة

ومن طاهى الكبير سألته سفتى ذى اثلاثة عشر عاماً ثم أوما

بموقفه لو كان لديه زيب . كان لديه قد تحرك

حتى سعد سوف أحرص على صرف تنبيههم عن تغيبك

لاظن مرة ممكنة

ربت ستانيسلو ذراعه وعندها مع وودك فطار اسجند . وقد لاح

من على بعد وسار يشق طريقه ببطء في اتجاههم شعر بتوتر وهو

تقرب وصوله في حماس ، وخفق قلبه ، وأخذت عيناه تراقبان

تحرك كل جندي من الجنود . انتظر لحين توقف القطار المتبلر وأخذ يراقب السجناء الموثوقين بالقيود وهم يمرون فوق رصيف المحطة ، كان هناك المئات ، كانوا رجالا مجهولين لا يملكون سوى ماضيهم . عندما دببت الفوضى في أنحاء المحطة وعجت بالسجناء ورجال الحرس وانهمك الحرس في عملهم ، جرى وودت تحت قطار السجناء وقفز داخل قطار موسكو . لم يبد أحد أية بادرة اهتمام به عندما ذهب إلى دورة المياه في نهاية القطار ، أغلق على نفسه الباب وأخذ يتضرع إلى الله في كل لحظة ألا يطرق أحد عليه الباب . مر الوقت على وودك وكأنه دهر قبل أن يشرع القطار في التحرك من المحطة . لم يكن قد مضى في واقع الأمر سوى سبع عشرة دقيقة .

" أخيرا ، أخيرا " قالها بصوت مرتفع . ثم نظر من خلال نافذة صغيرة في دورة المياه وأخذ يتأمل المحطة وهي تزداد تضاؤلا في الحجم كلما ابتعد القطار عنها ، أخذ يراقب كتلة السجناء الجدد الموثوقين في القيود ، وهم يصدد قطع رحلتهم نحو المعسكر ٢٠١ . كان الحراس يتضحكون وهم يوثقونهم بالقيود . كم منهم سيصل إلى المعسكر حيا ؟ كم منهم ستلتهمه الذئاب ؟ كم سيمضي من الوقت إلى أن يفتقدوا وجوده ؟

بقى وودك جالسا في دورة المياه لمدة دقائق إضافية أخرى ، مرتعدا من أي تحرك ، غير مدرك لما يجب أن يقوم به . وفجأة سمع طرقا على الباب . توالى الصور سريعا على عقله . هل هو أحد الحراس ؟ أم أنه جامع التذاكر أم هو جندي ؟ توالى الصور على عقله ، وكل واحدة منها تثير فزع أكثر من السابقة . كان بحاجة لاستخدام المرايا للمرة الأولى . ولكن الطرق بقي متواصلا .

جاءه صوت روسي أجش : " هيا أسرع ، أسرع " . لم يكن أمام وودك أي خيار حقيقى . إن كان جنديا ، فهذا يعنى أنه ليس أمامه مهرب ، لا يمكن لأى شىء حتى وإن كان نباتا أو حيوانا أن يخرج من تلك النافذة الصغيرة . إن لم يكن الطارق جنديا ، فسوف يجذب الانتباه ببقائه في دورة المياه . خلع وود ملابس السجن وطواها في نفاة صغيرة قدر الإمكان . ثم ألقى بها من النافذة . ثم استخرج قبعة مطوية من جيب بزته وغطى بها رأسه الحليق ثم فتح الباب . اندفع رجل حائق داخل المرايا وخلع بنطاله حتى قبل أن يفادر وودك المرايا .

بمجرد أن خرج في ردهة القطار ، شعر وودك بالعزلة وشكله اثير لريبة وهو يرتدى بدته البنية - شعر وكنه ثمرة تفاح وسط كومة برتقال . خرج على الفور يبحث عن مرايا آخر . وعندما عثر على مرايا خال آخر ، دخله على الفور وأغلق على نفسه الباب وبدأ يستخرج النقود من داخل كفه . أصاد أربعة منها ثم خرج في الردهة . أخذ يبحث عن أكثر العربات ازدحاما وزج نفسه بداخلها وانزوى في أحد أركانها . كان هناك زمرة من الرجال في منتصف العربة يلعبون لعبة مراهنات مقابل مبلغ نقدي ضئيل . كان وودك يهزم ليون دائما في هذه اللعبة عندما كانا في القصر وشعر برغبة في المشاركة ولكنه خشى أن يغوز ويجذب الانتباه إليه .

تواصل اللعب لفترة طويلة وبدأ وودك يتذكر المهارات التي اكتسبها في حياته . كانت رغبته الملحة في المقامرة بال ٢٠٠ روبل التي كان يحملها لا تقاوم .

ثم جاء أحد المقامر الذين كان قد خسر مبلغ كبيرا من نقوده ، وجلس بجوار وودك في استياء وهو يسب ويتوعد .

قال وودك ، وكأنه يريد أن يسمع صوته : " لم يحالفك الحظ " .

قال المقامر : " إنه ليس الحظ ، إننى فى معظم الأيام أستطيع أن أهزم هؤلاء الفلاحين ، ولكننى لم أعد أملك المال " .
سأله وودك : " هل تريد أن تبيع معطفك ؟ " .

كان المقامر من بين الركاب القلائل الذين يرتدون معطفا قديما سميكاً جيد المظهر من فراء الخروف . حصد الرجل إلى الصبي الصغير .

" ولكنك لا تملك ثمنه يا فتى " . استشعر وودك من إجابة الرجل أنه يمتنى لو كان يملك ثمنه . " إننى أريد سبعين روبل مقابل المعطف " .

قال وودك : " سوف أعطيك أربعين روبل " .

قال المقامر : " ستين " .

قل وودك : " خمسين " .

قل المقامر : " كلا ، سنون روبل هو أقل سعر يمكنك أن تبيع المعطف مقابله . إنه يساوى أكثر من مائة روبل " .

قال وودك وهو يفكر فى كل ما سوف يوحى به استخراج النقود من بطانة كم سترته لكى يمنحه المبلغ كاملاً : " أجل كان يساوى مائة روبل منذ زمن طويل " . وقد قرر ألا يقدم على ذلك بكى لا يجذب الانتباه إليه ، كان يجب عليه أن ينتظر فرصة أخرى . لم يكن وودك يريد أن يظهر أنه لا يملك ثمن المعطف . فمس ياقة المعطف وقال فى احتقار واضح : " لقد دفعت الكثير من أجل اقتنائه يا صديقى . خمسون روبل فقط ولن أضيف فوقها " ، ثم نهض وودك وكأنه على وشك الانصراف .

قال المقامر : " انتظر ، انتظر ، سوف أقبل الخمسين روبل " .

استخرج وودك المبلغ من جيبه ومنحها للرجل الذى خلع معطفه فى المقابل . كان المعطف كبيراً جداً بالنسبة لودك حتى أنه يكاد يلمس الأرض ، ولكنه حقق له المراد المطلوب تحديداً ، وهو إخفاء تلك البزة المثيرة للريبة التى كان يرتديها . ظل على مدى بضع لحظات يراقب المقامر الذى عاد للعب ثانية وللخسارة ثانية . وقد تعلم وودك من معلمه الجديد شيئين ، أولاً ألا تقدم على المقامرة أبداً ما لم يكن الحظ يحالفك وهو ما سوف تدركه من خلال خبرتك الواسعة . وثانياً أن يكون على استعداد للإفلات من أى اتفاق عندما تكون وصلت إلى أقصى حد لك .

غادر وودك العربية وهو يشعر أنه قد أصبح آمناً قليلاً فى ظل معطفه الجديد . بدأ يتجول فى القطار الذى كان يركبه ، بمزيد من الثقة . كانت العربات نفسها بن درجتين . الدرجة العمة حيث دس الركاب بعمون أو يجلسون على أسطح خشبية ، ودرجة خاصة حيث كان الركاب يجلسون فيها على مقاعد وثيرة . وقد كانت كل العربات ممتلئة عن آخرها باستثناء عربة خاصة واحدة كانت تجلس فيها سيدة وحيدة . كانت السيدة فى منتصف العمر وفق تقدير وودك ، كما كانت ترتدى ثياباً أكثر رقياً من باقى ركاب القطار . كانت ترتدى فستاناً غامق الزرقاء وكانت تغطى شعرها بوشاح . بينما وقف وودك يحدق إليها فى تردد ، ابتسمت له مما شجعه على دخول العربة .

" هل يمكننى الجلوس ؟ " .

قالت السيدة وهى تنظر إليه فى حرص : " على الراحب والسعة " .

لم يتحدث وودك ثانية ولكنه كان - كلما أتاحت له الفرصة - يدق فى المرأة ومقتنياتهما . كان جلدتها شاحباً تشقه تجاعيد متعبة

وكن جسدها يميل إلى الامتلاء وهو ما لم يحدث إلا نادرا عند تنوُّل
صنم الروسي كان شعرها الأسود القصير وعيناها البيتان توحين
بأنها كانت جذابة في شبابها . كنت تحمل أيضا حقيبتين
كبيرتين تضعهم فوق الرف العلوى في القصر وحقيبة صغيرة كنت
تحتفظ بها بحوارها بالرغم من خطورة موقفه . فقد شعر وودك
فجأة أنه في حالة إعياء شديد ولكنه كن يشعر أنه لا يجرؤ على
الاستسلام للنوم . وعندها تحدثت السيدة

" ما هي وجهتك ؟ "

فاجأ السؤال وودك فأجاب وهو يكتم أنفاسه " موسكو "

قالت السيدة " وأنا أيضا "

كن وودك قد بدأ بالفعل بشعر بالندم على وجوده في هذه
العربة المنعزلة وهذه الملعونة التي فيها بالرغم من قلة أهميتها . فقد
قال له الطبيب محذرا " لا تتحدث مع أى أحد . لا تثق
بأحد " .

ولكن السيدة لم تطرح عليه أية أسئلة أخرى مما أشبع الشعور
بالارتياح في نفس وودك بينما بدأ يستعيد ثقته المفقودة . ظهر
جامع التذاكر بدأ وودك يتسبب عرف . بالرغم من أن درجة
الحرارة كانت أقل من ٢٠ درجة تحت الصفر أخذ الرجل تذكره
السيدة وشطرها وأعادها إليه ثم استدار ناحية وودك
تذكرتك يا فتى " . كنت هذه العبارة هي كل ما قاله الرجل
في ثورة بطيئة رتيبة .

ثم ينس وودك ببنت شفة وأخذ يعيث في حبوب معطفه بحث
عن بعض النقود

قالت السيدة في حزم " إنه ابني "

نظر إليها جامع التذاكر وألقى على وودك نظرة ثانية ثم حيا
السيدة وغادر بدون أن يصيف كلمة أخرى

خذ وودك بتأليب تعتم قائلا " أشكرك " وهو لا يدرى ما
سعى يمكن أن يقوله أكثر من ذلك

قالت امرأة في هدوء " لقد شاهدتك وأنت تتسلل تحت قطر
السيارة شعر وودك بالغيثان . " وكنتي لن أتخلي عنك . فلدى
ابن عم شاب في هذه المعسكرات الرهيبة . كل نشعر بالفرح من أن
يستهي بنا أمك يوما هذا في هذه المعسكرات بنشعة التي سمعت
عني ما الذى ترتديه تحت معطفك ؟ "

وازن وودك بين المزايا المحتملة للهروب من القطر وفتح
معطفه . ان هرب من القطر . فليس هناك مكان يمكنه أن يخفى
فيه بداخله ففتح وودك معطفه .

قالت السيدة " ليس سيئا بقدر ما تخيلت وكيف تخلصت
من زى السجن ؟ "

لعد بقيته من المناقضة

لنأمن ألا يعثر عليه أحد قبل وصولك إلى موسكو "

ثم ينطق وودك بكلمة

هل لديك مكان تذهب إليه في موسكو ؟

عكر وودك ثانية في نصيحة الطبيب بألا يثق في أحد ولكن كن
يحب عنيه أن يثق بها .

" ليس لدى مكان أذهب إليه " .

" إن لم يمكنك أن تبقى معي لن تعثر على مكان تعيش فيه
ن زوجي هو نظر محطة موسكو وهذه العربة مخصصة فقط لوظفي
الحكومة " ثم أضافت السيدة " إن اقترعت هذا الخطأ ثانية
فسوف يرسلونك ثانية إلى إيركوتسك "

ابتلع وودك ريقه عندها وقال : " هل يجب أن أرحل الآن ؟ " " لا ، لا يمكن أن ترحل الآن بعد أن شاهدك جامع التذاكر . سوف تكون أكثر أمنا متى في لوقت الراحن . هن تحسن لـ الأوراق هوية ؟ " " كلا . ما هي هذه الأوراق ؟ "

" منذ أن اندلعت الثورة وكل مواطن روسي أصبح يحمل أوراقاً لإثبات هويته والمكان الذي يعيش فيه ومقر عمله ؛ وإلا فسوف ينتهي به المآل إلى أن يزوج به في السجن لحين استصدار الأوراق المطلوبة . وبما أنه سوف يعجز عن استصداره في السجن فهذا يعني أنه قد حكم عليه بالبقاء هناك مدى الحياة ، لذا يجب أن تبقى قريباً مني عندما نصل إلى موسكو . واحرص على ألا تتفوه بكلمة "

قال وودك في ارتياب : " لقد أغدقت عليّ يا سيدتي " . أضافت : " لقد توفي القيصر الآن ولم يعد أحد منا في مأمن . لقد أسعدني بحظ بالتزوج من الرجل المناسب . ولكن لم يعد هناك مواطن روسي واحد - بما في ذلك موظفو الحكومة - لا يشعر بخوف دائم من الاعتقال والاتحاق بالمسكرات . ما اسمك ؟ " " وودك " .

" حسناً . والآن ثم يا وودك لأن علامات الإعياء تبدو واضحة عليك ومازالت الرحلة طويلة كما أنك لست بعد في مأمن " . نام وودك .

وعندما استيقظ ؛ كانت قد مرت عدة ساعات وكان الظلام قد حل بالفعل في الخارج . أخذ يتأمل السيدة التي وفرت له الحماية فابتسمت . فابتسم لها وودك وهو يتضرع إلى الله ألا تبلغ عنه المسؤولين . ترى هل أقدمت على ذلك بالفعل ؟ قدمت له بعض

الطعام من إحدى اللغافات التي كانت تحملها ؛ تناولها وودك في صمت . عندما وصلوا إلى المحطة التالية ؛ خرج كل الركاب تقريباً من القطار . غادر البعض نهائياً وخرج البعض الآخر لإراحة الأوصال التي تيبست من طول الجلوس داخل القطار ، بينما خرج فريق ثالث بحثاً عن بعض المربطات .

نهضت السيدة متوسطة العمر ونظرت إلى وودك وقالت له : " تنسى " .

نهض وافقا وتبعها فوق رصيف المحطة . هل هي بصدد إعاداته شبيهة ؟ خرجت منه فسك به مثب يفص أي طفس في الثلثة عشرة من عمره مع أمه . سارت نحو دورة المياه الخاصة بالسيدات . تردد وودك ولكن أصرت السيدة . وما إن دخلا المرحاض ؛ طلبت منه أن يخلع ملابسه . فاطاع أمرها بلا مناقشة ، إذ لم يعد ذلك الفتى العنيد منذ وفاة البارون . وعندما خلع ملابسه ؛ كانت هي قد فتحت الصنبور الوحيد الذي قطر بعد غناء قطرات من الماء البنى الهارد . شعرت بهثيان . أما وودك فقد كنت نوعية الماء تفوق كثيراً نوعية الماء الذي كان متوافراً في المعسكر . بدأت السيدة تنظف جروحه بواسطة فوطة مبللة وحاولت ولكن بلا جدوى أن تنظف جسده . ولكنها شعرت بالنفور عندما شاهدت الجرح الغائر في ساقه . لم يبد وودك أية إشارة للتذمر الناجم من الألم الذي كان يشعر به مع كل لمسة ؛ بالرغم من أن السيدة كانت تبذل جهداً لكي لا تشعره بالألم .

قالت السيدة : " عندما نعود إلى البيت ؛ سوف أداوى هذه الجروح بشكل أفضل . ولكن هذا يكفي الآن " .

ثم رأته السيدة السوار الفضى وتفحصت النقش الذى كما محفوراً فيه وقالت لـ " وودك " : " هل هذا ملكك ؟ ، ترى معن سرقته ؟ "

شعر وودك بالاستياء وأجاب قائلاً : " كلا ، إننى لم أسرقه ، بل منحني إياه أبى قبل وفاته "

أخذت تحديق إليه ثانية ولكن بنظرة مختلفة تماماً فى عينيها . هل هو الخوف أم الاحترام ؟ أحنّت رأسها قائلة : " احذر يا وودك . هناك من يمكن أن يقدم على القتل لكى يفوز بهذه الجائزه الثمينة " .

أولاً بالموافقة وأخذ يرتدى ملابسه سريعاً ثم عاد الاثنان إلى العربية . لم يكن التأخر لمدة ساعة أمراً مستغرباً فى محطة المقطار . وعندما بدأ القطار يتحرك فى طريقه ، شعر وودك بالسعادة عندما بدأت الإطارات تدور من تحته . استغرق القطار اثني عشر يوماً ونصف اليوم إلى أن وصل إلى موسكو . كان وودك والسيدة يبران بنفس الإحراجات كلف ظهر لهم جامع التذاكر فى المقطار . بدأ وودك لأول مرة فى حياته يحاول أن يبدو بريئاً وصغيراً ، أما هى فقد كانت أمماً مقنعة . كان كل جامعى التذاكر يحيون السيدة فى منتبى الاحترام مما دفع وودك إلى الاعتقاد بأن وظيفة ناظر المحطة لا بد أن تكون إحدى الوظائف شديدة الأهمية فى موسكو .

حين انتهاء الرحلة التى استغرقت ألف ميل إلى موسكو ، كان وودك قد وثق تماماً فى السيدة وكان يتطلع إلى رؤية منزلها . كان القطار قد وصل إلى موسكو فى محطته النهائية الأخيرة فى وقت مبكر من الظهيرة ، وبالرغم من كل شيء فقد عاود وودك ثانية الشعور بالفرح والخوف من المجهول . لم يكن قد سبق له من قبل أن زار مدينة كبيرة ، ناهيك عن كونها عاصمة روسيا ، لم يكن قد

سبق له أن رأى من قبل كل هذا الكم من البشر وهو يهرع من حوله . أحصت المرأة بما يشعر به من فزع .

" اتبعنى ، لا تتنطق بكلمة ولا تخلع القبعة من فوق رأسك " .

أنزل وودك حقائبها من فوق الرف العلوى ، ووضع القبعة على رأسه . الذى كان قد نما فيه بمرور الوقت بعض الشعر الأسود قصير - وثبتها فوق أذنيه وسار خلف السيدة فوق الرصيف . كان حدث حشد من البشر عند الحاجز فى انتظار الخروج من الباب خروجاً . كان هذا اندحس قد أعد لكى يظهر كل شخص أوراق هويته للحارس قبل المرور . بينما اقترب هو والسيدة من الحاجز ، سمع وودك قلبه وهو يخفق فى عنف وكأنه دقات الطبول ، ولكن عندما حان دورهما تبدي هذا الخوف فى لحظة . حيث اكتفى الحارس بلقاء نظرة سريعة على أوراق السيدة .

سأله الحارس وهو يلقى عليه التحية . " وأنت بى فتى . أليس أوراق هويتك ؟ "

فالت السيدة : " إنه ابنى " .

حيث الحارس ثانية ، وأضاف : " أجل بالطبع . تفضل يا فتى "

كان وودك قد أصبح الآن فى موسكو .

بالرغم من الثقة التى كان قد وضعها فى رفيقته الجديدة ، كانت أول رغبة قد حدثت هو أن يهرب ، ولكن بما أن ١٥٠ رويبل لم تكن كافية لتدبر نفقات الحياة ، فقد قرر أن يبقى مع السيدة حيث إنه سوف يكون بوسعه أن يهرب دائماً فى فرصة لاحقة . كان هناك حصان وعربة فى انتظارهما لدى خروجهما من المحطة أقلت السيدة وابنها إلى بيتها الجديد . لم يكن ناظر المحطة موجوداً هناك عندما وصلا إلى المنزل ، لذا أسرع المرأة لتعد

الفراش الإضافي لودوك . ثم صبت الماء وسخنه فوق المدفأة ؛ ومالت به حوض الاستحمام . كان هذا هو أول استحمام له منذ أكثر من أربع سنوات باستثناء المرات التي كان ينظف فيها نفسه في المجرى . سخنت المزيد من الماء وأضافت الصابون وأخذت تنظف ظهره . بدأ لون الماء يتغير وبعد عشرين دقيقة تحول لون الماء إلى السواد . بمجرد أن جفف وودك نفسه ، بدأت السيدة تضع بعض الدهان على جسده وساقبيه وتضمد الأجزاء التي بدت أكثر تضرراً من جسده . أخذت تحدق إلى حلمته الواحدة . ارتدى ملابسه سريعاً ثم لحق بها في المطبخ . كانت قد أعدت بالفعل إناء من الحساء الساخن وبعض البقول . التهم وودك غذاءه في نهم . لم ينطق أى منهما بكلمة واحدة . عندما انتهى من تناول وجبته ، رأت السيدة أنه يجدر به أن يأوى إلى فراشه وينال قسطاً من الراحة .

قالت السيدة : " لا أريد أن يراك زوجى قبل أن أخبره بسبب وجودك هنا . هل تحب أن تبقى معنا يا وودك ، إن وافق زوجى ؟

أوما وودك بالموافقة في امتنان .

قالت السيدة : " إذا ذهب الآن إلى فراشك

أطاع وودك أمر السيدة وأخذ يتضرع إلى الله أن يوافق زوج السيدة على أن يعيش معها . بدأ يخلع ملابسه في تودة ثم صعد فوق السرير . كان السرير نظيفاً للغاية وكانت الملاءات نظيفة للغاية وكانت مرتبة نعمة ووثيرة . ثملقى التوسل على الأرض وبكن الإنهاك كان قد دفعه إلى الاستسلام للنوم بالرغم من وشارة الفراش المريح . استيقظ من نومه العميق بعد مرور بضع ساعات قليلة على أصوات مرتفعة صادرة من المطبخ . لم يتمكن من تحديد الوقت الذي استغرقه في النوم . كان الظلام قد حل في الخارج عندما تسلسل من

سريته ومارتحو الباب ؛ وفتحته برفق وأخذ ينصت إلى الحوار الدائر في المطبخ .

" أنت امرأة حمقاء " ، سمع وودك العبارة في صوت حاد . " ألا تدركين ما كان يمكن أن يحدث إن كان قد قبض عليك ؟ كانوا سيرسلونك أنت إلى معسكرات الاعتقال "

" ولكنك لو رأيته يا بيوتر ، لقد كان أشبه بالحيوان المطارد " قال الرجل : " لذلك فقد قررت أن تحيلينا جميعاً إلى حيوانات مطاردة . هل رآك أشخاص آخرون ؟ "

أجابت المرأة : " كلا ، لا أظن ذلك . "

" نحمد الله على ذلك . يجب أن يرحل على الفور من هنا قبل أن يدرك أى شخص أنه موجود . هذا هو أملنا الوحيد . "

أخذت الزوجة ترجو زوجها : " ولكن إلى أين يذهب يا بيوتر ؟ إنه تائه ولا يعرف أحداً . كما أنني طالما أردت أن يكون لي ولد " " أنا لا أكثرث بما تريدن أو إلى أين يذهب ، هذه ليست مسئوليتنا ويجب أن نتخلص منه سريعاً . "

" ولكن يا بيوتر ، أعتقد أنه من أصل ملكى ، أعتقد أن والده كان باروناً . إنه يرتدى سواراً فضياً حول معصمه محفور عليه

" إن هذا لا يزيد الأمور إلى سوء . أنت تعلمين جيداً ما قبره زعمائنا الجدد . لا للقيصرية ، لا للملكية ، لا للامتيازات . إننا حتى لم نملك وقتاً للذهاب إلى المعسكر لأن السلطات سوف تقتلنا في مكاننا . "

" ولكننا طالما أردنا أن تنجب ولداً يا بيوتر . ألا يشجعنا هذا على أن نقدم على هذه المجازفة الوحيدة في حياتنا ؟ "

فى حياتك أنت ربما ولكن فى حياتى أنا فلا . أنا أقول إنه يجب أن يرحل ويجب أن يرحل الآن .

لم يكن وودك بحاجة إلى الاستماع إلى المزيد من الحوار . وقد قرر أن الطريقة الوحيدة التى يمكن أن يساعد بها السيدة التى أوتته وأحسننت إليه هو أن يختفى بدون أن تدرى فى ظلام الليل . فارتدى ملابس سريعا وأخذ يتأمل الفراش الوثير آملا ألا تمر أربع سنوات أخرى قبل أن تتسنى له فرصة النوم فى سرير مشابه . كان بصدد فتح النافذة عندما فُتح الباب ودخل ناظر المحطة إلى الغرفة ؛ كان رجلا ضئيلا ؛ لا يتعدى طوله وودك وكان صاحب بطن كبيرة ورأس صلعا باستثناء بعض الخصلات الرمادية التى كان يستحيل تشييطها بشكر لائق ولبتى كنت تبدو وكأنها ريشة . كان الرجل يرتدى نظارة غير مؤطرة كانت قد تركت أنصاف دوائر حمراء تحت كل عين . وكان يحمل لمبة إضاءة من البرفين . وقف يتأمل وودك بينما وقف وودك يتأمله هو الآخر فى ريبة .

قال الرجل فى لهجة أمرة : " تعال فى الدور السفلى " :
سار وودك خلف الرجل فى تردد نحو المطبخ . كانت المرأة تبكى وهى جالسة على المائدة .

قال الرجل : " الآن ؛ اصغ إلى يا فتى " .

اعترضته السيدة قائلة : " اسمه وودك " .

" والآن ؛ اصغ إلى يا فتى " كرر الرجل عبارته . " أنت سوف تكون بمثابة مصدر مشاكل بالنسبة لنا وأريدك أن تخرج من هنا وتذهب فى أبعد مكان . سوف أخبرك بما سوف أفعله لكى أساعدك " .

" تساعدنى ؟ " تأمله وودك فى ذهول .

" سوف أمنحك تذكرة قطار . إلى أين تريد أن تذهب ؟ "

" أوديسا " . قال وودك ذلك وهو يجهر مكان هذه المدينة وقيمة التكلفة التى سوف يتكبدنها للوصول إلى هناك ؛ كان كل ما يعلمه هو أنها كانت المدينة الثانية فوق طريق الحرية كما جاء فى خريطة الطبيب .

" أوديسا ؛ أم الجريمة ؛ إنه مكان مناسب " . قالها ناظر المحطة فى تهكم . " ولكنك سوف تتعرض للأذى هناك " .
" إذا دعه يبقى معنا يا بيوتر . سوف أتولى مهمة رعايته ؛ سوف ... " .

" كلا ؛ يستحيل ؛ سوف أدفع لهذا اللقيط لمن التذكرة " .
قالت المرأة فى توسل : " ولكن كيف سينجح فى اجتياز السلطات ؟ " .

" سوف أصدر له تذكرة وبطاقة مرور إلى أوديسا " . ثم أدار رأسه فى اتجاه وودك : " بما أن تستقر على متن القطار ؛ يا فتى ؛ إن سمعت عنك أو رأيتك ثانية هنا فى موسكو فسوف أقبض عليك بنفسى وأزج بك فى أقرب سجن . وسوف تعاد ثانية إلى معسكر الاعتقال بأسرع ما يمكن ؛ هذا إن لم أطلق النار عليك أولا " .

أخذ الرجل يتأمل الساعة المعلقة على رف المطبخ ؛ كانت تشير إلى الحادية عشرة وخمس دقائق . استدار نحو زوجته : " هناك قطار سوف يرحل إلى أوديسا فى منتصف الليل . سوف أصحبه إلى المحطة بنفسى . أريد أن أتأكد من أنه سوف يغادر موسكو . هل تحمل أية حقائب يا فتى ؟ "

كان وودك على وشك أن يجيب بالنفى ؛ عندما قالت له السيدة : " نعم ؛ سوف أذهب لإحضار الحقائب " .

سأل وودك فى تشكك : " هل هذا هو جواز مرورى ؟ " .
استخرج الرجل من جيبيه الداخلى أحد النماذج الرسمية ووقع عليها بسرعة وأعطاهها لودوك خلسة . بقيت عيننا ناظر المحطة تدوران فى كل أنحاء المكان تقريبا لآى خطر محقق . كن وودك قد رأى مثل هذه العيون كثيرا على مدى السنوات الأربع الأخيرة . إنها عيون الجبناء .

قال ناظر المحطة فى نبرة تهديد المحتالين : " إياك أن أراك وأسمع عنك ثانية " . كان وودك قد سمع هذا الصوت كثيرا على مدى سنوات لأربع الماضية .

رفع عيبيه وكانت يدها تقول شئ . ولكن ناظر المحطة كن قد نوارى بنظره فى سواد الليل الحالكة حيث مكانه المناسب . أخذ وودك ينظر فى أعين الناس الذين كانوا يمرون بسرعة بجانبه . نفس العينين . نفس الخوف . هل هناك شخص يشعر بالحرية فى ظل هذا العالم ؟ أحكم وودك قبضته على اللقافة الورقية بنيسة اللون تحت ثيابه . وثبت قبضته فوق رأسه وسار نحو الحاجز . كان يشعر فى هذه المرة بمزيد من الثقة . استخرج جواز مروره وأبرزه للحارس الذى سمح له بالمرور بدون تعليق . صعد على متن القطار . كانت زيارته إلى موسكو قصيرة كما أنه لن تتاح له فرصة رؤيتها ثانية فى المستقبل . بالرغم من أنه لن ينسى أبدا طيبة السيدة التى قابلها ، زوجة ناظر المحطة ، يا إلهى ! لم يكن حتى يعرف اسمها . بقي وودك جالسا فى عربة الدرجة العامة بالقطار لى يقطع رحلته . كانت المسافة بين أوديسا وموسكو أقل كثيرا من المسافة التى تفصل بين إيركوتسك وموسكو . كان طول المسافة يقترب من طول إصبع واحد على خريطة الطبيب ، كانت على بعد ٨٠٠ ميل فى واقع الأمر . بينما كان وودك يدرس خريطة الهدائية ، لغت

أخذ وودك وناظر المحطة يتأملان بعضهما البعض باحتتار متبادل . غابت المرأة لفترة طويلة . دقت ساعة الجد مرة واحدة فى غيابها . لم يكن أى منهما قد تفوه بكلمة بينما بقيت عيننا ناظر المحطة مثبتتين على وودك . عندما عادت زوجة الرجل ، كانت تحمل لفافة ورقية كبيرة بنيسة اللون مربوطة بشريط . أخذ وودك يحدق فيها وكان على وشك الاعتراض ولكن عندما نظر فى عين السيدة ، استشعر مدى الخوف الذى كانت تشعر به فما كان منه إلا أن أجاب فى اقتضاب : " أشكرك " .

قالت السيدة وهى تزج بإناء الحساء الخاص بها فى اتجاه وودك : " تناول هذا " .

أطاع وودك أمرها ، بالرغم من أن معدته المتقلصة كانت فى ذلك الوقت ممتلئة عن آخرها ، تناول الحساء فى أسرع وقت ممكن . حتى لا يسبب بها المزيد من المشاكل .

فار الرجل " حيوان " .

نظر إليه وودك وقد ساء له عيبيه . وضعه بالتسليم بحذر السيدة على أن قد حكم عليها أن تظل مربوطة بهذا الرحل طوال حياتها .

قال ناظر المحطة : " تعال هنا يا فتى ، لقد حان وقت الرحيل . نحن لا نريد أن يفوتك القطار ، أليس كذلك ؟ " .

سار وودك خلف الرجل خارجا من المطبخ ، وقد شعر بالتردد وهو يمر بجوار السيدة . لمس يدها وشعر باستجابتها . لم ينطق أحد بكلمة ، لم تبد الكلمات مناسبة فى ظل هذا الموقف . تسلل ناظر المحطة والهارب فى شوارع موسكو وهما يسيران بعيدا عن الأعين إلى أن وصلا إلى المحطة . قطع ناظر المحطة تذكرة ذهاب إلى أوديسا ثم أعطى قصاصة الورق الحمراء الصغيرة إلى وودك .

انتباهه ثانية لعبة القمامرة الدائرة فى عربة القطار . طوى خريطته وأعادها بحرص ثانية إلى بطانة برّته وبدأ يبدى اهتماما باللعبة . وقد لاحظ أن أحد المقامرين كان يكسب بشكل دائم حتى عندما تكون كل فرص الحظ ماثلة له . أخذ وودك يراقب الرجل بمزيد من الحرص وسرهان ما أدرك أن الرجل كان يعيش فى اللعب .

انتقل وودك إلى الجانب الآخر من العربة بحيث يتمكن من رؤية الرجل وهو يعيش وهو فى مواجهته ولكنه عجز عن ذلك . تقدم وودك إلى الأمام واتخذ لنفسه مكانا فى دائرة المقامرين . وعرف كيف كان المقامر الغشاش يكسب المقامرين الآخرين ، واستطاع وودك " بكشفه الطريقة أن يحقق المكسب " . وشعر المقامر الغشاش بأنه من الحكمة أن يبيع صامت اسم وودك إلى من وصل التصار إلى المحطة التالية ، كان وودك قد كسب أربعة عشر روبل أنفق اثنين منها لشراء ثمرة تفاح وكوب من الحساء الساخن . كان قد كسب ما يكفيه من المال حتى نهاية رحلته إلى أوديسا وكان مسرورا لأنه كان قد تعلم حيلة لكسب المزيد من المال باستخدام طريقته الجديدة الآمنة . شكر المقامر المجهول فى نفسه وعاد ثانية داخل القطار لكى يطق أسرارتيحيته الجديدة . ولكن ما إن سبت قدمه اندرج العمود ، إلا وقد أصبح به فى أحد أركان القطار . ثم تم توثيق يديه بشدة خلف ظهره ودفع رأسه بقوة فى مقابل جدار العربة . بدأ أنفه ينزف . شعر أن حافة السكين تلمس فص أذنه .

" هل تسمعى يا فتى ؟ "

أجاب وودك فى زهر : " أجل "

" إن عدت إلى عربتي ثانية ، فسوف أقتلع أذنك هذه . ولن تستطيع بعدها أن تسمعى ثانية ، أليس كذلك ؟ "

قال وودك : " أجل يا سيدى "

شعر وودك بحاقة السكين وهى تخترق سطح جلده خلف أذنه وبدأت الدماء تتساقط على عنقه .

" ليكن هذا تحذيرا لك يا فتى . "

ضربه الرجل بأقصى قوته فى كليتيه . فانهار وودك فوق الأرض . ثم دس الرجل يده فى جيوب معطف وودك وسرق المبلغ الذى كان وودك قد كسبه .

قال الرجل : " إنها لى ، أليس كذلك ؟ "

كانت الدماء مازالت تسيل من أنف وودك وخلف أذنه . عندما استجمع شجاعته لكى ينظر إلى أعلى ، وجد نفسه وحيدا ، لم يكن هناك أثر لمقدم . حاول أن ينهض على قدميه ، ولكن جسده رفض أن يتمصع للأمر الصادر من عقله ، فبقى ملقى فى أحد لاركر لبضع دقائق . وأخيرا عند نجح فى النهوض من مكانه ، سار ببطء نحو الطرف المقابل للقطار فى أبعد مكان عن عربة مغادر . كان يعرج بشكل ملحوظ . احتد فى عربة نشغبتها لنفسه والأطفال وسقط فى سيات عميق .

عندما توقف القطار فى المحطة التالية ، لم يغادر وودك القطار . فك لفاقته الصغيرة وأخذ يحدق إليها . كانت تحتوى على المنقح والخبر كد كان فيها فميص وينصال حتى أنه وجد حذاء داخل هذا الكنز الصغير . ارتدى وودك ملابسه الجديدة . يالها من سيدة نبيلة وياله من زوج وقح .

أكر ودم وحله . وأخيرا وبعد خمس نبال وأربعة أيام . وصل القطار لمحطته الأخيرة فى أوديس . مر وودك بنفس إجراء فحص الهوية المعتاد عند الحاجز ولكن كل أوراقه كانت سليمة حتى أن الحارس لم يلق إليه سوى نظرة حافظة ثانية . لقد أصبح وودك الآن

حر نفسه . كان مازال يملك ١٥٠ روبل فى بطانة كفه ولم تكن لديه نية إهدارها .

قضى وودك ياقى اليوم فى التجول فى أنحاء المدينة محاولا التآلف مع جغرافيتها ولكنه وجد نفسه مشدوها ومشوشا بشكل دائم بالمشاهد التى لم يكن قد شاهد مثلها من قبل ، المنازل الكبيرة والمتاجر ذات التوافذ والباعة المتجولين وهم يبيعون بضائعهم فى الشوارع ، والإنارة بالغاز وحتى القروء التى تلهو على العصى . أخذ وودك يسير إلى أن وصل إلى الميناء والبحر المفتوح . نعم ؛ ها هو ذا ؛ هذا هو البحر الذى أشار إليه البارون . أخذ وودك يتأمل طول البحر وامتداده فى زرقة الأفق ؛ هذا هو طريق الحرية والفرار من روسيا . لا يد أن هذه المدينة قد ذاقَت هى الأخرى نصيبها من وبيلات الحروب ؛ بدا ذلك واضحا فى البيوت المحروقة والموسخ ؛ كان الشيء المثير للاستغراب وسط كل هذا هو عيبير البحر الفواح أخذ وودك يتساءل ما إن كانت المدينة مازالت تعيش حالة حرب . ولكن لم يكن هناك أحد يمكنه أن يطرح عليه هذا السؤال . ومع اختفاء الشمس خلف البنائيات ، أخذ وودك يبحث عن مكان يمكن أن يقضى فيه ليلته . سار وودك فى أحد الشوارع الجانبية وظل يواصل السير ، لا بد أن مظهره قد بدا غريبا وهو يرتدى المعطف من فراء الخروف الذى ظل يجره بطول الطريق واللغافة الورقية البنية التى كان يحملها تحت ذراعه . لم يبد له أى شيء أمنا إلى أن وصل إلى أحد أركان محطة القطار حيث كانت تقف بعض عربات القطار فى عزلة . أخذ يحذر إليها بحذر ؛ لم يكن يحيط بملكان سوى الظلام والصمت ؛ لم يكن هناك أحد . ألقى لفافته الورقية فى العربة ورفع جسده المنهك على متنها وانزوى فى أحد الأركان وراح

فى سبت عميق وبمجرد أن لمست رأسه الأرض الخشبية . إذا بجسد ينفض عليه ويدين يقبضان على عنقه . كاد يخنق زسجر صاحب لصوت قاثلا " من أنت ؟ " . كان بصوت الفتى بدا به فى انطلام فى شئ سنة " وودك كوسكيفيتش " .

" من أين أنت ؟ "

" من موسكو " ، كانت سلوتم على طرف لسانه .

أجابه الصوت : " حسنا ولكنك لن تنام فى عربتي يا موسكوفيتش " .

قال وودك : " آسف " لم أكن أعرف "

قال الصوت وهو يضغط على حلق وودك : " هل تحمل أية نقود ؟ " .

قال وودك : " القليل فقط "

" كم من النقود ؟ "

" سبعة روبلات "

" أعطنى إياها "

أخذ وودك يبحث فى جيب معطفه الخارجى بينما دس الفتى أيضا يده بقوة داخل المعطف بعد أن فك قبضته عن عنق وودك .

وفى لحظة ؛ ركل وودك بطن الفتى بركبتيه بكل ما أوتى من قوة . فطار خصمه إلى الخلف فى ألم ؛ وهو قابض على بطنه . وثب وودك عليه وأخذ يسدد له اللكمات بوحشية . وفجأة انقلب ميزان القوة لصالح وودك وأيقن الفتى أنه ليس أهلا للصراع معه . كان النوم فى إحدى عربات القطار بمثابة النوم فى فندق خمس نجوم مقارنة بحياته فى القبو ومعسكر الأعمال الشاقة فى روسيا .

لم يكف وودك عن مهاجمة خصمه إلا عندما وجده مسجى على الأرض دون حراك . عندها أخذ الفتى يتوسل إلى وودك .

قال وودك : " اذهب إلى مؤخرة العربة وابق هناك . إن حركت ساكنا ، فسوف أقتلك "

قال الفتى وهو يسير إلى هناك ناجيا بنفسه : " نعم ، نعم " . سمعه وودك وهو يلقي بنفسه في مؤخرة العربة . بقي وودك جالسا في مكانه في سكون وأخذ ينصت لبضع دقائق - بدون حراك - ثم نكس رأسه ثانية على الأرض وفي لحظات استسلم لسبات عميق .

عندما استيقظ وودك ، كانت الشمس قد أفلتت بخيوط ضوء الصباح على أسطح عربات القطار . استدار وألقى نظرة على حصم ليلته الماضية للمرة الأولى . كان لا يزال مستلقيا في الوضع الذي نـم عليه . وكان لا يزال يغطى في نومه في بهية اضيق المقابض من العربة

قال له وودك آمرا : " تعال هنا " . استيقظ الفتى في بطة .

" تعال هنا " كررها وودك ، بصوت أكثر ارتفاعا . أطلع الفتى أمره على الفور . كانت هذه هي أول فرصة أتاحت لودك لكي يلقي نظرة متفحصة على الفتى . كان الفتى في مثير عمره تقريبا ولكنه كان أطول منه بقدم ، وصاحب وجه أكثر براءة وشعر أشقر جعد .

قال وودك : " لنبدأ بالأولويات . كيف يمكن أن نحصل على شيء لتناوله على الإفطار ؟ "

قال الفتى : " اتبعني " ، ثم وثب خارج العربة . سار وودك ورائه ، وتبعه فوق المرتفع ثم إلى المدينة ، حيث وجدا سوق الصباح

فد فتح أبوابه بالفرس . لم يكن وودك قد رأى كل هذا بكم من أنواع الطعام منذ أيام العشاء المترف مع البارون . كانت هناك أكوام متراسة من الفاكهة والخضر وحتى أنواع المكسرات المفضلة . وقد لمح الفتى نظرة الانبهار في عين وودك .

قال الفتى ، في نبرة ثقة لم يسبق له أن تحدث بها من قبل : " والآن سوف أخبرك بما سوف نفعله . سوف أذهب إلى أحد أركان مكن العرض وأسرق برتقالة ثم ألوذ بالفرار ، ثم تصبح أنت بأعلى صوتك " اقبحضوا على اللص ! " سوف يهرع عندها صاحب البضاعة لطردنى . وعندما يهم بذئ تتحرك أنت ونملا جيوبك بالطعام ولكن لا تكن طماعا ، احصل على ما يكفينا لوجبة واحدة . ثم تعود بعدها إلى هذه النظرة التي نقف عندها ، اتفقنا ؟ "

قال وودك : " نعم ، أعتقد ذلك " . عننا نرى إن كنت ستجيد ذلك يا موسكوفيت . نظر إليه الفتى . وكثر عن وجهه ثم مضى . أخذ وودك يتأمل في إعجاب عندما ذهب إلى ركن أول عارضة مبيعات في السوق وسرق برتقالة من أعلى هرم البرتقال . ثم أشر إلى صاحب العارضة في صمت وبدأ يجرى في بطة . ثم نظر إلى وودك ، الذي كان قد نسي تماما أن يصيح قائلا : " امسك باللس " ولكن صاحب المحل تنبه من تلقاء نفسه وبدأ يطارد الفتى ، بينما التفتت كل الأنظار إلى رفيق وودك ، أسرع وودك ونجح في جمع ثلاث برتقالات وتفاحة وثمرة بطاطا ووضعها في جيوب معطفه الكبيرة . وعندما كاد صاحب المحل أن يمسك بصاحب وودك أعاد إليه الفتى البرتقالة وأخذ الرجل يسبه ويلعنه ويشير بقبضة يده وهو يشكو في تذر لبقاى التجار من حوله .

كان وودك يشعر بالانتشاء من شدة الفرح وهو يراقب المشهد ، وإذا به يجد يدا تقبض على كتفه . استدار في فزع ظنا منه بأن أحداً قد قبض عليه .

" هل حصلت على شيء يا موسكوفيت ؟ أم أنك قد اكتفيت بالمشاهدة ؟ "

انفجر وودك في الضحك بعد أن زال عنه الذعر واستخرج البرتقالات الثلاث والتفاحة وثمرات البطاطا . ثم شاركه الفتى الضحك .

سأله وودك : " ما اسمك ؟ "

" ستيفان "

" دعنا نعيد الكرة ثانية ، يا ستيفان . "

" تمهر يا موسكوفيت ، لا تكن أحمق . فإذا أردنا هذا ثانية الآن ، فيجب أن نذهب إلى الطرف المقابل من السوق وننتظر لمدة ساعة واحدة على الأقل . أنت تعمل مع شخص محترف ، ولكن لا تتصور أنه لا يمكن القبض علينا . "

سار الفتيان في هدوء إلى أن وصلا إلى نهاية السوق المقابلة . كان ستيفان يسير في ثقة كان وودك على استعداد للمقايضة عليها مقابل البرتقال والبطاطا والـ ١٥٠ روبل . اختلط الفتيان مع باقي المتسوقين ، وعندما قرر ستيفان أن الوقت المناسب قد حان ، كررا نفس الحيلة ثانية . بعد أن حصدا حصيلة جيدة ، عادا إلى محطة القطار للاستمتاع بتناول الغنيمة ، ست برتقالات وخمس تفاحات وثلاث ثمرات بطاطا وثمرات كمثرى ومجموعة متنوعة من المكسرات وأخيرا الجائزة الكبرى ، ثمرة شمام . في الماضي لم يكن ستيفان يستطيع أن يحصل على مثلها لأنه لم يكن يملك جيبا واسعا لحملها

بداخله . ولكن معطف وودك الكبير هو ما سمح له باقتناء هذه الثمرة .

قال وودك وهو يغرس أسنانه في ثمرة البطاطا : " ليس سيئا . "

سأله ستيفان في فزع : " هل تأكل القشر أيضا ؟ "

أجاب وودك : " هناك أماكن يكون فيها تناول القشر رفاهية . "

قال ستيفان : " أنت تريد أن تحصل على كل شيء في يوم واحد ، أليس كذلك ، أيها الزعيم ؟ مجموعة تشين في الضفة هي الأفضل ، هل تظن أنك أهل للانضمام إلى هذه المجموعة يا موسكوفيت ؟ "

قال وودك : " أرني إياها . "

بعد أن تناولوا نصف حصيلة الفاكهة وقاما بتخينة النصف الآخر منها تحت كومة القش في أحد أركان عربة القطار ، قاد ستيفان وودك وهبطا الدرج إلى أن وصلا إلى الميناء وأراه هناك السفن المتعددة . لم يصدق وودك عينيه . كان البارون قد حكى له من قبل عن السفن الكبيرة التي كانت تعبر أعالي البحار وهي تحمل البضائع من دولة إلى أخرى ، ولكن السفن التي شاهدها كانت أكبر مما تصوره كما أنها كانت تقف في صف يمتد على مرمى البصر .

قاطع ستيفان حبل أفكار وودك قائلا : " هل ترى هذه السفينة الواقفة هناك ، تلك السفينة الخضراء الكبيرة ؟ حسنا ، ما عليك هو أن تحمل سلة من أسفل سلم السفينة وتملأها بالحيوب ثم تصعد السلم ثانية وتفرغ حمولتها بداخلها . سوف تحصر على روبل مقابل كل أربع رحلات . ولكن احرص على أن تعد جيدا يا

موسكوفيت ؛ لأن هذا المحتال المسئول عن العصابة سوف يخادعك لكي يحصل على المال لنفسه .

قضى ستيفان وودك باقى الظهيرة فى حمل الحبوب . ووصلت حصيلتهما إلى ستة وعشرين روبل . بعد تناول عشاء مؤلف من المكسرات المسروقة والخبز وثمرة بصل لم يكن فى نيتهما سرقتها ؛

نما فى سعادة فى عربة القطار الخاصة بهما . كان وودك هو الأول فى الاستيقاظ فى صباح اليوم التالى حيث وجده ستيفان يدرس خريطة .

قال ستيفان : " ما هذا ؟ "

" هذا هو الطريق الذى يجب أن أسلكه لكي أفر من روسيا . "

قال ستيفان : " ولم تريد أن تترك روسيا ؛ يمكنك أن تبقى معى ونعمل سويا ؟ يمكن أن نصبح شركاء . "

" كلا ؛ يجب أن أذهب إلى تركيا ؛ هناك سوف أكون رجلا حرا لأول مرة . لم لا تأتى معى يا ستيفان ؟ "

" لا يمكننى أن أقادر أوديسا أبدا . هذا هو وطنى ؛ هنا فى المحطة انتى أعيش فيها والأشخاص الذين عرفتهم طوال سنوات عمرى كما أن الأمر يمكن أن يكون أكثر سوءا فى تركيا . ولكن إن كان هذا هو ما تريد - فسوف أساعدك . "

سأله وودك : " ولكن كيف أتعرف على السفينة المتجهة إلى تركيا ؟ "

" هذا أمر سهل ؛ لأننى أستطيع أن أعرف المكان الذى ترسو فيه كل سفينة . سوف أحصل على هذه المعلومة من جو صاحب السنة الواحدة والذى يقطن فى نهاية الجسر . ولكن يجب أن تمنحه روبل واحدا فى المقابل . "

" وسوف تتقاسم معه المبلغ بكل تأكيد ؛ أليس كذلك . "

قال ستيفان : " النصف مقابل النصف ؛ أنت تتعلم سريعا يا موسكوفيت . "

وهنا وثب ثانية من العربة .

سار وودك خلفه بينما كان هو يجرى بين عربات القطار ؛ وقد أدرك وودك ثانية كيف أن غيره من الصبية يملكون القدرة على العدو بسهولة بينما هو يتعثر ويمرج فى مشيته . عندما وصلا إلى نهاية الجسر ؛ قاده ستيفان إلى غرفة صغيرة ممتلئة بالكتب المغطاة بالأتربة وموائد قديمة . لم يستطع وودك أن يلمح أى شخص آخر هنا ولكنه سمع بعدها صوتا من وراء كومة كبيرة من الكتب يقول : " ماذا تريد أيها الفتى الصغير ؟ ليس لدى وقت لكى أضيعه معك " .

" أريد بعض المعلومات لصديقتى المسافرا يا جو . ما هى الرحلة التالية إلى تركيا ؟ "

قال الرجل العجوز الذى ظهرت رأسه من وراء الكتب : " أعطنى المال مقدما ؛ كان صاحب وجه نحيف مكفهر وكان يرتدى قبعة بحرية فوق رأسه . بقيت عيناه السوداوان مثبتتين على وودك .

قال ستيفان وهو يتمتم فى صوت مرتفع قليلا لكي يسمع جو : " لقد كان بحارا عظيما . "

" لا تخادع يا فتى ؛ أين الروبل ؟ "

قال ستيفان : " صديقى يحمل حافظتى . أره الروبل يا وودك . "

استخرج وودك عملة معدنية . قضمها جو بالسنة الوحيدة المتبقية لديه وسار يجر قدميه إلى أن وصل إلى حاملة الكتب واستخرج جدولا زينيا كبيرا أخضر اللون . وما إن فم حتى نناثر

التراب في كل أنحاء المكان . بدأ يسعل وهو يقلب الصفحات المتسخة ؛ ويراجع القوائم الطويلة بإصبعه القصير البدين المغطى بقطعة من القماش .

" الخميس المقبل سوف تأتي الريناسكا لكي تحمل بالفحم وسوف تغادر على الأرجح يوم السبت . إن نجحت في تعبئة حمولتها في وقت مبكر فقد تبخر مساء الجمعة وتوفر بعض نفقات الوقوف في الميناء . سوف ترسو عند المرسى رقم سبعة عشر " .

قال ستيفان : " أشكر يا صاحب السنة الواحدة . سوف أرى إن كان بوسعي أن أصحب لك المزيد من أصدقائي الأثرياء في المستقبل " .

رفع جو معصمه وهو يسب بينما جرى ستيفان وودوك إلى الخارج متجيهين نحو رصيف الميناء .

بقى الصبيان على مدى الأيام الثلاثة التالية يهرقون الفحم وينقلان الحبوب إلى السفن ثم ينمان . ومع حلول موعد الذي وصلت فيه السفينة التركية في الخميس التالي كان ستيفان قد أقنع وودك بأن يبقى معه في أوديسا . ولكن خوف وودك من الروس فاق كل المزايا التي حظى بها في حياته مع ستيفان .

وفقا فوق رصيف الميناء وهما يحقدان في السفينة القادمة التي سوف ترسو فوق الرصيف ١٧ .

سأل وودك : " كيف سأصعد على متن اسبته ؟ " قال ستيفان : " هذا أمر بسيط . يمكننا أن ننضم إلى مجموعة نقل البضائع صباح غد . سوف أقف وراءه ؛ وعندما تكون حمولة الفحم على وشك الاكتمال ؛ يمكنك أن تقفز داخل السفينة وتختبئ بينما سوف أحضر لك أنا سلتك وأسير نازلا من الجانب الآخر " .

قال وودك : " وسوف تحصل أيضا على حصتي من المال ؛ بلا شك " .

قال ستيفان : " بالطبع . يجب أن تكون هناك بعض المكافآت المادية لذكائي الخارق وإلا فكيف أواصل احتفاسي بثقتي في الشركات الحرة ؟ " .

انضم الفتيان إلى مجموعة نقل البضائع في الصباح الباكر وأخذوا حمول الفحم ونقلوه إلى السفينة إلى أن وصل اليوم على نهينه ؛ لكن الحمولة مع ذلك لم تكن قد امتلأت حتى نصفها مع حلول المساء . نام الصبيان ليلتهما . وفي صباح اليوم التالي ؛ بدأ ثانية وبعد منتصف الظهيرة ؛ عندما كانت الحمولة قد أوشكت على اكتمال . كان ستيفان كاحل وودك .

في منتصف الليل في المرة القادمة يا موسكوفيت ؛ عندما وصلنا إلى قمة السلم ؛ أفرغ وودك حمولته من الفحم وألقى بالسلم على رصيف الميناء وقفز فوق جانب السفينة ورسا فوق الفحم بين حملي ستيفان سلم وودك وواصل سيره إلى أن هبط من الجانب السفلي من السلم وهو بصفر .

قال ستيفان : " إلى اللقاء يا صديقي . وحظا سعيدا مع الخونة الاتراك " .

انزوى وودك في أحد أركان الحمولة وأخذ يراقب الفحم وهو يصب بجواره . كان التراب يغطي أرجاء المكان ؛ كان يغطي أنفه وفمه ورتنيه وعينيه . وبجهد مؤلم منع نفسه من السعال خشية أن يسمعه أحد أفراد طاقم الإبحار . وفي الوقت الذي كان قد أدرك فيه أنه لن يستطيع تحمل الهواء الصادر من الحمولة وأنه يجدر به أن يعود إلى ستيفان ويبحث له عن مهرب آخر . إذا بالأبواب تغلق أمامه . أخذ يسعل سعالا متواصل .

وبعد لحظات ، شعر أن هناك شيئاً يقضم كاحله . تجمدت الدماء فى عروقة من شدة الخوف عندما أدرك حقيقة ما يجرى . نظر إلى أسفل محاولاً التعرف على المكان الذى جاء منه هذا القارض . وبما أن ألقى قطعة من الفحم للوحش الصغير الذى جرى يعدو وراءها حتى ظهر له وحش آخر ثم ثالث ورابع . كانت الأكثر شجاعة بعض ساقيه . بدا له وكأن هذه الحيوانات الصغيرة تظهر من تلقاء نفسها . كانت سوداء وكبيرة وجائعة . أخذ يحدق فى الأرض بحثاً عنها . كانت المرة الأولى فى حياته التى أدرك فيها أن الفئران لها عيون حمراء . أخذ يصعد بصعوبة إلى أن وصل إلى قمة كومة الفحم وفتح الباب . عظمت أشعة الشمس أرجاء المكان واختفت الفئران داخل جحورها الخاصة فى الفحم . بدأ يصعد خارجاً ولكن السفينة كانت قد ابتعدت كثيراً عن الميناء . فسقط ثانية داخل المخزن وهو يشعر بالرعب . إن اضطرت السفينة للعودة ثانية وتسليم وودك فهذا يعنى عودة أكيدة إلى المعسكر ٢٠١ والروس البيض . ولهذا فقد قرر أن يبقى مع الفئران السوداء . بمجرد أن أغلق وودك الباب ، ظهرت له الفئران ثانية . كانت هذه المخلوقات القذرة ما إن يختفى بعضها إثر إلقاء وودك لقطع الفحم ، يظهر البعض الآخر فى بقعة أخرى . كان وودك يقوم بفتح باب المخزن كل بضع دقائق لكي يسمح بمرور بعض الضوء الذى بدا له أنه حليفه الوحيد الذى يخيف تلك القوارض القبيحة ويصرفها عنه .

على مدى يومين وثلاث ليال ، بقى وودك يخوض حرباً ضروساً ضد الفئران بدون أن يحظى ولو بدقيقة واحدة من النوم الهادئ . وعندما رست السفينة أخيراً فى ميناء القسطنطينية وقام أحد العمال بفتح باب المخزن ، كان وودك قد غطاه السواد من منبت رأسه حتى ركبتيه وكانت الدماء تغطيه من ركبتيه وحتى أخمص قدميه .

سحب العامل إلى الخارج . حاول وودك أن يتمالك نفسه ويقف ولكنه سقط فوق كومة على سطح السفينة .

عندما وصل وودك - لم يكن يعرف أين وصل وبعد أى قدر من الوقت - وجد نفسه فى سرير داخل غرفة صغيرة ووجد ثلاثة رجال فى معاطف بيضاء طويلة يتفحصونه بمنتهى الدقة . كانوا يتحدثون لغة لم يكن وودك قد سمع بها من قبل فى حياته . كم يبلغ عدد اللغات فى العالم ؟ نظر إلى نفسه ، كان مازال يغطيه اللونان الأسود والأحمر ، وعندما حاول أن يجلس ، دفعه أحد الرجال الثلاثة الذى كان الأكبر سناً بينهم ، بقوة فى فراشه ، كان الرجل صاحب وجه نحيل طويل ولحية . أخذ يخاطب وودك فى لغته الغريبة . هز وودك رأسه . حاول الرجل أن يتحدث مع وودك بالروسية . فهز وودك رأسه ثانية ، فقد كان تحدثه بالروسية يعنى إعادته سريعاً إلى المكان الذى أتى منه . ثم تحدث الرجل الألمانية وقد لاحظ وودك فى هذه الأثناء أن إجادته للغات تفوق إجادة المتحدث لها .

" هل تتحدث الألمانية ؟ "

" نعم " .

" إذن أنت لست روسيا ؟ "

" كلا " .

" ماذا كنت تفعل فى روسيا ؟ "

" كنت أحاول الهرب " .

" نعم " . استدار الرجل نحو زملائه وبدأ يترجم لهم الحوار بلغتهم . ثم غادر ثلاثتهم الغرفة .

دخلت إحدى الممرضات فى غرفة وودك وأخذت تنظف جروحه بدون أن تلتفت إلى صرخات الألم الصادرة منه . غطت ساقيه بمرهم

بنى سميك وتركته لينام ثانية. عندما استيقظ وودك في المرة الثانية ، كان وحيدا داخل الغرفة . أخذ يحدق إلى السقف الأبيض وهو يفكر في خطواته التالية .

لم يكن واثقا في أى بلد من البلاد كان قد وصل ؛ صعد إلى النافذة المرتفعة وأخذ ينظر عبرها . شاهد أحد الأسواق التى لا تختلف كثيرا عن سوق أوديس باستثناء أن الرجاء كانوا يرسون رداء أبيض طويلا وكانوا أكثر اسمرارا . كانوا يرتدون أيضا قبعات ملونة بدت وكأنها أصص مقلوبة لزهور صغيرة كما كانوا يرتدون الصنادل فى أقدامهم . كانت كل النساء مغطاة بالسواد حتى وجوههن كانت مغطاة باستثناء العيون . أخذ وودك يتأمل صخب السوق بينما كانت النساء تقايضن من أجل شراء احتياجاتهن ؛ يبدو أن هذا الأمر على الأقل كان من الأمور المتعارف عليها دوليا .

مرت عدة دقائق قبل أن يلحظ أن هناك فى أحد جوانب المبنى بجوار النافذة سلما حديديا أحمر اللون يصل الأرض . نزل من عند النافذة وسار بحرص صوب الباب وفتحته وأخذ يراقب الردهة ؛ كان هناك الكثير من النساء والرجال الذين يحومون ذهب وإياب ولكن لم يجد أى منهم أية بادرة اهتمام به . أغلق الباب فى رفق ، ووجد مفتحاته فى الدولاب فى أحد أركان الغرفة . ارتدى ملابسه بسرعة . كانت ملابسه مازالت سوداء بفعل تراب الفحم وكان يشعر أنها رملية خشنة فوق بشرته النظيفة . عاد ثانية إلى النافذة وفتحها بسهولة . وأمسك بإحكام سلم الطوارئ ومر من النافذة وبدأ ينزل فى طريقه إلى الحرية . كان أول شيء صدمه هو السخونة . تمنى لو لم يكن مرتديا معطفه الثقيل .

بمجرد أن لمس الأرض حاول أن يعدو ولكن ساقيه كانتا أضعف من ذلك فلم يقو سوى على السير ببطء . لكم تمنى أن يشفى من هذا

العرج . لم ينظر ثانية فى اتجاه المستشفى وظل سائرا إلى أن غاب فى زحام السوق .

بدأ وودك ينظر إلى الطعام الغربى وأماكن العرض وقرر أن يشتري برتقالة وبعض المكسرات . وقف فى الصف وهو يرتدى بزته ؛ بالطبع سوف أجد المال فى الكم . ولكنه لم يعثر على المال ؛ والأسوأ من ذلك هو أنه لم يجد سواره الفضى أيضا . فكر أن يعود لديه إلى المستشفى لكن يسترجع سواره ولكنه قرر ألا يعود قبل أن يتناول بعض الطعام . ربما كان قد بقى لديه بعض المال فى جيبه . أخذ يبحث فى جيوب معطفه الخارجى وعثر على الفور على ثلاث عملات ورقية وبعض العملات معدنية . وجدته موضوعة مع خريطة الطبيب وسواره الفضى . شعر وودك بغبطة لهذا الاكتشاف . ارتدى السوار سريعا ودفعه أعلى مرفقه .

اختار وودك أكبر ثمرة برتقال وقعت عيناه عليها وحفنة من المكسرات . قال له صاحب المتجر شيئا لم يفهمه وودك . وجد وودك أن أسهل طريقه لخروج من المارقي هو أن يمد يده إلى البائع بحسين روبل . نظر مدح في استغوث وأحد يضحك ثم رفع يده إلى السماء .

” يا الله “ . صاح الرجل بذلك وهو يستعيد المكسرات والبرتقال من وودك ويصرفه بعيدا بإصبعه . سار وودك فى يأس ؛ لابد أن اللغة المختلفة تعنى عملة مختلفة . فى روسيا كان وودك فقيرا أما هنا فهو معدم . كان يجب أن يسرق برتقالة ؛ فإن شعر أن البائع سوف يقبض عليه ؛ يمكنه أن يلقبها ثانية إليه . سار وودك حتى صرّف السوق انتهى بنفس الطريق حتى علم له ستيفن ولكنه لم ينجح فى تقليده كما أنه لم يكن يملك نفس الثقة التى كان يتمتع بها ستيفان . اختار آخر متجر وعندما تيقن أن أحدا لا ينظر إليه ؛

التقط برتقالة وبدأ يجرى . وفجأة سمع هديراً . بدا له وكأن نصف المدينة تطارده .

قفز رحن ضخمة الجثة على وودت استعثر في مشيته ودفعه على الأرض . احكم سفة أو سبعة أشخص قبضتهم على مختلف أجزاء جسمه لشل حركته بينما كان هناك حشد أكبر من البشر متجمعين حوله وهو يسحب ليعاد ثانية إلى المتجر الذى سرقه . كان هناك رجل شرطة يقف فى انتظار الحشد . تم تحرير محضر وكان هناك حديث جهرى بين صاحب المتجر ورجل الشرطة : كان صوت كل منهما يزداد ارتفاعاً مع كل عبارة . استدار رجل الشرطة بعدها صوب وودك وأخذ يصيح فيه هو الآخر ولكن وودت لم يفهم كلمة واحدة . رفع رجل الشرصى شنبه إلى أعلى ثم سحب وودت من أذنه . وأصل الحشد صياحه فى وودك . حتى أن بعضهم كان يبصق عليه . عندما وصّر وودك أنى فسه الشرطة اقتيد إلى لقيو حيث نقى هناك فى ررانة صغيرة كان يشغلها بالعمى عشرون أو ثلاثون مجرماً ما بين صوص وقطع طرق . لم يتحدث وودت معهم ولم يبد أى منهم رغبته فى التحدث معه . نقى وودك مسنداً ظهره للحائط فى فزغ وذعر . بقى على مدى يوم وليلة هناك بلا طعام . كانت رائحة البراز قوية إلى الحد الذى جعله يتقيأ كل ما فى معدته . لم يحضر بباليه يوم أنه سياتى يوم يكون فبو سلوبيه بالنسبة لما هو فيه مكاناً هادئاً وغير مزدحم .

وفى صباح اليوم التالى اقتيد وودك من القيو على يد حارسين وسار معهما إلى أن وصل إلى قاعة تجلس فيها مع عدد كبير من اسجنء الآخرين . ثم قام الحراس بتفبيدهم مع بعضهم البعض فى حبال من الخصر واقتيدوا جميعاً من السجن فى صف طويل إلى أن وصلوا إلى الشارع . كان هناك حشد كبير آخر مجتمع فى الشارع

أخذ يهتف ويرجب بهم فى صوت عال مما دفع وودك إلى الاعتقاد بأنهم كانوا قد انتظروا مقدم السجناء لفترة طويلة . سار الحشد خلفهم إلى أن وصلوا إلى السوق وقد عمه نصياح والنصفيق واصرخ ولكن ترى لأى سبب . خشى وودك حتى أن يتأمل المشهد من حوله . توقف الصف عندما وصلوا إلى ميدان السوق . وعندما تم تحرير وودك السجن لأول واقفد إلى منتصف الميدان الذى كان يعج بالفعل بمئات من البشر يصيحون بأعلى صوت .

راقب وودك المشهد فى حالة عدم تصديق . وهناك هاله فظاعة عقوبة السرقة ، حيث كان السارق فى هذا البلد يلقي عقاباً رادعاً لم يكن ليتصوره وودك .

أخذ وودك يبحث فى كل اتجاه عن المساعدة أو أية وسيلة للهرب ، أخذت عيناه تدوران فى الوجوه المحتشدة من حوله إلى أن شاهد رجلاً يرتدى زياً أوروبياً وسط الزحام ، كان الرجل يرتدى بدلة سوداء ويقف على بعد ما يقرب من عشرين ياردة من وودك وكان يشاهد تنفيذ عقوبة السرقة وعلامات الدهشة ترتسم على وجهه . ولكنه لم ينظر مرة واحدة فى اتجاه وودك ، كما أنه لم يسمع صياحاته وهو يحاول أن يستنجد به وهو يقف فى المؤخرة . هل كان الرجل فرنسياً ، ألمانياً ، إنجليزياً أو حتى بولندياً ؟ لم يستطع وودك أن يتبين جنسيته ولكن لسبب ما كان الرجل واقفاً لي شاهد هذا الحدث . أخذ وودك يحصد إليه ، محاولاً أن يلفت نظره إليه ولكن الرجل لم يفعل . حرك وودك يده الحرة وأخذ يلوح بها ولكن مع ذلك عجز عن جذب انتباهه . فك وثاق الرجل الذى كان يسبق الرجل الذى أمام وودك واقفد على الأرض جهة منصة تنفيذ العقوبة . وعندما لمح الرجل وودك استدار ليتحدث مع زميله الذى لم يكن وودك قد لاحظته من قبل . كان الحارس الآن يناضل

مع السجين الذى يقف أمام وودك مباشرة لكى يتقاده إلى منصة تنفيذ الحكم لكى يلقى عقوبته . ظل وودك ينظر ثانية إلى الأوربيين . كان كلاهما فى هذه المرة ينظران إليه . كان يريدكما أن يتحركا ولكنهما اكتفيا بالتحديق إليه .

جاء الرجل وألقى بمعطف وودك الذى كان يساوى ٥٠ روبل على الأرض وفك طرف كفه ثم طواه . أخذ وودك يناضل بلا جدوى بينما كان يسحب فى الميدان . لم يكن كفأ للحارس . عندما وصل إلى منصة تنفيذ العقوبة لكفه الحارس فى مؤخرة ركبتيه فتهاول على الأرض . تم تنفيذ معصمه الأيمن فى نوح حششى ولم يكن قد بقى أمامه سوى أن يغمض عينيه أثناء ارتفاع السيف فوق رأس منفذ الحكم . ظل مستظرا فى حدة دشر لضربة الفضيحة وبشر نجاة جعلت صمت مفاجئ فى الحشد عندما سقط سوار البارون الفضى من فوق مرفق وودك واستقر فوق معصمه على اللوح الحششى لسار حشش صمت مخيف عندما أخذ السوار الموروث يمحى تحت ذنوب الشمس . توقف منفذ الحكم ونكس سيفه وأخذ يفحص الكعب المحنونة على سوار فتح وودك عينيه حاول الحارس تسرع سوار من معصمه وودك ولكنه عجز عن تبريره عبر لربط أحلدى اسدى كان يجرى أحد الرجال ممن كانوا يرتدون ملابس رسمية صوب منفذ لحكم . بدا به كن صاحب سلطة اعلى على السيف على الأرض بينما بدأ الحشد عندها يسخر ويتهم . حاول الضابط الثانى أيضا أن يترفع السوار الفضى ولكنه عجز هو الآخر عن تبريره عبر اللوح الحششى وبدا أنه لم يكن على استعداد لفك وثاق وودك . أخذ يصيح ببعض الكلمات فى وجه وودك ولكنه لم يفهم ما كان يقول فأجاب بلغته البولندية : " أنا لا أتحدث لغتكم "

ارتسمت علامات الدهشة على الرجل ورفع يده فى الهواء وقال : " الله ! " . سار الضابط ببطء نحو الرجلين اللذين كان يرتديان ملابس الغربى وسط احشد بينم كانت الأيدي تروح فى كل مكان وكثير من ضحوة هو . مضطربة أخذ وودك يتضرع إلى الله كب يفعل الجميع فى هذه الحالة باختلاف الملل . كان الأوربيان مازالا يحقان إلى وودك بينما كان وودك يومئذ فى جنون . انضم أحد الرجلين إلى الضابط التركى بينما كان يسير عائدا إلى اللوح الحششى . جلس الأخير على ركبتيه بجوار وودك وتفحص السوار الفضى ثم نظر إليه بعناية . بقى وودك منتظرا . كان يجيد خمس لغات وكان يدعو الله أن تكون لغة الرجل من بين هذه اللغات . أحس أنى كان يعرفها . شعر بقبضة فى قلبه عندما وجد الرجل الأوربى يتحدث إلى الضابط بنفس لغته . كان الهرج والمرج قد بدأ بينهما . أحس الجميع الذى بدأ يلقي بالفاكهة الفاسدة صوب اللوح الحششى . أوما الضابط بالموافقة بينما كان الرجل يمشى يمشى إلى وودك بسننبل التركى .

" كل تحدث الاحسبه " .
سجد وودك فى الرنيان " أجل يا سيدى ، إلى حد معقول ، أنا متوسل بوندى "

" وكيف حصلت على هذا السوار الفضى ؟ "
" إنه لأبى : يا سيدى ، لقد مات فى السجن عندما احتل الألمان بولندا ، وعندما انتصر الروس قبضوا على وتم إرسالى إلى معسكر الاعتقال فى روسيا . هربت وجئت إلى هنا عن طريق البحر . لم أتناول الطعام منذ أيام . وعندما رفض صاحب المتجر قبول الروبل مقابل البرتقال ، أخذت واحدة لأننى كنت أتضور جوعا " .

نهض الرجل الإنجليزي ببطء من فوق ركبتيه واستدار جهة الضابط وتحدث إليه بمنتهى الحزم . فقام الضابط بدوره بالتحدث مع منفذ الحكم حيث أعلمه أن وودك كن يتضور جوعاً وأن نقوده لا يتم تداولها في هذا البلد الأمر الذي اضطره للسرقة ، وهو ما يعني سقوط عقوبة اسرقة عنه . حينئذ جث الحارس على ركبتيه وقام بفك وثاق وودك .

قال الرجل الإنجليزي : " تعال معي ، تعال معي سريعا قبل أن يغيروا رأيهم "

جذب وودك معطفه وهو مازال مشدوها ، وسار خلف الرجل . أخذ الحشد يذمر ويتهكم ويبقى عليه وهو يفادر المكان وعندما أسرع منفذ الأحكام شد سجين آخر واقتبده من منصفه تنعيد الأحكام ، فهدأت حشود الناس .

سار الرجل الإنجليزي بسرعة عبر الحشد خارجا من الميدان حيث لحق بزميله .

" ما الذي حدث يا إدوارد ؟ "

" هذا الفتى يدعى أنه من اصل بوندى وأنه قد هرب من روسيا . وقد أخبرت الضابط التركي أنه إنجليزي الجنسية وأنه تابع لنا . دعت نصحبه إلى السفارة ونحقق في أفواه ومدى صدقها " .

أخذ وودك يعدو بين الرجلين بينما كانا يسيران مسرعين عبر السوق ثم في شارع السبع ملوك . وتوارى صوت الحشد الذي كان يصيح في رضا مع كل ضربة بالسيف .

سار الرجلان عبر مدخل حجري فوق أرض مغطاة بالحصاة صوب مبنى رمادي كبير وطلبا من وودك أن يتبعهما . كانت كلمة السفارة الإنجليزية مدونة مصحوبة بعبارة ترحيب على باب

السفارة . ما إن دخلوا جميعا المبنى ، بدأ وودك يشعر بأنه في مأمن للمرة الأولى . مضى خلف الرجلين مجاريا سرعتهما في ممر طويل محفوف بجدران مغطاة برسومات لجنود وبحارة غريباء الشكل . وفي نهاية الجدار كانت هناك صورة رائعة لرجل كبير السن في زي بحري أزرق اللون متوج بالميديايات والنيشين . وقد ذكرته بحية الرجل الأنثية بالبارون . ظهر لهم جندي فجأة وحياهم .

" خذ هذا الصبي أيها العريف سميثرس لكي يأخذ حماما ثم يتناول الطعام في المطبخ . عندما يفرغ من تناول الطعام وتتحسن رائحته الكريهة ، ابحث له عن ملابس جديدة وأحضره إلى مكتبي " .

قال العريف محييا الرجل : " أترك يا سيدي "

" تعال معي أيها الغلام . " ثم سار الجندي مبتعدا . سار وودك خلف الرجل في انصياع وهو يجري لكي يجارى سرعتة اقتبذ إلى فو اسفاره وبرت في غرفة صغيرة ذات نافذة ضيقة . طلب منه العريف أن يخلع ملابسه ثم تركه لحاله عاد إليه بعد بضع دقائق حاملا بعض الملابس ، ليجد وودك مازال جالسا على حافة السرير بكامل ملابسه وهو يبحث بالسوار الفضي ويديره حول معصمه .

" أسرع يا غلام ، أنت لست في مشفى "

قال وودك : " آسف يا سيدي "

" لا تنادني بسيدي يا غلام وإنما بالعريف سميثرس . نادني بالعريف " .

" أنا وودك كوسكيفيتش ، نادني بوودك " .

" لا تكن مهرجا يا غلام . لدينا ما يكفي من المهرجين في الجيش الإنجليزي ولنا حاجة للمزيد "

لم يفهم وودث ما كان يعنيه العريف ولكنه خضع لملابسه بسرعة

" اتبعنى سريعا "

حمام رائع آخر من الماء الساخن والصابون . تذكر وودك السيدة الكريمة فى موسكو وكيف أنه كاد يصبح ابناً لها ولكن ليس لزوجها . حصل وودك على ملابس جديدة كانت تبدو غريبة ولكنها كانت نظيفة طيبة الرائحة . ولكن لأى أب سوف ينتمى هذه المرة ؟ عاد الجندى ثانية عند الباب .

قاد العريف سميترس وودك إلى المطبخ وتركه هناك مع طاهية ممثلة القوام ذات وجه وردي دافئ الملامح لم يكن وودك قد شاهد مثله منذ أن غادر بولندا . لقد ذكرته بـ " نيانيا " . أخذ وودك يتساءل عما يمكن أن يحدث لمقس خصره بعد قضاء أسابيع فيه فى المعسكر ٢٠١

قالت السيدة فى ابتسامة حزينة " مرحباً بك اسمعت ذن ؟ "

أخبرها وودك باسمه .

" حسناً أيها الغلام الصغير يبدو أنك بحاجة إلى وجبة إنجليزية شهية . لأن الطعام التركي الرديء من يجدى ممل سوف نبدأ بقتاول بعض الحماء الساخن وشرائح اللحم البقرى . أنت بحاجة إلى وجبة دسمة تستطيع أن تواجه بها السيد برنדרجاست " . ثم ضحككت واستطردت قائلة : " فقط تذكر أن فعله أقل وطأة من كلامه . بالرغم من أنه مواطن إنجليزى فهو يتمتع بقلب صيب " .

سأل وودك مندهشاً : " ولكنك إنجليزية يا سيدتى الطاهية ؟ "

قالت وهى تضحك . " يا إلهى ، كلا يا غلامى الصغير أنا سكتلندية . هذا فارق كبير نحن نكره الإنجليس أكثر مما نكره الألمان " وضعت أمام وودث طبق من الحماء الساخن المزود باللحم والخضراوات . كان وودك قد نسي تماماً رائحة الطعام الزكية ومذاقه الشهى . تناول طعامه ببطء خشية ألا يحصل على مثله ثانية قبل مرور زمن طويل .

ظهر العريف ثانية : " هل أنهيت تناول الطعام يا غلام ؟ "

" أجل ، أشكرك يا سيدى العريف " .

نظر إليه العريف فى ارتباك ، ولكنه لم ير أى أثر للسخرية فى تعبير الفتى . " حسناً ، إذا دعنا ننصرف من هنا . لا يمكن أن نتأخر عن السيد برنדרجاست "

اختفى العريف ثانية بعد أن مر عبر باب المطبخ ثم نظر وودك إلى الصهية . كان يكره دائماً أن يودع شخص قد قبله لتوه وخاصة إن كان هذا الشخص قد عامه بلطف

" هيا امض يا غلامى الصغير ، يجب أن تعرف جيداً ما يجب عليك فعله " .

فار وودك " أشكرك يا سيدتى الطاهية لن أنسى ضعامك أبداً "

ابتسمت إليه الطاهية مرة أخرى . كان عليه أن يسير مسرعاً ثانية لكي يجرى العريف الذى كانت سرعته فى السير غير متوافقة مع عرج وودك . توقف الجندى فجأة خارج باب كاد وودك أن يلج من خلاله داخل الغرفة .

" انظر إلى أين تذهب يا غلام ، انظر إلى أين تذهب " .

طرق الرجل طريقة خفيفة على الباب .

أجابته صوت من الداخل : " ادخل " .

فتح العريف الباب وحييا الرجل : " الفتى البولندى يا سيدى ؛ لقد استحم وتناول الطعام كما أمرت يا سيدى " " أشكرك أيها العريف . هل يمكنك أن تتكرم بدعوة السيد جرائت للحضور والانضمام إلينا ؟ "

نظر إدوارد برندرجاست إلى وودك وهو جالس على مكتبه . ثم دعا وودك للجنوس بإشارة من يديه وواصل انهماكهما فى بعض الأوراق . بعى وودك محدقا إلى الرجل ثم أخذ ينأمر الصور معلقة فوق الجدار . امريد من اللواتى والأميرالات وها هو الرجل صاحب النفس ثانية . ولكن فى هذه مرة وهو يرتدى اسرى الحربى ككى اللون . مرت بضع دقائق ثم جاء الرجل الإنجليزى الآخر الذى كان وودك قد قابله فى ميدان السوق .

" أشكرك لانضمامك إلينا يا هارى . أرجوك اجلس أيها الفتى . استدار السيد برندرجاست نحو وودك : " والآن يا غلام ، دعنا نسمع قصتك من البداية بدون مدقات . نحن فقط نريد الحقيقة هل نفهم ؟ " " نعم يا سيدى " .

بدأ وودك قصته من أيام بولندا . كان يبذل جهدا لكى يعثر على الكلمات الإنجليزية الصحيحة . كانت علامات الريبة مرتسمة بوضوح على وجه السيدين الإنجليزين فى البداية . كانا يعتبران حديثه من وقت إلى آخر لصرح بعض الأسئلة ثم يومئ كل منهما للآخر عند سماع الرد . بعد ساعة من الحديث ؛ كانت قصة حياة وودك قد وقعت عند حد وجوده فى مكتب السيد صاحب السمو البريطانى ؛ القنصل الثانى فى تركيب .

قال القنصل : " اعتقد يا هارى أن واجبنا أن نخاطر الوفد البولندى على الفور ونقوم بتسليم كوسكيفيتش الصغير لهم . اعتقد أنه بلا شك تحت مسئوليتهم فى ظل هذه الظروف " .

أجاب الرجل الذى كان يدعى هارى : " موافق . أتعرف يا بنى ، لقد نجوت اليوم بمعجزة فى ميدان السوق . إن العقوبة هنا فى تركيا تقضى بقطع يد السارق " " قل وودك وهو يقبض على معصم يده : " ولكن لماذا لم يبتروا يدي أنا " .

قل إدوارد برندرجاست مقاصدا " لقد قلت لهم إن بوسعهم تطبيق ذلك على المسلمين كما يحبو لهم ولكن ليست يد رجل إنجليزى " .

قل وودك فى صوته خافت : " الحمد لله " . قل القنصل الثانى ؛ وهو يهتسم للمرة الأولى : " اشكرنى أنا ايضا . يمكنك أن تقضى الليلة هنا وسوف نصحبك إلى وفد بلادك غد . إن البولنديين لا يملكون سفارة فى القسطنطينية فى واقع الأمر . ولكن مثلى لا يعجز عن المساعدة " . كان الرجل يتحدث فى شدة من التعالى ، ثم ضغط على زر ؛ فظهر العريف ثانية فى حجاب . " أمرك سيدى " .

" أيها العريف ؛ خذ كوسكيفيتش الصغير إلى غرفته وفى الصباح احرص على أن يتناول إفطاره ثم أحضره إلى مكتبى فى تمام الذمة " .

" أمرك سيدى ؛ سر يا فتى " .

قاد العريف وودك . لم تتح له أبدا فرصة شكر الرجلين الإنجليزين اللذين كانا قد أنقذا يده وربما حياته كلها . عاد وودك

ثانية إلى غرفة الصغيرة لتنظيمة بفرشيد ، لوشير النظيف المرتب جيدا كما لو كان في انتظار شرف ضيافته . خلع وودك ملابسه وألقى بالوسائد على الأرض ونام فى سبات عميق إلى أن أشرقت شمس الصباح عبر النافذة .

" قم وانشط يا غلام "

قالها العريف مرتديا زيه المتأنق المكوى بمنتهى الدقة والذي بدا وكأنه لم ينم فى فراش مطلقا من قبل . وقد شعر وودك وهو يسينقظ من نومه أنه قد عاد إلى المعسكر ٢٠١ لأن العريف كان قد طرق على طرف الإطار المعدى لسرير بعصه من أصدر صوتا شبيه بـ طرق على المثلث الذى كان وودك قد تعود عليه . نهض من على فراشه ونهب لارتداء ملابسه .

" اغتسل أولا يا غلام ؛ اغتسل أولا . نحن لا نريد أن نتسرب رائحتك الكريهة إلى السيد برنجرجاست وتؤذيه فى وقت مبكر من الصباح " . لم يكن وودك يدري أى جزء من جسده ينبغى أن يغسله ، حيث إنه لم يعتد النظافة منذ فترة طويلة . أخذ العريف يحدد فيه .

" ما الذى أصاب ساقك ؛ يا غلام ؟ " .

قال وودك وهو يتأى بنفسه عن عيون العريف : " لا شيء ؛ لا شيء " .

حسنا . سوف أعود فى غضون ثلاث دقائق . ثلاث دقائق ؛ هل تسمعى يا غلام ؟ احرص على أن تكون مستعدا " .

غسل وودك يديه ووجهه بسرعة ثم ارتدى ملابسه . ثم بقى منتظرا فوق مؤخرة السرير وهو مسك بمعطفه الطويل المصنوع من فراء الخروف حتى عاد العريف لكي يصحبه إلى القنصل الثانى . رحب به السيد برنجرجاست وبدا أكثر ودا عن اللقاء الأول .

" صباح الخير يا كوسكيفيتش "

" صباح الخير يا سيدى "

" هل استمتعت بالإفطار ؟ "

" لم أتناول الإفطار يا سيدى "

قال القنصل الثانى وهو ينظر إلى العريف : " ولم لا ؟ "

" أخشى أنه أفرط فى النوم يا سيدى . أى أنه كان سيتأخر

على موعدك يا سيدى "

" حسنا ؛ يجب أن نتدبر هذا الأمر . اطلب من السيدة

هندرسون أن تعد له إفطارا سريعا ؛ تفاحة أو أى شيء يمكن

تناوله " .

أجاب العريف : " أملك يا سيدى " .

سار وودك مع القنصل الثانى ببطة بطول الردهة نحو الباب

الأسمى من سفرة فوق الطريق المغطى بالحصى إلى أن وصلا إلى

السيارة التى كانت تقف فى انتظارهما ؛ كانت سيارة أوستوين ؛

إحدى مركبات الغيول ذات المحركات فى بركب وروب رحلة بوودث

فى سيارة خاصة . كانت يشعر بالأسف لمغادرة السفارة البريطانية .

كان أول مكان يشعر فيه بالأمان منذ سنوات . أخذ يتساءل إن كان

سيتمكن له أن يقام أكثر من ليلة فى نفس الفراش لبقاى حياته .

هبط العريف الدرج وجلس على مقعد فى السيارة . ودعطى وودك

تفاحة وبعض الخبز الدافئ .

" احرص على ألا تخلف أى فتات فى السيارة يا غلام .

الطاهية ترسل لك بتحياتها " .

مضت السيارة تشق طريقها وسط الشوارع المزدحمة الحارة بنفس

سرعة المشاة حيث إن الأتراك كانوا لا يؤمنون بأنه لا توجد أى

سرعة تفوق سرعة الجمل مما كن يجعلهم لا يبذلون أى جهد

لإفساح الطريق للسيارة الأوستين الصغيرة . حتى بالرغم من أن كل النوافذ كانت مفتوحة ، كان وودك يتصيب عرقاً جراء السخونة المتأججة بينما بقي السيد برندرجاست محتفظاً بهدوئه ورياسة جاشه . حاول وودك أن يخفي نفسه وهو جالس على المقعد الخلفي للسيارة خشية أن يتعرف عليه أى شخص يمكن أن يكون قد شاهده فى اليوم السابق فيثير عليه الغوغاء . عندما توقفت السيارة السوداء عند مبنى متهالك مكتوب عليه السفارة البولندية ، شعر وودك بشيء من الإثارة تشوبها خيبة الأمل .

خرج ثلاثتهم من السيارة .

سأله العريف : " أين قلب التفاحة ، يا فتى ؟ "

" أكلته " .

ضحك العريف وطرق الباب . فتح رجل ذو وجه ودود وشعر أسود فاحم وفم مضلع . كان يرتدى قميصاً ذا أكمام وكانت بشرته قد اكتسبت سمرة شديدة جراء التعرض للشمس . تحدث الرجل بالبولندية . كانت كلماته هي أول ما سمعه وودك بلغته الأم منذ أن ترك معسكر الاعتقال . أجاب وودك سريعاً وهو يشرح سبب وجوده . استدار الرجل البولندى نحو القنصل الإنجليزي الثانى .

" تنفس يا سيد برندرجاست " ، قالها الرجل فى انجليزية متقنة " لقد أحسنت صنعا بإحضار الفتى بنفسك إلى هنا " .

جرت بعض الدواولات الدبلوماسية القليلة بين الجانبين إلى أن قام السيد برندرجاست والعريف ليغادرا المكان . أخذ وودك يتأمله وهو يبحث عن تعبير إنجليزى أكثر ملاءمة من كلمة " أشكرك " .

ربت برندرجاست على رأس وودك كما لو كان جرواً صغيراً . وعندما أغلق العريف الباب همس لودوك قائلاً : " حظاً سعيداً يا غلام . يعلم الله أنك تستحق المعروف " .

قدم القنصل البولندى نفسه لودوك باسم " باول زالسكى " وطلب من وودك ثانية أن يعيد عليه قصته كاملة ، وقد وجد وودك سهولة أكبر فى رواية قصته بالبولندية عن الإنجليزية . أنصت إليه باول زالسكى فى صمت وهو يهز رأسه فى أسى .

قال القنصل فى أسى : " أيها الفتى المسكين ، لقدت تحملت عبئاً كبيراً من معاناة بلادنا ؛ عبئاً يفوق عمرك . والآن ما الذى تريد أن نفعله من أجلك ؟ "

قال وودك : " يجب أن أعود إلى بولندا وأطالب بحقوقى الشرعية فى قصر أبى وممتلكاته " .

قال باول زالسكى : " بولندا ! أين ممتلكاتك هذه ؟ إن مساحة الأرض التى تحدث عنها مازالت تخضع للسراى وصارت هناك حرب طاحنة بين البولنديين والروس . إن الجنرال بيلسودسكى يبذل قصارى جهده لكى يحمى أراضي أجدادنا ويزود عنها . ولكنه سوف يكون من الجنون بالنسبة لأى منا أن يكون متفائلاً فى ظل هذه الأحداث . هناك القليل ممابقى لك الآن فى بولندا . كلا ، إن أفضل خطة بالنسبة لك الآن هي أن تبدأ حياة جديدة فى إنجلترا أو أمريكا " .

" ولكننى لا أريد أن أذهب إلى إنجلترا أو أمريكا فأننا بولندى " .

" سوف تبقى دائماً بولندياً يا وودك ؛ لا يمكن لأحد أن ينتزع هذا منك فى أى مكان استقر اختيارك عليه . ولكن يجب أن تتسم بالواقعية فى حياتك ؛ التى بدأت بالقفل " .

نكس وودك رأسه فى يأس . هل أقدم على فعل كل هذا وخوض الصعاب لكى يكتشف فى نهاية المطاف أنه لن يملك العودة إلى وطنه الأم ؟ أخذ يقاوم حتى لا يذرف الدمع .

لف باول زالسكى كثف الطفس بذراعيه : " إياك أن تنسى أنك أحد المحظوظين الذين نجحوا فى الهروب أحياء . يجب أن تتذكر يا صديقى دائما الدكتور دوبان لكى تتذكر دائما ما كان يمكن أن تكون حياتك عليه " .
لم يتحدث وودك .

" والآن يجب أن تلقى ماضيك وراء ظهرك وتفكر فى المستقبل فقط يا وودك ، وربما سوف تشهد نهوض بولندا ثانية فى حياتك ولكن هذا أكثر مما يمكن أن أتطلع أنا إليه " .
بقى وودك صامتا .

قال القنص فى صوت رقيق : " حسنا - ليس هناك ضرورة لاتخاذ قرار عاجل . يمكنك أن تبقى هنا كما يحلو لك إلى أن يتخذ قرارا بشأن مستقبلك " .

الفصل العاشر



كان السعير مع الأشياء على شبر قلب أن كانت الشهور
سنة الأولى من زواج سعيدة ، لم يكن ينقصها سوى
قلب من الشرايين بترابسة من ويليام هنرى وعدم قدرة زوجها
الجد على بدء حياته العملية . كان هنرى حساسا فى هذا الصدد
وكان يفسر ذلك لزوجته آن بأنه كان مبالا مشوشا جراء الحرب
وأنه ليس مهيأ للإسراع وسعجر خنسة بداعيات النسي يمكن أن
تقع له إن أقدم على هذه الخطوة فى ظل حالة عدم استقراره .
وجدت آن صعوبة فى تصديق هذا التبرير مما دفعها إلى المبادرة
بإثارة هذا الأمر فى أول فرصة سانحة .

" أنا لا أفهم سبب عدم إقدامك على بدء حياتك العملية فى
مجال المقارنات الذى كنت تتوق إليه يا هنرى " .
" لا أستطيع ، ليس الوقت مناسباً تماماً بعد . إن السوق لا
يبدو مشجعاً فى الوقت الراهن " .

" لقد دأبت على قول ذلك منذ ما يقرب من عام إلى الآن . ونى
استساء متى سوف يكون مناسباً بشكل كاف بالنسبة لك ؟ "

" سوف يحير الوقت المناسب بالطبع ولكن احقيقه هى اسمى
بحاجة لإضافة القليل من رأس المال لكى أبداً . أى أنك إن
أقرضتنى بعض المال فسوف أتمكن من اقتحام السوق غداً "

" ولكن هذا مستحيل يا هنرى . أنت تعلم شروط وصية
ريتشارد . إن مخصصاتى المالية قد توقفت منذ اليوم الذى تزوجتك
فيه ، فلم أعد أملك الآن إلا رأس المال . "

" القليل فقط من رأس مالك سوف يساعدنى على البدء ، ولا
تنسى تلك الثروة الطائلة التى يملكها ابنك الغالى والتى تصل إلى
عشرين مليون دولار تحت وصية العائلة . "

قالت آن فى رغبة : " يبدو أنك تعرف الكثير عن ثروة
ويليام . "

" أرجوك يا آن ، امنحني الفرصة لكى أكون زوجك . لا
نشعرينى بأننى ضيف وأنا فى بيتي "

" ولكن أين مالك يا هنرى ، لقد قدسى إلى لاستند بأنك ست
ما يكفى من المال لبدء حياتك العملية . "

قال فى سخرية : " لقد كنت تعرفين دائماً أننى لست فى نفس
المستوى المادى لريتشارد ، وفى إحدى المرات ، زعمت لى يا آن أن
الأمر لا يعنيك وأنت سوف تتزوجين متى حتى إن كنت معدماً . "

انفجرت آن فى البكاء وحاول هنرى أن يهدئ من روعها .
فظلت باقى يومها بين ذراعيه وهما يتحدثان فى الأمر . وقد أفتحت
آن نفسها فى نهاية المطاف أنها هى التى لم تتصرف التصرف الذى
يليق بزوجة مخلصه وأنها لم تكن كريهة معه . إنها تملك من المال

ما يفوق احتياجاتها بكل المقاييس . لم لا تمنح الرجل الذى منحته
حياتها القليل من هذا المال ؟

وبناءً على ذلك ، وافقت آن على منح ريتشارد ١٠٠ ألف دولار
لكى يؤسس شركته العقارية فى بوسطن . وفى غضون شهر كن
هنرى قد أسس مكتب جديداً أنفياً فى أحد الأحياء الراقية فى مدينة
وعين طاقماً من العاملين وبدأ عمله . وسرعان ما بدأ يختلط بكبار
رجال السياسة والعقارات فى بوسطن . كانوا يتحدثون عن الطفلة
فى مجال الأراضى الزراعية وكانوا يطرون هنرى بعبارة التفاف . لم
يكن آن تكثر كثيراً بهم كصحبة اجتماعية ولكن هنرى كان سعيداً
وكان يبدو وكأنه ناجح فى عمله .

عندما بلغ ويليام الخامسة عشرة من عمره ، جاء ترتيبه السادس
على فصله فى عامه الثالث فى سانت بول بيبس كن الأول فى
الرياضة . كما أصبح إحدى الشخصيات اللاعبة فى المجتمع
لاكديمي . كان يكسب لأمه خضب كن اسبوع يذكر لها فيه مدى ما
أحرزه من نجاح وكان يوجه خطاباته دائماً باسم السيدة ريتشارد .
كان رافضاً الاعتراف بوجود هنرى أوسبورن . لم تكن آن وثيقة من
أنها يجب أن تفتحه فى هذا الأمر وكانت تحرص صباح كل اثنين
على استخرج خضب ويليام من سدود الخطبات لكىلا يرى هنرى
المطروف . طلت تأمل ان بعد ويليام عن رايه فى هنرى ون بالعه
بمرور الوقت . ومع ذلك بدا من الواضح لها أن هذا الأمل كان
وهماً . وخاصة عندما طلب منها فى أحد خطاباته أن تسمح له
بقضاء عطلة الصيف مع صديقه ماثيو ليستر ، أولاً فى المسكو
الصيفى فى فرومونت ثم مع أفراد أسرته فى نيويورك . كان هذا

الطلب بمثابة صدمة لأن ولكنها فضلت أن تتعاضد مع الأمر ببساطة وأن تسمح له بذلك وهو ما حيدته هنرى أيضا .

كان ويليام يكره هنرى أوسبورن وكان يحرص على هذه الكراهية ويغذيها حتى أنه لم يكن واثقا أن بإمكانه فى واقع الأمر أن يفعل شيئا حيال هذا الشعور . كان ممثنا لأن هنرى لم يزره مرة واحدة فى المدرسة ، فلم يكن ويليام ليتحمل أن يرى باقى زملائه والدته بصحبة هذا الرجل . كان ما يثير ضيقه بشكل كبير هو أنه كان يجب أن يعيش معه فى نفس المنزل فى بوسطن .

لأول مرة منذ زواج والدته ، شعر ويليام بالقلق من اقتراب موعد العطلة .

قادت سيارة آل ليستر الباكار الهادئة ويليام وماثيو إلى المعسكر فى فرمونت . وفى أثناء الرحلة كان ماثيو يسأل ويليام من آن إلى آخر عن خططه المستقبلية عندما يحين وقت مغادرة سانت بول .

أجاب ويليام بلا تردد : " عندما أغادر سوف أكون أول فصلى ورئيس الفصل وسوف أكون قد حصلت على منحة هاميلتون الدراسية فى مادة الرياضيات فى هارفرد " .

سأل ماثيو فى براءة : " لم تمثل كىل هذه الأمور أهمية بالغة بالنسبة لك ؟ "

" لأن أبى فعل كل هذا " .

" عندما تفرغ من سباقك مع أبيك سوف أقدمك لأبى " .

ابتسم ويليام .

كان الفتيان مفعمين بالنشاط وقد استمتعا بالأسابيع الستة التى قضياها فى فرمونت وهما يمارسان كل الألعاب من لعبة الشطرنج وحتى كرة القدم . عندما حان وقت نهاية العطلة ، سافر الاثنان إلى نيويورك لقضاء الشهر الأخير من العطلة فى منزل آل ليستر .

ألقي الخادم عليهما التحية فور دخولهما من الباب ، مخاطبا ماثيو بـ " سىر " ثم جاءت فتاة فى الثانية عشرة من عمره وجهها مغطى بالنمش وخاطبت ماثيو قائلة : " أيها البدين " . مما دفع ويليام إلى الضحك لأن صديقه كان خفيف أما هى فقد كانت بدنية . ابتسمت الفتاة وكشفت عن أسنانها التى كانت مختبئة تماما خلف التقويم .

قال ماثيو فى ازدراء : " بالطبع لا يمكنك أن تصدق أن سوزان هى أختى ، أليس كذلك ؟ "

قال ويليام وهو يبتسم إلى سوزان " كلا . لا أعتمد نى يمكن أن أصدق ذلك . فهى أجمل منك بكثير " .

أعجبت سوزان بويليام منذ هذه اللحظة .

كما أعجب ويليام بوالد ماثيو منذ اللحظة الأولى التى التقى فيها به ، لقد ذكره كثيرا من عدة جوانب بأبيه وأخذ يلح على تشارلز ليستر ويرجوه أن يسمح له بزيارة البنك العظيم الذى كان يرأسه . فكر تشارلز بإيمان فى طلبه ، لم يكن قد سمح لأى طفل من قبل بزيارة مقر البنك الأنيق الكائن فى ١٧ شارع برود ، ولا حتى ابنه . ولكنه مع ذلك قبل طلبه . كما يفعل أصحاب البنوك عادة - وصاحب لفتى فى جولة فى أرجاء البنك فى وول ستريت مساء أحد أيام الأحد .

وقد انبهر " ويليام " بالمكاتب المتعددة وغرفة المعاملات المالية وقاعة مجلس الإدارة والخزنة ومكتب رئيس البنك . كانت أنشطة بنك ليستر تفوق حجم أنشطة بنك " كين وكابوت " وكان ويليام يعرف من خلال كشف حساب استثماراته الشخصية الضئيل والذى كان يحصل من خلاله على نسخة من التقرير السنوى العام أن ليستر كان يملك قاعدة رأس مال تفوق كثيرا قاعدة رأس مال " كين

وكبوت " . بقي ويليام صامتا ، ساهما ، أثناء طريق العودة إلى المنزل داخل السيارة

سأله تشارلز ليسترقى صوت دافى : " حسنا يا ويليام ، هل استعنت بجولتك داخل البنك ؟ "

أجاب ويليام : " أجل بالطبع يا سودى . لقد أعجبنى البنك بالطبع " ثم سكث للحظة وأضاف : " وأنا عازم على أن أكون رئيسا لهذا البنك فى يوم من الأيام يا سيد ليستر " .

ضحك تشارلز ليستر . وأخبر ضيوفه على العشاء فى مساء ذلك اليوم بما قاله : " ويليام كين " مما دفعهم بدورهم إلى الضحك أيضا .

ولكن ويليام وحده هو الذى كان يعرف انه لم يكن يمزح

صدمت آن عندما عاد هنرى يطبق منها امر يد من المال قد لها مؤكدا " . به استنجا من للعابه . اسأل آلان ليوييد . إنه كرئيس للبنك لن يوافق إلا على ما يمكن مصلحتك للحد الأقصى " .

قالت آن فى تساؤل : " ولكنها مائتان وخمسون ألف دولار ؟ " " إنها فرصة رائعة يا عزيزتى . إنه استثمار يحقق ضعف رأس مال فى غضون عامين " .

وبعد جولة مطولة أخرى ، استسلمت آن ثانية وعادت الحياة إلى مجراها الطبيعى السلس . عندما راجعت آن حافظتها الاستثمارية مع البنك ، وجدت آن أن رأس مالها قد انخفض إلى ١٥٠ ألف دولار . ولكن هنرى بدا وكأنه يلتقى بالأشخاص المناسبين ويعقد كل الصفقات المناسبة . فكرت أن تناقش المشكلة بأسرها مع " آلان ليوييد " فى بنك " كين وكبوت " ولكنها تراجعت عن هذه

الفكرة فى النهاية لأن هذا كان سيعكس عدم ثقته فى زوجها الذى كانت تتمنى أن يكن له العالم كله كل الاحترام . كما أن هنرى باصبع ما كان ليعد على هذا الاقترار ما لم يكن واثق تمام الثقة من أن هذا الاستثمار سوف يلاقي قبول " آلان "

بدأت آن من ناحية أخرى ، تلتقى بالدكتور مكنزى ثانية لكى تعرف ما إن كان قد بقي لها أمل فى إنجاب طفل آخر ، ولكنه بقي ثابتا على رأيه وبأنه ضد هذه الفكرة . فضلا عن إصابتها بالرفع ضغط الدم الذى كان السب وراء إصابتها المبكر فى الحمل ، لم يكن أندرو مكنزى يرى أن صر آن الذى كان قد بلغ خمسة وثلاثين عاما مناسباً للتفكير فى إنجاب طفل . طرح آلان الفكرة على لجد تيرى ولكنهم أدت بمنتهى الحس رأى الطبيب المختص لم تكن أى منهم تكثر بهرى كثيرا . أب الأهم من ذلك همهم به ويحيذا على الإضلاق فكرة إنجاب ابن لأوسورن مطالب بحتة فى ثروة عائلة كين بعد رحيلهما . بدأت آن توطن نفسها وستقسم لفكرة كونها أما لابن واحد مما أثار ضيق هنرى بدرجة كبيرة له وضعه به خيانة ودفعه إلى اتهاسب بأنه لو كان ريتشارد مازان على قيد الحياة كانت قد حاولت ثبته كم يختلف الرجلان عن بعضهما البعض ، ولكنها أحبت كليهما ، حاولت أن تخفف عن هنرى وهى تتضرع إلى الله أن يسير عمله كما ينبغي لكى يشعر كى فكره ويصرفه عن التفكير فى هذا الأمر . كان هنرى قد تعود على العمل حتى وقت متأخر للغاية فى المكتب .

فى يوم الاثنين من شهر أكتوبر ، كانت عطلة نهاية الأسبوع التالية لثانى عيد زواج لهما ، عندما وصلت إلى آن بعض الخطابات الموقعة باسم " صديق " والتى تؤكد لها بأن هنرى يقيم علاقات مع نساء أخريات فى بوسطن مع وجود سيدة بذاتها على وجه التحديد

والتي لم يكثرث المرسل بذكر اسمها ، فى البداية ؛ عمدت آن إلى حرق الخطابات فى الحال . وبإلزام من أنها كانت تثير قلقها إلا أنها لم تناقش الأمر أبدا مع هنرى وتتخفى من اعتدق قلبه أن يكون كل خطاب تتلقاه هو الأخير ، لم تملك حتى الشجاعة لمواجهة هنرى عندما طلب منها آخر ١٥٠ ألف دولار بقيت لها .

" سوف أفقد الصفة كاملة إن لم أحصل على هذا المبلغ فى الحال يا آن " .

" ولكن هذا هو كل ما تبقى لى . إن أعطيتك كل المال فلن يبقى لى شيء " .

" إن هذا البيت وحده يساوى أكثر من مائتى ألف دولار . يمكنك أن ترهنيه غدا " .

" ولكن هذا البيت ملك ويليام " .

صاح هنرى فى انفعال : " ويليام ؛ ويليام ؛ ويليام . إن ويليام هو الذى يعترض دائما طريقى نحو النجاة " .

عاد هنرى ليلتها بعد منتصف الليل ؛ ميديا ندمه وأخبرها بأنه يفضل أن تحتفظ بماله وأن يتخلى هو عن صفته على أن يحتفظا على الأقل بالحب الذى يكنه كل منهما للآخر . أثارت هذه الكلمات ارتياح آن وباتت ليلتهما فى هدوء . ثم وقعت على شيك بمبلغ ١٥٠ ألف دولار فى صباح اليوم التالى محاولة أن تقتضى أنها قد أصبحت بذلك لا تملك مليما واحدا حتى يعقد ويليام الصفة التى كان يتحدث عنها . ولكنها أخذت تتساءل هل كانت مجرد صدقة أن يساوى المبلغ الذى طالباها به كل ما بقى لها من ميراثها . وفى الشهر التالى ؛ فانت آن حيازة .

شعر الدكتور مكنزى بالقلق ولكنه حاول أن يخفيه . أما الجدتان فقد ارتعدتا وقد عبرتا عن قلقهما . ولكن هنرى من ناحية

أخرى شعر بسعادة غامرة وأكد لأن هذا أروع ما حدث له طوال حياته . حتى أنه وافق على بناء جناح جديد للأطفال فى المستشفى الذى كان ريتشارد قد خطط لبنائه قبل وفاته .

عندما سمع ويليام بالنبا عن طريق أحد خطابات والدته ؛ سمرق فى فكيف عنيق عشه ذلك اليوم حتى أنه عجز عن الإفصاح بالأمر حتى لصديقه ماثيو . فى صباح السبت التالى ؛ يعد أن حصل على تصريح خاص من ناظر المدرسة السيد جرامبى راجلان أو " عيوس " كما كان يطلق عليه ؛ ركب القطار إلى بوسطن وسحب فور وصوله مائة دولار من حساب مدخراته . ثم توجه بعدها إلى مكتب " كوهين " للشئون القانونية ؛ مكتب " كوهين وويلون " فى شارع جيفرسون . كان السيد " توماس كوهين " - الشريك الأكبر - رجلا طويلا شديد النحولة مترهل الخدين وقد شعر بشيء من الدهشة عندما فوجئ بدخول ويليام عليه فى مكتبه .

بدأ السيد كوهين حديثه : " لم يسبق من قبل أن زارنى فتى فى السادسة عشرة من عمره . سوف يكون هذا حدثا جديدا بالنسبة لى " . ثم قال فى تردد : " يا سيد كين " . لقد شعر أن كلمة " السيد كين " لم تكن تخرج بشكل انسيابى من فمه . " وخاصة أن والدك لم يكن - كيف لى أن أعبر عن ذلك - ممن يبدون تعاطفهم مع جنس " .

أجاب ويليام : " والذى كان من أشد المعجبيين بإنجازات السلالة العبرية وكان يكن احتراما خاصا لشركتك وهى تمثل منافسينا . لقد سمعته هو والسيد ليويذ يذكران اسمك فى عدة مناسبات . وهو ما دفعنى إلى اختيارك يا سيد كوهين ؛ لا بد أن هذا تأكيد كاف بالنسبة لك " .

سرعان ما نحى السيد كوهين عمر ويليام جانبا : " بالطبع بالطبع ، يمكنني أن أقدم استثناء لابن ريتشارد كين . والآن ما الذى يمكن أن أسديه لك ؟ " .

" أريد أن أعرف الإجابة عن ثلاثة أسئلة يا سيد كوهين . أولا : أريد أن أعرف إن كانت أمي السيدة هنرى أوسبورن سوف تنجب طفلا - ذكرا كان أو أنثى - فهل سيكون لهذا الطفل أية حقوق قانونية فى ضرورة عائلة " كين " ؟ ثانيا ، هل هناك أية التزامات قانونية يجب أن أمنحها للسيد هنرى أوسبورن بصفتة زوجا لأمي ؟ ثالثا أريد أن أعرف فى أى سن يحق لى أن أطلب من السيد أوسبورن أن يغادر منزلى فى ميدان ليوبزبرج فى بوسطن ؟ "

كان القلم يجرى فى يد السيد كوهين وهو يدون على الورق أمامه ما يقوله ويليام وهو ينثر بقع الحبر على سطح مكتبه الذى كان زائرا بالفعل ببقع الحبر .

وضع ويليام مائة دولار على المكتب ففوجئ المحامى ، ولكنه أمسك بالعملات وأخذ يعدها .

" استخدم النقود بحرص يا سيد كوهين . سوف أكون بحاجة إلى محام جيد فور تخرجى من هارفرد "

" هــــ تم قبورك بالفعل فى جامعة هارفرد يا سيد كين ؟ تهانينا . أتمنى أن يلتحق ابنى بها هو الآخر "

" كلا لم أقبل بعد ولكننى سوف أقبل بعد عامين . سوف أعود إلى مكتبك هنا فى بوسطن بعد أسبوع يا سيد كوهين . إن بلغنى على مدار حياتى أن هناك شخصا آخر قد علم بهذا الأمر ، فاعتبر أن علاقتى بك قد انتهت . يوما سعيدا يا سيدى "

كان توماس كوهين على وشك التقوه بكلمة " يوما سعيدا " هو الآخر ولكنه لم ينجح فى التقوه بها قبل أن يغلق ويليام الباب وراءه .

عاد ويليام إلى مكتب " كوهين " بعد سبعة أيام . قال توماس كوهين : " مرحبا بك يا سيد كين يسعدنى أن ألتقى بك ثانية . هل تريد تناول بعض القهوة ؟ "

" كلا ، شكرا لك " .

" هل أرسل فى شراء المياه الغازية ؟ "

لم يبد ويليام أى رد فعل .

" إذن إلى العمل ، إلى العمل " قائما كوهين وهو يشعر بقدر من الحرج . " لقد بحثنا لك الأمر جيدا يا سيد كين بواسطة مكتب تحسوى خاص فى السبعة لكى يساعد فى الإجابة عن الأسئلة التى طرحتها علينا والتى لم تكن أكاديمية بشكل بحت . أستطيع أن أقول لك سنهضى الارتياح بى قد عثرت عن اجوبة لكى استلقت . لقد سألت إن كان لابن السيد أوسبورن من أمك أية حقوق فى ثروة " كين " وبشكل خاص الوصية التى تركها لك والدك . وأن أجيبك بأنه ببساطة لا يملك أية حقوق يمكن أن يطالب بها ، ولكن السيدة أوسبورن يمكن بالطبع أن تكتب له جزءا من ثروتها التى تركها لها والدك والتى يمكن أن تقسمها كما يحلو لها "

ثم نظر السيد كوهين إلى ويليام .

" ومع ذلك ، قد يهملك أن تعرف يا سيد " كين " ، أن والدك قد سحبت الخمسمائة ألف دولار كاملة من حسابها الخاص فى " كين وكابوت " على مدار الثمانية عشر شهرا الماضية ، ولكننا عجزنا عن معرفة مآل هذه الأموال . ربما تكون قد قررت أن تحتفظ بها فى بنك آخر " .

ارتسمت على ويليام علامات الصدمة ، كانت هذه هي أول مرة يلاحظ فيها السيد كوهين عدم قدرة ويليام على ضبط نفسه .

قال ويليام : " لم تكن هناك حاجة تدفعها إلى عمل ذلك . إن النقود لا يمكن أن تكون قد ذهبت إلا إلى شخص واحد فقط " .

بقي المحامي صامتا ، في انتظار سماع المزيد ولكن ويليام تمالك نفسه ولم يضيف كلمة واحدة فواصل السيد كوهين حديثه :

" أما الإجابة عن سؤالك الثاني فهو أنك لست مطالبا بأية التزامات قانونية أو شخصية حيال السيد أوسبورن بالمرّة . فإذن وصية والدك تقضى بأن تكون والدك وصية على ثروتك هي والسيد آلان ليويو والسيدة جون برستون - أى من بقى قيد الحياة من الأوصياء - إلى أن تصل إلى سن الحادية والعشرين من عمرك " .

ثم نظر توماس كوهين إلى ويليام ثانية . لم تبد أية استجابة على وجه ويليام بالمرّة . كان كوهين قد أدرك وقتها أن هذا يعنى أنه يمكنه المواصلّة .

" وبهذا ، لا يمكنك يا سيد كين ، أن تطالب السيد أوسبورن بمغادرة المنزل فى ببيكون هيل طالما بقى متزوجا من والدتك ومقيما معها . إن هذا البيت لن يؤوّل إلى ملكيتك بشكر كامل إلا عند وفاة والدك . إن كان مازال على قيد الحياة عندها ، يمكنك أن تطالبه بالرحيل . أعتقد أن هذا يجيب عن كل تساؤلاتك يا سيد كين

قال ويليام : " أشكرك يا سيد كوهين ، أشكر لك كفاءتك وتكتمك هذا الأمر . ولأن أرجوك أخبرنى بأنعابك " .

" مائة دولار لا تغطى التكلفة يا سيد كين ولكنك تريد أن تتعاون معك فى المستقبل "

" لا أريد أن أكون مدينا لأى أحد يا سيد كوهين . يجب أن تعاملنى باعتبارى شخصا لن تتعامل معه ثانية فى المستقبل . ضع هذا فى اعتبارك وأخبرنى ، ما هو المبلغ المستحق ؟ " .

فكر السيد كوهين فى الأمر لبرهة ثم أجاب : " فى هذه الحالة ، فسوف تكون التكلفة هى مائتين وعشرين دولارا يا سيد كين "

أخرج ويليام ست عملات ورقية فئة العشرين دولارا من جيبه ووضعها للسيد كوهين . ولكن السيد كوهين فى هذه المرة لم يعد النقود .

" أنا ممتن لتعاونك معى يا سيد كوهين ، أن واثق من أننا سوف نلتقى ثانية طالما يملك يا سيدى "

" طاب يومك يا سيد كين . دهنى أخبرك بأننى لم أشرف بلقاءه وأدرك المحرج من قبل ولكن بعد تعاملى معك ، تمنيت لو كنت قد تحدثت معه " .

انقسم ويليام وأجاب فى امتنان : " أشكرك يا سيدى " .

...

شغل الاستعداد للمولود الجديد كل وقت " آن " ، كانت تجد نفسها متعبة فى معظم الوقت وكانت تسعى دائما للحصول على قسط وافر من الراحة . كانت كلما سألت " هنرى " عن عمله ، عثر دائما على الإجابة الشافية التى تثلج صدرها بدون أن يعنحها تفاصيل واقية .

وفى صباح أحد الأيام بدأت الخطابات المجهولة تتواصل ثانية . ولكن فى هذه المرة مع الإفصاح عن المزيد من التفاصيل أى

أسماء النساء والأماكن التي يذهب إليها هنرى . حرقت آن الخطابات حتى قبل أن تحفظ الأسماء والأماكن فى ذاكرتها . لم تكن تريد أن تصدق أن زوجها يمكن أن يخونها خاصة وهى تحمل ابنه . لا بد أن هناك شخصا ما يغار من هنرى ويريد أن ينال منه . تواصلت الخطابات ؛ أحيانا بأسماء جديدة ؛ وواصلت أن التخلص منها ولكنها أصبحت تشوش فكرها . كانت تريد أن تناقش المشكلة بروتها مع أى أحد ولكنها لم تعثر على الشخص المناسب الذى يمكن أن تحادثه فى مثل هذا الأمر . فالجدتان متحاملتان بالفعل على هنرى وكان هذا الأمر سينزل عليهما نزول الصاعقة . كما انه لم يكن يتوقع أن يتفهم آلان بيويد هذا الأمر لأنه لم يسبق له الزواج مطلقا . أما ويليام فقد كان صغيرا بعد على مثل هذا الأمر . لم يبد له أى شخص مناسبا . فكرت آن فى استشارة صبيب نفسى بعد أن استمعت إلى إحدى محاضرات سيجموند فرويد ولكن لم تكن من سميت عائلة كابوت ماقشة به . مور عاينيه مع الغرباء ولكن الأمور تطورت بعد ذلك إلى حد لم تستطع آن تحمله . فى صباح أحد أيام الاثنين ، تلقت ثلاثة خطابات ، خطابها المعتد من ويليام والوجه إليها باسم السيدة " ريتشارد كين " ، والذى كان يطلب منها فيه أن تسمح له بقضاء عطلة الصيف مع صديقه ماثيو ليستر . ثم خطاب من مجهول يخبرها فيه بأن هنرى على علاقة غرامية بـ " ميلى برستون " ، والخطاب الثالث من آلان ليويد رئيس البنك يطلب منها أن تتصل به لتحديد موعد للقاءه فى أقرب فرصة ممكنة . جلست آن مكبلية بالهموم ، وهى تشعر بضطراب أنفاسها وبأنها ليست على ما يرام ؛ ووجدت نفسها مجبرة على إعادة قراءة الخطابات الثلاثة . لقد صدمها خطاب ويليام الذى أشعرها إلى أى حد أصبح منقصلا عنها . كانت تكره أن

تعرف أنه قد فض قضاء الصيف مع ماثيو ليستر . لقد ظلا فى حالة تباعد متزايد منذ زواجهما من هنرى . أما لخطاب الموقع من قبل مجهول بشأن وجود علاقة غرامية بين هنرى وصديقتها المقربة فقد كان يستحيل عليها تجاهله . لم تستطع آن أن تمنع نفسها من التفكير بأن ميلى هى التى قدمت لها هنرى فى المقام الأول ؛ وأنها كانت فى نفس الوقت أما روحية لابنها ويليام . أما الخطاب الثالث من آلان ليويد ، الذى كان قد أصبح رئيسا لبنك " كين وكابوت " ، بعد وفاة ريتشارد ، فقد أشاع فيها الشعور بالذعر والخوف . كان الخطاب الوحيد الذى وصلها من آلان هو خطاب تعزية إثر وفاة ريتشارد . فخافت ألا يحمل لها هذا الخطاب إلا المزيد من الأنباء السيئة .

اتصلت بالبنك . فأوصلها عامل الهاتف على الفور بالسيد آلان .

" آلان ، لقد كنت تريد مقابلتى ؟ "

" نعم يا عزيزتى ، أريد أن أتحدث معك قليلا . متى يمكن أن نقابل ؟ "

سألت آن : " هل هى أنباء سيئة ؟ "

" ليس تحديدا . إننى أفضل ألا نتحدث فى هذا الأمر عبر الهاتف . ليس هناك ما يثير قلقك . هل يمكن أن نتناول الغداء سويا ؟ "

" أجل يا آلان . "

" حسنا فلنلق فى فندق ريتز فى الواحدة . إننى فى انتظار لقاؤك هناك يا آن . "

الواحدة ظهرا ؛ مازال أمامى ثلاث ساعات . تحول تفكيرها من آلان إلى ويليام ثم إلى هنرى ولكنها ركزت تفكيرها على ميلى

برستون . هل يمكن أن يكون هذا صحيحا ؟ قررت أن أن تأخذ حماما طويلا دافئا وأن ترتدى ثوبا جديدا . ولكن هذا لم يجد . لقد شعرت أنها قد بدأت تبدو منتفخة . كانت البقع قد غطت ساقيهما وكاحليهما اللذين كانا يتميزان دائما بالتحافة والأناقة . كان ما يثير خوفها قليلا هو التنبؤ بمدى تدهور الأمور قبل مولد ابنها . نظرت إلى نفسها في المرآة وبذلت أقصى جهدها في العناية بملابسها الخارجية .

" تبدين في غاية الأناقة يا آن . لو لم أكن قد تخطيت السن المناسبة لكنت قد غارلتك صراحة " . قالها الرجل المصرفي - وهو يقبلها على خديها محببا لها كما لو كان جنرالاً فرنسيا . ثم قادها إلى المائدة .

كان من التقاليد غير المعلن عنها أن تخصص مائدة الزاوية لرئيس بنك " كين وكابوت " لكي يتناول عليه غداءه ما لم يتناول في البنك . كان هذا هو ما دأب عليه ريتشارد وحافظ عليه آلان ليويدي . كانت أول مرة تجلس فيها آن على المائدة مع أى شخص . كان الندال يحومون حولهما كالفراشات وكانهم يعرفون متى يختفون ويظهرون من جديد بدون أية مقاطعة للحديث الخاص .

" ما هو تاريخ اسوقع للإحباط يا آن ؟ "

" ليس قبل ثلاثة شهور "

هل هناك أية مصاعف . اعدد انك كنت نعتين

قالت آن : " آجس إن الطبيب يفحصنى كل سبوع ويبدو عليه علامات الانزعاج والضيق عند قراءة ضغط الدم لدى ولكننى لا أشعر بقلق كبير " .

قال الرجل ولمس يدها في حنو وكأنه أبوها : " أنا سعيد للغاية بـ عزيزتى ولكنك تبدين متعبة ، أتمنى ألا تجهدى نفسك " .

رفع آلان ليويدي يده قليلا فظهر له أحد الندل وتولى مهمة تدوين الطلبات .

" آن ؟ أريد أن أطلب منك النصيحة " .

كانت آن تدرك بكل أسف موهبة آلان ليويدي فى المصارعة والتحدث بدبلوماسية . إنه لم يكن ليتناول الغداء معها لكي يطلب منها النصيحة وإنما هو الذى جاء لكي يقدم لها النصيحة ولكن ينطف

" هل تعلمين كيف تسيّر شئون زوجك فى مجال العقارات ؟ " قالت آن : " كلا ؛ لا أعرف . فانا لا أقحم نفسى أبدا فى عمل هنرى . كما أننى - كما تذكر - لم أكن أتدخل فى أعمال ريتشارد . ولكن لماذا ؟ هل هناك ما يدعو للقلق ؟ "

" كلا ؛ كلا ؛ لا أحد فى البنك يعرف حقيقة وضعه . بل على العكس ؛ نحن نعلم أن هنرى قد اشترك فى مناقصة للحصول على عقد بناء ملحق المستشفى الجديد . ولكننى كنت أسألك فقط لأنه كان قد جاء إلى البنك طلبا لاقتراض مبلغ خمسمائة ألف دولار " . ذهلت آن .

قال : " أرى أن هذا يدهشك . نحن نعرف الآن من خلال كشف حسابك أنك أصبحت لا تملكين إلا أقل من عشرين ألف دولار فى حساب مدخراتك ؛ كما أن هناك سحبا بسيطا على الكشوف يصل إلى سبعة عشر ألف دولار من حسابك الشخصى " .

وضعت آن ملعقة الحساء وهى مرتعدة . لم تكن تدرك أن وضعها المالى قد وصل إلى هذا السوء . وقد لاحظ آلان ما تشعر به من ضيق . أضاف الرجل سريعا : " ليس هذا هو سبب دعوتى لك على الغداء يا آن . إن البنك سوف يسعده أن يخسر المال لصالح حسابك الشخصى على مدى حياتك . إن ويليام يحقق أرباحا تصل إلى

مليون دولار سنوياً ، كقيمة فائدة سنوية على ثروته وهذا يعنى أن هذا السحب لن يسبب أى ضرر وكذلك الخمسمائة ألف دولار التي يطلبها هنرى - إن حصلنا على مساندتك بوصف وصية قانونية على ثروة ويليام "

قالت آن : " لم أكن أعلم أنني أملك سلطة على ثروة ويليام " " أنت لا تملكين بالفعل السلطة على رأس مال ويليام ، ولكن من الناحية القانونية يحق لك استثمار الفائدة فى أى مشروع يمكن أن يعود بالفائدة على ويليام بصفتك وصية قانونية وميللى بريستون وأنا بوصفنا مشرفين على تعهد وصية وهذا إلى أن يبلغ الحادية والعشرين من عمره " أنا الآن بوصفنى ربيب لثروة وسليم حكيمى ؟ أصرف الخمسمائة ألف دولار بعد موافقتك . لقد أخبرتنى ميللى بالفعل أنه سوف يسعدنا أن نغير بهذا عرض أى ان السحب بذلك سوف يصير بى صوتين بعد الحصول على موافقتك بما يعنى أن صوتى لا يكون له قيمة "

" ميللى بريستون قد وافقت بالفعل يا آن . "

" أجل . ألم تخبروك بذلك " .

لم ترد آن فى الحال .

سألت آن بعد فترة صمت : " ولكن ما هو رأيك " .

" حسناً ، أنا لم أطلع على حسابات هنرى لأنه لم يبدأ عمله إلا منذ ثمانية عشر شهراً فقط كما أنه ليس له تعاملات بنكية معنا ، لذا فإننى لا أملك أدنى فكرة عن نفقاته ودخله على مدى العام الجارى وما هو دخله المتوقع للعام ١٩٢٣ . ولكننى أعرف أنه قد تقدم للحصول على عقد المستشفى ، كما أن هناك الكثير من الشائعات التي تؤكد أنه سوف يحصل على هذا العقد فى الغالب " ، قالت آن : " ألا تعلم أنني قد أعطيت هنرى خمسمائة

ألف دولار من حسابى الخاص على مدى الثمانية عشر شهراً الماضية ؟ " .

" لقد أخبرتنى المسئول فى البنك لأن هذا هو واجبه عند سحب مبلغ نقدى كبير كهذا من أى حساب . لم أكن أعلم فيما سوف تتفقين المال ولكن هذا ليس من شأنى يا آن . لقد ترك لك ريتشارد هذا المال ويحق لك أن تتفقيه كيفما شئت "

" ولكن فى حالة الفائدة الخاصة بثروة العائلة فهذا شأن آخر .

كنت قد قررت سحب خمسمائة ألف دولار لاستثمارها فى شركة هنرى ، فإن البنك يجب أن يفحص حسابات هنرى لأن هذا سيكون بمثابة استثمار آخر فى حافظة ويليام . إن ريتشارد لم يمنح لي بعد حق التصريح وإنما منحهم فقط حق الاستثمار باسم ويليام بعد شرحى هذا الوضع لبرتمه لهنرى ، وإن أردنا المضى قدماً فى هذا الاستثمار فإن الدرد يجب أن يقرروا نسبة الفائدة المناسبة التي سوف نحصل عليها من وراء شركة هنرى إن وافقنا على إقراضه مبلغ خمسمائة ألف دولار . إن ويليام بالطبع يطلع بشكل دائم على الدخل الذى تدركه ثروته ، لأنه كان قد طلب منا أن يحصل على تقرير ربع سنوى يحتوى على كشف حساب برنامج الاستثمارى ولم تجد غضاضة فى الاستجابة لطلبه شأنه شأن أى وصى من الأوصياء . وأنا لا أشك من جهتى وحسب علمى أن ويليام سوف يكون له رأى آخر فى هذا الصدد لأنه سوف يطلع عليه بلا أدنى شك عند تسلم تقريره ربع السنوى "

" ربما يكون من دواعى سرورك فى هذا الصدد أن تعرفى أنه منذ بداية عامه السادس عشر ، حرص ويليام على إرسال آرائه الخاصة بشأن كل استثمار نقدم عليه . فى البداية كنت أطلع على هذه الملاحظات بدون اكتراث حقيقى بصفتى وصياً حريصاً على

مصلحة الموصى عليه . ولكن بمرور الوقت ، كنت أحرص على دراسة آرائه بمنتهى الاهتمام وباحترام بالغ . عندما يحتل ويليام مكانته في مجلس إدارة " كين وكابوت " ، سوف يكون لهذا البنك شأن آخر "

قالت آن وهي تشعر بالوحشة : " ولكن لم يسبق أن طلب مني أحد النصيحة بخصوص ثروة ريتشارد "

" حسنا يا عزيزتي ، لقد كنت تطلعين على التقارير التي كان البنك يرسلها لك في أول يوم كل ثلاثة شهور وكان يوسعك أن دائم أن تتحرى عن الاستثمارات التي تقوم بها نيابة عن ويليام "

أخرج آلان ليوييد قطعة ورق من جيبه وبقي صامتا إلى أنهي الغادل صب الشراب الفاخر . بما أن أصبح النادل خارج نطاق السمع ، واصل آلان حديثه .

" إن ويليام يملك أكثر من واحد وعشرين مليون دولار خاضعة للاستثمار داخل البنك بنسبة فائدة تصل إلى أربعة ونصف بالمائة سنويا إلى أن يبلغ الحادية والعشرين من عمره . نحن نعيد استثمار الفائدة من أجله كل ربع سنة في الأسهم والسندات ، ولكن لم يسبق لنا أن استثمرنا المال في شركات خاصة . قد يدعشك أن تعرفي يا آن أننا أصبحنا نجرى إعادة الاستثمار هذا مناصفة أي خمسين بالمائة بناء على توصية البنك والخمسين بالمائة الأخرى مقابل نصائح ومقترحات ويليام . نحن إلى الآن متقدمون عليه قليلا مما يثير ارتياح توني سيمونس - مديرنا الاستثماري - والذي وعده ويليام بأنه سوف يشتري له سيارة رولز رويس إن نجح مرة في التقدم عليه بنسبة تزيد على عشرة بالمائة "

" ولكن من أين له بالعشرة آلاف دولار ثمن السيارة الرولز رويس إن خسر الزهان ما لم يسمح له بحسب المال من الوصية قبل أن يبلغ الحادية والعشرين ؟ "

" لا أعرف الإجابة عن هذا التساؤل يا آن . ولكن ما أنا واثق منه هو أن ويليام يعتز بنفسه إلى حد لا يسمح له أن يطلب هذا المال مباشرة ، كما أنني واثق من أنه لن يقدم على المراهنة ما لم يكن يملك المال . هل أتاحت لك فرصة مشاهدة دفتر حسابه مؤخرا ؟ "

" هذا الدفتر الذي كانت جدته قد أهدته إياه ؟ "

أوما آلان ليوييد بالموافقة .

" كلا لم أره منذ أن ذهب إلى المدرسة . ولم أكن أعلم أنه مازال موجودا أصلا "

قال الرجل : " بلى ؛ إنه مازال موجودا وإنني على استعداد لأن أصرف للعاملين بالبنك مرتب شهر كامل مكافأة إن سئحت لي الفرصة بالاطلاع على حجم رصيده . ولكن أعفد أنت تعرفين أنه قد أصبح يحتفظ بأمواله الآن في بنك ليستر في نيويورك وليس في بنكنا ! إنهم لا يقبلون حجم تعامل في الحساب الشخصي يقل عن عشرة آلاف دولار . كما أنني واثق من أنهم لن يسمحوا بأي استثناء حتى إن كان هذا الاستثناء لابن ريتشارد كين . قالت آن : " ابن ريتشارد كين "

" آسف ؛ لم أقصد أية إساءة يا آن "

" كلا ، كلا ؛ هو بلا شك ابن ريتشارد كين . هل تعلم أنه لم يطلب مني مليما واحدا منذ عيد ميلاده الثاني عشر ؟ أعفد أنني يجب أن أحذرك يا آلان بأنه لن يرحب باستثمار الخمسمائة ألف دولا في شركة هنري "

سأل آلان وهو يرفع حاجبيه : " هل هما غير متفقين مع بعضهما البعض ؟ "

قالت آن : " نعم مع الأسف . "

" آسف لسماع ذلك . لأن معارضة ويليام سوف تجعل هذا الإجراء أكثر تعقيدا . بالرغم من أنه لا يملك سلطة حقيقية على وصيته إلى أن يبلغ الحادية والعشرين ، فقد اكتشفنا من خلال مصادرها الخاصة بأنه يملك شجاعة الاستعانة بمحام مستقل للتعرف على حقيقة وضعه القانوني . "

قالت آن : " يا إلهي لا يمكن أن تكون جادا . "

" بلى ، أنا جاد تماما ، ولكن ليس في هذا ما يقلقك . بل إنني لكى أكون صريحا معك ، لقد ترك هذا انطبعا مثيرا لدينا جميعا في البنك وما ان تعرفنا على مصدر هذا الطلب ، قدمنا له المعلومات اللازمة التي كنا في الظروف العادية نسمى لتكتنمها . إنه لسبب خاص في نفسه لم يسع لسؤالنا بشكل مباشر . "

قالت آن : " يا إلهي . ولكن كيف سيتصرف إذن عندها يبلغ الثلاثين من عمره ؟ "

قال آلان : " هذا يتوقف على ما إن كان سيسعده الحظ بالسقوط في هوى جميلة مثلك . لقد كان هذا دائما هو سر قوة ريتشارد " .

" أنت مغاؤل محترف يا آلان . ألا يمكن أن ننحى مشكلة الخمسمائة ألف دولار جانبا إلى أن نتاح لي فرصة مناقشة الأمر مع هنرى ؟ "

" بالطبع يا عزيزتى ، لقد سبق وقلت لك إننى قد جثت طلبا لنصيحتك " .

طلب آلان القهوة ثم أمسك يد آن برفق بين يديه وقال لها : " ولكن تذكرى أنك يجب أن تعتنى بنفسك جيدا يا آن . أنت أهم بكثير من مصير الخمسمائة ألف دولار " .

عندما عادت آن إلى بيتها بعد تناول الغداء ، بدأت على الفور تشعر بالقلق حيال الخطابين الآخرين اللذين كانت قد تلقتهم فى صباح ذلك اليوم . كان هذ شىء واحد فقط قد تأكد لها بعد أن تكشفت لها كل تلك الحقائق عن ابنها على لسان آلان ليويو ، وهو أنه سوف يكون من الحكمة أن تستسلم بكياسة لطلب ويليام بأن يقضى العطلة التالية مع ماثيو ليستر .

أما احتمال أن تكون هناك علاقة غرامية بين ميلى وهنرى فقد كانت بمثابة مشكلة أعجزتها عن تصور أى حل ممكن . جلست على المقعد الجلدى البنى - مقعد ريتشارد المفضل - وهى تنظر عبر النافذة إلى الزهور البيضاء والوردية الجميلة ، لم تكن تشاهد أو تتأمل شيئا ، كانت فقط ممعنة فى التفكير . كانت آن تستغرق عادة وقتا طويلا فى التفكير قبل اتخاذ أى قرار ، ولكن عندما تتخذ القرار كانت نادرا ما تتراجع عنه .

عاد هنرى إلى البيت يومها قبل موعده المعتاد مما دفعها إلى التناؤل عن السبب . ولكنها سرعان ما عثرت على الإجابة . قال هنرى وهو يدخل الغرفة : " سمعت أنك قد تناولت الغداء اليوم مع آلان ليويو " .

" من أخبرك بذلك يا هنرى ؟ "

" لدى جواسيس فى كل مكان " قالها وهو يضحك .

" نعم ، دعانى آلان لتناول الغداء معه اليوم . كان يريد أن يعرف رأى فى استثمار خمسمائة ألف دولار من أموال ويليام فى شركتك " .

سألها هنرى وهو يحاول أن يخفى قلقه : " ماذا قلت له ؟ "
 " ولكننى أخبرته بأننى أريد مناقشة هذا الأمر معك أنت أولا ؛
 ولكن لم بالله عليك لم تصارحنى بالأمر قبل أن تتصل بالبنك ؛ يا
 هنرى ؟ لقد شعرت بالحماقة عندما سمعت بهذا الأمر من آلان للمرة
 الأولى " .

" لم تكن أظن أنك سيمين على إطلاق بدأعمل ب عزيزنى ،
 وقد عرفت بمحض الصدفة أنك أنت وآلان ليوبد وميلى برستون
 الوصي على ثروة ويبيم وأن لكر منكم صوا فى الاستثمارات
 بحاصه بارياج وسدم " .

سألت ن . ولكن كيف عرفت ذلك ؟ فى حين اننى لم أكن
 أنا شخصا أعرف ذلك " .

" أنت لا تعرفين التقرير يا حبيبتي ولم أكن أب نيك أفعس
 ذلك حتى وقت قريب لقد أخبرتنى ميلى برستون بمحض الصدفة
 عن تفصيل الوصية . انها ليست فقط صديقة مقربة لعملى وإنما هى
 ابنة احدى الأوصياء . بعد ادهشها هذا الأمر كليله عندما عرفته فى
 البداية . وآلان دعينا ندرس الأمر وإن كان بوسعنا أن نديره
 لصالحنا . لقد أخبرتنى ميلى بأنها سوف تساندى إن حصلت على
 موافقتك " .

مجرد سماع سم بيلى ثار فى آن الشعور بالضيق .

فالت آن " أعتقد أننا يجب ألا نمرس ثروة ويليام

إننى لم نأخذ أبدا إلى الوصية باعتبارى ملت فيها أى حق بر
 إنه سوف يسعدنى بحق أن أرى الأمور تسير كمادتها .
 أن أجعل البنك يعيد استثمار الفائدة كما كن الحال . فما فى
 الماضى " .

" لم تصرين على الاستمرار فى الحصول على فائدة استثمار
 البنك فى الوقت الذى أنا فيه بصدد إبرام عقد بناء مستشفى
 المدينة ؟ إن ويليام سوف يحنى أرباحاً طائلة من وراء شركتى تفوق
 ما سوف يحصل عليه من البنك . قطعاً يوافقنى آلان الرأى ؟ " .

" إننى لست وثقة من ذلك . إنه كذاب دائم رجس متحفظ
 بالرغم من أنه قد أكد لى أن العقد سوف يكون فرصة ممتازة لتحقيق
 مكاسب وبأنك سوف تحنى أرباحاً جيدة إن نجحت فى إبرامه " .

" ولكنه كان يريد أن يرى دفتر حساباتك قبل ان يقدم على أى
 اجراء حسم . كما أنه يريد أن يعرف أيضاً مصير الخمسمائة ألف
 دولار الخاصة بى " .

" الخمسمائة ألف دولار الحصة بى . ب عزيزنى . على خير
 ب إبرام . كما سوف يتأكد لك فى أسرع وقت . سوف أرسل دفاتر
 الحساب إلى آلان غد صباحاً حتى يتسنى له مراجعتها بنفسه .
 بنى أكد لك بأنه سوف يرضى عنها تمام الرضا " .

قالت آن " أتسنى ذلك ب هنرى . سوف يكون ذلك فى صالح
 كل منا . الآن دعنا ننظر لكى نعرف وجهة نظره . فاست تعلم
 جيداً كم أثق به " .

قلت هنرى " ولكن ليس بى أنا " .

" كلا . كلا ب عزيزى . أب لم أقصد " .

" قصدت فقط مداعبتك أنا أعلم تمام أنك تتعين بزواجك "
 شعرت آن برغبة جامحة فى البكاء . ثلث الرغبة التى كانت
 تكتبتها دائماً اسم ريتشارد . ولكن مع هنرى لم تكن تبذل جهداً
 لكى تسفك دموعها .

"إننى أن أستطيع ، لا أريد الآن أن أقلق بشأن الأمور المادية ، هذا يفوق قدرتى الآن . إن الطفل يشعرنى دائما بالإعياء والتعب " .

غير هنرى من أسلوبه فى الحال وبدأ يوسى آن قائلا : " أعلم يا عزيزتى ، وأن لا أريد أن تشعنى بالك بُعد . يمثل هذه الأمور الخاصة بالعمل . يمكننى دائما أن أتحمّل عبء هذا الجانب . لم لا تذهبين إلى الفراش مبكرا اليوم وسوف أحضر لك العشاء على السرير ؟ سوف يمنحنى هذا فرصة العودة إلى المكتب لإحضار المستندات التى سوف أعرضها على الآن فى الصباح "

استجابت آن لطفيه ، ولكن حينما غادر هنرى المنزل ، لم تسع أن للنوم . برغم شعورها بالتعب . ظلت جالسه فى سريرها تقرأ رواية " سينكلير " كنت تعلم أن هنرى سوف يستغرق خمس عشرة دقيقة إلى أن يصل إلى مكتبه . ظلت منتظرة طيلة عشرين دقيقة كاملة ثم اتصلت به هاتفيا . ظل الجرس يدق على مدى ما يقرب من دقيقة .

حاولت آن أن تتصل به ثانية بعد مرور عشرين دقيقة أخرى ، ولكن بدون رد . ظلت تحاول وتحاول كل عشرين دقيقة ولكن بدون أن يجيب أحد على الهاتف . بدأ حديث هنرى عن الثقة يتردد بمرارة داخل رأسها .

عندما عاد هنرى أخيرا إلى المنزل بعد منتصف الليل ، بدت عليه علامات الاضطراب عندما وجد آن مستيقظة وجالسة فى فراشها . كانت لا تزال تقرأ فى رواية سينكلير لويس . " لم أجهدت نفسك بانتظارى إلى الآن ؟ " .

قبلها بحرارة . هبى لأن أنها قد اشتمت رائحة عطر نسائى أو أنه الشك الذى بدأ يستحوذ عليها .

" كان يجب على أن أبقى لوقت أطول مما توقعت فى البداية ، فى البداية لم أتمكن من العثور على كل الأوراق التى يريدونها الآن . كان دان قد احتفظ بها . لحمايته - تحت عناوين خاطئة . قلت آن : " لابد أنك قد شعرت بالوحدة لبئسك فى المكتب وحيدا حتى منتصف الليل " .

قال هنرى وهو يصعد على الفراش ويستقر مقابل ظهر آن : " كلا ، الأمر ليس سيئا إلى هذا الحد إذا كان لدى المرء عمل يشغله . على الأقل هناك ميزة واحدة فى ذلك وهى أنني لا أتعرض بشكل دائم لمقاطعة المكالمات الهاتفية "

استسلم للنوم فى غضون دقائق . بينما بقيت آن مستيقظة ، بعد أن اتخذت قرارا بتنفيذ ما كانت قد عزمته عليه فى ظهيرة ذلك اليوم .

عندما غادر هنرى المنزل للذهاب إلى عمله بعد تناول الإفطار فى صباح اليوم التالى - لم تكن آن واثقة إلى أى مكان كان قد توجه - قامت آن بتفحص جريدة جلوب التى تصدر فى بوسطن وأجرت بحثا صغيرا فى الإعلانات . ثم التقطت سماعة الهاتف وحددت موعدا اضطرها إلى الذهاب إلى الجانب الجنوبى من بوسطن قبل منتصف اليوم بوضع دقائق . صدمت آن بقذارة الأبنية فى هذا الجزء من بوسطن ، لم يكن قد سبق لها من قبل زيارة الحى الجنوبى من المدينة ، بل إنها فى الظروف العادية لم تكن لتفكر فى الذهاب إلى مثل هذه الأماكن طوال حياتها .

كان هناك سلم خشبي صغير مغطى بأعقاب الثقاب والسجائر وغيره من أنواع القمامة التي أخذت تتطاير أمام الباب والنافذة المتهالكة التي كتب فوقها بأحرف كبيرة " جلين ريكاردو " وتحتها عبارة " محقق خاص " (معتمد في كومبوليت مسشوستس)
طرقت أن الباب بركة .

صاح صوت أجش عميق من الداخل : " أدخل ، الباب مفتوح " .

دخلت آن . كان الرجل جالسا خلف مكتب وقد مد ساقيه عن آخرهما فوق سطح المكتب أمامه ، رفع الرجل نظره من فوق المجلة التي كانت على الأرجح مجلة نسائية . كان سيجاره على وشك السقوط من فمه عندما وقع نظره على آن . كانت أول مرة يرى فيها امرأة ترتدى معطفاً من الفراء داخل مكتبه .

قال الرجل وهو ينهض بسرعة : " صباح الخير . اسمي جلين ريكاردو " ، انحنى عبر مكتبه ومد يده المكسوة بالشعر وبقع النيكوتين لكي يصافحها . صافحته في المقابل وهي تشعر بالسعادة لأنها كانت ترتدى قفازها . " هل حددت موعداً ؟ سألتها ريكاردو غير آبه إن كانت قد حددت موعداً بالفعل أم لا . فقد كان مستعداً بشكل دائم لتقديم الاستشارات لأصحاب المعاطف ذات الفراء .
" أجن فعلت " .

" إذن لا بد أنك السيدة أوسبورن . هل يمكن أن آخذ معطفاً ؟ " .

قالت آن : " أفضل الاحتفاظ به " بعد أن عجزت عن رؤية أي موضع يمكن تعليق المعطف عليه باستثناء الأرض

" بالطبع ، بالطبع "

نظرت آن إلى ريكاردو خلسة وهو يجلس على كرسيه ويشعل سيجارة أخرى . لم تعباً ببذلته ذات اللون الأخضر الفاتح ، أو رابطة عنقه متنافرة الألوان أو شعره المتبلد . كان كل ما أثار قلقها هو أنها كانت تفضل أن تجلس في مكان أفضل من هذا .

قال ريكاردو ، الذي كان قد بدأ بالفعل يشحذ سن قلمه القصير بواسطة سكين غير حادة : " والآن ، ما هي مشكلتك ؟ " .
تساقطت نشارة القلم في كل مكان باستثناء سلة المهملات . " هل فقدت كلبك أم مجوهراتك أم زوجك ؟ "

بدأت آن قائلة : " أولاً يا سيد ريكاردو ، أريد أن أطمئن تماماً على السرية التامة " .

قال ريكاردو وهو لا يرفع نظره عن قلمه منتهاي الصغر :
" بالطبع بالطبع ، هذا أمر مفروغ منه " .
قالت آن : " ومع ذلك ، فإنني أود أن أؤكد عليه " .
" بالطبع ، بالطبع " .

شعرت آن أن الرجل إن كرر كلمة " بالطبع " ثانية فسوف تصرخ . أخذت نفساً عميقاً . " لقد دأبت منذ فترة على تلقي خطابات مجبولة تنهم زوجي بالخيانة مع أعز صديقاتي . أريد أن أعرف مصدر هذه الخطابات كما أحب أن أعرف أيضاً مدى صحة هذه الاتهامات " .

شعرت آن بارتياح كبير عندما نفست عن مشاعرها للمرة الأولى . نظر إليها ريكاردو بعدم اكتراث ، كما لو كان قد اعتاد على مثل هذه التصريحات . مور يده في شعره الأسود الطويل والذي لاحظت آن للمرة الأولى أنه كان متوافقاً مع أضفره .

بدأ حديثه : " حسنا . أمر الزوج سوف يكون سهلا . أما مرسل الخطابات فسوف تكون مهمة أكثر مشقة بكثير . لقد احتفظت بالخطابات بالطبع ، أليس كذلك ؟ " .

قالت آن : " احتفظت فقط بالخطاب الأخير " .

تهدد جلين ريكاردو ومد رأسه عبر المائدة في تعجب . أخرجت آن في تردد الخطاب من حقيبة يدها ولكنها ترددت ثانية لبرهة .

" أتفهم شعورك جيدا يا سيدة أسبورن ولكن لا يمكن أن أنجز المهمة بيد واحدة والأخرى مقيدة خلف ظهري " .

قالت آن : " بالطبع يا سيد ريكاردو . آسفة " .

لم تصدق آن أنها قالت كلمة " بالطبع " .

قرأ ريكاردو الخطاب مرتين أو ثلاث مرات فيل أن يتحدث .

" هل كانت كل لخطابات مكتوبة على الآلة لكانت على هذه النوعية من الورق ودخل نفس الطرؤف ؟ " .

قالت آن : " نعم . أعتقد ذلك بغير ما أذكر " .

" حسنا . في امرات القادسة التي تصلك فيها خطابات . احرصى على — " .

قاطعته آن : " هل أنت واثق من أنني سوف ألتقى المزيد ؟ " .

" بالطبع . احرصى على الاحتفاظ بها . والآن أعطني كل التفاصيل الخاصة بزواجك . هل تحملين صورة له ؟ " .

ترددت آن ثانية ثم قالت : " نعم " .

قال ريكاردو : " إننى فقط أريد أن أنظر إلى وجهه . لا أريد أن أضيع وقتى فى مطاردة الرجل الخاطئ ، أليس كذلك ؟ " .

فتحت آن حقيبة يدها ثانية وأعطته صورة قديمة لهنرى وهو فى زيهِ العسكري .

قال المحقق : " إنه رجل وسيم السيد أوسبورن . متى انتقلت هذه الصورة ؟ " .

قالت آن : " منذ خمسة أعوام ، على ما أظن . لم أكن أعرفه عندما كان فى الجيش " .

طرح ريكاردو عسى مدى عدة دقائق على آن بعض الأسئلة الخاصة بتحركات زوجها اليومية . وقد اندمشت آن عندما اكتشفت أنها لا تعرف إلا القدر الضئيل عن عادات هنرى أو ماضيه .

" أنت لا تملكين الكثير من المعلومات يا سيدة أوسبورن ولكننى سوف أبذل قصارى جهدى . والآن أتعابى هى عشرة دولارات فى يوم واحد فضلا عن لتكثيف سوف أعدت تقريرا مكتوبا كس أسبوع تقريبا أرجو أن تنقضى بدفع نفقات أسبوعين مقدم " ثم مد يده ~~فوق~~ مكتبته ~~ثانية~~ بحماس يفوق المرة السابقة .

~~فتحت~~ آن ~~حقيبة~~ يدها مرة ثانية وأخرجت ورقتين بمائة دولار وعطته لريكاردو . تفحص العملات الورقية جيدا وهو لا يدري من هى هذه الشخصية المرموقة المطبوعة فوقها . أخذ نجادين فرانكلين يحدى بلا انصاع فى ريكاردو مدى بدا عليه أنه لم يكن قد رأى هذا الرجل العظيم منذ فترة طويلة . أعاد إليها ريكاردو ستين دولارا فى عملات ورقية بالية فئة الخمسة دولارات .

قالت آن وهى سعيدة بعقليتها الرياضية : " سوف أطلع على تفريغ كل أحد يا سيد ريكاردو " .

قال الرجل : " بالطبع . هل سيكون نفس الوقت بعد مرور أسبوع من يوم الخميس مناسبا بالنسبة لك يا سيدة أوسبورن ؟ " .

قالت آن : " بالطبع " ، ثم غادرت سريعا لكى لا تضطر إلى مصافحة الرجل المائل خلف المكتب .

عندما قرأ ويليام التقرير ربع السنوي الخاص بوصيته والمرسل إليه من بنك كين كابوت وعرف أن هنرى أوسبورن - أخذ يردد اسمه بصوت مرتفع لكى يصدق نفسه - يطلب اقتراض خمسمائة ألف دولار للاستثمار الشخصى - كان يومه عصيبا . للمرة الأولى فى تاريخ حياته الدراسية فى سانت بول جاء ترتيبه الثانى فى الرياضيات . حتى أن ماثيو ليستر الذى تفوق عليه سألته إن كان هناك خطب ما .

فى مساء هذا اليوم ، اتصل ويليام بآلان ليويدي فى المنزل . ثم يندھش رئيس بنت كير وكبوت كلية بعدم سماعه بعدم وقته مع هنرى من خلال حديثه مع آن .

" ويليام ، ابنى العزيز ، كيف حالك وحال سانت بول ؟ "

" كل شيء على ما يرام ، أشكرك يا سيدى ولكن هذا ليس سبب اتصالي بك " .

أدرك آلان أن هذا أسلوب شخصية عملية مرموقة . فكر آلان ثم قال فى جفاف : " كلا . لا اعتقد ذلك . ما الذى يمكن أن أسعديه لك ؟ " .

" أود أن أقابلك غدا فى الظهيرة "

" يوم الأحد يا ويليام ؟ " .

" نعم ، هذا هو اليوم الوحيد الذى يمكننى فيه الخروج من المدرسة . سوف أحضر إليك فى أى مكان وأى وقت يناسبك . جعز ويليام هذه العبارة تبدو وكأنها تنازل من جانبه : " كما أنتنى لا أود أن تعرف أسمى بهذا اللقاء تحت أية ظروف " .

بدأ آلان ليويدي حديثه : " حسنا يا ويليام " .

ثم ازناد صوت ويليام صرامة وهو يقول : " لا أريد أن أذكرت يا سيدى . أن استثمار مال الوصية فى مشروع زوج أسمى الشخصى ليس غير قانونى وإنما هو بلا شك يعتبر غير أخلاقى " .

بقى آلان ليويدي صاعقا لبضع دقائق وهو يماثل نفسه ما إن كان يجب أن يسعى لتهدئة روع الصبى عبر الهاتف أو يحتج على ما يقوله . ولكن الوقت كان قد فات .

" حسنا يا ويليام . لم لا تأتى لتناول الغداء معى فى نادى الصيد ، لنقل فى الواحدة ظهرا ؟ " .

" فى انتظار مقابلتك يا سيدى " قالها ويليام ثم أغلق سماعة الهاتف .

شعر آلان ليويدي بشيء من الارتياح لأن المواجهة سوف تكون على الأقل فى أرضه ، ثم أصاد سماعة الهاتف إلى مكانها وهو ويصب لعناته على السيد بيل الذى اخترع هذه الآلة اللعينة .

كان آلان قد اختار نادى الصيد لأنه لم يكن يريد أن يكون هذا اللقاء سرا . كان السؤال الأول الذى طرحه ويليام فور وصوله إلى مقر النادى هو إن كان سيسمح له بجولة جولف بعد تناول الغداء .

قال آلان : " سوف يسعدنى ذلك يا بنى " ، وحجز له أول جولة فى الثالثة ظهرا .

اندھش الرجل من أن ويليام لم يفتحته فى موضوع عرض هنرى أوسبورن أثناء وقت الغداء . بل إنه اكتفى بالحديث عن وجهات نظر الرئيس هرينجز عن تعديل التعريفة وعدم كفاءة تشارلز جي كويز كمدير عام للميزانية . مما دفع آلان للتساؤل ما إن كان ويليام قد عدل عن رأيه - بعد أن تفكر فى الأمر - بشأن مناقشة قرض هنرى . ولكنه اضطر إلى الوقاء بموعده حتى لا يغير رأيه فيه . قال آلان لنفسه : حسنا إن كانت هذه هى الطريقة التى يود أن يلعب

بها الصبي : فهذا يناسبني تماماً . أخذ آلان يتطلع إلى الاستمتاع بممارسة لعبة الجولف في الظهيرة . بعد تناول غداء رائع غير كل منهما ملابسه في المكان المخصص وسارا للمعارسة الجولف .
سأل ويليام : " أمازلت تتمتع بكفاءتك الموهودة في اللعب يا سيدى ؟ "

" تقريباً يا بنى . ولكن لماذا ؟ "

" إذن فلنتراهن على عشرة دلات مقابل الهدف "

تردد آلان ليويدي : لأنه كان يعرف أن ويليام كان يجهد ممارسة اللعبة . ثم قال : " نعم ، أوفى . "

لم يتفوه أى منهما بكلمة قبل الهدف الأول الذى نجح آلان فى تسجيله بعد أربع تمريرات . بينما نجح ويليام فى إحرازه بعد خمس تمريرات . فاز آلان أيضاً بالهدف الثانى والثالث بسهولة وبدأ يشعر بشيء من الاسترخاء والرضا عن سير المباراة . ولكن مع حلول الهدف الرابع ، كان الاثنان قد سارا ما يزيد عن نصف ميل من مقر النادي . انتظر ويليام إلى أن يرفع آلان يده بالمضرب .

" ليست هناك أية ظروف تجعلك تقرض خمسمائة ألف دولار من مال وصيتى لأية شركة أو شخص مشارك لهنرى أوسبورن "

جاءت تسديد آلان سيئة وطلاحت تماماً . كانت ميزة التسديدة الوحيدة هى أنها أبعدته عن ويليام إلى أقصى حد ممكن مما منحه يضع دقائق للتفكير قبل أن يرد على ويليام . بعد أن سدد آلان ليويدي ثلاث ضربات أخرى . النعى الاثنان فى التنبه فوق لأرض الخضراء . ونجح آلان فى تسجيل الهدف .

" ويليام : أنت تعرف أنني لا أملك سوى صوت واحد من بين ثلاثة أصوات كوصى ، كما أنك يجب أن تعرف أيضاً أنك لا تملك سلطة التدخل فى قرارات الأوصياء . لأنك لا تملك حق إدارة المال

لحسابك إلى أن تبلغ الحادية والعشرين من عمرك . كما يجب أن تدرك أيضاً أننا لا ينبغي أن نناقش هذا الموضوع من الأساس " - أنا على دراية تامة بكل هذه الشئون القانونية يا سيدى ولكن بما أن الوصيتين الأخريين يعاشرن هنرى أوسبورن — " ارتسمت علامات الصدمة على وجه آلان ليويدي .

" لا تدعى أنك الشخص الوحيد فى بوسطن الذى لا يعرف أن ميلى برستون لا ترتبط بعلاقة غرامية مع زوج أمى ؟ "

لم ينبس آلان ليويدي ببنت شفة . واصل ويليام حديثه : " أريدك أن تؤكد لى أنني سوف أحصل على صوتك لصالحى وأنك لن تألو أى جهد للتأثير على أمى لكى ترفض القرض حتى إن كان هذا يفرض عليك أن تصارحها بحقيقة العلاقة التى تربط بين ميلى برستون وزوجها " قال آلان وهما يلتفتان فى طريق الهدف الخامس على الأرض الخضراء : " أنت تطلب منى الكثير

" هذا لا يساوى شيئاً مقابل ما كان يمكن أن أفعله إن لم أكن واثقاً من مساندتك يا سيدى "

قال آلان وهو يرى كرة ويليام وهى تسقط من على بعد أربعة عشر قدماً : " لا أظن أن والدك كان سيقرك على استخدام أسلوب التهديدات يا ويليام . "

قال ويليام : " إن الشيء الوحيد الذى ما كان أبى ليقره هو أوسبورن " . توقفت كرة آلان ليويدي على بعد أربعة أقدام من الهدف .

" على أية حال يا سيدى ، لا بد أنك تدرك جيداً أن هناك شرطاً فى الوصية يقضى بأن المال المستثمر من خلال الوصية هو أمر خاص وأن المستفيد يجب ألا يعرف أبداً أن عائلة كين لها أى دخل

شخصي . لقد كانت هذه قاعدة لم يخترقها أبى فى حياته أبدا كرجل مصرفي ، إن هذه الطريقة هى التى كانت تضمن له دائما عدم وقوع أي تدخل بين استثمارات البنك وأموال العائلة .

" حسنا ، ربما تشعر والدتك أنه يمكن خرق هذه القاعدة لصالح فرد من أفراد العائلة . "

" هنرى أوسبورن ليس فردا من أفراد العائلة وأنا عندما أتحكم فى الوصية سوف تكون هذه هى إحدى القواعد التى سوف أحرص على عدم خرقها تماما مثل والدى "

" ربما تثبت لك الأيام خطأ موقفك المتشدد هذا يا ويليام "

" لا أعتقد ذلك يا سيدى "

اضرب آلان " حسنا ، حارب ، تفكر بلحظه فى تأثير اكتشاف أمر ميلى على والدتك . "

" إن أمى قد خسرت بالفعل خمسمائة ألف دولار من مالها الخاص يا سيدى . أليس هذا كافيا لزوج واحد ؟ لم يجب أن أخسر أنا الآخر خمسمائة ألف دولار أخرى من مالى ؟ "

" نحن لسنا متأكدين من ذلك يا ويليام . إن هذا الاستثمار يمكن أن يعود علينا بنفذة كبيرة . إننى لم أطلع بعد على حسابات هنرى بدقة . "

أجفل ويليام عندما ذكر آلان ليويد اسم هنرى .

" أؤكد لك يا سيدى أنه قد أهدر كل مليم من أموال أمى . ولكى أكون محددا فإنه لم يبق معه سوى ثلاثة وثلاثين ألفا وأربعمائة واثني عشر دولارا متبقية . أقترح ألا تدقق كثيرا فى حسابات أوسبورن . بل يجدر بنا ن تفتش بدقة فى خلفيته وماضيه وسجل أعماله وشركائه . ناهيك عن كونه مقامرا محترقا "

صوب آلان التسديدة الثامنة فى السبحة أمامهم مباشرة . تسديدة لم يكن المبتدئون فى اللعب ليخطئوها . أخطأ الهدف .

قال آلان وهو شبه واثق من أن ويليام قد حصل عليها من خلال مكتب توماس كوهين : " كيف حصلت على هذه المعلومات عن هنرى ؟ "

" أفضل أن أحتفظ بهذا لنفسى يا سيدى "

أثر آلان الصمت فى هذا الصدد ، فلما منه بأنه قد يحتاج هذه الأداة فى جمعته لكى يستخدمها فى وقت لاحق فى حياة ويليام .

" إن كان كل ما تقوله صحيحا يا ويليام ، فإننى بالطبع سوف أنصح والدتك برفض قرض هنرى ، كما أنه سوف يكون من واجبي أيضا طرح الأمر برمته مع هنرى بشكل مباشر "

" اتفقنا إذن يا سيدى "

سدد آلان ضربة أفضل ولكنه شعر أنه لم يكن بصدد الفوز .

واصل ويليام حديثه قائلا : " قد يهلك أيضا أن تعرف أن هنرى يريد أن يحصل على خمسمائة ألف دولار من وصيتى ليس لعقد المستشفى ولكن لكى يسدد دينا قديما فى شيكاغو . أعتقد أنه لم تكن تعلم ذلك يا سيدى "

لم يتفوه آلان بكلمة ، لم يكن بالفعل لديه علم عن ذلك . كسب ويليام الهدف .

عندما وصلا إلى الهدف الثامن عشر ، كان آلان قد أخطأ ثمانية أهداف ويصدد إنهاء أسوأ جولة فى حياته . كان مقدما على هدف يبعد خمسة أقدام سوف يمكنه على الأقل من التعادل مع ويليام .

سأل آلان : " أمازال معك المزيد من القنابل المدوية فى جعبتك ؟ "

" قبل أم بعد للتسديدة يا سيدى ؟ "

ضحك آلان وقرر أن يطلق عليه الماكز : " قبل التسديدة يا ويليام " قالها وهو ينحنى فوق مضربه .

" مثلاً ، إن أوسبورن لن يحصل على عقد المستشفى إذ يرى المسؤولون أنه قام على الأرجح برشوة بعض صغار الموظفين في الحكومة . لن يكشف عن أى من هذا على الملأ . ولكن لضمان تجنب أية تداعيات لذلك فى وقت لاحق ، فقد تم استبعاد اسم شركته من القائمة النهائية . إن العقد سوف يمنح فى واقع الأمر إلى شركة كيرك برايد وكارتر . ولكن هذه المعلومة يا سيدى سرية ، حتى كيرك برايد وكارتر لن يطلعوا عليه . لا قبل أسبوع من يوم الخميس ، لذا يجب أن تبقى فى طي الكتمان يا سيدى "

أطاح آلان بالتسديدة أما ويسام فقد سددها ثم سار إليه وصافحه بحرارة .
" أشكرك على النبذة يا سيدى . أعتمد أنك صديقى الصغير دولارا "

أخرج آلان حافطته وأعطاه ورقة بمائة دولار . ويسام اعتقد أنه قد حان الوقت الذى يجب أن تكف فيه عن مناداتى بكلمة سيدى ، إن اسمى - كما تعرفه جيدا - هو آلان .
" أشكرك يا آلان " وأعاد إليه ويليام عشرة دولارات .

وص آلان ليويدي إلى البنك صباح الاثنين وأمامه من العمل بعد لقائه مع ويليام ما يفوق ما خطط له من قبل . أوكل مهمة التحقق من اتهامات ويليام إلى خمسة من مديرى الإدارات فى البنك . كان يخشى نتائج هذه التحقيقات وما سوف تكشف عنه . ونظرا لوضع آلان فى البنك فقد حرص ألا يعلم أى قسم بما يقوم به القسم الآخر . كانت تعليماته لكل مدير من مديرى الإدارات واضحة وهو الحفاظ

على السرية التامة لكل التقارير بحيث يقتصر لاطلاع عليها على المدير فقط . ومع حلول يوم الأربعاء من نفس الأسبوع كانت التقارير الأولية موضوعة على مكتبه . بدت كل التقارير متوافقة مع حكم ويليام . بالرغم من أن كل مدير من المديرين طلب منه أن يمنحه المزيد من الوقت للتحقق من بعض تفاصيل قرر آلان ألا يزجج آن بما توصل إليه إلى أن يحصل على المزيد من الأدلة المادية . رأى أن أفضل ما يمكنه عمله فى ذلك الوقت هو أن يقبل دعوة آلان لحضور حفل عشاء فى بيتهم فى تلك الليلة وأن يصحبها بألا تتعجل فى اتخاذ قرار بشأن هذا القرض

عندما وصل آلان إلى الحقل ، صدم لرؤية آلان متعبه وشاحبه إلى هذا الحد مما دفعه إلى التوقف فى حديثه معها بدرجة أكبر . عندما نجح أخيرا فى الإقناع بها لم يكن أمامها أكثر من بضع لحظات . نظر إليها آلان وبسائر حالة يقول : لو لم تكن بصدد إنجاب طفل فى سن هذه الظروف لكان للأمر مسار آخر .

مستغرب آلان وابتمست له : " كم هو لطيف منك أن تأتى يا آلان بالرغم من انشغالك الشديد فى أعمال البنك " " لا يمكن أن تفوتنى إحدى حفلاتك يا عزيزتى . إنها مارالت الأفضل فى بوسطن " .

ابتسمت آلان : " اعتقد أنك لا تخطئ القول أبدا " " ليس كثيرا . أن هل فكرت ثانية بشأن القرض ؟ " حاول أن يبدو السؤال عابرا .

" كلا ، لم أفعل . لقد كنت مشغولة فى أشياء أخرى يا آلان . كيف تبدو دفاتر حسابات ويليام ؟ " .

" جيدة ، ولكننا لا نملك سوى حسابات عام واحد فقط ، لذا يجب أن نطلب من محاسبينا مراجعة الحسابات . هذه هى

السياسة التي يتبعها البنك دائما مع أى شخص يقل حجم تعاملاته عن ثلاث سنوات . أنا واثق أن هنرى سوف يفهم موقفنا ويوافق على ذلك "

جاء صوت مرتفع خلف آلان : " آن يا عزيزتى ؛ حفل رائع " . لم يتعرف آلان على الوجه ولكنه افترض أنه أحد أصدقاء هنرى من رجال الساسة . واصل الصوت العاطفى حديثه : " كيف حال الأم الصغيرة ؟ "

انسل آلان بعيدا ؛ على أمل كسب بعض الوقت للبنك . كان الحفل يعج بالساسة من مجلس البلدية حتى أنه كان هناك رجالان من الكونجورس مما دفع آلان إلى التساؤل عن مدى صحة معلومات ويليام عن العقد . لم تكن مهمة البنك هى التحقق من ذلك لأن الإعلان الرسمى الصادر من البلدية كان من المقرر له أن يصدر فى الأسبوع التالى . ودع آلان مضيقته ومضيفه وانتفض معصمه الأسود من حجرة المعاطف وغادر .

" فى نفس هذا الوقت من الأسبوع المقبل " قالها بصوت مرتفع وكأنه يريد أن يطمئن نفسه وهو يعود أدراجه من شارع تشست نات إلى منزله .

أثناء الحفل ؛ وجدت آن وقتا لمراقبة هنرى أثناء تواجده بالقرب من ميلي برستون . لم تكن هناك بكل تأكيد أية إشارات خارجية بينهما ؛ بل إن هنرى قضى معظم الوقت مع جون برستون . فكرت أن أنها ربما تكون قد أخطأت الحكم على زوجها مما دفعها إلى التفكير فى إلغاء موعدها مع جلين ريكاردو فى اليوم التالى . انتهى الحفل قبل ساعتين من الموعد الذى توقعته آن ؛ تعنت لو كان هذا يعنى أن الضيوف قد استمتعوا بوقتهم .

" حفل عظيم يا آن ؛ نشكرك لدعوتنا " قالها صاحب الصوت المرتفع ثانية الذى كان آخر المغادرين . لم تستطع آن أن تتذكر اسمه ولكنه كان يشغل منصب ما فى مجلس البلدية . اختفى داخل سيارته .

صعدت آن الدرج فى ثودة وهى تخلع ثوبها حتى قبل أن تصل إلى غرفة النوم وتتعمد لنفسها بأنها لن تقيم حفلاً آخر قبل إنجاب طفلها المتوقع بعد عشرة أسابيع .

كان هنرى بالفعل قد خلع ملابسه : " هل سنبحث لك فرصة التحدث مع آلان يا عزيزتى ؟ "

أجابت آن : " أجل . لقد قال إن حساباتك تبدو جيدة ولكن بما أنه لم يعض على عمل الشركة سوى عام واحد يجب أن يستعين بمحاسبه لمراجعة الحسابات الخاصة بالشركة . يبدو أن هذه هى سياسة البنك فى مثل هذه الظروف " .

" اللعنة على سياسة البنك . ألا تشمين رائحة ويليام وراء كل ما يجرى ؟ إنه يحاول أن يعرقل القرض يا آن " .

" كيف يمكن أن تقول هذا ؟ إن آلان لم يذكر شيئا بشأن ويليام " .

قال هنرى وصوته يرتفع : " ألم يفعل ؟ ألم يزعم نفسه بإخبارك بأنه قد تناول الغداء مع ويليام يوم الأحد فى نادى الجولف بينما كنا نجلس هنا بمفردنا فى المنزل ؟ " .

قالت آن : " ماذا ؟ لا أصدق ذلك . إن ويليام لا يمكن أن يحضر إلى بوسطن دون أن يمر على . لابد أنك مخطئ يا هنرى " .

" لقد كانت نصف المدينة هناك يا عزيزتى ؛ ولا أتصور أن ويليام قد سافر ما يقرب من خمسين ميلا فقط لكى يلعب مباراة جولف مع آلان ليويد . اسمعى يا آن ؛ أنا بحاجة إلى هذا القرض

وإلا فلن أكون مستوفيا لشروط المناقصة الخاصة بعقد المستشفى . فى وقت ما - فى وقت قريب جدا - يجب أن تقررى من منا سوف نوليه ثقتك . ويليام أم أنا يجب أن أحصر على هذا ما فى غضون أسبوع من القد أى لم يبق أمامى سوى ثمانية أيام فقط لأننى إن لم أثبت لمجلس البديع اننى ملك هذا المبلغ فىكون مستوفيا للمواصفات المطلوبة . سوف أكون غير مستوف لأن ويليام لم يؤيد زواجنا . أرجوك يا آن اتصلى بالآن غدا واطلبي منه أن يحول هذا المبلغ ؟ " .

انفجر صوته الغاضب فى رأس آن ، مما جعلها تشعر بالدوار والوهن .

" كلا ، ليس غدا يا هنرى . ألا يمكن أن ننتظر حتى يوم الجمعة ؟ لدى يوم مشحون غدا " .

تمالك هنرى نفسه واقترب منها وهى تقف أمام المرأة . مر يده فوق بطنها استمخه " ريد أن نسمح طفلنا صغرى هذا فرصة جيدة مثل ويليام " .

فى اليوم التالى بذلت آن جهدا مضنيا لكى تمنع نفسها من زيارة جلين ريكاردو ولكنها قبل الظهر بقليل وجدت نفسها داخل سيارة أجرة فى طريقها إليه . صعدت الدرج الخشبي ذا الصرير وهى تشعر بالارتعاد مما سوف تعرفه . كان بوسعها فى أية لحظة أن تدير ظهرها وتعود من حيث أتت . ترددت ثم طرقت الباب .

" تفصل " .

فتحت الباب .

" السيدة أوسبورن ؛ كم تسعدنى رؤيتك ثانية . تقضى بالجلوس " .

جلست آن وأخذت يحدقان إلى بعضهما البعض .

قال جلين ريكاردو وهو يمرر يده فى شعره الأسود الطويل : " الأنباء ؛ للأسف ؛ ليست جيدة " .

شعرت آن بقصة فى حلقها .

" السيد أوسبورن لم يلتق بالسيدة برستون أو أية سيدة أخرى على مدى السبعة أيام الماضية " .

قالت آن : " ولكنك قلت إن الأنباء ليست سارة " .

" بالطبع يا سيدة أوسبورن ؛ كنت أظن أنك تهشين عن مبررات للطلاق . إن الزوجة الغاضبة لا تحضر إلى هنا وهى تتمنى أن أثبت أن زوجها برىء " .

قالت آن وهى تتنهد فى ارتياح : " كلا ، كلا . إنها أفضل أخبار سمعتها منذ أسابيع " .

قال السيد ريكاردو مأخوذا قليلا : " حسنا ، حسنا . لنامل أن الأسبوع الثانى لن يكشف عن أى جديد أيضا " .

" يمكنك أن توقف التحريات الآن يا سيد ريكاردو . أنا واثقة من أنك لن تكشف عن أى جديد فى الأسبوع المقبل " .

" لا أظن أنه من الحكمة أن نفعل ذلك يا سيدة أوسبورن . إن التوصل إلى قرار نهائى بناء على ملاحظات أسبوع واحد ليست شريفة " .

" حسنا ؛ إن كنت ترى أنها سوف تجعلنا نتأكد من صحة ما توصلنا إليه ؛ فلا بأس ولكننى واثقة من أنك لن تتوصل إلى شيء فى الأسبوع المقبل " .

واصل جلين ريكاردو حديثه ؛ وهو ينفث دخان سيجارته ؛ التى بدت أكبر وأزكى رائحة عن الأسبوع الماضى : " على أية حال ، لقد سددت بالفعل ثمن أسبوعين من العمل " .

" وماذا عن الخطابات ؟ " سألت آن ذلك بعد أن تذكرتها فجأة . " أعتقد أن المرسل هو شخص يكن الحقد لزوجي "

" حسنا ، كما ذكرت لك في الأسبوع الماضي ، يا سيدة أوسبورن ، فإن تتبع خطابات لشخص مجهول لن يكون أمرا سهلا بالرة . ومع ذلك ، فقد تمكنا من تحديد المحل الذي تم شراء الآلة الكاتبة منه لأن هذا النوع من الأنواع غير المعروفة ولكنني إلى الآن لا أملك المزيد من المعلومات في هذا الصدد . ولكنني أكرر ثانية أنفسى قد أتوصل لمزيد من المعلومات في الأسبوع المقبل . هل وصلتكم المزيد من الخطابات على مدى الأيام القليلة الماضية ؟ "

" كلا ، لم تصلني أية رسائل "

" حسنا ، يبدو أن كل الأمور تسير لصالحنا . دعينا نأمر أن الحال سوف يبقى على ما هو عليه في الأسبوع التالي وأن سعادته يوم الخميس سوف تكون الأخيرة . "

أجاب آن في سعادة " نعم دعنا نأمر ذلك . هل يمكن أن نسوي نفقات الأسبوع المقبل ؟ "

" بالطبع ، بالطبع "

كادت آن تنسى هذه عبارة ، ولكنها في هذه المرة لم تثر فيها سوى الرغبة في الضحك . في طريق عودتها إلى البيت قررت آن أن هنري يجب أن يحصل على الخمسمائة ألف دولار والفرصة لإثبات خطأ ظن ويليام وآلان . لم تكن بعد قد تخطت محنة حضور ويليام إلى بوسطن بدون علمها ، ربما يكون هنري محقا في قوله بأن ويليام يحاول أن يخطط دون علمهما .

سعد هنري سعادة غامرة عندما أخبرته آن في هذه الليلة أنها قررت أن تمنحه القرض فقدم لها المستندات القانونية في صباح

ليوم التالى لكي توقع عليها . لم تقو آن على منع نفسها من التفكير بأن الأوراق كانت معدة بالفعل ، وخاصة أن توقيع ميلى بوستون كان مدونا عليها ، أم أنها أصبحت شديدة التشكك ثانية ؟ تجاهلت الفكرة ووقعت بسرعة .

كانت على أتم استعداد لمواجهة آلان ليوييد عندما اتصل بها هاتفيا في صباح يوم الاثنين .

" آن ، رعبا بتروى فيلا حتى الخميس المسيل وعندى سوى تعرف من الذى حصل على عقد المستشفى "

" كلا يا آلان ، لقد اتخذت القرار بالفعل . هنرى بحاجة إلى

الآن يجب أن يثبت لمجلس البلدية أنه قادر ماديا على إنجاز عقد وأنت قد حصلت بالفعل على إمضاء اثنين من الأوصياء وهذا يعنى أن الأمر أصبح حرجا عن نطاق سيطرتك "

إن البيت يمكنه دائما أن يدعم وضع هنرى بدون أن يمنحه مال . أنا واثق من أن مجلس البلدية سوف يقبل بهذا الحل . على أية حال ، لنا لم أسمع وقتنا كافيا لكي أراجع حسابات شركة هنرى .

" ولكنك كنت تملك وقت كافى لناول الغداء مع ويليام يوم الأحد الماضى بدون أن تزج نفسك بإخبارى "

سادت لحظة صمت في الطرف الآخر .

" آن . أنا ——— "

" لا تقل لى إنه لم تمنح لك الفرصة ، لقد جئت إلى حفلنا يوم الأربعاء وكان بوسعك أن تخبرنى بالأمر . ولكنك اخترت ألا تقول ، ومع ذلك فقد وجدت الوقت لكي تنصحنى بإرجاء الحكم على القرض الخاص بهنرى "

" ان . أنا آسف . أتفهم تماما ما تبدو عليه الصورة الآن وسر شعورك بالضيق ، ولكن هناك بالفعل سببا لذلك ، صدقيني . هل يمكننى أن أحضر لزيارتك وتوضيح كل الأمور ؟ "

" كلا يا آلان ، لا يمكن . أنتم جميعا تتآمرون ضد زوجى . لا أحد منكم يريد أن يمنحه فرصة لكى يثبت ذاته . لذا ، سوف أمنحه أنا هذه الفرصة "

وضعت آن سماعة الهاتف ، وهى راضية عن نفسها ، وقد تملكها الشعور بالإخلاص لزوجها هنرى وكأنها تكفر عن شكها فيه فى البداية .

حاول آلان ليؤكد أن يتصل بها هاتفيا ثانية ولكن آن كانت قد أبلغت الخدم بأن ينكروا وجودها فى المنزل لباقي اليوم . عندما عاد هنرى إلى المنزل فى المساء ، سعد عندما قصت عليه زوجته ما فعلته مع آلان .

" كل الأمور سوف تسهر على ما يرام ، يا حبيبتى ، سوف ترين . وفى صباح يوم الخميس ، سوف أحصل على العقد وسوف تقبليننى وتتصالحين مع آلان ، يفضل أن تبتعدى عن طريقه حتى ذلك الوقت . بل إنك إن أردت يمكنك أن تحتفل سويا بتناول الغداء فى مطعم ريتز يوم الخميس وأن نلوح إليه من الجانب الآخر من المطعم .

ابتسمت آن ووافقت . لم تنجح فى تناسى موعدها المزمع مع ريكاردو يوم الخميس لآخر مرة فى الثانية عشرة ظهرا . ولكن مع ذلك سوف يبقى أمامها وقت للحاق بزوجها فى مطعم ريتز فى الواحدة ظهرا لكى تحتفل بالمناسبتين فى آن واحد .

حاول آلان يلا جدوى الوصول إلى آن ، ولكن الخدم كانوا يتعللون دائما بأعذار سابقة الإعداد . بما أن المستندات قد استوفت

توقيع اثنين من الأوصياء لم يكن بوسع آلان أن يرجئ الدفع لأكثر من أربع وعشرين ساعة . كانت الصيغة القانونية للوصية والتي كتبها ريتشارد كين لا تترك أية ثغرة قانونية يمكن النفاذ منها . عندما غادر الشيك الذى يحمل خمسمائة ألف دولار البنك على يد وسيط خاص ظهيرة يوم الثلاثاء ، كتب آلان خطابا طويلا إلى ويليام ؛ يذكر له فيها كل ما جرى من أحداث والتي عجلت باستصدار شيك مع لحفظ فقط على استئجار لنى بوصيت سببا التقارير البنكية فى هذا الصدد . وقد أرسل فى نفس الوقت نسخة من الخطاب إلى كل مدير من مديري البنك وهو مدرك تماما أنه بالرغم من أنه قد تصرف بالشكل المناسب فإنه قد وضع نفسه فى موضع التواطؤ .

تلقى ويليام خطاب آلان ليؤكد فى مدرسة سانت بول صباح يوم الخميس بينما كان يتناول إفطاره مع ماثيو .

كان إفطار يوم الخميس فى بيكون هيل مؤلفا من البيض وشرائح اللحم المقدد والخبز الساخن والشوفان البارد وكوب من القهوة الساخنة . كان هنرى متوترا ومرحبا فى آن واحد ، كن يخاطب الخدم بحدة ويمزج مع صغار الموظفين عبر الهاتف والذين اتصلوا به هاتفيا لإخباره بأن موعد إعلان الشركة التى حصلت على عقد المستشفى سوف يعلق فى مقر مجلس البلدية قرابة العاشرة . كانت آن بالفعل تتطلع إلى موعدها الأخير مع جلين ريكاردو . تصفحت سريعا مجلة " فوج " وحاولت تجاهل يد زوجها المرتعدة وهو يعمل بجريدة جلوب .

سأل هنرى وهو يحاول أن يجرى حوارا : " ما هى خططك لهذا الصباح ؟ "

قالت آن : " ليس الكثير قبل غداء الاحتمال - هل يمكن أن تطلق على جناح الأطفال فى المستشفى اسم ريتشارد تخليداً لذكراه ؟ "

" ليس تخليداً لريتشارد يا عزيزتى . هذا سوف يكون إنجازى أن . لذا يجب أن يكون فى شرفك أنت جناح لسيدة هنرى . وسبورن " قالت آن وهى تضع المحلة وتبتسم إليه " ساسا مر فكرة رائعة . ولكن لا تدعى أفرط فى تناول الشراب على الغداء لأن الدكتور مكنزى سوف يفحصنى اليوم ولا أعتقد أنه سوف يرحب بأفراطى فى الشراب قبل موعد الإنجاب ببضعة أسابيع . ولكن متى ستعرف على وجه التأكيد أنك قد حصلت على العقد ؟ "

قال هنرى : " أنا أعرف الآن . الموظف الذى تحدثت إليه كان واثقا بنسبة مائة بالمائة ولكن الإعلان الرسمى لن يصدر قبل العاشرة صباحا "

" أول شيء يجب أن تفعله عندها يا هنرى هو أن تتصل بآلان وتخبره بالأنباء السارة . لقد بدأت أشعر بالذنب للطريقة التى عاملته بها على مدى الأسبوع الماضى "

" ليس هناك ما يدعو للشعور بالذنب ؛ إنه لم يكبد نفسه عناء إخبارك بأفعال ويليام "

لا . ولكنه حاول أن يشرح موقفه فى وقت لاحق يا هنرى وأنا لم أمنحه أية فرصة لكى يبرر موقفه "

" حسنا ، حسنا ، أوافقك على كل ما تقولين . إن كان هذا سيسعدك سوف أتصل به فى العاشرة وخمسة دقائق ويمكنك أن تخبرى ويليام بأننى سوف أمنحه مليون دولار إضافية " . ثم نظر فى ساعته وقال : " يجب أن أتصرف الآن . تمنى لى حظا طيبا " .

قالت آن : " أظن أنك لست بحاجة إلى الحظ "

أجاب هنرى : " كلا - كلا - إنه مجرد تعبير . أراك فى فندق ريتز فى الواحدة ظهرا " . ثم طبع على جبينه قبلة وأضاف : " بحلول المساء سوف تصبحين قادرة على إثبات خطأ موقف آلان وويليام وسوف تنتظرين إلى كل هذا على أنها مشاكل منتهية ، صدقينى . إلى اللقاء يا عزيزتى "

" أتمنى ذلك يا هنرى "

بقى الإفطار دون أن يمس على المائدة أمام آلان ليويدي . كان يقرأ صفحات المال فى جريدة جلوب ، وقد لاحظ خلال القراءة فقرة صغيرة فى الجانب الأيمن تشير إلى أن الإعلان عن نتيجة الشركة التى فازت بعقد المستشفى الذى يصل إلى خمسة ملايين دولار سوف سوف يتم فى العاشرة صباحا .

كان آلان ليويدي قد قرر بالفعل التصرف الذى سوف يقدم عليه إن فشل هنرى فى الحصول على العقد وتبين أن كل ما ادعاه ويليام كان صحيحا . سيتصرف تماما بنفس الطريقة التى كان ريتشارد سيتصرف بها إن كان قد واجه نفس الموقف ؛ سيتصرف فقط وفق مصلحة البنك . كانت التقارير التى حصل عليها آلان مؤخرا عن طريق أقسام البنك بشأن وضع هنرى اندى تشر قلقة بدرجة كبيرة

كان أوسبورن بالفعل مقامرا محذرك كما أنه لم ينجح فى إقناع أى من الخمسمائة ألف دولار التى اقترضاها من آن فى أعمال شركته . تناول آلان ليويدي عصير البرتقال على عجل دون أن يمد يده إلى باقى الإفطار ، ثم اعتذر إلى مدير منزله وسار فى طريقه إلى البنك . إنه يوم حافل .

" ويليام هل أنت مستعد للعب التنس فى الظهيرة ؟ "

كانا يتناولان الإفطار ، وكان ماثيو ليستر يقف قبالة ويليام وهو يقرأ خطاب آلان ليويد للمرة الثانية .
" ما الذى قلت ؟ " .

" هل أصبت بالصمم أم أنك تعاني من شيخوخة مبكرة ؟ هل تريدنى أن ألحق بك هزيمة منكرة فى ملعب التنس اليوم ؟ " .
" كلا لن أكون موجودا فى هذا الوقت يا ماثيو . لدىّ شئون أكثر أهمية يجب أن أتولى أمرها " .

" بالطبع أيها الفتى الناضج ، لقد نسيت أنك بصدد القيام برحلة أخرى من تلك الرحلات الغامضة إلى البيت الأبيض . أعرف أن الرئيس هاردينج فى انتظارك لكى تكون مستشاره المالى الأول وأنت بالفعل الرجل المناسب لهذا المنصب بدلا من هذا الأحقر الذى يدعى تشارلز جى داو . أخبره بأنك موافق على قبول المنصب شريطة أن يعين ماثيو ليستر فى وظيفة النائب " .
لم تكن هناك إجابة من ويليام .

قال ماثيو وهو يجلس بجوار ويليام وينظر إليه بإيمان :
" أعرف أن المزحة لم تكن جيدة ولكن مع ذلك فهى جديدة بالتعليق . إنه البهيم ، أليس كذلك ؟ إن مذاقه يوحى بأنه قد جاءنا من أحد معسكرات الاعتقال الروسية " .

" بدأ ويليام حديثه وهو يعيد خطاب آلان داخل الظرف :
" ماثيو أنا بحاجة إلى مساعدتك " .

" لقد بقيت خدما من أحصى وحى تخبرك بأنك تصبح مديلا جيدا لروودلف فلنتينو " .

وقف ويليام : " كفى من جا يا ماثيو لو تعرض بنى والدك للسرقة فهل كنت ستكتفى بإلقاء المكس " .

كان التعبير الذى ارتسم على وجه ويليام بالغ الجدية . تغيرت نبرة ماثيو وقال : " كلا لن أفعل " .

" حسنا . إذن دعنا نخرج من هنا وسوف أشرح لك كل شيء " .

غادرت آن بىكون هيل بعد العاشرة بقليل لكى تتسوق قليلا قبل أن تذهب إلى لقائها الأخير مع جلين ريكاردو . بدأ الهاتف يدق وهى تتأدر فى طريقها إلى شارع تشست نات . أجاب الخادم على الهاتف ثم نظر عبر نافذة فوجد أن سنده قد بتعدت كثيرا إلى حد لا يسمح برجوعها . لو كانت آن قد عادت لتلقى المكالمات لكانت قد تعرفت على قرار مجلس البلدية الخاص بمقد المستشفى ، ولكنها بدلا من ذلك اشترت بعض الجوارب الحريرية وجربت عطرا جديدا . ووصلت إلى مكتب ريكاردو بعد الثانية عشرة بقليل وهى تأمل أن تغطي رائحة العطر الجديد على رائحة دخان سيجاره .
" أنسى ألا أكون قد تأخرت يا سيد ريكاردو " .

تفضلنى يا سيدة أوسبورن " . لم تكن علامات التفاؤل مرتسمة على وجهه ولكن آن كانت تعتقد أنها لا ترتسم بحال على وجهه . ثم لاحظت أنه لا يدخن سيجاره المعتاد .

فتح جلين ريكاردو ملفا بنيا أنيقا ، كان الشيء الجديد الوحيد الذى نجحت آن فى ملاحظته على المكتب ، واستخرج بعض الأوراق منه .

" دعينا نبدأ بالخطابات المجهولة يا سيدة أوسبورن " .
لم ترتج آن إلى نبرة صوته بالمرّة . " أجل بالطبع " ، هذا هو ما نجحت فى إجابته به .

" إنها مرسلة من قبل السيدة روبى فلاورز " .

قالت آن وحى لا تطيق صبرا لمعرفة الإجابة : " من ؟ لماذا ؟ " .
 " أعتقد أن أحد الأسباب هو أن السيدة فلاورز قد رفعت دعوى
 ضد زوجك " .

قالت آن : " حسنا هذا يكشف القطاء عن السر كاملا . لايد
 أنها تسعى للانتقام منه . ما هو المبلغ الذى تزعم أن هنرى يجب أن
 يسدده لها ؟ " .

" إنها لا تطالب بسداد دين يا سيدة أوسبورن " .
 " حسنا ، ما الذى تطالب به إذا ؟ " .

دفع جيلين ريكاردو نفسه لكى ينهض من فوق الكرسي وكانت
 هذه الحركة تعطل بذل كاس قوة ذرعيه لكى يدفع بجسده متعب
 إلى أعلى . سار نحو النافذة ونظر من خلالها إلى ميناء بوسطن
 المزدحم

" إنها تقاضيه لأنه نقض عهده معها يا سيدة أوسبورن " .

قالت آن " كلا ، لا يمكن

يبدو أنه كن قد خطبها وكان قد عزم على الزواج منها فى
 الوقت الذى التقى فيه بك وعنده قرر أن يفسخ خطوبته بدون أن
 يبدى أية أسباب واضحة " .

" يا إلهي . لايد أنها كانت تلهث وراء ماله " .

" كلا ، لا أعتقد ذلك . لأن السيدة فلاورز تملك بالفعل ثروته
 معقولة . بالطبع إنها ليست فى مثل مستواك . ولكن زوجها الراحل
 كان قد ترك لها شركة تعبئة مياه غازية وقدرًا معقولاً من المال " .
 " زوجها الراحل ، كم عمرها ؟ " .

عاد المحقق إلى المكتب ثم راجع صفحة أو اثنتين فى الملف
 وأخذ يقلب الورق إلى أن توقف إصبعه الأسود عند صفحة ما :
 " سوف تبلغ الخامسة والثلاثين فى عيد ميلادها القادم "

قالت آن : " يا إلهي ! يا لها من امرأة مسكينة ، لايد أنها
 نكرهني

" نعم يا سيدة أوسبورن ، ولكن هذا لن يسعدن بحال لاسى
 الآن يجب أن أتحدث عن باقى أنشطة زوجك "

عاد الإصحع الملطخ ببقع البيكوتين يقلب مزيد من الصفحات
 بدأت آن تشعر بالغثيان . ما الذى جاء بها إلى هنا ، لماذا لم تكتف
 بزيارة الأسبوع الماضى ؟ ما كان يجب أن تعرف ، ما كانت تريد أن
 تعرف . لم لم تقم وتغادر المكان ؟ لكم تمننت فى ذلك الوقت أن
 يكون ريتشارد بجانب . فقد كان يعرف تحديدا كيف يتعامل مع
 مثل هذه المواقف . وجدت نفسها عاجزة عن الحركة . وجدت
 نفسها وكأنها قد وثقت بجيلين ريكاردو ومحتويات ملفه الأنيق
 لحدوث

" لقد التقى السيد أوسبورن على مدى الأسبوع الماضى مع
 السيدة بوستون هيريس وقضى معها فى كل مرة ثلاث ساعات على
 مدار

أجابت آن فى يأس : " ولكن هذا لا يثبت شيئا . فأننا أعلم
 أنهما كانا يناقشان بعض الأمور المالية المهمة " .
 " فى فندق صغير فى شارع لاسال " .

لم تقاطع آن حديث المحقق ثانية .

" فى المرتين شهود الاثنان وهما يسيران ممسكين بيدي بعضهما
 البعض فى طريقهما إلى الفندق وهما يتهاوسان ويتضحكان . هذا
 ليس دليلا قاطعا بالطبع ولكننا حصلنا على صور لهما وهما يدخلان
 ويغادران الفندق "

أجابت آن فى هدوء : " مزقها "

نظر إليها جلين ريكاردو في دهشة : " كما تحبين يا سيدة أوسبورن . ولكنني أخشى أن هناك المزيد ، لقد تأكدنا من خلال البحث أن السيد أوسبورن لم يلتحق بهارفرد في يوم من الأيام كما أنه لم يخدم أيضا في القوات الأمريكية . كان هناك رجل يدعى هنري أوسبورن في هارفرد حصل طوله إلى خمسة أقدام ونصف ، أشقر الشعر ولكن من ولاية ألباما . وقد قتل في مين عام ١٩١٧ . كما أننا علمنا أيضا أن عمر زوجك يقل كثيرا عما يقوله وأن اسمه الحقيقي هو فيتوريو توجنا ، وأنه قد خدم ——— " .

قالت آن والدموع تنهمر على خديها : " كفى لا أريد أن أسمع المزيد . لا أريد أن أسمع المزيد " .

" بالطبع ، يا سيدة أوسبورن ، أفهم ذلك . ولكنني آسف لأن هذه الأخبار قد أثارت شجونك . في عملي أحيانا ——— " .

قاومت آن لكي تتمالك نفسها : " أشكرك يا سيد ريكاردو وأقدر لك جهبك . ما هو المبلغ المطلوب ؟ " .

" حسنا لقد دفعت بالفعل أسبوعين مقدما . هناك يومان إضافيان وهذا يعني أن إجمالي النفقات يصل إلى سبعين دولارا " .

أعطته آن ورقة بمائة دولار ونهضت من مقعدها .

" لا تنسى الباقي يا سيدة أوسبورن " .

هزت رأسها وأشاحت بيدها في عدم اكتراث .

" هل أنت بخير يا سيدة أوسبورن . تبدين شاحبة بعض الشيء . هل يمكن أن أحضر لك كوبا من الماء أو شيئا من هذا القليل ؟ " .

قلت آن : " أنا على ما يرام " .

" هل يمكن أن تسمح لي أن أقودك إلى المنزل ؟ " .

استدارت وايتسمت : " كلا ، أشكرك يا سيد ريكاردو ، يمكنني أن أصل إلى هناك بمفردى . هذا لطف منك " .

أغلق جلين ريكاردو الباب بهدوء خلف عميلته ، وسار في بطنه نحو النافذة وقصم نهاية آخر سيجارة كبيرة لديه وبصقها وصب لعناته على عمله .

توقفت آن عند بداية الدرج ، وهي تتعلق بالترابزين على وشك أن تصاب بالإغماء . تحرك الجنين داخل بطنها مما أصابها بالغثاس . عثرت على سيارة أجرة عند أحد أركان الشارع وألقت بنفسها في المقعد الخلفي ، كانت عذبة عن التوقف عن الشواح والبهاء وهي لا تدري ما يمكن أن تكون عليه خطوتها القادمة . بمجرد أن عادت إلى البيت الأحمر ، توجهت مباشرة نحو غرفتها قبل أن يلحظ أى من الخدم الحال التي هي عليها . كان الهاتف يدق عندما دخلت غرفتها فالتقطت السماعة بحكم العادة وليس بدافع فضول معرفة اسم المتصل

" هل يمكن أن أتحدث مع السيدة كين من فضلك ؟ " .

تعرفت على صوت آلان في الحال . صوت آخر منهم وحزين .

" مرحبا يا آلان ، أنا آن " .

" آن ، يا عزيزتى ، لقد أسفقت لسماع ما حدث هذا الصباح " .

" وكيف عرفت ما حدث يا آلان ؟ كيف يمكن أن تكون قد عرفت ؟ من الذى أخبرك ؟ " .

" لقد اتصل بي أحد مسؤولي مجلس البلدية وأبلغنى بكل لتفاصيل بعد العاشرة صباحا . حاولت أن أتصل بك ولكن خادمك أبلغنى بأنك قد غادرت المنزل لشراء بعض الأغراض " .

قالت آن : " أجس ، يا إلهي . كنت قد نسيت مسألة العقد " . جلست بكل ثقلها وهي عاجزة عن التقاط أنفاسها بشكل جيد .

" هل أنت بخير يا آن ؟ "

أجابته وهي تحاول هلا جدوى أن تغير صوتها المتحجب :
" نعم أنا بخير . ما الذي أبلغك به مجلس البلدية ؟ "

لقد تم منح العقد لشركة تدعى كيرك برايد . يبدو أن هنري لم يسجل ضمن أفضل ثلاث شركات . لقد بذلت جهدي للاتصال به طوال اليوم ولكن يبدو أنه قد غادر مكتبه بعد الدشرة بقبيل ولم يعد منذ ذلك الحين . هل تعرفين أين ذهب يا آن ؟ "

" كلا ، ليست لدى أية فكرة "

قال : " هل تريدان أن آتي إليك يا عزيزتي ؟ يمكنني أن أصل إليك في دقائق "

" كلا ، أشكرك يا آلان " . صممت آن لكي تلتقط نفسها متهدجا ثم أضافت : " أرجوك سامحني على الطريقة التي عاملتك بها على مدى الأيام القليلة الماضية . لو كان ريتشارد مازال على قيد الحياة لما كان قد غفر لي أبدا ذلك "

" لا تقلقي يا آن . إن صداقتنا التي امتدت لسنوات أكبر من هذا الحادث البسيط "

أثارت رفته رغبتها في البكاء من جديد .

" يجب أن أنهى المكالمات الآن يا آلان . إنني أسمع وقع أقدام شخص ما عند الباب الأمامي ، ربما يكون هنري "

" اهتني بنفسك يا آن ولا تقلقي بشأن ما حدث اليوم . مدامت ريتسا للبنات في البنك سوف يدعمك دائما ، لا تتردد في الاتصال بي إن احتجت لشيء "

وضعت آن سماعة الهاتف ، والضوضاء تتردد في أذنيها . كان الجهد الذي تبذله لكي تلتقط أنفاسها يفوق الاحتمال . تهاوت على الأرض وبدأت آلام المخاض العنيفة تدهمها .

مرت دقائق معدودة ثم طرقت الخادمة باب الحجرة . نظرت بالداخل ، كان ويليام يقف وراءها . لم يكن قد دخل غرفة والدته منذ زواجها من هنري أوسبورن . هرع الاثنان بجوار آن التي كانت ترتعد في تشنج . لم تشعر آن بوجودهما . تنشرت بعض الرغبة على شفتيها العليا وبعد ثوان انتهت النبوة وبقيت تنن في هدوء
قال ويليام في انزعاج : " أمي ما الخطب ؟ "

فتحت آن عينيها وأخذت تحدد يستمعن إلى ابنها
" ريتشارد ، حمد لله على مجيئك ، أنا بحاجة إليك "

" أنا ويليام يا أمي "

خبت نظرتها : " لم أعد أملك المزيد من القوة . يجب أن أدفع ثمن خطئي ، سامحني — "

ثم انقلب صوتها إلى تآوه عندما داهمها تقلص قوى آخر .
قال ويليام في يأس : " ما الذي يحدث ؟ "

أجابته الخادمة : " أعتقد أنها على وشك الوضع بالرغم من أن موعد الولادة قد بقي عليه عدة أسابيع "

قال ويليام للخادمة وهو يخرج مسرعا من باب غرفة النوم :
" اتصلي بالدكتور مكنزي على الفور . ماثيو ! اصعد سريعا "

صعد ماثيو الدرج مسرعا ودخل مع ويليام غرفة النوم :
" ساعدني لكي أحمل والدتي إلى السيارة "

جثا ماثيو على ركبتيه ، ثم حمل الفتيان آن وهبطا بها الدرج في رفق إلى أن وضعها داخل السيارة . كان من الواضح أنها تعاني

من آلام مبرحة . أسرع ويليام عائداً إلى المنزل والتقط ساعة الهاتف من الخادمة بينما بقي ماثيو منتظراً داخل السيارة .

"دكتور مكنزى "

"نعم ، من المتحدث ؟ "

"اسمى ويليام كين ، أنت لا تعرفنى يا سيدى "

"كيف لا أعرفك ، أيها الشاب الصغير ؟ لقد ولدت على

يدى . ما الذى يمكننى أن أسديه لك ؟ "

"أعتقد أن أمى تعاني آلام المخاض ، سوف أحملها إليك فى المستشفى فى الحال . سوف أصل هناك بعد ثلاث دقائق " .

تغيرت نبرة صوت الدكتور مكنزى : " حسناً يا ويليام ، لا تقف سوف أبقى هنا فى انتظاره . سوف يكور كل شيء ، بعدا عند وصولها " .

قال ويليام فى تردد : " أشكرت يا دكتور ، يبدو أنها أصبحت بنوبة تشنج ، فهل هذا طبيعى ؟ "

لمرت كلمات ويليام ذعر الطبيب الذى تردد هو الآخر وأجاب قائلاً :

" حسناً ، ليس هذا طبيعى تماماً ولكنها سوف تكون بخير بمجرد أن تضع الطفل . أحضرها بأسرع ما يمكن ، وضع ويليام سماعة الهاتف وجرى خارج منزل وقفز فى السبورة الرولر دويس

قاد ماثيو السيارة بدون أن يتخطى السرعة الأولى أو يتوقف عند أية إشارة أو لى شيء إلى أن وصلا إلى المستشفى . حمل الفتيان آن ثم جاءت ممرضة بنقالة وقادتها إلى قسم الولادة . كان الدكتور مكنزى واقفاً عند غرفة الجراحة فى انتظارها . تسلمها ثم طلب من الفتان البقاء خارج الغرفة .

جلس ويليام وماثيو فى صمت على الأريكة الصغيرة فى انتظار ما سوف يحدث . توالى من داخل غرفة الولادة الصيحات والصرخات المفزعة التى لم تكن تشبه أى صوت قد سمعه من قبل . تلاها صمت مطبق أكثر إثارة للفرع . شعر ويليام لأول مرة فى حياته بالعجز التام . بقى الفتان جالسين فوق الأريكة لأكثر من ساعة بدون أن يتفوه أى منهما بكلمة واحدة . وفى النهاية خرج عليهما الدكتور مكنزى وهو فى حالة إعياء . نهض الصبيان ونظر الطبيب إلى ماثيو ليستر موجه حديثه إليه .

سأل الطبيب : " هل أنت ويليام ؟ "

" كلا بـ سيدى ، أنا ماثيو ليستر ، هذا هو ويليام " .

سدد الطبيب ووضع إحدى يديه على كتف ويليام .

"ويليام - أنا أسف لقد توفيت والدتك منذ بضع دقائق . أما بطرس - ودى كين - نكلى فقد أجهض " .

ثم تعالى ويليام نفسه وهوى فوق الأريكة .

جز الطبيب رأسه فى إعياء : " لقد بذلنا قصارى جهدنا لإنقاذها ولكن الوقت كان قد تأخر كثيراً . إنها لم تصغ إلى وأصرت على الإنجاب . ما كان يجب أن يحدث هذا أبداً "

جلس ويليام فى بداية الأمر فى صمت ، وهو مذهول من وقع الكلمات المعصيبة . ثم تمت قائلاً : " كيف يمكن أن تموت ؟ كيف تركتموها تموت ؟ " .

جلس الطبيب بين الصبيين : " لم تكن تصغى إلى " كرها الطبيب ببطء . " طالما حذرتها من الإنجاب عندما فقدت جنينها ولكنها عندما تزوجت ثانية ، لم تكن هى وزوجها يصغيان إلى وبأخذان كلامى على محمل الجد . لقد كانت تعاني من ارتفاع فى ضغط الدم فى حملها الأخير . لقد كان ضغطها يقلقنى فى هذه المرة

ولكنه لم يقترب أبدا من حد خطر - ولكنك عندما أحضرتك اليوم كان ضغط الدم قد قفز إلى معدل خطير أصابها بالإرجاج ؟ "

" الإرجاج ؟ "

" إنها تلك التقلصات التي أصابتها . أحيانا قد ينجح بعض المرضى في تخطي العديد من النوبات ولكن في أحيان أخرى قد يعجز المريض ببساطة عن التنفس "

لتقط ويليام أنفاسه بصعوبة وترك رأسه يهوى بين يديه ، قاده ماثيو ليستر صديقه بطول الردهة وسار الطبيب خلفهما . عند وصولوا إلى المصعد ، نظر الطبيب إلى ويليام وقال له :

" لقد أصابها ارتفاع مفاجئ في ضغط الدم وهو أمر لا يحدث في العادة كما أنها لم تبذل أى جهد للمقاومة كما لو كانت لا تعباً . هذا أمر غريب ؛ هل كان هناك ما يقلقها في الآونة الأخيرة ؟ "

رفع ويليام رأسه المغطى بالدموع ورد قائلا : " ليس شيئا " ثم أضاف في كراهية : " وإنما شخص " . كان آلان ليويد جالسا في إحدى زوايا غرفة الرسم عندما عاد ويليام وماثيو إلى البيت الأحمر . نهض فور دخولهما .

قال في الحال : " ويليام . إننى ألوم نفسي على السماح بهذا انقراض " .

نظر ويليام إليه بدون أن يلتفت بل لا يقول كسر ماثيو حاجر الصمت وقال : " لا أعتقد أن هذا الأمر قد أصبح الآن ذا أهمية " ثم أضاف في هدوء : " لقد توفيت والدته ويليام لتوها أثناء الوضع " .

بهت آلان ليويد عند سماع النبأ ثم استند إلى رف المدفأة لكي يتمالك نفسه . استدار في الجهة المقابلة . كانت هذه هي المرة الأولى التي يرى فيها الصبيان رجلا كبيرا يبكي .

قال الرجل : " أنا السيب . لن أسامح نفسي أبدا . كان يجب أن أخبرها بكل شيء " . كنت أحبها إلى الحد الذى منعنى من إخبارها " .

هدأ حزن الرجل من روع ويليام .

قال ويليام فى حزم : " لم يكن خطأك بكل تأكيد يا آلان . " لقد بذلت قصارى جهدي . أنا واثق من ذلك . وأنا الآن الذى سوف أكون بحاجة إلى مساعدتك " .

تمالك آلان ليويد نفسه وسأل ويليام " وهل علم أوسبورن بوفاة والدتك ؟ "

" لا أعلم ولا أعيا "

" لقد حاولت أن أتصل به طوال اليوم لكنى أحادثه بشأن الاستثمار ولكنه كان قد غادر مكتبه بعد العاشرة بقليل ولم يعد إليه أبدا منذ ذلك الوقت "

قال ويليام فى تجهم : " سوف يعود هنا إن عاجلا أم آجلا "

بعد أن غادر آلان ليويد ، بقي ويليام وماثيو جالسين فى الغرفة الأمامية معظم الليل وهما يقفوان من آن إلى آخر . وفى الرابعة صباحا ، بينما كان ويليام يحصى مجموعة الأجراس فى ساعة جده هينى إليه أنه قد سمع جبهة فى الشارع . كان ماثيو ينظر إلى الممشى عبر النافذة . سار ويليام فى ثبات إلى أن وقف بجواره . أخذوا يتأملان هنرى أوسبورن وهو يسير مترنحا فى ميدان لويز برج حاملا زجاجة فى يده . تعثر هنرى فى المفاتيح لبعض الوقت وأخيرا ظهر

عند البهو وسار نحو الغرفة الأولى وأخذ ينظر إلى الصبيين في دهول .

قال في صوت منهك واهن وهو يحاول أن يدفع ويليام جانبا " أريد أن وليس أنت . ما هو سبب تغييرك عن المدرسة ؟ أنا لا أريدك ، أين أن ؟ " .

قال ويليام في هدوء : " لقد توفيت والدتي "

نظر إليه هنرى أوسبورن في بلاهة لبضع ثوان .

أثارت نظراته الغيبة أعصاب ويليام .

صاح قائلا : " أين كنت عندما كانت بحاجة إلى زوج ؟ "

بقى أوسبورن واقفا وهو يترنح قليلا : " وما الذى أصاب الوليد ؟ " .

" لقد أجهض الجنين ، لقد كانت أنثى "

سقط هنرى أوسبورن فوق أحد المقاعد وأخذت الدموع الثقلة

تغطي وجهه : " لقد فقدت وليدى الصغير " .

كان ويليام عندها قد جن جنونه وراح يصيح في حده وجزع

" وليدك ، كف عن التفكير في نفسك وسورة وحدة - لقد كنت

تعلم أن الدكتور مكنزى قد حذرنا من الإنجاب ثانية "

" وهل أنت خبير فى هذه الأمور أيضا ؛ أنت خبير فى هذا

مثل كل الأشياء ؟ إن كنت قد اكتفيت بالاهتمام بشئونك اللعينة

لكننى أنا قد اعتنيت بزوجتى بدون تدخل منك "

" واعتنيت بأمواتها أيضا ؛ أليس كذلك ؟ "

" المال ؛ أيها اللقيط البائس ؛ أعتقد أن خسارة المال هى أكثر

ما يثير ذمتك "

قال ويليام وهو يهز على أسنانه : " انهض ! "

دفع هنرى بنفسه إلى أعلى وكسر الزجاجاة فى جانب الكرسى . تناثرت الخمر فوق السجادة . تقدم نحو ويليام وهو شاهر الزجاجاة .بقى ويليام ثابتا فى مكانه بينما تدخل صائيو بينهم وسحب الزجاجاة فى رفق من يد الرجل المخور .

نحى ويليام وجه صديقه جانبا وتقدم إلى أن أصبح وجهه على بعد بضع بوصات قليلة من هنرى أوسبورن .

" الآن أنصت إلى ؛ وأنصت إلى جهدا . أريدك أن تغادر هذا البيت فى ساعة واحدة . إن سمعت عنك ثانية طوال حياتى فسوف أجرى تحقيقا جنائيا فى النصف مليون دولار التى استوليت عليها من أمى ، وسوف أعيد فتح كل الملفات الخاصة بهويتك وماضيك فى شيكاغو .

أما إن لم أسمع عنك ثانية ، فإننى فى المقابل سوف أعتبر أن التسوية قد تمت وانتهى الأمر . والآن اخرج من هنا قبل أن نفتلك "

أخذ الصبيان يراقبانه وهو يغادر المكان باكيا . حانقا مضطربا .

وفى صباح اليوم التالى ؛ ذهب ويليام لزيارة البنك حيث دخل على الفور إلى مكتب الرئيس . كان آلان ليويد يحزم بعض الملفات فى حقيبته . رفع الرجل رأسه وقدم لويليام ورقة بدون أن يتفوه بكلمة . كان خطاب استقالة من منصبه كرئيس للبنك وكان الخطاب موجها إلى كل أعضاء مجلس الإدارة .

قال ويليام : " استدعى السكرتيرة من فضلك ؟ "

" كما تريد "

ضغط آلان ليويد على أحد الأزرار بجوار مكتبه ، فدخلت سيدة فى منتصف العمر من الباب الجانبى .

قالت السيدة عندما رأت ويليام : " صباح الخير يا سيد كين .
لقد أحزننى نبأ وفاة والدتك " .
قال ويليام : " أشكرك . هل رأى أى شخص فى البنك هذا
الخطاب ؟ " .

أجابته السكرتيرة : " كلا يا سيدى . لقد كنت على وشك
نسخه على الآلة الكاتبة لكى أوزعه على رؤساء الأقسام " .
" حسناً ، لا تنس خيه وانسى أمر هذه المسودة نهائياً ، لا تذكرها
لأحد ، هل فهمت ؟ " .

نظرت السكرتيرة فى عيني الصبي ذى الستة عشر عاماً ولسان
حالتها يقول : " أمرك يا سيد كين " وانصرفت فى هدوء وهى تغلق
الباب وراءها . رفع آلان ليويد وجهه .

قال ويليام : " إن بنك كين وكابوت ليس بحاجة إلى رئيس
جديد الآن يا آلان . إنك لم تفعل شيئاً ما كان أبى ليقدم على فعله
لو كان مكانك " .

قال آلان : " ولكن الأمر ليس بهذه البساطة " .
قال ويليام : " بل هو كذلك . يمكننا أن نناقش ذلك مرة
أخرى عندما أبلغ الحادية والعشرين ولكن ليس قبل هذا الوقت .
ولحين بلوغ هذه السن ، سوف يسعدنى أن تدبر بنكى بأملوث
لديومسى المحافظ . لا أريد أن يسرب أمر كى ما قد حدث
خارج حدود هذا المكتب . يجب أن تتخلص من كل المعلومات التى
جمعتها عن هنرى أوسبورن وتعتبر هذا الأمر منتهياً " .

مزق ويليام خطاب الاستقالة ونثر أوراقه فى نار المدفأة . ثم
وضع يده على كتفى آلان .

" لم تعد لى أسرة الآن يا آلان . لم يبق لى سواك ، فبريك لا
نتخل عنى " .

عاد ويليام إلى بيكون هيل . كانت الجدتان كايوت وكين
تجسنان فى صمت فى شرفة الرسم . نهضت الاثنتان عندما دخل
ويليام الغرفة . كانت المرة الأولى التى أدرك فيها ويليام أنه قد أصبح
عميد عائلة كين .

شيعت الجنازة فى هدوء بعد يومين من كاتدرائية سانت بول .
لم يدع إليها سوى أفراد العائلة والأصدقاء المقربين . كان الغائب
الوحيد هو هنرى أوسبورن . قدم المشيعون تعازيهم إلى ويليام عند
المقدرة بنصف وقفت ابجدتن لتقبى اعز ، خلفه بقيى كننا تقفان
مثل أفراد الحرس الذين يراقبون ويؤيدون هدوء وبيام ونبيه عندما
غادر الجميع . صاحب ويليام آلان ليويد إلى سيارته .

وقد شعر آلان بالفخر عندما صرح له ويليام بطلبه .
" كما تعرف يا آلان ، طالما أرادت أسمى أن تبني جناحاً
للأعمال بكريما فكري والذى وأن أريد أن أحقق لها هذه الأمنية " .

يفرض عليه أن يعيش يوما بيوم قد حجب عنه كل هؤلاء الأحياء . أما فى تركيا فقد ظلت كل هذه الذكريات تتراءى له فى مكتب صامت بطيء . كان يرى هذه الوجوه أحيانا قوية وسعيدة ، كان يرى ليون وهو يمسح فى النهر وفلورنتينا وهى تلهو داخل حجرته ووجه البارون وهو منعم بالقوة والفخر فى الليالى التى كانت تضيئها الشموع . ولكن كل هذه الوجوه الحبيبة التى كان يتذكرها وودك جيدا كانت سرعان ما تضطرب وتتحول إلى الشكل الرهيب الذى آلت إليه فى النهاية كلما حاول وودك أن يتشبث بها ، كان ليون يحول إلى سد اجثة الهامسة التى رمت فوقه ، وفلورنتينا إلى الجسد الذى أخذ ينزف فى تأوه وكمد . أما البارون فكان يتحول إلى الوجه الكفيف العاجز .

وقد بدأ وودك عندها يدرك أنه لا يمكن أن يعود أبداً إلى هذه الأرض سوى تسكنها لأشباح قبل أن يحمق شيئا ذا قيمة فى حياته . وحينما استقرت هذه الفكرة فى عقله ، عقد عزمه على هجره إلى أمريكا حيث كان يهرون قد حكى له قصص رائعة عن تاديوز كوسكييفسكى الذى كان قد هاجر إليها منذ زمن . كان باول زلسكى يطلق على الولايات المتحدة اسم العالم الجديد . وقد بثت هذه التسمية فى وودك روح الأمل فى المستقبل وفتححت أمامه آفاق الرغبة فى العودة ظافرا إلى بولندا فى يوم من الأيام .

كان باول زلسكى هو الذى دفع ثمن شراء جواز سفر هجرة وودك إلى الولايات المتحدة . كان من الصعب الحصول على مثل هذه الجوازات لأنها كان يجب أن تحجز قبل سنة على الأقل . وقد بدا وقتها أن وودك وكل أوروبا الشرقية تنوق للفرار وبدء حياة جديدة فى العالم الجديد .

الفصل الحادى عشر



أقام وودك فى القنصلية البولندية فى القسطنطينية على مدى عام كامل وليس فقط على مدى عدة أيام قلائل كما كان يظن فى بداية الأمر . كان يعمل ليل نهار فى مساعدة باول زلسكى حتى أصبح ساعده الأيمن وصديقه المقرب . لم يكن هناك شيء يستعصى على وودك ، مما دفع زلسكى إلى التساؤل كيف كان ينجز كل هذه الأعمال قبل مجيء وودك . كان وودك يزور السفارة الإنجليزية مرة واحدة أسبوعيا لكى يتناول الطعام فى المطبخ مع السيدة هندرسون . الطاهية الأسكتلندية هناك . وفى إحدى المناسبات تناول الطعام مع القنصل الإنجليزي الثانى شخصا .

كان نمط الحياة الإسلامية القديم يتهاوى من حولهم وكانت الإمبراطورية العثمانية تنهار . وبدأ اسم مصطفى كمال يتردد على كل الألسنة . كان حس التغيير الوشيك يثير الحماس بداخل وودك . كان عقله يسترجع بلا انقطاع أيام البارون وكل الوجوه التى كان يحبها فى القصر . كان كفاحه من أجل البقاء والذى كان

وفى ربيع عام ١٩٢١ . غادر وودك كوسكيغيتش أخير
القسطنطينية وصعد على متن سفينة سرس بلاك أرو التى كانت
ستقله إلى جزيرة أليس فى نيويورك . كان يحمل حقيبة واحدة يضع
فيها كل مقتنياته ومجموعة من الأوراق التى كان قد استخرجها له
باول زلسكى .

صحبه القنصل البولندى إلى الميناء واحتضنه فى حب قائلاً :
" اذهب فى حفظ الله يا بنى " .

فجاء رد وودك رداً بولندياً تقليدياً نابعا من نشأته قائلاً :
" ابقى فى حفظ الله "

عندما وصل وودك إلى قمة سلم السفينة ، تذكر رحلته المروعة
من أوديسا إلى القسطنطينية ، ولكنه فى هذه المرة لم ير القمح وإنما
كان المكان يعج بالناس من كل مكان ، من بولندا وآستونيا وأوكرانيا
ولتوانيا وغيرها من الأجناس والأصول التى كان وودك يجهلها .
أحكم وودك قبضته على مقتنياته القليلة وسعى منتظراً فى الصف
كان هذا الصف هو صف من صفوف الانتظار الطويلة التى شيقف
فيها وودك إلى أن يصل إلى الولايات المتحدة . قام أحد الموظفين
بتفحص أوراق وودك بمنتهى الدقة حتى يتأكد من أنه لا يسعى
للتهرب من الخدمة العسكرية فى تركيا ، ولكن أوراق باول زلسكى
كانت محكمة الإعداد مما دفع وودك إلى الدعاء للقنصل البولندى من
أعماق قلبه عندما شهد كم الأشخاص الذى استبعدوا وأعيدوا إلى
تركيا ثانية .

ثم حان بعد ذلك وقت التطعيم والفحص الطبى ، ما لم يكن
وودك قد أمضى عاماً كاملاً فى تناول الطعام الصحى الجيد
والاستشفاء لكان قد استبعد أيضاً بعد الفحص الطبى . وأخيراً ،
وبعد اجتياز كل الاختبارات والفحوصات الطبية سمح له بأن يستقر

على متن السفينة فى المكان المخصص للمسافرين من أصحاب
التعرفة الأقل سعراً . كانت هناك أقسام إقامة منفصلة للرجال
والنساء والمتزوجين . يادر وودك باتخاذ مكانه فى المكان المخصص
للرجال حيث كان المهاجرون من هولندا يشغلون جزءاً كبيراً من
المضاجع الحديدية التى تتألف كل وحدة منها من سريرين عتيقين
فوق بعضهما البعض . كان كل سرير يحمل مرتبة هزيلة من القش
وملاء خفيفة ولم تكن هناك وسائل وهو الأمر الذى لم يثر ضيق
وودك لأنه كان قد اعتاد أن ينام بدون وسائل منذ مغادرة روسيا .

أخذ وودك سريراً سفلياً وكان هذا صى فى مثل سنه يفتن
الفراش العلوى وقد بادر وودك بتقديم نفسه لزميله قائلاً : " أنا وودك
كوسكيغيتش "

" وأنا جيرزى نواك من وارسو "
هكذا رد الفتى بشكل تلقائى وأضاف قائلاً : " وسوف أصنع
ثروة فى أمريكا " .
ثم مد الفتى يده إلى الأمام .

قضى وودك وجيرزى وقتهما قبل إبحار السفينة فى تبادل
القصص والتجارب الخاصة بكل منهما ، كان كل منهما سعيداً
بصحبة الآخر ولم يكن أى منهما يريد أن يكشف عن جهله التام
بأمريكا . وقد اكتشف وودك أن جيرزى كان قد فقد والده فى
الحرب ولم يعد يبقى له شئ فى بلده .

وقد انبهر جيرزى بقصة وودك ، ابن البارون الذى تربى فى
كوخ الصيد ثم سجن على يد الألمان ثم معتقلات الروس ثم هرب من
سيبريا وبعدها صدر عليه حكم بتر يده فى تركيا ولكنه نجا منه
بفضل السوار القضى الذى كان يريد يده والذى لم ينجح
جيرزى فى تحويل بصره عنه . كان الصبى يرى أن وودك قد

اكتسب خلال خمسة عشر عاما خبرة كان الصبى يعجز عن اكتسابها على مدى عمره كاملا ، أخذ وودك طوال الليل يحدث جيرزى عن ماضيه ، وكان الأخير يصغى إليه بمنتهى الإمعان . لم يكن أى منهما يريد أن يتام أو يقر بخوفه من المجهول .

فى صباح اليوم التالى ، أبحرت السفينة ووقف وودك وجيرزى على سطحها وهما يتأملان القسطنطينية وهى تتلاشى شيئا فشيئا مع ابتعاد السفينة فى زرقة البوسفور . وبعد أن اجتازت السفينة بحر مرمرة الهادئ ، أشار تلاطم الأمواج زعر الركاب ، لم تكن دورات الحياة المخصصة لهذه الدرجة من الركاب كافية حيث كانت تحتوى فقط على عشرة أحواض وستة مراحيض وصنابير من الماء المالح ، وبعد مرور بضعة أيام كانت الرائحة النتنة التى تفوح من كل أرجاء المكان لا تطاق .

كان الطعام يقدم على موائد طويلة داخل قاعة الطعام الكبيرة البدائية . وكان الطعام مؤلفا من الحساء الدافئ والبطاطا والسمك واللحم البقرى المسلوق والكرنب والخبز البنى أو الأسود . لم يكن وودك قد تناول طعاما أسوأ من هذا الطعام منذ مغادرة روسيا . وكان سعيدا بالمؤنة الغذائية التى أعدتها له السيدة هندرسون والتى كانت مؤلفة من السوسيس والمكسرات والقليل من الشراب . كانا يأكلان سويا ، ويجوبان أنحاء السفينة سويا وفى الليل كانا وودك يذم فى السرير السفلى بينما كان جيرزى ينام فى السرير العلوى .

وفى اليوم الثالث من الإبحار أحضر جيرزى فتاة بولندية على مائدة الطعام . كان اسمها - كما أشار لودك بشكل عابر - زافيا . كانت هذه هى المرة الأولى التى ينظر فيها وودك إلى فتاة مرتين ولكنه لم يستطع أن يمنع نفسه من مواصلة النظر إليها .

لقد أثارت زافيا داخل وودك ذكريات فلورنتينا . كانت تحمل نفس الميول الرمادية الدافئة ونفس الشعر الأشقر المسترسر حتى كتفها ونفس الصوت الرقيق

شعر وودك أنه يريد أن يلمسها . كانت الفتاة تبتسم له من وقت إلى آخر . ولكنه أدرك عندها بمنتهى الأسى كم كان جيرزى يفوقه وسامة . بقى وودك مثبتا بصره عليها بينما قدم جيرزى ليقودها إلى قسم النساء .

استدار جيرزى نحو وودك بعد قليل وقال له فى نبرة يشوبها القليل من الغضب : " ألا تستطيع أن تعثر لنفسك على فتاة ، إن هذه الفتاة هى فتاتى أنا "

لم يكن وودك مستعدا للاعتراف بأنه لا يملك أدنى فكرة عن كيفية العثور على فتاة لنفسه وقال فى استهزاء : " سوف يكون هناك من الوقت ما يكفى للفتيات عندما نصل إلى أمريكا " .

" ولم الانتظار لحين الوصول إلى أمريكا ؟ فأنا عازم على الحصول على أكبر عدد من الفتيات على متن هذه السفينة " .

سأل وودك سعيًا لاكتساب المعرفة بدون الكشف عن جهله : " وكيف ستفعل ذلك ؟ "

قال جيرزى فى فخر : " مازال أمامنا اثنا عشر يوما على متن هذه السفينة اللعينة وأنا عازم على الحصول على اثنتى عشرة امرأة "

سأل وودك : " وما الذى يمكن أن تفعله باثنتى عشرة امرأة ؟ " " أصحابهن ، وهل هناك شيء آخر ؟ " . ارتسمت علامات الذهول على وجه وودك .

قال جيرزى فى ذهول : " يا إلهى ! أيمكن أن يكون الرجل الذى عاش فى سجون الألمان وفر من معتقلات الروس وقتل رجالا فى الثانية عشرة من عمره وكاد يفقد يده بالبتر ، أيمكن ألا يكون قد حظى بامرأة من قبل ؟ "

أخذ جيرزى يضحك إلى أن ضج المخيطون به وأمرؤه باختلاف ألسنتهم فى صوت واحد أن يكف عن الضحك .

واصل جبررى حديثه هادئا " حسن . لقد حان وقت توسيع مداركك ، لأننى قد عثرت أخيرا على شيء واحد يمكننى أن أعتنه لك " . ثم أخذ يحدث إلى وودك من أحد أركان فراشه بالرغم من أنه عجز عن تبين وجهه تماما فى ظلمة الليل وأضاف : " زافيا فتاة متفهمة وأنا أستطيع أنؤكد لك بمنتهى الارتياح أنها لن تمنعنى من مساعدتك على توسيع مداركك قليلا . سوف أتدبر الأمر " . لم يرد عليه وودك .

لم يطرح الأمر ثانية ولكن فى اليوم التالى . بدأت رافيا شوق المزيد من الاهتمام لـ وودك . كانت تجلس بجواره عند مائدة الطعام وكما يتحدثون لساعات مع بعضهم البعض عن التجارب التى مر بها كل منهما . كان يتحدثان عن أحلامهم وآمالهما . كتب زافيا فتاة تنتم من بولندا وكانت فى طريقها للعيش فى شيكاغو مع أبناء عموماتها هناك . قال لها وودك إنه فى طريقه إلى نيويورك وأنه سوف يعيش على الأرجح مع جيرزى .

قالت رافيا " أتمنى أن تكون نيويورك قريبة من شيكاغو "

قال جبررى فى فخر " هذا يعنى أنك سوف تأتين لزيارتى عندما أصبح عمدة مدينة "

حاجبته فى استخفاف : " أنت بولندي حتى النخاع يا جيرزى . إنك حتى لا تجيد تحدث الإنجليزية مثل وودك "

قال جيرزى فى ثقة : " سوف أتعلمها ، وسوف أبدأ بتغيير اسمى لكى يبدو أمريكيا . من الآن فصاعدا سوف أطلق على نفسى اسم جورج نوافك . وهكذا لن أواجه أية صعوبات بالمرّة . ماذا عنك يا وودك كوسكيفيتشر ؟ ليس هناك الكثير مما يمكن أن تفعله لكى تعدل اسمك أليس كذلك ؟ "

نظر وودك إلى المدعو جورج فى صمت وهو يشعر بالاستياء من اسمه الجديد وبدأ عاجزا عن تطويع اسم العائلة الذى شعر أنه الوريث الشرعى له . كم كان يمقت اسم كوسكيفيتشر الذى كان يذكره بشكل دائم بأنه ابن غير شرعى .

أجاب وودك " سوف أجد مخرجا . كما أننى سوف أساعدك على تحسين لعتك الإنجليزية إن أردت " . " وسوف أسعدك فى العشر على فتاة " . نجحت زافيا وقالت : " لا تشغل بالك بهذا الأمر فقد عثر بالفعل على واحدة "

كان جيرزى أو جورج الذى صر على أن يلتصق به منذ ذلك الوقت ينسحب كل ليلة بعد تناول العشاء داخل أحد قوارب النجاة المقصدة بالقماش المشمع ومعه فتاة مختلفة . كان وودك يتوق إلى معرفة ما كان يفعله بداخل القارب حتى بالرغم من أن بعض السيدات اللاتى كان يقع اختيار جيرزى عليهن لم تكن قدرة فحسب وإنما كنت تبدو دميعة حتى بعد تنظيفها جيدا من الأوساخ .

وفى إحدى الليالى ، وبعد تناول العشاء ، بعدما اختفى جورج كعادته داخل أحد القوارب ، جلس وودك على سطح السفينة مع زافيا التى لفت ذراعها حولها وطلبت منه أن يقبلها ، فما كان منه

إلى أن أطبق فيه على قمها بعنف ، وشعر بهجمل تام لما يجب أن يفعله . بقى وودك مشدوها للحظات ثم أحس بإثارة عميقة .

سار وودك فى خطى متعثرة نحو فراشه وهو يفكر فيما يفعله وفى إمكانية تكرار ذلك فى اليوم التالى . ولكنه بمجرد أن جلس فى فراشه مفكرا فى كيفية لقائه بها مرة أخرى إذا بيد كبيرة تجذبه من شعره وتطيح به على الأرض . وفى لحظة ثلاث كل الإشارة التى كان يشمر بها وانقض عليه رجلان لم يكن قد سبق له أن رآهما من قبل ثم سحباه فى ركن بعيد مقابل الحائط . أطبقت يد كبيرة على قم وودك بينما لمست سكين حلقه .

همس الرجل الذى كان يحمل السكين وهو يدفعه فى عنق وودك : " لا تتنفس ! كل ما نريده هو السوار الفضى " .

كان مجرد التفكير فى احتمالية فقد السوار مرعبا بالنسبة لودك بنفس قدر رعبه من فكرة فقد يده . ولكن قبل أن يفكر فى كيفية التصرف كان أحد الرجلين قد انقض على معصمه وخلع السوار . لم يتمكن وودك من تبين وجه الرجلين فى الظلام لذا خشى أن يكون قد فقد سواره إلى الأبد . ولكن عندما انقض شخص ما على ظهر الرجل الذى كان يحمل السكين منحت هذه الحركة وودك الفرصة للتخلص من الرجل الذى كان يثبته على الأرض . بدأ المهاجرون يستيقظون من نومهم إثر هذه الجلبة ويتنبهون لما يجرى . مما دفع الرجلين إلى الفرار بأسرع ما يمكن ولكن ليس قبل أن ينجح جورج فى تسديد طعنة فى جانب واحد منهما .

قال وودك وهو يشهد انسحاب الرجلين : " اذهبا إلى الجحيم "

قال جورج : " يبدو أننى قد وصلت فى الوقت المناسب . لا أعتقد أنهما سوف يعاودان الكرة سريعا " ثم أضاف وهو يتأمل

السوار الفضى الملقى بين نشارة الأخشاب على الأرض : " إنه رائع . سوف يكون هناك دائما من يحوم حوله لسرقته منك " .

التقط وودك السوار وأعاده ثانية إلى معصمه .

قال جورج : " حسنا ، لقد كدت تفقد سوارك الثمين إلى الأبد بالفعل هذه مرة . لحسن حظك أننى تأخرت قليلا هذه الليلة " .

سأله وودك : " وما هو سبب تأخرك هذه الليلة ؟ " قال جورج فى فخر : " إن سمعتى قد باتت تسبقنى . ولكن ما حدث فى واقع الأمر هو أننى قد وجدت أحرق آخر فى قاربى الليلة . كان الرجل قد خلع بنطاله بالفعل ولكننى سرعان ما شخصت منه عندما حبرته بأن الفتاة التى هو بصدد اللقاء بها كنت أنا الآخر بصدد ملاقاتها لأسبوع المضى ولكننى لم أكن وثقا من أنه لم تكن مصابة بداء

الجدري . لم أر فى حياتى رجلا ارتدى ثيابه بهذه السرعة " .

سأله وودك : " ولكن ما الذى تفعله بداخل القارب ؟ " .

" أيها الأحرق ، ما الذى تظن أننى أفعل ؟ " قالها جورج ثم قفز فوق سريره واستسلم للنوم .

أخذ وودك يحدق فى السقف ويفكر فيما قاله جورج وهو يلمس السوار الفضى ، أخذ يفكر كيف سيكون شعوره عندما يلتقى بزافيا . وفى صباح اليوم التالى واجهت السفينة عاصفة وفرض على كل الركاب عدم الخروج للسطح . ولكن الرائحة النتنة التى تفاقمت بفعل نظام التسخين فى السفينة أصابت وودك بالغثيان .

قال جورج : " ولكن الأسوأ هو أننى لن أستكمل جولتى الثانية عشرة . "

عندما هدأت العاصفة ، هرب كل الركاب تقريبا إلى السطح . وأخذ وودك وجورج يشقان بصعوبة طريقهما وسط الزحام بحثا عن الهواء المنعش التلقى . كانت هناك الكثير من الفتيات اللاتى يبتسمن

ما بين بروكلين وجزيرة ستاين داخل ميناء نيويورك . بدأ تمثال
"بحرية الضخم ينظر إليهم فى قسوة وهم يحددون فى ذهول فى
صفحة سماء منهاتن ، بدت لهم سماؤها مرتفعة فى ظل ضوء
الصباح الباكر .

وأخيرا رست السفينة بالقرب من أبنية منهاتن ذات الطوب
الأحمر التى تشبه الأبراج ، كان الركاب من أصحاب الكيائن
الخاصة هم أول من غادروا السفينة . لم يكن وودك قد سبق له
رؤيتهم قبل هذا الوقت . لابد أنه كان لهم سطح آخر وقاعة طعام
أخرى . كان هناك حاملون يحملون لهم حقائبهم وكان الجميع
يودعونهم بوجوه باسمة . كان وودك يعرف أن هذا لن يحدث له

بعد نزول النخبة محدودة العدد ، أعلن قبطان السفينة من خلال
مكبر الصوت أن باقى الركاب لن يغادروا السفينة فىس عدة
ساعات . سدت نرة خيمه الأمر ببر الركاب وجلس **راب** على
السطح وانفجرت فى بكاء حار . حاول وودك أن يهدئ من
روعها . وفى النهاية ظهر رجل يرتدى ثيابا **رملية** وهو يحمل
القهوة ، وظهر آخر وهو يحمل بطاقات رقمية وضعها حول أعناق
الركاب . كان رقم وودك هو " ب ١٢٧ " . وقد ذكره ذلك بأخر مرة
كان يرتدى فيها رقما . ما الذى زج بنفسه فيه ؟ هل تشبه أميركا
معسكرات الروس ؟

وفى منتصف الظهيرة ، لم يكن أى منهم قد حصل على أى
طعام أو أية معلومات أخرى . وتم إزال الجميع على ارسى فى
جزيرة إليس . تم فصل الرجال عن النساء وإرسال كل فريق إلى
سقيفة مختلفة . ودع وودك زافيا ويقى متشبعا بها مما عرقل
الصف . إلى أن جاء أحد الضبط وفرق بينهما .

قال الرجل : " حسنا ، هيا تحرك . هيا أفسح الطريق وسوف
نعقد قرائنكما بأسرع مما تتصور " .

اختفت زافيا عن نظر وودك عندما زج به هو وجورج إلى
الأمام . قضاوا ليلتهم فى سقيفة قديمة رطبة ولكنهم عجزوا عن النوم
بسبب تجول المترجمين الدائم بين صفوف المهاجرين اللتاعين لتقديم
مساعدات مقتضية ولكن لهنست سقيفة .

وفى الصباح تم إرسال الجميع للفحص الطبى . كانت الجولة
أولى هى الأصعب حيث طلب من وودك أن يتسلق مجموعة من
السلام معلقة فى الهواء . جعله الطبيب الذى كان يرتدى ربا زرق
بلون يسلك السلالم مرتين وهو يرتق تواريه بمنتهى الدقة . بدد
وودك جسده بكي يخفى عرجه وأخيرا تم قبوله . ثم طلب من وودك
بعد ذلك أن يحل **فيمته** ويفك ياقة قميصه لكى يفحص الطبيب
بعذبة وجهه **وعينه** وشعره ويديه وعنقه . كان الرجل الذى على
وودك مباشرة ذا شدة أرنبية فأوقفه طبيب فى الحال ورسم علامة
حب على كتفه الأيمن وأرسله إلى طبيب آخر فى نهاية سقيفة

بعد أن فرغ الطبيب من الفحص ، عاد وودك لينضم ثانية إلى جورج
فى صف انتظر طويل آخر خارج غرفة فحص نعام . كان كل
شخص يستغرق فى هذا الإجراء ما يقرب من خمس دقائق . مرت
ثلاث ساعات تالية إلى أن دخل جورج الغرفة . أخذ وودك يتساءل
عن نوعية الاستجواب الذى سوف يواجهه .

عندما خرج جورج فى النهاية ، ابتسم لوودك .
وقال : " إنه أمر سهل ، سوف تجتازه ببساطة . شعر وودك
بتبلىل راحة يديه بالعرق وهو يسير فى طريقه للاستجواب .

سار خلف الرجل المسئول داخل غرفة صغيرة خالية من أية زينة . كان هناك رجلان منهومان فى الكتابة والتدوين فى أوراق تشبه الأوراق الرسمية .

سأله الأول : " هل تتحدث الإنجليزية ؟ "

" نعم يا سيدى ؛ أتحدثها جيدا " أجاب وودك بذلك متفنيا لو أنه كان قد تدرب عليها أكثر من ذلك قليلا أثناء الرحلة .

" ما اسمك ؟ "

" وودك كوسكيفيتش يا سيدى "

" هل تؤمن بالله ؟ "

" نعم يا سيدى أؤمن به "

" أقسم بأنك سوف تجيب عن كل الأسئلة بصدق "

قال وودك " أقسم بأننى سوف أقول الحقيقة " .

" ما هى جنسيتك ؟ "

" أنا بولندى " .

" من الذى سدد نفقات رحلتك إلى هنا ؟ "

" سددت الثمن من مالى الذى اكتسبته من عملى فى لفصلية

البولندية فى القسطنطينية " .

تفحص أحد الرجلين أوراق وودك وأوما ثم سأله : " هل هناك

بيت سوف تتوجه إليه ؟ "

" نعم يا سيدى سوف أبقى فى منزل السيد بيتر نوفاك ؛ إنه

عم صديقى وهو يعيش فى نيويورك "

" حسنا ، هل لديك عمل ؟ "

" نعم يا سيدى ؛ سوف أعمل فى مخبز السيد نوفاك " .

" هل سبق وتم اعتقالك ؟ "

مرت روسيا بعقل وودك . ولكن هذا لا يعتقد به . أما ما حدث فى تركيا فإنه لن يذكره بالطبع .

" كلا يا سيدى لم يحدث هذا أبدا " .

" هل أنت شيوعى ؟ "

" كلا يا سيدى فأنا أكره الشيوعيين ؛ لقد قتلوا أختى "

" هل أنت على استعداد للالتزام بقوانين الولايات المتحدة

الأمريكية ؟ "

" نعم يا سيدى "

" هل تحمل أية أموال ؟ "

" نعم يا سيدى "

" هل يمكن أن نراها ؟ "

" نعم يا سيدى " ووضع وودك بضع عملات ورقية وبعض

القطع النقدية على المائدة .

قال المحقق : " شكرا لك . يمكنك أن تعيد الأموال إلى

جيبك " .

نظر المحقق الثانى إلى وودك وسأله : " ما هو حاصل واحد

وعشرين وأربعة وعشرين ؟ "

قال وودك بلا تردد : " خمسة وأربعون "

" كم يبلغ عدد سيقان البقرة ؟ "

لم يصدق وودك أذنيه وأجاب : " أربعاً يا سيدى " وهو يسائل

نفسه ما إن كانت هناك خدعة وراء ذلك .

" والحصان كم يملك ؟ "

أجاب غير مصدق : " أربع سيقان يا سيدى "

قال المحقق " أيهما سترمى خارج القارب إن كنت فى قارب صغير تريد أن تخفف وزنه وأنت فى عرض البحر ؟ هل هو المال أم الطعام ؟ "

قال وودك : " المال يا سيدى "

" جيد " . التقط المحقق بطاقة تحمل كلمة "مقبول" وأعطائها لـ وودك . وقال له : " بعد أن تستبدل نقودك بالعملة الأمريكية ، أشهر هذه البطاقة لموظف الهجرة . سوف تمنح بعدها شهادة دخول . حظا سعيدا يا وودك "

" أشكرك يا سيدى "

عند المكان المخصص لاستبدال العملات ، مد وودك يده بمدخراته عمله على مدى ثمانية عشر شهرا فى تركيا وثلاث ورقات من فئة الخمسين روبل . فمنح ٤٧.٢٠ دولار فى مقابل النقود التركية . أما العملة الروسية فقد أخبروه بأنها لا تساوى شيئا . لم يخطر بباله وقتها إلا الدكتور دوبان والخمسة عشر عاما التى كان قد قضاه فى إدخار كل ملهم من هذا المبلغ .

كست الخصوه الأخيرة هى مقابلتة موظف بهجرة الذى كن يجلس خلف منضدة طويلة عند حاجز الخروج تحت صورة للرئيس هردينج مباشرة . سار وودك وجورج لمقابلته .

سأل الموظف المسئول جورج : " اسمك بالكامل " .

" جورج نوك " جاءت إجابته فى ثبات . فدون الموظف اسمه فوق بطاقة .

" وعنوانك ؟ "

" ٢٨٦ شارع بروم ؟ "

سلم الموظف البطاقة إلى جورج . وقال : " هذه هى شهادة هجرتك رقم ٢١٨٧١ يا جورج نوك . مرحبا بك فى الولايات

المتحدة الأمريكية يا جورج . أنا أيضا بولندى . سوف يعجبك الحال هنا . تهانيا وحظا سعيدا "

ابتسم جورج وصافح الموظف ووقف فى انتظار وودك . نظر الموظف إلى وودك . فأعطاه وودك بطاقته التى تحمل كلمة "مقبول"

قال الموظف : " اسمك بالكامل ؟ "

وقف وودك مترددا

" ما اسمك ؟ " كرر الرجل سؤاله ، بصوت أكثر ارتفاعا وبقليل من نفاذ الصبر .

لم يستطع وودك أن يتفوه باسمه . كم كان يكره هذا الاسم القروى .

" لآخر مرة ، ما اسمك ؟ "

أخذ جورج يحدق إلى وودك ومعه عدد من الأشخاص الآخرين الذين وقفوا فى الصف فى انتظار موظف الهجرة . ولكن وودك مع ذلك بقى ملتزما الصمت . وفجأة قبض الموظف على معصمه وتأمل الكلمات المحفورة على السوار الفضى جيدا ثم دونها فى بطاقة وأعطاه لـ وودك .

" ٢١٨٧٢ — البارون هابيل روزنوفسكى . مرحبا بك فى

الولايات المتحدة الأمريكية . تهانيا وحظا سعيدا يا هابيل " .

الجزء الثانى



١٩٢٣ - ١٩٢٨

الفصل الثانى عشر



عاد ويليام ليبدأ عامه الدراسى الأخير فى سانت بول فى سبتمبر عام ١٩٢٣ ، وتم انتخابه رئيسا للصف النهائى فى المدرسة بعد مضى ثلاثة وثلاثين عاما تحديدا على تولى والده لنفس المنصب . لم يكن ويليام قد فاز باللقب بنفس الطريقة التقليدية المعتادة ، أى لكونه أفضل رياضى أو الفتى الأكثر شعبية فى المدرسة . لأن صديقه المقرب ماثيو ليستر كان هو الأجدر بالفوز بهذا المنصب بناء على المعايير السابقة . ولكن ويليام كان الفتى الأكثر إثارة للإعجاب فى المدرسة ولهذا السبب لم يقو ماثيو ليستر على منافسته علما منه بذلك . رشحت سانت بول ويليام نيابة عنه للاشتراك فى مسابقة هملتون للرياضيات للحصول على منحة دراسية فى هارفارد . وقد ركز ويليام كل اهتمامه على الفوز بهذه المنحة وكرس فصل الخريف كله لإعداد نفسه جيدا لهذا الهدف .

عندما عاد ويليام إلى البيت الأحمر لقضاء عطلة عيد رأس السنة ، كان يتطلع إلى فترة استذكّار ممتدة لمادة الرياضيات . ولكن هذا الأمر لم يكن سهلاً ، حيث كانت هناك الكثير من الدعاوى والمناسبات والحفلات في انتظاره . وقد نجح ويليام في اختلاق أعذار وجيئة للتفصل من الكثير من هذه المناسبات ولكن بقيت بعض المناسبات التي كان يستحيل عليه أن يقلت منها . كانت الجدتان قد أعدتا حفلاً في البيت الأحمر في ميدان لويز برج . كان ويليام يتطلع إلى السن التي سيسمح له فيها أن يحصى بيته من الغزاة الذين يفرضون عليه من قبل جدتيه ولكنه قرر أن الوقت لم يحن بعد وأن هذا على الأقل سوف يمنح بخدم فرصة عمل أي شيء . لم يكن لويليام سوى عدد قليل من الأصدقاء المقربين في بوسطن . ولكن هذا لم يحل دون إعداد الجدتين لقائمة طويلة من أسماء المدعوين .

ولتخليد هذه المناسبة ، أهدت الجدتان لويليام أول سترة عشاء منمشيه مع آخر صخرة حطوب موضة . وقد ملئ لهدية بشيء من اللامبالاة ولكنه فيما بعد أخذ يجوب بها غرفته في خيلاء وهو يتوقف من آن إلى آخر لكي يلقي نظرة على نفسه في المرآة . وفي اليوم التالي . أجرى ويبم مكاسه مفضية طويلة إلى نيويورك كي يدعو ماثيو لحضور حفله الإلزامي . كانت شقيقة ماثيو تريد أن تحضر هي الأخرى ولكن والدتها رأت أن هذا التصرف لن يكون لائقاً .

ذهب ويليام لاستقبال صديقه في محطة القطار .

قال ماثيو والسائق يقودهما إلى بيكون هيل : " لقد خطر على بالي أمر ما ، ألم يحن وقت أن تحظى برفيقة يا ويليام ؟ لابد أن هناك فتيات رائعات في بوسطن ؟ "

" لماذا ، وهل حظيت انت بفتاة يا ماثيو ؟ "
 " صبح في الشتاء الماضي في نيويورك "
 " ولكن ما الذي كنت تفعله أنا في ذلك الوقت ؟ "
 " كنت في هذا الوقت تحدث برتراند راسيل "
 " ولكنك لم تخبرني أبدا بهذا الأمر "

" لم يكن هناك ما يستحق الحديث . على أية حال ، لقد بدا عمل الاحتفاء بمنى أسي أكثر من حبسي العطفية . لقد حدث كل شيء في إحدى حفلات العمل التي دعى فيها كل العاملين للاحتفال بذكرى تأسيس واشنطن . كانت إحدى المناسبات شديدة التقليدية التي تناسب كبار السن . ولكن لكي أصف ما حدث وصفاً دقيقاً يجب أن أعترف أن سيدة بدينة تدعى سينثيا تعمل سكرتيرة لأحد رؤساء البنك كانت تنظر إلى نظرات إهجاب مريبة "
 مرقنت صورة سكرتيرة آلان لويود الأولى متوسطة السن في عقل ويليام .

فكر ويليام في نفسه : " لا أعتقد أن فكرة إقامة علاقة حب مع سكرتيرة رئيس البنك سوف تكون جيدة "
 أضاف ماثيو في لهجة الخبير : " سوف تندش إن عرفت أن أكثر النساء تحفظاً يكن في الغالب الأكثر استعداداً لإقامة علاقات حب . لقد أصبحت الآن أرحب بكل الدعوات سواء برسمية أو غير الرسمية إن ما يهمني هو العنصر لنساني في كل هذه المناسبات " .

وصح لسانو السيرة في مرآب منزل وسار ويليام بصحبة ماثيو إلى المنزل .

قال ماثيو في نبرة إعجاب بالأشياء الجديدة وورق الحائط الحديث : " لقد أجريت بعض التعديلات على البيت عن المرة

الأخيرة " لم يكن قد بقي سوى المقعد الجلدى الراسخ فى مكانه المعبود .

أجاب ويليام : " كان المكان بحاجة لقليل من التحديث " .

" لقد كنت أشعر أنني أعيش فى العصر الحجرى . لم أكن أريد أن أتذكر دائما ... دعنا من هذا الآن فليس هذا وقت الحديث عن تنسيم الدخلى "

" متى سيصل الجميع إلى الحفل ؟ "

" الحفل الرقص - يا ماثيو - نصر جدتاي على تسببه بذلك " .

" هناك شيء واحد يمكن أن يطلق عليه الحفل الرقص فى ثمر هذه المناسبات " .

" ماثيو - إن سكرتيرة اسدير لا يؤهل لان تكون خبيرة فى النساء " .

قال ماثيو ضاحكا : " يا له من حقد من صديقى المقرب " . ضحك ويليام ونظر إلى ساعته " سوف يصل نصف الاول بعد ساعتين . حان وقت الاستحمام وتغيير الملابس . هل أحضرت بدلة السهرة ؟ "

" نعم ، ولكننى إن كنت قد نسيتهما يبقى يوسف دائما أن أردتدى ملابس النوم . فانا إما أن أنسى بدلة السهرة أو ملابس النوم . لم يسبق لى أن نسيتهما كليهما . بل إننى يمكن أن أطلق صيحة جديدة فى عالم الأزياء إن حضرت بلباس النوم " .

قال ويليام : " لا أعتقد أن حدثى سوف تضحكان لهذه الدعابة " .

وصل طاقم الخدمة فى السادسة وكان مؤلفا من ستة وعشرين شخصا . أما الجدتان فقد وصلتا فى تمام الساعة فى ملابس السهرة السوداء الأنيقة ذات الذيل الأسود الطويل الممتد حتى الأرض . انضم ويليام واثيو إلى الجدتين فى الغرفة الأمامية قبل الثامنة ببضع دقائق

كان ويليام على وشك نزاع شجرة كرز حمراء نزين إحدى كعكات الثلجة لشهية عند جاءه صوت جدته كين من الحلف مخدرة

" لا تلمس الطعام يا ويليام ، إنه ليس لك " .

سأل الجددة وهو يقلبها على خدها : " لمن إذا ؟ "

قالت الجددة : " لا تكن فظا يا ويليام ، إن تخطى طولك الستة قدمك لا يمسي أنني لم أعد فادرة على زجرك " .

تحدث ماثيو ليستر .

" جدتى : أسمح لى أن أقدم لك صديقى المقرب ، ماثيو ليستر " .

تفرت إليه لحدته كين بتقدير واهتمام بعد أن تفحصته جيدا بنصرتها الأنفية وقالت : " كيف حالك أيها الشاب الصغير ؟ "

" لقد شرقت بلفائك يا سيدة كين . أعتقد أنك كنت تعرفين حدى " .

" أعرف جدك . كالب لونج وورث ليستر ؟ لقد تقدم للزواج منى ذات مرة منذ أكثر من خمسين عاما مضت . ولكننى رفضت طلبه . أخبرته وقتها أنه كان يفرط فى الشراب وأن هذا سوف يودى بحياته مبكرا . وقد كنت محقة فى ذلك . يجب ألا يشرب أى منكم . تذكر أن الخمر تودى بالعقل " .

قال ماثيو فى براءة : " لا يسعنا أن نتناول الكثير فى ظل الحظر المفروض " .

قالت الجدة وهى تتنحرج : " ولكن هذا الحظر سوف ينتهى قريباً مع الأسف . لقد نسى الرئيس كوليدج نشأته . لم يكن ليصبح رئيساً ما لم يمت هادرينج الأحقق بهذا الغباء " .

ضحك ويليام : " إن ذاكرتك قد أصبحت بالفعل انتقائية يا جدتى . إنك لم تصفى لأية كلمات انتقاد ضده أثناء إضراب الشرطة " .

لم تجب السيدة كين .

بدأ المدعوون يتوافدون ، كان الكثير منهم مجهولين تصعب بالنسبة للمضيف الذى سعد سعادة غامرة باستقبال آلان ليوييد بين أوائل المدعوين .

قال آلان ليوييد وقد وجد نفسه ينظر أعلى إلى ويليام للمرة الأولى فى حياته : " تبدو فى حالة جيدة يا بنى " .

" وأنت أيضاً يا سيدى ، كان لطفاً منك أن تتفضل بالحضور " .

" لطفاً منى ؟ هل نسيت أنني تلقيت الدعوة من جدتيك ؟ أنا بالكاد أملك رفض دعوة إحداهما ولكن الاثنين معا لا ! " .

قال ويليام ضاحكاً : " وأنت أيضاً يا آلان ؟ هل يمكننى أن أنفرد بك للحظات ؟ " ثم قاد ضيفه إلى ركن هادئ : " أريد أن أغير خطتي الاستثمارية قليلاً وأبدأ بشراء المزيد من أسهم بنك ليستر كلما طرحت فى السوق . أريد أن أحمل ما يقرب من خمسة بالمائة من أسهم هذا البنك مع بلوغى الحادية والعشرين " .

قال آلان : " ولكن الأمر ليس بهذه السهولة . إن أسهم ليستر لا تطرح كثيراً فى السوق لأنها تقتصر على عدد محدود من

الأشخاص ولكننى على أية حال سوف أرى ما يمكن فعله فى هذا الصدد . ما الذى يدور فى عقلك يا ويليام ؟ " .

" حسناً ، إن هدفى الحقيقى هو .. " .

" ويليام .. " زدت جدته كابوت لكى يحضر على عجل : " ها أنت ذا تتأخر مع السيد ليوييد ولم أرك تراقص أية فتاة بعد ؟ ما الذى تظن إذن أننا أعددنا هذا الحفص الراقص من أجله ؟ " .

قال آلان ليوييد وهو ينهض : " نت محبة نمد تفضلى بالجلوس بجوارى يا سيدة كابوت ، وسوف أركل هذا الفتى داخل العالم . يمكننا أن نستريح ونشاهده وهو يرقص ونستمع إلى لموسيقى " .

" موسيقى ؟ هذه ليست موسيقى . إنها ليست أكثر من ضوضاء مثيرة مجردة من أية ألحان جميلة " .

قال ويليام : " جدتى العزيزة ، إنها أغنية " نعم لا نملك الموز " ، إنها أحدث أغنية فى عالم الغناء " .

قالت الجدة كابوت فى إجفال : " إذا لقد حان وقت رحيلى من هذا العالم " .

قال آلان ليوييد فى تأنى : " لا تقولى هذا أبداً " .

رقص ويليام مع فتاتين كدن يعرفهما بالكاد وكان عليه أن يستعلم عن اسميهما للتذكير . وعندما وقع بصره على ماثيو جالسا فى أحد الأركان ، سعد بأنه قد وجد عذراً لانقائه معيه من مواصلة الرقص . لم يكن قد لاحظ الفتاة الجالسة بجوار ماثيو إلى أن وقف قبالتها . عندما رفعت الفتاة وجهها ونظرت فى عينى ويليام ، شعر بانتفاض فرائضه .

سأل ماثيو بشكل عابر : " هل تعرف آبى بلونت ؟ " .

قال ويليام وهو يمنع نفسه بالكاد من ضبط رابطة عنقه :
" كلا "

" إنها ضيقتك يا سيد ويليام لويل كين "

نكست الشابة الصغيرة عينيها في حياء عندما جلس ويليام بجانبها على الطرف الآخر . وقد لاحظ ماثيو أثر نظرة ويليام على أبي فقام من فوراً بحثاً عما يفعله .

قال ويليام : " كيف عشت طوال حياتي في بوسطن بدون أن ألتقي بك أبداً ؟ "

" ولكننا تقابلنا مرة واحدة من قبل ، عندما دفعتنى في حوض المياه في حرم السباحة ، كنا نحن الاثنين في الثالثة من عمرنا في ذلك الوقت وقد استغرقت أربعة عشر عاماً إلى أن شقيت من هذا لحدث "

قال ويليام بعد فترة صمت أخذ يبحث خلالها بدون جدوى عما يمكن أن يقوله : " أنا أسف "

" يا له من منزل رائع ، منزلك هذا يا ويليام "

سادت فترة صمت أخرى أخذ ويليام يبحث خلالها ثانية عن الكلمات ثم أجاب : " أشكرك " في صوت خافت . أخذ ينظر في الجانب الذي كانت تجلس فيه أبي لكي يسترق النظر إليها بدون أن يشعر بذلك . لقد كانت نحيفة - نحيفة للغاية - ذات عينيْن بنيتين شديديتي الانساع وأهداب طويلة وكانت تملك وجهاً أثار إعجاب ويليام . كانت أبي قد عقصت شعرها الأسود من خلال تصفيفة معينة كان ويليام يكرهها إلى أن شاهدها على أبي حاولت أن تحادثه ثانية : " لقد أخبرنى ماثيو أنك سوف

تلتحق بهارفارد في العام المقبل "

" نعم بالفعل ، أعنى ، أترغبين في مشاركتي الرقص ؟ "

أجابت قائلة : " أشكرك "

كانت الخطوات التي بدت لويليام سهلة منذ وضع دقائق قد أصابته بالتعثر الآن . فدهس أصابع قدميها وكان من وقت إلى آخر يطيح بها على باقى الراقصين . اعتذر لها فأجابته بابتسامة . قريباً منه قليلاً وواصل الرقص .

سألت الجدة كابوت في تشكك : " هل نعرف هذه الشابة الصغيرة التي استحوذت على ويليام على مدى الساعة الأخيرة ؟ "

أعلنت لجدة كين : " إنها أبي بلونت "

سألت الجدة كابوت : " هل هي ابنة الأدميرال بلونت ؟ "

" نعم "

أومأت الجدة كابوت في شيء من القبول .

قاد ويليام أبي بلونت نحو نهاية طرف الحديقة وتوقف بها عند أحد الأشجار التي كان يستخدمها في الماضي لأغراض التسلق فقط .

سألت أبي : " هل تحاول دائماً أن تقبل الفتيت في المرة الأولى التي تلتقى فيها بهن ؟ "

قال ويليام : " لكي أكون صادقاً لم يسبق لى من قبل أن قيلت فتاة "

ضحكت أبي : " هذا من دواعي فخري "

أصرت بعدها على العودة إلى الداخل . راقبت الجدتان العودة المبكرة للشابين بشيء من الارتياح .

وفي وقت لاحق ، أخذ ويليام واثيو يتبادلان أطراف الحديث عما جرى في الحفل .

قال ماثيو : " لم يكن حفلاً سيئاً . ربما يستحق الرحلة التي قطعناها من نيويورك إلى هنا بالرغم من أنك قد سرقت فتاتي "

سأله ويليام متجاهلا اتهام ماثيو الساخر : " هل تظن أنها سوف تساعدني على فقد عذريتي ؟ " .
 قال ماثيو : " حسنا ، بقي أمامك ثلاثة أسابيع لكي تكتشف ذلك ولكنني أخشى أنك سوف تكتشف أنها لم تفقد عذريتها بعد " . وأضاف ماثيو : " هكذا تحدثتني خيبرتي في هذه الأمور حتى أنني على استعداد لأن أراهنك على خمسة دولارات أنها لن تدعن حتى لإغراء ويليام لويل كين " .

أخذ ويليام يعد استراتيجيته بإحكام . العذرية كانت شيئا قيما ولكن الخمسة دولارات التي كان يمكن أن يخسرها لـ ماثيو شيء مخيف تماما . كان يقدر بي بلوب موب بعد حفل اسرصر ، كان قد بدأ للمرة الأولى يستقر بينه بخص وسيارته بخاصة وهو مازال في السابعة عشرة . شعر أنه سوف يكون في حب أفضل من تخصص من مرفبه والذي آوى لحمية ودائمة له والتي باتت له دائما وكأنها تحول بينهم . ولكنه بالرغم من ذلك لم يقهر بـ تحقيق هدفه حتى عندما حل اليوم الأخير من عطلة الدراسة .

يدافع إصراره وتصميمه على الفوز بالدولارات الخمسة : أرسل ويليام إلى أبي باقة زهور جميلة في وقت مبكر من هذا اليوم وصحبها إلى عشاء فاخر في مطعم جوزيف ثم أخيرا نجح في إقناعها بأن تعود معه ليجلسا سويا في الغرفة الأمامية من منزله . جلس بجانبها ووضع ذراعه في ثغة حول كتفها . فاستقرت بين ذراعيه .

" أبي أنبت يارعة الجمال " بدأ حديثه بذلك هاسا وهو يمرر يده بين خصلات شعرها المتموج

فنظرت إليه بجدية واتسعت عيناها البنيتان : " آه يا ويليام " وقالت وهي تلتقط أنفاسها : " وأعتقد أنك شديد الروعة " . ثم استدركت : " ويليام لا يجب أن تفعل ذلك " . قال ويليام وهو يبذل جهده بلا جدوى لكي يمسك بها : " ولم لا ؟ "

" لأنك لا يمكن أن تنتبأ إلى أي شيء سوف يقودنا ذلك " .
 " لدى فكرة معقولة " .

وقبل أن يتمكن من إعادة الكرة دفعته أبي بعيدا ونهضت في حدى وأخذت تهندم ثيابها " .
 " أعتقد أنني يجب أن أعود إلى المنزل الآن يا ويليام " .
 " ولكنك قد وصلت لتوك " .
 " سوف تسعى لأي معرفة كل التفاصيل " .

" وسوف يكون بوسعك أن تجيبها قائلة بأنه لم يحدث شيء " .

صدمت أبي " وأعتقد أنه من الأفضل أن يبقى الحال كما هو " .

" ولكنني سوف أعود غدا " . تجنب ويليام أن يذكر كلمة " إلى المدرسة " .

" حسنا يمكنك أن تراسلني يا ويليام " .

وعلى عكس فلنتينو ، كان ويليام يعرف متى يكون قد منى بهزيمة . نهض من مقعده وضبط رابطة عنقه وأمسك أبي من يدها وأوصلها إلى منزلها بسيارته .

وفي اليوم التالي ، بعد عودته إلى المدرسة ، قبل ماثيو ليستر ورقة الخمسة دولارات التي قدمها له ويليام وقد رفع حاجبيه في دهول ساخر .

" فقط تفوه بكلمة واحدة يا ماثيو وسوف أطارذك في كل أرجاء سانت بول بمضرب كرة البيسبول . "

" لا أكاد أعثر على أية كلمات يمكن أن تعبر عن شعوري العميق بالأسى من أجلك . "

" ماثيو ؛ سوف أطارذك في كل أنحاء سانت بول . "

وكانت زوجة ناظر المدرسة التي يدرس بها ويليام - جرابي راجلان - معجبة بويليام . وقد انتهزت فرصة سفر زوجها لحضور أحد المؤتمرات وحاولت إغراء " ويليام " والذي قاوم في البداية ولكن مع جمالها الأخاذ ضعفت مقاومته واستسلم لها في النهاية .

وفي يوم السبت التالي عاد جرابي راجلان من مؤتمره ، ولم يستطع ويليام مقابلة زوجته منذ ذلك الحين .

وفي نهاية عطلة شم النسيم ، وفي يوم الخميس تحديدا ؛ أذعنت آبي بلونت أخيرا لسحر ويليام وأعلنت حبها له مما كبد ماثيو خمسة دولارات . كان هذا هو الحدث الوحيد الجدير بالذكر على مدى العطلة كاملة والتي قضى فيها ويليام جل وقته داخل البيت لاستذكار دروسه والتي لم يكن يلتقى خلالها إلا بجديته والسيد آلان ليويد . كانت اختبارات النهائية وشيكة ؛ لم يكن قد بقي عليها سوى أسابيع معدودة .

وأثناء الفترة الدراسية الأخيرة ؛ كان ويليام وماثيو يعكفان لساعات في استذكار دروسهما بدون أن ينطق أحدهما بكلمة إلا عند تعثر ماثيو في حل إحدى المسائل الرياضية . وعندما حان وقت الاختبارات المرتقبة أخيرا ؛ تواصلت على مدى أسبوع شاق واحد فقط . ومع انتهاء الاختبارات ، كان كلاهما يتحرق لمعرفة النتيجة المؤكدة ولكن بمرور الأيام وانتظارهما الطويل بدأت ثقتيهما تتراجع . كنت هناك معايير تنافسية صارمة تحكم منحة هاملتون للرياضيات

وكانت متاحة لكل طالب من طلاب المدارس في أمريكا . لم تتح لويليام فرصة تقييم منافسيه . وبمرور المزيد من الوقت وعدم وصول أية أنباء بدأ ويليام يتوقع الأسوأ .

وعندما وصل التلغراف الذي تسلمه أحد طلاب الصف الثاني في المدرسة ، كان ويليام يلعب كرة البيسبول مع بعض زملائه في الصف السادس في محاولة لقتل الوقت المتبقى من الفترة الدراسية الأخيرة قبل مغادرة المدرسة ، كانت أيام صيف ساخنة وكان يكثر فيها من طرد الصبية لإفراطهم في تناول الشراب أو كسر النوافذ أو محاولة الاعتداء على بنات الأساتذة أو حتى زوجاتهم .

كان ويليام يعلن على الملأ بصوت مرتفع لكل من يهيمه الأمر بأنه على وشك إنجاز أول ركضة له إلى القاعدة الأولى . كان قد تم إعلان اسم ماثيو . وقبل تصريح ويليام المبالغ فيه بالضحكات ، عندما وصل التلغراف إلى ويليام سسى بجمع أمر الركض إلى بقاعده الأولى . رمى ويليام مضربه وفتح المظروف الأصفر ، بقى الرامي سبورا في ساد صبر هو وبقي اللاعبون في أرض المعب وهو يقر التلغراف في يده .

صاح أحدهم من القعدة الأولى " يريدون أن يصبح محرق " . لم يكن وصول التلغراف مرة ماثيو أثناء مباريات كرة القاعدة . سار ماثيو من خارج أرض الملعب وانضم إلى ويليام ، كان يريد أن يستقرئ النبا من وجه صديقه ويعرف إن كان سارا أم غير ذلك . بدون أن يغير تعبيره ؛ سلم ويليام التلغراف إلى ماثيو الذي قرأه ثم قفز عاليا في الهواء في سعادة ورمى قطعة الورق على الأرض لكي يعدو مع ويليام أرض الملعب مروراً بكل القواعد حتى بالرغم من أنه لم يكن أحد قد ضرب الكرة بالفعل . سار الرامي بخسوت واسعة والمتط للتلغراف من لأرض وفراة ثم قذف الكرة في

حيوية نحو اللاعبين . تناقل اللاعبون بعد ذلك التلغراف من يد إلى يد وكان آخر من قرأها هو طالب الصف الثاني الذى كان سيب كل هذه الفرحة الغامرة . وبما أنه لم يكن قد تلقى أية كلمة شكر فقد شعر أن أقل ما يستحقه هو أن يعرف سبب كل هذه السعادة .

كان التلغراف موجهًا إلى ويليام لويل كين الذى افترض الفتى أنه الضارب قليل الكفاءة . كان محتوى التلغراف يقول : " تهانينا نفوزك بمنحة هاملتون للرياضيات فى هارفارد . سوف نوافيك بكل التفاصيل فى وقت لاحق . الرئيس أبوت لورنس لوييل ، " . لم يتمكن ويليام أبداً من الوصول إلى القاعدة الأولى بسبب تكالب اللاعبين عليه قبل الوصول إليها .

ارتسمت علامات الفرح على وجه ماثيو الذى سعد سعادة غامرة بنجاح صديقه المقرب ولكنه حزن فى نفس الوقت لأن هذا كان معنى إمكابية افتراقهم . وعد شعر ويليام بذلك هو لآخر ولكنه لم يعر شيئاً كان عليهم الانتظار ساعة اليد أخرى حين وصول سناً قبول ماثيو فى هارفارد هو الآخر .

وفى خضم هذه الأنباء السارة ، وصل تلغراف آخر من شارلر ليستقر يهنئ فيه ابنه ويدعو الصبيين لتناول الشاي فى فندق بلازا فى نيويورك . أرسلت كل من الجدتين تهانينهما إلى ويليام والذى عبرت عنه الجدة كين لآلان ليوييد بقولها فى شيء من الأسف : " إن الفتى لم يفعل أقل مما كان متوقعا منه أو أكثر مما فعل أبيه من قبله " .

سار ويليام وماثيو ببطة فى شارع فيث آفينيو فى اليوم المحدد بمنتهى الفخر . كان انجذاب الفتيات للشابين الوسيمين لا يخفى عليهما . وقد خلع كلاهما قباعات القش بمجرد أن دخلا من الباب الأمامى لفندق البلازا فى الثالثة وتسع وخمسين دقيقة وسارا

فى رباطة جأش نحو قاعة البالم حيث كان الجمع العدلى فى انتظارهما . هناك فوق المقاعد المريحة المستقيمة كانت تجلس الجدتان كين وكابوت وسيدة ثالثة مسنة ، يبدو أنها كانت نظيرة الجدتين من عائلة ليستر كما افترض ويليام . كما كان هناك أيضا الابنة سوزان (التى لم تدر بصرها عن ويليام طوال الوقت) وآلان ليوييد ومعدان خاويان لويليام وماثيو .

أشارت الجدة إلى أقرب نادل بإيماءة أمرة بحاجبها : " إناء من الشاي الساخن والمزيد من الكعك من فضلك " .

أسرع النادل إلى المطبخ ثم قال فور عودته : " إناء من الشاي الساخن وكعك بالكريمة يا سيدتى " .

قال الرجل العجوز للفتى الأكثر طولاً : " كان والدك سيفخر بك اليوم لو كان مازال حياً يا ويليام " .

أخذ النادل يتساءل عن الإنجاز الذى يجب أن يكون هذا الشاب الوسيم قد حققه لكى يحظى بشرف هذا التعليق .

لم يكن ويليام ليلحظ وجود النادل بالمرّة السهم إلا بسبب هذا السوار القضى الذى كان يلف معصمه . كان السوار بمثابة قطعة فنية نادرة لتيفانى ، لم يكن تواجد مثل هذه القطعة الفنية مع شخص يشغل هذه الوظيفة أمراً مستغاباً .

قالت الجدة كين : " ويليام ، يكفيك كعكتان فقط ، هذه ليست آخر وجبة سوف تتناولها قبل ذهابك إلى هارفارد " .

نظر ويليام إلى السيدة العجوز فى عطف ونسي تماماً أمر السوار القضى .

والإقامة داخل المتجر . كان المتجر يشغل قلب مجتمع بولندى صغير يكاد يكون مستقلاً بذاته فى الجانب الجنوبي من المدينة ولكن سرعان ما ضق هابيل ذرعاً بالعزلة المفروضة على أبناء بلده حتى أن أكثرهم لم يكن يبذل أدنى جهد لتعلم اللغة الإنجليزية

كان هابيل صراخ ينفى جورج وصديقانه استدلتيه منظم فى عطلة نهاية الأسبوع . ولكنه كان يقضى معظم أوقات فراغه فى المدرسة المسائية لكى يحسن قدرته على القراءة والكتابة بالإنجليزية . لم يكن تقدمه البطيء فى التحصيل يثير حنقه لأنه لم يسعفه حظ كتابة الإنجليزية بالمرّة منذ الثامنة من عمره ، ولكنه على مدى عامين استطاع أن يتقن لغته الجديدة بطلاقة ويتقن لهجتها إلى حد لا يكشف إلا عن القدر القليل من تأثير لهجته الأم . شعر هابيل فى ذلك الوقت أنه على استعداد للانتقال من محل الجزار ولكن إلى أين وكيف ؟ وفى يوم من الأيام بينما كان يعلق ساق أحد الخرف سمع أحد أكبر عملاء المتجر والذى كان يشغل منصب مدير تقديم الطعام فى فندق بلازا وهو يخبر الجزار بأنه اضطر إلى طرد نادل جديد بسبب انتمائه بالسرفه . واخذ يشكو قائلاً " كيف يمكن أن أعثر على بديل بهذه السرعة ؟ " . لم يجد الجزار حلاً للمدير ولكن هابيل كان قد عثر على بحر

ارتدى بدلته الوحيدة وسار مسافة سبعة وأربعين بناء فى الجزء الأعلى من المدينة ومر عبر خمسة أحياء وحصل على الوظيفة .

ما إن استقر فى فندق بلازا ؛ سجل اسمه فى أحد برامج تعليم الإنجليزية المتقدمة فى جامعة كولومبيا . كان يعمل بجدية كل مساء ويستذكر دروسه مستعيناً بالقاموس فى إحدى يديه ومدوناً بقلمه باستخدام اليد الأخرى . وأثناء الصباح ؛ فى الفترة ما بين تقديم الإفطار والإعداد للغداء ؛ كان ينقل الملفات الافتتاحية من

الفصل الثالث عشر



بقى هابيل طوال هذه الليلة مستلقياً فى فراشه داخل غرفته الصغيرة فى فندق بلازا يفكر فى ويليام الذى كان أبوه يهجر به . وأدرك لأول مرة فى حياته ما كان يريد أن يحققه تحديداً . كان يريد أن يراه الآخرون عسى أنه يغفر لإبيهم وكسر نظرائه فى هذا

كان هابيل قد مر بطروف عصيبة منذ وصوله إلى نيويورك ؛ فقد كان يقيم فى غرفة لم تكن تحتوى إلا على سريرين فقط وكان يجب عليه أن يتقاسمها مع جورج واثنين من أبناء عمه . وكان هذا الوضع يفرض عليه ألا ينام إلا عندما يكون أحد السريرين خالياً . وقد عجز عم جورج عن توفير فرصة عم لهابيل . وبعد أسابيع من المساعي والمحاولات المصنية ؛ أنفق خلالها هابيل كل ما كان يملك من نقود لكى يبقى على قيد الحياة ويجوب الطرقات من بروكلين إلى كوينز ؛ عثر أخيراً على عمل كمساعد جزار . كان يحصل على راتب . تسعة دولارات مقابل العمل لسته أيام ونصف اليوم أسبوعياً

النيويورك تايمز ويبحث في قاموسه القديم عن أية كلمات لم يكن واثقا من معناها .

وعلى مدى الأعوام الثلاثة التالية استطاع هابيل أن يشق طريقه وسط صفوف العاملين في فندق بلازا إلى أن وصل إلى منصب نادل في الصالة الرئيسية ووصل راتبه إلى خمسة وعشرين دولاراً أسبوعياً بالإكراميات . لم يكن هابيل في ظل عالمه هو ينقصه شيئاً .

كان معلم هابيل منبهراً بالتقدم الحثيث الذي كان يحرزه فنصح به بتسجيل اسمه لمزيد من الدروس الإضافية والتي ستكون بمثابة خطوته الأولى نحو شهادة بكالوريوس الآداب . بدأ هابيل يقضى أوقات فراغه في قراءة علوم الاقتصاد بدلا من اللغزيب ونسخ المقالات الافتتاحية لصحيفة الـ وول ستريت بدلا من النيمز كن عنه الجديد قد امتصه تماما وباستثناء جرج كن هاسر قد فقد اتصاله كلية بكل أصدقائه البولنديين القدامى .

كان أثناء أداء وظيفته كمدون يحرص على مراقبة مشاهير بمنتهى الدقة مثل عدلات بيكر ولويس ووينتيز ومروجين وفيليس وكان يحاول أن يتبين السمات التي كانت تميز الأغنياء عن غيرهم . كان يقرأ لـ " إتش إل مكنن " المحرر في جريدة مركوري وسكوت فيتزجيرالد وسنكلير لويس وثيودور ديريز شغفا منه بأن ينهل بلا انقطاع من مذهب المعرفة . كان يقرأ النيويورك تايمز في الوقت الذي كان يلهو فيه زملاؤه في العمل ، وكان يعكف على قراءة الـ وول ستريت في الوقت الذي كانوا يغفون فيه . لم يكن واثقا في أي اتجاه سوف تقوده كل هذه المعرفة ولكنه لم يشك يوما في مقولة البارون التي كان يؤكد عليها دائما وهي أنه ليس هناك بديل للتعليم الجيد .

وفي أحد أيام الخميس من شهر أغسطس عام ١٩٢٦ وكان يتذكر المناسبة جيدا لأنه اليوم الذي توفي فيه رودلف فالنتينو وكانت الكثير من النساء في شارع فيفس آفينيو يرتدين السواد حداً عليه . كان هابيل يخدم كعادته في إحدى الموائد الجانبية . كانت الموائد الجانبية تقتصر دائما على النخبة من رجال الأعمال ممن كانوا يحرصون على تناول غداء خاص في حرية بعيدا عن الأذان المتربصة . كان يستمتع بخدمة هذه الموائد الخاصة لأنها كانت تساعده على توسيع نطاق أعماله كما أنه كثير ما كان يبيع حقولاً من بعض المعلومات السرية من بين ثنايا الحوارات التي كانت تصل إلى مسامعه . وبعد انتهاء الوجبة كان هابيل يقوم بلاصلا على أسعار الأسهم خاصة بمدغوير . فإن كنت لهجة محوّر الدائر متدنية وكانت هذت أسماء متدولة شركات صغيرة وكبيرة فقد كان يبيع باستثمار مائة دولار في الشركة لصغيرة أملا في توسيعها أو توسيع دائرة عيانتها بمساعدة الشركة الكسرة أما إن لم يكن المضيف بتقديم السيجار في نهاية الوجبة ، فقد كان دبير ارت من حجم استثماره إلى مائتي دولار . في سبع مرات من بين عشر مرات نضعفت قيمة استثماره خلال ستة أشهر وهي فترة التي يسمح فيها هابيل لنفسه بالإبقاء على الأسهم . وباتباع هذه الطريقة لم يخسر هابيل المال إلا ثلاث مرات فقط على مدى السنوات الأربع التي عمل فيها في فندق بلازا .

ولكن ما جعل لقاء المائدة الجانبية غير تقليدي في هذا اليوم تحديدا هو أن الضيوف قد تناولوا التبغ حتى قبل بدء تقديم الوجبة . ثم انضم إليهم في وقت لاحق المزيد من المدعوين الذين طلبوا المزيد من السيجار . بحث هابيل عن اسم المضيف في دفتر الحجز الخاص بالمطعم ، إنه وولورث ، كان هابيل قد رأى هذا

الاسم من قبل فى القوائم المالية مؤخرًا ولكنه لم يستطع تذكر التفاصيل الخاصة به فى الحل . أما الضيف الآخر فقد كان تشارلز ليستر ، الذى كان أحد العملاء الدائنين لتفندق بيلازا ، والذى كان هابيل يعرف جيدًا أنه أحد رجال المصارف المرموقين فى نيويورك . سعى هابيل لاستراق السمع للجزء الأكبر من الحديث أثناء تقديم الطعام . لم يلق أى من المدعوين أدنى قدر من الاهتمام بالنادل معن السمع . لم ينجح هابيل فى تبين أية تفاصيل دقيقة ذات أهمية ولكنه خلص إلى أن هناك صفقة ما قد عقدت هذا الصباح وبأنها سوف تعلن فى وقت لاحق للجمهور فى ذلك اليوم . ثم تذكر بعدها . كان قد رأى الاسم من قبل فى جريدة الـوول ستريت ، وولورث كان اسم الرجل الذى كان والده قد بدأ أول متجر من متاجر السلع الاستهلاكية الرخيصة وما هو ابنه الآن يسعى للتوسع من خلال الحصول على المزيد من التمويل . بينما كان الضيوف يستمتعون بتناول طبق الحلوى الشهى - كان معظمهم قد اختار كعكة الجبن بالفراولة الذى رشحه لهم هابيل - انتهز هابيل الفرصة لغادرة غرفة الطعام لبضع دقائق اتصل خلالها بمضاربه فى وول ستريت

سأل هابيل : " ما هو مجال عمل وولورث ؟ "

صمت الطرف المقابل قليلاً ثم قال : " لقد وصل سعر سهمه إلى اثنين وثمن . إنه يتحرك كثيراً فى الآونة الأخيرة ولكننى لا أعرف لذلك سبباً . "

" اشتر أكبر قدر ممكن من الأسهم لحسبى لحين إصدار إعلان الشركة اليوم "

سأله المضارب فى استعراب : " وما هو محتوى هذا التصريح ؟ "

أجاب هابيل : " لا يمكننى أن أكشف عن المزيد " .

ترك الحديث انطباعاً جيداً لدى المضارب . كانت خبيرة هابيل قد علمته ألا يكشف عن مصدر المعلومات الخاص به . هرع هابيل عائداً إلى الصالة فى الوقت المناسب لتقديم القهوة . أمضى العملاء بعض الوقت فى تناول القهوة ثم عاد هابيل إلى المائدة بينما كان الجمع يستعد للرحيل . شكر الرجل الذى سدد الحساب النادل على حسن خدمته واستدار بحيث يكون على مسمع من باقى المدعوين قائلاً لهابيل : " هل تريد إكرامية أيها الشاب الصغير ؟ " قال هابيل " أشكرك يا سيدى "

" اشتر أسهم وولورث "

ضحك الجمع . ضحك هابيل أيضاً وأخذ الخمسة دولارات التى منحها إياه الضيف وشكره . ثم فاز بعدها بألفين وأربعمائة واثني عشر دولاراً إضافية فائدة من أسهم وولورث على مدى الأسابيع الستة التالية .

* * *

عندما حصل هابيل على الجنسية الأمريكية الكاملة يعد بلوغه الحادية والعشرين من عمره بقليل ، قرر أن المناسبة تستحق الاحتفال . فدع جورج ومونيكا آخر صديقت جورج وكلاهما صديقة جورج السابقة لمشاهدة جون بريمر فى فيلم دون جوان ثم تناول العشاء فى مطعم بيجو . كان جورج مازال يعمل فى مخبز عمه مقابل ثمانية دولارات فى الأسبوع ، وبالرغم من أن هابيل كان مازال ينظر إليه على أنه صاحبه مقرب فقد كان مدركاً لاتساع الهوة التى تفصل بين جورج المفسى وبينه الذى كان فى ذلك الوقت يملك أكثر من ثمانية آلاف دولار فى البنك فضلاً عن أنه كان فى عامه

الأخير في جامعة كولومبيا يستعد لنيل شهادة البكالوريوس في علوم الاقتصاد . كان هابيل يعرف دائما هدفه وطريقه . أما جورج فكان قد توقف عن القول بأنه سوف يصبح يوما ما عمدة نيويورك .

قضى الأربعة أمسية لا تنسى ولعل السبب يرجع في ذلك في الأساس إلى أن هابيل كان يعرف تحديدا ما يمكن أن يتوقعه من أى مطعم جيد . كان الطعام وفيرا وأفرط أصدقاؤه الثلاثة في تناوله وعندما جاءت فاتورة الحساب ؛ ذهل جورج من أن الإجمالي كان يفوق ما يكسبه في شهر من عمله . دفع هابيل الفاتورة بدون أن يلقي عليها نظرة ثانية . إن كان لابد أن تسدد الفاتورة ؛ دع الأمر يبدو وكأن القيمة ليست ذات أهمية . فرب كان يعمل سريعا فلا تعود الذهاب إلى نفس المطعم ثانية ولكن مهما يكن لا تغفل روتيني دهشك . كانت هذه هي إحدى النصائح التي تعميها هابيل من الأغنياء .

عندما انتهى بحفل فراقه شبيه صباح . عاد جورج وروبيك إلى الجانب الجنوبي بينما شعر هابيل أنه يرغب في مصاحبة كلارا . انسل بها من الباب المخصص للخدم في فندق بلازا وصعد بها في مصعد التنظيف ومنه إلى غرفته . لم تكن بحاجة للكثير من الإغراء لكي تشاركه الفراش . وقد عمد هابيل إلى إنهاء مهمته سريعا لأنه كان حريصا على الحصول على قسط وافر من النوم قبل بدء الإعداد للإفطار في الصباح الباكر . وقد كان سعيدا بالفعل عندما أنجز مهمته في الثانية والنصف ليغرق في سبات عميق لم يصح منه إلا على جرس المنبه في السادسة صباحا .

جلست كلارا في سريره وأخذت تتأمله وهي قاطبة الجبين وهو يرتدى رابطة عنقه البيضاء . قبلها بشكل روتيني مودعا وقال :

" احرصى على مقادرة الفندق بنفس الطريقة التي دخلت بها ولا فسوف تزجين بي في مأزق . متى سأراك ثانية ؟ "

ردت كلارا : " لن ترانى . "

سأل هابيل في دهشة " ولم لا ؟ هل فعلت شيئا ؟ "

" لا بل لم تفعل شيئا . "

سأل هابيل في حزن : " ما الذى لم أفعله ؟ لقد كنت تريدني أن تقاسميني الفراش ، أليس كذلك ؟ "

" استدارت ووقفت قباليته : " ظننت أنني أريد ذلك إلى أن اكتشيت أن هناك شيئا مشتركا يجمع بينك وبين فالنتينو وهو أن كسكنا بيت . فتركون أروع ما شهده فندق بلازا في عام كئيب ، ولكن في غيرنا يمكننا أنؤكد لك أنك لا تساوى شيئا . " كانت كلارا عندها حد ارتداد كامل ملايسها ؛ توقفت ووضعت يدها على مفيد اليد وهي تعاهد للرحيل وقالت : " أخبرنى هل سبق وأهملت فتاة سأفعل ذلك الشيء أكثر من مرة ؟ "

سحق هابل وبقي محدقا في الباب الذى صفعته كلارا وراءها وبقيت هذه لانهبات تؤرقه لباقى يومه . لم يخطر بباله أى شخص يمدن أن يناقش معه هذه المشكلة . كان جورج سيكتفى بالسخرية منه فقط .

أما باقى طاقم الخدم في فندق بلازا فقد كانوا جميعا يظنون أنه يعرف كل شيء . لذا فقد قرر أن هذه المشكلة - مثل باقى المشاكل التى صادفته في حياته - هي إحدى المشكلات التى يجب أن يتخطاها عن طريق المعرفة والخبرة .

وبعد الغداء ، في استراحة منتصف اليوم ؛ توجه هابيل إلى مكتبة سكريبنر في شارع فيفث أفينيو . كانت هذه المكتبة قد حلت له كل المشاكل التى واجهها في الماضى في مجال الاقتصاد

والغويات ، ولكنه مع ذلك لم يعثر على أى شيء هناك يمكن أن يساعده فى حل مشاكله العاطفية . كانت الكتب المتخصصة فى مجال فن معاملة المرأة كتباً بائسة كما اكتشف لطيفة أمه أن كتاب " المعضلة الأخلاقية " لم يكن يحمل أى جديد .

ترك هابيل الكتب بدون أن يشتري شيئاً وقضى باقى فترة الظهيرة فى مشاهدة أحد عروض برودواى ، ولكنه لم يكن يشاهد لفيلم وإنما يفكر فيما قالته له كلارا . كان الفيلم لجريتا جاربو ولم يصل إلى حد القبلات إلا فى الجزء الأخير منه أى أنه لم يقدم له أكثر مما قدمته مكتبة سكريبنر .

عندما غادر هابيل دار العرض كان الظلام قد حل بالفعل وكانت هناك نسمة هواء باردة تسود برودواى . كان من الأمور التى مازالت تثير دهشة هابيل أن تكون هناك مدينة مزدحمة ومضاءة ليلاً بقدر ما هى مزدحمة ومضيئة نهاراً ، بدأ يسير نحو شارع فيفتى ناينت أملاً فى استنشاق المزيد من الهواء النقى لكى ينعش تفكيره . توقف عند ركن الشارع فيفتى سكند لكى يشتري الجريدة المسائية .

جاء صوت من أحد الأركان : " هل تبحث عن فتاة ؟ " . تأمل هابيل صاحبة الصوت . كانت امرأة فى قرابة الخامسة والثلاثين ذات وجه ملطخ بمساحيق التجميل وفمها مصبوغ بأخر صيحة من صيحات أحمر الشفاه . كانت ترتدى قميصاً من الحرير الأبيض وتنورة سوداء طويلة وجوارب سوداء وحذاء أسود .

" فقط خمسة دولارات ، إننى أستحق كل سنت منها " قالتها وهى تكشف عن ساقها بالكامل حتى بداية الجوارب .

سأل هابيل " أين ؟ "

" أملك مكاناً صغيراً خاصاً بى فى الجوارب . "

أدارت وجهها وأشارت لهابيل إلى الجهة المقصودة واستطاع خلالها أن يرى وجهها لأول مرة بوضوح تحت ضوء مصباح الشارع . لم تكن خالية من كل الجاذبية . أوماً هابيل بالموافقة فصحبته من ذراعه وبدءا يسيران فى الطريق .

قالت : " إن أوقفنا الشرطة أخبرهم بأنك صديق قديم وبأن اسمى جويس " .

سارا إلى أن وصلا إلى المكان المقصود ثم دخلا فى أحد الأبنية الصغيرة القذرة . وقد ارتعد هابيل عند شاهد الغرفة القذرة التى كانت تقطنها ذات المصباح البؤسوى الواحد والمقعد الواحد والحوض الواحد والفراش الذى كان يعج بالفوضى والنذى بدا واضح أنه قد استخدم أكثر من مرة فى ذلك اليوم .

سألها فى ازدراء : " هل تعيشين هنا ؟ "

" يا إلهى ، كلا ، إننى أستخدم هذا المكان فقط مزاولاً عملى " .

سألها هابيل وهو متردد بشأن استكمال ما قد جاء من أجله : " ولم تفعلين ذلك ؟ " .

" لدى طفلان يجب أن أنفق عليهم وزوجى متوفى . هل هناك سبب أفضل من ذلك ؟ والآن هل تريدنى أم لا ؟ "

قال هابيل : " نعم ولكن ليس كما تظنين " .

نظرت إليه فى ريبة : " أنت لست واحداً من هؤلاء المختلين ، لست أحد أتباع لمركيز دى ساد ، أليس كذلك ؟ "

قال هابيل : " بالطبع لا " .

" كما أنك لن تحرقنى بالسيجار ؟ "

قال هابيل فى حيرة : " كلا ليس شيئاً من هذا القبيل بالمرّة . أريد فقط أن أتعلّم جيداً ، أريد دروساً " .

"دروس ؟ هل تمزح ؟ أين تظن نفسك يا عزيزي ؟ مدرسة فنون الحب المسائية ؟"

قال هابيل : " شيء من هذا القبيل " ثم جلس في ركن السرير وقص عليها ما كان من كلارا في الليلة السابقة . وأضاف : " هل تظنين أن بإمكانك المساعدة ؟ "

تفحصت فتاة الليل هابيل جيدا وهي تسائل نفسها ما إن كانت هذه هي كذبة أبريس .

قالت أخيرا : " بالطبع ، ولكن هذا الأمر سوف يكلفك خمسة دولارات مقابل ثلاثين دقيقة مدة الحصة الواحدة "

قل هابيل : " هذا أغلى من شهادة جامعة كولومبيا . وما عدد الدروس التي أحتاج إليها ؟ "

قالت : " هذا يعتمد على مدى سرعة تعلمت . أليس كذلك ؟ " قال هابيل وهو يخرج خمسة دولارات من جيبه الداخلى : " دعينا نبدأ من الآن "

جلس هابيل على حافة السرير بينما بدأت هي تحادثه عن الطريقة التي يجب أن يعامل بها المرأة . وقد اندهشت بالفعل عندما أدركت أن هابيل لم يكن يريد بها بالفعل ، وما ضاعف من دهشتها هو أن هابيل بقى منتظما في ذهابه إليها يوميا على مدى أسبوعين .

في تلك الليلة أعطته جويس كل خبرتها في العلاقة بين الرجل والمرأة . وفي نهاية هذه الليلة قالت جويس : " لقد تخرجت بامتياز ، أنت الأول على فصلك "

احتفل هابيل بنجاحه ، بشراء تذاكر من السوق السوداء للمقعد المجاورة للحلبة لبطولة العالم في الوزن الثقيل في المصارعة ودعا جورج ومونيكا وكلارا التي أبدت تردده في البداية . وبعد انتهاء

امباراة ، شعرت كلارا أن واجبها أن ترافق هابيل ، حيث إنه كان قد أنفق عليها الكثير من المال . ويحلول الصباح كانت كلارا تتوسل إليه ألا يتركها .

ولكن هابيل لم يدعها للخروج معه ثانية أبدا . بعدما تخرج هابيل في جامعة كولومبيا ، لم يعد راضيا عن حياته في فندق بلارا ولكنه كان عاجزا عن تصور الخطوة التالية . بالرغم من أنه كان يخدم عددا من الرجال الأكثر ثراء ونجاحا في أمريكا ، فإنه لم يكن قادرا على محادثة أى منهم بشكل مباشر لأن هذا يمكن أن يكبدته فقد عمله . كما أنه في كل الأحوال لم يكن العملاء ليأخذون طموحاته على محمل الجد . قرر هابيل أنه ينبغي أن يكون مديرا للفندل .

وفي يوم من الأيام جاء السيد والسيدة إلزورث ستاتلر لتناول الغداء في فندق بلارا في قاعة إدوارد ، حيث كان هابيل يخدم هناك على مدى أسبوع . وقد ظن هابيل عندها أن الفرصة قد سحلت له وبذل قصارى جهده لكي يترك انطبعا جيدا لدى الرجل الفندقى الشهير . وبالفعل سار كل شيء على خير ما يرام . وعند المغادرة شكر ستاتلر هابيل بحرارة وأعطاه عشرة دولارات وهكذا كانت نهاية اللقاء وليس أكثر . أخذ هابيل يراقبه وهو يغادر عبر أبواب فندق البلازا الدوارة وهو يسأل نفسه إن كان سينجح في يوم من الأيام في تحقيق ما يريد .

ريت سامي - كبير الفندل - على كتفه وقال له :

" ما لذى أعطاه لك السيد ستاتلر ؟ "

قال هابيل : " لاشيء " .

سأله سامي في نبرة عدم تصديق : " ألم يمنحك كرامة ؟ "

قال هابيل : " أجل ، بالطبع . لقد أعطاني عشرة دولارات " .
ثم أعطى المال لسامى
قال سامى : " أجل . خشيت أن تنكر . كنت سأفكر بأنك
ربما سوف تراوغني يا هابيل . عشرة دولارات ، هذا جيد حتى
بالنسبة للسيد ستاتلر ، لا بد أنك أثرت إعجابه " .
" كلا لم أفعل " .
سأله سامى : " ما الذى تقصده ؟ " .
قال هابيل وهو يسير بعيدا : " لا يهم " .
" انتظر قليلا يا هابيل ، هناك رسالة لك . لقد تركها لك
الرجل الذى يحبس على المائدة سبعة عشر . إنه يدعى السيد
ليروى وهو يريد أن يحادثك شخصيا " .
" ما الخطب يا سامى ؟ " .
" وكيف لي أن أعرف ؟ ربما يهم بمينيك الزرقاوين " .
ألقى هابيل نظرة على المائدة ١٦ فقط لى يندو حيد ومتيب .
لأن المائدة رقم ١٧ سينة الموقع وكان هناك شخصان يجلسان على
المائدة ، رجل يرتدى سترة تحمل شكل مربعات لم تعجب هابيل ،
وشابة صغيرة جذابة ذات شعر أشقر متموج لفتت نظر هابيل وقاده
ظنه السيئ إلى أنها صديقة الرجل فى نيويورك . رسم هابيل
" ابتسامة أسف " على شفثيه وهو يراهن نفسه على أن الرجل
سوف يثير جلبية كبيرة بسبب تأرجح الأبواب بجواره ورغبته فى
تغيير المائدة لى يثير إعجاب السيدة الشقراء التى تجلس
بصحبه . لم يكن أحد يحب أن يجلس بجوار رائحة المطبخ
والجلبة التى كان يحدثها الندل بشكل مستمر عبر الباب . ولكن
كان يستحيل تجنب استخدام المائدة حال ازدحام الفندق عن آخره
بالمقيمين ، فضلا عن إقبال عدد كبير من سكان نيويورك على ارتياد

المطعم بشكل منتظم لتناول الطعام والذين كانوا ينظرون إلى الزوار
المقيمين فى الفندق على أنهم دخلاء وليس أكثر . لم كان سامى يصر
دائما على أن يوكل له مشقة التعامل مع هؤلاء العملاء المتذمرين ؟
قترب هابيل من صاحب لسنده ذات اربع ساعات بحرص
" لقد طلبت التحدث معى يا سيدى ؟ " .
قال فى لهجة أهل الجنوب : " بالطبع . اسمى ديفيس ليروى
وهذه هى ابنتى ميلانى " .
أدار هابيل بصره عن السيد ليروى لبرهة ونظر فى عيني ميلانى
الخضراء التى لم يكن قد شاهد عينا كمعينا الجميلة من قبل .
قال السيد ليروى فى تشدق أهل الجنوب : " لقد طلبت ارافيك
يا هابيل على مدى الأيام الخمسة الماضية " .
هو صغف غيبه الرجل لكان هابيل قد أقر بأنه لم يلحظ وجود
السيد ليروى حتى الخمس دقائق الماضية .
" ولقد أعجبت إعجابا شديدا بما رأيته يا هابيل لأنك تتمتع
برفى - رفى حقيقى وأنا أبحث دائما عن ذلك . لقد كان إلسورث
ستاتلر أحق بعدم الحصول عليك " .
بدأ هابيل يمعن النظر فى السيد ليروى وخذه الأرجوانى وثقنه
المتزلزل الذى أكد لهابيل أنه يفرط فى تناول المسكرات . ثم أخذ
يتأمل الأطباق الخاوية أمامه التى أكدت له أيضا أنه يفرط فى تناول
الطعام . ولكن لم يكن اسم الرجل أو وجهه يعنى أى شيء بالنسبة
لهابيل . فى وقت الغداء فى أى يوم من الأيام التقليدية ، كان
هابيل يملك معرفة عن خلفية كل الزبائن الجالسين على سبعة
وثلاثين مائدة من بين التسع وثلاثين مائدة داخل قاعة طعام
إلدوارد . كانت مائدة السيدة ليروى فى هذا اليوم هى واحدة من
المائدتين المجهولتين بالنسبة لهابيل .

" هل سمعت عن سلسلة فنادق ريكوموند من قبل يا سامى ؟ "
قال سامى وهو ينظر إليه فى شك : " أجل بالطبع ، كان أخى
يعمل نادلا هناك فى وقت ما . هناك ما يقرب من ثمانية أو تسعة
فروع للفندق فى الجنوب ، يديرها رجل مجنون من تكساس ولكننى
لا أذكر اسم الرجل . ولكن ما هو سبب سؤالك ؟ "
قال هابيل : " ليس هناك سبب محدد "
سأله سامى : " هناك دائما سبب يحركك يا هابيل . ما الذى
كان يريدك منك الرجل على المائدة رقم ١٧ ؟ "

" كان يشكو من ضوضاء المطبخ لا يمكن أن ألوهم فى ذلك "
" وما الذى يتوقع منى أن أفعله . أن أجلسه فى لحديقة . من
يظن نفسه ، هل يظن أنه جون دى روكفير ؟ "

ترك هابيل سامى يحصى انقود وبواصل حديثه وأخذ بتعطف
موائده بأسرع ما يمكن . ثم ذهب إلى غرفته لكي يجمع معلومات عن
بجموعة ريكوموند . أجرى عدة مكات هاتفية أرضت فصوله فى
هذا الصدد . لقد وجد أن المجموعة هى عبارة عن شركة خاصة
بملك أحد عشر فندقا فى الإجمال ، أفخمها فندق شيكاغو ريكوموند
كوبينهنال لذى يضم ٣٤٢ غرفة وحررة الإعداد . وقد فكر هابيل
فى أنه لن يخسر شيئا إن سأل عن الغرفة التى كن يقيم فيها سيد
ليروى وابنته ميلانى . وقد استفسر بالفعل وعرف أنهما يقيمان فى
الغرفة رقم ٨٥ ، إحدى أفضل الغرف الصغيرة فى الفندق . وصل
هابيل إلى هناك قبل الرابعة بقليل وشعر بخيبة أمل لعدم وجود
ميلانى

" إننى سعيد لأنك تمكنت من الحضور يا هابيل . تفنن
بالجنوس "

كان الرجل الجنوبى مازال يتحدث : " أنا لست واحدا من
أصحاب الملايين الذين يجلسون فى موائدكم الجانبية أثناء إقامتهم
فى فندق بلازا "

أثرت كلمات الرجل إعجاب هابيل . لأنه لم يكن من المفترض
أن يلحظ العميل التقليدى الأهمية النسبية لكل مائدة من الموائد
داخل القاعة .

" ولكننى مع ذلك أبلى بلاء حسنا . بل إن أفضل فنادقى يمكن
أن يزدهر لكى يضاهى يوما ما مثل هذا الفندق لفخم يا هابيل . "
قال هابيل فى محاولة لكسب الوقت : " أنا واثق من ذلك يا
سيدى . "

ليروى ليروى ليروى لم يكن الاسم يعنى أى شىء بالنسبة
له .

" دعنى أوضح لك ما أريده منك يا بنى . إن الفندق رقم ١ فى
سلسلة فنادقى أصبح بحاجة إلى مساعد للمدير المسئول عن المطعم
إن كان هذا يؤثر اهتمامك . قبلنى فى غرفتى بعدما تنهى عملك . "
ثم مد يده لهابيل ببطاقة كبيرة .

قال هابيل وهو ينظر إلى البطاقة : " أشكرك يا سيدى . ديفير
ليروى . سلسلة فنادق ريكوموند فى دالاس . " كان شعار الغسق
مدونا تحت الاسم : " فى يوم من الأيام سوف يكون للفندق فرع فى
كل ولاية " ومع ذلك بقى الاسم مجهولا بالنسبة لهابيل .

" فى انتظار لقاءك " قال الرجل لجنوبى ذلك فى نبرة ودودة .
قل هابيل " أشكرك يا سيدى " وانقسم ميلانى التى بدت
عينها أكثر خضرة عن ذى قبل ثم عاد إلى سامى منكس رأس وهو
يحصى الإكراميات التى جمعها .

كانت هذه هي المرة الأولى على مدى أكثر من أربعة أعوام يجلس فيها هايبيل كضيف في فندق بلازا .

قال السيد ليروى : " كم يبلغ أجرك هنا ؟ "

أخذ السؤال هايبيل على غرة .

" أنقاضي ما يقرب من خمسة وعشرين دولارا أسبوعيا بالإكراميات "

" سوف أبدأ بخمسة وثلاثين دولارا أسبوعيا . "

قال هايبيل " أى فندق تعنيه يا سيدى ؟ "

" إن كنت قد أصبت فى حكمى عليك ، فإننى أفترض أنك قضيت الثلاث وثلاثين دقيقة التى أعقبت نهاية عملك فى البحث عن اسم الفندق الذى تسأل عنه ؛ أليس كذلك ؟ "

بدأ هايبيل يعجب بالرجل وقال : " هل هو فندق ريكوموند كورنيتينتال فى شيكاغو ؟ "

ضحك ديفيز ليروى : " لقد كنت محقا ؛ محقا بشأنك . "

كان عقل هايبيل يعمل ويدور بسرعة : " كم يبلغ عدد الأشخاص الذين يرأسون مساعد المدير ؟ "

" فقط المدير وأنا . المدير رجل بطيء ومهذب كما أنه يسهز سن التقاعد وبما أننى أملك تسعة فنادق أخرى يجب أن أعتنى بها فإننى أعتقد أننى لن أكون مصدر قلق بالنسبة لك . بالرغم من أننى يجب أن أقر أن فندق شيكاغو هو فندقى المفضل لأنه الأول فى الشمال كما أن مدرسة ميلانى هناك ؛ فإننى أجد أننى أقضى وقتا فى المدينة قوية الرياح أكثر مما ينبغى . إياك أن تقع فى الخطأ الذى يقع فيه كل أهل نيويورك فى الاستهانة بشيكاغو . إنهم يرون أنها لا تعدو طابع يريد على مظروف كبير اسمه نيويورك . "

ابتسم هايبيل .

واصل السيد ليروى حديثه : " إن الفندق يعانى من تدنى بسيط فى نسبة الإشغال فى الوقت الراهن . وبما أن المدير السابق قد ترك العمل بدون سابق إنذار فإننى بحاجة إلى رجل كفء يمكن أن يحل محله ويتحمل كل أعباء المسئولية . والآن أنصت إلى يا هايبيل ؛ لقد راقبتك عن كثب على مدى خمسة أيام وأعلم أنك الرجل المناسب . فهل سترحب بالذهاب إلى شيكاغو ؟ "

" أرىعون دولارا بالإضافة إلى عشرة بالمائة للأرباح الإضافية وسوف أقبل العرض . "

قال ديفيز ليروى فى ذهول : " ماذا ؟ " لا أحد من المديرين الذين يعملون عندى يتقاضى نسبة من الأرباح . إنهم سيقودون ثورة ضدى إن اكتشفوا هذا الأمر "

قال هايبيل : " إننى لن أخبرهم إن لم تفعل أنت ؟ "

" أنا الآن أعرف أننى قد اخترت الرجل المناسب حتى بالرغم من أنه مقامر ومراهن مخنك . طرق الرجل جانب مقعده وقال : " أوافق على شروطك يا هايبيل . "

" هل أنت بحاجة إلى معلومات موثقة عنى يا سيدى ليروى ؟ "

" معلومات موثقة ؟ لقد عرفت كل ما يخص خلفيتك وتاريخك منذ أن رحلت من أوروبا إلى أن أحصلت على الشهادة من جامعة كولومبيا . ما الذى تظن أننى كنت أفعل على مدى الأيام الخمسة الماضية ؟ إننى لا يمكن أن أجازف بوضع شخص فى مثل هذا المنصب فى فندقى المفضل بدون أن أتأكد من هويته وكفاءته . متى يمكن أن تبدأ ؟ "

" بعد شهر من الآن . "

" حسنا . فى انتظار رؤيتك إذن يا هايبيل . "

قام هايبل من مقعده ، شعر بسعادة أكبر عندما وقف . صافح السيد ديفيز ليروي - رجل المائدة ١٧ - مائدة المجهولين .

كانت مغادرة مدينة نيويورك وفندق بلازا - بيته الحقيقي الوحيد منذ مغادرة القصر القريب من سلونيم - أشد وقعا على نفس هايبل مما تصور . كان فراق جورج ومونيكا وزملائه فى جامعة كولومبيا أكثر قسوة مما توقع . وقد أقام سامى وزملاء هايبل فى الفندق حفلا خاصا لتوديعه .

قال سامى ووافق الجميع فى ذلك : " سوف نسبح الكثير عنك فى المستقبل يا هايبل روزنوفسكى " .

كان فندق ريكموند كونتيننتال يقع فى شارع ميتشيجن آفنيو ، كان يشغل قلب احد 'سرع' المدن 'صرد' فى اليوم فى مريك وهذا راق ذلك لهايبل ، الذى كان يحفظ عن ظهر قلب شعار السورث ساتلر الذى بغضى بن هناك ثلاثة اشبه هى لاكثر أهمية فى فندق وهو الموقع ثم الموقع ثم الموقع وسرعان ما اكتشف هدير ن الموقع كان هو الشيء الوحيد المميز لفندق ريكموند . كان ديفيز ليروي قد خفف من وطأة تقييم الوضع عندما ذكر أن الفندق كان يعاني فقط من تدن فى نسبة الإشغال . لم يكن ديسموند باسى - مدير الفندق - بطيئا وهادئا مثلما قال ديفيز ليروي وإنما كان كسولا كما أنه لم يقدر هايبل كما ينبغي عندما وضع مساعده الجديد فى غرفة ضيقة فى الملحق الخاص بالعاملين فى الشارع وليس داخل الفندق نفسه . وقد اكتشف هايبل من خلال إجراء مراجعة سريعة لدفاتر حسابات الفندق أن معدل الإشغال اليومي لم يتعد فى أى وقت من الأوقات أكثر من النصف ولعل من أبرز الأسباب لذلك نوعية الطعام الردىء الذى كان يقدم . كان طاقم العاملين يتحدث

ثلاث أو أربع لغات لم تبد له الإنجليزية واحدة من بينهم . كما أن أيا منهم لم يبد أية بادرة ترحيب بهذا المقتى الأحمق القادم إليهم من نيويورك . لم يصعب على هايبل عندها أن يدرك سبب إسراع مساعد المدير السابق بالرحيل . إن كان هذا الفرع هو المفضل لديفيز ليروي فكيف إذن حال الفنادق العشرة المتبقية ، حتى بالرغم من التفاؤل المفرط الذى يتحلى به الرجل الجنوبى .

كان أفضل نبأ عرفه هايبل فى أيامه الأولى فى شيكاغو هو أن ميلانى ليروي كانت الابنة الوحيدة لديفيز ليروي .

اليوم الذى دخل فيه غرفتهما الجديدة فى " الجولد كوست " . كانت الغرفة أفضل وأكثر أناقة من غرفتهما فى مسانت بول ؛ أما ماثيو فقد ذهب يبحث عن نادى التجديف الجامعى . وسرعان من انتخب قائدا لطاغم طلبة السنة الأولى . وكان ويليام يترك كتبه ظهيرة كل يوم أحد لكى يراقب صاحبه من فوق ضفاف نهر تشارلز . وقد كان معجبا بأداء ماثيو وإن كان يبذرى عكس ذلك .

قال ويليام فى تعال : " إن الحياة ليست عبارة عن ثمانية رجال أشداء يجرون لوحاً خشبياً غير محدد المعالم فوق مياه متلاطمة الامواج بينما يمودهم رحى أصفر حجب يصيح فى وجعهم من أن إلى آخر

قال ماثيو : " أخبر بال بذلك " .

وسرعان ما أثبت ويليام خلال هذه الأثناء لأساتذته فى مادة الرياضيات أنه لا يقل كفاءة عن ماثيو فى عالم التجديف وأنه على بعد خطوة من التفوق . وقد أصبح ويليام أيضا لاتحاد طلاب السنة الأولى ونجح فى إشراك عمه الكبير - الرئيس لوبييل - فى أول خطة تأمين خاصة بالجامعة ، والتي كان يحصل فيها كل خريج من جامعة هارفارد على وثيقة تأمين على الحياة بمبلغ ١٠٠٠ دولار لكل منهم على أن تكون الجامعة هى المستفيد . وقد قدر ويليام تكلفة كل مشارك بأقل من دولار واحد أسبوعيا وهذا يعنى أنه إن اشترك فى المشروع ٤٠ بالمائة من الخريجين فسوف يضمن لهارفارد دخلا يصل إلى ٣ ملايين دولار سنويا من عام ١٩٥٠ فصاعدا . وقد أعجب الرئيس بالمشروع أيما إعجاب ومنحه كل الدعم . وفى العام التالى دعا ويليام للانضمام إلى لجنة التمويل التابعة لمجلس الجامعة . وقد رحب ويليام بذلك بمنتهى الفخر غير مدرك بأن هذا المنصب يعنى التزامه به مدى الحياة . وقد أخبر الرئيس لوبييل

الفصل الرابع عشر



بدأ ويليام وماثيو عامهما الأول فى هارفارد فى خريف عام ١٩٢٤ . وبالرغم من رفض جدتيه - قبل ويليام منحة هاميسون الدراسية للرياضيات وبقيية تصل إلى ٢٩٠ دولارا - كما اشترى لنفسه السيارة " ديزى " التى كانت آخر صيحة فى السيارات " الفورد تى " وأول حب حقيقى فى حياة ويليام ، وقد طلاها باللون الأصفر الفاقع ، مما قلل من ثمنها إلى النصف وضاعف عدد صديقاته الفتيات . وقد فاز كلفين كوليدج بأغلبية ساحقة فى الانتخابات وعاد إلى البيت الأبيض ووصل حجم التعاملات المالية فى بورصة نيويورك إلى رقم قياسى فى الأعوام الخمسة الأخيرة ، حيث بلغ عدد الأسهم المتداولة ٢,٣٣٦,١٦٠ .

كان كلا الشابين الصغيرين (" لم يعد بالإمكان أن نلقبهما بالأطفال " على حد قول الجدة كابوت) يتطلعان إلى الجامعة . وبعد صيف ممتع قضياه فى ممارسة التنس والجولف ، كان كلاهما على استعداد ليزل جهد جاد فى الدراسة . بدأ ويليام عمله منذ

الجددة كين أنه قد حصل مجانا على أفضل عقلية مالية في الجيل .
فأجابت الجددة كين ابن عمها في استياء قائلة : " لكل شيء هدف
وسوف يلقن هذا ويليام درسا بوجوب دراسة كل التفاصيل " .

ما إن بدأ العام الدراسي الثاني، كان قد حان وقت الالتحاق
بأحد المنتديات الراقية التي كانت تعج بها الساحة الاجتماعية
للنخبة من جامعة هارفارد . وقد دفع ويليام إلى نادى
البورسين ، (ندى كان النادى الأقدم والأكثر ثراء ورقب ولكن لأقل
شهرة بين الأندية) في مقر النادى في شارع ماشوستس والذي
كان يقع فوق كافتريا هيز بيكفورد ، كان ويليام يجلس فوق المقعد
الوثير ليفكر فى مشكل العالم من حوله ويناقش انعكاسات محكمة
ليوب ليوبولد ويراقب شارع من تحته من خلال امرة الكبيرة
اموضوعة بزواوية تعكس الرؤية بوضوح فى شيء مثل التكسير
والاستماع إلى الذبائح الكبير الحديث .

عندما حلت عطلة لعبد . أقنع ماثيو ويليام بأن يشركه التزلج
فى فرمونت وقضاء أسبوع فى تسلق المرتفعات اقتداء بأصحابه
أصحاب الليقة المرتفعة .

" أخبرنى يا ماثيو ، ما هو الهدف من قضاء ساعة فى تسلق
المرتفع ثم هبوطه ثانية بعد ثوان من تسلقه مع تكبد كل هذه
المجازفة بالحياة والمفاصل ؟ " .

أجاب ماثيو فى صوت أجش : " إنها بلطبع نظرية لا تقل
أهمية عن النظريات الرياضية . ويليام ، لم لا تقر بدلا من ذلك بأنك
لا تجد تسلق أو هبوط المرتفعات ؟ "

كان كلاهما قد بذل فى العام الدراسي الثانى جهدا يستحق
النجاح بالرغم من أن تفسير ونظرة كليهما للنجاح كانت تختلف

اختلافا بيننا عن الآخر . على مدى أول شهرين من العطلة
لصيفية ، عملا كمساعدين للإدارة فى بنك ليستر فى نيويورك
بعدما فقد والد ماثيو الأمل منذ زمن طويل فى إبعاد ويليام . عندئذ
حل قيظ شهر أغسطس ، كانا يقضيان جل وقتها فى التسكع فى
شوارع نيو إنجلاند داخل السيارة " ديمزى " والإبحار فى نهر
تشارلز مع أكبر عدد ممكن من الفتيات وقبول الدعوة لحضور أى
حفل من الحفلات المنزلية . وسرعان ما أصبح الاثنان من بين أبرز
الشخصيات الجامعية الجديدة بالاحترام والتقدير من حيث المستوى
التعليمى والاجتماعى . كان من المعروف تماما فى مجتمع بوسطن أن
لفظة التى سوف تحظى بالزواج من ويليام كين أو ماثيو ليستر لن
تسرد أية مخاوف بشأن المستقبل ، ولكن بنفس السرعة التى
قبست بها الأمهات لمرعر بناتهن الشابات ، بذلت الجدتان
كبروت وكين جهدهما لإبعادهن عن الشابين .

فى ١٨ أبريل عام ١٩٢٧ ، احتفل ويليام بعيد ميلاده بحادى
وعشرين بحضور آخر اجتماع للأوصياء على ممتلكاته . كان آلان
ليوبلد وبوسى سيمونز قد أعدا كل ملفات التى كانت جاهرة بتوقيع
ويليام عليها .

قالت بيلى برستون وكأنها قد تخلصت من عبء مسئولية كبيرة
كانت تحملها على عاتقها : " حسنا ، عزيزى ويليام ، أنا واثقة
أنك سوف تبذل كل جهدك كما فعلنا نحن " .

" أتمنى ذلك يا سيدة برستون ، ولكننى إن وجدت نفسى فى
أى وقت بصدد خسارة نصف مليون دولار بين يوم وليلة فسوف
أعرف تحديدا من الذى يمكن أن ألجأ إليه " .

احمر وجه ميلى برستون ولكنها تحاشت الرد عليه .

كانت التركة الآن قد وصلت إلى ما يزيد على ٣٢ مليون دولار وكان لوويليام خطط محددة لزيادة ومضاعفة هذه الثروة ولكنه أيضا كن قد عاهد نفسه على اكتساب مليون دولار من كده الخالص قبل تخرجه من هارفارد . لم يكن المبلغ كبيرا مقارنة بالوصية ولكن ثروته التي اكتسبها عبر الميراث كانت تعنى القليل بالنسبة له مقارنة بحسابه الخاص في بنك ليستر .

في صيف ذلك العام ، بادرت الجدتان - خشية تفجر ثورة إرسال الفتيات ثانية - بإرسال ويليام وماثيو إلى جولة كبيرة في أوروبا كانت لها نتائج باهرة بالنسبة لكليهما . نجح ماثيو - بعد تخطي كل الحواجز اللغوية - في العثور على فتاة جميلة في كل عاصمة من العواصم الأوروبية الكبرى . وكان يؤكد لويليام أن الحب سلعة دولية . أما ويليام فقد نجح في فتح جسور للعلاقات مع مديري معظم البنوك الأوروبية ، وقد أكد ماثيو أن المال هو الآخر سلعة دولية . من لندن إلى برلين إلى روما ، أخلف الشابان وراءهما صفا من القلوب الجريحة ورجال المصارف أصحاب الانطباع الجيد . عندما عاد الاثنان إلى هارفارد في سبتمبر ، كان كلاهما مستعدا لالتهم الكتب لاجتياز العام الدراسي الأخير .

وفي شتاء عام ١٩٢٧ المبر ، توفيت الجدة كين عن عمر يناهز الخامسة والثمانين ، وقد بكاه ويليام وذرف الدموع للمرة الأولى منذ وفاة والدته .

قال ماثيو بعد مواساته لمعاناة ويليام على مدى أيام طويلة : " اهدأ . لقد عاشت حياة حافلة طويلة إلى أن توفاه الله " .

شعر ويليام أنه قد افتقد الكلمات الحكيمة التي كانت تقولها له جدته والتي كان ينظر إليها بقليل من التقدير أثناء حياتها . وقد

حرص على إعداد جنازة مهيبه كانت لتفخر بحضورها لو كانت على قيد الحياة . بالرغم من أنها وصلت المقابر في إحدى السيارات الباكار السوداء (" إحدى الدع الصارخة - على جثتي : لن أطأه بقدمي " كما كانت تقول في حياتها) فإن تحفظها الوحيد على تنسيق ويليام للجنازة كان يمكن أن يتمثل في رحيلها داخل هذه الوسيلة غير الآمنة من وسائل النقل . وقد دفعت وفاتها ويليام لبذل المزيد من الجهد في دراسته في العام الأخير في هارفارد . وقد عاهد نفسه على الفوز بجائزة الجامعة الكبرى للرياضيات تخليدا لذكراها . توفيت الجدة كابوت بعد ستة شهور من وفاة الجدة كين ، ربما لأنها - كما قال ويليام - لم تجد من تحادثه بعد رحيلها .

وفي فبراير عام ١٩٢٨ ، جاء قائد فريق المناظرة لزيارة ويليام . كانت هناك مناظرة كاملة بصدد الانعقاد في الشهر التالي عن الشيوعية والرأسمالية وتأثيرهما على مستقبل أمريكا . وقد طلب من ويليام - بطبيعة الحال - أن يمثل جانب الرأسمالية .

قال ويليام : " وماذا لو أخبرتك بأنني أريد أن أتحدث باسم الطبقة الكادحة الفقيرة ؟ " فارتسمت على الرجز علامات الدهشة ، وقد خالجه شعور بأنه ربما يكون قد افترض فيه آراء فكرية معينة باعتباره قد ورث اسما مشهورا وبنكا مرموقا .

" حسنا ، يجب أن أقول يا ويليام إننا تصورنا أن أولويتك يجب أن تكون ... " .

" هي كذلك بالفعل . وأنا أقبل دعوتك . وسوف أقوم أنا بالطبع باختيار شريكى في الحديث " .

" بالطبع " .

"حسناً. إذا فقد اخترت ماثيو ليهتر. هل لي أن أعرف أسماء المعارضين؟"

"لن تعرفها إلا قبل المناظرة بيوم واحد عندما تعلق الملصقات في الفناء."

على مدى الشهر التالي، حول ويليام وماثيو تقدمهما الصباحي للصحف اليومية عن اليمين واليسار ومناقشاتهما الليلية عن معنى الحياة إلى جلسات لرسم استراتيجية لما بدأ يطلق عليه داخل الحرم الجامعي اسم "المناظرة الكبرى". وقد قرر ويليام أن ماثيو يجب أن يهادر بالحديث.

ومع اقتراب اليوم الموعود، بدا من الواضح أن معظم الطلبة معنيين بشئون السياسية فضلاً عن الأبتذال وبعض شخصيات مرموقة في بوسطن وكمبريدج سوف تأتي لحضور المناظرة. وفي الصباح الذي توجه فيه ويليام وماثيو إلى الفناء لمعرفة اسم المعارضين، قال ماثيو:

"ليلاند كروسبي وثاديوس كوهين. هل تعرف أيًا من الاسمين يا ويليام؟ لابد أن كروسبي هو أحد أفراد عائلة كروسبي في فيلاديلفيا. أظن ذلك."

"بالطبع هو كذلك. إنه ذلك الشيعوي الأحمق الذي يخاطب في ميدان ريتن هاوس"، كما وصفته ذات مرة إحدى عماته. بالفعل هو أكثر الثوريين إقناعاً في الجامعة. إنه ثري وهو ينفق كل أمواله على حل مشاكل شعبية الراديكالية. أستطيع أن أتنبأ من الآن بما سيقوله في خطبته الافتتاحية."

"وثاديوس كوهين؟"

"لم أسمع عنه قط من قبل."

في مساء اليوم التالي، رفض الاثنان الإقرار بهيبة الصعود على المسرح، وسارا في طريقهما عبر الثلوج والهواء البارد مرتدين معاطفهما الثقيلة التي كانت تضرب بعنف خلفهما، ثم اجتازا الأعمدة المضيئة لمكتبه وإيدنر - المسماة على اسم المتبرع الذي كان قد فقد ابنه في غرق السفينة تيتانيك مثل أبيه - إلى أن وصلا إلى قاعة بويلستون.

ولكن بينما كانا يستديران عند أحد أركان المكتبة، إذا بجحافل من الوجوه الغاضبة المحفزة تهبط الدرج لكي تملأ القاعة. وفي الداخل اقتيدا إلى المقاعد الخاصة بهما فوق منصة. بقي ويبهم جالسا في سكون ولكن عيبيه كانتا تنقطن كل الأشخاص الذين كن يعرفهم من بين احضور الرئيس ليوبين يجلس في تحيط في الصفوف الوسطى، نيويورك مانت جوائز العجوز أستاذ علم النبات، وهناك اثنان من رجل النخبة المثقفة في براتل ستريت كان يعرفا من حفلات البيت الأحمر، وعلى يمينه كانت تجلس مجموعة من الرجل والنساء من أصحاب الشكل البوهيمي، كان بعضهم حتى لا يرتدي رابطة عنق وقد استدارت هذه الزمرة وأخذت تصفق لتحديثها - كروسبي وكوهين - أثناء صعودهما على خشبة المسرح.

كان كروسبي هو الأكثر إبهارة، كان طويلاً ورفيعاً إلى حد الشكل الكاريكاتوري وكان يرتدي ثياباً مجردة من أي ذوق - أو ربما يكون قد بذل أقصى جهده ليبدو بهذا الشكل - كان يرتدي بدلة من الصوف الخشن ولكنه كان قد صف شعره بمنتهى العناية كما كان هناك غليون متدل من فمه لا تربطه أية علاقة ظاهرة بجسمه باستثناء شفته السفلية. أما ثاديوس كوهين فقد كان أقصر قاماً وكان يرتدي نظارة غير مؤطرة وبدلة سوداء أنيقة من الصوف.

تصافح لتحدثون الأربعة بمنتهى الحرص أثناء اتخاذ الإعدادات النهائية للمناظرة .

قال منسق المناظرة : " السيد ليلاند كروسبي الصغير " أشعرت خطبة كروسبي ويليام بالثقة والاعتزاز بالنفس لأنه كان قد تنبأ بكل ما فيها - نبرة صوته العالية والنقاط التي كان يشدد عليها بعصبية وهستيرية . وقد ذكر ضمن حديثه القنمة السوداء التي تسمى الراديكانية في امريك وبني تشرم هدى ماركت وبني ترست وستاندرد أويل وحتى كروس أوف جولد . رأى ويليام أن كروسبي لم يقدم سوى استعراض لشخصه بالرغم من أنه اكتسب تأييدا وتصفيقا مرتقبا من تنويعه لحق ويليام . عندما جلس كروسبي بدا من الواضح أنه لم يكتسب أى مؤيدين جدد يد وريما يمكن أن يكون قد فقد بعض المؤيدين فقد كانت مقارنته بويليام وماثيو - اللذين كان كلاهما ثري وبارزا اجتماعيا ولكن إفساد بصحي بامو له ويموت شهيد تحقيق العدالة لاجتماعية - يذكس أن تكون مدمرة .

تحدث ماشو جيدا وبشكر محدد وواضح وبدأ من روع كل المستمعين ، كان يجسد النزعة الليبرالية . وقد ربت ويليام على يد صديقه بحرارة عندما عاد إلى مقعده وسط التصفيق الحار .

همس قائلا : " كل شيء قد انتهى إلا الصباح ، على أظن " .

ولكن ثاديبوس كوهين كان بمثابة مفاجأة للجميع تقريبا . كانت له طريقة ممتعة خجلة متعطفة كانت مرجعته وكل مقولاته كان يستشهد بها منطقية وموضحة لكل ما يقول . بدون أن يوحى لجمهور المستمعين بمراب الاشتراكية التي لا يحصى . نجح في توثيق قيمة أخلاقية جعلت كل شيء دونها يبدو فاشلا بالنسبة لأى

عقل . وقد أقر بأخطاء وتجاوزات بعض القادة الاشتراكيين ولكنه ترك انطباعا أكيدا أنه - بالرغم من مخاطرها - فإنه ليس هناك بديلا عن الاشتراكية للارتقاء بالجنس البشرى .

أشارت خطبة كوهين ارتباك ويليام . إن أى هجوم منطقي محبوبك على أرض خصومه السياسيين سوف يكون خاسرا بعد خطبة كوهين المقنعة الرقيقة . كما أن محاولة النيل منه والتقليل من شأنه وهو يتحدث يحتفى بالعمل والإيمان بالروح البشرية والإخاء سوف يكون مستحيلا . ركر ويليام في حصيلته بداية على مفيد بعض النهم التي وجهها كروسبي للرأسمالية ثم صرح عن إيمانه بعسرة النظم الأمريكى على تحقيق أفضل النتائج من خلال المنافسة على مستوى العسرة والافصدي . لقد شعر ويليام أنه بيع ستراجية دفع جيدة وليس أكثر من ذلك ، ثم جلس وقد شعر بأنه قد منى بهزيمة لا بأس بها من كوهين .

كان كروسبي هو المتحدث خصومه المفوه . وقد بدأ هجمته بلا هوادة وكأه يريد الآن أن يهرم كوهين فقد ما يريد أن يهرم ويليام وماثيو ويحطب الجمهور قذلا إن كان يوسعهم أن يعثروا على عدو للشعب . من بينهم فى هذه الليلة أحد يحدق فى أنحاء الغرفة شوان بدت طوبله ساد فيها ، لشعور بالحرج بين الجمهور بينما أخذ أنصاره المتفانون يحدقون فى أحذيتهم . ثم مال إلى الأمام وقال فى صوت هادر "

" إنه يقف أمامكم . لقد تحدث للتو وسط جمعكم . إن اسمه هو ويليام لويل كين " قالها وهو يشير بإحدى يديه نحو ويليام - ولكن بدون أن ينظر إليه ثم دوى صوته كالرعد : " إن بنكه يملك مناجم يعوت فيها العمال من أجل مليون دولار إضافي يذهب إلى أصحاب رأس المال . إن بنكه يساند الديكتاتور الدموى الفاسد فى أمريكا

دالينينة إن بيكه . يقدم رشوى لكونجرس الأمريكى لسحق
الفلاح الهسيط . إن بيكه .. "
نواصير التقرير لعدة دقائق طويلة أخرى . جسر ويليام فى
صمت ذاهل . يدور من أن إلى آخر بعض التعقيبات فى صحيفته
الصفراء . كان بعض أفراد من الجمهور قد بدأوا يصيحون قائلين
" لا " . أما مؤيدو كروسيبى فقد كانوا يصيحون مؤيدين له بإخلاص
فى المؤخرة . بدأت علامات التوتر والاضطراب ترتسم على وجه
المسؤولين .

كان الوقت المخصص لكروسيبى على وشك الانقضاء . رفع قبضه
بده وقال " أيها السادة . اعتقد أنه على بعد لا يزيد عن
مئتى ياردة من هذه المقعد سوف نعرثر على الإحده التى سوف تعود
أمريكا إلى لاردهار . هات بعض مكتبة ويدنر . أكبر مكتبت
الخصه فى لعلم إليب يوفس كر لعبه المهاجرين والعنصر " إلى
جانب النخبة الأفضل تعليميا فى أمريكا - للارتقاء بالمعرفة والرخاء
فى العالم . ولكن ما هو سبب وجودها ؟ إن سبب وجودها هو أن
أحد الأثرياء المدللين قاده حظه العاثر منذ ستة عشر عاما مضت أن
يسافر على متن سفينة الأحلام التى كانت تدعى تيتانيك . إننى
أؤمن - أيها السيدات والسادة - أن الثروات الطائلة المكتنزة داخل
هذه القارة العظيمة من تحرر ولن تكرر لحكمة الحرية ولعدالة
والنقد إلا حينما نسمح كر فرد من أفراد الطبقة الحاكمة نذكره للسفر
على سفن تيتانيك أخرى "

بينما كان ماثيو يستمع إلى خطبة كروسيبى ، انتقلت مشاعره من
الإحساس بالابتهاج أمام مغالطات المتحدث الجسيمة مما جعله
يشعر بأن الفوز قد بات مضمونا لصالحه ، إلى الشعور بالحرج
بسبب سلوك خصمه ؛ ثم إلى الشعور بالثورة العارمة للتنبؤ به إلى

حادث السفينة تيتانيك الأساوى . لم تكن لديه أية فكرة عن
الكيفية التى يمكن أن يرد بها ويليام على كل هذه الأمور المثيرة
للاستفزاز .

عندما بدأت الأمور قليلا ، تقدم منسق المناظرة نحو المنصة
وقال : " السيد ويليام لويل كين ، يتفضل " .
سار ويليام فى تودة فوق المنصة ونظر إلى الجمهور . ساد السكون
المكان .

" أرى أن الآراء التى عبر عنها السيد كروسيبى لا تستحق
الرد " .

ثم جلس . سادت فترة من الصمت المذهل تلاها تصفيق عارم .
عاد منسق المناظرة إلى المنصة وقد بدا غير واثق مما يجب
عمله . جاءه صوت من الخلف كسر حاجز التوتر : " إن سمحت
لى ، سيدى الرئيس ، هل يمكن أن أستخدم الوقت المخصص للسيد
ويليام كين ؟ " . كان المتحدث هو ثاديوس كوهين .
أوما ويليام بالموافقة إلى المنسق .

سار كوهين ونظر إلى الجمهور نظرة تلطيف . ثم بدأ حديثه
قائلا : " من بين الحقائق التى عرفت منذ زمن أن أكبر حاجز يقف
فى طريق نجاح الاشتراكية الديمقراطية فى لولايات المتحدة هو
تطرف بعض حلفائها . ليس هناك شيء يمكن أن يبرهن على هذه
الحقيقة المؤسفة يوضح أكثر من خطاب زميلى هذا الليلة . إن
الفرزوع إلى الإضرار بالقضية الآخذة فى التقدم من خلال الدعوة إلى
التصفية الجسدية لكل معارض قد تكون مفهومة فى معركة طاحنة
بين المهاجرين أو فى صراعات خارجية أعنتى وأكثر وحشية مما
نواجهه نحن . أما فى أمريكا فإنه من المثير للشفقة ومن غير المقبول

أن نلجأ لكل هذه الطرق . بالأصالة عن نفسي ، أقدم الاعتذار للسيد كين " .

في هذه المرة كان التصفيق حادا . بل إن الجمهور بأسره نهض وافقا ووصل التصفيق بلا انقطاع .

سار ويليام وصافح ثاديوس كوهين . لم يندش أي من الجانبين عندما فاز ويليام وماثيو بفارق أصوات وصل إلى ١٥٠ صوتا . كانت الأسمية قد انتهت وسار الجمهور خارجا في الطرقات الساكنة المغطاة بالثلوج . كان الجميع يسيرون وسط شوارع والطرفات ويتحدثون بأعلى أصواتهم

أصر ويليام على دعوة ثاديوس كوهين لتناول الشراب معه هو وماثيو . سار الثلاثة سويا عبر شارع ماسوشوس وهم يرون بالكاد الطريق بسبب ثلوج مساقطة . ثم توقفوا جميعا عند حد الأنوار سوداء لصخرة . نرى نفع مباشرة قبلة قاعة بوسسون فتح ويليام الباب بمفتاحه ودخل ثلاثتهم البهو .

قبل أن يغلق الباب خلفهم ، تحدث ثاديوس كوهين قائلا :

" أخشى أنه لن يرحب أحد بوجودي هنا "

بدا ويليام حائرا للحظة : " لا تقل هذا ، فأنت فسي صهبنى " .

نظر ماثيو إلى صديقه نظرة تحذيرية ولكنه لاحظ أن ويليام مصمم

صعد الثلاثة الدرج إلى غرفة كبيرة ، كانت الغرفة مريحة ولكنها لم تكن فخمة لأثاث حيث كان يجلس ما يقرب من ثني عشر شابا على المقاعد الوثيرة أو يقفون في جماعات من شخصين أو ثلاثة أشخاص . ما إن ظهر ويليام عند الباب حتى بدأت التهاني تتوالى عليه :

" أنت رائع يا ويليام . هذه هي تحديدا الطريقة التي يجب أن يعامل بها مثل هؤلاء الأشخاص "

" هيا ادخل ظافرا يا هازم بولسكى "

بمى ثاديوس كوهين واقفا - لم يكن ظاهرا تماما بفعل الباب ولكن ويليام لم يكن قد نسيه .

" بها السادة - ود أن أقدم لك خصمى اللدود ، السيد ثاديوس كوهين " .

تقدم كوهين إلى الأمام في تردد .

صمت كل الأصوات ارتسمت علامات الذهول على بعض الوجوه وهي تنظر إليه وكأنهم ينظرون إلى شجرة دردار في الحديقة اكتست أغصانها بالثلوج المتساقطة

وأخيرا جاء صوت طرق الباب الخشبي عندما غادر أحد الحضور المكان عبر باب آخر . ثم رحل آخر . وبدون عجلة وبدون اتفاق واضح ، غارت المجموعة كاملة المكان . كان آخر المغادرين قد نظر مليا إلى ويليام ثم استدار وعذر . نظر ماثيو إلى رفيقه في ارتباك كثر وجه ثاديوس كوهين قد كتمى بجمرة الخجرج وقد وقف ناكس الرس رم ويليام شفتيه في غضب بارد مثل الذي انبأه عندما أشر كروسي إلى السفينة تيتانيك .

ربت ماثيو على ذراع صديقه وقال له : " يجدر بنا أن نرحل " . توجه الثلاثة إلى غرفة ويليام وتناولوا قسي صمت بارد الشراب .

عندما استيقظ ويليام في الصباح ، وجد مظروفا على بابه . وجد بداخله ملحوظة مختصرة من رئيس نادي بورسيليان تعلمه بأنه يأمر " لا يتكرر حادث الليلة السابقة الذي يفضل عدم الإشارة إليه "

بحلول وقت الغداء كان مدير النادي قد تلقى خطاب استقالة .
بعد مرور شهر من أيام الاستذكار المضنية ، شعر ويليام وماثيو
أنهما شبه مستعدين - لا أحد يشعر أبدا أنه على أتم استعداد -
لاجتياز الاختبارات النهائية على مدى ستة أيام كانوا يجيبون عن
أسئلة وبملاؤن صفحات وصفحات من الأوراق البيضاء ثم بعوا
منتظرين ولكن ليس بلا جدوى . فقد تحرج الاثنان كما كان متوقعا
من هارفارد عام ١٩٢٨ .

بعد أسبوع من إعلان النتيجة فاز ويليام بجائزة الرئيس
للرياضيات . تمنى لو أن والده كان حيا ليشهد احتفال تخرجه .
أما ماثيو فقد حصل على تقدير جيد مما أشعره بالارتياح وله يكن
بمثابة تقدير مثير لدهشة بالنسبة لأي أحد . لم يكن أي منهم
شغوف باستكمال الدراسة . كان كلاهما يريد أن ينخرط في الحية
العملية بأسرع ما يمكن .

كان حساب ويليام في بنك نيويورك قد زاد قليلا عن المليون
دولار قبل تخرجه من هارفارد بسبعة أيام . عنده حدث تضخيم
مع ماثيو بشأن خطبه طويلة المدى لتولي رئاسة بنك ليستر بعد دمج
مع بنك كين وكابوت . أبدى ماثيو حماسه للفكرة وأقر قائلا
" تكاد تكون هذه هي لطريقه الوحيدة التي سوف تمكنني من تطوير
ما سوف يخلفه لي والدي بلا شك عند موته " .

في يوم التخرج ، جاء آلان ليويدي الذي كان قد بلغ عندها
السنتين إلى هارفارد . وبعد انتهاء حفل التخرج ، صاحب ويليام
ضيقة لتناول الشاي في الميدان . نظر آلان إلى الشاب الطويل في
حب .

" وما الذي قررت أن تفعله الآن بعد أن تخرجت من
هارفارد ؟ "

" سوف أعمل في بنك تشيرش ليستر في نيويورك أنا بحاجة
لاكتساب بعض الخبرة قبل أن أنتقل إلى بنك كين وكابوت بعد بضع
سنوات " .

" ولكنك كنت تعيش في بنك ليستر منذ الثانية عشرة من عمرك
يا ويليام ، لم لا تأتي إلينا مباشرة الآن ؟ سوف نعينك مديرا على
العور "

" انتظر آلان ليويدي ليحصل على رد . ولكن بدا من الواضح أنه
غير متوقع .

" حسنا ، يجب أن أقول يا ويليام إنه ليس من عادتك أن تبقى
عاجزا عن الرد "

" ولكنني لم أتصور أبدا أنك يمكن أن تدعوني للانضمام إلى
مجلس الإدارة وأنا في الحادية والعشرين بينما أبي ... " .

" أجل لقد حدث هذا بالفعل ، إن أبك لم ينتخب إلا وهو في
لحاضمة والعشرين من عمره ومع ذلك فإن هذا ليس سببا يحول دون
حصولك للمجلس قبل هذه السن إن وافق باقي المدراء على الفكرة
وأنا واثق من موافقتهم . على أية حال ، هناك أسباب شخصية
تدفعني لأن أضعك في منصب المدير بأسرع ما يمكن عندما أتقاعد
من عملي في البنك بعد خمس سنوات . يجب أن نكون قد تأكدنا
من أنك قد اخترت الرئيس المناسب سوف تكون في وضع أقوى
ستتبرع عني هذا القرار إن عملت في بنك كين وكابوت طوال هذه
السنوات الخمس بدلا من أن تكون قد شغلت منصبا مرموقا في بنك
ليستر . حسنا يا بني ، هل ستنتضم إلى المجلس ؟ "

كانت هذه هي المرة الثانية في نفس اليوم التي تمنى فيها ويليام لو كان والده مازال حيا .

قال ويليام : " يمرنى أن أوافق يا سيدى " نظر آلان إلى ويليام : " هذه هي أول مرة تندينى فيها بـ " سيدى " منذ أن لعبنا الجولف سويا . سوف أراقبك وأعتنى بك جيدا " .

ابتسم ويليام . قال آلان ليويد : " حسنا ، اتفقنا إذا . سوف تكون مديرا مستجدا مسئولا عن الاستثمار وسوف تعمل مباشرة تحت إدارة تونى سيمونس " .

سأل ويليام : " هل يمكن أن أعيّن مساعدى الخاص ؟ " نظر إليه آلان ليويد فى تشكك : " ماثيو لستر ، بلا شك " " نعم " .

" كلا لن أسمح به . لن يفعل فى بنك ما كنت أنت عازم على فعله فى بنوكهم . كان يجدر بموس كوهين أن يلقك هذا " . لم يفوه ويليام بكلمة واحدة ولكنه لم يستهن بأمر آلان بعد ذلك اليوم .

ضحك تشارلز لستر عندما أعاد عليه ويليام الحديث كلمة بكلمة .

قال الرجل فى صدق : " أنا آسف لأنك لن تأتى إلينا حتى فى صورة جاسوس . ولكننى لا أشك فى أنه سوف ينتهى بك المال هنا فى يوم من الأيام ، بشكل أو بآخر " .

الجزء الثالث



١٩٢٨ - ١٩٣٢

الفصل الخامس عشر



عندما بدأ ويليام عمله كمدير لبنك كين وكابوت في سبتمبر عام ١٩٢٨ ، شعر لأول مرة في حياته أنه يعمل عملا ذا قيمة . بدأ عمله في مكتب صغير بالقرب من توني سيمونس مدير الاستثمار في البنك . ومن الأسبوع الأول الذي وصل فيه ويليام ، أدرك - حتى بالرغم من أنه لم يقل له أحد شيئا - أن توني سيمونس كان يأمل في أن يكون خليفة لآلان ليويد في رئاسة البنك .

كان البرنامج الاستثماري للبنك يقع بالكامل تحت مسئولية سيمونس . وسرعان ما كشف لويليام عن بعض جوانب عمله وخاصة في مجال لاستثمار الحاص في الأعمال الصغيرة واعقرت وغيرها من الأنشطة التجارية الخارجية التي كان البنك يمولها . كان من بين الأعمال المكتبية التي كان يقوم بها ويليام تحرير تقرير شهري عن الاستثمارات التي يوصى بها لهيئته في اجتماعات أعضاء مجلس الإدارة . حيث كان أعضاء مجلس الإدارة السبعة عشر يلتقون مرة واحدة شهريا في غرفة كبيرة واسعة من خشب البلوط ،

مزينة من أحد الجانبين بصورة لوالده ومن الجانب الآخر بصورة لجدّه . لم يكن ويليام قد التقى بجدّه أو عرفه ولكنه كان يدرك جيدا أنه كان بكل تأكيد رجلا فريدا لأنه تزوج من جدته كين . كانت هناك مساحة كبيرة فارغة على الجدار لتعليق صورة ويليام .

كان ويليام يتسم في أيامه الأولى داخل البنك بالحذر وسرعان ما اكتسب حكمه على الأمور تقدير واحترام كل أعضاء مجلس الإدارة مما دفعهم إلى تنفيذ كل توصياته إلا فيما ندر . وقد تبين فيما بعد أن النصائح التي كان يرفضها أعضاء مجلس الإدارة كانت من بين أفضل ما جاء به ويليام . كانت المرة الأولى هي التي جاء فيها رجل يدعى السيد ماير طلبا لقرض استثماري من البنك لتمويل " الصور الناطقة " وقد رفض مجلس الإدارة طلبه لأنهم حكموا على الفكرة بالفشل وبأنه ليس لها أي مستقبل مرتقب . وفي المرة الثانية ، جاء رجل يدعى السيد بالي إلى ويليام حاملا خطة طموحا لإنشاء شبكة يوتيبيد الإذاعية . لم يؤيد السيد آلان ليويذ الذي لم يكن يحمل أي تقدير لمثل هذه الاتصالات المشروع ، وقد أيد مجلس الإدارة وجهة نظر السيد ليويذ ، وقد نجح السيد لويس بي ماير فيما بعد في إنشاء شركة " إم جى إم " ، بينما نجح ويليام بالي في إنشاء شركة " سى بي إس " . كان ويليام يؤمن بحكمه على الأمور مما دفعه إلى مساندة الرجلين من ماله الخاص ولم يخبرهما أبدا . تماما مثلما كان يفعل والده - أنه هو الذي أيدهما بماله .

كان من بين المهام اليومية غير المحببة التي كان يجب أن يقوم بها ويليام تولى أمر تصفية وإشهار إفلاس بعض العملاء الذين اقترضوا مبالغ طائلة من البنك ثم وجدوا أنفسهم عاجزين عن السداد . لم يكن ويليام بطبيعته رجلا ليتا - وهو ما تعلمه بفضل هنرى أوسبورن - ولكنه أصر على أن تصفية أسهم العملاء القدامى

المحترمين وبيع منازلهم كان يؤرقه أثناء نومه ليلا . وسرعان ما تعلم ويليام أن هؤلاء العملاء ينقسمون إلى فئتين محددتين : أولا فئة التي كانت تنظر إلى الإفلاس بوصفه أحد أمور العمل اليومية التقليدية ، وفئة ثانية تصيبهم كلمة إفلاس في حد ذاتها بالعار وربما تفرض عليهم أن يبذلوا فائق جهدهم لياقي العمر في محاولة لتسديد كل مليم اقترضوه من البنك . وقد شعر ويليام أنه من الطبيعي أن يتشدد مع الفئة الأولى في الوقت الذي ينبغي أن يبدي فيه قدرا من التعاطف مع الفئة الثانية وهو ما كان يجد تونى سيمونس صعوبة في تقبله ولكنه كان يوافق على مضض .

وقد كانت إحدى هذه الحالات هي التي فرضت على ويليام أن يخترق إحدى القواعد الذهبية ويتورط شخصا مع أحد العملاء . كان اسم العميل هو كاثارين بروكز وكان زوجها ماكس بروكز قد اقترض أكثر من مليون دولار من بنك كين وكابوت للاستثمار في أراضي فلوريدا التي كانت قد شهدت ازدهارا عام ١٩٢٥ ، وهو أحد الاستثمارات التي ما كان ويليام ليؤيدها لو كان يملك وقتها سلطة اتخاذ القرار . كان بروكز مع ذلك ينظر إليه على أنه أحد أبطال ماساتشوستس باعتباره أحد رواد المناطيد والطائرات الجديدة وأحد الأصدقاء المقربين من تشارلز ليندبرغ . وقد أثار حادث وفاته المأساوى ردود أفعال واسعة النطاق عندما تحطمت الطائرة الصغيرة التي كان يقودها على بعد عشرة أقدام من الأرض إثر اصطدامها بشجرة بعد مسافة مائة ياردة من الإقلاع . وقد نشر الحادث وقتها في كل الصحف والجرائد المحلية باعتباره خسارة قومية فادحة .

قام ويليام على الفور - بصفته وكليلا عن البنك - بوضع يده على كل ممتلكات بروكز المجمدة وعرضها للبيع لصالح البنك لكى يقلل من حجم خسارته . باع كل أراضي فلوريدا باستثناء مزرعة كان يقع

الأولى - على وفاق بشأن الإجراءات التى يجب اتخاذها فى هذا الشأن ، لذا استجمع عزمه تأهباً للقاء المثير للضيق .

ما لم يحسب ويليام حسابه هو كاثرين بروكز نفسها . كان بوسعه دائماً فى وقت لاحق فى حياته أن يتذكر أحداث اللقاء الذى جمع بينهما فى صباح ذلك اليوم بمنتهى لتفصيل كان قد در فى هذا الصباح حديث محترم بينه وبين تونى سيمونس حول أحد الاستثمارات الكبرى فى مجال النحاس والتصدير والذى كان ويليام يتمتع بن بوفق عنه مجلس الإدارة . كان احتياج المحال الصناعى سعديين فى تزايد مطرد وكان ويسم واقفاً أن هذه الريدة مطردة سوف يتبعها حتماً عجزاً عالى فى هذين المعدنين . ولكن تونى سيمونس لم يكن يوافق الرأى مشيراً بوجوب استثمار المزيد من المبالغ النقدية فى سوق الأسهم ، وكان هذا الأمر مازال يستحوذ على عقل ويليام ويشغل به عند أدخلت لسكنية السيدة بروكز عليه فى مكتبه . يابتهامة خجلة ، استطاعت أن تزيج النحاس وكر أنواع العجر فى العام من غله قبل أن تجلس على مفدها . كان هو قد وصل إلى الطرف المقابل من المكتب لكى يجلسها على معد . فقط لكى يؤكد ل نفسه أنها ليست سرباً سوف يخفى عن ناظره إن اقترب منه . لم يقابل ويليام فى حياته أبداً امرأة فى نصف جمال وروعة كاثرين بروكز . كان شعرها الأشقر المسترسل يتدلى فى خصلات منسابة ومتوجة على كتفها ، وكانت بعض الشعيرات قد نجتحت فى القفل من قبعتها للتدلى فوق صدغها . لم تكن فترة الحداد التى كانت تعيشها قد نالت بلقطع من جمال وجهها النحيف كما أن بناءها العظمى المثالى كان يؤكد أنها سوف تبقى محتفظة بجمالها فى أية سن . كانت تملك عينين بنيتين

ففيها منزل العائلة . ولكن خسارة البنك كانت مازلت تزيد على ٣٠٠ ألف دولار . وقد انتقد بعض المديرين فى البنك قرار ويليام السريع ببيع الأراضي وهو القرار الذى لم يقره سيمونس . وقد أدرج ويليام رفض تونى سيمونس فى أحد محاضر البنك مما جعله يعد مرور شهور فى وضع يسمح له بالقول بأنه لو كان قد أبقي على الأرض لكانت خسارة البنك قد تعدت مليون دولار من قيمة الاستثمار الأصلي . وقد أثار هذا الموقف الذى برهن على نفاذ بصيرة ويليام ونظرته المستقبلية ضيق تونى سيمونس ولكنه فى نفس الوقت أشعر باقى أعضاء مجلس الإدارة بفتح وسد بقدرة تنبؤ وتوقع تعوى المستوى العادى.

عندما صفى ويليام كل ممتلكات البنك التى كانت تحمل اسم بروكز ، التفت إلى السيدة بروكز التى كانت مازلت الضامن الشخصى لديون زوجها . وبالرغم من أن ويليام كان يحاول دائماً أن يؤمن مثل هذا الضمان على أية قروض يمنحها البنك ، فإن مثل هذا الالتزام لم يكن من الإجراءات التى كان يصح بها أسدق مهم بلغت ثمتهم فى مشروع لأن العمل سوف يكبد بانقطع الصدى خسارة فادحة .

وقد كتب ويليام خطاباً للسيدة بروكز يقترح عليها فيه أن تحدد موعداً لمناقشة وضعها . كان قد اطلع على ملف بروكز بمنتهى الدقة وكان قد عرف أنها مازلت فى الثانية والعشرين من عمرها وأنها كانت ابنة لأندرو هيجنسون وأحد أفراد عائلة بوسطن اللغوية العريقة وابنة أخ هنرى لى هيجنسون مؤسس سيمفونية بوسطن . كما لاحظ أيضاً أنها كانت تملك أصولاً قوية . لم يكن قد استساغ فكرة مطالبتها بتقديهما للبنك ، ولكنه هو وتونى سيمونس كانا - للمرة

شديدي الاتساع كما أنهما كانتا تكشفان بما لا يدع مجالاً للشك عن ارتعادهما معا كان على وشك قوله .

بذل ويليام جهده لكى يمالك نبرته العملية فى الحديث وخطبها قائلاً : " سيدة بروكز ، أود أولاً أن أعرب عن بالغ أسفى لوفاة زوجك ومطالبتك بالحضور اليوم هنا إلى مكتبى " كذبتان فى عبارة واحدة كان يمكن أن يكون صادقا فيهما قبل خمس دقائق . انتظر لكى يسمعها وهى تتحدث .

" أشكرك يا سيد كين " . كان صوبها رقيقا ذا نبرة هادئة دافئة . " أنا أدركت تصامى نزائتى نحو البنك وأبـ أؤكد لك أننى سوف أبذل كل جهدى للوفاء به "

لم ينطق ويليام بكلمة . على أمل أن تواص حديثها ولكنها لم تفعل . فأشار هو بى حق بصرفه فى ممتلكات السيد بروكر استمعت إليه وهى منكسة الرأس

" والآن يا سيدة بروكز ، لقد كنت ضامنة لقرض زوجك وهو ما يقودنا إلى مساءلتك عن ممتلكاتك الشخصية " ثم تخلص الملف واستطرد قائلاً : " أنت تملكين ثمانين ألف دولار فى الاستثمارات من مال عائلتك الخاص على ما أظن ، وسبعة عشر ألفاً وأربعمائة وستة وخمسين دولاراً فى حسابك الخاص " .

رفضت رأسها إليه وقالت : " إن معلوماتك عن وضعى المالى صحيحة بالفعل يا سيد كين ولكننى مع ذلك أود أن أضيف حديقة بوكهرست ومنزل فلوريدا الذى كان مكتوباً باسم ماكس وبعض المجوهرات القيمة التى أمتلكها . اعتقد أن كل هذه الأشياء مجتمعة سوف تسد الثلاثمائة ألف دولار المتبقية . وقد قمبت بكل

الإجراءات التى سوف تضمن لك الحصول على القيمة كاملة فى أسرع وقت ممكن " .

لم يرتجف صوتها وهى تتحدث ، اللهم إلا قليلاً . نظر ويليام إليه فى إعجاب

" سيدة بروكز ، إن البنك ليست لديه نية تجريدك من كل ممتلكاتك فنحن نريد بعد موافقتك أن نتولى مهمة بيع أسهمك وسداتك أب كل الأشياء الأخرى التى أشرت إليه بـ فى ذلك مسكنك . فنحن نعتقد أنه يجب أن يبقى فى حوزتك "

ترددت قليلاً ثم أجابت : " إننى أقدر لك كرمك يا سيد كين ومع ذلك فإننى أريد أن أسدد كل التزاماتى حيال البنك كما أننى أريد أن يبقى اسم زوجى نظيفاً بدون شائبة " اخنلج صوتها قليلاً عندما ولكنها تملكت نفسها سريعاً وقالت : " على أية حال ، لقد قررت أن أبيع منزل فلوريدا وأعود بى بيت عدلتى فى أسرع وقت ممكن "

دار ويليام وقد بدأت دقت قلبه تتسارع عند سماعه بعودتها إلى بوسطن : " فى هذه الحالة ربما يكون بوسعنا أن نصل إلى اتفاق ما بشأن إجراءات البيع "

قالت ببساطة : " يمكننا أن نفعل ذلك الآن . لابد أنك تعرف القيمة كاملة "

كان ويليام يخطط للقاء آخر ، فأجابها قائلاً " يجب ألا تتسرع فى مثل هذه القرارات . اعتقد أنه من الحكمة أن أستشير زملائى فى هذا الصدد أولاً ثم أعاود مناقشته معك فيما بعد "

هزت كتفها قليلاً وقالت : " كما تحب . أنا لا أعبأ بالمال على أية حال كما أننى لا أريد أن أزعج بك فى المزيد من المتاعب "

أوماً ويليام وقال : " سيدة بروكز ، اسمحي لي أن أشيد بمسعة صدرك . على الأقل اسمحي لي بشرف دعوتك إلى الغداء " .
انقسمت للمرة الأولى ، وكشفت عن غمازة واضحة في خدها الأيمن . أخذ ويليام ينظر إليها في إعجاب وبدل جهده طول وقت الغداء في ريتز لكي يراها ثانية . في الوقت الذي عاد فيه إلى مكتبه ، كانت الساعة قد تخطت الثالثة بكثير .

قال توني سيمونس : " لقد كان غداء طويلًا يا ويليام " .

" نعم فإن مشكلة بروكز كانت أكثر حرجًا مما تصورت " .

قال سيمونس : " ولكنها بدت لي شديدة البساطة عندما اطلعت على السورق . إنها لم تبد تذكرها من عرضنا ، أم أنها أبدت اعتراضًا ؟ أعتقد أننا كنا بالفي الكرم نظرًا للظروف " .

" أجل وهي تشمر بذلك أيضًا . ولكنني كان يجب أن أقتنعها بأن تعدل من فكرة التخلي عن آخر دولار تملكه " .

أخذ توني سيمونس يحدق فيه ثم قال : " ولكن هذا ليس ويليام كين الذي نعرفه جميعًا ونحبه . ومع ذلك فإن البنك لم يكن رحب الصدر بهذا الشكل من قبل " .

قطب ويليام عن وجهه . منذ يوم وصوله إلى البنك ، كان هو وسيمونس في خلاف دائم بشأن توجهات سوق المال . لقد كان السوق يتحرك إلى أعلى بإطراد منذ وصول هيربرت هوفر إلى البيت الأبيض في نوفمبر عام ١٩٢٨ . بل إنه بعد عشرة أيام لاحقة ، كانت البورصة قد حققت رقمًا قياسيًا وصل إلى أكثر من ٦ ملايين سهم متداول في يوم واحد . ولكن ويليام كان واثقًا من أن هذا الاتجاه التصاعدي ، الناجم عن تدفق الأموال بسبب صناعة السيارات سوف يؤدي إلى تضخم في الأسعار يقود إلى عدم الاستقرار . أما توني سيمونس - في المقابل - فقد كان واثقًا من أن

هذا الازدهار سوف يبقى متواصلًا ، لذا عندما نصح ويليام بوجوب توخي الحرص أثناء اجتماعات مجلس الإدارة لم يستجب أحد إلى طلبه . ومع ذلك فقد كان ويليام حر التصرف في أمواله وتركته أو في ثروته الخاصة ، لذا فقد سار خلف حدسه وبدأ يستثمر أمواله في الأرضي والذهب واسع وحتى في بعض البوحت لفنية استنقاة تاركًا ٥٠ بالمائة فقط من أصوله في شكل أسهم .

عندما صرح بنك نيويورك الفيدرالي الاحتياطي أنه لن يخضم القروض للبنوك التي تسمح بصرف أموال للعملاء بناء على التنبؤ فقط ، شعر ويليام أنه قد أودع إحدى دعائمه في لحد التنبؤ . وعمد على الفور إلى مراجعة برنامج الإقراض الخاص بالبنك وقدر حجم تعاملات بنك كين وكابوت في هذه القروض بما يزيد على ٢٦ مليون دولار . وقد توسل إلى توني سيمونس أن يستعيد هذه الأموال لأنه كان واثقًا من أن هذا القرار الحكومي سوف يؤدي إلى هبوط سعر الأسهم على المدى الطويل . كان الاثنان على وشك التشابك بالأيدي أثناء اجتماع مجلس الإدارة الذي لم يحصل فيه ويليام إلا على صوتين مقابل اثني عشر صوتًا .

وفي ٢١ مارس عام ١٩٢٩ ، أعلن بنك بليمير اندماجهم مع بنك أمريكا ، كان هذا هو ثالث اندماج بين البنوك ، وهو الأمر الذي بدا بمثابة مؤشر إلى غد أفضل وأكثر إشراقًا . وفي ٢٥ مارس ، أرسل توني سيمونس إلى ويليام إخطارًا يخبره فيه بأن سوق المال قد سجل ارتفاعًا لم يسبق له مثيل وبأن البنك سوف يشتري المزيد من الأسهم . كان ويليام قد أعاد تقسيم رأس ماله ثانية وأبقى ٢٥ بالمائة من ثروته فقط في سوق الأسهم مما ضيع عليه أرباحًا تصل إلى مليوني دولار كما وجه إليه الآن ليؤيد توبيخًا شديدًا .

بقيت صورة كاثرين بروكز ملازمة لعقل ويليام . كان يرأسها
بأكبر قدر مسموح به لكى يخبرها بكل ما يخص بيع الأسهم
والسندات من خلال خطابات رسمية معدة على الآلة الكاتبة لا
تسمح إلا بالرد عليها بخطابات رسمية كانت تكتبها بخط اليد .
لابد أنها قد اعتقدت أنه أكثر الرجال المصرفيين نزاهة فى العالم .
ثم حدث فى بداية الخريف أن أرسلت إليه تخبره بأنها قد عثرت
على مشتر جاد لبيت فلوريدا ، فأرسل إليها ويليام يستأذنها فى أن
تسمح له بالتفاوض بشأن شروط الصفقة نيابة عن البنك . فوافقت
على طلبه .

سافر ويليام إلى فلوريدا فى وقت مبكر من شهر سبتمبر عام
١٩٢٩ . واستقبلته السيدة بروكز فى محطة القطار وقد شعر بسعادة
غامرة لأنها بدت له أجمل مما كانت تتراءى له فى مخيلته . كان
الهواء الرقيق قد ألصق ثوبها الأسود بها مما جسد معالمها وهى واقفة
فى انتظاره فوق الرصيف مما أظهرها فى صورة كانت تدعو أى رجل
وليس ويليام وحده إلى إعادة النظر إليها ثانية . بقى ويليام مثبتا
نظره عليها .

كانت مازالت ترتدى ملابس الحداد وكانت تتصرف معه بشكل
متحفظ ومهذب مما أشعر ويليام فى بداية الأمر بعدم إمكانية التأثير
عليها بأى شكل من الأشكال . بدأ ويليام فور وصوله التفاوض مع
امزارع الذى كان يود شراء حديقة بوكهرست ، وحاول أن يطيل
مدة التفاوض لأكثر وقت ممكن وأقنع كاثرين بروكز بقبول ثلث
القيمة مقابل احتفاظ البنك بالثلثين . وأخيرا وبعد توقيع العديد من
الأوراق القانونية ، لم يبق بوسعه أن يفتلق المزيد من الأعذار تبرير
عدم عودته إلى بوسطن . دعاها للعشاء فى الفندق الذى كان يقيم فيه
وهو عازم على التصريح لها بمشاعره . لم تكن هذه هى المرة الأولى

" أتمنى أن تكون مدركا لم تفعله يا ويليام ."
" ألان إننى أضارب فى سوق المال منذ كنت فى الرابعة عشرة
من عمري ، وأنا أعى جيدا ما أقوم به ."
ولكن مع تواصل ارتفاع سوق المال على مدى صيف ١٩٢٩ ،
توقف ويليام عن البيع وهو يسأل نفسه ما إن كان سيمونس مصيبا
بالفقر فى رأيه .

مع اقتراب تاريخ تقاعد آلان ليويدي ، بدا عزم سيمونس على أن
يخلفه كرئيس للبنك وكأنه أمر واقع . كان هذا الأمر يؤرق ويليام
الذى كان يرى أن تفكير سيمونس شديد التقليدية . كان سيمونس
يسير دائما متأخرا خطوة عن السوق وقد كان هذا أمرا لا بأس به فى
سنوات الازدهار . ولكنه فى نفسه الوقت كان خطرا يهدد البنك
فى الأيام الأكثر صعوبة التى تستخدم فيها بشدة المنافسة . إن
المستثمر الحصيف - من وجهة نظر ويليام - لا يجب أن يسير دائما
وفقا لرأى الجماهير كما لا يجب أن يكون متهورا ، وإنما يجب أن
يعلم مسبقا فى أى اتجاه سوف تسير الجماهير فى الخطوة التالية .
كن ويليام مزال يشعر أن الاستثمار فى سوق المال يبدو غير آمن
بينما كان تونى سيمونس يرى أن أمريكا تدخل عصرها الذهبى .

كانت هناك مشكلة أخرى تؤرق ويليام وهى أن تونى سيمونس
كان لا يزال فى التاسعة وثلثين من عمره ، أى أن ويليام لن يأس
بذلك أن يكون رئيسا لبنك كين وكابوت قيس ستة وعشرين عاما
أخرى . وهو ما يتعارض كلية مع ما كان يطسق عليه فى هارفارد
" خطئى مستقبلية "

التي فاجأته فيها كثيرين . فقبس أن ينوه عن الموضوع + سألته وهي تعبت بطبقها حتى تتجنب النظر إليه إن كان بوسعه أن يبقى لبضعة أيام أخرى في حديقة بوكهرست .

" لنقل إنها فترة إجازة لكلينا " . قالتها في خجل بينما بقي ويليام ملتزم الصمت .

وأخيرا وجدت كاثرين في نفسها الشجاعة لمواصلة الحديث : " أعلم أن هذا جنون ولكنك يجب أن تدرك أنني قد عانيت من الوحدة كثيرا في الآونة الأخيرة . ولكن بشي المذهر هو أنني قد استمتع بتلك الأيام الأخيرة القليلة التي قضيتها معك أكثر من أي وقت مضى " . احمر وجهها خجلا ثانية : " لقد عبرت عن شعوري بشكل سيء ، وسوف تظن بي الآن الظنون " .

شعر ويليام بتسارع نبضه ثم أجاب قائلا : " كات ، لقد كنت أود أن أقول مثل هذا الكلام منذ تسعة أشهر " .

" إذن سوف تبقى لبضعة أيام يا ويليام ؟ "

" نعم يا كات سوف أبقى "

في نيت الليلة أعدت كات لويليام غرفة الضيوف في بوكهرست . في وقت لاحق في حياته ؛ كان كثيرا ما يتذكر هذه الأيام القليلة باعتبارها فترة ذهبية في حياته . كان يمنطق الجياد مع كات وكات تسبقه دائما . كان يسبح معها وكانت تتقدم عليه . كان يسير معها وكان يفقد همته دائما قبلها وأخيرا في إحدى الليالي شاركها لعب البوكر وفاز بثلاثة ونصف مليون دولار في ثلاث ساعات ونصف الساعة .

سألته في إياه : " هل تقبل التعامل بالشيكاكات ؟ "

" لقد نسيت يا سيدة بروكز أنني أعلم حقيقة وضعك المالي . ولكن لدى اقتراح جيد . لم لا نواصل اللعب لحين استعاضتك لهذه الخسارة " .

قالت كات : " هذا يعني أننا سوف نواصل اللعب على مدى سنوات " .

قال ويليام : " سوف أبقى منتظرا " .

وجد ويليام نفسه يقص على كات بعض الأحداث التي وقعت له في الماضي والتي طالما دفنها بداخله ولم يفصح عنها حتى لمائيو نفسه ؛ احترامه لأبيه وحبه لأمه وكرهه السوداء لهنرى أوسبورن وطموحاته لبنك كين وكابوت . وهي يدورها حكمت له عن طفولتها في بوسطن وأيام دراستها في فيرجينيا وزواجها المبكر من ماكس بروكس .

بعد مرور سبعة أيام عندما ذهبت لتودعه في محطة القطار ؛ قبلها للمرة الأولى .

" كات ؛ سوف أقول لك شيئا فظا . أتمنى في يوم من الأيام أن تحملي لي من المشاعر بما فوق ما تكنيه لماكس " .

قالت في هدوء : " لقد بدأت أشعر بالفعل هكذا " .

ثبت ويليام نظره عليها : " لا تبقى خارج حياتي لتسعة أشهر أخرى " .

" لا أستطيع ... فقد بعث منزلي " .

في طريق عودة ويليام إلى بوسطن ؛ شعر بسعادة وسكينة لم يشعر بهما منذ قتل وفاة والده ؛ أخذ ويليام يعد مسودة تقرير عن صفقة حديقة بوكهرست بينما ظلت صورة كات والأيام الخمسة

الماضية ملازمة لخياله . وقبل أن يتوقف القطار مباشرة فى المحطة الجنوبية : كتب بضمة سطور بخط يده المنق ولكن غير المقروء .

كات

أشعر أننى قد بدأت أفنتقدك بالفعل ولم تمنض سوى ساعات قليلة . أرجوك راسلنى وأعلمينى بموعد مجيئك إلى بوسطن . وفى هذه الأثناء سوف أواصل عملى فى البنك وأستطيع القول بأنه يمكننى أن أخرجك من عقلى لفترات طويلة (يمكن أن تتراوح ما بين ٥ إلى ١٠ دقائق) متصلة

مع حتى
وبياه

ما إن ألقى ويليام بالظروف داخل صندوق البريد فى شارع تشلر حتى تبخرت كل أفكاره عن كات عند سماع نداء صبح يستحق الذى أخذ يصيح قائلا :
" انهيار بورصة وول ستريت ! " .

اشترى ويليام على الفور نسخة من الصحيفة وبدأ يقرأ المقالة الرئيسية عن هذا الخطب . كان السوق قد انهار فى يوم وليلة ؛ كان بعض رجال المال لا يرون فى هذا الأمر أكثر من أنه مجرد نصحيح للسوق بينما كان ويبىم يرى فى ذلك بداية الرلزل الذى تنبأ به منذ شهور . هرع إلى البنك وتوجه مباشرة إلى مكتب الرئيس .

قال آلان ليويو وهو يهدئ من روعه : " اعتقد أن سوق المال سوف يستقر ويستعيد قوته على المدى الطويل "

قاد ويليم : " كلا لن يحدث هذا أبدا . إن السوق مكبل بما يفوق طاقته . مكبل بصغار المستثمرين الذين اعتقدوا أنهم سوف يحلون ليحققوا ربحا سريعا والذين سوف يغرون بأموالهم وحياتهم الآن . ألا ترى أن البالون على وشك الانفجار ؟ سوف أبيع كل شيء . مع نهاية هذا العام سوف ينهار سوق المال ، ولقد حذرتك من قبل فى فبراير يا آلان "

" ولكننى مازلت غير متفق معك يا ويليام ومع ذلك فسوف أدعو لعدد جفشان لمجلس الإدارة غدا لكى يناقش وجهات النظر بمزيد من التفصيل

قال ويليام : أشكرك ثم عاد إلى مكتبه واستغف سماعه الهاتف الداخلى

لأنه . لقد نصبت أن أخبرك بأننى قد قبضت بمائة نتي سوف أروجه
سأل الآن : " وهل صرحتك بعد ؟ "
قال ويليام : " كلا "

قال آلان : " فهمت . هذا يعنى أن زواجك سوف يشبه عملك ما ويليم . أى أن أى شخص ذى صلة مباشرة بالأمر لن يعلم إلا بعد اتخاذك أنت للقرار "

ضحك ويليام والتقط سماعة الهاتف الآخر . وباع معظم أسهمه فى البورصة . كان تونى سيمونس قد وصل لتوه . وقف عند الباب المفتوح وأخذ يراقب ويليام وظن أنه قد جن جنونه .

" يمكنك أن تخسر قميصك الذى ترتديه فى يوم وليلة إن بيعت كل هذه الأسهم فى الظروف الراهنة "

أجاب ويليام : " ولكننى سوف أفقد المزيد إن بقيت متمسك بها "

كانت الخسارة التي تكبدها ويليام على مدى الأسبوع التالي والتي زادت على مليون دولار لتهز رجلا أقل ثقة من ويليام وتنتيه عن قراره .

وفى اجتماع مجلس الإدارة فى اليوم التالى ، خسر أيضا التصويت بموجب ثمانية أصوات مقابل ستة أصوات فقط فيما يخص اقتراحه الذى يقضى بتصفية كل أسهم البنك . حيث أقنع تونى سيمونس أعضاء مجلس الإدارة بأن التخلي عن الأسهم وعدم التثبيت به لفترة أطول قليلا سوف يكون تصرفا غير مسئول . ولكن النصر الصغير الوحيد الذى حققه ويليام هو أنه قد أقنع كل المديرين بأن البنك يجب أن يمتنع عن الشراء

ارتفع السوق قليلا فى ذلك اليوم ، مما منح ويليام فرصة لبيع المزيد من أسهمه الخاصة . ومع نهاية الأسبوع الذى واصل فيه المؤشر ارتفاعه على مدى أربعة أيام متواصلة بدأ ويليام يتساءل إن كان قد بالغ فى رد فعله ، ولكن كل خبرته السابقة وحدسه كانا يؤكدان له أنه قد اتخذ القرار الصائب . لم يتفوه آلان ليويده بكلمة . فلم يكن المال الذى خسره ويليام ماله فضلا عن أنه كان يتطلع إلى تقاعد هادئ .

وفى الثانى والعشرين من أكتوبر بدأ السوق يعانى ثانية من خسائر فادحة وتوسل ويليام إلى آلان ليويده للخروج منه بينما الفرصة مازالت سائحة أمامه . وقد أضغى إليه آلان فى هذه المرة وسمح له بأن يصدر أمر بيع ببعض الأسهم الكبرى فى البنك . وفى اليوم التالى ازدادت حالة سوق المال ترديا ولم يعد موقف البنك ذا قيمة بعد أن توقفت حركة الشراء كلية . أصبح بيع الأسهم أشبه بقرار جماعى حيث سعى كل مستثمر صغير فى أمريكا إلى بيع أسهمه من خلال العطاءات للتخلص منها . عم الذعر سوق المال حتى عجز

الشريط التلغرافى الكاتب فى البورصة عن مجازاة التعاملات المالية . لم يدرك التجار حجم الخسارة التي لحقت بهم فى اليوم السابق إلا عند استئناف المعاملات المالية فى الصباح بعد عكوف الموظفين على العمل طوال الليل .

أجرى آلان ليويده محادثة هاتفية مع بنك مورجان ووافق على انضمام كين وكابوت إلى مجموعة البنوك التى سوف تسعى للاندماج من أجل إنقاذ الانهيار القومى فى الأسهم الكبرى . لم يكن ويليام معارضا لهذه السياسة بناء على أنه إن كان هناك جهد جماعى فيجب أن يسهم بنك كين وكابوت فيه . وبالطبع إن نجح الجهد فسوف تتحسن أوضاع كل البنوك . وقد قام ريتشارد ويتنى نائب رئيس التعاملات المالية لبورصة نيويورك وممثل مجموعة مورجان بمهمة التنسيق واستثمر ٣٠ مليون دولار فى سوق المال فى أسهم الرقائق الزرقاء فى صباح اليوم التالى . بدأ السوق يتماسك . وتم تداول ١٢,٨٩٤,٦٥٠ سهم فى ذلك اليوم وبقي السوق مستقرا على مدى اليومين التاليين . كان الجميع يعلمون - بدءا من الرئيس هوفر وحتى العاملين فى المضاربة - أن الأسوأ مازال فى انتظارهم .

كان ويليام قد باع كل أسهمه الخاصة تقريبا وكانت خسارته الشخصية تقل كثيرا نسبيا عن خسارة البنك الذى خسر أكثر من ثلاثة ملايين دولار فى أربعة أيام ، حتى تونى سيمونس كان قد عاهد نفسه عندها على الأخذ بكل مقترحات ويليام . وفى ٢٩ أكتوبر - الثلاثاء الأسود - كما عرف فيما بعد - انهيار السوق ثانية . حيث تم طرح ستة عشر مليوناً وستمائة وعشرة آلاف وثلاثين سهماً للبيع . وقد أدركت كل البنوك على مستوى البلد وقتها أن الحقيقة هى أنهم جميعا قد أفلسوا . لى أنه إن سعى أى عميل من عملائهم إلى طلب أموال نقدية أو إن سعى أى بنك فى المقابل إلى المطالبة

بسداد قروضه المستحقة قموف ينهار النظام المصرفى بأسره فوق رؤوسهم .

بدأ اجتماع مجلس الإدارة فى التاسع من نوفمبر بدقيقة حداد على جون جى ريوارد ؛ رئيس الخزانة المالية للدولة وأحد مديرى بنك كين وكابوت والذى كان قد أطلق النار على نفسه داخل منزله . كانت هذه هى حالة الانتحار الحادية عشرة فى الدوائر المصرفية لبوسطن على مدى أسبوعين . كان الرجل الذى توفى صديق شخصيا مقرب من آلان ليويو . وقد صرح الرئيس وقتها أن كين وكابوت كان قد خسر ما يقرب من ٤ ملايين دولار كما أن مجموعة مورجان كانت قد فشلت فى الاندماج أى أنه كان من المفترض فى ظل هذا الوضع أن يعمل كل بنك منفصلا للحفاظ على مصالحه . كانت الازمة قد أطاحت بكل المستثمرين الصغار . أما المستثمرون من أصحاب الثقل والمكانة فقد كانوا يعانون من مشاكل عصبية فى السيولة . كانت الجماهير الغاضبة قد أحاطت ببنيوك نيويورك وكان على البنوك أن تشدد من إجراءات الأمن والحماية بإمداد طاقم الحرس القديم بالمزيد من أفراد الحراسة المدربين . قال آلان إن استمرت الحال هكذا لمدة أسبوع آخر ، فسوف نسحق جميعا ، وقد عرض استقالته على أعضاء مجلس الإدارة ولكنها قوبلت بالرفض لأن موقفه كرئيس للبنك لم يكن يختلف عن موقف أى رئيس بنك آخر من البنوك الأمريكية الكبرى . كما سعى تونى سيمونس هو الآخر لتقديم استقالته ولكن زملاؤه المديرين رفضوها بدورهم . وقد بدا أن تونى لم يعد يتطلع لأن يحل محل الرئيس ، أما ويليام فقد التزم صمتا مطبقا .

وكحل وسط ، تم إرسال سيمونس إلى لندن لكى يتولى أمر الاستثمارات الخارجية . لكى يبقى بعيدا عن الضرر ، ووجد ويليام

نفسه مسئولا - بعد رحيل سيمونس - عن إدارة الاستثمار ومسئولا عن الاستثمار داخل البنك . وقد دعا ويليام على الفور ماثيو ليستر لكى يكون مساعدا له . وفى هذه المرة لم يبد آلان ليويو أى اعتراض .

وافق ماثيو على الالتحاق بالعمل مع ويليام فى وقت مبكر من ربيع - كانت هذه هى أقرب فرصة يمكن أن يسمح به فيها وبيد بمقدرته . لم يكن بنك ليستر خاليا من المشاكل . وهكذا أدار ويليام قسم الاستثمار بنفسه لحين وصول ماثيو . كان شتاء عام ١٩٢٩ شتاء قاسيا بالنسبة لويليام حيث شهد انهيار الشركات المصرفى وكذلك الكبرى التى كانت مملوكة لكبار رجال الأعمال المرموقين الذين عرفهم طوال عمره فى بوسطن .بقى ويليام لبعض الوقت يسأل نفسه إن كان بنك كين وكابوت نفسه سوف ينجح فى الصمود فى ظل هذه الأزمة .

وفى عيد رأس السنة ، قضى ويليام أسبوعا رائعا مع كات ، وساعدها على جمع بقسيتها وحرصها فى صندوق تذهب لموديتب إلى بوسطن : (إنه البيت الذى سمح لى كين وكابوت بالاحتفاظ به ؛ قالتها وهى تضحكه) . أما الهدايا التى قدمها لها ويليام فقد ملأت صندوقا عن آخره . وقد أثار هذا الكرم المفرط حرج كات . قالت كات مازحة " ما الذى يمكن أن تقدمه لك أرملة معدمة فى المقابل ؟ " .

فما كان من ويليام إلا أن ساعدها على الانهماك فى حزم الصندوق المتبقى ووضع لاصق يحمل عبارة "هدية ويليام" . عاد ويليام إلى بوسطن مرتفع المعنويات ؛ آملا فى هذه المرة أن تكون الفترة التى قضاها مع كات بمثابة بداية لعام أفضل . جلس ويليام فى مكتب توفى سيمونس القديم للاطلاع على بريد الصباح ؛

علما منه بأنه يجب أن يعد نفسه لاثنتين أو ثلاثة من لقاءات التصفية المعتادة التي يمر بها أسبوعيا . سأل ويليام السكرتيرة عن اسم الشخص الذي سوف يلتقى به في أول موعد .
" أخشى أنه إفلاس آخر يا سيد كين " .

قال ويليام : " أجل بالطبع مازلت أتذكر هذه الحالة " . لم يكن الاسم يعنى شيئا بالنسبة له . وواصل : " قرأت الملف ليلة أمس ، ياله من حظ عاثر ، متى يحين الموعد ؟ "
" في العاشرة . ولكن الرجل قد وصل بالفعل وهو منتظر في قاعة الاستقبال لمقابلتك يا سيدى "
قال ويليام : " حسنا . أرجوك دعيه يدخل . دعينا ننهى هذا الأمر " .

فتح ويليام الملف ثانية لكي يذكر نفسه سريع بالوقوع المهمة كان هناك خط مسطور تحت اسم العميل الأصلي ؛ ديفيز ليروى . ولكن الاسم كان قد استبدل باسم الزائر الذى حل محله .. السيد هابيل روزنوفسكى .

لقد تذكر ويليام بمنتهى الدقة تفاصيل آخر حديث جرى بينه وبين السيد روزنوفسكى ، وكان يشعر بالفعل بالأسف من أجله .

الفصل السادس عشر



استغرق هابيل ما يقرب من ثلاثة أشهر كاملة إلى أن تبين حجم الشكر الذى تواجهه فندق ريكوموند كوينستون والأنساب التى تقف وراء خسائره الفادحة . كانت النتيجة الوحيدة التى خلص إليها بعد اثني عشر أسبوعا من البحث والتدقيق أشعر خلالها بآقى أفراد طاقم العمل بأنه نصف نائم ؛ هى أن أرباح الفندق تتعرض للنهب . كان كل طاقم العاملين فى فندق ريكوموند يتبعون نظاما محكما لسلب الأموال لم يكن هابيل قد شهد مثله من قبل . ولم يكن هذا النظام - مع ذلك - قد وضع فى حسيانه ظهور مساعد مدير جديد فرض عليه أن يسرق الخبز من الروس لكى يبقى على قيد الحياة . كانت المشكلة الأولى التى جابهته هى ألا يعلم أى شخص بما توصل إليه إلى أن تمنح له فرصة مراقبة كل قسم من أقسام الفندق مراقبة دقيقة . لم يمض وقت طويل قبل أن يكتشف أن كل قسم من أقسام الفندق كان قد وضع نظامه الخاص بالسرقة .

كان النهب يبدأ من مكتب الاستقبال حيث كان الموظفون يعمدون إلى تسجيل أسماء ثمانية عملاء فقط من بين كل عشرة عملاء والاستيلاء على الفارق . كان النظام المتبع نظاما سهلا ، وكان يمكن كشفه واقتضاح أمره في غضون دقائق معدودة لو حاول أحدهم في أى فندق آخر . كان مدير قسم الاستقبال يختار أى زوجين مسنين كانا قد حضرا من أى ولاية أخرى الليلة واحدة فقط . وكان يسعى للتأكد بشكر حفي من أن الزوجين ليست ليثب سافلات عمر في لمدينه ومن ثم لا يقوم بتدوين اسميهما في السجلات بحرصه سافندى . فان قد سداد ثمن الإقامة نفذا في صباح يوم اسرى لا يتم سديدته في حرنه للسدى . وما لم يوقع أى منهم على بئسجر - فلن يكون هناك رسم على تواجدهم في الفندق وقد عيذ هابيل دانف ر كي لمانو يفرض تسخير أسماء كل للزلا . كان فندق يلاز ينفق راند سافندى

أما نحن فاعلموا أن الطعم عند كرم الضم لم يكن كثيراً
حيث كان يتم بالطبع لاسبلاء على الأصول العقيمة على كرم
يسدهد الرأى من غير تقدير في العبق على بعداً أو العشاء
كان هابى قد توقع ذلك ولكن سيعرف وفقاً أنطون قبل أن
يتحقق من ذلك من خلال فواتير حساب المطعم الخاصة بالعمد
الذين قرر القسم عدم توزيعهم في السجلات وفصلاً عن ذلك كانت
هذه قصة حيلة غير حقيقية من أعمال الإصلاح والتزوير ومعدت
المفقودة والطعم المفقود والاعطية والملاءات المفقودة على
وأحياناً مرات مفقودة بعد تعحص كل قسم بمنهى الدقة
خلع مدير إلى أن نصف فريق عمل في فندق ريكورد متوطى
ولأنه لا يوجد قسم واحد برى من هذه الممارسات

عندما وصل هابيل إلى فندق ريكوموند في بداية الأمر ، كان يسأل نفسه عن سر عدم ملاحظة المدير ديسموند بأسى لكل ما يجرى من حوله وتحت سمعه وبصره طوال هذه الفترة . وقد افترض خطأ أن الرجل كان باليداء ولم يكن يزج نفسه بمتتبع الشكاوى ، حتى هابيل نفسه تأخر في إدراك أن المدير الخايم كان هو العقل المدبر لكل ما يجرى داخل الفندق ، أما سبب سير النظام بكل هذا لا حكاية فهو أن ناسي كان يعمل في مجموعته ريكوموند على مدى أكثر من ثلاثين عاما . لم يكن هناك فسد واحد من بين فندق المحبوسه لم يشغل فيه ناسي وضعة كبرى مما جعل هابيل يخشى السير بسبله القذو بأسرها . اما ما راد الوضع سوء فهو أن ديسموند ناسي نفسه كان صديق شخصيا بديور ليروى . كان فسد ريكوموند شكاوى يختم أكثر من ٣٠ ألف دولار سنويا وكان هابيل سوسيتيه لم يمكن ندرت هذا الامر كيه بين يوم ويومه بطرد ناسي كبره من العاملين وعلى رأسهم ديسموند ناسي ولكن هذا كان مقاداة بشكله لأن بديور يروى على مدى ثلاثين عام لم يلجأ إلى قسرى أى موظف منه لا فيق ندر لأنه كان بعيد بهبته إلى محرم غيب ، المشكل على أنس أن رجل في يوم من الأيام وقد خلص هابيل من خلال هذه المعلومات إلى أن هذا يعنى أن العاملين في فندق ريكوموند سوف يوصلون بهب الفساد حتى من التمتع

وقد أدرك أن الطريقة الوحيدة التي يمكن أن يتخذ بها سرقة
الغرفة هي أن يقدم كشف حساب مستفيد من ريفير ليروى بعد أن
تغمد اعلم على هذا القرار توجه في بداية عام ١٩٢٨ . على متن
جارب إكسبرس من بليويس الوسطى إلى سانت لويس عن طريق
لمحيط ، الهدى إلى أن وصل إلى دالاس كان يحمل معه بقبصا
هولفا من مائتي صفحة كان قد أعدده على مدى ثلاثة أشهر كاملة

واستكمل أوراقه داخل غرفته الصغيرة في ملحق الفندق . عندما فرغ ديفيز ليروي من قراءة أكوام الأدلة : جلس يحدق في هايبيل في استياء وخيبة أمل .

" كل هؤلاء الأشخاص أصدقائي " : كانت هذه هي أول كلماته وهو يخلق الملف " بل إن بعضهم قد صحتني لأكثر من ثلاثين عاما . كانت القلائل تحوم دائما حول هذا العمل ولكنك الآن تخبرني بأنهم جميعا يتهبونني دون أن أدري " قال هايبيل : " بعضهم ، في تقديري ، على مدى ثلاثين عاما "

قال ليروي : " ولكن بحق لسم ، ما الذي يمكن أن أفعله آدم كـ هذا ؟ "

" يمكنني أن أتصدى لهذا الفساد فقط إن أقلت ديسموند باسي وأطلقت يدي في تسريح كل من تورط في كل هذه الأفعال . "

" كم كنت أتفنى يا هايبيل أن يكون الحل في مثل هذه البساطة . "

قال هايبيل : " إن المشكلة بالفعل بهذه البساطة وإن لم تدعني تعمر مع كل متورطين فسوف أقدم سن ستدعني في الحال لأنني لن أفعل في أحد أكبر الفنادق فسادا في أمريكا . "

" ألا يمكن أن نكتفي بنقل ديسموند باسي من وظيفة مدير إلى نائب مدير ، بحيث تكون أنت المدير وتصبح المشكلة برمتها تحت سيطرتك "

أجاب هايبيل : " أبدا . مازال قد بقي لباسي عاصان على التقاعد ، إنه يملك قبضة قوية على كل العاملين في فنادق ريكوموند . ومع بلوغه سن التقاعد سوف تكون أنت قد توفيت أو أفلس ، أو هما معا ، أعتقد أن باقي سلسلة فنادقك تمنح بمثل هذا

الفساد . إن كنت تريد أن تصلح الأوضاع في شيكاغو فيجب إما أن تتخذ قرارا الآن أو أن تتحمل بمفردك مسئولية ما يجري . أريد ردا فوريا بالرفض أو القبول . "

" لقد اشتهرنا نحن الجنوبيين يا هايبيل بأننا نحكم عقولنا دائما . حسنا ، حسنا سوف أقوض لك الأمر كاملا وأمنحك السلطة الكاملة من هذه اللحظة . تهانينا . أنت المدير الجديد لريكوموند شيكاغو . تهانينا . انتظر إلى أن يعرف آل كيوني بوصولك إلى شيكاغو ، سوف يفضل وقتها أن ينقسم إلى هنا في هدوء وسكينة لجيوب العربي العظيم هايبيل بي - واصر سيروي حديثه وهو يقف ويربت على كتف امدير الجديد - لا تعتقد أنني غير مبتهن ما قلت به . فقد قمت بعمل رائع في شيكاغو ومن الآن فصاعدا سوف أعتبرك ساعدي الأيمن . ولكي أكون صادقا معك فإنني أصارحك بأنني قد أبليت بلاءا حسنا في بورصة المال مؤخرا مما حال دون التفاتي إلى حجم الخسائر ، لذلك فإنني أحمد الله لأنني حظيت بصديق أمين . لم لا تبیت هنا الليلة لكي أدعوك ل تناول العشاء "

" يسعدني مشاركتك العشاء يا سيد ليروي ولكنني أريد أن أقضي الليلة في ريكوموند دالاس لأسباب شخصية . "

" لن تدع لأحد فرصة بأن يفلت من قبضتك ، أليس كذلك يا هايبيل ؟ "

" إن كان هذا بوسمي . "

في مساء هذا اليوم دعا ديفيز ليروي هايبيل إلى عشاء حافل وصرح له بأنه كان يفكر في إيكال مهمة إدارة مجموعة ريكوموند إلى شخص آخر لأنه يريد أن يزيح هذا العبء عن كاهله . "

قال هايبيل : " هل أنت واثق من أنك تريد الإيقاع بهؤلاء ؟ "

" إنه أنا يا هابيل الذى وقع فى الفخ . لو لم تكشف هؤلاء اللصوص لكنت قد غرقت . ولكن بما أنتى قد عرفت الحقيقة فإننا سوف نتخلص منهم جميعا سويا وسوف أمنحك الفرصة لكى تعيد مجموعة ريكيموند إلى الخريطة . "

قال هابيل : " فلنتقدم إلى العمل ونوقف هؤلاء المجرمين عند حدهم . "

" اقض عليهم يا فتى . "

قضى هابيل ليلته فى فندق ريكيموند دالاس تحت اسم مستعار وأصر على التأكيد لموظف الاستقبال بأنه لن يقضى سوى ليلة واحدة فقط . وفى الصباح عندما شاهد النسخة الوحيدة من إيصال النقود التى دفعها ملقاة فى سلة المهملات ، تأكد أن شكوكه كانت فى محلها . لم تكن المشكلة مقصورة على فندق شيكاغو . ولكنه قرر أنه يجب أن يصلح شيكاغو أولا ثم يلتفت بعدها لباقي فنادق المجموعة . أجرى اتصالا هاتفيا واحدا بديفيز ليروى كى يخبره بأنه قد تأكد من أن الوياء كان متفشيا فى باقى فنادق المجموعة .

عاد هابيل إلى شيكاغو . بدت أودية المسيبى من خلال نوافذ القطار ، عابسة الوجه إثر الفيضانات التى كانت قد اجتاحتها فى العام السابق . تذكر هابيل الدمار الذى سوف يتسبب فيه فور عودته إلى ريكيموند شيكاغو .

عندما وصل إلى هناك ، لم يكن هناك حارس أمن ليلى يقف عند باب الفندق وإنما فقط موظف واحد . قرر هابيل أن يدعهم جميعا يحظون بليلة نوم مريحة قبل أن يودعهم . فتح له نادل صغير الباب الأمامى للفندق بينما كان يشق طريقه نحو الملحق .

سأل الغلام : " هل كانت رحلة جيدة يا سيد روزنوفسكى ؟ "

" نعم - أشكرك . كيف سارت الأمور هنا ؟ " .

" لقد كانت هادئة للغاية " .

قال هابيل لنفسه : " وسوف تكون أكثر هدوءا فى نفس الوقت من الغد ، عندما لن يبقى من أفراد طاقم العمل أحد سواك أنت . "

أفرغ هابيل محتويات حقيبته وطلب وجبة خفيفة من خدمة التوصيل للغرف لم تصله إلا بعد ما يقرب من ساعة . عندما فرغ من تناول قهوته ، خلع ملايسه وأخذ حماما باردا وراح يراجع خطته لليوم التالى . كان قد اختار وقتا سنويا جيدا لمذبحته . كان الوقت بداية شهر فبراير وكانت نسبة الإشغال لا تزيد على ٢٥ بالمائة وكان هابيل واثقا من أنه سيستطيع أن يدير الفندق بنصف طاقمه الحالى . صعد إلى فراشه وقذف الوسائد على الأرض ونام فى سبات عميق مثل باقى أفراد الطاقم الغافلين .

كان ديسموند باسى الذى كان مشهورا فى فندق ريكيموند باسم باسى الكسول فى الثالثة والستين من عمره . كان أيضا بدينا بشكل لافت كما كان بطيء الحركة فوق ساقه القصيرة .

كان ديسموند باسى قد شهد مجيء ورحيل سبعة مديرين فى ريكيموند . كان بعضهم جشعا يريد أن يأخذ أكثر من " نصيبه " بينما بدا البعض الآخر عاجزا عن فهم الطريقة التى يعمل بها النظام . وكان باسى قد اعتقد أن الفتى البولندى لم يكن أكثر ذكاء من غيره . همهم باسى فى نفسه وهو يتقدم ببطء نحو مكتب هابيل للقاء العاشرة العتاد بينهما . كانت الساعة العاشرة وسبع عشرة دقيقة .

قال المدير وهو لا يبدو أسفا بالمرة : " آسف لتأخرى " .

لم يعلق هابيل .

" لقد انشغلت بأمر ما فى مكتب الاستقبال ، أنت تعرف الحال " .

كان هابيل يعرف تحديدا كل ما كان يجرى فى مكتب الاستقبال . فتح درج مكتبه ببطء ووضع أمامه أربعين فاتورة ممزقة من فواتير الفندق ؛ كان بعضها ممزق إلى أربع قطع وبعضها الآخر ممزق إلى خمس قطع ، كان هابيل قد جمعها من سلات المهملات وطفايات السجائر وكانت جميعها للعملاء الذى كانوا يسددون حسابهم نقدا بدون أن يتم تدوين أسمائهم فى سجلات الفندق . أخذ هابيل يراقب الرجل البدين وهو يحاول أن يتبينها ويقلبها رأسا على عقب .

لم يتمكن ديسموند باسى من تبيين الأمر جيدا . ليس لأنه كان يكثر بحق وإنما لم يكن هناك ما يمكن أن يقلقه . إن كان الفتى البولندى الأحق قد اكتشف الأمر فيمكنه إما أن يقبر حصته وأن يغادر المكان . كان باسى يسأل نفسه عن النسبة التى يمكن أن يقبل بها هابيل . ربما يمكن أن يسكت مقابل الحصول على غرفة أنيقة فى الفندق .

" أنت مفصول يا سيد باسى وأريدك أن تغادر المكان فى غضون ساعة " .

لم يستوعب ديسموند باسى ما يقوله هابيل لأنه لم يصدق .

" ما الذى قلت ؟ أظن أننى لم أسمعك جيدا " .

قال هابيل : " بل سمعتنى جيدا . أنت مفصول " .

" لا يمكنك أن تفصلنى فأنا المدير وقد عملت فى فندق ريكوموند منذ أكثر من ثلاثين عاما . إن كان هناك أى فصل يجب أن يتم فأنا الذى سوف أتخذه . من تظن نفسك يحق السماء ؟ "

" أنا المدير الجديد " .

" أنت ماذا ؟ "

كرر هابيل : " المدير الجديد . لقد عيننى السيد ليروى بالأمس وقد طردتك يا سيد باسى " .
" لم ؟ " .

" بسبب السرقة والنهب المتفشى فى الفندق " . أدار هابيل الفواتير لكى يراها الرجل جيدا . " كل نزيل من هؤلاء النزلاء قد سدد فواتيره بدون أن يصل ملهم واحد إلى خزانة فندق ريكوموند . وكل هذه الفواتير تحمل شيئا مشتركا واحدا وهو توقيعك الشخصى " .

" لا يمكنك أن تثبت شيئا ولو بعد مائة عام " .

قال هابيل : " أعلم . لقد كنت تتبع نظاما محكما . حسنا يمكن أن تطبق نفس نظام فى مكان آخر لأنه قد اكتشف أمرت هنا . هناك حكمة بولندية قديمة يا سيد باسى تقول بأن المرء يبقى حاملا للماء إلى أن ينكسر مقبض الدلو . وقد انكسر مقبض دلوك وأنت مفصول " .

قال باسى وقد بدأ العرق يتصبب على جبينه : " أنت لا تملك سلطة فصلى من العمل . إن ديفيز ليروى صديقى الشخصى المقرب ، وهو الشخص الوحيد الذى يملك حق فصلى . إنه حتى إن يصغى إليك إن تحدثت معه . يمكننى أن أطردك خارج هذا الفندق بمكالمة هاتفية واحدة " .

قال هابيل : " هيا افعل " . ثم التقط سماعة الهاتف وطلب من عامل الهاتف أن يطلب ديفيز ليروى فى دالاس . جلس الرجلان فى الانتظار وكل منهما يحدق فى الآخر . كان العرق عندهما قد غطى أنف باسى . لوهلة ، تشكك هابيل فى مدى حزم رئيسه .

" صباح الخير يا سيد ليروى ، أنا هابيل روزنوفسكى من شيكاغو . لقد فصلت السيد ديسموند ياسى لتوى وهو يريد أن يتحدث معك " .

التقط ياسى سماعة الهاتف بيد مرتعشة . استمع لبضع دقائق قليلة ثم قال :

" ولكن يا ديفيز ما الذى كان يمكن أن أفعله ؟ أقم لك أن هذا ليس صحيحا ، لا بد أن هناك خطأ " .

سمع هابيل سماعة الهاتف وهي تغلق من الطرف المقابل . قال هابيل : " ساعة واحدة يا سيد ياسى وإلا فسوف أقدم هذه لفوربير إلى قسم شرطة شيكاغو " .

قال ياسى : " والآن انتظر لحظة ولا تكون أرعن " . تغيرت لهجته وسوكة فجأة . يمكننا أن نظلمك على النظام يا كمله يمكنك أن تحصل على مقابل ماضى ثبت مسبقا ، أدركنا هذا الفندق سويا . سوف نكسب جميع سوف نحسن على متاجر ماضى يفوق ما تحصل عليه كمساعد مدير وكلنا نعلم أن ديفيز يمكن أن يتحمل الخسائر " .

" لم أعد مساعد المدير يا سيد ياسى . أنا المدير . اخرج من هنا قبل أن ألقى بك فى الخارج " .

قال المدير السابق بعد أن أدرك أنه قد أحرق بطاقته الأحمر وخسره . أنت بولندى حقير . يجدر بك أن تبقى عينيك مفتوحتين عن آخرهما لأتتى سوف أقطعك إربا " .

غادر ياسى المكتب . وبحلول موعد الغداء كان قد لحق به فى الشارع عدد كبير من التمدل وكبير الطهاة وكبير الخدم ومدير التوظيف وكبير البوابين وسبعة عشر عضوا من أعضاء طاقم عمل ريكيموند الذين كانوا قد فقدوا مصداقيتهم من وجهة نظر هابيل .

وفى ظهيرة نفس اليوم ، دعا هابيل لعقد اجتماع لباقي الموظفين وشرح لهم تفصيليا سبب ما فعله وأكد لهم أنهم بمنأى عن الخطر . قال هابيل : " ولكننى إن وجدت دولارا واحدا ، أكرر ، دولارا واحدا ناقصا ، فإن الشخص المتورط سوف يفصل من فوره فى التو واللحظة . مفهوم ؟ " .

لم ينطق أحد بكلمة . ترك العديد من أفراد طاقم العمل فى ريكيموند العمل فى الفندق على مدى الأسابيع القليلة التالية عندما أدركوا أن هابيل لا يسعى لإزالة نفس النظام الذى كان يتبعه ديسموند لصالحه . تم استبدالهم جميعا بسرعة .

وبنهاية ~~مارس~~ مارس ، كان هابيل قد استقدم أربعة موظفين من فندق ~~بلازا~~ بلانك للعب ~~في~~ ريكيموند . كان هناك ثلاثة أشياء مشتركة بينهم وهو ~~هم~~ كانوا صغار السن وكانوا طموحين وأمناء . وفى غضون ستة أشهر . لم يبق إلا ٣٧ موظفا من أصل ١١٠ موظفين كانا ~~يعملون~~ فى الفندق . وبنهاية العام الأول . حتمس هابيل مع السيد ديفيز ليروى بالربح الذى حققه فندق ريكيموند شيكاغو . كان الفندق قد حقق ٣٤٦٨ دولار كإرباح . كان الربح قليلا ولكنه كان الربح الأول الذى حققه الفندق فى ثلاثين عاما . كان هابيل قد حقق ربحا يفوق ٢٥ ألف دولار فى عام ١٩٢٩ .

وقد انبهر ديفيز ليروى بإنجازات هابيل وكان يزور شيكاغو مرة واحدة شهريا وبدأ يعتمد كلية على هابيل . كما أنه بدأ يقتنع بأن ما كان يجرى فى فندق ريكيموند شيكاغو لا بد أنه يجرى فى باقى فنادق المجموعة . ولكن هابيل كان يريد أن يطمئن أولا إلى سير العمل فى انمسياب ونظام ونزاهة وربحية قبل أن يتفرغ لمشاكل باقى

سلسلة الفنادق . وقد وافقه ليروى فى ذلك ثم حادثه فيما بعد فى أمر الشراكة إن نجح هابيل فى إصلاح باقى فنادق المجموعة .

بدأ الاثنان يخرججان لحضور مباريات البيسبول والمباقات أثناء فترة تواجد ديفيز فى شيكاغو . وفى إحدى المرات ، عندما خسر ديفيز ٧٠٠ دولار على مدى ستة سباقات ، أطاح بذراعيه فى الهواء بلامبالاة وقال صائحا : " ما الذى يضيرنى فى خسارة سباق الجياد يا هابيل ؟ فأنت أفضل ما راهنت عليه " .

كانت ميلانى ليروى تحرص على تناول العشاء مع والدها أثناء زيارته . كانت لطيفة وجميلة ذات وجه نحيف ورشيقة القوام . وكانت تعامل هابيل بشيء من التعالى معا ثبط من عزم الطموحات لنى كان يطمح إليها مع فلا من لب لم بدعه يوما إلى اسبندر لقب " الأتسة ليروى " بد "ميلاتى " إلى أن اكتشفت أن هابيل يحمل شهادة فى العلوم الاقتصادية من جامعة كولومبيا وعرفت بشأن حسابه فى البنك . أبدت ميلانى بعدها ، شيئا من التلطف مع هابيل وبدأت من حين إلى آخر تتناول معه العشاء على انفراد فى الفندق وتطلب منه المساعدة فى دراستها أثناء استعدادها لنيل شهادة الآداب من جامعة شيكاغو . بدأ هابيل بعدها بتشجيع قليلا ويدعوها من وقت إلى آخر لحضور الحفلات الموسيقية والعروض المسرحية ثم بدأ يشعر بشيء من الغيرة عندما كانت تحضر لتناول العشاء فى الفندق بصيحة بعض الرجال بالرغم من أنها لم تحضر مرتين مع نفس الصحبة .

كان المطبخ قد تحسن فى الفندق على يد هابيل إلى الحد الذى دفع قاطنى شيكاغو الذين لم يلحظوا حتى وجود الفندق على مدى ثلاثين عاما ؛ إلى حجز موائد للعشاء مساء أيام السبت . وقد أعاد

هابيل التصميم الداخلى للفندق للمرة الأولى على مدى عشرين عاما وألبس طاقم العاملين زيا أنيقا أخضر مذهباً . حتى أن أحد نزلاء 'الفندق الذى كان قد دأب على الإقامة فيه لمدة أسبوع كامل من كل عام ظن أنه قد أخطأ المكان وعاد من حيث أتى فور دخوله من الباب الأمامى . عندما حجز آل كابون حفل عشاء لستة عشر شخصا فى غرفة خاصة للاحتفال بعيد ميلاده الثلاثين ، أدرك هابيل أنه قد أصاب الهدف .

. . .

نمت ثروة هابيل الشخصية على مدى هذه الفترة فى ظل انتعاش السوق . كان يملك عندما ترك البلازا منذ ثمانية عشر شهرا ٨٠٠٠ دولار بينما أصبح يملك الآن أكثر من ٣٠ ألف دولار . كان واثقا من أن السوق سوف يواصل ارتفاعه لذا كان يعيد دائما استثمار أموال الفوائد . كانت متطلباته الشخصية مازالت متواضعة للغاية . كان قد اقتنى بدلتين جديدتين وأول حذاء بنى له . وكانت إقامته وغذاؤه على حساب الفندق كما أنه لم يكن ينفق سوى القليل . كان كسل شيء يتنبأ له بمستقبل مشرق . كان بنك الكونتينيونتال تراسست هو الذى يدير حساب فندق ريكوموند منذ أكثر من ثلاثين عاما ، لذا حرص هابيل على إيداع حسابه فى نفس البنك فور وصوله إلى شيكاغو . كان فى كل يوم يذهب إلى البنك لكى يودع أموال الفندق عن اليوم السابق . وقد فوجئ فى أحد الأيام وكان صباح جمعة بأن مدير البنك قد طلب مقابلته . كان واثقا من أنه لم يفرط فى السحب من حسابه الشخصى لذا فقد افترض أنه يريد أن يلتقى به بشأن ريكوموند شيكاغو . ولكن لا يمكن أن يكون البنك سوف يشكو من

حساب الفندق لأول مرة منذ ثلاثين عاما . قاد أحد صغار الموظفين هابيل عبر مجموعة من الردهات إلى أن وصل إلى أحد الأبواب الخشبية الأنيقة . طرق على الباب طرقا رقيقا ثم أدخله لمقابلة المدير .

قال الرجل الجالس خلف المكتب وهو يمد لهابيل يده لمصافحته قبل أن يدعو للجنوس على أحد المقاعد ذات الأزرة الخضراء : " اسمى كورتيس فنتون " . كان رجلا مهندما ممتلئ القوام يرتدى نظارة طبية وقميصا ذا ياقة بيضاء محكمة ورابطة عنق سوداء متناسبة تماما مع الحلة المؤلفة من ثلاث قطع .

قال هابيل في عصبية : " أشكرك " كانت الأحداث قد أعادت له ذكريات الأوقات التي كان يشعر فيها بالتشكك والتخوف مما سوف يحدث لاحقا .

" كنت أريد أن أدعوك لتناول الغداء يا سيد روزنوفسكى " هدأت دقات قلب هابيل لأنه كان يدرك جيدا أن مديري البنوك لا يدعون أحد للغداء عندما تكون لديهم أنباء سيئة .

" ولكن هناك أمرا ما قد دفعني إلى لقائك على الفور لذا تمنى ألا يزعجك أن أطرح عليك الأمر بدون أى تأخير سوف أكون محمدا يا سيد روزنوفسكى . أحد عملائي ، سيدة كبيرة تدعى إيمى ليروى " دفع الاسم هابيل إلى أن يستقيم فى جلسته فى الحال . تملك خمسة وعشرين بالمائة من أسهم مجموعة ريكومند . وكانت قد عرضت على أخيها السيد ديفيز ليروى شراء حصتها عدة مرات فى الماضى ، ولكنه لم يبد أى اهتمام بالأمر . أنا أفهم بالطبع مبررات السيد ليروى ، فهو يملك بالفعل خمسة وسبعين بالمائة من الأسهم وأجرؤ على القول بأنه لا يعبأ بالخمسة وعشرين بالمائة المتبقية والتي كانت الشركة التي أخلفها لهما والدهما الراحل . ومع

ذلك فإن السيدة إيمى ليروى مازالت حريصة على بيع أسهمها لأنها لم تحصل مقابلها على أية أرباح " لم يندش هابيل لسماع هذا النبأ .

" كان السيد ليروى قد أخبرها بأنه لا يمانع فى أن تبيع حصتها وهي تشعر أنها فى مثل سننها هذا تفضل أن تملك أموالا نقدية لكى تنفقها الآن بدلا من أن تعيش على أمل تحقيق المجموعة للربح فى يوم من الأيام . لذلك فقد قررت يا سيد روزنوفسكى أن أطرح عليك الأمر لأنك ربما تعرف شخصا معنيا بأمور الشراء وقد تكون لديه رغبة فى شراء حصة عديلتنا " .

سأل هابيل : " وما هو المبلغ الذى تتطلع إليه السيدة ليروى مقابل حصتها ؟ " .

اعتقد أنها سوف تسعد إن حصلت على مبلغ قليل لا يتعدى خمسة وستين ألف دولار " .

قال هابيل : " خمسة وستون ألف دولار مبلغ مرتفع مقابل فندق لم يسجل أية أرباح . كما أنه ليس من المأمول أن يحقق أرباحا على مدى عدة سنوات قادمة أيضا " .

قال كورتيس فنتون : " أجل ولكن يجب أن تضع فى الحسبان قيمة الأحد عشر فندقا الأخرى أيضا " .

" ولكن إدارة الفندق سوف تبقى فى يد السيد ليروى مما يجعل حصة السيدة ليروى الخمسة وعشرين بالمائة لا تعدو بعض قصاصات من الورق " .

" ترو قليلا يا سيد روزنوفسكى . إن خمسة وعشرين بالمائة من أحد عشر فندقا مقابل خمسة وستين ألف دولار فقط سوف يكون استثمارا رائعا " .

" ليس مع هيمنة ديفيز ليروى على الإدارة . اعرض على السيدة ليروى أربعين ألف دولار يا سيد فنتون ، وقد أكون عندها قادرا على العثور على مشتر لحصتها "

" ألا تعتقد أن هذا الشخص يمكن أن يرفع السعر قليلا يا سيد روزنوفسكى ؟ " قالها السيد فنتون وهو يرفع حاجبيه مع كلمة يرفع .

" ولا سنأ واحدا يا سيد فنتون . "

قبض مدير البنك على أطراف أصابعه فى خفة ، تعبيرا عن رضاه لما توصل إليه مع هابيل .

" فى هذه الحالة ، لا يعنى سوى أن أراجع السيدة إيمى فى الأمر بكى أعرف رأيها . سوف أعاود للاتصال بك ثانية بما أن أصل إلى قرار " .

بعدما غادر هابيل مكتب كورنيس فنتون ، كان قلبه يخفق بنفس السرعة التى كان يحقق بها قبل دخول مكتبه . خرج عندها إلى الفندق لمراجعة حسبه الشخصى . كان حساب مضاربه فى سوق المال يصل إلى ٣٣,١١٢ ألف دولار ، وحسابه الشخصى يصل إلى ٣,٠٠٨ ألف دولار . حاول هابيل بعدها أن يؤدى أعماله اليومية اعتادة بشكل طبيعى ولكنه وجد صعوبة فى التركيز بينما كان يسأل نفسه عن استجابة السيدة إيمى ليروى للعرض الذى قدمه . أخذ يحلم بشأن ما يمكنه عمله إن امتلك ٢٥ بالمائة من أسهم مجموعة ريكوموند .

تردد هابيل قبل إخبار ديفيز ليروى بالأمر ، خشية أن ينظر إلى طموحاته على أنها نوع من أنواع التهديد . ولكن بعد انقضاء بضعة

أيام تفكر خلالها فى الأمر جيدا ، قرر أن أفضل شيء هو أن يتصل بديفيز ويعلمه بنواياه .

" أريدك أن تعرف سبب إقدامى على ذلك يا ديفيز . فانا أؤمن بأن مجموعة ريكوموند سوف تحظى بمستقبل مشرق كما يجب أن تكون واثقا من أننى سوف أ بذل جهدا أكبر بعدما أضع مالى فى الفندق . " ثم صمت واستطرد قائلا : " ولكن إن أردت أنت شراء الخمسة والعشرين بالمائة المتبقية ، فسوف أتفهم الأمر جيدا " .

ولكن لدهشته ، لم يبد ديفيز ضيقه من الأمر .

" حسنا ، يا هابيل إن كنت واثقا لهذه الدرجة فى المجموعة ، فامض قدما يا بنى واشتر حصص إيمى . إننى أفخر بأن تكون شريكى . لقد كنت هذا عن استحقاق . بالمناسبة سوف أحضر إلى شيكاغو الأسبوع القادم لحضور مبرة الريد كويبز . أرك لاحقا تهلل حبيب . " شكرت ي ديفيز . إنك لن تندم أبدا على هذا القرار .

أن واثق من ذلك ي شريكى "

عاد هابيل إلى البنك فى وقت لاحق من نفس الأسبوع . فى هذه المرة كان هو الذى طلب مقابلة المدير . وثانية ، جلس فوق الكرسى الذى الأضرار الخضراء وانتظر أن يبدأ السيد فنتون بالكلام .

بدأ كورتيس فنتون حديثه وهو مجرد من علامات الدهشة كنية : " لقد اندهشت لموافقة السيدة ليروى على مبلغ الأربعين ألف دولار مقابل الخمسة وعشرين بالمائة من حصتها فى مجموعة ريكوموند . " ثم صمت قليلا قبل أن يرفع رأسه جهة هابيل واستطرد قائلا : " بعد أن تأكدت الآن من موافقتها ، يجب أن أسالك إن كان لديك مشتر قادر على إتمام الصفقة ؟ " .

أجاب هابيل فى ثقة : " نعم ، سوف أكون أنا المشتري " .

أجاب المدير ثانية وهو لا يبدي أى شعور بالدهشة : " أجل يا سيد روزنوفسكى "

" هل لي أن أعرف كيف ستدفع الأربعين ألف دولار المطلوبة ؟ "

" سوف أصفى أسهمى وأسحب أموالى النقدية من حسابى الشخصى وبالتالى لن يبقى أمامى سوى أربعة آلاف دولار فقط أتفنى أن تكونوا على استعداد لإقراضى هذا المبلغ بما أنكم واثقون من أن فندق ريكموندى يسوى أكثر من هذه القيمة . إن الأربعة آلاف دولار المتبقية لا تمثل أكثر من عمولة البنك فى الصفقة "

قطب كورتيس فنتون وجهه . إن الوجهاء من الرجال لا يصدرون مثل هذه الملاحظات فى مكتبته ؛ ولكن ما أدهشه أكثر من ذلك هو أن هابيل استطاع أن يحدد نسبة عمولة البنك بدقة : " هلا منحتنى بعض الوقت لكى أفكر فى عرضك هذا يا سيد روزنوفسكى وسوف أوافيك بالرد لاحقا "

قال هابيل : " إن انتظرت وقتا طويلا ، فلن أكون بحاجة للقرض . إن سوق المال يتحرك جيدا فى الوقت الراهن ، أى أن استثماراتى سرعان ما سوف تحقق الأربعة آلاف دولار المتبقية " .

كان على هابيل أن ينتظر أسبوع آخر لحيز حصوله على موافقة الكونسينسوس ترست . فام إثر الموافقة فى الحاد بسحب أمواله النقدية ونصفية أسهمه واقترض ما غفر قليلا عن ٤ آلاف دولار لكى يستكمل مبلغ الأربعين ألف دولار .

وفى غضون ستة أشهر ، كان هابيل قد سد الأربعة آلاف دولار من خلال تحركه الحريص فى البيع والشراء فى سوق الأسهم من

مارس إلى أغسطس من عام ١٩٢٩ . كانت هذه الفترة من أفضل فترات الازدهار التى مر بها سوق المال .

وبحلول شهر سبتمبر كان ميزان حساباته قد ارتفع قليلا إلى حد مكفه من شراء سيارة بويك جديدة فضلا عن امتلاك ٢٥ بالمائة من مجموعة فنادق ريكموندى . كان هابيل سعيدا بامتلاك هذه الحصاة الحيوية فى امرصوريه ريمبر لمرؤى وقد محه دلت انعه ملاحق ابنته وال ٧٥ بالمائة سنخ .

فى بداية شهر أكتوبر ، دعا هابيل ميلانى لحضور حفل لوتزارت فى قاعة شيكاغو السيمفونية . بعد أن ارتدى حلتة لأنيقة التى أكدت له أنه قد اكتسب قدرا من الزيادة فى الوزن وأول رابطة عنق حريرية ، تأكد بما أن ألقى نظرة على نفسه فى المرآة أن هذه الأمسية سوف تكون أمسية ناجحة . بعد نهاية الحفل الموسيقى ، تجنب هابيل الذهاب إلى فندق ريكموندى بالرغم من الجودة الفائقة للطعام الذى يقدم هناك ، وصحب ميلانى إلى مطعم " لوب " لتناول العشاء هناك . وقد حرص طوال اللقاء على اقتصار الحديث على أمور السياسة والاقتصاد ، تلك الأمور التى كان يعرفها جيدا . وأخيرا دعا ميلانى لتناول الشراب فى محل إقامته ، كانت هذه هى المرة الأولى التى تدخل فيها غرفته وقد اندهشت وبهرت بمدى أناقة الفرقة .

قدم هابيل لميلانى المشروبات التى طلبتها ووضع قطعتين من الفلاج فى الكوب وشعر بالثقة أمام الابتسامة التى أهدتها له ميلانى وهو يقدم لها الكوب . لم يسعه إلا أن يحدق إليها . ثم صب لنفسه المشروب الخاص به :

" أشكرك يا هابيل على هذه الأمسية الرائعة "

حس بجوارحه وأخذ يفكر وهو يحرك الشراب داخل كأسه
 " بقيت لسنوات لا أسمع الموسيقى ولكنني عندما بدأت أسمعها
 شعرت أن موتزارت يحرك قلبي كما لم يفعل أى موسيقى غيره " .
 قالت ميلانى وهى تحرر طرف ثوبها الحريري ، الذى كان
 هابيل يجلس فوقه : " كم تبدو أوروبيا فى بعض الأحيان يا
 هابيل . من الذى يجول بخاطره بأن مدير فندق يمكن أن يعبأ
 بشخص مثل موتزارت ؟ " .

قال هابيل : " أحد أسلافي ، البارون روزنوفسكى الأول . لقد
 قابل هذا المايسترو فى إحدى الحرات وأصبح صديقاً مقرباً للعائلة ،
 لذا كنت أشعر دائماً أنه جزء من حياتي " .

ابتسمت ميلانى ابتسامة مبهمة . مال هابيل جانباً وقبلها فى
 خدها بجوار أذنها حيث كان شعرها الأشقر مشدوداً إلى الخلف .
 واصلت حديثها بدون أن تصدر منها أية إشارة تنم عن تبينها لما
 حدث .

" لقد كان عزف فريدريك ستوك للحركة الثالثة مثاليه ، ألا
 توافقنى الرأى ؟ " .

حاول هابيل أن يقبلها ثانية . ولكنها فى هذه المرة أدارت
 وجهها نحوه لكى تسمح له بأن يقبل شفقتها . ثم تراجعت إلى
 الوراء .

" أعتقد أنني يجب أن أعود إلى مبيت الطلبة " .

قال هابيل فى استياء : " ولكنك وصلت لتوك " .

" نعم أعرف ذلك ولكننى يجب أن أستيقظ فى وقت مبكر من
 الصباح . أمامي يوم شاق فى الغد " .

قبلها هابيل ثانية . فسقطت إلى الوراء فوق الأريكة وحاول
 هابيل أن يمسك بها . ولكنها قطعت القيلة سريعاً ودفعته بعيداً

قامت فى إصرار " يجب أن أذهب الآن يا هابيل " .
 قال هابيل " ولكن تروى قبلاً لا يجب أن تنصرفى الآن " .
 وحاول ثانية أن يقبلها
 ولكنها فى هذه المرة تصدت له ودفعته بعيداً عنها بمنتهى
 الحزم .

" هابيل ، ما الذى تظن أنك فاعله ؟ هل لأنك قد دعوتنى إلى
 العشاء والذهاب إلى حفل موسيقى ، تظن أنه يحق لك أن تتناول
 على ؟ " .

قال هابيل : " ولكننا ظللنا نخرج سوياً على مدى شهور وكنت
 أظن أنك لن تمنعنى " .

" لم تكن نتقابل على مدى شهور يا هابيل . وإننا كنا نتناول
 طعام سوياً فى آخرى فى غرفة طعام التى يملكها ودى وكنت
 يجب ألا تنظر إلى ذلك باعتبارنا كنا نتواعد على مدى شهور " .

قال هابيل : " أنا آسف . إن آخر شيء كنت أريدك أن تفكرى
 فيه هو أننى أسمى للتعدي عليك . كنت فقط أريد أن أملكك " .

قالت : " ولكننى لن أسمح لرجل بأن يلمسنى ما لم يكن يريد
 أن يتزوجنى " .

قال هابيل فى هدوء : " ولكننى أريد أن أتزوجك " .

انفجرت ميلانى فى الضحك .

سأل هابيل وقد احمر وجهه : " ما المضحك فى ذلك ؟ " .

" لا تكن سخيفاً يا هابيل ، لا يمكن أن أتزوجك أبداً " .

سأل هابيل وهو مصدوم من نبرة الاستخفاف فى صوتها : " ولم
 لا ؟ " .

أجابته وهي تجلس في استقامة وتعيد رداءها الحويرى إلى مكانه : " لا يصح أن تتزوج امرأة من الجنوب رجلاً من الجير الأول من المهاجرين البولنديين .

" ولكننى بارون " قالها في شيء من الترفع .

انفجرت ميلانى في الضحك ثانية : " أنظن أن هناك من يصدق هذا ، بالفعل يا هابيل ؟ ألا تعلم أن كل طاقم العاملين هنا يسخر منك بدون أن تدري كلما أشرت إلى هذا اللقب ؟ " .

ذهل هابيل وشعر بغثيان ، كان وجهه عندها قد شحب تماماً : " كلهم يسخرون منى بدون أن أدري ؟ " قالها في لهجته الطبيعية .

أجابته : " نعم أنت بالطبع تعرف اسمك الحركى فى الفندق إنه بارون شيكاغو " .

لم ينبس هابيل ببنت شفة .

" والآن لا تكن سخيلاً ولا تلق بالآ لهذا الأمر ؛ أعتقد أنك قد أدبته عملاً رائعاً لأبى وأعلم أنه يكن لك كل الإعجاب ولكنه لن يسمح أبداً بزواجى منك " .

بقى هابيل جالسا فى صمت : " لا يمكن أبداً أن أتزوجك " . أخذ يكررها .

" بالطبع لا . أنت تروق لأبى بالفعل ولكنه لن يوافق أبداً أن تكون زوجاً لابنته " .

قال هابيل : " آسف لأننى أغضبتك " .

" إنك لم تفعل يا هابيل . بل إن عرضك يشعرنى بالفخر . الآن دعنا ننسى هذا الأمر تماماً . سوف يكون لطيفاً منك أن تصحبنى إلى المنزل " .

نهضت من مقعدها وسارت نحو الباب بينما بقى هابيل فى مكانه ؛ فى حالة ذهول . ولكنه نجح رغم ذلك فى دفع نفسه بهبطه وساعد ميلانى على ارتداء معطفها . أصبح هابيل مدركاً لعرجه وهو يسير فى الردهة بصحبة ميلانى . هبطا فى المصعد ثم ركب معها السيارة الأجرة وبقى كلاهما صامتا . بينما كانت السيارة فى الانتظار ، صاحبها إلى السور الأمامى لدار مبيت الطلبة ، ثم قبل يدها .

قالت ميلانى : " أتمنى ألا يعنى ذلك أن نفقد صداقتنا " .

" بالطبع لا " قالها بالكاد .

" أشكرك على الحفل الموسيقى يا هابيل . أنا واثقة من أنك سوف تعثر على فتاة بولندية لطيفة يمكنك أن تتزوج بها . عمت مساء " .

قال هابيل : " إلى اللقاء " .

• • •

لم يكن هابيل يمتد أن هناك أية مشكلة حقيقية يمكن أن تضرب سوق مال نيويورك إلى أن سأل أحد نزلاء الفندق إن كان يمكن أن يسدد فاتورة الفندق بالأسهم . لم يكن هابيل يحمل سوى قدر ضئيل من الأسهم وقتها ؛ بما أنه كان قد سحب كل ماله لشراء حصته فى مجموعة ريكوند ، ولكنه عمل بنصيحة مضاربه فى نورة وبع كل ما كان يملكه فى الأسهم بخسارة بعد أن راح لوجود النصيب الأكبر من الأصول التى يملكها فى العقارات المتثلة فى المجموعة الفندقية . لم يكن شغوفا بمراجعة حركة مؤشر داو

جوزن يوما بيوم كد كان يقصر عندما كان الجزء الأكبر من رأسهال موضوعا في الأسهم .

سار العمل على نحو جيد في النصف الأول من العام . حتى قدر هابيل توقعاته لربحه اسنوى بم يزيد على ٢٥ ألف دولار لعام ١٩٢٩ ، وقد حرص دائما على إعلام ديفيز ليروى بما يجرى من تطورات .

ولكن عندما ضرب الانهيار الاقتصادى البلاد فى شهر أكتوبر انخفضت نسبة الإشغال فى الفندق إلى النصف . وقد اتصل هابيل بديفيز ليروى هاتفيا يوم الثلاثاء الأسود . وقد جاء صوت الرجل الجنوبي محبطا ومشغول لفكر حتى أنه لم يكن قادر على اتخاذ أى قرار بشأن تخفيض عمالة الفندق والذى كن هابيل يرى فى ذلك الوقت أنه أمر لا مفر منه .

قال الرجل : " تماسك يا هابيل سوف أحضر اليك فى الأسبوع المقبل ، سوف نفكر سويا فى حل ، أو سوف يسعى لذلك . "

لم يكن وقع العبارة جيدا على هابيل .

" ما هى المشكلة يا ديفيز ؟ هل هناك ما يمكن أن أسديه لك ؟ " .

" ليس فى الوقت الراهن " .

بقى هابيل متحيرا " لم لا يمكنك أن توضعى فى الأمر وسوف أمنحك تقرير واقيا عندما تحضر ؛يا فى الأسبوع المقبل ؟ " .

" إن الأمر ليس بهذه البساطة يا هابيل ، وأنا لا أحب أن أنقش مشاكلى عبر الهاتف ولكن البنك يثير بعض مشاكل بسبب خسارتى فى سوق المال وقد هددونى ببيع سلسلة الفنادق إن عجزت عن توفير المال اللازم لتغطية ديونى " .

سرت البرودة فى جسم هابيل .
واصل ديفيز حديثه بنبذة غير مقنعة : " ليس هناك ما يدعوك للقلق يا بنى ، سوف أوافيك بالتفاصيل فور وصولى إلى شيكاغو فى الأسبوع المقبل . أنا واثق من أننا سوف ننجح فى إصلاح الأمر عندها " .

سمع هابيل سماعة الهاتف وهى تغلق وشعر بأن جسده كله بدأ يتصبب عرقا . كان أول رد فعل له هو أنه أخذ يتساءل كيف يمكن أن يساعد ديفيز . انص بكورتيس فنتون واستطاع أن يتعرف من خلاله على اسم الرجل المصرفى المتصرف فى مجموعة ريكوند ساعر بأن الأمور يمكن أن تكون أخف وصاة على صاحبه فقط . إن نصح فى منابله

اتصل هابيل بديفيز عدة مرات على مدى الأيام التالية لى بحديثه عن الوضع بعير من سيئ إلى أسوأ وبأنه يجب أن يتخذ قرارا . ولكن رجلا معجوز بدا مشغولا أكثر فأكثر وغير مستعد لاحاجة لقرارات حازمة . عندما بدأت الأمور تخرج عن نطاق السيطرة ، اتخذ هابيل قرارا وطلب من السكرتيرة أن تتصل بالرجل المتصرف فى فندق ريكوند هاتفيا .

سألت : " ما اسم الرجل الذى تريد أن تتصل به يا سيد روزنوفسكى ؟ " .

نظر هابيل إلى الاسم المدون على قطعة من الورق أمامه وكرر الاسم فى حزم :

" سوف أصلك به " .

قال صوت آمر : " صباح الخير ، هل يمكن أن أساعدك ؟ " .

بدأ هابيل حديثه في تردد : " أتمنى ذلك : اسمى هابير روزنوفسكى ، أنا مدير فندق ريكوموند شيكاغو وأريد أن أحدد موعد لقائتك ومناقشة مستقبل مجموعة ريكوموند " .
قال الرجل في لهجة أنيقة : " ولكننى لا أملك سلطة التعامل مع أى شخص باستثناء السيد ديفيز ليروى " .
قال هابيل : " ولكننى أملك خمسة وعشرين بالمائة من مجموع ريكوموند " .

" إذن يجب أن تدرك أنك إلى أن تملك واحداً وخمسين بالمائة من المجموعة فأنت لا تملك حق التعامل مع البنك ما لم يفوض السيد ديفيز ليروى " .

" ولكنه صديقى المقرب — " .

" أنا واثق من هذا يا سيد روزنوفسكى " .

" ولكننى أسعى للمساعدة " .

" هل فوضك السيد ليروى في تمثيله ؟ " .

" كلا ، ولكن — " .

" إذن أنا أسف ، فلا يسعى أن وأصر لحديث معك بدون

هذا التفويض " .

قال هابيل ثم شعر يعدها على الفور بالندم على ما تفوه به :
" ألا يمكنك أن تساعدنى قليلا ؟ " .

" لا بد أنك تنظر إلى الأمر بهذه الطريقة يا سيد روزنوفسكى .
عمت صباحا يا سيدى " .

" لتذهب إلى الحجيم " ، قالها هابيل في نفسه وهو يصفع سماعة الهاتف ، وقد ساءه الاضطراب لأنه ربما يكون قد أضر أكثر مما أفاد . ما الذى يجب أن يفعله الآن ؟
لم ينتظر طويلا إلى أن عثر على الإجابة .

وفى مساء اليوم التالى ، شاهد هابيل ميلانى فى المطعم ، لم تكن تشع ثقة كالعادة وإنما كانت تبدو مرهقة وقلقة حتى أنه كاد يسألها عن السبب ولكنه قرر عدم مخاطبتها . غادر غرفة الطعام وتوجه إلى مكتبه حيث وجد ديفيز ليروى يقف منفردا عند الباب أمامى . كان يرتدى نفس السترة ذات المربعات التى كان يرتديها فى أول يوم رآه فيه هابيل فى فندق بلازا .

" هل ميلانى فى غرفة الطعام ؟ " .

قال هابيل : " نعم ، هى هناك . لم أكن أعرف أنك سوف تحضر اليوم يا ديفيز . سوف أعد لك الجناح الرئيسى فى

الليلة واحدة يا هابيل وأريد أن أقابلك على انفراد " .

" بكل تأكيد " .

لم ترق نبذة صوت ديفيز وهو يقول : " على انفراد " .
هابيل ، " هل شكنت له ميلانى ؟ هل هذا هو سبب عدم قدرته على شرح قراره من ديفيز على مدى الأيام الغيبة الماضية ؟ " .

سار ديفيز ليروى بخطى هابيل نحو غرفة الطعام بينما توجه هابيل إلى مكتب الاستقبال لكي يتأكد من خلو الجناح الرئيسى فى صديق السابح عشر . كانت نصف غرف الفندق شاغرة فى هذا الوقت ، لذا لم يكن من الدهش أن يجد الجناح الرئيسى حليا . حجز هابيل الجناح لوفيه ثم بقى منتظرا عند مكتب استقبال لأكثر من ساعة . شاهد ميلانى وهى تغادر ، بدا وجهها سحبا وكأنها كانت تبكى . تبعها والدها من غرفة الطعام بعد مرور صبح دقائق .

" أحضر لنفسك مشروبا يا هابيل ، ثم قابلنى فى جناحى " .

التقط هابيل زوجاتين من الشراب من خزائنه وذهب للقاء ليروى في جناحه في الطابق السابع عشر وهو مازال يتساءل ما إن كانت ميلاني قد أخبرت والدها بشيء .

قال ديفيز ليروى في لهجة أمرة : " افتح الزجاجية وصب لنفسك كأسا كبيرا يا هابيل " .

وثانية اجتاحت هابيل الخوف من المجهول . بدأت راحتا يديه تصبيان عرقا إنه لم يفقد عمه بالطبع بسبب رعبته في لزوح من ابنة ادمير ؟ لقد جمعت صداقة بينه وبين ليروى لأكثر من عام الآن . كانا مقربين لم يكن عليه أن ينتظر طويلا . أن يتبين الأمر

" انت من شرابك "

تداول هابيل شرابه دفعة واحدة وابتلع ديفيز ليروى شرابه " هبيل . لقد نتهيت " صمت ليروى وصمت كأسين آخرين " وكذلك نصف الأمريكيين في واقع الأمر "

لم يتصق هبيل . رب لأنه لم يجد ما يقول . جلس كل منهما يحدث في الآخر لمدة دقائق ثم بعد تناول كأس من الشراب . كسر هبيل حذاء الصفت وقال " ولكنك مزلت تمسك أحد عشر هدفا "

قال ديفيز ليروى " كنت أملكها يجب أن تستخدمه الرمن الماضي الآن يا هابيل لم أعد أملك أي منها بعد أصبحت ملك البنك منذ الخميس الماضي " .

قال هبيل " ولكنك أنت المالك . لقد ورثت عائلتك هذه افتادق على مدى جيلين "

كانت في حوزتها ولكنها لم تعد كذلك إنها الآن في حوزة البنك ليس هناك ما يدعوني لإحفاء الحقيقة كمثل عائلتي

هابيل : إن هذا الشيء نفسه يحدث لكل الأمريكيين تقريبا الآن سواء من كبار أو صغار المستثمرين . منذ ما يقرب من عشر سنوات صحت : اقترضت مليوني دولار بضمن القنادق : واستثمرت المال في الأسهم والسندات : بشكل متحفظ ومن خلال شركات ذات ثقل اقتصادي . ونجحت في تنمية رأس المال حتى بلغ خمسة ملايين دولار . ولعل هذا هو أحد الأسباب التي لم تكن تجعل خسارة القنادق برعجى كثيرا لأن العائده التي كنت أحققها في السوق كانت تعطي داف هدد الحسرة . ولكني اليوم لم أستطع أن أنخلص من هذه الأسهم يمكننا أن نستخدمها كمدير ورقية في القنادق لاحد عشر على مدى الأسابيع الثلاثة الماضية كنت أسعى لبيعها بأسرع ما يمكن ولكن لم يعد هناك مشترون الآن وقد قرر البنك أن يحبس الرهن يوم الخميس الماضي . لم يبع هابيل عنده إلا أن يتذكر انه قد حادث الرجل انصرفي مسئول في نفس هذا اليوم معظم اسخريين من هذ الاسميال لا يمكن سوى قطع من الورق مسيد فروصهم ولكن في حائتي أن من بينت يملك حق تصرف في نقدق مقاس القرض الأصلي لنذ بمجرد ان نهار السوق وضع البنك يد على ثغور على القنادق وقد عسني هؤلاء ملاعين بأنهم سوف يبيعون لمجموعة بأسرع ما يمكن "

هذه جنون إنهم لن يحصلوا على شيء الآن أما إن ساندون خلال هذه الفترة . وسوف يكون بوسعهم أن نمنحهم عائدا جيدا على هذا الاستثمار "

أعلم أنك تستطيع أن تفعل ذلك يا هابيل ولكنهم يملكون سجلا مفصلا عن تاريخي يمكن أن يلقوه في وجهي وقد ذهبت في مكبهم الرئيسي واقترحت ذب وشرحت لهم أنك أصبحت موجود الآن ويأتي سوف انذل كل وقتي وجهدي في المجموعة

الفندقية إن وافقوا على دعمنا ولكنهم لم يبدوا أى اهتمام . وقد صَدُّوا لى دمية صغيرة كانت تملك كل الإجابات المحفوظة المنعقة عن التدفقات النقدية وقعدة رأس المال والقيود المصرفية الخاصة بالديون . أقسم أنني إن استعدت نفسي ثانية فسوف أسحق هذا الرجل شخصيا ثم أسحق بئكه . أما الآن فإن أفضل ما يمكن أن تقوم به هو أن نشرب حتى الثمالة لأتلى انتهيت ، أصبحت معدما ومفلسا " . قال هابيل فى هدوء : " إذن وأنا أيضا " .

" لا ، مازال أمامك مستقبل مشرق يا بنى . إن أى شخص يشتري المجموعة لن ينجح فى السير خطوة واحدة بدون إرشاداتك " .

" لقد نسيت أنني لا أملك سوى خمسة وعشرين سنة من المجموعة " .

ثبت ديفيز يبروى بصره على هابيل . بعد من الواضح أنه كان قد سى بالفعل هذا الأمر

" يا الهى يا هيبير ، أتمنى لا تكون قد وضعت كل مالك فى صندوقى بدأت امرارا تكسو صوته

قال هيبير " كل ما املك وكفى لست بدم على ذلك بديفير من الأفضل أن اخبر مع رحى حكيم ندلا من أن افور مع رجل أحمق " ثم صاب لنفسه كتابا أخرى من اشواب

تجمدت الدموع فى عين ديفيز يبروى " نعم يا هابيل أنت أفضل صديق يمكن أن يحلم الشخص به . لقد أصبحت هذا الفسور واستثمرت فيه ذلك ثم أرديت انا مفلسا فلا تشكو بكمة والادهي من ذلك أن ابنتى رفضت الزواج منك " .

قل هابيل . وقد زاد اشرب من نيرة الشل فى صوته " إن لم تغضب لأنى عرضت عليها الزواج ؟ " .

إنها فتاة صغيرة حمقاء لا تدرك قيمة الأشياء عندما تراها . تريد أن تتزوج من رجل نبيل يملك سلالة من الجياد من الجنوب وثلاثة من الجنرات فى شجرة عائلته ، أما إن كان الرجل شماليا فيجب أن يكون جده الأكبر قد وفد إلى أمريكا على متن الماي فلاور . لو كان كل من يدعى بأن له قريبا جاء على متن هذه السفينة صادقا فى قوله لكانت سبعة قد غرفت الاف مرت قبر ان نصل إلى أمريكا . أنا حزين لأنه ليست لدى ابنة أخرى لكى تتزوجها يا هابيل . لم يخدمنى أحد بهذا الإخلاص الذى خدمتنى أنت به . أنا واثق من أنني كنت سأكون فخورا بأن تكون أحد أفراد أسرتي . كان يمكن أن يشكل سوب فريفا رائعا وكفى أراهم نك تستطيع أن سحيم جيفرى بنفسك . مازلت شابا ، مازال كل شيء أمامك " .

على الرغم من أنه كان فى الثالثة والعشرين من عمره ، شعر هيبير أنه مسن

قل هيبير " أشكر لهدى شعة يا ديفيز ومن الذى لا يابيه بسور انال على أبة حال ، إنك أفضل صديق حظيت به " .

سب هابيل لنفسه كتابا أخرى وجرعها كان الرجال قد اتفد لرجاجبير بحوب صباح لذكر عندما سمع ديفيز بانما فى كرسه نجح هيبير فى أن يسير متعبرا إلى أن وصل إلى لطبق لحدى عشر وخضع ملاهسه ورج فى سيات عميق فى فرشته وقظ من بوه نعيم بطرق عتيف على بابه كان رأسه بدور ويلف ولكن نظرو كان مواصلا وكان بعلو نيت فشيئا نجح بشكل ما فى سبوس من فرشته وسر إلى أن وصل إلى باب العرفة كان نظرو هو خادم الفندق .

قل لفتى وهو يعدو نحو ابهى " سرع ي سيد هيبير . أسرع " .

أسرع هابيل بارتداء ثيابه ووضع قدميه في حفة وسار متعقرا في الردهة لكي يلحق بالخدام الذي كان يمسك باب المصعد له أخذ يحدّم يكرر العبارة " أسرع يا سيد هابيل " سأل هابيل ورأسه حارال يدور بينما كان المصعد يهبط في بطة " ولكن ما سر كل هذه العجبة ؟ " ثم سذكر حديثه الأساسي مع ديفيز " ربّ جاء البنك لكي يضع يد على الفندق " لقد ألقي أحدهم بنفسه من السحفة "

بدأ هابيل يفق قليلا من دواره وينتبه : " هل هو نزيل ؟ "

قال الخادم : " نعم أظن ذلك ولكنني لست واثقا " توقف المصعد في الدور الأرضي . دفع هابيل الأسوار الحديدية وهرع في الشارع . كانت الشرطة قد وصلت بالفعل . ما كان يمكن أن يتعرف على الجثة إلا من خلال السترة مربعة التي كان يعرفها جيدا . كان أحد رجال الشرطة يدون بعض التفاصيل . اقترب منه رجل في زي الشرطة وسأله :

" هل أنت المدير ؟ "

" نعم "

" هل تعرف من يكون هذا الرجل ؟ "

قال هابيل وهو يلقي بالكلمات : " نعم اسمه ديفيز ليروي . "

" هل تعلم من أين هو أو كيفية الاتصال بذويه ؟ "

أشاح هابيل بوجهه عن الجسد المكسور وجاب بشكك بلغاني " أنه من دالاس وله بنت اسم ميلاني . إنها تدرس في جامعة شيكاغو "

حسنا - سوف نرسل له شخصا لكي يخبرها بما حدث

قال هابيل : " كلا ، لا تفعل . سوف أذهب وأقابلها

شخصيا

" شكرا لك . إنه من الأفضل دائما عدم سماع هذه الأخبار من

تحص غرب "

قال هابيل وقد تحرك بصره ثانية جهة جثة صديقه " يا له

من حدث فطيع مؤسف "

قال صابط الشرطة في نبرة عادية وهو يغلق مفكرته السوداء .

ب. الحدث السابع في شيكاغو اليوم . سوف نكون بحاجة

لمحضر غرفته في وقت لاحق لا نؤجر الغرفة إلى أن نسمح لك

بذلك "

" أمرك أيها الشرطي "

سار رجل الشرطة باتجاه سيارة الإسعاف .

شاهد هابيل الحامل النقال وهو يحمل جثة ديفيز ليروي من

جوار الحائط . شعر بالبرودة تتسرب إلى ركبتيه وشعر بقصة في

حلقه . لقد خسر ثانية صديقه المقرب . ربما إن لم يكن قد أفرط في

الشراب الليلة السابقة لكان قد فكر بشكل أفضل وأنقذ صديقه .

ولكنه تمالك نفسه وعاد إلى غرفته ، وأخذ حماما باردا طويلا ونجح

بشكل ما في ارتداء ملابسه . طلب بعض القهوة السوداء ثم صعد في

شيء من التردد إلى الجناح الرئيسي وأغلق الباب بالمفتاح . باستثناء

زجاجتي الشراب لم يكن هناك ما يشير إلى الحادث المأساوي الذي

وقع منذ دقائق ثم وقع بطر هابيل على الخطبات الموضوعة على

مصددة الجانبيه المجاورة للبرير الذي لم يكن أحد قد نام عليه

كان بحطاب الأول موجب إي ميلاني . أما الثاني فقد كان موجب

بي محام هي دالاس . والثالث إلى هابيل فتح هابيل خضابه ونجح

بذكر في قراءة آخر كلمات ديفيز ليروي

عزيرى هابيل

سوف أسلك الطريق الوحيد الذىبقى أمامى بعد قرار البنك . لم يبق لى شيء أعيش من أجله لأننى قد كبرت كثيراً على البدء من جديد . أريدك أن تعرف أنك الشخص لذى يستطيع أن يصنع شيئاً جيداً وسط هذه الفوضى الهرهبة .

لقد أعددت وصية جديدة تركت لك فيها الخمسة وسبعين سهماً المتبقية من مجموعة ريكموند . أنا أعلم أن الأسهم قد أصبحت عديمة الجدوى ولكنها سوف تؤمن لك وضعك باعتبارك المالك القانونى للمجموعة . بما أنك قد امتلكت شجاعة الإقدام على شراء ٢٥ بالمائة من أسهم المجموعة فهذا يعنى أنك تستحق أن تعقد صفقة مع البنك . لقد تركت باقى ممتلكاتى جميعاً بما فى ذلك البيت لميلانى . أرجوك كن أنت الشخص الذى سيخبرها بوفاتى . لا تدع الشرطة تخبرها . كان سيشربنى أن تكون زوجاً لابنتى

صديقك ديفيز

قرأ هابيل الخطاب مراراً وتكراراً ثم طبعه بعناية ووضعه فى حافظته .

ثم توجه إلى مقر الجامعة فى وقت متأخر من صباح نفس اليوم وأخبر ميلانى بأكبر قدر من الترفق بما وقع لأبيها . جلس فى اضطراب على الأريكة غير مدرك لما يجب أن يقوله بخصوص نبأ الوفاة المشؤم . تقبلت ميلانى الخبر بتماسك آثار دهشته كما لو

كنت تعرف أن هذا الأمر كان سيحدث . بالرغم من أن علامات التأثير بدت واضحة عليها . لم تذرف الدمع فى وجود هابيل ، ربما فى وقت لاحق بعد مغادرته . شعر بالأسف من أجلها لأول مرة فى حياته

عاد هابيل إلى الفندق وقرر ألا يتناول الغداء ويتناول كأساً من عصير الطماطم بدلاً منه وشرع فى الاطلاع على بریده الخاص . كان هناك خطاب من كورتيس فنتون من الكونتينتال تراست . من براضح أن ذلك اليوم كان يوم الخطابات . كان فنتون قد تلقى احضاراً من بنت كين وكبوت فى بوسطن قد تولى المسئولية المالية لمجموعة ريكموند . كان العمل سيمير كالعتاد فى الوقت الراهن إلى أن يعقد لقاء مع السيد ديفيز ليروى لمناقشة مصير الفنادق الأحد عشر فى المجموعة . جلس هابيل يتأمل الكلمات ، وبعد كوب ثان من عصير الطماطم ، كتب خطاباً لرئيس بنك كين وكابوت السيد آلان ليويد . وقد تلقى رداً على الخطاب بعد مرور خمسة أيام يطلب الرئيس منه حضور لقاء فى بوسطن فى الرابع من شهر يناير لمناقشة تصفية المجموعة مع المدير المسئول عن التفليس . كانت الفترة الفاصلة بين تلقى الخطاب والموعد المرتقب سوف تمنح البنك وقتاً كفيلاً لتبيين تداعيات وفاة السيد ليروى المفاجئة والمأساوية .

قال هابيل بصوت مرتفع غاضب : " المفاجئة والمأساوية ؟ ومن الذى تسبب فى هذه الوفاة ؟ " وهو يتذكر كلمات ديفيز ليروى : " لقد صدروا لى دمية صغيرة ، أقسم أننى لو استعدت نفسى ثانية سوف أسحقه شخصياً وأسحق بكنهه " .

قال هابيل بصوت مرتفع : " لا تقلق يا ديفيز ، سوف أفعل هذا نيابة عنك " .

أدار هابيل فسادق ريكومند كونتيفنتال على مدى الأسابيع الأخيرة من العام وفق سياسة صارمة للعاملين والأسعار لكي ينتج بالكاد في الاستمرار . لم يسمعه إلا أن يفكر في أحوال العشرة فسادق المتبقية من المجموعة ولكنه لم يكن يملك من الوقت ما يسمح له بمعرفة ما يجري فيها كما أنها لم تكن مسؤوليته على أية حال .

الفصل السابع عشر



في الرابع من يناير عام ١٩٣٠ ، وصل هابيل روزنوفسكى إلى بوسطن وركب سيارة أجرة لنقله من المحطة إلى بنك كين وكابوت حيث وصل قبل الموعد المحدد بدقائق . جلس في غرفة الاستقبال التي كانت أكبر وأكثر زينة من أي غرفة نوم في فندق شيكاغو ريكومند . بدأ يطالع صحيفة وول ستريت . " العام ١٩٣٠ سوف يكون عاما أفضل " ؛ كانت الصحيفة تحاول أن تهدئ من روع الناس . ولكنه لم يكن واثقا من ذلك . جاءت سيدة فى بداية منتصف العمر إليه وقالت : " السيد كين سوف يقابلك الآن يا سيد روزنوفسكى " .

نهض هابيل وسار خلفها في رواق طويل إلى أن وصل إلى غرفة صغيرة من خشب البلوط ذات مكتب كبير مغطى بالجلد كان يجلس وراءه رجل طويل وسيم . اعتقد هابيل أنه فى مثل سنه . كانت عيانه فى زرقه عين هابيل . كانت هناك صورة معلقة على الجدار خلفه لرجل عجوز كان الشاب الجالس خلف المكتب يشبهه كثيرا .

"أراهن أنه أبوه" قالها هابيل بمرارة في نفسه . سوف ينجو من الانهيار بكل تأكيد ، إن البنوك هي الطرف الفائز الوحيد في كل الأحوال

قال الشاب لصغير . وهو ينهض ويعد بده لهاميس " اسمي ويليام كير . تفصل بالجنوس ب سيد روزنوفسكى "

قل هابيس " أشكرت "

أخذ ويليام يحدو في الشاب الصغير في حلقه النسي لم يكن تناسبه تماما ولكنه لاحظ يعب نظرة الضمير في عينيه . واصل برحس مصرفي دو الميوس لبرقاء " ربما تسمح لي بار . وافيت بأحر بطورت موقف من وجهة نظري "

" بالطبع "

بدأ ويليام حديثه وهو يكره هذه المصطفعة . إن وفه لسيد ليروي مفاجئة غير متوقعة "

قال هابيل لنفسه " متى نسيتهم فيها بتشبثكم وفستوكم " يبدو أنها جعلت سحمن عبء إدارة مجموعة ريكوموند لحين عثور السك عسي مشتر لفقاد . بالرغم من ان مائة مائة من أسيم الفندق أصبحت في حوزتك الآن والمؤلة من أحد عشر فندق . والتي كنت تعمل كصمن لقرص السيد ليروي الذي تبلغ قيمته مليوني دولار . فإن هذا لا يجعلك أية مسؤولية على الإطلاق في طر الظروف الراهنة ويمكنك أن تنأى بنفسك عن هذا الأمر تماما وسوف نتفهم ذلك جيدا "

كان ويليام يعتبره اقتراحا مهينا ولكن كان يجب أن يطرح . قال هابيل في سريره : " إن التصرف الذي يمكن أن يتوقعه رجل مصرفي في مثل هذه الظروف هو أن ينجو المرء بنفسه وينأى عن المشاكل . "

واصل ويليام كير حديثه قائلا : " إلى أن يتم سداد دين البنك حتى يصل إلى مليوني دولار ، أخشى أنه لا يسمح بتصفية أو لصرف في ممتلكات السيد ليروي نحن في البنك بقدر جيد رأى مدله في المجموعة لذا لم نتخذ أى إجراء بشأن البنك لحين نتحدث معك شخصا ربما يكون على راية تصرف برعيب في شراء مجموعة بما أن الأنسية والأرض والعمل نفسه يعتبر من لامتور الغيبة "

قال هابيل وهو يمرر يده سيمكة في شعره الغريز الأسود ويكبه ليس فيما بدا يكفي لكي تحظى بمساعدة البنك كم من بوقت سوف منحني لكي عثر عني مشر "

مرر ويليام للحظة عند وقع نظره على السور بعضى اسدي لحظ جمعهم روزنوفسكى لقد سبق وشاهد هذا سوار من قبل ويكبه به بتذكر المكان الذي شاهده فيه " سوف يصحك ثلاثين يوما يجب أن بدرت ن اسك منحس عبء حارسه ليوميه ستي مئشده عشرة فنادي من بير أحد عشر فدقا . إن فندق ريكوموند شكوه فقط هو لذى بحق فدرا من برح "

قال هابيس " ب محموبى بوقت وامساعدة با سيد كبير . يمكن أن أحيي لمجموعة كمله إلى مكسب حقيقي . علم نسي امتد هذه القدر فقط امنحتى فرصة إثبات ذلك ب سدي " شعر أن الكلمة الأخيرة قد تمثرت في حلقه .

قال ويليام : " هذا هو ما أكده لنا السيد ليروي عندما جاء للقائنا في الخريف الماضى . ولكن هذه أوقات عصيبة وليس هناك من يستطيع التنبؤ بأن الأعمال الفندقية سوف تسير على ما يرام كما أننا لسنا متخصصين في مثل هذه الأمور . يا سيد روزنوفسكى نحن رجال بنوك . "

كان هابيل قد بدأ يفقد أعصابه من هذا الشاب المرفه " هذه الدمية الصغيرة " الذى يرتدى ثيابا منمقة . لقد كان ديفيز محقا قل هيبير . " سوف يكون هذا وقت عصيب بالفعل بالنسبة لطقم العاملين فى الفندق . ما الذى سيلحق بهم إن هدمت البناء فوق رؤوسهم ؟ ما الذى تظن أنه سوف يحدث لهم ؟ " .

" أخشى أن هذه ليست مسئوليتنا يا سيد روزنوفسكى . يجب أن أتخذ القرار الذى يخدم مصلحة البنك " قل هيبير فى عصبية " بل القرار الذى يخدم مصالحك أنت الشخصية يا سيد كين " .

تفجرت الدمع فى وجه ويليام " هذه ملحوظة غير عادلة يا سيد روزنوفسكى وكنت أساسا منها كثيرا . ولم أكن مقرر دائما ما تمر به " قال هابير . " يؤسفنى كثيرا أن تفهمنى للوضع لم يكن موافق للسيد ديفيز ليروى . كان يمكن أن يستعيد من هذا التفهم لقد قتلت يا سيد كين . تماما كما لو كنت دفعته من النافذة بنفسك . دفعته أنت وزملائك الميجيون وأنتم جالسون هذ فوق لمقاعد الوثيرة بينما تنصيب نحن العرق ونبدل الجهد لضئاع أكبر قدر من الربح فى أوقات الرخاء والمقايسة على لبشر فى أوقات الشدة " .

بدأ ويليام عنده يفقد أعصابه هو الآخر . ولكن بخلاف هيبير روزنوفسكى فقد أخفى مشاعره " إن هذا الحديث لن يقودنا إلى شيء يا سيد روزنوفسكى يجب أن ألقت نظرك إلى أنك إن لم تعثر على مشتر فى غضون ثلاثين يوما . فلن يبقى أمامى أى خير سوى طرح الفنادق فى المراد لعلى لبيع " .

قال هيبير فى سخرية " إذن عليك أن تنصحنى بأن أقترض من بنك آخر ؟ أنت تعرف سجلى ولكنك ترفض مساندتى ، أنت واثق من أنك تضعنى فى مأزق ؟ " .

قال ويليام : " أنا آسف . تصرف وفق ما ترى . لقد كانت تعليمات مجلس الإدارة واضحة وهى نصفية حسبك بأسرع ما يمكن وهذا تحديدا ما أنا عازم على فعله . احرص على الاتصال بى فى موعد أقصاه الرابع من فبراير وأعلمنى إن كنت قد عثرت على أى مشتر . عنت صباحا يا سيد روزنوفسكى " .

قام ويليام من خلف مكتبه ومد يده ثانية ولكن هابيل تجاهلها فى هذه المرة وسار مباشرة نحو الباب .

" لقد كنت واثقا أننا بعد حديثنا الهاتفى يا سيد كين قد تشعر بالحرج وتمد لى يد المساعدة ولكننى كنت مخطئا . فأنت لا تعرف الرحمة . عندما تؤوى إلى فرشك ليلا . يا سيد كين - تذكرنى جيدا وعندما ستيقظ فى الصباح تذكرنى دبة لأننى لم أكف عن ملاحقتك " .

وقف وبيام مقطب الوجه أمام الباب لمعلق كان السور لفضى يفضحه . أين رآه من قبل ؟

عادت سكرتيرة ويليام وقالت " ياله من شاب كرهه " قال ويليام " كلا به ليس كذلك إنه يعتقد أننا قتلنا شريكه فى العمل وهو يرى الآن أننا نقضى على شركته بدون أدنى تفكير فى حال موظفيه . ناهيك عنه هو شخصا . فى الوقت الذى أثبت فيه بالفعل كفاءة فى العمل لقد كان السيد روزنوفسكى على العكس مهذبا للعبة نظرا للظروف لنى تحيط به . ويجب أن أقر أننى شعرت بالأسف لأن مجلس الإدارة قرر عدم مساندته " .

رفع ويليام وجهه ونظر إلى سكرتيرته

" اتصلنى بالسيد كوهين " .

سأل هابيل وهو أكثر دهشة : " لماذا ؟ "

" حسنا ، إنك لن تحظى بنوم جيد هناك فقد احترق الفندق عن آخره اليوم " .

بينما انحدرت السيارة فى جانب الطريق ، وجد هابيل نفسه أمام ركاب فندق ريكموند شيكاغو . كانت سيارات الشرطة والإطفاء واللوح الخشب والماء تقطر الشارع . خرج من السيارة وأخذ يحذر على بقايا لافتة مجموعة ديفيز ليروى .

بين البولندى حكيم عند نزول المصائب .. هذا هو ما جال بخاطر من هو وهو يقبض بيده ويطلق بها ساقه العرجاء بعنف ، لم يشعر بأنه لم ينق لديه ما يشعر به

صاح بصوت مرتفع : " أيها الملاعين ! لقد كنت أقل من هذا من قبل وسوف أهرمكم جميعا الآمان وسروس والأنرا وكين بعد الجميع ، سوف أهرم الجميع لا أحد يستطيع أن يقهر هابيل روريفسكى " .

أى مساعد مدير هيبس وهو يتوعد بجوار السيارة الأجرة فأسرع نحوه ، حيث أحضره دس على الاحتفاظ بهدوئه

وسأله : " هل خرج الجميع بسلام ؟ "

" نعم ، الحمد لله ، كان الفندق خائبا تقريبا ، لذا لم يكن إخراج الجميع أمرا صعبا . هناك فقط إصابة بسيطة أو اثنتين وبعض الحروق . لقد نقلوا إلى المستشفى ولكن ليس هناك ما يدعو للقلق " .

" جيد . لقد نجا الجميع على الأقل . الحمد لله أن الفندق مؤمن عليه بأكثر من مليون دولار على حد علمي . يمكننا على الأقل أن نحيل هذه الكارثة إلى مكسب " .

" هذا إن لم يكن ما نشر فى الجرائد الصباحية صحيحا " .

الفصل الثامن عشر



عاد هابيل إلى شيكاغو فى صباح اليوم التالى وهو فى حال مشغول الفكر وحائقا على ويبيم كين . لم يلتفت إلى ما كان يصيح به بنوع الجرد سيما وقف لاستدعاء سيارة أجرة وركب فى المقعد الخلفى " فندق ريكموند من فضلك " .

سأله السائق وهو يسير نحو شارع ستيت : " هل أنت صحفي ؟ "

قال هابيل : " لا ، ما الذى جعلك تطرح على مثل هذا السؤال ؟ "

" لأنك طلبت الذهاب إلى فندق ريكموند . كل الصحفيين قد توافدوا إلى هناك اليوم " .

فكر هابيل : ليس هناك حدث يمكن أن يجتذب الصحفيين إلى هناك اليوم .

استطرد السائق حديثه قائلا : " إن لم تكن صحفيا فيمكننى أن أصحبك إلى فندق آخر " .

سأل هابيل : " ما الذى تقصده ؟ "

أجاب مساعد المدير : " أفضل أن تقرأه بنفسك أيها المدير . "

سار هابيل إلى أقرب متجر لبيع الصحف ودفع سنتين وحضر على نسخة من آخر طبعة لجريدة التريبيون شيكاغو . كان لمون الرئيسى يقص القصة كاملة :

احتراق فندق ريكوموند .. هل حرق عمدا ؟

هز هابيل رأسه فى ارتياح وأعاد قراءة العنوان .

تمتم قائلا : " هل يمكن أن يحدث ما هو أكثر من ذلك ؟ "

سأل بائع الصحف : " هل هناك مشكلة ؟ "

" مشكلة صغيرة " قالها هابيل ثم سار عائدا إلى مساعد المدير .

" من هو المسئول عن تحقيقات الشرطة ؟ "

قال مساعد المدير وهو يشير إلى رجل طويل مصاب بصلع مبكر :

" هذا الشرطى هناك الذى يميل على سيارة الشرطة . اسمه الملازم أومال . "

قال هابيل : " حسناً ، والآن انقل كل طاقم العمل فى الملحق

وسوف أقابلهم غدا فى العاشرة صباحاً . إن أراد أى منهم أن يرانى قبل هذا الموعد فسوف أكون فى فندق ستيفنز إلى أن أتدبر هذا الأمر . "

" أمرك أيها المدير "

سار هابيل نحو الملازم أومال وقدم نفسه إليه .

انحنى رجل الشرطة الاحتياطي الطويل قليلا لكى يصافح هابيل

" لقد عاد الرئيس السابق المفقود إلى أطلاله المحترقة "

قال هابيل : " لا أجد هذا مثيراً للضحك أيها الضابط . "

قال الشرطى : " آسف . إنه ليس مضحكاً . لقد كانت ليلة صينة . دعنا نذهب ونحتسى الشراب . "

أمسك الشرطى مرفق هابيل وقاده عبر شارع ميتشيخين آفينيو إلى أحد المطاعم الصغيرة فى الزاوية . طلب الملازم أومال اثنين من مخفوق اللبن .

ضحك هابيل عندما وضع المزيج الأبيض الرغوى أمامه . بما أنه لم يسو له أن عاش طقونه من قبل فقد كان هذا هو أول مريح لبن يشربه .

قال المحقق : " أعرف . هذا مضحك ، الكل فى هذه المدينة يحرر القوانين وسنابل اليورون واجعة . لذا يجب أن يكون هنك شخص ملتزم بالقوانين . على أية حال إن الحظر لن يدوم إلى الأبد وعندها سوف تبدأ مشاكلنا لأن المجرمين سوف يكتشفون أننا بالفعل أحب مخفوق اللبن . "

ضحك هابيل للمرة الثانية .

" والآن دعنا نناقش مشاكلك أنت يا سيد روزنوفسكى . أولاً دعنى أخبرك بأننى لا أظن أنك تملك ولو أملاً ضئيلاً فى الحصول على قيمة التأمين على الفندق . لقد تفحص خبراء الإطفاء بقايا البناء ووجدوا بمشيطه واكتشفوا أنه كان غرقاً بالكبروسين . لم تكن هنك حتى محاولة لإخفاء هذه الحقيقة . كما عثروا على آثار لطاقم العاملين فى كل أنحاء الدور تحت الأرضى . كان عود ثقاب واحد كافياً لإحراق المبنى كاملاً مثل الشمعة . "

سأل هابيل : " هل لديك أية فكرة عن الشخص الذى يمكن أن يكون متورطاً ؟ "

" دعنى أطرح الأسئلة . هل لديك أية فكرة عن الشخص الذى يمكن أن يحمل ضغينة ضد الفندق أو ضدك أنت شخصياً ؟ "

نحناح هابيل " هناك ما يقرب من خمسين شخصا أيها الملازم يقربون بنا . لقد طردت كل هذه الزمرة الفاسدة كاملة فور وصولي إلى الفندق . يمكنني أن أعد لك قائمة بالأسماء إن كان هذا سيساعدك . "

قال الملازم : " اعتقد ذلك ولكن بالطريقة التي يدور به الحديث في الخارج فقد لا أكون بحاجة إليها ، إلا أنك إذا توصلت إلى أية معلومة محددة ، أعلمني بها يا سيد روزنوفسكي 'عمنني بها لأنني يجب أن أحذر من أن لك أعداء يربصون بك هنا " . ثم أشار إلى الشارع الذي كان يعج بالمارة . سأل هابيل : " ما الذي تقصده ؟ "

" البعض يقولون إنك قد فقدت كل شيء أثناء الأزمة الاقتصادية وأنك بحاجة إلى أموال التأمين . " انتفض هابيل من فوق مقعده .

" هدئي من روعك ، هدئي من روعك . أعلم أنك كنت في بوسطن طوال اليوم ولكن الأهم من ذلك هو أنني أؤكد لك أنني سوف أعثر على الفاعل . إذن دعنا من هذا الأمر الآن " . ثم نهض من فوق مقعده . " سأسدد أنا ثمن مخفوق اللين ب سيد روزنوفسكي أنتظر أن تسدي لي خدمة في وقت ما في المستقبل " .

بينما كان الرجلان يسيران نحو الشارع ، ابتسم الشرطي لإحدى الفتيات عند سجل الحساب حيث أبدى إعجابه بكاحلها وأبدي تذمره من القنورات الطويلة الجديدة . أعطاهما خمسين سنتا وقال لها : " احتفظي بالباقي يا عزيزتي " .

قالت الفتاة : " شكرا جزيلا " .

قال الملازم " لا أحد يقدرني " .

صحت هابيل للمرة الثالثة وهو ما ظن أنه لم يكن ممكنا منذ سعة منت

استطرد الملازم حديثه وكان قد وصلا وقتها عند الباب : هناك شيء آخر . إن رجال التأمين يبحثون عنك . لا أستطيع تذكر اسم الرجل ولكن اعتقد أنه سوف يعثر عليك . تعامل معه جيدا . إن شعر أنك كنت متورطا ، من الذي يمكن أن يلومه ؟ ابق على اتصال بي يا سيد روزنوفسكي . سوف أحادثك ثانية " .

رأى هابيل الملازم وهو يختفي وسط زحام المشاهدين ثم سار ببطء إلى فندق ستيفنز وحجز لنفسه ليلة هناك . لم يملك موظف لاستبدال الذي كان قد سجل معظم نزلاء فندق ريكوموند لديه منع نفسه من الابتسام من فكرة حجز غرفة للمدير شخصيا .

ما إن استقر هابيل داخل غرفته ، جلس وكتب خطابا رسميا للسيد ويليام كين ، أخبره فيه تفصيليا بكل المعلومات التي كان يعرفها عن الحريق وبأنه عازم على استغلال وقت فراغه غير المتوقع بالقيام بجولة في ياقى فنادق المجموعة . لم يكن هابيل يرى أي جدوى من أن يبقى ليحوم حول ركام ريكوموند شيكاغو منتظرا أن يأتي أحدهم ويسدد ديونه .

بعد تناول إفطار أنيق في فندق ستيفنز في صباح اليوم التالي - كان هابيل يسعد دائما بالإقامة في فنادق ذات خدمة متميزة - سار لمقابلة كورتيس فنتون في كوتنغتونال تراسم لكي يعلمه بما كان من بنك كين وكابوت أو بشكل أدق لكي يخبره بما فعله ويليام كين . بالرغم من أن هابيل شعر بأن طلبه ليس منطقيا ، فقد أضاف بأنه يبحث عن مشتر لمجموعة فنادق ريكوموند بمبلغ مليوني دولار .

قال فنتون وهو يبدو أكثر إيجابية مما توقع هابيل : " إن هذا الحريق لن يساعدنا بحال ، ولكنني سوف أبذل جهدي . عندما

اشترت خمسة وعشرين بمائة من الأسهم من السيدة ليروي .
أخبرت وقتها بأن افتادق بمثابة أصول قيمة ويأت قد عقدت صفقة
ربحة . وبالرغم من الازدياد الاقتصادي فإنني لا أرى أن هناك ما
يدعوني لتغيير رأبي في هذا الأمر . سيد روزنوفسكى لقد راقبت
وأنت مدير الفتدق على مدى عامين وأن على استعداد مساندتك إن
نرك الأمر بحكمى الشخصى ولكننى أعلم أن البنك لن يسمح
بمساندة مجموعته ريكوموند لقد راقبت الوضع الذى بمجموعته الفتدق
على مدى فترة ممتدة بما جعلنا نفقد الامن فى مسعى المجموعه .
ومع ذلك فتدق بعض الاتصالات الخارجية التى يمكن أن احريها
وأسمى لمساعدتك أنت تمكث من المعجبين فى امسية ما يعنى ما
نعرفه ب سيد روزنوفسكى "

بعد تعليق الملازم او مالى كان هابيل شكك إن كان له ان
أصدقاء بالمره فى شيكاغو شكر كونريس فنون وعاد إلى قسم
لصرف وسحب ٥٠٠٠ دولار من حساب الفتدق . وقضى باقى يومه
فى مدح ريكوموند أعطى كل فرد من أفراد طاقه العمل رتب
أسبوعين وأخبرهم بأنه يمكنهم البقاء فى الملحق لشهر واحد على
الأقل أو إلى أن يعثرو على وظيفة جديدة ثم عاد هابيل بعدد إلى
فتدق سينفتر وحرم ملاسه الجديدة التى ضطر لشرتها بعد الحريق
وأعد نفسه بجولة بتعقد فيها باقى فتادق مجموعة ريكوموند

قد سارته ليويك التى كان قد شراها بعد انوير سوق امال
مباشرة وبدأ بفتدق ريكوموند سانت لويز استغرقت جولته على
سلسلة الفتادق ما يقرب من أربعة أسابيع . وبالرغم من أن كل
الفتادق كانت تعانى من لخساره بدون استثناء . فإن أيا منهم من
وجهة نظر هابيل لم يكن حالة ميؤوب منها كانت جميع الفتدق
تتمتع بموقع جيد بر إن بعضه كان يحتل فصل موقع على

المره لابد أن ليروي الأكبر كان أكثر حكمة من ابنه . فحصر
رئيسه الرئيس احصاء بكر فتدق بعدة . لم تكن هناك مشكلة فى
المره عند وصل أخيرا إلى فتدق دالاس ريكوموند . كان واثق من
شئ واحد فقط هو أن أى شخص سوف ينجح فى شراء المجموعة
سيتولى دولار سوف يكون قد عقد صفقة جيدة تعنى لو كان يمكن
أن يحصر غنى فرصة لانه كان يعرف تحديدا ما ينمى عليه عمله
بالبحر بمجموعه

عند عودته إلى شيكاغو . عاد هاسل ثانية إلى فتدق ستيمز .
كان هناك العديد من الرسائل فى انتظاره كانت هناك رسالة من
المرام اوبى برحوه فيها الاتصال به وكذلك ويليام كين وكورتيس
ميسون وأخير رساله من رجل يدعى هيرى أوسبورن

من هابيل بالاتصال اقبوبى . أجرى اتصلا هانعب فقيرا مع
وثنى ووافق على تحديد موعد للقاءه فى نفس المكان فى شارع
مستحق . ثم جلس على أحد لقاعد وأدار ظهره للمصدة وأخذ
يحرق إلى ركام وحطم فتدق ريكوموند وهو فى انتظار ملازم اوبى
وصل إلى متأخرا بضع دقائق ولكنه لم يكبد نفسه عناء لاعتذار
رجس فى المقعد المحاور سيبين واستدر لكي يكون فى مواجهته
سأل هاسل " لم تقاس بهذه الطريقة "

قل الملازم " لم يدين لى بخدمه . ولا أحد فى شيكاغو
يعكس أن بقلت من دين لبن أوساى المحفوق "
طلب هابيل اثنين من مخفوق سن . أحدهم بالحجم العادى
والآخر بالحجم الكبير

سأل هابيل " ما الذى توصلت إليه ؟ "
لقد كان خيرا الحرائق على حق . لقد كان الحريق منعصدا
باعتل وقد فبصلا على رجل يدعى ديسموند باسى . اكتشفنا انه

کر مدیر السابق لفندى ريكموث لقد حضرت ذلت حميد . اليس
كذلك ؟ "

"لَا تُفِ نَعَمْ"

”ولم تقول ذلك ؟“

لَا رِبَاسِي قَطْرَ مِنْ مَعْنَى قِيَامِهِمْ لَمْ يَكُنْ يَسْرِقُ أَحَدٌ
لِمَدَقٍّ وَقَدْ هَدَدْنِي بِالْفِعْلِ بِهِ سَوْفَ يَنَازُ مَعِي حَتَّى رَكِبَ هَسَا
هُوَ آخِرُ مَا سَوْفَ يَفْعَلُهُ فِي حَيَاتِهِ وَلَكِنَّهُ لَمْ يَكُنْ يَمْلِكُ - يَمْلِكُ
وَأَحِبُّهُ بِكَثِيرٍ مِنَ السَّهَدِيَّاتِ فِي حَيَاتِي بِهَا مَا لَزِمَ مَا جَعَلَنِي
أَكْثَرُ سَبَابٍ كَثِيرًا حَاصِلَةً عِنْدَهُ بَعْدَ مِنْ شَخْصٍ مِثْلَ بَاسِي

‘حَسْبُكَ’ وَلَكِنْ يَحِبُّ رُخْرِكَ بِبَيْتٍ يَتَعَدَّى مَعَهُ بَجْدَةً
وَكَدَلَتْ رَحَابُ التَّامِيمِ . لَأَمْنِي عِلْمَتِ بِسْهَمٍ لِي يَدْفَعُوا صِيبَ رَاحِلَةٍ
بِئْسَ شَيْءٌ تَوَلَّى بَيْنَكَ وَبَيْنَ رَسْمِي لِحَقِيقٍ ”

فہا ہا ہا ہا " ہذا کر ما رید ان اعرفہ الان وینکر کیف
یكذب من ان یاسی هو الداعل " ۱

لقد كشفت انه كان في قسم الحوادث في المستشفى المحمي في نفس يوم وقوع الحريق وسك من خلال المحضر الدورى معرفه اسم- الاشخاص لذين بقوا في المستشفى في ذلك ليوم من لصيبي بحروق خطيرة وقد اكتشفنا مصادقة - وهذا يحدث كثيرا في قسم الشرطة لاننا نسم جميعا شيرلوك هولمز - وجوده هناك من خلال روجه أحد رجال الشرطة لني سمعت اسمه كنت بعض مدلة في فندق ريكيموند واخبرتني بان رجل كار يعمل مديرا للفندق وقد استطعت ان ربط الحبوط بعصب وقد وقع رجل في بسهولة ولم يبذل جهد في اخفاء جريمته بل إنه كان يباهي بإطلاق اسم مذهبة سانت قالتني على يوم الحريق . حتى يضع دقائق مضت لم أكن وثقا من دافع الانتقام ولكنني أعرف ذلك جيدا

ان ومع ذلك فانت ليست مدهشا هذا هو حل بلعزب سيد
 ورتسكي

وصى بالزوم شرب المخفوق ، أي أن تأكد أن الكوب قد فرغ من آخر نقطة بداخله .

ساز هابیب " هن ترید کا آحر بن مخفوق السر "
 کلا سوف اکنفی بحد السر مزال امدی یوم خمس

ثم قدم واقفا " حضوا بعد زوروفسكي ان يستعجب
من رجال الامن بانهم لم يكن مطلوب مع السيد باسي ،
فسيوف يحضر على ما انه سوف يذل جهدي مساعدتك ان وصل
لا يرفض ، حزن على لا يصر بي "

سُوءة هيبين وهو بخفي عبر الب أعطي سدله دولا رانم
وفت سالخار اى حانب الطريق وأخذ بحدق فى لعفاء ٧ فى
الغصا شى كان ينف فيه فبدو يكومود بند أقل من شهر مضى
م سدا وسر عاندا عى فسق سيق

كانت هذه رسالة أخرى قد تركها له هنري وسبورن ولكن
 سبورن بصرف يشرح أي صفة كانت هذه وسيلة واحدة فقط
 لاكتشاف الأمر. انظر هابيل وسبورن، الذي اكتشف انه كان أحد
 المحققين في شركة جريت وسترن. احدى شركات التأمين الكبرى
 في انجلترا والتي كانت قد امنحت عيسى القندري حدود هابيل
 بوحدة، بتمت البلد أوسبورن في الظهيرة ثم انصرف بعد ما بوليام
 كين في بوسطن ومنحه تعويض عن القندري بعد زيارته للجموعه
 كاملة

أريد أن أكرر ثانية يا سيّد كين : بأننى يمكن أن أحيل
خسائر الفنادق إلى مكاسب إن وافق بنكك على منحى الوقت الكافى

سأل هابيل وهو أكثر دهشة : " لماذا ؟ "

" حسنا ، إنك لن تحظى بنوم جيد هناك فقد احترق الفندق عن آخره اليوم " .

بينما انحدرت السيارة فى جانب الطريق ، وجد هابيل نفسه أمام ركاب فندق ريكموند شيكاغو . كانت سيارات الشرطة والإطفاء والواح الخشب والماء تقطر الشارع . خرج من السيارة وأخذ يحذر على بقايا لافتة مجموعة ديفيز ليروى .

بين البولندى حكيم عند نزول المصائب .. هذا هو ما جال بخاطر من هو وهو يقبض بيده ويطلق بها ساقه العرجاء بعنف ، لم يشعر بأنه لم ينق لديه ما يشعر به

صاح بصوت مرتفع : " أيها الملاعين ! لقد كنت أقل من هذا من قبل وسوف أهرمكم جميعا الآمان وسروس والأنرا وكين بعد الجميع ، سوف أهرم الجميع لا أحد يستطيع أن يقهر هابيل روريفسكى " .

أى مساعد مدير هيبس وهو يتوعد بجوار السيارة الأجرة فأسرع نحوه ، حيث أحضره دس على الاحتفاظ بهدوئه

وسأله : " هل خرج الجميع بسلام ؟ "

" نعم ، الحمد لله ، كان الفندق خائبا تقريبا ، لذا لم يكن إخراج الجميع أمرا صعبا . هناك فقط إصابة بسيطة أو اثنتين وبعض الحروق . لقد نقلوا إلى المستشفى ولكن ليس هناك ما يدعو للقلق " .

" جيد . لقد نجا الجميع على الأقل . الحمد لله أن الفندق مؤمن عليه بأكثر من مليون دولار على حد علمي . يمكننا على الأقل أن نحيل هذه الكارثة إلى مكسب " .

" هذا إن لم يكن ما نشر فى الجرائد الصباحية صحيحا " .

الفصل الثامن عشر



عاد هابيل إلى شيكاغو فى صباح اليوم التالى وهو فى حال مشغول الفكر وحائقا على ويبيم كين لم يلتفت إلى ما كان يصيح به بنوع الجرد سيما وقف لاستدعاء سيارة أجرة وركب فى المقعد بخلفى " فندق ريكموند من فضلك " .

سأله السائق وهو يسير نحو شارع ستيت : " هل أنت صحفي ؟ "

قال هابيل : " لا ، ما الذى جعلك تطرح على مثل هذا السؤال ؟ "

" لأنك طلبت الذهاب إلى فندق ريكموند . كل الصحفيين قد توافدوا إلى هناك اليوم " .

فكر هابيل : ليس هناك حدث يمكن أن يجتذب الصحفيين إلى هناك اليوم .

استطرد السائق حديثه قائلا : " إن لم تكن صحفيا فيمكننى أن أصحبك إلى فندق آخر " .

سأل هابيل : " ما الذى تقصده ؟ "

أجاب مساعد المدير : " أفضل أن تقرأه بنفسك أيها المدير . "

سار هابيل إلى أقرب متجر لبيع الصحف ودفع سنتين وحضر

على نسخة من آخر طبعة لجريدة التريبيون شيكاغو . كان لمون
الرئيسي يقص القصة كاملة :

احتراق فندق ريكوموند .. هل حرق عمدا ؟

هز هابيل رأسه فى ارتياح وأعاد قراءة العنوان .

تمتم قائلا : " هل يمكن أن يحدث ما هو أكثر من ذلك ؟ "

سأل بائع الصحف : " هل هناك مشكلة ؟ "

" مشكلة صغيرة " قالها هابيل ثم سار عائدا إلى مساعد المدير .

" من هو المسئول عن تحقيقات الشرطة ؟ "

قال مساعد المدير وهو يشير إلى رجل طويل مصاب بصلع مبكر :

" هذا الشرطى هناك الذى يميل على سيارة الشرطة . اسمه الملازم
أومال . "

قال هابيل : " حسناً ، والآن انقل كل طاقم العمل فى الملحق

وسوف أقابلهم غدا فى العاشرة صباحاً . إن أراد أى منهم أن يرانى

قبل هذا الموعد فسوف أكون فى فندق ستيفنز إلى أن أتدبر هذا
للأمر . "

" أمرك أيها المدير "

سار هابيل نحو الملازم أومال وقدم نفسه إليه .

انحنى رجل الشرطة الاحتياطي الطويل قليلا لكى يصادف هابيل

" لقد عاد الرئيس السابق المفقود إلى أطلاله المحترقة "

قال هابيل : " لا أجد هذا مثيرا للضحك أيها الضابط . "

قال الشرطى : " آسف . إنه ليس مضحكا . لقد كانت ليلة

صينة . دعنا نذهب ونحتسى الشراب . "

أمسك الشرطى مرفق هابيل وقاده عبر شارع ميتشيخين آفينيو

إلى أحد المطاعم الصغيرة فى الزاوية . طلب الملازم أومال اثنين من
مخفوق اللبن .

ضحك هابيل عندما وضع المزيج الأبيض الرغوى أمامه . بما أنه

لم يسو له أن عاش طقونه من قبل فقد كان هذا هو أول مريح لبن
يشربه .

قال المحقق : " أعرف . هذا مضحك ، الكل فى هذه المدينة

بحر القوانين وسدول البوربون واجعة . لذا يجب أن يكون هنت

شخص ملتزم بالقوانين . على أية حال إن الحظر لن يدوم إلى الأبد

وعندها سوف تبدأ مشاكلنا لأن المجرمين سوف يكتشفون أننا

بالفعل أحب مخفوق اللبن . "

ضحك هابيل للمرة الثانية .

" والآن دعنا نناقش مشاكلك أنت يا سيد روزنوفسكى . أولا

دعنى أخبرك بأننى لا أظن أنك تملك ولو أملا ضئيلا فى الحصول

على قيمة التأمين على الفندق . لقد تفحص خبراء الإطفاء بقايا البناء

وفوجئوا بمشيطه واكتشفوا أنه كان غرقا بالكبروسين . لم تكن هناك

حتى محاولة لإخفاء هذه الحقيقة . كما عثروا على آثار لطاقم

العاملين فى كل أنحاء الدور تحت الأرضى . كان عود ثقاب واحد

كافيا لإحراق المبنى كاملا مثل الشمعة . "

سأل هابيل : " هل لديك أية فكرة عن الشخص الذى يمكن أن

يكون متورطا ؟ "

" دعنى أطرح الأسئلة . هل لديك أية فكرة عن الشخص الذى

يمكن أن يحمل ضغينة ضد الفندق أو ضدك أنت شخصيا ؟ "

نحناح هابيل " هناك ما يقرب من خمسين شخصا أيها الملازم يقربون بنا . لقد طردت كل هذه الزمرة الفاسدة كاملة فور وصولي إلى الفندق . يمكنني أن أعد لك قائمة بالأسماء إن كان هذا سيساعدك . "

قال الملازم : " اعتقد ذلك ولكن بالطريقة التي يدور به الحديث في الخارج فقد لا أكون بحاجة إليها ، إلا أنك إذا توصلت إلى أية معلومة محددة ، أعلمني بها يا سيد روزنوفسكي 'عمنني بها لأنني يجب أن أحذر من أن لك أعداء يربصون بك هنا " . ثم أشار إلى الشارع الذي كان يعج بالمارة . سأل هابيل : " ما الذي تقصده ؟ "

" البعض يقولون إنك قد فقدت كل شيء أثناء الأزمة الاقتصادية وأنك بحاجة إلى أموال التأمين . " انتفض هابيل من فوق مقعده .

" هدئي من روعك ، هدئي من روعك . أعلم أنك كنت في بوسطن طوال اليوم ولكن الأهم من ذلك هو أنني أؤكد لك أنني سوف أعثر على الفاعل . إذن دعنا من هذا الأمر الآن " . ثم نهض من فوق مقعده . " سأسدد أنا ثمن مخفوق اللين ب سيد روزنوفسكي أنتظر أن تسدي لي خدمة في وقت ما في المستقبل " .

بينما كان الرجلان يسيران نحو الشارع ، ابتسم الشرطي لإحدى الفتيات عند سجل الحساب حيث أبدى إعجابه بكاحلها وأبدى تذمره من القنورات الطويلة الجديدة . أعطاهما خمسين سنتا وقال لها : " احتفظي بالباقي يا عزيزتي " .

قالت الفتاة : " شكرا جزيلا " .

قال الملازم " لا أحد يقدرني " .

صحت هابيل للمرة الثالثة وهو ما ظن أنه لم يكن ممكنا منذ سعة منت

استطرد الملازم حديثه وكانا قد وصلا وقتها عند الباب : هناك شيء آخر . إن رجال التأمين يبحثون عنك . لا أستطيع تذكر اسم الرجل ولكن اعتقد أنه سوف يعثر عليك . تعامل معه جيدا . إن شعر أنك كنت متورطا ، من الذي يمكن أن يلومه ؟ ابق على اتصال بي يا سيد روزنوفسكي . سوف أحادثك ثانية " .

رأى هابيل الملازم وهو يختفي وسط زحام المشاهدين ثم سار ببطء إلى فندق ستيفنز وحجز لنفسه ليلة هناك . لم يملك موظف لاستبدال الذي كان قد سجل معظم نزلاء فندق ريكوموند لديه منع نفسه من الابتسام من فكرة حجز غرفة للمدير شخصيا .

ما إن استقر هابيل داخل غرفته ، جلس وكتب خطابا رسميا للسيد ويليام كين ، أخبره فيه تفصيليا بكل المعلومات التي كان يعرفها عن الحريق وبأنه عازم على استغلال وقت فراغه غير المتوقع بالقيام بجولة في ياقى فنادق المجموعة . لم يكن هابيل يرى أي جدوى من أن يبقى ليحوم حول ركام ريكوموند شيكاغو منتظرا أن يأتي أحدهم ويسدد ديونه .

بعد تناول إفطار أنيق في فندق ستيفنز في صباح اليوم التالي - كان هابيل يسعد دائما بالإقامة في فنادق ذات خدمة متميزة - سار لمقابلة كورتيس فنتون في كوتنغتونال تراسم لكي يعلمه بما كان من بنك كين وكابوت أو بشكل أدق لكي يخبره بما فعله ويليام كين . بالرغم من أن هابيل شعر بأن طلبه ليس منطقيا ، فقد أضاف بأنه يبحث عن مشتر لمجموعة فنادق ريكوموند بمبلغ مليوني دولار .

قال فنتون وهو يبدو أكثر إيجابية مما توقع هابيل : " إن هذا الحريق لن يساعدنا بحال ، ولكنني سوف أبذل جهدي . عندما

اشتريت خمسة وعشرين بمائة من الأسهم من السيدة ليروي .
أخبرتني وقتها بأن افتدق بمائة أصول قيمة ويأتى قد عقدت صفقة
ربحة . وبالرغم من الاسهال الاقتصادي فإننى لا أرى أن هناك ما
يدعونى لتغيير رأى فى هذا الأمر . سيد روزنفسكى لقد راقبت
وأنت مدير الفندق على مدى عامين وأن على استعداد مساندتك إن
نرك الأمر بحكمى الشخصى ولكنى أعلم أن البنك لن يسمح
بمساندة مجموعته ريكوموند لقد راقبت الوضع الذى بمجموعته الفندق
على مدى فترة ممتدة بما جعلنا نفقد الامن فى جميع المجموعه .
ومع ذلك فندق بعض الاتصالات الخارجية التى يمكن أن احريها
وأسمى لمساعدتك أنت تمكث من المعجبين فى امسية ما يعنى ما
نعرفه ب سيد روزنفسكى "

بعد تعليق الملازم او مالى كان هابيل شك إن كان لديه أى
أصدقاء بالمره فى شيكاغو شكر كونريس فنون وعاد إلى قسم
لصرف وسحب ٥٠٠٠ دولار من حساب التفتق . وقضى باقى يومه
فى مدح ريكوموند أعطى كل فرد من أفراد طاقه العمل رتب
أسبوعين وأخبرهم بأنه يمكنهم البقاء فى الملحق لشهر واحد على
الأقل أو إلى أن يعثرو على وظيفة جديدة ثم عاد هابيل بعدد إلى
فندق سينغر وحرم ملاسه الجديدة التى ضطر لشرتها بعد الحريق
وأعد نفسه بجولة بتعقد فيها باقى فنادق مجموعه ريكوموند

قد سارته ليويك التى كان قد شراها بعد انوير سوق امال
مباشرة وبدأ بفندق ريكوموند سانت لويز استغرقت جولته على
سلسلة الفنادق ما يقرب من أربعة أسابيع . وبالرغم من أن كل
الفنادق كانت تعانى من لخساره بدون استثناء . فإن أيا منهم من
وجهة نظر هابيل لم يكن حالة ميثوب منها كانت جميع الفنادق
تتمتع بموقع جيد بر إن بعضه كان يحتل فصل موقع على

المره لابد أن ليروي الأكبر كان أكثر حكمة من ابنه . فحصر
رئيس المبنى احصاة بكر فندق بعدة . لم تكن هناك مشكلة فى
المره عند وصل أخيرا إلى فندق دالاس ريكوموند . كان واثق من
شئ واحد فقط هو أن أى شخص سوف ينجح فى شراء المجموعة
سببوى دولار سوف يكون قد عقد صفقة جيدة تعنى لو كان يمكن
أن يحصر غنى فرصة لانه كان يعرف تحديدا ما ينبغي عليه عمله
بالبحر بمجموعه

عند عودته إلى شيكاغو . عاد هاسل ثانية إلى فندق ستيمز .
كان هناك العديد من الرسائل فى انتظاره كانت هناك رسالة من
المرام اوبى برحوه فيها الاتصال به وكذلك ويليام كين وكورتيس
ميسون وأخير رساله من رجل يدعى هيرى أوسبورن

من هابيل بالاتصال اقبوبى . أجرى اتصالا هاتعب فميرا مع
وثنى ووافق على تحديد موعد للقاءه فى نفس المكان فى شارع
مستحق . ثم جلس على أحد لقاعد وأدار ظهره للمصدة وأخذ
يحرق إلى ركام وحطم فندق ريكوموند وهو فى انتظار ملازم اوبى
وصل إلى متأخرا بضع دقائق ولكنه لم يكبد نفسه عناء لاعتذار
رجس فى المقعد المحاور سيبين واستدر لكى يكون فى مواجهته
سأل هاسل " لم تقاس بهذه الطريقة "

قل الملازم " لم يدين لى بخدمه . ولا أحد فى شيكاغو
يعلم أن بقلت من دين لبن أوسا المحفوظ "

طلب هابيل اثنين من مخفوق سن . أحدهم بالحجم العادى
والآخر بالحجم الكبير

سأل هابيل " ما الذى توصلت إليه ؟ "
لقد كان خيرا الحرائق على حق . لقد كان الحريق منعصدا
باعتل وقد فبصلا على رجل يدعى ديسموند باسى . اكتشفنا انه

والسائدة أنا واثق من أن ما فعلته في شيكاغو يمكن أن يتكرر في باقي فنادق المجموعة .

" سوف تكون قادرا على ذلك على الأرجح يا سيد روزنوفسكى ولكنني أخشى أنه لا يمكنك أن تحقق ذلك بأموال كين وكابوت أود أن أذكرك بأنه لم يعد قد بقي أمامك سوى أيام قليلة للمثور على ممول . عمت صباحا يا سيدى " .

" يالك من مغرور أحقق " قالها هابيل بعد أن أغلق الطرف الآخر السماع : " أنا لست راقيا بما يكفي للحصول على مالك . أليس كذلك ؟ في يوم ما أيها اللطيف ... " .

كان الهند الثانى فى فكرة هابيل هو رجل التأمين . وجد هابيل أن هنرى أوسبورن كان رجلا طويلا وسيما صاحب شعر أسود وخصلة من الشعر الرمادى . وقد وجد هابيل فى طريقته البسيطة فى التعامل قدرا من الراحة . لم يصف أوسبورن إلا القليل لروايه الملازم أومالى . لم تكن شركة التأمين تنوى سداد قرش واحد من قيمة التأمين بينما الشرطة تسعى لإدانة ديسموند باسى . بلحرو المعمد مع سبق الإصرار وإلى أن تثبت براءة هابيل نفسه من التواطؤ . بدا هنرى أوسبورن متفهما للغاية أبعاد المشكلة .

سأل أوسبورن : " هل تملك مجموعة ريكمون ما يكفي من امال لإعادة بناء الفندق ؟ " .

قال هابيل : " ولا سنقتأ واحدا . إن باقى فنادق المجموعه مرهونة فضلا عن أن البنك يضغط عليّ لبيعها " .

قال أوسبورن : " ولم أنت ؟ " .

شرح له هابيل كيف أنه نجح فى اقتناء أسهم المجموعة بدون أن يملك الفنادق قلميا . بدا هنرى أوسبورن مندهشا بعض الشيء .

" ولكن البنك يمكن أن يتأكد بنفسه من مدى كفاءتك فى إدارة فنادق . إن كل رجل أعمال فى شيكاغو يدرك تماما أنك كنت سير الأول الذى نجح فى تحقيق أرباح لديفيز ليروى . أنا أدرك أن سموت تمر بأوقات عصيبة ولكن مع ذلك فإنهم يجب أن يعرفوا تحديدا متى يمكنهم أن يسمحوا باستثناءات لصالحهم " .

" ليس هذا البنك " .

قال أوسبورن : " بنك كونتيننتال تراست ؟ إن كورتيس فنتون متشدد بعض الشيء ولكن مع ذلك فهو يتسم بقدر من المرونة " .

" ليس كونتيننتال . إن البنك مملوك لأحد بنوك بوسطن الذى سعى بنك كين وكابوت " .

بهت وجه هنرى أوسبورن وغاص فى المقعد .

سأل هابيل : " هل أنت بخير ؟ " .

" نعم ، أنا على ما يرام " .

" هل تعرف هذا البنك ؟ " .

" ولكن هذا الأمر يجب أن يبقى سرا بيننا " .

" بالطبع " .

" نعم ، لقد تعاملت معهم من خلال شركتى ذات مرة من قبل " ، ثم بدا هنرى مترددا ولكنه استطرد قائلا : " وانتهى بن المآل إلى القضاء " .

" لماذا ؟ " .

" لا يمكننى أن أفصح عن التفاصيل . لقد اضطرب العمل بيننا . لنقل إن أحد المديرين لم يكن نزيها تماما وصريحا معنا " .

سأل هابيل : " أيهم ؟ " .

" من هو الشخص الذى تعاملت أنت معه ؟ " .

" رجل يدعى ويليام كين " .

بدأت علامات التردد ثانية على وجه أوسبورن ثم قال "أحذره إنه سوا الأشخاص خلفا في العالم . يمكنني أن أؤكد لك الحقائق اللامعة عنه ولكن يجب أن يبقى هذا سرا بيننا " قال هابيل "بني بالطبع لا أكن له أى حب . سوف أخص بك يا سيد أوسبورن مدى حجب يجب أن نسويه مع السيد كين بسبب معاملته لديفيد ليروى "

قال هنرى وهو ينهض من حنف مكتبه " حسن . يمكنك أن تثق بى وبحصولك على مساعدتى بنى شكل مادم الأمر له علاقه بويليم كين ولكن هذا يجب أن يرمى سرا بيننا وإن ثبت القضا بأن ديسموند باسى هو المسئول عن الحريق لذى بحق ريكوند وبس هذا شخص آخر متواضى معه . فسوف يسد الشركة قيمة التأمين فى نفس اليوم . ربك يكون بوسعك بعد أن توسع دائرة أعمدات فيما يخص بقى سلسلة بفتائق " قال ديبيل "ربما "

سارع هابيل عائدا إلى فندق ستيفنز وقرر أن يتناول العشاء وأن يكتشف بنفسه مدى كفاءة إدارة قاعة الطعام الرئيسية هناك . وجد فى انتظاره هناك رسالة أخرى موجهة إليه . كان رجل يدعى السيد ديفيد مكستون يسأل إن كان يمكن أن يتناول معه الغداء فى اواحدة .

قال هابيل فى صوت مرتفع فنظرت إليه موظفة الاستقبال : " ديفيد مكستون ؟ لماذا ؟ وهل أعرف هذا الاسم ؟ " " إنه مالك هذا الفندق يا سيد روزنوفسكى "

" أجل : نعم . أخبرنى السيد مكستون بأنه يشرفنى تناول الغداء معه " . ثم ألقى هابيل نظرة على ساعة يده . " هلا أخبرته بأننى سوف أتأخر بضع دقائق "

قالت الفتاة " بكن تأكيد يا سيدى " "سرع هابيل إلى عرفته وارتدى قميص أبيض هو يسأل نفسه عن سبب رغبة السيد مكسون فى مقابلته كانت عرفة الطعام معدة بالفعل عندما وصل ديبيل . قاده كبير لندل إلى مائدة الخاصة فى أحد أركان قاعة سروب الطعام حيث كان صاحب الفندق يجلس وحيدا . قام من مقعده ليرحب بهابيل " ديبيل روزنوفسكى يا سيدى " قال مكسون " أجل . أعرفك أو لكى أكون دقيقا سمعتك بفتك . جلس من فضلك ودعنا نطلب الغداء "

كان هابيل منبهرا بفندق ستيفنز . كان الطعام وبخدمة فى جودة استبلا . ولكنه إن كان يريد أن يملك أفضل فندق فى شيكاغو كان عليه أن يدرث فإنه يجب أن يكون أفضل من هذا . ظهر رئيس المائدة ثانية بقائمة الطعام . فحضر هابيل القائمة بعينه ثم طلب بأدب طبقه الأول وأخبر شريحة من لحم سمعى . كان يعلم أن هذه هى أسوء وسيلة لمعرفة ما إن كان المطعم يعم من الجزارة الصحيحة . لم ينظر ديفيد مكستون إلى قائمته وإنما اختار على الفور طبق السلامون . أسرع رئيس النذر لإحضار أطباق

" لا بد أنك تتساءل عن سر دعوتى لك على الغداء يا سيد روزنوفسكى ؟ "

قال هابيل وهو يضحك : " أعتقد أنك سوف تطلب منى أن أدير الفندق من أجلك "

" أنت محق تماما يا سيد روزنوفسكى "

عجز هابيل عن التفوه بكلمة . وجاء دور مكستون فى الضحك هذه المرة . حتى وصول التادل وهو يدفع بعربة الطعام التى تحمل

أفضل قطعة من اللحم البقرى لم تخرجه من صمته . بقى مقدم الطعام منتظرا . وقام مكستون يعصر الليمون على السلامون وواصر حديثه قائلا :

" إن مدير الفندق سوف يتقاعد فى غضون خمسة أشهر بعد اثنين وعشرين عاما من الإخلاص فى العمل . كما أن مساعد المدير أيضا سوف يتقاعد بعده بقليل ، لذا فأنا أبحث عن شخص جديد لشغل الوظيفة " .

قال هايبيل : " يبدو المكان منظما للغاية " .

قال مكستون : " ولكننى على استعداد دائم للتطوير يا سيد روزنوفسكى . كان لا رضى أبدا عن الماء ساكنا . لقد راقبتك عن كثب . لم يكن ريكيموند يرقى حتى الى مستوى الفندق قبل أن نتوى أنت إدارته . لم يكن سوى فندق رخيص قبل ذلك . لو كان قد قدر لك أن تبقى فى عملك على مدى عامين أو ثلاثة أعوام أخرى لكنت قد نافست فندق ستيفنز عن جدارة لو لم يقدم هذا الأحق على حرو .

امكان قبل أن تُمنح هذه الفرصة " .

" هل تريد البطاطا يا سيدى ؟ " .

نظر هايبيل فإذا بنادلة جذابة الوجه . ابتسمت له

قال لها : " كلا شكرا . حسنا ، أنا معتن يا سيد مكستون لعرضك ورأيك فى شخصى " .

" أعتقد أنك سوف تكون سعيدا معنا يا سيد روزنوفسكى . إن فندق ستيفنز يمس إداره قوية كما أنسى على استعداد لأن منحه خمسين دولارا أسبوعيا واثنين بالمائة من الربح . يمكنك أن تبد وقتما شئت " .

قال هايبيل : " أنا بحاجة لبضعة أيام لكى أفكر فى عرضك الكريم يا سيد مكستون . ولكننى أقر يتحمسى للعرض . ومع ذلك فهناك بعض المشاكل التى يجب أن أسويها فى فندق ريكيموند " .

سألت نفس النادلة بنفس الايتسامة : " هل تريد بعض الفاصوليا يا سيدى ؟ " .

كان هايبيل واثقا من أنه قد رأى هذه الايتسامة من قبل . ربما كانت تعمل فى الريكيموند فى وقت من الأوقات .

نعم . شكرا لك " .

راقبها هايبيل وهى تسير مسعدة . كان فيب ثمة شيء ما سأد مكستون " . لم لا تنعى فى الفندق كضيف لبضعة أيام لكى تراقب الكيفية التى تدير بها المكان . قد يسعدك هذا على اتخاذ قرار " .

" لن يكون هذا ضروريا يا سيد مكستون . بعد يوم واحد قضيتك كنزىل بالفندق أدركت مدى كفاءة الإدارة . إن مشكلتى الآن هى أننى أملك فندق الريكيموند " .

ارتسمت علامات الدهشة على وجه ديفيد مكستون وقال : " لم يكن لدى فكرة عن هذا الأمر . كنت أظن أن ابنة ديفيد لبروى هى المالكة الآن " .

قال هايبيل : " إنها قصة طويلة " وشرح مكستون كيف امتلك سهم الفندق بالكامل

" إن مشكلتى بسيطة يا سيد مكستون ، فإن ما أريد أن أفعله بحق هو أن أحصل على مليونى دولار وتحويل المجموعة إلى شيء ذى قيمة . إنه أمر يمكن أن يمنحك عائدا جيدا على أموالك ؟ " .

قال مكستون وهو ينظر فى تساؤل إلى طبقه الفارغ .

" فهمت " . جاء أحد النادل وحمل الطبق .

" هو تريد أن تحتسى بعض القهوة ؟ " سألت ذلك نفس النادلة وكانت تحمل نفس النظرة المألوفة . بدأ الأمر يشغل هابيل .
 " وأنت تقول إن كورتيس فنتون من كونتيننتال تراست يبحث عن مشتر باسمك ؟ "

قال هابيل : " نعم . إنه يبحث منذ ما يقرب من شهر . بل إننى سوف أعرف عصر اليوم إن كان بالفعل قد عثر على مشتر ولكننى لست متفائلا " .

" حسنا ، هذا أمر مهم . لم أكن أعرف أن مجموعة ريكوموند تبحث عن مشتر . أعلينى بالتطورات على أية حال "

قال هابيل : " بكل تأكيد "

" كم بقى لك من فترة السماح التى منحها لك البنك لحين تسديد المليونى دولار ؟ "

" فقط بضعة أيام قليلة ، أى أننى لن أظيل انتظارك " .
 قال مكستون : " أشكرك . سعدت بمقابلتك يا سيد روزنوفسكى . وأنا واثق من أننا سوف نستمتع بالعمل سويا " . ثم صافح هابيل بحرارة .

ابتسمت النادلة لهابيل ثانية وهو يمر بجوارها فى طريقة للخروج من قاعة تناول الطعام . عندما وصل هابيل إلى كبير النادل ، توقف وسأله عن اسمها .

" آسف يا سيدى ولكنه من غير المسموح أن نفصح عن أسماء أى من العاملين للزلاء ، هذا أمر محظور تماما فى لائحة الفندق إن كانت لديك أى شكوى فيمكنك أن تقدمها لى يا سيدى "

قال هابيل : " لا شكوى ، بل على العكس لقد كان الغداء ممتازا " .

بعد أن حصل هابيل على عرض عمل أصبح أكثر ثقة عندما ذهب للقاء كورتيس فنتون . كان واثقا من أن الرجل لم يكن قد عثر على مشتر ومع ذلك فقد ذهب للقاءه فى الكونتيننتال تراست فى شيء من التباطؤ . كانت فكرة إدارة أفضل فندق فى شيكاغو تروق له . ربما يمكن أن يحيله إلى أفضل فندق فى أمريكا . ما إن وصل إلى البنك ، أدخل على الفور للقاء السيد كورتيس فنتون فى مكتبه . دعا الرجل المصرفى الطويل - هل كان يرتدى نفس الحلة يوميا أم أنه كان يملك ثلاث حلل متماثلة ؟ - هابيل للجلوس وانشغ وجهه الصارم عن ابتسامة عريضة .

" سيد روزنوفسكى ، كم يسعدنى لقاءك ثانية . لو كنت قد جئت إلى هذا الصباح لما وجدت عندى جديدا ولكن منذ بضع دقائق فقط تلقيت مكالمة هاتفية من أحد الأطراف المعنية "

خفق قلب هابيل من هول المفاجأة والسعادة . بقى صامتا للحظات ثم قال " هل لك أن تخبرنى بالعرض ؟ "

" كلا لا يمكننى ذلك . لقد كانت تعليمات هذه الجهة صارمة فى هذا الصدد ، يجب أن تظل مجهولة ، لأن الصفقة سوف تكون بمثابة استثمار خاص وقد تكون متعارضة بعض الشيء مع باقى أعمال العميل "

تمتم هابيل : " ديفيد مكستون . ليباركه الله " .

لم يجب كورتيس فاستظرد هابيل حديثه قائلا : " كم تظن الوقت المطلوب إلى أن تتأكد من قرار هذه الجهة أو هذا الشخص بشكل أو بآخر ؟ "

" لا يسعنى أن أجيبك الآن ولكننى قد أحمل لك المزيد من الأخبار بحلول يوم الاثنين القادم ، فإن كان بوسعك أن تضر على " .

قال هابيل : " بوسعى أن أمر للقائك ؟ هذه قضية عمرى " .
 " إذا ربما وقتها سوف يكون بوسعنا أن نحدد موعدا نهائيا
 الاثنين المقبل " .

همس هابيل قائلا : " إنه الحظ " وهو يعبر شارع مقشجن فى
 طريق عودته إلى فندق ستيفنز . ركب فى المصعد إلى أن وصل إلى
 غرفته وانحس بويليام كبر لكى يطلب مد فتره الصباح إلى يوم لاثين
 التالى ، مخبرا إياه بأنه بحلول هذا الموعد ربما يكون قد عثر على
 مشتر للفندق ، بدا كين مترددا ولكنه وافق فى نهاية الأمر
 " أيها اللقيط " كررها هابيل عدة مرات وهو يعيد ساعة
 الهاتف إلى مكانها . " فقط امنحنى بعض الوقت يا كين وسوف
 تندم على قتل ديفيز ليروى " .

جلس هابيل عند طرف فراشه وهو يطرق بأصابعه على العارضة
 بحشية سرير ويسنر نفسه عن الكيمية بنى سوف يصطحب
 الوقت المتبقى على يوم الاثنين . أخذ يجول فى أنحاء بهو الفندق ،
 وما هي ثنية ، النادلة التى قدمت له الفداء ، لقد كانت تعمل الآن
 فى تقديم الشاى فى حديقة التروبيكال . كان فضول هابيل قد يبلغ
 مبلغه فسار إلى أن جلس فى مقعد فى أحد الأركان البعيدة . فجاءت
 إليه .

قالت : " عمت مساءً يا سيدى . هل تريد أن تحتسى بعض
 الشاى ؟ "

ثم ابتسمت الابتسامة المألوفة ثانية .

سأل هابيل : " نحن نعرف بعضنا البعض ، أليس كذلك ؟ " .
 " أجل يا وودك " .

انكمش هابيل لوقع الاسم واحمر وجهه قليلا وهو يتذكر كيف
 تحول الشعر القصير الأشقر إلى شعر طويل والعيون الخجلة إلى عيون

حريمه " زافيا ، لقد حضرنا إلى أمريكا على متن نفس السفينة
 ثلاثين سنة . بالطبع وقد ذهبت إلى شيكاغو . ما لدى جاء لك إلى
 هنا ؟ "

" أنا أعمل هنا كما ترى . هل تريد أن تحتسى بعض الشاى يا
 سيدى ؟ " . أشعرت لهجتها البولندية هابيل بالحنين إلى وطنه
 قال هابيل : " تناولى العشاء معى الليلة " .

لا أستطيع يا هابيل ، فحنن لا يسمح لنا بمصاحبة الزلاء . هذا
 يعنى أن أخسر وظيفتى على الفور " .

قال هابيل : " ولكننى لست نزيلا وإنما صديق " .
 قالت زافيا : " ... أنت الذى زعم بأنه سوف يأتى لزيارتى فى
 شيكاغو بمجرد أن يستقر فى أمريكا . وعندما جاء بالفعل لم يسعه
 حتى أن يتذكر أننى أعيش هنا " .

قال هابيل : " أعرف ، أعرف ، سامحنى . زافيا ، أقبلى
 دعوتى على العشاء الليلة . فقط هذه المرة " .
 كررت : " فقط هذه المرة " .

" قابلىنى فى مطعم برونديج فى الساعة مساء . هل هذا
 يناسبك ؟ "

تدفقت الدماء فجأة فى وجه زافيا عند سماع اسم المطعم . لقد
 كان على الأرجح الأغلى ثمنا فى شيكاغو وكانت ستشعر بالتوتر إن
 عملت فيه كنادلة . ناهيك عن ذهابها كزبونة .

" لا . دعنا نذهب إلى مكان أقل تكلفة يا وودك " .

سأل هابيل : " أين ؟ "

" هل تعرف مطعم الموسيس الذى يقع فى أحد أركان شارع

فورتى ثيرد ؟ "

قال هابيل : " كلا لا أعرفه . ولكننى سوف أعرّف عليه
السابعة إذن "

سابعة يا وودك سوف يكون هذا رائعاً . بنسبة هو تريد
شراب بعض الشاي ؟ "

قال هابيل : " كلا لا أريد . "

ابتسمت وسارت مبتعدة . جلس يراقبها . وهى تقدم الشاي لعدده
دقائق . كانت أجمل كثيراً مما يذكر . ربما ستكون ميمه قبل الوقت
حتى يوم الاثنين . أقل صعوبة مما كان يعتقد .

أعاد السوسيس إلى هابيل كل ذكرياته المؤلمة لأيامه الأولى الصعبة
فى أمريكا . احتسى كوباً من الشراب فى انتظار وصول زافيا . واحد
يراقب باستنكار مهين النذل وهم يلقون بأطباق الطعام على الأرض .
لم يكن قادراً على التحديد أيهما كان لاسوأ . هو . الضعفاء أو
الخدمة . كانت زافيا قد نأحرت ما يقرب من عشرين دقيقة عند
ظهورها بالعرب من الباب الأمامى . كانت تهدو أبفة فى توب
الأصفر الفضفاض الذى يبدو أنها أضافت إلى طوله بوضع بوصات
بكي يناسب آخر خطوط الموضة ولكنه كان كقيا لكى يكشف عن
روعة جسدها بذى كان قد اكتسب بعض الامتلاء . كانت عيناها
الرماديتان نجوبان الموائد بحث عن وودك وإرداد احمرار خديها
عندما أدركت أن عيون الكثيرين كانت تتبعها .

قالت بالبولندية عندما وقفت بجوار هابيل " مساء الخير يا
وودك . "

نفض هابيل وقدم له المقعد الذى كان بالقرب من المدفأة
المفتوحة . وقال بالإنجليزية " أنا سعيد جداً لأنك نمكنت من
الحضور . "

ارتسمت عليها علامات الارتباك للحظة ثم أجابته
بالإنجليزية : " آسفة لتأخرى "

" لا تشعنى بالث . فأت لم ألاحظ ذلك . هل تودين تناول شراب
يا زافيا ؟ "

" كلا . شكراً "

ثم يتحدث أى منهما للحظة ثم حاول الاثنان التحدث فى
صوت واحد .

قال هابيل : " لقد كنت كما أنت جميلة يا . "

سألت زافيا : " كيف استطعت أن . ؟ "

ابتسمت فى حجل وشعر هابيل برعية فى ملامستها . لقد نذكر
حيد كيف اجتأحه . فى الشعور فى أول مرة شاهدها فيها منذ أكثر
من سبعة أعوام مضت .

سألت : " كيف حال جورج ؟ "

أجاب هابيل وقد شعر فجأة بالذنب : " لم أره منذ عامين . لقد
كنت أعمل فى الفندق هنا فى شيكاغو ثم ... "

قالت زافيا أعلم . ثم قدم شخص ما على إحراق الفندق . "

سأل هابيل : " ثم لم تأتى لزيارتي مرة وحدة وتعالى عني ؟ "
ثم أكن أعتقد أنك سوف نذكرى يا وودك وقد كنت
محققة "

قال هابيل : " إذن كيف عرفت أنت على ؟ فقد زاد وزنى
كثيراً "

أجابت ببساطة " تعرفت عليك من سوارث الفصى "
نظر هابيل إلى معصمه وضحك " أت مدين لهذا سوار
بالكثير . والآن يمكن أن أضيف هذا الأمر أيضا "

تحاشت النظر إلى عينيه ، وسألته : " ماذا تفعل الآن بعد دمر الفندق الذى كنت تديره ؟ " .

قال هابيل : " أنا أبحث عن وظيفة " لكى لا يشعرها بالخجل لكونه قد عرض عليه أن يشغل منصب المدير فى الفندق الذى تعمل فيه .

" هناك وظيفة كبيرة سوف تكون شاغرة فى فندق ستيفنز . لقد أخبرنى صديقى " .

قال هابيل وهو يكرر كل كلمة من كلمات العبارة المؤلمة " صديقك أخيرك " .

قالت : " نعم . إن الفندق سوف يبحث قريباً عن مساعد مدير . لم لا تتقدم لشغل الوظيفة ؟ أنا واثقة من أنه سوف يكون أمامك فرصة جيدة للحصول عليها يا وودك . لقد كنت واثقة دائماً من أنك سوف تحقق نجاحاً فى أمريكا " .

قال هابيل " يمكننى بفعل ان أتقدم للوظيفة كرسطام منك أن تفكرى فى . لم لا يتقدم صديقك لشغل الوظيفة ؟ " .

" لا . هو أقل بكثير من أن يؤخذ فى الاعتبار لمثل هذه الوظيفة ، إنه مجرد تادل فى قاعة الطعام معى " .

فجأة شعر هابيل أنه يريد أن يتبادل الأماكن معه . " هل نتناول العشاء ؟ " .

قالت زيب : " أت لم أعتد تناول الطعام فى الخارج " ثم حدثت فى قائمة الطعام فأمرت هابيل فجأة أنها مارالت لا تعرف قراءة الإنجليزية . فتولى مهمة طلب العشاء لهما .

قبلت زيب على تناول الطعام بمسحوق الشهيبة وأخذت تشدد بكل أنواع الطعام البسيط . وجدها هابيل فى حجاب التدفق ملطفاً بعد تكلف ميلانى المثير للضحك . حكى كل منهما للآخر عن تاريخ

حدثه فى أمريكا . كانت زافيا قد بدأت بالعمل فى بعض أعمال سعييف البسيطة ثم ارتقت إلى أن أصبحت نادلة فى فندق ستيفنز . نذى تعمل فيه الآن منذ ست سنوات . تحدث هابيل عن العديد من الحارِب التي مر بها إلى أن نظرت فى النهاية إلى ساعته .

قالت : " انظر إلى الوقت يا وودك . لقد تعدت الساعة الحادية عشرة وأنا يجب أن أستعد لتقديم الإفطار قبل السادسة صباحاً " .

لم يكن هابيل قد شعر بمرور أربع ساعات . كان يوسعه أن يواصل حديثه فى سعادة مع زافيا طوال الليل . كان إعجابها بهيل الذى كانت تعرب عنه طوال الوقت يشعره بالراحة .

سأل هابيل وهو يعيدها إلى فندق ستيفنز وهى متأبطة ذراعه : هل يمكن أن أقابلك ثانية يا زافيا ؟ " .

ر ر ر ب وودك " .

وقف عند مدخل حدم فى مؤخره الفندق

دست زيب " هذا هو باب الذى يجب أن تدخل منه إن حصلت على وظيفة مساعد المدير يا وودك فسوف يسمح لك بالدخول من الباب الأمامى للفندق " .

سألها : " هل يضايك أن نندبى باسم هابيل ؟ " .

" هابيل ؟ " فاستب كما لو كانت تسمى لتجربة لاسم كم تجرب ارتداء قفاز جديد . " ولكن اسمك وودك ؟ " .

" كان اسمى ولكنه لم يعد كذلك . إن اسمى هو هابيل روزنوفسكى " .

قالت : " هابيل اسم مضحك ولكنه يتاسبك . أشكرك على العشاء يا هابيل . لقد سعدت برؤيتك ثانية . عمت مساء " .

قال يعد أن اختفت عن نظره : " عمت مساء يا زافيا " .

شاهدها وهى تختفى عبر باب الخدم ثم سار بيته حول الفندق إلى أن وصل إلى المدخل الأمامى . وفجأة - ولم تكن هذه هى المرة الأولى فى حياته - شعر بوحدة قاسية .

قضى هابيل عطلة نهاية الأسبوع وهو يفكر فى زافيا والصور التى تتداعى فى مخيلته كلما تذكرها - القسم الخاص بركاب الدرجة الأخيرة وصفوف المهاجرين المضطربة فى جزيرة إليس . وقبل كل هذا اللقاء المقتضب بينه وبين زافيا داخل قارب النجاة كان هابيل يتناول كل الوجبات فى قاعة تناول الطعام فى الفندق لكى يكون قريبا من زافيا ولكى يتفحص صديقها عن كثب والذى ظن هابيل فى البداية أنه الشاب الصغير الذى تغطى البثور وجهه ؛ نعم إنها بثور . ولكنه اكتشف - للأسف - أنه كان أكثر الندل وسامة وأن وجهه كان صافيا تماما .

أراد هابيل أن يخرج مع زافيا فى يوم السبت ولكنها كانت تعمل طوال اليوم . ومع ذلك فقد نجح فى مرافقتها صباح الأحد واستمع إليها وهى تردد قصائد الشعر البولندية التى كان قد تسببها وقد اختلط بداخله الشعور بمرارة الغربة والحنق . كانت هذه هى المرة الأولى التى يسمع فيها هابيل قصائد الشعر البولندية منذ أبع قصر بولندا . لم يكن وقتها قد شهد وعاش كل الوحشية التى جعلته بعدها ينكر وجود أى قوة طيبة . وشعر بسعادة غامرة . زافيا قد سمحت له بالإمسك بيدها وهما فى طريق العودة إلى الفندق سويا .

سألته : " هل فكرت فى وظيفة فندق ستيفنز ؟ "

" سوف أعرف غدا صباحا القرار النهائى للفندق " .

" أنا سعيدة جدا يا هابيل . أنا واثقة من أنك سوف تكون مساعد مدير معقاراً "

قال هابيل وقد لاحظ أنهما كانا قد طرقا العديد من الموضوعات المختلفة : " أشكرك "

سألت زافيا : " هل تود أن تتناول العشاء معنا فى بيت أبناء عمومتى مساء الغد ؟ إننى أقضى مساء السبت دائما معهم " .
" نعم سوف أسعد بذلك كثيرا " .

كان بناء عمومة زافيا يقطنون بجوار محل الموسيس فى قلب مدينة . وقد انبهر أبناء عمومتها كثيرا عندما وصلت زافيا مع سيقها البولندى فى سيارته البويك الجديدة . كانت العائلة كما كنت تطلق عليها زافيا مؤلفة من الأختين كاتين وجانها وزوج كاتيا ، جانك . قدم هابيل للأختين باقة من الزهور ثم جلس وأجاب فى بولندية بليغة عن كل أسئلتهن عن توقعته بالنسبة سمسبل . بدت زافيا محرجة ، ولكن هابيل كان يعرف أن هذا هو ما يحدث دائما داخل كل البيوت الأمريكية ذات الأصل البولندى . انطلاقا من استعمار هابيل لعيون جانك الحسودة التى بقيت مثبتة عليه طوال الوقت ، بذل هابيل جهدا لكى يقص عليهم الجهد استق الذى بذله فى بداياته فى الجزيرة التى كان يعمل بها . قدمت كانا وجبة بولندية بسيطة مؤلفة من البيروجى والبيجوو والتى كان يمكن أن يقبل عليها هابيل بنهم من خمسة عشر عاما . كان وقتها قد شعر باليأس من استمالة جانك فركز على اجتذاب تأييد الآخرين . ويبدو بالفعل أنه كان قد نجح فى إنجاز هذه المهمة . ربما يكونون قد أيدوا أيضا صديق زافيا . كلا ، لا يمكن . إنه حتى لم يكن بولنديا - أو ربما كان كذلك . فلم يكن هابيل يعرف اسمه كما لم يكن أيضا قد سمعه من قبل وهو يتحدث .

فى طريق العودة إلى فندق ستيفنز ، سألت زافيا فى شيء من الدلال الذى كان مازال يذكره عنها إن كان يُسمح له بقيادة السيارة

والإمساك بيد سيدة في نفس الوقت . ضحك هايبيل وترك يدهم ووضعها على عجلة القيادة ليأقي الطريق .

سأل هايبيل : " هل سيكون لديك وقت لمقابلتي غدا ؟ "

قالت : " أتمنى ذلك يا هايبيل . ربما يحلول هذا الوقت تكون قد أصبحت مديري في العمل . حظاً سعيداً على أية حال . "

ابتسم في نفسه وهو يشاهدها وهي تمر عبر الباب الخلفي وأخذ يسأل نفسه عن شعورها إن كانت تعرف بالفعل عواقب نتائج اليوم التالي . لم يتحرك من مكانه إلى أن اختفت تماماً عبر بوابة الخدم .

" مساعد مدير بكس تأكيد " . قال هايبيل ذلك وهو يحسب

بصوت مرتفع وهو يصعد إلى فراشه ويسأل نفسه عن الأنبياء الجديدة التي سوف يحملها له كورتيس فنتون في الصباح محاولاً إخراج زافيا من فكره وهو يلقي بالوسائد على الأرض

استيقظ في اليوم التالي قبل الخامسة بوضع دقائق كانت غفيرة من زالت مظلمة عندما طلب نسخة من بصصة الأولى بجرمده انريبيون . اطلع على الصفحة المادية ثم رمذى دلابسه واستعد لتناول الإفطار عندما فتح المنطق أبوابه في الساعة . لم يكن زافيا تخدم في قاعة طعام الرئيسية في ذلك صباح وابتد كن صديقها هو لذي يخدم وهو م عتبره هايبيل مدير شؤم بعد تناول الإفطار . عاد إلى غرفته ولم يكن يعرف أن زافيا قد وصلت بعد مغادرته بخمس دقائق لبده عملها . هذم رابطة عنقه في المرأة للمرة العشرين وثانية نظر في ساعته . وقدر أنه لو سار ببطء شديد فسوف يصل إلى البنك وهو يفتح أبوابه . ولكنه وصل قبل أن يفتح أبوابه بخمس دقائق وسار حول المبنى وهو يحدد بلا هدف في كل نوافذ المتاجر ، أخذ يتأمل المجوهرات الثمينة وأجهزة الراديو والحلل يدوية الصنع . ثم عاد إلى البنك ثانية في التاسعة وأربع دقائق .

قالت له السكرتيرة : " السيد فنتون لن يستطيع مقابلتك الآن . هل يمكن أن تعود بعد نصف ساعة أم أنك تفضل أن تنتظر في البيت ؟ "

قال هايبيل : وهو يحاول ألا يبدو شديد التوتر : " سوف أعود نسة

كانت أطول ثلاثين دقيقة مرت به منذ أن وصل إلى شيكاغو . كان قد تفحص خلالها نافذة كل متجر في شارع لاسال حتى متاجر ملابس النساء .

في طريق عودته إلى كونفيسنل نراست . أخبرته اسكرتيرة أن السيد فنتون سوف يديده لأن .

سار هايبيل ويده يمشي عرقاً نحو مكتب مدير

" صباح خير يا سيد روزنوفسكي . تفضل باجلوس "

استخرج كورتيس فنون ملف من درج مكتبه ورأى هايبيل كسبة سوي مكتوبة على الملف

س الرجل الأكبر سن حديثه " ولأن أتمنى أن تحوز الأنباء على أحدها إعجاب إن الشخص الذي وكنتي على استعداد لشراء اعتادو بشروط مناسبة حسبم أرى "

قال هايبيل " يا إلهي "

تظاهر كورتيس فنتون بأنه لم يسمع ما قاله هايبيل واستطرد حديثه قائلاً : " بل إنها شروط مناسبة تماماً . سوف يتولى هو سداد قيمة المليون دولار المطلوبة لتسديد دين السيد ليروي وفي الوقت نفسه سوف يشكل شركة جديدة معك حيث يتم تقسيم الأرباح فيها بنسبة ستين بالمائة له وأربعين بالمائة لك أنت . وهذا يعني أن لأربعين بالمائة الخاصة بك تقدر بثمانمائة ألف دولار سوف تكون بمثابة قرض عليك لمصالح الشركة الجديدة . قرض يجب أن يسدد

على مدى عشر سنوات بفائدة أربعة بالمائة من أرباح الشركة سنفس النسبة . أى أن الشركة إن حققت ربحا سنويا يقدر بمائة ألف دولار فإن أربعين ألف دولار من المكسب سوف يذهب لسداد دين الثمانمائة ألف دولار بالإضافة إلى الأربعة بالمائة قيمة الفائدة . وإذا نجحت فى سداد قيمة القرض فى أقل من عشر سنوات فسوف تمنح فرصة وحيدة لشراء الستين بالمائة المتبقية من الشركة مقابل ثلاثة ملايين دولار . هذا من شأنه أن يمنح موكلى عائدا من الدرجة الأولى على استثماره ويمنحك أنت فرصة لامتلاك مجموعة فنادق ريكوموند .

" فصلا عن ذلك فإني سوف نحصل على راتب سنوى قدره خمسة آلاف دولار سنويا . كب أنت من خلال منصبك كمدير للمجموعة سوف يمنحك ذلك سيطرة كاملة على الفنادق . لن تكون مضلها إلا بالرجوع إلى فى كى ما يختص بالشئون المالية . لقد فوض إلى موكلى مهمة موافقه بشكل مباشر بكل التعديل كك طلب منى أن أمثل طرفه فى مجلس إدارة مجموعة فنادق ريكوموند الجديدة . وقد سعدت بقبول هذا التفويض . إن موكلى لا يريد أن يظهر فى الصورة بشكل شخصى . وكما سبق وقلت من قبل فقد يكون هناك تضارب بين مصالحه المهنية وهذه الصفة وهو ما أنا واثق من أنك سوف تفهمه جيدا . كما أنه يصير أيضا على ألا تسعى بأى شكل لاكتشاف هويته . سوف يمنحك أربعة عشر يوما لكى تفكر فى شروط هذا لعرض غير الدبل للتفاوض الذى نعتبره موكلى - وهو ما أوافق فيه كلية - أنه أكثر من منصف . "

لم يتمكن هابيل من التفوه بكلمة

" قل شيئا يا سيد روزنوفسكى "

قال هابيل أخيرا : " لست بحاجة إلى أربعة عشر يوما لاتخذ قرار . أوافق على عرض موكل ، اشكره على لسانى وأخبره بأننى أحترم رغبته فى أن يبقى مجهولا . "

قال كورتيس فنتون بعد أن سمح لنفسه بأن يتسهم ابتسامة عريضة : " هذا رائع . والآن ، دعنا نناقش بعض التفاصيل الصغيرة . سوف تحفظ كل الحسابات الخاصة بمجموعة الفنادق فى الفروع التابعة لكونتيننتال تراست . أما الحساب الأساسى فسوف يبقى هنا فى هذا المكتب تحت سيطرتى الشخصية . وسوف أحصل على ألف دولار سنويا مقابل عملى كمدير للشركة الجديدة . "

قال هابيل : " أنا سعيد لأنك سوف تنال نصيبك من الصفقة . "

قال المدير : " عفوا ؟ "

" سوف يساعدنى العمل معك يا سيد فنتون "

" لقد أودع موكلى أيضا مائتين وخمسة آلاف دولار كوديعة فى البنك للنفقات اليومية الخاصة بالفنادق على مدى الشهور القليلة التالية . سوف يكون هذا أيضا بمثابة قرض بفائدة أربعة بالمائة . إن كنت ترى أن هذه القيمة ليست كافية لتلبية احتياجاتك ، فأمنحك بأن تدعم صورتك لدى موكلى وبأن تكتفى بهذا المبلغ . "

قال هابيل وهو يسعى لمحاكاة نبرة الرجل المصرفى فى الحديث : " سوف أضع هذا فى اعتبارى . "

فتح كورتيس فنتون أحد دراج مكتبه وأخرج سيجارة كوبية كبيرة .

" هل تدخن ؟ "

قال هابيل الذى لم يكن قد ذاق الدخان من قبل فى حياته :

" نعم . "

أخذ يسعل في طريق عودته في شارع لاسال إلى فندق ستيفنز كان ديفيد مكستون يقف في شموخ في بهو الفندق . أطفأ هابيل السيارة الكوبية نصف المنتهية في شيء من الارتياح ثم سار نحو ديفيد مكستون .

" سيد روزنوفسكى ، تبدو رجلاً سعيداً هذا الصباح " " أن بالفعل كذلك يا سيدى وكل ما يؤسنى هو أنني لن أستطيع أن أعمل معك كمدير لهذا الفندق " " وأنا أيضاً آسف لذلك يا سيد روزنوفسكى ولكن هذه الأنباء - بكل صراحة - لم تفاجئنى "

قال هابيل وهو يسعى ليث كل مشاعره في هذه العبارة المقتضبة والنظرة التي صاحبت العبارة : " أشكرك على كل شيء "

ترك ديفيد مكستون وتوجه نحو غرفة تناول الطعام بحثاً عن زافيا ولكنها كانت قد أنهت عملها . صعد هابيل في المصعد إلى غرفته وأعد شعال السيارة ثانية وأخذ منها نفساً بمنهى الحصر واتصل ببنذ كين وكابوت . أوصلته السكرتيرة بالسيد ويليام كين

" السيد كين ، لقد عثرت على مشتر لمجموعة فنادق ريكوموند . سوف يتصل بك السيد كورتيس فنتون من كونتيننتال تراست لكن في وقت لاحق اليوم لكي يوافقك بكل التفاصيل . لن تكون هناك بالتالى ضرورة لطرح الفنادق للبيع في السوق " .

كانت هناك فترة صمت قصيرة اعتقد هابيل - وهو ما أشار في نفسه الشعور بالرضا - أنها تتم عن هول وقع الأنباء ، على ويليام كين

" أشكرك لإعلامى بالأمر يا سيد روزنوفسكى . هل لي أن أعرب عن مدى سعادتي لأنك عثرت على شخص يدعمك . أتمنى لك كل النجاح في المستقبل "

" وهو أكثر مما أتمناه أنا لك يا سيد كين " . وضع هابيل سماعة الهاتف واستلقى على فراشه وأخذ يفكر في المستقبل .

عاهد هابيل نفسه وهو يحدق في السقف : " في يوم ما سوف أشتري بنكك اللعين وأدفعك للقفز من نافذة غرفتك في الطابق السابع عشر " . ثم التقط سماعة الهاتف واتصل بعاملة خدمة الهاتف وطلب منها أن تتصل بالسيد هنرى أوسبورن في شركة جريت وسترن للتأمين ضد الحوادث .

التي كان يحملها ويليام إلى النصف ولكن وقته مع ذلك أصبح مشحونا طوال الوقت . لقد وجد نفسه مدفوعا إلى الصباح في فزع - حر ملاعب التنس وحواضر السباحة في كل فترة ولحظة راحة بينك وبين نفسك ومع ذلك فإن قترح ماثيو بالذهاب إلى رحلة برحلة في هومونت قوس بارفيس الصارم من قبل ويليام ولكن هذا منبسط المأجني قد عمل على لأقل على تخفيف شعوره بالوحدة وسوءه إلى كات

وقد بدا ماثيو مرتب في الأمر بشكل واضح " يجب أن أقابل لمارك التي نحدث في أن نجعل ويليام كان يحسم أثناء اجتماع محس الإدارة بشأن إمكانية شراء البنك للمزيد من الذهب " انظر إلى أن قراها يا ماثيو . اعتقد أنك سوف توافقني الرأي يجب ستتمنى يفوق ستتمنى لذهب "

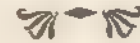
أصقبت ولكنني لا أريد أن أكون الشخص الذي سوف يخبر سوزو " لاها ماأناك تعتقد بأنك أنت رجلها الوحيد في العالم " صحت ويليام ، لم يكن هذا الأمر قد طرأ بباليه .

كنت كومة الحطبات لصغيرة لتي أرسلها كات والتي كنت تردد يوما بعد يوم تقع داخل أحد الأدراج المغلقة في مكتب ويليام في البيت الأحمر كان ويليام يقرأها ويعيد قراءتها مرر وتكررا حتى أنه سرعان ما حفظها عن ظهر قلب وأخيرا وصنه الخطاب الذي كان يتوق إليه وهو يحسن تاريخا محددا

بوكهرست بارك

١٤ فبراير عام ١٩٣٠

الفصل التاسع عشر



أعاد " ويليام " ساعة الهاتف إلى موضعها وقد اعمراد الشعور بالسعادة أكثر من الشعور بالضيق من رد فعل ديفيد روزنوفسكي الحاد . كان يشعر بالأسف لأنه لم ينجح في إقناع اسك بدعم هذا الشاب البولندي الذي كان " ويليام " يؤمن معانا راسخا بأنه قادر على إنقاذ مجموعة فنادق ريكموود . ولكنه فعل ما يملكه عليه الواجب بعلام اللجبة المالية في البنك بأن ديفيس روزنوفسكي قد عثر على ممول وبإعداد الأوراق القانونية اللازمة لتسليم الفنادق لمستشفى الجديد وأخير إغلاق ملف مجموعة ريكموود

شعر ويليام بسعادة غامرة للوصول ماثيو إلى بوسطن بعد مرور بضعة أيام لكي يتولى منصبه كمدير قسم الاستثمار في لينك لم يكن شارلز ليستر يحفى عسى أحد بأنه ينتظر إلى الخدمة مهينة المكتسبة في أي بنك آخر بمقابلة مكسب قيم ماثيو على المدى الطويل وهو في طريقه لترأس بنك ليستر . وفجأة تراجعت الأعباء

عزيزى ويليام

أخيرا ، حزمت كل أغراضى وتخلصت من كل المقتنيات إما بالبيع أو بالتخلي عنها وسوف أصل إلى بوسطن فى التاسع عشر من هذا الشهر . أكاد أكون مرتعدة من لقائك ثانية . ماذا لو تبددت كل هذه الشاعر الرائعة مثل فقاعة فى برد الشتاء على صفحة الماء ؟ يا إلهى ، أرجو ألا يحدث ذلك . لا أعرف كيف كان يمكن أن أجتاز شهور الوحدة العصبية هذه بدونك .

مع حبنى
كات

فى الليلة التى سبقت وصول كات ، عاهد ويليام نفسه بأنه لن يتمجّل الأمور حتى لا يحدث ما قد يقدم هو أو هى عليه فيما بعد . كان يستحيل عليه أن يقيم إلى أى مدى كانت قد تطورت مشاعرها فى الفترة الأخيرة فى الوقت الذى كانت فيه فى مرحلة «متقالبه عصبية إثر وفاة زوجها . هكذا صرح لماثيو .

قال ماثيو : " كف عن هذا السلوك المثير للرشاء . أنت تحبها ويمكنك أن تواجه الأمر " .

عندما وقع بصره على كات فى محطة القطار ، تخلى ويليام عن كل نواياه الحذرة ثم اندفع بعد أن رأى تلك الابتسامة الواضحة تضىء وجهها بين حشود المسافرين واحتضنها بقوة بين ذراعيه حتى أعجزها عن التقاط أنفاسها .

"مرحباً بك فى بيتك يا كات " .

كان ويليام على وشك تقبيلها عندما سحبت نفسها . اندهش ويليام قليلا .

" ويليام ، لا أظن أنك قد قابلت والدى من قبل " .

فى هذه الليلة تناول ويليام العشاء مع عائلة كات وكان يقابلها فى كل يوم بيجع منه فى لإفلات من مشاكر البنك ولعب التنس مع ماثيو حتى إن كان يستعجب فقط . بعد أن قس ماثيو كات للمرة الأولى عرض على ويليام التخلي عن كل أنصبتها فى الذهب مقابل كات واحدة .

أجاب ويليام : " أنا لا أخسر فى صفقاتى أبدا . وعلى عكسك يا ماثيو فأنا أبحث عن الجودة وليس الكم " .

قال ماثيو : " إذا أنا مصر على أن تخيرنى أين عثرت على إنسانة قيعة مثل كات ؟ "

أجاب ويليام : " فى قسم القصفيات فى البنك ، وهل هناك مكان آخر ؟ "

" إذن أحلها إلى أصل شخصى يا ويليام سريعا وإلا فسوف أقتنصها منك ، تأكد من ذلك " .

قدّرت خسائر بنك كين وكابوت منذ أزمة عام ١٩٢٩ بما يزيد عن ٩ ملايين دولار وهو ما بقى فى نطاق الخسائر الطبيعية لبنك فى حجم بنك كين وكابوت . كانت هناك الكثير من البنوك التى لم تكن تقل حجما كثيرا عنه قد انهارت ، وقد وجد ويليام نفسه تحت ضغوط كبيرة متواصلة على مدى عام ١٩٣٠ .

عندما انتخب فرانكلين دى روزفلت رئيسا للولايات المتحدة وعده بتقديم الراحة والرعاية والإصلاح . حشى ويليام ألا تحمل هذه

الصفقة الجديدة الكثير لينك كين وكابوت . بدأت عجلة العمل تدور ببطء شديد ووجد ويليام نفسه يخطط في تردد للتوسع .

وفي هذه الأثناء كان توني سيمونس الذى كان مازال يدير فرع لندن قد وسع نطاق أنشطته وحقق ربحا محترما لكن وكابوت أثبت أول عامين من عمله . كانت إنجازاته تبدو أفضل كثيرا من تلك التى حققها ويليام فى هذه الفترة التى نجح فيها بالكاد فى لبس عند حد اللاريج واللاخسارة فى نفس الفترة

وفى نهاية عام ١٩٣٢ ، استدعى آلان ليويدي توني سيمونس إلى بوسطن لكي يقدم تقريراً شاملاً لمجلس الإدارة عن أنشطة البنك فى لندن . حينما ظهر سيمونس ثانية صرح عن رغبته فى ترشيح نفسه لشغل منصب الرئاسة بعد تقاعد آلان ليويدي بعد خمسة عشر شهرا . وقد أخذ ويليام على غيرة لأنه كان قد اعتقد أن فرصه سيمونس قد انعدمت فى حصوله على هذا المنصب بعد اختفائه فى لندن تحت ضغط أزمة عابرة . وقد بدا ذلك غير منصف بالنسبة لويليام الذى كان يدرك أن ما حققه سيمونس من نجاح لم يكن راجعا إلى دقته وإنما فقط لأن الاقتصاد البريطانى كان أفضل حالا قليلا من الاقتصاد الأمريكى فى هذه المرحلة .

عاد سيمونس إلى لندن لتتوالى نجاحاته فى العام التالى ثم عاد ليخاطب مجلس الإدارة فى شيء من الفخر وهو يعلن بأن الأرقام النهائية للعام فى فرع لندن تشير إلى ربح يفوق المليون دولار أى أنه قد سجل رقما قياسيا . أما الربح الذى كان قد سجله ويليام لنفس العام فقد بدا متواضعا أمام هذا الرقم . كانت صدمة عودة توني سيمونس واحتلاله هذه المكانة قد تركت لويليام عاما واحدا فقط يستطيع خلاله أن يقنع المجلس بوجود مساندته قبل أن يتفوق عليه خصمه العنيد .

استمعت كات على مدى ساعات لمشاكل ويليام وهى تقدم له من ردت إلى آخر بعض التعليقات المتفهمة أو بعض الاستجابات متعاطفة أو بعض التخفيف للعبء الذى كان يثقل به على نفسه . وقد أخبره ماثيو الذى كان عين ويليام وأذنه داخرا البنك بأن التصويت سوف يؤول بالنصافة بينهما لأن المجلس سوف ينقسم إلى مجموعة ترى أن ويليام مازال صغيرا للغاية لتولى مسئولية منصب كبير . ومجموعه حرى يرى أن موسى سيموسر هو المسئول عن الخسارة التى منى بها البنك عام ١٩٢٩ . بدا أن معظم الأعضاء غير التنفيذيين فى المجلس مما لم يسبق لهم التعامل بشكل مباشر مع ويليام من قبل وكان عامل قارق السن بين المترشحين قد سيطر عبيم أكثر من أى عامل آخر . من ماثيو يسمع مرارا وتكرارا عبارة " إن وقت ويليام سوف يحين " . وقد أقدم ماثيو ذات مرة على تقمص دور الشيطان وأوعز إلى ويليام قائلا : " يمكنك من خلال النسبة التى تملكها فى هذا البنك أن تعزل كل أعضاء مجلس الإدارة الحاليين وتشكل مجلسا آخر وفق اختيارك يدين لك بالوفاء وتصبح أنت رئيس البنك " .

كان ويليام يدرك جيدا هذا السبيل نحو القمة ولكنه كان قد قرر بالفعل أن يستبعد أية وسيلة تحايل لأنه كان يريد أن يصبح مديرا للبنك عن استحقاق وجدارة . لقد كانت - على أية حال - هذه هى الطريقة التى كان قد نجح بها والده فى بلوغ هذا المنصب كما أن هذا هو ما يتفق مع ما تنتظره كات منه .

وفى الثانى من شهر يناير عام ١٩٣٤ : أرسل آلان ليويدي لكل عضو إخطارا يعقد اجتماع لمجلس الإدارة فى عيد ميلاده الخامس والستين بهدف اختيار الشخص الذى سوف يخلفه فى هذا المنصب . ومع اقتراب اليوم الموعود للتصويت ، وجد ماثيو نفسه

يدير قسم الاستثمار بيد واحدة تقريباً بينما وجدت كات نفسها مسئولة عن مهمة تغذية الاثنين وهما لا يكفان عن مراجعة المرحلة الأخيرة من حملة الانتخابات . لم يشك ماثيو من ضغط العمل الذي كان يحمله على عاتقيه منغراً بسبب قصـ ووليام المبعثت في الإعداد لحملة انتقاصه على الكرسي مرتقب لرئاسة ليند ام وويليام الذي كان وانما مر ن ماثيو من يحشى شئ من وراء نجاحه . حيث سيحل محل والد في يوم ما في نيويورك - وهو منصب أكبر من منصب رئاسة بنك كين وكبوت كثيراً - فقد كان يتنسى أن يأتي اليوم الذي يقدم فيه خدمة . ماثيو دون مقابل .

وقد كان هذا اليوم الذي يتطلع إليه أقرب مما كان يبدو . عندما حل يوم عيد ميلاد آلان ليويدي ، كان كل أعضاء مجلس الإدارة السبعة عشر حاضرين وقد افتتح البنك بكتابة من رئيس البنك الذي ألقى خطاب وداع استغرق أكثر من ربع عشرة دقيقة مرت على وويليام وكأسها دهر كمر كن توني سيمونس ، تدو بعلنه في توتر فوق حافظة الأوراق القانونية الموضوعه أمامه بينما كان ينظر إلى وويليام من آن إلى آخر ، لم يكن أى منهما يصفى إلى خطبة آلان .

وأخيراً جلس آلان وسط تصفيق حار أو ربما كان كذذب لأنه صادر عن ستة عشر مصرفياً من يوسطن . عندما خف التصفيق ؛ نهض آلان ليويدي مرة كمدبر لبنك كين وكبوت " ولأن أنها سادة . يحب ان تنتخب خيفة في هك عضوان بهران مرشحان بخلافتي في هك اسعـب . الأول هو مدير فرعنا في الخارج لسيد أنوى سيمونس ولثاني هو مدير قسم الاستثمار الأمريكي لسيد وويليام كين كلاهما معروف بربك مدب

جيد السادة - ولذا فأنا لست عازماً على التحدث بإسهاب عن مزاي كلا الرجلين والمزاي التي سوف يحظى بها البنك تحت قيادة أى منهما "

نهض وويليام في لبداية وفق الاتفاق الذي عقد بين الطرفين في ليلة ااصية من خلال اقترع . وحاصـ لمجلس على مدى عشرين دقيقة تحدث خلالها بالتفصيل عن عزمه على سبر أغوار مجالات جديدة لا يسبق لبنك أن استثمر فيها من قبل وقد ركز على عزمه بشكل خاص على توسيع قاعدة البنك والخروج من حالة الركود الانتصاري في بيو إنجلاند والاقتراب من البؤرة ااصرفية التي كن يؤمن انها أصبحت الآن في نيويورك وقد سوه أيضاً إلى إمكانية بنك شركة فبسة مخصصة في المجال المصرفي التجري (وهذا هو كبر عضو من أعضاء مجلس الإدارة رأسه في حالة عدم حضوره) كن يري أن يزداد البنك توسعاً وأن يتحدث الجيل الجديد من أصحاب الأموال الذين يتولون قيادة أمريكا في ذلك الوقت وان يري كين وكبوت ينحدر النصف الثاني من القرن العشرين كإحدى القلاع المالية في الولايات المتحدة . عندما جلس ، شعر وويليام بالرضا من همسات التأييد التي كانت تحيط به ، كان خطابه قد لاقى في مجملته قبولاً من قبل المجلس .

عندما نهض توني سيمونس ؛ اتخذ اتجاه أكثر محافظة بكثير ؛ وتحدث عن كون البنك يجب أن يدعم وضعه على مدى السنوات التالية ااصية . ويجب أن يتحرك بتوادة نحو لمجالات انتقاة الأكثر أمناً ويجب أن يتمسك بالأنماط المصرفية لتقليدية متى كسب كين وكبوت سمعته التي ينتعج بها حاصـ ذكر أنه قد سوغب جيد درس فترة الانهيار لاقتصادى وأن هدفه الأساسي هو أن ينفق ضاحك هو ن يتأكد من دخول بنك كين وكبوت انصف

الثاني من القرن العشرين في المقام الأول . تحدث توني بحرص وبلياقة واثقة كان ويليام يدرك أنه أصغر بكثير من القدرة على مجاراتها . عندما جلس توني ، لم يكن ويليام قادرا على معرفة لأي جانب سوف ينحاز مجلس الإدارة بالرغم من أنه كان مازال مقتنعا بأن الأغلبية سوف تميل إلى التوسع سدا من الانسحاب بحالة السكون .

وقد أعلن آلان ليويدي أنه ليست لديه أو لدى المرشحين نية للتصويت . تلقى كل عضو من الأعضاء الأربعة عشر ورقة الاقتراع وقام كل منهم بتدوين الاسم المحتر بمسعى العسة ورد الهدف لأن الذي بدأ بصفته قائما على الانتخاب ، بإحصاء الأعداء . ببطء وجد ويليام نفسه عاجزا عن رفع عيبه من فوق لحائط الورقية التي كان قد خط عليها بعض الأشكال العبيثة والتي كانت تحمل أيضا آثار يديه المتصبية عرقا . عندما أنهى آلان مهمة الإحصاء ، ساد السكون كل أرجاء الغرفة .

ثم أعلن النتيجة . ستة أصوات لصالح كين وستة أصوات لصالح سيمونس ، مع امتناع اثنين من الأعضاء عن التصويت . امتلأت الغرفة بالهمهمة وبهمس بين أعضاء المجلس . فطلب آلان منهم استعادة النظام . وقد أخذ ويليام أثناء فترة الصمت التالية نفسا مسموعا .

صمت آلان ليويدي ثم قال : " أرى أن التصرف المناسب في مثل هذه الظروف هو أن أطلب من كل عضو من أعضاء المجلس أن يدل بصوته . إن وجد أي عضو من العضوين اللذين امتنعا عن التصويت في نفسه قدرة على اختيار مرشح فقد يمنح هذا المرشح أغلبية في التصويت "

بدأت الهمهمة تدور ثانية . لم يتمكن ويليام حتى من مراقبة عملية التصويت في المرة الثانية . بينما كان كل عضو يدون اسم مرشحه فوق بطاقة الاقتراع سمع ويليام أصوات الأقلام المعدنية وهي تكتب الأسماء في الورق . وثانية عادت بطاقات الاقتراع إلى آلان ليويدي . وثانية قام بفتحها ببطء واحدة بواحدة ولكن في هذه المرة وهو يقرأ اسم المرشح في كل مرة يفتح فيها بطاقة .

" ويليام كين "

" توني سيمونس ؛ توني سيمونس ؛ توني سيمونس "

ثلاثة أصوات مقابل صوت واحد لسيمونس

" ويليام كين ؛ ويليام كين "

" توني سيمونس "

" ويليام كين ؛ ويليام كين ؛ ويليام كين "

ستة أصوات مقابل أربعة لويليام .

" توني سيمونس ؛ توني سيمونس "

" ويليام كين "

" سبعة أصوات مقابل ستة أصوات لصالح ويليام "

بدأ لويليام وكأنه قد مر دهر كامل قبل أن يفتح آلان ليويدي آخر بطاقة من بطاقات التصويت .

أعلن آلان : " توني سيمونس " . نتيجة التصويت هي سبعة أصوات لكل مرشح أيها السادة " .

كان ويليام يعرف أن آلان ليويدي أصبح بذلك مجبرا على الإدلاء بصوته وبالرغم من أنه لم يفصح يوما عن العضو الذي يمين إلى توليه رئاسة البنك ، فقد كان ويليام يشعر دائما أنه إن وصل الأمر إلى نهاية محتومة فسوف يقدمه آلان على توني سيمونس .

" بما أن التصويت وصل في المرتين السابقتين إلى التعادل وبما أنني افترض أنه ليس هناك عضو من أعضاء المجلس يريد أن يغير رأيه ، فإنتى يجب أن أدلى بصوتي للشخص الذى أشعر أنه يجب أن يخلفنى فى رئاسة بنك كين وكابوت . أعرف أنتى فى وضع لا أحسد عليه ولكن ليس أمامى سوى أن أقول ما أراه صوابا وأن أساند الرجل الذى أرى أنه يجب أن يخلفنى فى رئاسة البنك . والرجل هو " تونى سيمونس "

لم يصدق ويليام أذنيه عندما سمع الاسم ، كما ارتسمت علامات الدهشة أيضا على وجه سيمونس الذى بدا فى حالة صدمة . نهض من مقعده مقابل ويليام وسط تصفيق حار وتبادل مع آلان ليويد الكرسي الذى يرأس المائدة وخاطب مجلس إدارة بنك كين وكابوت لأول مرة يصفته الرئيس الجديد . شكر أعضاء مجلس الإدارة على دعمهم له وأشاد بنزاهة ويليام الذى لم يستغل سلطته ونفوذه المادى ووضعه العائلى للتأثير على التصويت لصالحه . ثم دعا ويليام لكى يكون نائباً للرئيس واقترح أن يحل ماثيو ليستر محل آلان لهويد كمدير ، وقد لاقى كلا الاقتراحين موافقة بالإجماع من قبل المجلس .

جلس ويليام يحدق فى صورة والده وهو يدرك تماما أنه قد خذله .

الفصل العشرون



أطفأ هايبيل سيجارة الكورونا للمرة الثانية وأقسم ألا يذوق التبغ ثانية إلا عندما يسد دين المليونى دولار التى كان يجب أن يسدها قبل أن تتحول الفنادق إلى سيطرته الكاملة . لم يكن هناك وقت للسيجار الكبير بينما كان مؤشر داو جونز قد انخفض لأقل معدلاته وكان الفقر المدقع يسود معظم المدن الأمريكية . لقد كان أولا بحاجة لأن يتخير أفضل طاقم من العاملين فى فندق ريكوموند شيكاغو .

نهض من فوق سريره وارتدى سترته وسار نحو ملحق الفندق حيث كان يعيش كل من لم يعثر بعد على العمل من أفراد طاقم عمل الريكوموند منذ نشوب الحريق . قام هايبيل بإعادة توظيف كل من كان يثق به ومنح كل من كان على استعداد لمغادرة شيكاغو وظيفة فى أحد فروع الفندق المتبقية . وقد أوضح موقفه بمنتهى الجلاء منذ البداية وهو أنه فى ظل ظروف البطالة التى لم يكن قد سبق لها مثيل فإن الموظف سوف يبقى محتفظا بوظيفته مادام الفندق يحقق أرباحا . وقد أدرك هايبيل أن باقى الفنادق كانت تعج بنفس الفساد

الذى كان يعج به فندق ريكوموند شيكاغو . كان يريد أن يغير كل هذا ويريد أن يغيره بسرعة . عين هابيل مساعديه الثلاثة كمدرء ثلاثة فنادق : ريكوموند دالاس وريكوموند سينسيناتي وريكوموند سانت لويز . كما عين مساعدى مدرء جديداً فى باقى الفنادق السبعة : هوستون وموبيل وتشارلستون وأتلانتا ومفيس ونيو أورليانز ولويس فيس . كانت الفندق الأسلبة لليروى تقع جميعها فى الجنوب والمنطقة الغربية الوسطى . أما فندق ريكوموند شيكاغو فقد كان هو الفرع الوحيد الذى تولى ديفيز ليروى بنفسه إنشاءه . وقد استغرق هابيل ثلاثة أسابيع أخرى إلى أن استقر كل فرد من أفراد طاقم عمل ريكوموند شيكاغو فى فندقه الجديد .

وقد قرر هابيل أن يكون المقر الرئيسى للفندق فى ملحق ريكوموند شيكاغو وأن يفتح مطعم صغير فى الدور الأرضى . كان من المتطفي أن يبقى فريد من بينك الذى كان يمونه ويسانده بدلاً من أن يقيم فى أحد فنادق الجنوب . كما أن زافيا فضلاً عن ذلك ، كانت تقيم فى شيكاغو وقد كان هابيل وثق من أنها سرور الوقت سوف تلحقى عن صديقها الوسيم وتقع فى هواه . كانت زافيا هى المرأة الوحيدة التى تشعره بالثقة من بين كل من عرفهن . عندما كان هابيل على وشك السفر إلى نيويورك لتوظيف المزيد من العاملين ، كان قد انتزع عهداً منها بأنها لن تقابل صديقها هذا ثانية .

فى الليلة التى سبقت رحيل هابيل ، ساحت له زافيا بحبل للمرة الأولى . كانت رقيقة وضحوكة .

كانت كلمات هابيل الرقيقة ولساته الدافئة قد فاجأت زافيا .

قالت محاولة استشارته : " كم بلغ عدد الفتيات اللاتى أحببتهن منذ مغادرة البلاك آرو ؟ " .

أجاب : " ليست هناك واحدة يعينى أمرها " .

أضافت : " ألم تكن من بينهن من مكنتك من نسيانى ؟ " .
" أنا لم أنساك أبداً " قالها كذبا ، وهو ينحنى لكى يقبلها ،
إيماناً منه بأن هذه هى الطريقة الوحيدة لوضع حد لهذا الحوار .

عندما وصل هابيل إلى نيويورك ، كان أول شىء فعله هو البحث عن جورج ، الذى وجدته قد ترك عمله ويعيش فوق سطح أحد بيوت شارع إيست ثيرد . كان هابيل قد نسي كيف تبدو البيوت فى مثل هذه الأحياء التى تشترك فيها عشرون أسرة فى البيت الواحد . كانت رائحة الطعام الرديء تفوح من كل الغرف ورائحة الوسخ تفوح من دورات المياه ، وكانت السرر يشغلها ثلاثة أشخاص مختلفين كل ربع وعشرين ساعة . كان الفرن قد أغلق على ما يبدو وكان عم جورج قد انتحى بالعمل فى أحد المطاحن الكبرى على أطراف نيويورك . ولكن جورج لم يجد لنفسه عملاً فى نفس المصن . وكان يتولى العمل مع هابيل ومجموعة ريكوموند بأى ثمن .

عين هابيل ثلاثة موظفين جدد . رتبنا للفصائل الحلوة ومشرف على وكثير نذر قبى أن يسافر ومعه جورج ثانية إلى شيكاغو لإقامة القاعدة فى ملحق ريكوموند . كانت معظم الفنادق فى الجانب الشرقى قد قللت عمالتها إلى أدنى حد ممكن مما سهل على هابيل مهمة انتقاء أناس أصحاب خبرات ، كان من بينهم موظف من فندق بلازا نفسه .

فى بداية شهر مارس ، خرج هابيل وجورج فى جولة لتفقد مجموعة الفنادق . وقد طلب هابيل من زافيا أن تصحبهما فى الرحلة حتى أنه عرض عليها فرصة العمل فى أى فندق يقع عليه اختيارها . ولكنها لم تنطق بفكرة مغادرة شيكاغو ، المكان الوحيد

الذى كانت تعرفه وتألفه فى أمريكا . ولكنها كجمل وسط ، ذهبت لتقيم فى غرفة هابيل فى الملحق أثناء سفره فى جولته .

أخذ جورج الذى كان قد تطيع بطبايع وأخلاق الطبقة الأمريكية الوسطى وكان قد نشأ نشأة تقليدية أيضا ، يعدد مزايا الزواج لهابيل الذى كان من منطلق وحدته ومعيشته فى إحدى غرف الملحق على استعداد للإنصات لنصيحة صديقه .

لم يفاجأ هابيل عندما أدرك أن باقى مجموعة الفنادق لم تكن تدار بكفاءة فضلا عن أنها كانت مازالت تتعرض للنهب ، ولكن حالة البطالة التى كانت تعم البلاد فى ذلك الوقت قد دفعت جميع العاملين للترحيب بهابيل باعتباره منقذ المجموعة من الانهيار . لم يجد هابيل ضرورة لفصل كل طقم العمل بنفس النطاق الذى كان قد فعله من قبل فور وصوله إلى شيكاغو ، لأن معظم من كانوا يعرفونه ويسمعون به كانوا قد غادروا بالفعل خوفا منه . ومع ذلك فقد بقيت رؤوس أخرى ينبغي أن تسقط لا محالة وكانت لأشخاص عملوا منذ فترة طويلة فى فنادق ريكموند وكانوا غير مستعدين لتغيير طرقهم الملتوية لمجرد وفاة ديفيز ليروى . فى العديد من الحالات ، وجد هابيل أن نقل بعض العاملين من فندق إلى آخر كان كفيلا بتوليد سلوك جديد . مع نهاية عامه الأول كمدير لمجموعة ريكموند ، كانت الفنادق تعمل بنصف طاقم موظفيها فى الماضى وكانت الخسارة قد تقلصت بدرجة كبيرة لتربو قليلا عن ١٠٠ ألف دولار . كان معدل تغيير العاملين التطوعى فى الفنادق بطيئا للغاية وكانت ثقة هابيل فى مستقبل المجموعة قد بُثت بشكل وبائى فى نفوس الجميع .

وقد حدد هابيل لنفسه هدفا وهو الوصول إلى نقطة اللامكسب والا خسارة ببلوغ عام ١٩٣٢ . كان يشعر أن الطريقة الوحيدة

لتحقيق هذه الربحية السريعة هو أن يدع كل مدير من مدراء الفنادق يتولى مسئولية فندقه مقابل منحه نسبة من الأرباح تماما بنفس الطريقة التى اتبعها معه ديفيز ليروى عند بداية تعيينه فى ريكموند شيكاغو .

كان هابيل يقتل من فندق إلى آخر ، بدون أن يغفل عن واحد من الفروع وبدون أن يبقى لأكثر من ثلاثة أسابيع فى مكان واحد فى المرة الواحدة . لم يكن يسمح لأى شخص - باستثناء جورج المخلص ، الذى كان قد عينه وأذنه الأمانة فى شيكاغو - أن يعرف وجهته التالية وكان من آن إلى آخر يكسر هذا النظام المحكم لكى يزور زافيا أو كورتيس فنتون .

بعد تقييم كامل للوضع المالى للمجموعة ، كان على هابيل أن يتخذ بعض القرارات المزعجة . كان أكثر القرارات خطورة هو إغلاق فندقى موبيل وشارلستون مؤقتا لأن حجم الخسارة هناك كانت فادحة وكان يمكن أن تستنزف أموال باقى فنادق المجموعة . وقد دفع إغلاق الفندقين العاملين فى باقى فنادق المجموعة إلى بذل المزيد من الجهد لتجنب هذا المصير . فى كل مرة كان هابيل يعود فيها إلى ملحق فندق شيكاغو ، كان يجد فى انتظاره قائمة من المطالب التى كانت بحاجة إلى عنايته الفورية ، مثل بعض الواسير المتفجرة فى دورات المياه وبعض الحشرات فى المطبخ وبعض الشكاوى فى قاعة تقديم الطعام فضلا عن وجود عميل متذمر يهدد برفع دعوى قضائية ضد الفندق .

اقترح هنرى أوسبورن حياة هابيل ثانية بعرض تسوية تقدر بنحو ٧٥٠ ألف دولار من شركة تأمين جريت وسترن للتأمين ضد الحوادث والتى خلصت إلى أنه ليس هناك دليل يشير إلى تواطؤ هابيل مع ديسموند باسى فى حادث احتراق الفندق . لقد دعمت

شهادة الملازم أومالى موقف هابيل بشدة فى هذا الصدد وأدرك هابيل أن الرجل يستحق أكثر من مخفوق اللبن .

وقد سعد هابيل بحسم الأمير مع شركة التأمين وتوصله إلى ما نظر إليه باعتباره تعويضاً عادلاً . ومع ذلك فإن أوسبورن تصحه بأن يطالب برفع قيمة التأمين مقابل منحه نسبة من الفارق . وقد أشعر هذا الموقف هابيل الذى لم يكن الاختلاس من بين عيوبه بوجود توخى الحذر من أوسبورن لأن الشخص الذى يكون على استعداد - بحياة شركته يمكن أن يتخلى عنه ببساطة إن رفعت الشركة دعوى ضده .

وفى ربيع عام ١٩٣٢ ، فوجئ هابيل بتلقى رسالة ودودة من ميلانى ليروى ، كانت الرسالة أكثر دفئاً من طبيعة ميلانى الشخصية . شعر هابيل بالزهو ، بل والإثارة ، واتصل بها لكى يحدد لها موعداً على العشاء فى فندق ستيفنز ، وهو القرار الذى ندم عليه على الفور بمجرد دخوله قاعة تناول الطعام فى الفندق ، لأن زافيا كانت تقف فى القاعة فى حالة إعياء ووهن . أما ميلانى فقد كانت فى المعبى ، تبدو نضرة وبشرقة فى ثوب الأخضر الفتح والذى كان يكشف عن جمال قوامها . كانت عينها تبتعدان ربما بسبب تأثير لون الثوب أكثر إخضراراً وجاذبية عن ذى قبل .

قالت وهى تجلس على مقعدها فى أحد أركان قاعة الطعام : " يسعدنى أن أراك فى هذه الحالة الطيبة يا هابيل ، كما أن الجميع يعرف بانطباع أنك تبى بلاء حسناً فى عملك فى مجموعتي ريكيموند "

قال هابيل : " مجموعة البارون "

احمر وجهها قليلاً : " لم أكن أعرف أنك قد غيرت الاسم . "

" نعم ، لقد غيرته فى العام الماضى ، " قالها كذباً . كان قد غر في تلك اللحظة ذاتها أن يطلق اسم البارون على كل فندق من فنادق المجموعة . وأخذ يسأل نفسه عن سبب عدم تفكيره فى هذا الأمر من قبل .

قالت ميلانى وهى تهتمس : " اسم مناسب " كان هابيل يدرك أن زافيا كانت تحقق فيهما من الجانب المقابل من الغرفة ، ولكن الوقت كان قد تأخر على أن تفعل شيئاً . سألتها هابيل ، وهو يخطأ اسم "مجموعة البارون" خلف قائمة الطعام : " أنت لا تعملين ؟ "

" كلا ، لا أعمل حالياً ، ولكن الأمور بدأت تتحسن قليلاً . إن أى امرأة تحمل شهادة الفنون الحرة فى هذه المدينة يجب أن تبقى جالسة فى انتظار تعيين كل الرجال قبل أن تأمل فى الحصول على وظيفة " .

قال هابيل : " إن أردت أن تتحققى بالعمل فى مجموعة البارون فى أى وقت - وركز على اسم الفندق - فما عليك إلا أن تعلمينى بذلك " .

قالت ميلانى : " كلا ، كلا أنا بخير "

غيرت ميلانى مجال الحوار سريعاً إلى الموسيقى والمسرح . كان الحوار معها بالنسبة لهابيل بمثابة تحد غير معتاد وممتع . كانت مارلت تسعى لاستفراجه فى الحديث ولكن بذكاء مما أشعره بمزيد من الثقة فى صحبتها عن أى وقت سبق فى الماضى . استمر العشاء حتى الحادية عشرة بوقت غير قليل ، وعندما كان الجميع قد غادر قاعة الطعام بما فى ذلك زافيا بعين حمراء دامعة ، أوصل هابيل ميلانى إلى بيتها . وفى هذه المرة دعتة هى لتناول شراب . جلس عند طرف الأريكة بينما صبت له الشراب وأدارت اسطوانة .

قال هابيل : " لا يمكننى أن أبقي طويلا . أمامى يوم مسحون فى الغد "

" هذا ما يمترض بى أن أقوله أن يا هابيل لا تكن على عجلة هذه لأسية سوف تكون ممتعة مثل لأيام الخوالى "

جلست بجواره ، وقد أخذت تنظر إليه نظرات ذات مغزى ليس تحديدا مثل الأيام الخوالى ، كما فكر فى نفسه . يالها من عيون مذهلة . وبدون أية سادرة مقاومة من جانبه عندما قربت منه فى حضنت وجد نفسه يقبض . وربى هى سى كانت تقبله وبدت منجوبة هذه المرة . وأمضيا معا لينة بكاملها

وفى الصباح . أعدت له ميلانى الإفطار وسنجدت لكل طلباته حتى للحظة . بقي كن فيها على وشك مغادرة

قالت له " سوف أراقب مجموعة البارون بحماس جديد لا أعتقد أن هناك من يشك فى أنها سوف نحقق نجاحا كبيرا "

فأجاب هابيل " أشكرك على الإفطار والليلة التى لا ينسى قالت ميلانى " أتمنى أن تنعبل ثنية هى اقرب قرصة "

فأجاب هابيل " أتمنى ذلك "

قبلته على خده كما لو كانت روجه نوع روجها قبل الذهاب

بى عمه

وقالت له فى براءه وهى تساعد على ارتداء مطعمه

عن سعيده الحظ التى سوف تتزوجها "

نظر إليها وابتسم فى رقة : " عندما أتخذ هذا القرار يا ميلانى ثقى أننى سوف أعمل بنصيحتك "

سألت ميلانى فى حياء : " ما الذى تقصده ؟ "

أجاب هابيل وهو يسير نحو الباب الأمامى : " ببساطة سوف تحتاج بصيحتك لكى أتأكد من أننى قد عثرت على الفتاة البولندية المناسبة "

تزوج هابيل من رافى بعد مرور شهر واحد أقيم حفل لعرس فى فندق ستيغنز واستمر الرقص طول سبب كن اعرف يقضى بأن يدفع كل رقص مع رافى ملغا رمزيا فى هذه ليلة وكان جورج قد بدت فصارى جهده وهو يجوب أنحاء الساعة لا توقف لالتقاط الصور للزوجين فى كل الأوضاع الممكنة بعد تناول وجبة بونديه تقليدية فى منتصف الليل . صعد هابيل ورفيا قصصا يملنهم فى الحناج

بحاص بالعرس فى فندق

وقد فوجئ هابيل وشعر بسعادة عندما علم من كوريس هينون فى صباح اليوم لى بأن تكاليف حفل لعرس فى فندق ستيغنز قد بدت فى غير السيد مكستون عسى أنها هدية عرس وقد استعل هابيل المال المدخر ولى كن من يفرص أن يدفعه بسديد نفقت

حفل **الزفاف** وقع مقدم بيت صغير فى شارع ريج .

كانت هذه هى المرة الأولى فى حياته التى يمتلك فيها بيتا خاصا

به

الجزء الرابع



١٩٣٢ - ١٩٤١

RAY ALEEN
RAY ALEEN
RAY ALEEN
RAY ALEEN

الفصل الحادى والعشرون



قرر ويليام أن يأخذ عطلة لمدة شهر فى إنجلترا قبل أن يتخذ أى قرار جاد بشأن مستقبله ، بل إنه كان يفكر فى الاستقالة من مجلس إدارة بنك كين وكابوت ، ولكن ماثيو أقنعه بأن هذا ليس تصرفا سليما وبأن أباه لم يكن ليقدم عليه لو كان قد تعرض لنفس الظروف . كان ماثيو يبدو أكثر تأثرا بهزيمة صاحبه من ويليام نفسه . فقد أتى فى الأسبوع التالى إلى البنك وآثار الإفراط فى تناول الشراب واضحة عليه كما أنه ترك بعض الأعمال المهمة بدون أن ينجزنها .

وقد قرر ويليام أن يمر هذان الحدثان بدون تعليق ودعا ماثيو لتناول العشاء معه هو وكات ولكن ماثيو رفض دعوته وادعى أن لديه كومة من الأعمال التى يجب أن ينجزها . لم يكن ويليام ليفكر فى أمر ماثيو ثانية لو لم يكتشف أنه كان يتناول العشاء فى نفس الليلة مع سيدة جذابة كاد ويليام يحزم أنها زوجة لأحد مديرى الإدارات

فى كين وكبوت . لم تعلق كات سوى بان هاثيو لا يبدو على ما يرام .

لم يلتفت ويليام إلى سلوك صديقه الغريب بسبب انشغاله برحلته المفاجئة إلى أوروبا . وفى اللحظة الأخيرة شعر ويليام أنه لن يستطيع أن يقضى شهرا كاملا وحيدا فى إنجلترا فطلب من كات أن تصحبه . وقد وافقت مرحبة .

أبحر ويليام وكات إلى إنجلترا على متن الموريتانيا . كل فى كبينة منفصلة . بمجرد أن استقر الاثنان فى فندق ريتز فى غرف مستقلة بل وفى أدوار مستقلة ، اتصل ويليام بفرع كين وكبوت فى شارع لومبارد لكى يحقق الهدف الظاهرى لرحلته إلى إنجلترا مراححة شعبة . بينت همل والاصراع غيب . كانت الروح المعنوية مرتفعة وكان تونى سيمونس على ما يبدو مديرا محبوبا ، لم يكن يسع ويليام إلا أن يذعن بتأييده .

قضى ويليام وكات شهرا رائعا سويا فى لندن ثم هجر ولنكولن شاير ، تفقد ويليام الأرض التى كان قد اشتراها هناك منذ بضعة أشهر ، كانت مساحة الأرض تزيد قليلا عن اثنى عشر أكرا فى الإجمالى . قال ويليام لكات : " إن العائد المادى للأراضى الزراعية ليس كبيرا ولكنه استثمار مضمون إن ساءت الأمور ثانية فى امريك "

قبل العودة إلى الولايات المتحدة ببضعة أيام ، قررت كات زيارة أوكسفورد ووافق ويليام وقادها بالسيارة فى وقت مبكر من صباح اليوم التالى . استأجر سيارة مويرس جديدة ، لم يكن قد قادها من قبل . فى الحرم الجامعى قضى الاثنان يومهما فى التجول بين الكليات الرائعة ، كانت المناظر الطبيعية خلابة عظيمة . أما فى ميرتون فقد جلسا على العشب وأخذوا يحملان .

جاءهما صوت أحد حراس الكلية : " لا يمكنكما الجلوس على العشب يا سيدى " . ضحك الاثنان وسارا يده فى يدها وكأنهما مازالا طالبين فى الجامعة وأخذا يراقبان ثمانية صيادين وهم يبذلون جهدهم لدفع قاريهم بأقصى سرعة ممكنة . لم يكن ويليام يتصور أنه يمكن أن يعيش بعيدا عن كات

بدأ رحلة العودة إلى لندن فى منتصف الظهيرة . وعندما وصلا إلى هنلى على نهر التايمز ، توقفوا لتناول قح من الشاى فى مطعم " بيل " الذى يطل على النهر . بعد تناول الكعك والشاى لاجبرى (كانت كات جريئة وسبوت اشى بسن فقط . أما ويليام فقط حشفه ببساطة ، الساخن) . رأت كات ضرورة الإسراع فى العودة قبل أن يحل الظلام فى الطريق . ولكن ويليام عجز عن مقاومة المحرك بالرغم من الجهد الذى بذله لتشغيل السيارة . وأخيرا ، استسلم الاثنان بما أن الوقت أيضا كان قد تأخر ، وقررا قضاء ليلة فى هنلى . عاد ويليام إلى مكتب الاستقبال فى فندق بيل وطلب حجز غرفتين

قال موظف الاستقبال : " آسف يا سيدى ولكن ليس هناك سوى غرفة واحدة مزدوجة " .

تردد ويليام للحظة ثم قال : " حسنا ، احجزها لى " .

ارتسمت علامات الدهشة قليلا على وجه كات ولكنها لم تنطق بكلمة ، نظر إليها موظف الاستقبال فى ارتياب .

" السيد والسيدة ... ؟ "

قال ويليام فى حزم : " السيد والسيدة وليام كين . سوف نعود فى وقت لاحق " .

سأل الموظف : " هل هناك أية حقائب ؟ "

أجاب ويليام وهو يبتسم : " لم نحمل معنا أية حقائب " .

" أمرك يا سيدى "

سارت كات وقد بعلكتها لدهوة خفف ويليم فى شارع هنلى إلى أن توقفا أمام إحدى دور العبدية .

قالت كات : " هل لى أن أسأل م الذى نحن بصدد عمله يا ويليام ؟ "

" سوف نفعل شيئا كان لابد أن نفعله منذ وقت طويل يا عزيزتى "

لم تطرح كات المزيد من الأسئلة . عندما دخلا تلك الدار ، وجد ويليام الحارس جالسا على مقربة منهما فسأله ويليام

" أين يمكن أن أجد المسئول عن مراسم الزواج ؟ "

وقف حارس الدار فى استناده وأخذ ينظر إلى ويليم فى

أسف :

" فى مقره يا سيدى ، يمكننى أن أقول ذلك " .

سأل ويليام فى محاولة ثانية : " وأين مقره ؟ "

" أنت مواطن أمريكى ، أليس كذلك يا سيدى ؟ "

قال ويليام وقد بدأ ينقد صبره : " نعم "

قال الحارس : " مقره عند الباب الأول من الدار ، أليس كذلك ؟ "

قال ويليام : " أعتقد ذلك . هل يمكنك أن تبقى هنا لعشر دقائق ؟ "

" ولم ذلك يا سيدى ؟ "

أخرج ويليام ورقة بخمسة جنيهات استرلينى من جيبه وفردها وقال مخاطبا الرجل : " لتكن خمس عشرة دقيقة حتى ننهى ما

جئنا لأجله ، أرجوك " .

تفحص حارس الدار الورقة النقدية بمنتهى الدقة وقال :

" أمريكيون ... أمرك سيدى "

ترك ويليام الرجل مع عمله الورقية وأسرع هو وكات بالدخول . بينما كانا يمران بجوار لائحة الإخطارات الرئيسية فى الدار ، إذا بكلمات التالية مدونة عليها : " المسئول عن هذه الدار سيمون توكسبورى " وبجوار هذه العبارة كان هناك إعلان مثبت بمسمار واحد فقط يناشد الجميع التبرع لبناء سقف جديد للدار . كل ملهم لتجميع مبلغ الـ ١٠٠ جنيه استرلينى المطلوبة سوف يفيد ، هكذا كان يقول الإعلان . أسرع ويليام وكات نحو مقر المسئول على بعد بضعة يردات وطرق الباب وإذا بسيدة ممثلة مهتمة تجيب الطرق .

سأل ويليام : " هل أنت السيدة توكسبورى ؟ "

أجابت مهتمة : " نعم "

" هل يمكن أن أتحدث مع زوجك ؟ "

" ولكنه يتناول الشاي الآن . ألا يمكنكما العودة فى وقت

لاحق ؟ "

أصر ويليام : " أخشى أن الأمر بالغ الأهمية "

كانت كات تريد أن تتحدث معه ولكنها أثرت الصمت .

" حسنا فى هذه الحالة ، يجدر بكما الدخول " .

كن المقر يعود إلى بدايات القرن السادس عشر وكانت الغرفة الأمامية الصغيرة المبنية بالحجارة مزودة بصفاة خشبية . قام

المسئول - الذى كان يتناول شطائر الخير - ليحييهما .

" عمت مساء يا سيد ... ؟ "

" كين يا سيدى ، ويليام كين "

" ما الذى يمكن أن أسدي لك يا سيد كين ؟ "

قال ويليام : " كات وأنا نريد أن نتزوج "

قالت السيدة توكسبورى : " يا للروعة " قال المسئول : " أجل بالطبع . هل أنت من سكان هذه المنطقة ؟ أنا لا أذكرك إطلاقاً " .

" كلا يا سيدى أنا أمريكى . وأقطن مدينة بوسطن " .

قال المسئول : " ماستشوستس على ما أظن وليس لنكولنتاير " .

قال ويليام : " نعم " وقد نسى للحظة أن هناك بوسطن أيضا فى إنجلترا .

قال المسئول : " رائع . وما هو الموعد الذى حددته لزواجكما ؟ "

" الآن يا سيدى " .

قال المسئول فى دهشة : " الآن يا سيدى ؟ أنا لا أعرف التقاليد التى تحيط بالرباط المقدس العظيم مؤسسة لزوجية فى الولايات المتحدة يا سيد كين . نأرجع من أند نفراً أحباب عن منع الحوادث العربية ببعض فاضى كالصورييا . ولكننى أعتذر أنه مر وجبى ان أعلمك أن مثل هذه التصرفات والعادات ليست مقبولة فى هنلى . سطة على القايمز . فى إنجلترا يا سيدى يجب أن تحدد تاريخ رواجك قبل الموعد بشهر كامل كما يجب أن يعلن عن الزواج فى ثلاثة أماكن مختلفة ما لم تكن هناك أية ظروف خاصة تفرض النصرف بشكل مختلف . وحتى فى وجود هذه الظروف الخاصة . فإن يجب أن أحصل على موافقة رؤسائى ولا يمكن أن أحقق ذلك فى أقل من ثلاثة أيام " .

تحدثت كات للمرة الأولى : " كمبقى من المال اللازم لبناء السقف الحديد " .

" أجل ، السقف ، إنها قصة مؤسفة ، ولكننى لن أخوض فى تفاصيلها الآن . إن هذه الدار قد بنيت فى بداية القرن الحادى عشر ، هل تعرفين ذلك ؟ و ... " .

سأل ويليام وهو يضغط على يد كات : " ما هو المبلغ المطلوب ؟ "

" تأمل فى جمع خمسمائة جنيه استرلينى . لقد أهليتنا بهلاء لا بأس به إلى الآن وسجد فى لحصول على سبعة وعشرين جنيهها وأربعة شللات وأربعة بنسات فى سبعة أسابيع فقط " .

قالت السيدة توكسبورى : " كلا كلا يا عزيزى " أنت لم تحص الجنيه والأحد عشر شللا والبنسين التى اكتسبتها من البيع والشراء الأسبوع الماضى " .

" معك حق يا عزيزتى . كم كان من غير اللائق أن أنسى إسهامك . هذا يعنى أن الحصيلة تصل إلى ... " بدأ الرجل يحاول أن يحصى الأرقام فى رأسه وهو يرفع عينيه نحو السماء بحثا عن الإلهام .

أخرج ويليام حافظته من جيبه وجرر شيكا بمبلغ ٥٠٠ جنيه استرلينى وقدمه فى صمت إلى توكسبورى .

قال المسئول فى انبهار ، وقد تغيرت نبرة صوته : " أرى أن هناك ظروفاً خاصة يا سيد كين . هل سبق لأحدكما الزواج من قبل ؟ "

قالت كات : " نعم ، لقد لقي زوجى مصرعه فى حادث طائرة منذ أربع سنوات " .

قالت السيدة توكسبورى : " يا للظاعة . أنا آسفة لذلك ، أنا

لم ... " .

" بالفعل لقد بقى السيد سبروجيت فى العمل ، إنه لم يفعل هذا أبداً من أجلى ولكن يبدو أنك تملك طريقة مجدية معه يا سيد كان . "

ارتدى سيمون توكسبورى حلته بينما أخذ حارس الدار يحدق فى زهول فى المشهد أمامه .

استدار ويليام نحو كات وقبلها برفق : " أعرف أنه سؤال أحقق فى ظل هذه الظروف ، ولكن هل تتزوجيننى ؟ "

قال مسئول الدار الذى لم يصادف راجعاً مثل هذا طوال سنين عمله : " يا الهى العظيم ، تعنى أنك لم تكن حتى قد سألتها ؟ "

بعد خمس عشرة دقيقة ، غادر السيد والسيدة ويليام كين الدار الواقعة فى هنى على نهر التايمز . فى أوكسفورد شير وفد وصلت السيدة توكسبورى بخانم فى آخر لحضة وأذى كان عبارة عن حلقة من حلقات الستارة . كان مقاسه مناسباً تماماً . أصبح توكسبورى يملك الآن سطحا جديداً بينما يملك السيد سبروجيت مالا لكى يحيك ملابس لنفسه فى متجر الجرين مان حيث أنفق الجانب الأكبر من الجنيهات الخمسة .

خارج دار العبادة قدم السيد توكسبورى لويليام قطعة ورق وقال : " أعطنى شلنين وستة بنسات ، من فضلك "

سأل ويليام : " لم ؟ "

" شهادة زواجك يا سيد كين "

قال وسيم وهو يسلم لرجل بفقت الزواج . كل من يجب أن تدرس الحساب يا سيدى . " سار ويليام مع زوجته فى صمت فى شارع هاى ستريت إلى أن وصلا إلى فندق بيل . تناولوا عشاء هادئ فى قاعة الطعام ذات الحشب بنوصى اننى ترجع إلى القرن الحداشر عشر ثم ذهبوا إلى الفراش بعد التاسعة بوضع دقائق . بينما اختفى الانسان

قال المسئول ، وقد فاق اهتمامه بسطح الدار اهتمامه بمشاعر زوجته : " اصمتى يا عزيزتى . وأنت يا سيدى ؟ "

قال ويليام : " لم يسبق لى الزواج أبداً من قبل . "

" سوف أتصل برؤسائى . " قالها وهو يقبض بإحكام على شيك ويليام ثم اختفى فى الغرفة المجاورة .

دعت السيدة توكسبورى كات وويليام للجلوس وقدمت لهما شطائر الخيار . أخذت تثرثر ولكن ويليام وكات لم يسمعا كلمة واحدة من حديثها حيث جلس كل منهما يحدق فى الآخر .

عاد المسئول وهو يحمل ثلاث شطائر فى وقت لاحق .

" إنه أمر محظور ، ولكن المسئولين وافقوا بشرط أن توثق كل شىء فى السفارة الأمريكية غداً ثم فى بوسطن ، ماساتشوستس ، فور عودتك إلى وطنك "

كان المسئول مازال يقبض على الشيك .

وواصل حديثه قائلاً : " كل ما نحتاجه الآن هو شاهدان "

" يمكن أن تكون زوجنى شاهدة على العقد وبكر أمس أن أعثر على حارس الدار حتى يكون شاهداً ثانياً . "

قال ويليام : " إنه مازال موجوداً ، أؤكد لك "

" كيف يمكن أنه تكون واثقاً إلى هذا الحد يا سيد كين . "

" لأنه كلفننى واحداً بالمائة "

" واحد بالمائة ؟ " قال السيد توكسبورى ذلك فى حيرة .

قال ويليام : " واحد بالمائة من سقف داركم . "

أدخل الرجل ويليام وكات وزوجته فى اسمر الصغير المؤدى إلى الدار وغمز إلى حارس الدار الذى كان قد بقى منتظراً .

على السلم الخشبي المؤدى إلى غرفتهما ؛ استدار موظف الاستقبال نحو البواب وغمز قائلا : " إن كانا متزوجين فأنا ملك إنجلترا " .

بدأ ويليام يتمتم " ليحفظ الله الملك " .

فى صباح اليوم التالى تناول السيد والسيدة كين إفطارا مطولا إلى أن تم إصلاح السيارة . صب لهما النادل قدحين من القهوة سألهما ويليام فى براءة : " هل تريدنيها سادة أم مزودة ببعض اللين ؟ "

ابتسم لهما زوجان عجوزان فى المائدة المجاورة فى حنان قالت كات وهى تمد يدها لتلمس يد ويليام فى رقة : " مع اللين من فضلك " .

ايقسم لهما وفجأة أدركا أن كل العيور فى القعدة كانت تحدث فيهما .

عاد ويليام وكات إلى لندن فى هواء الربيع المنعش . وسافرا عبر هنلى فوق نهر التايمز ثم عبرا بيكشاير وميدلسكس إلى لندن . سأل ويليام : " هل لاحظت كيف نظر إليك موظف الاستقبال فى الفندق هذا الصباح يا عزيزتى ؟ "

" نعم ، أعتقد أنه كان يجدر بنا أن نريه وثيقة زواجنا " .

" كلا ، كلا ، كان هذا سيفسد صورته عن المرأة الأمريكية اللعوب . إن آخر شيء يريد أن يقوله لزوجته الليلة عندما يعود من العمل هو أننا متزوجان " .

عندما عادا ثانية إلى فندق ريتز على موعد الغداء ، فوجئ المدير بـ ويليام قد أنفى الغرفة التى كنت تقيم فيها كات . وقد سمع الرجل فى وقت لاحق وهو يعلق على ذلك قائلا : " كنت أظن أن السيد كين الصغير رجل مهذب . لم يكن والده الراحل ليقدم أيديا على مثل هذا التصرف " .

عاد ويليام وكات على متن الأكيتنيا إلى نيويورك . واتصلا على الفور بالسفارة الأمريكية فى جروسفينور جردنز لإبلاغ القنصل برؤايجهما . أعطاهم القنصل وثيقته رسمية مطولة للنهـ وطلب منهم تسديد جنيـ واحد وأبقاهما منتظرين لما يزيد على ساعة كاملة . لم تكن السفارة الأمريكية - على ما يبدو - بحاجة لمزيد من الأدلة . كان ويليام يريد أن يتوجه على أحد محلات كارتيرز فى شارع بوند لشراء خاتم زواج ولكن كات لم توافق على ذلك ؛ يستحيل أن تتخلى عن خاتمها النحاسى الذى كان إحدى حلقات الستارة .

وجد ويليام صعوبة فى الاستقرار فى بوسطن تحت قيادة رئيس البنك الجديد . كانت نتائج الصفقة الجديدة قد اكتسبت صبغة قانونية بسرعة غير مسبوقة ورأى ويليام وتونى أنه يستحسب التنبؤ به يمكن أن يجعله ذلك بالنسبة للاستثمار ؛ أى إن كان الإقدام عليه أمرا حيدا أم سببا . كن يتوسع - فى جبهة واحدة على الأقل - أمرا حتميا وخاصة عندما أعلنت كات بعد عودتها من الرحلة بقلب أنها حامل وهى الأباء لتى غمرت وادبها وزوجها بالسعادة . حاول ويليام أن ينسق ساعات عمله بما يسمح له بأداء دوره الجديد كآب ولكنه بداية وجد نفسه بشكل متزايد حبيس عمله فى أيام الصيف الحارة بينما كانت كات ، تقضى وقتها سعيدة وهادئة فى جنة الأمومة المزدهرة وهى تشرف على تجديد حجرة الطفل فى البيت الأحمر . وجد ويليام نفسه للمرة الأولى يتطلع لمغادرة مكتبه والعودة إلى منزله . وإذا كان قد بقى أمامه المزيد من العمل ؛ كان يحمل الأوراق إلى البيت الأحمر ؛ وهو ما التزم به طوال حياته الزوجية .

بينما كانت كات وطفله الذى كان على وشك الوصول بحلول عيد رأس السنة مصدر سعادة غامرة له فى البيت . كان ماثيو يشتر إزعاجه وضييقه فى العمر . كان ماثيو قد عتاد الإفرط فى تناول الخمر والحضور إلى امكث متأخرا بدون تبرير وبمرور الأشهر . شعر ويليام أنه لم يعد باستطاعته أن يعتمد على ماثيو فى لداية . أثر ويليام الصمت على أمه أن يتغير الحال وألا تكون سوى نزوة عابرة . ولكنه وجد أن المشكلة تزداد تفاقمًا وتسير من سيئ إلى أسوأ . كانت القشة التي قصمت ظهر البعير فى أحد أيام شهر نوفمبر صباحا عندما وصل ماثيو متأخر ساعتين عن موعد العمل . وكان يعنى بوضوح من آثار خمر ثم أقدم على خطأ بسيط كان يمكن تعاديه وذلك ببيع استثمار مهم حدث عنه خسارة جسيمة لأحد العملاء . لدى كان يمكن أن يحقق ربحا جيدا . أدرك ويليام عنده أن الوقت قد حان لإجراء موجهه صعبة ولكن ضرورية مع ماثيو اعترف ماثيو بحقيقته وعذّر فى دم . شعر ويليام برتياح لتخطى لأزمة بهذا الشكل المرضى وكان على وشك دعوة ماثيو لتناول الغداء معه عندما هزعت السكرتيرة بدون استئذان إلى دخل مكتب ويليام

"زوجتك يا سهدى : نقلت إلى المستشفى "

سأل ويليام فى دهشة : " لماذا ؟ "

قالت السكرتيرة : " الطفل "

قال ويليام فى ارتياح : " ولكن موعد الولادة قد بقى عليه ستة أسابيع أخرى " .

" أعلم يا سيدى ولكن الدكتور مكنزى بدأ قلقا وهو يريدك أن تذهب إلى المستشفى بأسرع ما يمكن " .

هب ماثيو - الذى كان منذ لحظة واحدة أشبه بالورقة الذابلة - وافقا وقاد ويليام إلى المستشفى أخذت الذكريات تتداعى فى مخيلة ويليام وهو يتذكر وفاة أمه وابنتها التي ولدت ميتة . قال ماثيو وهو يهرع بالسيارة داخل موقف سيارات المستشفى : " يا إلهى ! احفظ كات "

لم يكن ويليام بحاجة لن يقوده إلى جناح أطفال ريتشارد كين . الذى كانت كات قد افتتحته رسميا منذ ستة أشهر فقط . وجد ويليام ممرضة واقفة خارج غرفة الولادة . وأخبرته بأن الدكتور مكنزى كان مع زوجته وأن كات كانت قد نزلت الكثير من الدماء . أخذ ويليام يجوب الرواق ذهاب وإيابا فى يأس . وترقب واضح . ثامنا مثلما فعل منذ سنوات مضت . يبدأ له المشهد كله مألوف . كم تبدو رئاسة البنك أمرا تأفها مقارنة بفقد كات . متى كانت المرة لا حيرة متى أخبرها فيها بأنه يحبها . كان ماثيو يجلس مع ويليام ويعوم معه ويجريه ويكلمه لم يتعود بكلمه . لم يكن هناك شيء يمكن قوله . أخذ ويليام ينظر إلى ساعته فى كل مرة كانت المعرصة تدخل وسحرج فيها من غرفة ولادة . وتحول لتواى إلى دفنوا وابدقنق إلى ساعات . وأخيرا . ظهر الدكتور مكنزى . وقطرات العرق تتلألأ على جبهة رأسه والكمامة الجراحية تغطي أنفه وفمه . لم يستطع ويليام أن يقيين أى تعبير على وجه الطبيب إلى أن خلج الكمامة البيضاء . ليكشف عن ابتسامة كبيرة .

" تهانينا يا ويليام . لقد رزقت بولد . وكات على ما يرام " .

قال ويليام وهو يتنفس الصعداء . ويحتضن ماثيو : " الحمد لله " .

قال الدكتور مكنزى : " بعد شكرى لله تعالى أرى أننى قد بذلت جهدا لا بأس به فى غرفة الولادة " .

قال عاثيو : " يا له من وغد قبيح ، إنه لا يشبه والدته الجميلة بالمرّة " .

قال ويليام : " هذا هو رأيي أنا الآخر " .

" إنه صورة قبيحة من أبيه مع ذلك " .

عاد ويليام إلى غرفة كات الزاخرة بالزهور .

سالت كات زوجها : " هل يعجبك ابنك ؟ إنه يشبهك كثيرا " .

قال ويليام : " سوف أدق عنق الشخص التالى الذى سوف يقول ذلك . إنه أقبح شيء رأيته فى حياتي " .

قالت كات فى اعتراض ضاحك : " كلا . إنه جميل " .

قال ويليام : " من وجهة نظرك كم فقط " واحتضن زوجته التى تشبثت به وهى سعيدة بسعادته .

قال ويليام مازحا : " ما الذى كان يمكن أن تقوله جدتى بشأن ولد جاء إلى العالم بعد أقل من ثمانية أشهر على الزواج ؟ لا أحب أن أبدو قاسيا ولكن أى شخص يولد قبل خمسة عشر شهرا يجب أن يكون لأهل مشكوك بهما ، أما ولادته بعد أقل من تسعة أشهر ، فهذا أمر مرفوض تماما . كات لقد تسميت أن أقول لك شيئا قبل أن يسرعوا بك إلى المستشفى " .

" وما ذلك ؟ "

" أحبك " .

بقيت كات وريتشارد الصغير فى المستشفى لما يقرب من ثلاثة أسابيع . لم تكن كات قد تعافت تماما واستعادت حيويتها إلا بعد عيد رأس السنة . أما ريتشارد - فى المقابل - فقد نما مثل نبتة ريانة ، لم يكن أحد قد أخبره من قبل أنه ينتمى إلى عائلة كين . وأنه لم يكن يفترض به أن يتصرف بشكل تلقائى . كان ويليام أول

ضحك ويليام : " هل يمكن أن أرى كات ؟ "

" كلا ، ليس من فورك . لقد أعطيتها مسكنا وقد استسلمت بسوء . لقد لفت الكثير من الدم ولكن سوف تكون على ما يرام غدا فى الصباح . سوف تكون ضعيفه بعض الشيء ولكن سوف تكون جاهزة لاستقبالك . ليس هناك ما يمسك من رؤية ابنك ولكن لا تندهش من حجمه فقد ولد قبل موعده " .

قد الطبيب ويليام واثيو فى الرور اسودى إلى غرفة الطفل . وفد يتماثلان من حلال النافذة لزحاجة ستة رؤوس حمراء لأطفال فى مهدهم .

قال الدكتور مكنزى ، وهو يشير إلى طفل فى نهاية الغرفة : " إنه هذا الطفل " .

أخذ ويليام بنام فى ربة وجه الطفل القبيح وفد نبذت سريع صورة الابن الرائع الذى كان يتصوره .

قال الدكتور مكنزى فى ابتهاج : " حسنا ، سوف أقول شيئا واحدا لهذا الشيطان الصغير . إنه أفضل شكلا من والده عندما كان فى مثل سنه والذى أرى أنه قد أصبح لا بأس به الآن " .

ضحك ويليام فى ارتياح .

" هل اخترت له اسما ؟ "

" ريتشارد هيجنسون كين " .

ريت الطبيب على كتف الأب فى حقو : " أتفنى أن يطول بى العمر لكى أشرف بنفسى على ولادة أول أبناء ريتشارد " .

اتصل ويليام من فوره بناظر مدرسة سانت بول الذى حجز لابنه مكانا فى عام ١٩٤٣ . تناول ويليام واثيو القلب من الشراب ووصلا متأخرين إلى المستشفى فى صباح اليوم التالى لرؤية كات . أخذ ويليام ماثيو لكى يلقي نظرة ثانية على ريتشارد الصغير .

ذكر في عائلة كبير بغير الحفصات ويدفع عربة ، ولابد بنفسه كانت كت فخورة به للغيره . بل إنها كانت منهشة عص لشيء . وقد أصر وبيام دائبو أنه قد حان وقت الاستقار ، ولبحث عن راحة

صحت ماثيو مدافعا : " لقد أصبحت بالفعل في منتصف العمر ، سوف أترقب بعد ذلك ظهور الشعر الأبيض في رأسك " . كانت هناك شعرة أو شعرتان قد ظهرتنا بالفعل أثناء معركة الرئاسة . ولكن ماثيو لم يكن قد لاحظها .

لم يكن ويليام قادراً على تحديد اللحظة الذي سوف تتفجر فيها العلاقة بينه وبين نوبى سيمونس . كان نوبى يعترض بشكر رائد على اقتراحات ويليام بواحد سو الآخر مع دفع ويليام إلى استعير حدية في تقديم استقائه . كتب أن ماثيو كان يزيد الأمور سوءاً بإصراره على التشبث بالإفراط في الشراب . لم تكن فكرة الإصلاح قد دامت لأكثر من بضعة أشهر حتى أنه أصبح يفرط أكثر من أى وقت مضى في تناول الخمر والوصول إلى اليك متأخرا صباح كل يوم . لم يكن ويليام يدرى تحديدا كيف يتعامل مع الوضع الجديد ووجد نفسه يعمل بشكل دائم على تغطية عمل ماثيو ومتابعته . وفي نهاية كل يوم كان ويليام يراجع بريد ماثيو ويرد على بعض المكالمات الهاتفية التي لم يكن ماثيو قد رد عليها .

ويحول ربيع عام ١٩٣٦ ، كان المستثمرون قد اكتسبوا المزيد من الثقة وأعادوا ودائعهم في البنك ورأى ويليام أن الوقت قد حان لاقتحام سوق الأسهم ولكن نوبى رفض الاقتراح من خلال مذكرة داخلية أرسلها إلى اللجنة المالية . دخل ويليام ثائرا مكتب نوبى ليسأله ما إن كان قد حان وقت تقديم استقالته .

" كلا بالطبع يا ويليام ، ولكننى فقط أريدك أن تعرف أنني أسعى دائما لإدارة البنك من خلال طريقة محافظة وأنا لست على استعداد لتكبد أية خسائر بدفع أموال المستثمرين في سوق المال الآن " .

" ولكننا بذلك نخسر لزيادة لصالح البنوك الأخرى بينما نجلس على جانبي الطريق لنشاهددهم وهم يستفيدون من الوضع الحالي . هت بنوك لم نكن حتى ننظر إليها باعتبارها بنوكاً منافسة منذ عشر سنوات سوف تتفوق علينا قريبا " .

" تتفوق علينا في ماذا يا ويليام ؟ ليس في السمعة ، في الأرباح السريعة ربما ولكن ليس في السمعة " .

قال ويليام : " ولكن الربح أمر يعنينى . إننى أعتبر أنه من واجب البنك أن يحقق عوائد جيدة لمستثمريه لا أن يبقوا منتظرين لما سوف نبدأ به " .

" أفضل أن أبقى ثابتا في مكانى على أن أخسر سمعة هذا البيت حتى ينهض جدك وأبوك على مدر نصف القرن " .

" أجز ولكن كليهما كان بحث دائما عن فرص جديدة لتوسيع نشاطات لبنك " .

قال توتى : " فى الأوقات الجيدة " .

قال ويليام : " وفى الأوقات السيئة " .

" ما هو سر كل هذا القضب يا ويليام ؟ ما زلت تملك مطلق

الحرية في إدارة القسم الخاص بك " .

" أحاول بأقصى جهدى ولكنك تقف دائما حجر عثرة فى كل

ما أسعى للقيام به " .

" دعنا تصارح بعضنا البعض يا ويليام . من بين الأسباب التى جعلتني أتوخى الحذر فى الفترة الأخيرة هو أن حكم ماثيو لم يعد سديداً " .

" دع ماثيو وشأنه . أنت تعرقل عملى أنا . أنا رئيس القسم " .
 " لا يمكننى أن أدع ماثيو لحاله . ليتنى أستطيع . فأنا الذى أتحمّل المسؤولية النهائية لكل ما يجرى أمام مجلس الإدارة ، و ماثيو هو ثانى رجل فى أكثر الأقسام أهمية فى البنك " .
 " نعم وبالتالى فهو تحت مسؤوليتي أنا لأننى الرجل رقم واحد فى هذا القسم " .

" كلا يا ويليام ؛ لا يمكن أن تبقى المسؤولية هى مسؤوليتك أنت وحدك عندما يأتى ماثيو إلى المكتب وهو ثمل فى الحادية عشرة صباحاً مهما بلغ قدم الصداقة التى تجمع بينكما ومدى قوتها " .
 " لا تبلغ " .

" أنا لا أبالغ يا ويليام . لأكثر من عام تحمل البنك ماثيو ليستر والشئ الوحيد الذى منعتنى من التنويه إلى هذا الأمر من قبل هو علاقتك الشخصية الوثيقة به وبعائلته . إننى لن أكون أسفاً إن جاءنى وهو يحمل استقالته . إن أى رجل غيرى كان سيفعل ذلك وكان أصدقاؤه سيتصحونه بذلك " .

قال ويليام : " هذا لن يحدث أبداً . إن رحل هو فسوف أرحل أنا " .

قال تونى : " وهو كذلك يا ويليام . إن مسؤوليتي الأولى هى مسؤوليتي تجاه المستثمرين وليس تجاه أصدقاؤك القدامى " .

قال ويليام " سوف تندم على ما قلته فى يوما ما يا تونى " .
 خرج ويليام ثائرا من مكتب الرئيس وعاد إلى مكتبه وهو فى حالة هياج .

سأل ويليام وهو يمر بجانب السكرتيرة : " أين السيد ليستر ؟ "
 " لم يحضر بعد يا سيدى " .
 نظر ويليام إلى ساعته فى حنق وقال : " أخبريه بأننى أريد أن أراه فى اللحظة التى يصل فيها " .
 " أمرك يا سيدى "

أخذ ويليام يجوب أنحاء مكتبه ذهاباً وإياباً وهو يسب ويلعن . كل ما قاله تونى سيمونس عن ماثيو ليستر كان صحيحاً ؛ وهو ما يزيد الأمور سوءاً . بدأ ويليام يسترجع ثانياً كيف بدأ الأمر بزمته ؛ ويحاول العثور على تفسير أو مبرر . وإذا بالسكرتيرة تقطع عليه حبل تفكيره قائلة :

" لقد وصل السيد ليستر لنوه يا سيدى " .

دخل ماثيو الغرفة وهو فى حالة ارتباك وعلامات الثمالة تبدو واضحة عليه . كان ماثيو قد كبر فى السن كثيراً على مدى العام الماضى وكان جلده قد فقد حيويته وتألّفه حتى شعر ويليام وكأنه شخص آخر يختلف عن صديقه المقرب الذى عرفه منذ عشرين

سنة

" ماثيو ؛ أين كنت بالله عليك ؟ " .

قال ماثيو ؛ وهو يحك وجهه بشكل عشوائي : " لقد أفرطت فى النوم ، أخشى أننى قد تأخرت فى النوم بالأمس " .
 " تعنى أنك قد أفرطت فى الشراب " .

" كلا لم أفرط فى الشراب كما تظن ، وإنما كانت صديقة جديده أبتغنى ساهراً طوال الليل " .

" متى ستكف عن ذلك يا ماثيو ؟ لقد صادقت كل نساء بوسطن " .

" لا تبالغ يا ويليام . لا بد أن هناك امرأة أو اثنتين لم أصادقهن - على الأقل أتمنى ذلك . ولا تخس أيضا آلاف النساء المتزوجات "

" نحن لا نمزح يا ماثيو . "

" اهدأ يا ويليام ، ترقق بى . "

" أتفرك بك ؟ إن تونى سيمونس يلاحقنى بسببك ولكن الأسوأ من ذلك هو أننى أعلم أنه محق . أنت تلاحق كل النساء والأسوأ هو أنك تفرط فى الشراب وتقود نفسك إلى الهاوية . لم تعد قادرا على الحكم على الأمور بشكل صائب . لماذا يا ماثيو ؟ لماذا ؟ أخبرنى عن السبب . لا بد أن هناك مبررا لذلك . منذ عام واحد مضى كنت من بين أكثر الرجال الذين قابلتهم فى حياتى التزاما . ما الخطب يا ماثيو ؟ كيف أرد على ما يقوله تونى سيمونس ؟ "

" قل لتونى أن يذهب إلى الجحيم وأن يعتنى بأموره الخاصة . "

قال ويليام بعد أن عجز عن إخفاء نبرة الغضب فى صوته :
" ماثيو ، كن منصفا ، هذا عمله . نحن ندير بنكاً وليس ملهى .
ولقد جئت إلى هنا بصفتك مديرا بتوصية منى أنا شخصيا .
" أما الآن فأنا لم أعد كفئا من وجهة نظرك ، أهذا ما تعنيه ؟ "

" كلا لم أقل هذا . "

" إذن ما الذى تقصده بحق السماء ؟ "

" ترو يا ماثيو وأنجز بعض العمل على مدى بضعة أسابيع وسرعان ما سوف ينسى الجميع كل ما يدرك .
" هل هذا كل ما تريده يا ويليام ؟ "

" نعم "

قال ماثيو وقد ضرب بتعله الأرض : " سوف أنفذ ما تريد يا سيدى " ومضى خارجا من الباب .
قال ويليام : " اللعنة . "

فى عصر نفس اليوم أراد ويليام أن يراجع ملف أحد العملاء مع ماثيو ولكن لم يكن لـ ماثيو أثر فى البنك ولم يستطع أحد أن يعثر عليه . لم يكن قد عاد إلى مكتبه بعد الغداء ولم يكن أحد قد رآه منذ ذلك الحين .

حتى متعة وضع ريتشارد الصغير فى فراشه فى مساء هذا اليوم لم تُسر عن ويليام وتخفف عنه وطأة قلقه على ماثيو . كان ريتشارد يستطيع أن يقول رقم " اثنين " وكان ويليام يحاول أن يجعله يقول " ثلاثة " ولكنه أصر على عدم نطقها بطريقة صحيحة .

كان ويليام يسأل ابنه : " إن لم تكن قادرا على قول رقم ثلاثة يا ريتشارد فكيف تأمل أن تكون مصرفيا . "

وعندها دخلت كات وقالت معلقة : " ربما سوف ينتهى به المال إلى فعل شيء ذى قيمة . "

سأل ويليام : " وهل هناك ما هو أكثر قيمة من العمل المصرفي ؟ "

" حسنا ، قد يكون موسيقيا أو لاعب كرة أو حتى رئيسا للولايات المتحدة . "

قال ويليام وهو يغطى ريتشارد فى فراشه ويقول : " من بين الثلاثة أفضل أن يكون لاعب كرة ، لأنه العمل الوحيد الذى يمكن أن يوفر له عائدا جيدا . " كانت آخر كلمة لريتشارد قبل أن ينام هى " كلاكة يا أبى " فاستسلم ويليام . يبدو أن ذلك اليوم لم يكن بوجه

" تبدو متهاك يا عزيزى . أتمنى ألا تكون قد نسيت أننا مدعوون لدى أندرو مكنزى "

" يا إلهى ، حفل أندرو ، لقد نسيت هذا الحفل تماما . متى يجب أن نكون هناك ؟ "

" بعدما يقرب من ساعة "

" حسنا ، يجب أولا أن آخذ حماما ساخنا طويلا . "

قالت كات : " كنت أظن أن هذا امتياز للمرأة . "

" ولكننى الليلة بحاجة لبعض التدليك . لقد أنهكت أعصابى اليوم بشدة . "

" هل ضايقت تونى ثانية ؟ "

" نعم ولكننى أخشى أنه مصيب هذه المرة . إنه يشكو من ماثيو وجرطه فى تناول الشراب . أحمد الله أنه لم ينوه أيضا إلى علاقته النسائية . لقد أصبح من المستحيل اليوم دعوة ماثيو إلى أى حفل لا بعد حبس لاسه بكبرى - بن وربما الروجة ايض - هلا جهزت لي الحمام يا عزيزتى ؟ "

جلس ويليام فى حوض الاستحمام لأكثر من نصف ساعة حتى أن كات سحبت من الحوض قبل أن ينام بداخله . بالرغم من إسرعهما ، فقد وصلا متأخرين خمسا وعشرين دقيقة عن الحفل ليجدا أن ماثيو قد حضر بالفعل وفى طريقه للثمالة بل ويسعى للإيقاع بزوجة أحد أعضاء الكونجرس . أراد ويليام أن يتدخل ولكن كات منعه من الإقدام على ذلك .

قالت : " لا تقل شيئا . "

قال ويليام : " لا أستطيع أن أقف هنا وأكتفى بمشاهدته وهو يقطع إربا إربا عيني إله صديقى انقرب . يجب أن أفعل شيئا "

ولكنه فى النهاية أذعن لرأى كات وقضى أمسية المؤرقة وهو يراقب ماثيو وهو يزداد ثمالة بمرور الوقت . كان تونى سيمونس - فى الجانب المقابل من الغرفة - ينظر بحدة إلى ويليام الذى شعر بالارتياح عندما غادر ماثيو الحفل مبكرا حتى بالرغم من أنه كان قد غادر بصحبة السيدة الوحيدة التى لم تكن مرتبطة فى الحفل . ما إن غادر ماثيو ، حتى بدأ ويليام يسترخى لأول مرة فى يومه .

قال أندرو مكنزى : " كيف حال ريتشارد الصغير ؟ "

قال ويليام : " إنه لا يستطيع أن يقول ثلاثة "

قال الدكتور مكنزى : " هذا نأ سار . قد يشب ليعمل عملا قيما على أية حال . "

قالت كات : " هذا ما قلته بالضبط . يالها من فكرة جيدة يا ويليام ، يمكنه أن يكون طبيب " .

قال أندرو : " هذا أمر مضمون فأنا لا أعرف الكثير من الأطباء ممن يملكون القدرة على بعد لاكثر من اثنين " .

قال ويليام : " إلا عندما يرسلون فواتير حسابهم "

ضحك أندرو : " أتودين تناول شراب آخر يا كات ؟ "

" كلا ، أشكر يا أندرو . حان وقت العودة إلى المنزل . إن بقينا لأكثر من ذلك فلن يبقى سوى تونى سيمونس وويليام ، وكلاهما يجيد العد بعد اثنين وسوف نقضى باقى ليلتنا فى التحدث عن الأمور المصرفية "

قال ويليام : " موافق . أشكر على هذا الحفل الرائع يا أندرو وأود أن أعتذر على سلوك ماثيو "

قل الدكتور مكنزى : " لماذا ؟ "

" لا تهون من أفعاله يا أندرو ، إنه لم يكن ثملاً فحسب وانت لم تكن هناك سيدة فى الحفل تشعر أنها فى مأمن بسبب وجوده " .

قال أندرو مكنزى : " كنت سأفعل نفس الشيء لو كنت فى مكانه " .

قال ويليام : " ما الذى يجعلك تقول هذا ؟ لا يمكن أن تؤيد تصرفاته لمجرد أنه أعزب " .

" كلا بالطبع ولكنى أتفهم الوضع وأدرك أننى قد أشعر بقليل من الاستهتار إن كنت أواجه نفس المشكلة " .

سألت كات : " ما الذى تقصد ؟ " .

قال الدكتور مكنزى : " يا الهى ، به صديقك انعرب وبه يخبركما بشيء " .

قالا فى صوت واحد : " أخبرنا بماذا ؟ " .

أخذ الدكتور مكنزى يحدق إليهما وقد ارتسمت علامات عدم التصديق على وجهه .

" تعاليا إلى مكتبى " .

سار ويليام وكات خلف الطبيب إلى غرفة صغيرة زاخرة بالكتب التى كانت تغطى الجدران . تطل من بينها أحدث بعض النور - والتى كان بعضها غير مؤطر - من أيام الدراسة فى كورنيل .

قال الطبيب : " تفضلا بالجلوس ويليام ، إننى لن أعتذر عما أنا بصدد قوله لأننى أفترض أنك تعرف أن ماثيو يعانى من مرض عضال ، إنه يعانى فى واقع الأمر من داء هودجكين . إنه يعلم بحالته هذه منذ أكثر من عام " .

سقط ويليام فوق مقعده للحظة وهو عاجز عن التحدث : " داء هودجكين ؟ " .

قال الطبيب بشكل رسمى : " إنه مرض يسبب ورماً قاتلاً فى الغدد الليمفاوية " .

هز ويليام رأسه فى عدم تصديق : " لم لم يخبرنى ؟ " .
 " أنتما تعرفان بعضكما البعض منذ أيام المدرسة . أعتقد أن كبرياءه قد منعه من أن يحمل أى شخص آخر عبء مشاكله . إنه يفضل أن يموت وهو ماض فى طريقه بدلاً من أن يعلم أى شخص بما يعانى منه . لقد كنت أتوسل إليه على مدى الستة أشهر الماضية أن يخبر والده كما أننى بكل تأكيد انتهكت عهدى المهنى بالإفصاح سخياً عن هذا الأمر . ولكنى لا أستطيع أن ادعكما لتلقيان اللوم عليه فى شيء خارج تماماً عن سيطرته " .

قال ويليام : " أشكرك يا أندرو . كيف كنت بهذا الحمق والعى ؟ " .

قال الدكتور مكنزى : " لا توبخ نفسك . كيف كان لك أن تعرف أمراً كهذا ؟ " .

سأل ويليام : " هل هناك أى أمل ؟ أليست هناك مستشفيات أو متخصصون ؟ ليست هناك أية مشكلة فى النفقات " .

" إن لاد لا يمكن أن يشفى كل شيء ، ب ويليام . ولقد استشرت أفضل ثلاثة أطباء فى أمريكا وطبيباً آخر فى سويسرا ولكن المؤسف هو أنهم جميعاً قد اتفقوا على صحة تشخيصى للمرض . إن العلوم الطبية لم تتوصل بعد إلى علاج لعداء هودجكين " .

سألت كات وهى تهمس : " كمبقى له من العمر ؟ " .

" ستة أشهر ، ربما ثلاثة فقط " .

قال ويليام : " وكنت أظن أنتى أعانى من مشاكل " . ثم أحكم قبضته على يد كات كما لو كان يحكم قبضته على خط الحياة وأضاف : " يجب أن ننصرف الآن يا أندرو . شكرا لإخبارنا " .
قال الطبيب : " افعل كل ما يمكنك عمله من أجله ولكن بحق السماء : كن متفهما . دعه يفعل ما يحلو له . إنها شهوره الأخير ؛ وليست شهورك أنت . ولا تخبره أبدا بأننى قد أعلمتك بالأمر " .
ركب ويليام وكات السيارة وظلا صامتين طوال الطريق . ما إن وصلا إلى البيت الأحمر ، اتصل ويليام بالفتاة التى غادر ماثيو الحفل بصحبتهما .

" هل يمكن أن أتحدث مع السيد ماثيو ليستر ؟ " .

قالت فى سبرة حائقة بعض الشيء : " إنه ليس هنا . لقد ذهبت معه إلى نادى ريفيو ولكنه كان قد ثمل بالفعل عندما وصلنا إلى هناك وقد رفضت أن أدخل بصحبته إلى ذلك المكان " .
ثم أغلقت السماعة .

نادى ريفيو . لقد تذكر ويليام بالكاد أنه قد شاهد اللافتة التى تحمل اسم هذا النادى من وراء سور حديدى ولكنه لا يذكر تحديدا أين كان يقع هذا المكان . بحث عن رقم هاتف النادى فى دليل الهاتف ، ثم قاد سيارته نحو الجانب الشمالى من المدينة وبعد الاستفسار عن مكان النادى من خلال بعض المارة ، عثر عليه فى النهاية . طرق ويليام الباب . أطل الحارس عبر فتحة صغيرة فى الباب .

" هل أنت عضو فى النادى ؟ " .

قال ويليام : " كلا " وأعطى الرجل ورقة بعشرة دولارات عبر النور .

أغلقت الفتحة الصغيرة وفتح الباب وسار ويليام عبر ساحة الرقص وقد بدا غير منسجم مع المكان بعض الشيء فى حلتة البنكية المؤلفة من ثلاث قطع . كان الراقصون يدورون مثنى فى الساحة . أخذت عينا ويليام تجوب القاعة المعبأة بالدخان بحثا عن ماثيو ولكنه لم يكن هناك . وأخيرا وقع بصره على فتاة من بين صديقات ماثيو العابرات فى الفترة الأخيرة . كان واثقا من أنه قد شاهد هذه الفتاة وهى تخرج فى وقت مبكر صباح أحد الأيام من بيت صديقه . كانت تجلس فى أحد الأركان مع بحار . توجه ويليام إليها .
قال ويليام : " من فضلك يا آنسة " .

رفعت رأسها جهة الصوت ولكن بدا من الواضح أنها لم تتعرف على ويليام .

قال البحار : " السيدة تجلس معى ، لا تسع للاقترب منها " .

" هل رأيت ماثيو ليستر ؟ " .

قالت الفتاة : " ماثيو ؟ ماثيو من ؟ " .

قال البحار وهو ينهض على قدميه : " قلت لك انصرف من هنا " .

قال ويليام : " كلمة واحدة أخرى وسوف أدق عنقك " .

كان البحار قد شاهد مثل هذا الغضب فى عين رجل من قبل فى حياته وكاد يفقد عينه إثر هذا الغضب . فترجع إلى الوراء .

" أين ماثيو ؟ " .

" أنا لا أعرف أحدا يدعى ماثيو يا عزيزى " وقد انتابها الخوف هى الأخرى من ويليام .

" طوله ستة أقدام وشعره أشقر ويرتدى ثيابا مثلى وهو على الأرجح مخمور " .

" آه ، تعنى مارتن . إنه يطلق على نفسه اسم مارتن هنا يا عزيزى وليس ماثيو " وبدأت تسترخى . " والآن دعنى أتذكر من هى الفتاة التى خرج معها الليلة " وأدارت رأسها نحو البار ثم صاحبت تنادى النادل : " تيرى ، مع من رحل مارتن الليلة ؟ "

أزال النادل عقب سيجارة مطفأة من ركن فيه وقال : " جينى " ثم أعاد السيجارة المطفأة مكانها ثانية .

قالت الفتاة : " جينى ، هذا صحيح . إنها لا تقضى وقتا كثيرا مع الزبائن . لا تدع أى رجل يمكث معها لأكثر من نصف ساعة أى أنهما سوف يعودان سريعا " .
قال ويليام : " أشكرك " .

بقى ويليام منتظرا لما يقرب من ساعة عند بار . سنب شعوره بأنه يجلس فى انكن غير المناسب برداد بدور الدقائق الواحدة تلو الأخرى . وأخيرا مال عليه النادل لى دى يصرع السجارة المطفأة فى فيه وأشار إلى فتاة تدخل عبر الباب وقال :

" هذه هى جينى " وكر ماثيو لم يكن معها .

لوح النادل إلى الفتاة لى تنضم إليهما . كانت فساء نحيفة . قصيرة . سمراء . تنفخ بقدر من الحادية . غمرت إلى ويليام وسارت نحوه وهى تتمايل

" هل تبحث عنى يا عزيزى ؟ حسد . أنا متاحة الآن ولكن أجرى عشرة دولارات فى الساعة "

قال ويليام : " كلا ، لا أريدك " .

فست جينى " يالك من فائن "

" أنا أبحث عن رجل كان مصحبتك يدعى ماثيو . أعنى مارتن " .

" مارتن ، لقد كان ثملا إلى حد عدم قدرته على الحراك ؛ ولكنه دفع العشرة دولارات ، كما يفعل دائما . إنه رجل نبيل حق "

سأل ويليام فى نفاد صبر : " أين هو الآن ؟ "

" لا أعرف . لقد استسلم وسار عائدا إلى منزله " .

سار ويليام مبتعدا عن النادى ، متبعا طريق عودة ماثيو إلى بيته وهو يتفقد بمنتهى العناية كل المارة . كان البعض يسرع عند مشاهدة عينه المتفحصه والبعض الآخر كان يسعى لإجراء حوار معه . عندما توقف عند إشارة صوبيه بجوار احد مطاعم التى تبنى مفتوحة طوال الليل ، وقع بصره على ماثيو عبر إحدى النوافذ وهو يسير وسط الموائد حملا قدح فى يده وقف ويليام السدرة . ودخل المطعم وحس بجوره . نعت ماثيو وسقط على إحدى الموائد بمجاورة ماسكا مدح الغيرة الذى كان يحمله فى يده كان ثملا إلى حد لم يحسه يعرف على ويليام

قال ويليام وهو ينظر إلى الرجل المعض وقد بدأت الدموع تنهمر عنى وجهه " ماثيو ، نه 'نا "

رفع ماثيو رأسه إلى على واسقط لمزيد من قدح القهوة

" أنت تمكى يا رجل . هل فقدت فدتك . هل فقدتها ؟ "

قال ويليام " كلا . لقد فقدت عر صدقائى "

" إنه أمر بالغ الصعوبة

قال ويليام : " أعلم "

قال ماثيو وهو يبحث عن الكلمات " لدى صديق عزيز طما

وقف بجانبى وساندنى فى حيائى إلى أن تشجرت للمرة الأولى

اليوم ، ولكنى أنا المخطئ . لقد خذلته بشدة " .

قال ويليام : " كلا ، لم تفعل "

قال ماثيو فى غضب : " وكيف عرفت ؟ أنت حتى لست كفتا لعرفته " .

" دعنا نرجع إلى البيت يا ماثيو "

قال ماثيو : " اسمى هو مارتن "

" آسف يا مارتن ؛ دعنا نذهب إلى البيت "

" كلا أريد أن أبقي هذا هناك فدة قد تأتي للقائى فى وقت لاحق . أعتقد أننى أصبحت مستعدا لها الآن "

قال ويليام : " ولكننى أحتفظ بشارب فاخر فى بيتى ، لم لا تأتى معى ؟ " .

" هل لديك نساء فى البيت ؟ " .

" أجل ؛ الكثير من النساء "

" إذن أوافق . هيا بنا "

ساعد ويليام ماثيو على النهوض ووضع ذراعه تحت كتفه وهو يقوده ببطء عبر المطعم نحو الباب . كانت هذه هى المرة الأولى التى أدرك فيها ويليام كم كان ماثيو ثقيلا . ببسب مر ويليام وماثيو بشرطيين جالسين عند أحد أركان البار ؛ سمح أحدهما يقول : " اللعنة " .

ساعد ويليام ماثيو على الركوب فى السيارة وقاده إلى بيكون هيل . كانت كات مازالت مستيقظة فى انتظاره .

" كان يجب أن تأوى إلى فراشك يا عزيزى "

" ولكننى لم أستطع أن أستسلم للنوم "

" أخشى أنه ثمل للغاية "

قال ماثيو : " هل هذه هى الفتاة التى وعدتني إياها ؟ " .

قال ويليام : " نعم ؛ سوف تعتنى بك " وقام هو وكات بمساعدته إلى أن وصل إلى غرفة الضيوف ووضعاه فى السرير . بدأت كات تخلع عنه ملابسه " .

قال ماثيو : " يجب أن تخلعى ملايسك أنت أيضا يا عزيزتى . لقد دفعت بالفعل العشرة دولارات .

قالت كات فى رقة : " عندما تنام فى فراشك " .

قال ماثيو : " لم تدينى حزيمة هكذا أيتها السيدة الجميلة ؟ " .

قالت كات : " لأننى أحبك " ؛ وقد بدأت الدموع تتساقط من عينيهما " .

قال ماثيو : " لا تبكى " ؛ وغطاه ويليام بالملاء والغطاء . ثم أطفأت كات النور .

قال ماثيو فى تعثر : " ولكنك وعدتني سأنت سوف تشاركينى الفراش " .

أغلقت الباب فى هدوء .

نه ويليام على كرسى خارج غرفة ماثيو خشية أن يستيقظ فى المساء ويقدم على مغادرة المنزل . أيقظته كات فى الصباح قبل أن تحمل الإفطار إلى ماثيو .

كانت كلمات ماثيو الأولى : " ما الذى أفعله هنا يا كات ؟ " .

أجابت كات فى تردد : " لقد عدت معنا بعد حفل أندرو مكنزى ليلة أمس " .

" كلا لم أفعل . لقد ذهبت إلى نادى الريفيو مع تلك الفتاة البشعة التى رفضت أن تذهب معى . يا إلهى . أشعر أننى فى

حالة يرثى لها . هل لى ببعض عصير الطماطم ؟ لا أود أن أبسو متغطرا ولكن آخر شيء أريده الآن هو تناول الإفطار "

" كما تحب يا ماثيو "

دخل ويليام الغرفة . نظر ماثيو إليه . وأخذ كل منهما يحدق إلى الآخر فى صمت .

قال ماثيو أخيرا : " أنت تعرف : أليس كذلك ؟ "

قال ويليام : " نعم وقد كنت أحقق : أرجوك سامحنى . "

" لا تيك يا ويليام . لم أرك من قبل تفعل ذلك منذ أن كنت فى الثانية عشرة وكان كوفينجتون يضربك واضطرت أن أسحبه من فوقك . هل تذكر ؟ لا أدري كيف انتهى المآل بكوفينجتون الآن ، إنه على الأرجح يدير بيت دعارة فى تيجوانا ، هذا هو العمل الوحيد الذى يناسبه . إن كان كوفينجتون يدير مكان كهذا ، فلا بد أنه فى منتهى الكفاءة . خدنى إلى هناك لا سيدي وسيدى . الرجال لا يهكون . ليس هناك شيء يمكن فعله . لقد عرضت نفسى على كل الاخصائيين من نيويورك ، بى بوس ، محوس ، بى زيورج وليس هناك شيء يمكن فعله . هل تمنع لو سادست بيوم فى عدم الذهاب إلى العمل ؟ هنا أشعر أسى فى حالة سبنه لتدبيره يعصى إن بقيت نائما لفترة طويلة أو إن تسببت لكم فى أي قلق وسوف أعود إلى بيتى . "

قال ويليام : " هذا هو بيتك . "

تغير وجه ماثيو : " هل يمكنك أن تتولى مهمة إخبار أبى ؟ فانا غير قادر على مواجهته . أنت أيضا ابن وحيد وتتعلم المشكلة . "

قال ويليام : " نعم سوف أفعل سوف أسافر إلى نيويورك غدا وسوف أخبره ولكن إن وعدتنى بأنك سوف تبقى مع كات ومعى . لن أمنعك من الشراب ويمكنك أن تحضر كل النساء اللاتى تريدهن إلى هنا ولكن يجب أن تبقى هنا . "

" إنه أفضل عرض تلقيتته منذ أسابيع يا ويليام . ولأن أعتقد أنني سوف أخلد لزيد من النوم . إننى أشعر بيزيد من الإنهاك هذه الايام . "

أخذ ويليام يتأمل ماثيو وهو يسقط فى نوم عميق وأزال الكوب نصف الممتلئ من يده . سقطت بعض قطرات الطعام على الملاءات وأخلقت بقعة .

قال فى هدوء : " لا تمت أرجوك لا تمت يا ماثيو . هل نسيت أننا سوف ندير سويا أكبر بنك فى أمريكا ؟ "

* * *

ذهب ويليام إلى نيويورك صباح اليوم التالى لمقابلة تشارلز ليستر . بدد الرجس لتصبح وكأنه قد هزم فجأة آدم عيسى ويليام وهو يلتقى النيا وبدا وكأنه قد تقلص داخل مقعده .

" أشكرك على مجيئك يا ويليام وإخبارى شخصيا بالأمر . كنت أعلم أنه لابد أن تكون هذا الأمر قد تم ماثيو وجعله يحجم عن زيارته الشهرية لرؤيتى . سوف أزوره فى عطلة نهاية كل أسبوع . إنه يريد أن يبقى معك أنت وكات وأنا سوف أحاول أن أخفى إلى قدر الإمكان . لا أعلم ما الذى فعله ماثيو لكى يستحق هذا المصير . "

" تعال إلى بوسطن وقتما شئت يا سيدى ، سوف تكون دائما على الرحب والسعة . "

" أشكرك يا ويليام على كل ما صنعتته من أجل ابنتى . ثم نظر الرجل العجوز إليه : " كنت أتمنى أن يكون والدك حيا لكى يشهد بنفسه كم يستحق ابنه لقب كين عن جدارة . كم أتمنى لو كان فقط يوسعى أن يتبادل الأدوار مع ماثيو وأدعه يعيش ... "

" يجب أن أعود إليه سريعا . "

" أجل ، بالطبع ، أخبره أنني أحبه وأننى قد تقبلت الأمر بتعقل وريانة . لا تخبره بأى شيء غير ذلك . "

" أمرك يا سيدى .

سافر ويليام عائدا إلى بوسطن فى مساء ذلك اليوم فوجد أن ماثيو قد بقى مع كات وبدأ يقرأ الرواية الأكثر مبيع فى أمريكا فى ذلك الوقت " ذهب مع الريح " بينما كان جالسا فى الشرفة الواسعة . نظر إلى ويليام وهو يمر عبر الأبواب الفرنسية .

" كيف كان وقع النبأ على الرجل الكبير ؟ " .

قال ويليام : " لقد بكى " .

قال ماثيو : " رئيس بنك ليستر بكى ؟ إياك أن تعلم أصحاب الأسهم بهذا الأمر " .

توقف ماثيو عن الشرب وأخذ يكذب فى عمله حتى الأيام القليلة الأخيرة من عمره . كان ويليام مبهورا بتسميمه وكان ينصحها نائب بأن يهون على نفسه بعض الشيء . كان ينجز عمله دائما بشكل مثلى وكان يغيظ ويليام فى نهاية كل يوم بتفقد بريده وفى المساء . قبل لذهاب إلى المسرح أو تناول العشاء فى الخارج . كان ماثيو يلعب اسنس مع ويليام أو يسابقه فى تجديف فى بحيره تشارلز . كان ماثيو يقول ساخرا : " سوف أدرك أننى قد مت عندما أعجز عن إلحاق الهزيمة بك " .

لم يدخل ماثيو المستشفى أبدا . وفضل البقاء فى البيت الأحمر . أما ويليام فقد شعر أن الأسابيع تمر ببطء وفى نفس الوقت بمنتهى السرعة . كان يستيقظ كل صباح وهو يتمنى أن يكون ماثيو قد بقى على قيد الحياة .

توفى ماثيو فى يوم خميس ، وقد بقى له أربعون صفحة ليكملها فى رواية " ذهب مع الريح " .

شيعت الجنازة فى نيويورك وأقام ويليام وكات فى بيت تشارلز ليستر . فى غضون ستة أشهر فقط ، كان الرجل قد تحول إلى رجل

هرم . بينما كان يقف بجوار قبر زوجته وابنه الوحيد ، قال لويليام إنه لم يبق له الآن أى هدف فى الحياة . لم يتقوه ويليام بكلمة ، لم تكن هناك كلمات يمكن أن تواسى الأب المكلوم . عاد ويليام وكات إلى بوسطن فى اليوم التالى . بدا البيت الأحمر مهجورا بشكل مستغرب بعد رحيل ماثيو . تحولت الأشهر القليلة الأخيرة إلى الفترة الأكثر سعادة وأكثر تعاسة فى آن واحد فى حياة ويليام . فلقد قرب الموت كثيرا من كل من كات وماثيو على نحو لم تكن الحياة العادية تسمح به .

عندما عاد ويليام إلى البنك بعد وفاة ماثيو ، وجد صعوبة فى مواصلة أى عمل عادى . كان ينهض ويشرع فى التوجه نحو مكتب ماثيو طلبا للنصح أو دعابة أو فقط لكى يتأكد من وجوده ، ولكنه لم يعد موجودا هناك . مرت أسابيع قبل أن يوطن ويليام نفسه على تجنب فعل ذلك .

كان تونى سيمونس متقهما إلى أقصى حد ، ولكن هذا لم يجد . كان ويليام قد فقد كل حماسه للشئون المصرفية حتى بنك كين وكابوت نفسه لم يعد ذا أهمية بالنسبة له ، وهو يعيش شهور حزنه على وفاة ماثيو . لقد كان واثقا دائما من أنهما سوف يكبران سويا وسوف يجعما مصير واحد . لم يعلق أحد على أن عمل ويليام لم يكن فى نفس المستوى الممتاز المعهود . حتى كات بدأت تقلق من طول الساعات التى كان يقضيها ويليام وحيدا

ثم ، فى صباح أحد الأيام ، استيقظت كات لتجد ويليام جالسا على حافة الفراش . أمسكت بيده وقالت : " ما الخطب يا عزيزى ؟ " .

" كلا أنا فقط أنظر إلى أعظم ثروة أملكها وأذكر نفسى بأنها ليست من المملكات " .

كان هابيل ، فى وقت سابق ، قد بدأ يببى اهتمامه بالحياة السياسية فى أمريكا أثناء حملة أنتون سيمارك الناجحة لكى يصبح عمدة لشيكاغو . كان سيمارك قد أوحى لهابيل بفكرة الانضمام إلى الحزب الديمقراطى . ولأن سيمارك نفسه هو أحد المهاجرين من تشيكوسلوفاكيا فإن ذلك قد وثق أواصر الصلة والصدقة بين الرجلين . وقد شعر هابيل بسعادة غامرة عندما اختير نائباً فى مؤتمر الحزب الديمقراطى الذى عقد فى شيكاغو عام ١٩٣٢ عندما اجتذب سيمارك تأييد الجماهير بشكل لم يسبق لم مثيل بعبارة : " بالرغم من أننى لم أحضر إلى أمريكا على متن " الناي فلاور " إلا أننى حضرت بأسرع ما يمكن " .

وأثناء انعقاد المؤتمر ، قدم سيمارك هابيل إلى فرانكلين دى روزفلت ، الذى ترك لديه انطباعاً جيداً . وقد اكتسح الحزب الديمقراطى الانتخابات الرئاسية بسهولة وأحكم المرشحون ديمقريون قبضهم على سنه فى كل أنحاء البلاد . كان هنرى أوسبورن من بين أعضاء المجلس التشريعى الجدد فى مجلس البلدية فى شيكاغو . عندما اغتيل أنتون سيمارك فى بداية عام ١٩٣٣ فى ميامي برصاصة أحد القتلة الذى كان يتربص بالحزب الديمقراطى ، قرر هابيل أن يبذل الكثير من الوقت والمال لمساندة الديمقراطيين البولنديين فى شيكاغو .

فى عام ١٩٣٣ ، بلغت خسارة المجموعة ٢٣ ألف دولار فقط بينما حقق فرع سانت لويس بارون بعض الربح . وعندما ألقى الرئيس روزفلت خطبته النارية فى الثانى عشر من مارس لحث المواطنين على النهضة بقوله : " يجب أن نستعيد إيماننا وثقتنا

الفصل الثانى والعشرون



مع اقتراب نهاية عام ١٩٣٢ ، بينما كانت أمريكا مازالت تنن من وطأة الركود ، كان هابيل قد بدأ يشعر بقلق متزايد على مستقبل مجموعه البارون . كان هناك العا بنت قد أعقت أبوابها على مدى العامين الأخيرين وكان هناك المزيد من البنوك التى كانت تغلق أبوابها كل أسبوع . كان هناك تسعة ملايين شخص يعانون من البطالة وكانت العملة الوحيدة وسط هذا الوضع المنزوى هى أنه كان بوسع هابيل دائماً أن يتخير أفضل الكفاءات للعمل فى مجموعته . بالرغم من هذا ، كانت مجموعة البارون قد خسرت ٧٢ ألف دولار عام ١٩٣٢ فى العام الذى توقع فيه هابيل أن يصل إلى نقطة اللامكسب واللاخسارة . وأخذ يسأل نفسه إن كان الشخص الذى يموله سوف يتسع صدره لتحمل هذه الخسارة وإلى أى مدى سوف يسمح له بمواصلة عمله فى ظل هذا الوضع .

ثانية في أمريكا " ارتفعت روح هابيل المعنوية وقرر أن يعيد فتح الفرعين اللذين كان سبق وأغلقهما من قبل .

بدأت زافيا تشعر بالقلق من رحلاته الطويلة إلى تشارلز وموبيرس بالرغم من أنه كان ينظر إليهما باعتبارهما بلا طائل . لم تكن زافيا تريد لهابيل أبدا أن يكون أكثر من نائب مدير في فندق ستيفنز . لأنه المستوى الذي نستطيع أن نتماشى معه . ولكن سرعة هابيل في الانطلاق كانت تزداد يوما بعد يوم بمرور الأشهر إلى أن أدركت زافيا أنها لن تكون يوما أهلا لمطوحاته وبدأت تخشى أن يفقد اهتمامه بها .

كما بدأت زافيا تشعر بالقلق أيضا من أمر عدم الإنجاب وبدأت تزور الأطباء الذين أكدوا لها جميع أنه ليس هناك شيء ما يمنعها من الإنجاب . عرض عليها أحد الأطباء أن تطلب من زوجها أن يجري كشفا ولكنها رفضت الفكرة من الأساس لأنها اعتبرت أن مجرد تنويه عنه سوف يكون بمثابة انقاص من رجولة زوجها . وأخيرا وبعد أن أصبح الأمر ملحا ، بات من الصعب تجنب مناقشة الأمر ولكنها في نفس الوقت كانت قد افتقدت حيضة .

ظلت منتظرة لشهر آخر قبل أن تفصح لهابيل بالأمر أو حتى زيارة الطبيب الذي أكد في النهاية أنها بالفعل حامل . وقد شعر هابيل بسعادة بالغة عندما أنجبت زافيا فتاة في أول يوم من عام ١٩٣٤ . وقد أطلقا على الفتاة اسم فلورنتينا تيمنًا باسم أخت هابيل . وقد شعر هابيل أنه قد فقد عقله من فرط السعادة أول ما وقعت عيناه على وجه ابنته ، وأدركت زافيا عندها أنها لم تعد الحب الأول في حياة زوجها . وقد أقام هابيل عشاء بولنديا تقليديا مؤلفا من عشرة أطباق احتفالا بمولد ابنته . قدمت الكثير من الهدايا للمولودة بما في ذلك خاتم أثري جميل من قبل ممول هابيل

المجهول . وقد رد الهدية على نحو أنيق عندما حققت مجموعة البارون أول مكسب لها والذي قدر بنحو ٦٣ ألف دولار مع نهاية نفس العام . كان فندق موبيل فقط هو الذي مازال يحقق خسائر .

بعد مولد فلورنتينا بعدة أشهر ، أدرك هابيل الذي كن يقضى جل وقته في شيكاغو أنه قد حان وقت إعادة بناء فندق جديد هناك . كانت الأعمال الفندقية تزدهر في ظل ازدهار السوق العالمي . وقد قرر هابيل أن يكون فندقه الجديد هو فخر فنادق لمجموعة وتخليدا لذكرى ديفيز لبروي . كانت الشركة مازالت تمت موقع الفندق بتدبير في شارع ميتسجن . وبالرغم من أن هابيل كان قد تلقى عروض كثيرة ببيع الأرض إلا أنه أصر على الإبقاء عليه على أمل إعادة بناء الفندق من جديد في يوم من الأيام بعد أن يغوى وضعه المالي . وقد كان المشروع بحاجة إلى رأسمال وقد قرر هابيل أن يستخدم الـ ٧٥٠ ألف دولار قيمة التأمين في إعادة البناء . بمجرد أن استقر على خطته ، أخبر هابيل كورتيس فنتون بقراره . وكان تحفظه الوحيد ألا يسمح ببيع مكسب فنتون بجزء خشيته أن يظهر منافس للفندق ستيفنز . كان هابيل يشعر أن الرجل يسحق منه هذه التضحية . وبعد أيام قليلة ، نصح كورتيس فنتون هابيل بالبدء في المشروع وأخبره بأن الممول قد رحب كثيرا بالفكرة .

استغرق هابيل اثني عشر شهرا كاملا لبناء الفندق الجديد بعد أن حصل على مساعدة كبيرة من قبل هنري أوسبورن الذي كان عضوا في مجلس إدارته في استخراج كل التصاريح اللازمة للبناء في أقل وقت ممكن . تم افتتاح الفندق عام ١٩٣٦ على يد عمدة المدينة السيد إدوارد جي كيللي ، الذي تولى رئاسة الحزب الديمقراطي بعد مقتل أنتون سيمارك . وتخليدا لذكرى ديفيز

ليروي ، حرص هابيل على إلقاء الطابق السابع عشر ، كان هذا تقليدا متبعاً في كل فروع فنادق البارون الجديدة .

كان عضوا مجلس الشيوخ عن ولاية " إيلينوى " من بين الحضور لإلقاء كلمة على الحشد الذي وصل عدده إلى ألفى مدعو كان فندق البارون شيكاغو روعة في التصميم والبناء . فقد أنفق هابيل ما يزيد على مليون دولار كاملة لبناء الفندق وكان من الواضح أنه قد أودع كل سنت في محله الصحيح . كانت الغرف واسعة وفاخرة ذات أسقف مرتفعة مزخرفة وطلاء من درجات الألوان الزاهية الخضراء ، كانت غرفاً مبهجة ومريحة وكانت السجاجيد أنيقة ، كان اللون الأخضر القاتم يزين كل شيء في الفندق بدءاً من العم إلى كن يرفرف فوق سطح لفندق مؤتب من اثنين وأربعين طابقاً وحتى سترة أصغر عامل في الفندق .

قال جى هملتون لويس ، كبير نواب مجلس الشيوخ عن ولاية " إيلينوى " : " هذا الفندق يحصل بالفعل كل دعائم النجاح لأن الرجل يا أعزائي وليس المبنى هو الذي سيمرّف دائماً باسم بارون شيكاغو " .

انحنى هابيل محبباً الحشد بدون أن يخفى علامات السعادة أمام الألفى مدعو الذين أبدوا تأييدهم لما يقوله الرجل .

وقد رد بعنتهى الامتتان والثقة على الخطبة مما دفع الحشد إلى النهوض تصفيقاً له . كان قد بدأ يشعر بالألفة في وسط كبار رجال الأعمال والسياسيين من مجلس الشيوخ . كانت زافيا تحوم بتردد في الخلفية أثناء هذا الحفل الباهر ، كانت المناسبة أعلى من قدرتها على مجاراتها . لم تكن تفهم أو تكتثر سجع هابيل على هذا النطاق الواسع ، وحتى بالرغم من أنها كانت تستطيع في ذلك الوقت أن تقتنى أفضل الثياب وأكثرها غلوا فقد كانت ما زالت تبدو

غير مسيطرة لخطوط الموضة وغير مسيطرة للمكان وكانت تدرك جيداً إلى أى حد كان هذا يثير ضيق هابيل . وفقت بجوار هابيل وهو يحدث هنرى أوسبورن .

قالها هنرى وهو يربت على ظهر هابيل : " لابد أن هذه هى ذروة حياتك " .

قال هابيل : " ذروة حياتي . لقد بلغت الثلاثين لتوى " . التقطت له صورة وهو يلف ذراعه حول كتف هنرى . ابتسم هابيل وشعر للمرة الأولى بمتعة المعاملة على أنه شخصية عامة " سوف نشر فروع فندق مجموعة الدرون في كل انحاء كور . " قلبها هابيل بصوت يكفى لإسماع كل الصحفيين المتواجدين . " أريد أن أصنع فى أمريكا ما صنعه القيصر رتيز فى أوروبا . ابقى معى يا أوسبورن وسوف تستمتع بالرحلة " .

ألقي ويليام الصحيفة على مائدة الإفطار وأخذ يفكر للحظة . ما إن وصل مكتبه : اتصل بتوماس كوهين مدير مكتب " كوهين وبابلونس "

كانت كلمات توماس كوهين الأولى : " لم تحدثنى عند فترة طويلة يا سيد كين . لقد شعرت بأسف بالغ لوفاة صديقك المقرب ماثيو ليستر . كيف حال زوجتك وابنتك ؟ اسمه ريتشارد على ما أظن " .

كانت قدرة توماس كوهين الفورية على تذكر الأسماء والعلاقات تثير دائما إعجاب ويليام .
" نعم اسمه بالفعل كذلك ، كلاهما على ما يرام ، أشكر يا سيد كوهين "

" ما الذى يمكن أن أسديه من أجلك هذه المرة يا سيد كين ؟ " كان توماس كوهين يذكر أيضا أن ويليام كان مقتضيا فى حديثه ولا يحب الثثرة

" أريد أن أعين من خلاك محققا كفتا . لا أريد أن يكون اسمى معلنا ولكننى أريد تقريراً مفصلاً عن هنرى أوسبورن ، كل ما فعله منذ أن غادر بوسطن وخاصة إن كانت هناك أية صلة تربطه بهابيل روزنوفسكى صاحب مجموعة البارون "

سدت فترة صمت قبل أن يجيبه المحامى قائلاً : " أمرك " .
" هل يمكنك أن توافينى بالمعلومات بعد أسبوع ؟ "
قال السيد كوهين : " أسبوعان من فضلك يا سيد كين ، أسبوعان "

" إذن أريد تقريراً شاملاً على مكتبى فى البنك فى غضون أسبوعين يا سيد كوهين " .
" أسبوعان يا سيد كين " .

الفصل الثالث والعشرون



وفى صباح اليوم التالي ، أشارت كات إلى مقالة صغيرة فى صفحة ١٧ فى جريد الجلوب ، عن افتتاح فندق شيكاغو البارون .

ابتسم ويليام عند قراءة المقال . لقد كان بنك كين وكابوت أحقق عندما رفض الأخذ بنصيحته ومساندة مجموعة ريكيموند . لقد شعر بسعادة لأن الأيام أثبتت أن حكمه على روزنوفسكى كان صحيحا حتى بالرغم من أن البنك كان قد فوت على نفسه هذه الفرصة . وقد ازدادت ابتسامته اتساعا عندما قرأ اللقب الذى أطلق على هابيل "بارون شيكاغو" . ولكنه فجأة شعر بالغثيان ، عندما دقق فى الصورة بمزيد من التفحص ، ولكن لم يكن هناك مجال للخطأ ، وقد تأكد من صدق ما رآه من السطور المرفقة بالصورة " هابيل روزنوفسكى مدير مجموعة البارون يحادث ميكزى سلو زميلاك أحد أعضاء مجلس إدارة الصندوق المالى الفيدرالى وعضو مجلس البلدية هنرى أوسبورن "

يريدى إلى توماس كوهين وطلب منه تحديث المعلومات الواردة فى التقرير كل ثلاثة أشهر . ولكن بمرور الأشهر ، لم تكشف التقارير عن أى جديد ، فبدأ ويليام يتخلى عن قلقه وشعر أنه ربما بالغ فى رد فعله عندما شاهد الصورة فى جريدة الجلوب .

أنجبت كات لزوجها ابنة فى ربيع عام ١٩٣٧ ، وسمتها بيرجينا . بد ويليام بغير انخفاضات شنية . كن مأخوذاً ومغرب يحب ابنته " السيدة الصغيرة " إلى الحد الذى كان يدفع كات إلى إنقاذها مساء كل ليلة من بين يدى أبيها خشية ألا تحظى بفترة نوم كافية . لم يكتث ريتشارد - الذى كان قد بلغ من العمر عامين ونصف العام فى ذلك الوقت - بمجىء الطفلة الجديدة ولكن الوقت ومجموعة من لعبة العسكر الخشبية ساعدت على تخفيف حدة غيرته .

ومع نهاية العام ، كان قسم ويليام فى كين وكابوت قد حقق ربحاً ممتازاً للبنك . كان ويليام قد أفاق من حالة الخمول التى كانت قد أصابته إثر وفاة ماثيو وبدأ سريماً يستعيد سمعته وهو يقتحم بثقله سوق الأسهم ، وقد أشاد به سليم شورت سميث - وهى شهادته قيمة - عند ذكر أن هذت بنية مثالية صورت علي يد ويليام كين من بوسطن . حتى إدارة توتى سيمونس بدت أقل تشدداً . ومع ذلك فقد كان ويليام يشعر بقلق خفى من المستقبل لأنه لن يتمكن من أن يصبح رئيساً لكن وكابوت إلى أن يتقاعد سيمونس بعد سبعة عشر عاماً ، ولذلك فقد بدأ يبحث عن وظيفة فى بنك آخر .

كان ويليام وكات قد دأبا على زيارة تشارلز ليستر مرة شهرياً فى عطلة نهاية الأسبوع فى هيوبروك . كان الرجل العظيم قد هرم بشدة على مدى السنوات الثلاث التى تلت وفاة ماثيو ، وكنت

وقد التزم توماس كوهين كدأبه دائماً بالموعد المحدد وكان التقرير المفصل موضوعاً على مكتب ويليام فى اليوم الخامس عشر . قرأ ويليام الملف بعناية . وقد بدا له أنه ليست هناك علاقات عمل رسمية تربط بين هابيل روزنوفسكى وهنرى أوسبورن . يبدو أن هابيل وجد أن أوسبورن مفيد باعتباره صاحب نفوذ سياسى ، ليس أكثر . كان أوسبورن نفسه قد تنقل من عمل إلى آخر منذ مغادرة بوسطن إلى أن انتهى به المآك فى وظيفة فى شركة تأمين جريت وسترن . كان الاحتمال الأكبر هو أن أوسبورن كان قد تعرف على هابيل أثناء عمله فى هذه الشركة لأنها الشركة التى كان يتعامل معها الفندق . عندما احترق الفندق ، رفضت شركة التأمين فى البداية تسديد التأمين . ولكن بعد أن حكم على ديسموند باسى - المدير السابق للفندق - بالسجن لمدة عشر سنوات ، بعدما أدين بتهمة الحرق العمد ، وكانت هذك بعض الشبهات التى تحوم حول إمكانية تورط هابيل فى الأمر . لم يثبت على هابيل أى شيء ، وقامت شركة التأمين بتسديد ثلاثة أرباع مليون دولار كتعويض . أصبح أوسبورن الآن - كم بشير لنقرير - عضواً فى مجلس البديعة وسهاسياً متفرغاً كما أنه من المعروف أنه يتطلع إلى أن يكون عضواً فى لكونجرس عن شيكغو . كان قد تزوج منذ فترة ليست بعيدة من الأنسة مارى أكستون ، ابنة تاجر أدوية ثرى ، ولم ينجب منها إلى الآن .

أعاد ويليام قراءة التقرير ثانية لكى يتأكد من أنه لم تفوته أية معلومة خاصة بالعلاقة التى تربط بين الرجلين مهما كانت ثانوية . ومع ذلك فإنه لم يمنع نفسه من الشعور بأن اجتماع رجلين مثل هنرى أوسبورن وهابيل روزنوفسكى يكتنن له البغض برغم اختلاف دافع كل منهما ، كان يشكل خطراً محتملاً عليه . أرسل الشيك

الاشائعات في الأوساط المالية تؤكد أنه فقد كل اهتمامه بالعمر وأنه ندرا ما كان يذهب إلى البنك بدأ ويليام يتساءل كم سيطول بالرجل العمر . وقد توفي بالفعل بعد أسابيع قليلة ، سافر آل كين لحضور الجنازة في نيويورك . كان الجميع حاضرا الجنازة - على ما يبدو - بما في ذلك نائب رئيس الولايات المتحدة ، جون نانس جرنر . بعد الجنازة ، ركب ويليام وكات القطار العائد إلى بوسطن وقد سري داخل كل منهما الشعور الخافت بأنهما قد فقدوا آخر رابطة حقيقية تربطهما بأسرة ليستر

كانت قد مضت ستة أشهر على الوفاة عندما تلقى ويليام إخطارا من سوليفان وجرومويل - أحد مكاتب المحاماة البارزة في نيويورك - بوجود الحضور عند قراءة وصية الراحل تشارلز ليستر في مكتبهم في ووب ستريت . وقد ذهب ويليام لحضور القراءة بدافع الإخلاص لعائلة ليسر أكثر من دافع لفصول معرفة محتوى الوصية وما أخلفه له تشارلز ليستر . كان يأمل في الحصول على أي تذكر ماثيو يمكن أن يضيفه إلى " محادثات هارفرد " الذي كان مرار يعلقه على جدار غرفة الضيوف في البيت الأحمر . كان يبحث أيضا عن فرصة لتجديد وإنعاش علاقته بالعديد من أفراد عائلة ليستر الذين عرفهم أثناء فترة الدراسة في عطلات المدرسة والجامعة التي كان يقضيها مع ماثيو .

قاد ويليام سيارته الجديدة الديملر إلى نيويورك في الليلة السابقة على قراءة الوصية وأقام في نادي هارفرد . كانت الوصية سوف تقرأ في العاشرة من صباح اليوم التالي ، وقد اندهش ويليام عندما اكتشف عند وصوله إلى مكتب سوليفان وجرومويل احتشاد ما يزيد على خمسين شخصا من أفراد العائلة لسماع الوصية . نظر الكثير منهم إلى ويليام وهو يدخل الغرفة وقام هو بتحية العديد من أبناء عمومة

ماثيو والذين بدوا أكبر سنا مما كان يتوقع . كان كل ما خلاص إليه هو أنهم بكل تأكيد يفكرون بنفس الطريقة التي يفكر هو بها . أخذت عيناه تدوران بحثا عن سوزان ، شقيقة ماثيو ، ولكنه لم يعثر عليها . وفي العاشرة تماما . دخل السيد آرثرش جرومويل الغرفة مصحوبا بمساعده وهو يحمل ملفاً جلدياً بني اللون . بقي الجميع صامتين في تقرب يحذوه الأمل . بدأ المحامي يشرح للحشد الذي سوف ينال كل منهم نصيبه من الوصية أن محتوى الوصية لم يكن يسمح أن يصرح به إلا بعد مرور ستة أشهر على وفاة تشارلز ليستر وهو ما نص عليه السيد ليستر من خلال قوله التالي : " بما أنه ليس لي ابن سوف أترك له هذه الثروة فإنني أفضل أن تمر على وفاتي عبرة كافية قبل أن يتم الإفصاح عما عرّضت عليه "

كان ولداه يدير بصره بين الوجوه المجتمعة في الغرفة بعد كل كلمة يسمعه منها المحامي في محاولة لتبين نوايا كل منهم . استغرق آرثرش جرومويل ما يقرب من ساعة تقريبا في قراءة الوصية وبعد - كمر كل الإكرامات المعتادة واستبركات لحاممة هارفرد - واصل جرومويل حديثه بأن تشارلز ليستر قسم ثروته الشخصية بين كل أقاربه بناء على درجة القرابة والنسب . حصلت ابنته سوزان على الجانب الأكبر من الثروة بينما حصل أبناء إخوته الخمسة وبنيات إخوته الثلاث على أنصبة متساوية من الثروة المتبقية . كان إرثهم يجب أن يبقى تحت وصاية البنك إلى أن يبلغوا الثلاثين من العمر . أما باقي أبناء العمومة والعمات وأصحاب القرابات البعيدة فقد حصلوا على مبالغ نقدية

اندهش ويليام عندما أعلن السيد كرومويل قائلا :

" وهكذا نصل إلى التقسيم النهائي للأصول المعروفة للراحل تشارلز ليستر " .

ساد المكان حالة من الاضطراب وهمهمة من الحوارات الساخنة .

قال المحامي رابط الجأش : " ومع ذلك فإن هذه هي ليست نهاية وصية ورغبة السيد تشارلز ليستر " فاستعاد الكل سكنتهم وصمتهم من جديد تحسباً لإعلان نياً مزعج صاعق .

واصل السيد جرومويل حديثه قائلاً " سوف أوامر الآن الوصية بكلمات السيد تشارلز ليستر : طالما اعتبرت أن سمعة البنك مرهونة بسمعة الأشخاص الذين يعملون به . كان من المعروف بين الجميع أنني تمنيت دائماً أن يخلفني ابني ماثيو في رئاسة البنك ، ولكن وفاته المفاجئة المأساوية داهمتنا . وأنا إلى الآن لم أكن قد أفصحت عن رغبتى فى تعيين شخص معين لكى يخلفنى لرئاسة بنك ليستر . لذا أود أن يعرف الجميع أنني أحب أن يخلفنى ويليام لويل كين - ابن أعز أصدقائى الراحل ريتشارد لويل كين - فى رئاسة بنك ليستر والذى ينوب الآن منصب نائب رئيس بنك كين وكابوت ، وذلك فى أعقاب الاجتماع التالى لمجلس الإدارة " .

اجتاحت حالة هياج مفاجئ أرجاء المكان . أخذ الجميع يستديرون فى أنحاء يعرفه بحث عن وليم كين الغمض هذا لم يكن أحد يعرفه باستثناء الأقارب المقربين من عائلة ليستر . قال آرثر جرومويل فى هدوء : " أنا لم أنته من حديثى بعد " ساد الصمت ثانية أرجاء الغرفة توقعاً للقبلة الثانية . وأخذ الجميع ينظرون فى خوف وتوجس .

واصل المحامي حديثه : " كل المنح وتقسيم الأسهم فى ليستر وشركاه مرهونة بتصويت المنتفعين لصالح السيد كين فى الاجتماع السنوى العام المقبل ومواصلة التصويت لصالحه لما لا يقل عن خمس

سنوات تالية ما لم يمتنع السيد كين نفسه عن قبول رئاسة البنك " .

تفجر الهياج ثانية . تمنى ويليام لو كان بعيداً عن هذا المكان بملايين الأميال . لم يكن وثاقاً ما إن كان يجب أن يشعر بالسعادة أم أن يستسلم لكونه الشخص الأكثر كرها داخل هذه الغرفة .

قال السيد جرومويل : " كان هذا هو آخر ما جاء فى وصية الراحل تشارلز ليستر " ، وهى العبارة التى لم يسمعها إلا الصف الأول من الحضور . رفع ويليام رأسه . كان الرجل اليبدين الممتلئ قد رحل بينما بقى الرجل الوسيم . كانت سوزان ليستر تسير بجانبه ابنته لب ولكنها تجاهلته ومضت فى طريقها بدون حتى أن تلتفت إلى وجوده . قلب ويليام وجهه .

" أنت ويليام كين ؟ أليس كذلك يا سيدى ؟ "

" تعد أنا هو " قلبه ويليام فى بوتر

قال الرجل غريب " اسمى بيتر بارفيت "

قال ويليام : " أنت أحد نواب رئيس مجلس إدارة البنك " .

قال الرجل : " هذا صحيح يا سيدى . أنا لا أعرفك ولكننى سمعت عنك واعتبر نفسى محفوظاً لأننى قد سبق لى مقابلة والدك الميجل الراحل . إن كان تشارلز ليستر يرى أنك الرجل المناسب لرئاسة البنك ، فهذا يكفينى " .

لم يشعر ويليام بكل هذا القدر من الراحة الذى شعر به عند سماع هذه الكلمات .

واصل بيتر بارفيت حديثه قبل أن يتمكن ويليام من لرد عليه

" أن تقيم فى نيويورك ؟ "

" فى نادى هارفرد "

"رائع . هل لي أن أدعوك على العشاء الليلة ؟"
قال ويليام . "كنت عازماً على العودة إلى بوسطن هذا المساء ،
ولكننى اعتقد أننى يجب أن أبقى الآن فى نيويورك لبضعة أيام "
"حسناً ، لم لا تحضر إلى منزلى الليلة على العشاء ، لنقل فى
الثامنة مساء ؟"

قدم الرجل المصرفى إلى ويليام بطاقته التى تحمل عنوانه
بحروف نحاسية : " سوف يسعدنى التحدث معك فى مناخ أكثر
مرحاً "

قال ويليام وهو يضع البطاقة فى جيبه بينما كان الجميع
يحتشدون من حوله : " أشكرك يا سيدى " . كان بعضهم ينظر
إليه فى عدوانية والبعض الآخر فى انتظار تقديم التهنئة له .

عندما نجح ويليام أخيراً فى الإفلات والعودة إلى نادى
هارفرد ، كان أول شيء فعله هو الاتصال بـ كاتى لكى يخبرها
بالأنبأ ،

"جيبه على الأمور فائلة " كم سيسعد ماثيو من أجلت ب
عزى "

قال ويليام : " أعلم "

منى ستعود "

" الله وحده هو الذى يعلم . سوف أتناول العشاء الليلة مع
السيد بيتر بارفيت ، نائب رئيس بنك ليستر . لقد كان متفهماً
وودوداً معى ، مما يمكن أن يسهل الأمر قليلاً . سوف أقضى الليلة
هنا فى النادى وسوف أتصل بك فى وقت لاحق غدا لكى أعلمك
بمجريات الأمور "

" حسناً يا عزى "

" هل كل شيء على ما يرام فى الجانب الشرقى من البحر ؟ "

" حسناً ، فيرجينيا أخرجت سنة وهى ترى أنها لذلك تستحق
عناية خاصة ، أما ريتشارد فقد أرسل إلى فراشه فى وقت مبكر لأنه
أساء معاملة مربيته ، وكلنا نعتقدك " .
ضحك ويليام : " سوف أتصل بك غدا " .

" نعم ، أرجوك افعل . تهانبا القلبية يا ويليام . إننى أؤيد
اختيار تشارلز ليستر حتى مع أننى سوف أكره العيش فى
نيويورك "

كانت هذه هى المرة الأولى التى فكر فيها ويليام بأنه سوف
يعيش فى نيويورك

وصل ويليام إلى منزل بيتر بارفيت فى شارع إيست سيكستى فور
فى الثامنة مساء وفوجئ عندما وجد مضيئه يرتدى ثياب السهرة .
شعر ويليام بقليل من الحرج وبعض الضيق فى حلاته الينكية
السوداء . ثم بادر بتفسير الأمر إلى مضيئته السيدة دينا بارفيت
بقوله إنه كان عازماً على العودة إلى بوسطن فى نفس اليوم لذا لم
يكن مستعداً لمثل هذه المناسبة . كانت دينا بارفيت هى الزوجة
ثانية لبيتر وكانت امرأة مضيافة وبدت سعيدة بأن ويليام سوف
يكون الرئيس التالى لـ بنك ليستر . وكده ، عش ، ممتاز - لم يقو ويليام
على منع نفسه من الاستفسار من بيتر بارفيت عن ردود أفعال باقى
أعضاء مجلس الإدارة بشأن اختيار تشارلز ليستر له كرئيس للبنك .

قال بارفيت : " كلهم موافقون . لقد تحدثت مع معظمهم
بالفعل فى الأمر . هناك اجتماع شامل لكل أعضاء المجلس فى
صباح الاثنين لتأكيد تعيينك وليس هناك إلا سحابة سوداء صغيرة
تعكر الجو " .

سأل ويليام وهو يحاول أن يخفى توتره : " وما هى ؟ "

" أريد أن أسر إليك بأمر ما وهو أن النائب الآخر لرئيس مجلس الإدارة ، تيد ليتش ، كان يتوقع أن يعين رئيسا للبنك . بل إننى - فى واقع الأمر - أجزؤ على القول بأنه كان شبه واثق من ذلك . لقد أعلمنا جميعا بأنه لا يمكن ترشيح أى شخص لتولى منصب الرئاسة قبل قراءة الوصية ، ولكن يجب أن أقول إن رغبة تشارلز ليستر كان لها وقع الصدمة على تيد " .

قال ويليام : " هل سيفتعل مشاكل ؟ "

" أخشى أنه يمكن أن يفعل ذلك ولكن ليس هناك ما يثير القلق " .

قالت ديانا بارفيت وهى تتأمل الطبق الموضوع أمامها : " لا أجد غضاضة فى أن أقر بأنه لم يكن يوما رجلى المفضل " .

قال بارفيت ردا عليها : " الآن يا عزيزتى ، يجب ألا نغتاب الرجل قبل أن نمنح السيد كبير فرصة لتحكم عليه نفسه . لا أشك شحصب فى أن المجلس سوف يؤكد تعيين السيد كين فى الاجتماع المقبل يوم الاثنين كما أن حدث احتمالا أيضا لأن يقده نيد ليتش استقالته " .

قال ويليام : " لا أحب أن أشعر أننى سوف أجبر شخصا ما على تقديم استقالته " .

قال بارفيت : " هذا شعور عظيم ولكن لا تزعج نفسك بهذا الأمر . أنا واثق أن الأمر برمته تحت السيطرة . يادر بالعودة غدا إلى بوسطن وسوف أوافيك بتطور الموقف " .

" قد يكون من الحكمة أن أجرى زيارة خاطفة للبنك غدا صباحا . أئن يجد أى من موظفيك غضاضة فى عدم سعيي للتعرف عليهم ومقابلة أى منهم ؟ "

" كلا ، لا أنصح بذلك فى ظل هذه الظروف . بل إننى أرى أنه من الحكمة أن تبقى بعيدا عن الساحة لحين انتهاء اجتماع مجلس الإدارة يوم الاثنين . إنهم لا يريدون أن يشعروا بأنهم قد فقدوا استقلاليتهم أكثر من اللازم وبأنهم لا يتمتعون بسلطة حقيقية . خذ بنصيحتي يا ويليام وعد إلى بوسطن ، سوف أوافيك بالأنباء الجيدة يوم الاثنين قبل الظهر " .

وافق ويليام فى تردد على اقتراح بيتر يارفيت وواصل حديثه بسبع المريح مع السيد والسيدة بارفيت عن المكان الذى يمكن أن يقيم فيه مع كات فى نيويورك لحين الحصول على مقر دفعة دائمة . وقد شعر ويليام بشيء من الدهشة أمام إحجام بيتر يارفيت عن طرح وجهة نظره فى الأمور المصرفية ولكنه أرجع هذا ربما لوجود زوجته . لم يعد ويليام إلى نادى هارفرد إلا بعد الواحدة صباحا .

ما إن عاد ويليام إلى بوسطن ، أعد تقريراً فورياً لتونى سيمونس عما حدث فى نيويورك ، لم يكن يريد أن يسمع تونى بالموعد من شخص آخر . وقد اندهش ويليام من أسف تونى الحقيقى الصادق لهذه الأنباء .

" إننى أشعر بأسف حقيقى لتترك إيانا يا ويليام . قد يكون حجم بنك ليستر أكبر من حجم بنك كين وكابوت بمرتتين أو ثلاث مرات ولكننا سوف تعجز عن العثور على بديل لك وأتمنى أن تفكر فى الأمر جيدا قبل أن تقبل التعيين " .

فوجئ ويليام برد فصل تونى ولم يسمعه إلا أن يلمح عن هذه الدهشة : " فى الحقيقة يا تونى ، كنت أظن أنك سوف تكون أسعد الناس برحيلى من هنا " .

" ويليام ، متى ستصدق أن هدفى الأول كان وسيظل دائما هو مصلحة البنك ولم يخالجنى يوما ما شك فى أنك واحد من أفضل

الاستشاريين الاستثماريين في أمريكا اليوم ؟ وإنك إن تركت كبن وكبوت الآن ، فإن العديد من عملاء البنك لأكثر أهدية سوف يرغبون - بالطبع - في الرحيل معك .

قال ويليام : " إنني لن أقدم يوما على تحويل أموال الخاصة إلى ليستر كما أنني لا أتوقع أن يقدم أحد من العملاء على سحب أمواله " .

" أنت لن تقدم بالطبع على تشجيعهم للحاق بك يا ويليام ولكن بعضهم سوف يرغب في أن تواصل بنفسك إدارة شئوسيم المالية ، إنهم مثل أبك وتشارلز ليستر ، يؤمنون بأن العمل المصرفي مرموق بالأشخاص وسمعتهم وليس البنك نفسه " .

قضى ويليام وكانت أسبوعا متوترا في انتظار يوم الاثنين ونجاح الاجتماع المزمع عقده في نيويورك . جلس ويليام في توتر في مكتب طيبة صباح الاثنين وهو يرد على المكالمات الهاتفية شخصيا ولكنه لم يسمع أية أنباء من الصباح وحتى اقتراب انتهاء الظهيرة لم يكن حتى قد غادر مكتبه لتناول الغداء . وأخيرا انص به ببيمبرفيل بعد الخامسة بقليل .

كانت كلمات الرجل الأولى : " أخشى أنه قد وقعت بعض الأمور غير المتوقعة يا بهتر " .

شعر ويليام بنصه في حلقه .

" ليس هناك ما يثير قلقك لأنني مازلت واثقا أن الموقف تحت السيطرة تصد ولكن المجلس قد طالب بحقه في التصويت وترشيح شخص آخر أمامك . بل إن البعض قد وصل إلى أن وصية ليستر تفقر إلى الشرعية من الناحية القانونية . وقد وكل إلى المجلس مهمة ثقيلة وهي إخبارك إن كنت على استعداد لخوض انتخابات ضد مرشح المجلس " .

سأل ويليام : " ومن هو مرشح المجلس ؟ " .
" لم تذكر أية أسماء بعد ولكن أعتقد أن اختيارهم سوف يقع على تيد ليتش . فلم يبد أي شخص آخر اهتماما بترشيح نفسه ضدك " .

قال ويليام : " أريد بعض الوقت للتفكير في هذا الأمر . متى سيحين الاجتماع التالي للمجلس ؟ "

قال بارفيت : " أسبوع من اليوم ولكن لا تشغل بالك كثيرا بتيد ليتش ، مازلت واثقا أنك سوف تكسبه بسهولة . سوف أوافيك بكل تطورات الموقف " .

" هل تريدني أن أحضر إلى نيويورك يا بهتر " .

" كلا ، لا أظن أن هذا سوف يجدي " .

شكر ويليام الرجل وأعد لساعة أو مكنها حزم مقتنياته في حقيبته الجلدية وغادر المكتب وهو يشعر بقدر كبير من الإحباط قبله بوبي سيمونس في موقف السيارات الخاص .

" لم أكن أعلم أنك سوف تغادر المدينة يا توني " .

" إنه العشاء البنكي الشهري المعتاد في نيويورك . سوف أعود غدا في الظهيرة . أعتقد أنه يمكنني أن أترك كبن وكابوت بلا خوف مدة أربع وعشرين ساعة في يد رئيس بنك ليستر الجديد " .

ضحك ويليام : " ربما أكون قد أصبحت بالفعل الرئيس السابق " . ثم شرح له آخر تطورات الموقف . وثانية اندهش ويليام من رد فعل توني سيمونس الذي قال :

" صحيح أن تيد ليتش كان ينتظر دائما أن يكون رئيسا لليستر . هذا أمر مسلم به في كل الدوائر المالية . ولكنه خادم مخلص للبنك ولا أتصور أن يعارض رغبة تشارلز ليستر " .

قال ويليام : " لم أكن أعرف أنك حتى تعرفه " .

قال توني : " أنا لا أعرفه جيدا . لقد كان يسبقني بعام في جامعة يال وأنا الآن أراه من وقت إلى آخر في تلك العشاءات البيئية اللعينة ، التي سوف تحضرها يوما كرئيس للبنك . سوف يكون حاضرا الليلة . يمكنني أن أحادثه في الأمر إن رغبت في ذلك . "

قال ويليام : " نعم ، حادثه ولكن توخ الحذر جيدا ، أسير كذلك ؟ "

عزيري ويليام لقد دأبت على مدى عشر سنوات من عمرى على إخبارى بأننى بالغ الحرص والحذر "

" آسف يا توني . كم يكون المرء مشوش الفكر عندما يكون منشغلا بمشاكله الشخصية بينما يكون شديد الرأى فيما يخص مشاكل الآخرين . سوف أضع مستقبلى بين يديك وأتبع نصائحك بحذافيرها . "

" حسنا ، إذن دع الأمر لى . سوف أستمع لما سوف يقوله ليتش وسوف أتصل بك غدا في الصباح الباكر . "

اتصل توني من نيويورك بعد دقائق من منتصف الليل وأيقظ ويليام من نوم عميق .

" هل أيقظتك يا ويليام ؟ "

" نعم ، من أنت ؟ "

" توني سيمونس "

أضاء ويليام النور بجوار سريره ونظر في ساعة النبه : " لقد قلت لى إنك سوف تتصل بى مع أول ساعات النهار . "

ضحك توني : " أخشى أن ما أقوله لك لن يكون طريقا . إن الرجل الذى سوف يتنازعك على تولى منصب رئيس البنك هو بيتير بارفيت "

قال ويليام وقد استيقظ فجأة : " ماذا ؟ "

" لقد كان يسعى لحدث المجلس على مساندته ضدك من وراء ظهرك . أما تريد ليتش فهو فى المقابل يؤيد تعيينك رئيسا ولكن

المجلس الآن منقسم إلى شطرين "

" اللعنة . أولا ، شكروا لك . وثانيا ما الذى يمكن أن أفعله

الآن ؟ "

" إن كنت تريد أن تصبح الرئيس المقبل للبيتسر فيجب أن يحضر هنا من فورى قبل أن يتساءل أعضاء المجلس عن سبب

اختفائك بعيدا فى بوسطن "

" اختفائي بعيدا ؟ "

" هذا ما كان يقوله بارفيت للمديرين فى الأيام القليلة

الماضية "

" ياله من وعد لقيط ! "

قال توني : " الآن بعد أن ذكرت هذا الأمر . فإننى سوف

أتشكك فى نسبه "

ضحك ويليام .

" تعال وابق فى نادى يال . بحيث يتسنى لنا مناقشة الأمر فى

الصباح . "

قال ويليام " سوف أكون هناك بأسرع ما يمكن "

" قد أكون نائما لدى وصولك . سوف يكون دورك فى

يقاضى . "

أغلق ويليام الهاتف وألقى نظرة على كات التى كانت - لحظها

السعيد - غافلة عن مشاكله الجديدة . كانت قد ظلت نائمة طوال

الحوار . لكم تمنى أن يستسلم للنوم والغفلة مثلها . إنها سوف تنام

على الأرجح لباقى الليل . خط لها بعض السطور يشرح لها ما قد تم

"و ثلاثة من أعضاء مجلس الإدارة يمكنك الاعتماد عليهم والوثوق بهم . إن المجلس على أية حال يبدو منقسماً إلى نصفين "

"يقع الميتروبوليتان فى فيفت آفينيو فى شارع إيست سيكستينث "

"لَمْ لا تتقابل فى أى مكان فى وول ستريت ؟ "

ويليام : عندما نتعامل مع "شمار بيتر بارفيت يجب ألا نصح عن نوابك . احتفظ بها لنفسك وأدر اللعبة ببطنة وهدوء . لقد استخلصت من حديث ليتش أنه مازال بوسك أن تفوز "

عاد ويليام إلى الغرفة وقد لف منشقة حول خصره وقال :
" سوف أحاول أن أبقي هادئاً "

ابسم تونى : "والآن يجب أن أعود إلى بوسطن . سوف يغادر قطارى من الجرائد ستترال فى غضون عشر دقائق " ثم نظر فى ساعته وقال : " اللعنة ، ست دقائق فقط "

توقف تونى عند باب غرفة النوم : " هل تعرف يا ويليام أن وارين لم يكن يتق أبداً فى بيتز بارفيت . كان ينمته بأنه ماهر ؟ اعتاد دائماً أن يقول ذلك . لم يصفه يوماً بأكثر من ذلك ، ماهر " .
ثم رفع حقيبة يده واستطرد قائلاً : " حظ سعيداً يا ويليام "

" كيف يمكن أن أشكرك بما يكفى يا تونى ؟ "
" لا يمكنك . فقط اعتبر الأمر محاولة منى للتكفير عن الطريقة السيئة التى عاملت بها ماثيو "

شاهد ويليام الباب وهو يغلق وهو يضبط ياقة قميصه . بينما كان يهدم رابطة عنقه تذكر كم هو مثير أن يقضى طول هذه سنوات فى عمل مع تونى سيمونس بدون أن يعرف حقيقة الرجل . النى لم يكشف عنها إلا فى غضون أيام قليلة تعرض فيها لأزمة شخصية ، ووجد نفسه فى الحال يحب الرجل ويثق به ، ذلك الرجل الذى لم

وترك الورقة فوق المنضدة الجانبية المجاورة لها ثم ارتدى ثيابه ومضى فى طريقه إلى نيويورك . كانت الطرق خالية وكانت قيادة الديملر أسرع مما اعتاد عليه . كان يشق طريقه إلى نيويورك مع عمال النظافة ورجال البريد والجرائد وشمس الصباح . ووصل إلى نادى يال عندما دقت ساعة القاعة مرة واحدة . كانت الساعة السادسة والربع . استخرج محتويات حقيبة سفره وقرر أن يستريح ساعة قبل أن يوقظ تونى . كان أول شيء سمعه بعد ذلك هو طرقات متواصل على باب غرفته . نهض وهو مازال نائمًا ليمتص الباب وإذا بتونى يقف أمامه .

قال تونى وهو يضحك : " لباس نوم أنيق يا ويليام " . كان يرتدى كامل ثيابه .

قال ويليام : " لابد أنني قد رحمت فى نوم عيبى إن انقزلت لحظة فسوف أوافيك على الفور " .

" كلا . كلا . يجب أن ألحق بالقطار المنحه إلى بوسطن حذ حماماً وارتد ملابسك ونحن نتحدث " .

ذهب ويليام إلى الحمام وترك الباب مفتوحاً .

قال تونى : " الآن مشكلتك الأساسية ... " .

وجه ويليام رأسه صوب باب الحمام : " لا أستطيع أن أسمعك بسبب صوت الماء " .

توقف تونى إلى أن توقف صوت الماء ثم قال : " بيتز بارفيت هو مشكلتك الأساسية . لقد كان يخطط لأن يكون الرئيس المقبل للبنك ويأنه سوف يكون الاسم الذى سوف يرشحه تشارلز ليستر . لقد كان يؤلب المديرين ضدك ويبحث فى سياسات مجلس الإدارة منذ ذلك الحين . تيد ليتش يمكن أن يمدك بأدق التفاصيل وهو يريد أن تقايله على الغداء اليوم فى نادى ميتروبوليتان . قد يحضر معه اثنين

يعرفه على حقيقته أبدا من قبل . توجه ويليام إلى قاعة الطعام وطلب إفطارا تقليديا . تناول بيضة مسلوقة وقطعة من الخبز الجاف والريد و مربى الإنجليزية التي كان قد اقتصرها من مائدة المدجورة له . قدم له البواب نسخة من صحيفة الـوول ستريت حيث وجد مكتوبا في إحدى الصفحات الداخلية . أن كرشي - كان سير على ما يرام في بنك ليستر وأن ويليام كين سوف يكون الرئيس المقبل للبنك . على الأقل لم تكن الجريدة على علم بما يجري في الداخل .

عاد ويليام إلى غرفته وطلب من عامل الهاتف أن يتصل برقم ما في بوسطن . بقي منتظرا لبضع دقائق قبل أن يرد الطرف المقابل . " اعتذرا يا سيد كين . لم تكن لدى فكرة عن أنك أنت المتصل . هل لي أن أهنئك على تعيينك رئيسا للـيستر . أتمنى أن يعنى ذلك أننا سوف نراك كثيرا في مكتبنا في نيويورك في المستقبل . " هذا يعتمد بدرجة كبيرة عليك يا سيد كوهين "

أجاب المحامي : " لا يمكن أن أظاهر بأننى قد فهمت ما معنيه "

شرح ويليام ما حدث على مدى الأيام القليلة السابقة للرجل وقرأ عليه الجزء الخاص به في وصية ليستر .

أخذ توماس كوهين يدون بعناية كل كلمة وأخذ يقرأها بتمعن .

سأل ويليام : " هل تعتقد أن رغبته سوف يعتد بها في القضاء ؟ "

" من يدري ؟ لا أذكر أية سابقة في هذا الصدد . في القرن التاسع عشر تقدم أحد أعضاء البرلمان مرة باعتراضه على أحد شروط الوصية . وقد أصبح رئيسا للوزراء . ولكن هذا كان منذ أكثر من مائة عام . وفي إنجلترا . والآن في هذه الحالة إن قرر المجلس أن يطعن

في صحة وصية السيد ليستر ، ورفعت أنت الأمر إلى القضاء فأنا لا أستطيع أن أتنبأ بما سوف يحكم به . لم يكن اللورد ميلبورن بحاجة لمجابهة نواب مدينة نيويورك . ومع ذلك فهذا لغز قانوني دقيق يا سيد كين . "

قال ويليام : " وما الذى تنصحنى به ؟ "

" لقد وفدت إلى هذه البلاد على متن سفينة قادمة من ألمانيا مع مطلع ابريل وكان على دينا أن تاصر وأبذر جهدى لكى أحضر على ما أريد . هل تريد أن تصبح رئيسا لبنك ليستر بحق ؟ "

" نعم يا سيد كوهين ، أرغب بشدة فى ذلك . "

" إذا ، يجب أن تصفى إلى ما سوف ينصحك به رجل عجوز نسيح على مدار اسبوع يكن لك الكثير من الاحترام بل وأقرب أيضا بعض الحب . سوف أخبرك تحديدا بما كنت سأقوم أنا به إن واجهتنى نفس المعضلة . "

استمرت المحادثة على مدى ساعة كاملة وبقي أمام ويليام بعض الوقت لكى يصلح ويأخذ بتحول فى شارع بارث فيسبو وبينم هو سائر. وقع نظره على لافتة فوق مبنى ضخم تحت البناء . كانت هناك لافتة كبيرة أنيقة تحمل الإعلان التالي " فرع سلسلة فنادق البارون فى نيويورك . عندما يستضيفك فندق البارون فلن ترغب بعدها فى النزول فى أى فندق آخر . " ايتسم ويليام وسار بخطوات أكثر خفة نحو نادى ميتربوليتان .

كان تيد ليتش وهو رجل قصير نشيط ذو شعر أسود قصير وشارب أفتح لونا يقف فى مدخل النادى فى انتظار ويليام . دعا ويليام إلى الدخول . أعجب ويليام بطراز عصر النهضة الذى كان يميز النادى والذى كان قد شيده أوتو كون وستانفورد وايت عام

١٨٩١ . كان جى بى مورجان قد شيد النادى عندما صوت أعضاء نادى " يونيون ليغ " ضد أقرب أصدقائه .

قال تيد ليتش وهو يحاول أن يجرى حوارا مع ويليام : " لقد كان تصرفا فيه الكثير من الغلو حتى إن كان لصديق مقرب . ما الذى تريد أن تشربه يا سيد كين ؟ "

قال ويليام : " شراب توت من فضلك "

جاء فتى فى زى أزرق أنيق ثم عاد بعد لحظات قليلة وهو يحمل شراب التوت والماء ، لم يكن بحاجة لأن يسأل السيد ليتش عن طلبه .

بعد بضع دقائق ، حضر رجلان وتوجها نحوهما . كان طويلين ووثيقين من نفسيهما ويرتديان الزى المصرفى الرمادى المؤلف من ثلاث قطع ، كانت ياقة القميص شديدة الاستقامة غامقة اللون وكانت أربطة العنق أحادية اللون ، لو كانا يجوبان شوارع وستريت - د ألقى عليهما وليم نظرة شبة ولكنه نفحصهما جيدا فى نادى المتروبوليتان .

قال تيد ليتش وهو يقدمهما لويليام : " السيد ألفرد رودجرز والسيد وينثروب ديفيز "

ابتسم ويليام ابتسامة مقتضية غير واثق من وراء كل شخص وإى أى الطرفين ينتمى ، تفحص الرجلان ويليام بمنتهى الدقة . لم ينطق أحد بكلمة للحظات .

قال الرجل الذى يدعى رودجرز ، وقد سقطت النظارة الأحادية من عينه وهو يتحدث : " من أين نبدا ؟ "

قال تيد ليتش : " سوف نبدأ بالغداء "

استدار الرجال الثلاثة ، كان من الواضح أن كلاً منهم يعرف جيدا وجهته . وتبعهم ويليام . كانت قاعة الطعام فى الطابق الثانى

وكانت هناك غرفة واسعة ، ذات سقف رائع . دعاهم كبير النادل للجلوس عند المائدة المجاورة للنافذة ، والتي تطل على منتزه سنترال بارك بحيث لا يستطيع أحد أن يستمع لحديثهم .

قال تيد ليتش : " دعنا نطلب الطعام أولا ثم نواصل حديث " .

استطاع ويليام أن يرى فندق البلازا عبر النافذة . بدأت ذكريات احتفاله مع جدته وماثيو تتوالى عليه ، وكان هناك شيء آخر يحاول أن يتذكره عن هذا اليوم الذى أقيم فيه حفل الشاي فى البلازا " .

قال تيد ليتش : " دعنا يا سيد كين نكشف عن أوراقنا " .

" لقد كان قرار تشارلز ليستر بتعيينك مديرا للبنك قرارا مدجنا لنا جميعا ، ولكن دعنا من هذا الأمر . ولكن إن تجاهل المجلس وصية السيد تشارلز فسوف يعج الهنت بالفوضى ولن يكون هذا فى مصلحة أى منا . لقد كان السيد تشارلز رجلا محنكا وكان لديه بكل تأكيد ما يبرر اختياره لك كرئيس للبنك ، وهذا يكفينى " .

كان ويليام قد سمع هذه الكلمات من قبل ، من بيتر بارفيت ، " سننرد وينثروب ديفيز قائلاً " إن ثلاثتنا مدين بكل شيء ، بى تشارلز ليستر وسوف ننفذ رغبته حتى إن كان هذا هو آخر ما سوف نفعله فى مجلس الإدارة " .

قال تيد ليتش : " وقد يصل الأمر إلى هذا الحد بالفعل إن نجح بيتر بارفيت فى أن يصبح رئيسا للبنك " .

قال ويليام : " آسف أيها السادة لأننى تسببت فى كل هذا الشقاق . إن كان تعييني كرئيس للبنك جاء كمفاجأة بالنسبة لكم ، فأبغضى أن أؤكد لكم أنه كان أكثر من ذلك بالنسبة لى شخصيا . لقد

تصورت أنني سوف أحصل على بعض التذكارات الخاصة بماتيو والتي تركها لي والده ولكن ليس مسئولية إدارة البنك .

قال تيد ليتش : " نحن نتفهم وضعك جيداً يا سيد كين ، ويجب أن تثق بنا عندما نقول لك بأننا سوف نساعدك . نحن نعلم أنك قد تجد صعوبة في تصديق هذا الأمر بعد الموقف الذي تعرضت له مع بيتر بارفيت والحيل التي كان يناورك بها " .

" يجب أن أصدقك يا سيد ليتش لأنه ليس أمامي خيار آخر إلا أن أضع نفسي بين يديك . كيف تقرأ الوضع الحالي ؟ "

قال ليتش : " الوضع واضح بالنسبة لي . إن حملة بيتر بارفيت منظمة وهو يشعر أنه يتصرف الآن من وضع قوة . لذلك يا سيد كين يجب أن نتعامل مع بعضنا البعض بمنتهى الصراحة والصدق إن كنا نريد أن نحقق به الهزيمة . اعتقد - بالطبع - أنك تمت الشجاعة اللازمة لخوض المعركة " .

" لم أكن لأحضر إلى هنا لو لم أكن أملكها يا سيد ليتش . والآن بعد أن أجعلت الوضع بشك محكم - ربما نأخذ - سأنتزع الطريقة التي سوف تمكننا من إلحاق الهزيمة بالسيد بارفيت "

قال تيد ليتش : " بالطبع "

أخذ الرجال الثلاثة ينصتون إليه بامعان .

" أنتم محقون في قولكم إن بارفيت يشعر الآن أنه في وضع قوة لأنه ظل إلى الآن الطرف الوحيد الظاهر في ميدان المعركة ، هو الوحيد الذي يدرك ما سوف يحدث . ولكن دعني أقول بأننا يجب أن نقلب الوضع وأن نبادر بالهجوم بدلاً منه ومن أكثر المواقع البعيدة عن توقعه ، من داخل مجلس إدارته "

سأله ويشروب ديفيز : وقد ارتسمت عليه بعض علامات

الدهشة : " وكيف ترى إمكانية تحقيق ذلك يا سيد كين ؟ "

سوف أخبركم إذا سمحتم لي بطرح سؤالين عليكم . كم عدد أعضاء المدراء التنفيذيين الذين يملكون حق التصويت في المجلس ؟

رد تيد ليتش في الحال : " ستة عشر " .

سأل ويليام : " ولمن ولاؤهم الآن ؟ "

قال ويشروب ديفيز : " سؤال تصعب الإجابة عليه يا سيد كين . ثم استخرج مظهري كان قد وضعه في جيبه وتمحدر جيداً ظهر المظروف قبل أن يواصل حديثه : " أعتقد أننا يمكن أن نعتمد على الأرباح على ستة أصوات . مقابل خمسة أصوات لبارفيت . لقد أصبت بصدمة حقيقية صباح اليوم عندما علمت بأن روبرت كورك سميت - وكان صديق تشارلز ليستر المقرب - ليس على استعداد لمساندتك يا سيد كين . لقد كان أمراً غريباً بحق ، لأنني أعلم يقيناً أنه لا يكثر ببارفيت . أعتقد أن هذا سوف يرفع الأصوات إلى ستة لكل منكما .

أضاف تيد : " إذن يجب أن ننتظر حتى يوم الخميس معرفة موقف الأعضاء الأربعة المتبقين من المجلس "

سأل ويليام : " ولماذا الخميس ؟ "

" يوم اجتماع مجلس الإدارة " . أجاب ليتش بذلك وهو يمسح على شاربه وهو ما لاحظ ويليام أنه كان يفعله في كل مرة يتحدث فيها : " ولكن الأهم من ذلك هو أن انتخاب الرئيس الجديد هو موضوع الاجتماع "

قال ويليام في استعراب : " ولكنني كنت قد أخبرتك بأن الاجتماع المقبل لن يعقد قبل الاثنين المقبل "

سأل ديفيز : " من الذي أخبرك ؟ "

رد ويليام : " بيتو بارفيت "

علق تيد ليتش قائلاً : " إنها إحدى حيله إنه ليس رجلاً مستقيماً على أية حال " .

قال ويليام فى تيرة ساخرة : " لقد سمعت ما يكفى عن هذا الأمر أيها السادة مما جعلنى أدرك أننى يجب أن أخوض معركة ضد هذا الرجل " .

قال وينشروب ديفيز : " القول أسهل من العمل يا سيد كين . إنه يجلس فوق مقعد القيادة الآن . ولست واثقاً من التصرف الذى يجب أن نقدم عليه لكى نزيحه من فوق مقعده " .

أجاب ويليام : " نغير أصوات إشارة المرور إلى اللون الأحمر . من الذى يملك حق الدعوة لانعقاد مجلس الإدارة ؟ " .

قال تيد ليتش : " عندما يكون المجلس بلا رئيس ، يحق لنواب الرئيس ذلك ، أى بيتر بارفيت أو أنا " .

" ما عدد الأعضاء الذى يشكل النصاب القانونى ؟ " قال ديفيز : " تسعة " .

" وإن كنت أنت أحد نائبي الرئيس يا سيد ليتش فمن يكون السكرتير ؟ " .

قال ألفريد رودجرز : " أنا " ، ولم يكن قد فتح فمه للحديث تعريفاً منذ أن بدأت الجلسة . كان يحسن المواصفات التى يتطلع إليها ويليام تحديداً فى سكرتير البنك .

" كم يبلغ عدد الإخطارات التى يجب أن يتم إرسالها للدعوة لعقد اجتماع طارئ يا سيد رودجرز ؟ " .

" يجب أن يتم إخطار كل مدير قبل انعقاد المجلس بأربعة وعشرين ساعة وهو ما لم يحدث أبداً فى الواقع إلا مرة واحدة . فقد كان تشارلز ليستر يحرس دائماً على أن يخطر الأعضاء قبل انعقاد المجلس بثلاثة أيام على الأقل " .

سأل ويليام : " ولكن لائحة البنك تسمح بعقد اجتماع طارئ بعد أربع وعشرين ساعة من الإخطار بذلك ؟ " .

أكد ألفريد رودجرز بعد أن ثبتت نظارته الأحادية فى موضعها وركز بصره على ويليام ، قائلاً : " نعم يا سيد كين " .

" ممتاز ، إذا دعنا نطلب عقد اجتماع للمجلس ؟ " .

حذق الرجال الثلاثة إلى ويليام كما لو كانوا لم يسمعوا ما قاله بوضوح .

واصل ويليام حديثه : " فكروا فى الأمر أيها السادة . السيد ليتش - بصفته نائباً للرئيس - سوف يدعو لعقد اجتماع مجلس الإدارة . والسيد رودجرز بصفته السكرتير سوف يخبر كل المديرين " .

سأل تيد ليتش : " متى تريد عقد هذا الاجتماع ؟ " .

" غداً ، عصراً " ثم نظر ويليام فى ساعته واستطرد : " فى الثالثة " .

قال ألفريد رودجرز : " يا إلهى ، هذه مباغطة " .

قال ويليام : " مباغطة لبيتر بارفيت ، أليس كذلك ؟ " .

قال تيد ليتش : " هذا حقيقى إن كنت تعرف تحديداً ما تريده من وراء هذا الاجتماع " .

" اترك شأن الاجتماع لى أنا . ولكن احرص على عقده بالشكل الصحيح وأن يتلقى كل مدير الإخطار " .

قال تيد ليتش : " أتمناه كيف سيكون وقع ذلك على بيتر بارفيت " .

قال ويليام : " لا تشغل بالك ببارفيت . هذا هو الخطأ الذى وقعنا فيه إلى الآن . يجب أن ندعه هو يقلق منا ولو على سبيل التغيير . فمادام تلقى الإخطار الذى يسبق الاجتماع بأربع وعشرين

ساعة ومادام كان آخر من يعلم من المديرين فليس هناك ما يدعو
حنس فنحن لا نريد أن نمنحه وقتنا أكثر من اللازم لكي يمد
عدته . أيها السادة لا تتدهشوا من أي شيء سوف أقوله أو أفعله
غدا ، ثقوا في حكمي على الأمور وقفوا بجواري .
" ألا تشعر أنه يستحسن أن تعلمنا بما أنت عاجز عليه ؟ "
" كلا يا سيد ليتشر . يجب أن تبدو في الاجتماع شأنت شين
الجميع وكأنك تؤدي واجبك المفروض " .

بدأ تيد ليتشر وزميلاه يتبينان سبب اختيار تشارلز ليمتر لويليام
كين كرئيس للبنك . تركوا نادي الميثروبوليتان وهم يشعرون بثقة
تفوق ما جاؤوا بها بالرغم من جهلهم التام لما سوف يحدث في
اجتماع مجلس الإدارة الذي كانوا على وشك الدعوة لاجتماعه .
ويليام - في الغد - بعد أن نغمر بحر ، الأول من مسيرة يومين
كوهين ، فقد كان يطلع أي جزء ، شأني الأكثر صعوبة
قضى معظم وقت الظهيرة والساء في غرفته في نادي رول وهو
يفكر بإمعان في كر الحبر لى سوف يراوغ به في اجتماع اليوم
تدلى ولم يقطع فترة التفكير المتويلة إلا بمكته هادئة مقتضبة مع
كث .

قالت كات : " أين أنت يا عزيزي ؟ إلى أين ستهم في
منتصف الليل ؟ "

قال ويليام : " إلى عشقتي الجديدة في نيويورك " .

قالت كات : " يالها من مسكينة . إنها على الأرجح لا تعرف
الحقيقة . ما الذي تصحكت بأن تقعله مع السيد بارفيت الشرير ؟ "
" لم يكن لدى وقت للتحدث معها في هذا الموضوع ، لقد كنا
منهمكين في عمل أشياء أخرى . بما أنك معي على الهاتف ، ما
الذي تنصحيني به ؟ "

قالت كات وقد اكتسبت نبرة جدية مفاجئة : " لا تدخر جهدا
كان سيبدله تشارلز ليستر أو والدك إن كانا في مثل ظروفك "
" إنهما على الأرجح يراقبنا طوال الوقت " .
" مهما فعلت يا ويليام ، فإنك لن تخطئ أبدا إن وضعت في
اعتبارك أنهما يراقبانك " .

عندما برزغت أول خيوط الفجر : كان ويليام قد استيقظ
والفعل ، لم يكن قد حصل على قسط وافر من النوم . نهض بعد
السادسة بقليل وأخذ حماما باردا ثم سار في ممره ستروال بارك
مرة طويلة كي يشهد فكره ثم عاد لتناول فطر خفيف في نادي
رول . كانت هناك رسالة في انتظاره في اليهو الأمامي للنادي .
كتب من زوجته . عند فراها ثابته . ضحك ويليام من لكميات
التي . لم تكن منهمك في عمل هن يمكنك تذكر شراء قفاز
يسبيل لينتشارد " . التقت ويليام جريدة الود ستريت ، التي
كانت مارلت تناول تفاصيل تعقد الأمور في مجلس إدارة ليستر
جول اختيار الرئيس الجديد . كانت الصحافة قد وصلها في هذا
الوقت الجرس لآخر الخضر بيبير بارفيت من القصة . في تنويه
أن تعبسه سوف يكون مؤكدا على الأرجح في جناح سوم
الخميس . أخذ ويليام يتساءل ، ترى صورة من منا سوف تنشر غدا
في الصحافة . دعنا نرى الآن ما سوف تقوله الصحافة غدا . قضى
وبلسم صبح يومه في مراجعة كل القوانين ولوائح البنكيه خاصة
ببنك ليمتر وتفحصها جيدا . لم يتناول أي غداء ولكنه وجد وقت
لزيرة متجر " إف إيه أو شوارتز " وشراء قفاز بيسبول لابنه .

في الثانية والنصف استقل سيارة أجرة إلى البنك في رول
ستريت وواصل قبل الثالثة ببضع دقائق . سأل البواب إن كان لديه
موعد للقاء أحد " . م

" أنا ويليام كين . "

" نعم يا سيدى - تفضل إلى قاعة الاجتماعات . "

قال ويليام لنفسه : " يا إلهى ، أنا لا أتذكر تحديدا أين موقع قاعة الاجتماعات " .

شعر البواب بحرجه : " سر فى الرواق ثم إلى اليسار يا سيدى ، الباب الثانى إلى اليمين " .

قال ويليام : " أشكرك " ثم سار بأكبر قدر ممكن من الثقة فى الرواق . حتى هذه اللحظة كان ويليام ينظر دائما إلى تعبير

" فراشات تتحرك فى معدتى " على أنه تعبير أحقق . شعر وقتها أن دقائق قلبه أعلى من دقائق الساعة المعلقة فوق الجدار فى

القاعة ، حتى أنه لم يكن ليندهش إن دق قلبه معلنا الثالثة ظهرا . كان تيد ليستش يقف منفردا عند مدخل قاعة الاجتماعات .

كانت كلماته الأولى : " سوف تحدث مشاكل " .

قال ويليام : " جيد . هذه هى الطريقة التى كان تشارلز ليستر سوف يحب أن تكون الأمور عليها ، كان سيواجه المشاكل وجها

لوجه " .

دخل ويليام القاعة ولم يكن بحاجة لعد الرؤوس لكى يتأكد من حضور كل المديرين . لن يكون هذا أحد الاجتماعات التى يمكن أن

يجرؤ أحد المديرين على تفويتها . توقف الحديث عندما دخل ويليام القاعة وساد صمت مترقب عندما توقف الجميع وأخذوا

يحدقون إليه . أسرع ويليام بالوقوف عند مقدمة المائدة الطويلة قبل أن يلتفت بيتر بارفيت إلى ما يجرى .

قال ويليام آملا أن يكون صوته قد اتسم بالحزم : أيها السادة ، تفضلوا بالجلوس رجاء " .

جلس تيد ليستش وبعض المديرين الآخرين فى مقاعدهم فى الحال بينما تردد البعض الآخر وبدأت المهمة من جديد .

لاحظ ويليام أن اثنين من المديرين لم يكن يعرفهما كانا على وشك التهوض ومقاطعته .

" قبل أن يقول أى شخص شيئا ، اسمحوا لى ، أن ألقى بيانا افتتاحيا ، وبعبارة يمكنكم اتخاذ القرار اللائق . أرى أن هذا هو أقل

ما يجب فعله لتلبية رغبات الراحل تشارلز ليستر " . جلس الرجلان .

" أشكركم أيها السادة . بداية أود أن أوضح للجميع أنه ليست لدى أية رغبة فى أن أصبح رئيسا لهذا البنت " . ثم صمت ويليام

بكى يدع العبارة تترك تأثيرا ثم أكمل " ما لم تكن هذه هى رغبة أغلبية المديرين " .

ثبتت كل العيون عندها على ويليام . " أنا ، أيها السادة ، أشغل حاليا وظيفة نائب بنك كين وكابوت وأملك واحدا وخمسين

بالمائة من أسهمه . لقد أسس بنك كين وكابوت على يد جدى وأعتقد أنه لا يقل سمعة عن بنك ليستر وإن كان يقل عن حجمه .

إن طلب منى أن أغادر بوسطن وأنتقل إلى نيويورك - نزولا على رغبة تشارلز ليستر - فلا أستطيع أن أتظاهر بأن هذه النقلة سوف

تكون سهلة بالنسبة لى أو لعائلتى . ومع ذلك ، فإن كانت هذه هى رغبة تشارلز ليستر - وهو رجل لا يمكن أن يستهين بمثل هذه

الأمور - فإننى ، أيها السادة ، يجب أنظر بكل اعتبار وجدية إلى رغباته . أريد أيضا أن أضيف أن ماثيو ليستر كان أعز أصدقائى

لأكثر من خمسة عشر عاما ، وأعتبر أن مخاطبتى لمجلسكم اليوم باعتبارى الرئيس المرشح ليس أمرا مأساويا " .

أوما بعض المديرين بالموافقة على ما يقوله .

"أيها السادة ؛ إن شرفت اليوم بالحصول على تأييدكم لي ، فسوف أحشد كل ما أملكه في بوسطن لخدمة هذا البنك . أعتقد أنني لست بحاجة لأن أقدم لكم تقريراً مفصلاً عن خيرتي المصرفية لأنني أفترض أن كل مدير هنا يدرك تماماً أن اختيار تشارلز ليستر لي لتولي رئاسة البنك من بعده قد أزال عن عاتقه عبء التفكير في هذا الأمر . لقد طلب مني رئيس البنك الذي أعمل به - السيد تومسي سيمونس - والذي أفترض أن الكثيرين منكم يعرفونه - أن أبقى في بنك كين وكابوت "

"لقد كنت عازماً على إخبار السيد بارفيت بالأمر بقراري النهائي لو كان قد اتصل وطلب مني رداً . لقد سعدت يتناول العشاء مع السيد والسيدة بارفيت الأسبوع الماضي في منزلهما ، وبهذه المناسبة أخبرني السيد بارفيت أنه لا يسعى بأي شكل لأن يكون الرئيس المقبل للبنك . وأن منافسي الوحيد - من وجهة نظره - هو السيد تيد ليتش النائب الآخر . مما دفعني إلى التحدث مع السيد ليتش شخصياً في هذا الصدد وأخبرني بأنني سوف أحظى بتأييده لي كرئيس للبنك . وبناء على ذلك ؛ فإني أفترض أيها السادة بأنني قد حصلت على مساندة كلا الرجلين . ولكنني بعد قراءة جريدة الوول ستريت اليوم ؛ ليس باعتبار أنني أثق في رؤيتهم وتوقعاتهم وهو ما تخليت عنه منذ كنت في الثامنة " - ثم ضحك ضحكة مقنضبة - " شعرت أنني يجب أن أحضر اجتماع اليوم بنفسى لكي أتأكد من أنني ما زلت محتفظاً بمساندة نائبى مجلس الإدارة ؛ وأن رواية الجريدة غير صحيحة . لقد طالب السيد ليتش بعقد هذا الاجتماع وأود أن أسأله بهذه المناسبة إن كنت ما زلت أحفظ بتأييده لي في تولي منصب الرئاسة بعد تشارلز لستر "

نظر ويليام إلى تيد ليتش ؛ الذى كان قد أحنى رأسه ، كان الوقت المستغرق في انتظار حكمه غير محتمل . كان أى خذلان من جانبه يعنى أن أنصار بارفيت سوف ينقضون عليه . رفع تيد ليتش رأسه ببطء وقال : " أنا أؤيد السيد كين تأييداً مطلقاً "

نظر ويليام مباشرة إلى بيتر بارفيت للمرة الأولى في ذلك اليوم . كان يتصيب عرقاً بشكل واضح وعندما تحدث لم يرفع عينيه عن الحافظة الورقية الصفراء الموضوعة أمامه .

بدأ الرجل حديثه : " حسناً ؛ هناك بعض الأعضاء في المجلس شعروا بأننى يجب أن أتصدى لهذا الأمر " . قاطعه بنبرة دهشة بسيطة : " هذا يعنى أنك قد غيرت رأيك بشأن مساندتي وتلبية رغبة السيد تشارلز ليستر ؟ " . رفع بيتر بارفيت رأسه قليلاً : " المشكلة ليست بهذه البساطة يا سيد كين "

" هل تؤيدنى أم لا يا سيد بارفيت ؟ " قال بيتر بارفيت فجأة بقوة : " سوف أقف ضدك " . " بالرغم من أنك قد أخبرتني في الأسبوع الماضي أنك لا تتطلع مطلقاً إلى رئاسة البنك ؟ "

قال بارفيت : " أود أن أوضح موقفى قبل أن تفترض الكثير . هذا ليس مجلسك بعد يا سيد كين " . " بالطبع يا سيد بارفيت " .

حتى هذا الحد كان اللقاء قد سار تحديداً وفق تقدير ويليام وتخطيطه . كانت خطبته معدة بمنتهى العناية كما أنه قد ألغاهما بحكمة وكان بيتر بارفيت يئن تحت وطأة فقدته لعنصر المبادرة ؛ كما

كان عليه أن يحسب خطواته جديا كي لا يتهم علنا بأنه شخص كاذب .

بدأ حديثه وكأنه يبحث عن الكلمات : " أيها السادة . حسنا " .

تحولت العيون من ويليام وتشبثت ببارفيت مما منح ويليام الفرصة لكي يسترخى قليلا ويدرس وجوه باقي المديرين .

" لقد اتصل بي العديد من أعضاء مجلس الإدارة بشكل شخصي بعد أن تناولت العشاء مع السيد كين وشعرت أنه من واجبي أن أنظر بعين الاعتبار إلى رغباتهم وأرشح نفسي للانتخاب . لم أرغب في أي وقت من الأوقات أن أعترض على رغبة السيد تشارلز ليستر - الذي كنت أكن له دائما كل الإعجاب والاحترام . بالطبع ، كنت سأخبر السيد كين بما كنت قد عزمته عليه قبل اجتماع مجلس الإدارة غدا ولكن يجب أن أعترف أن أحداث اليوم كانت مفاجئة لي " .

التقط نفسا عميقا واستطرد حديثه ثانية : " لقد خدمت البنك ليستر على مدى اثنين وعشرين عاما ، قضيت ستة منها كنائب للرئيس . ولذلك فإنني أشعر أنه يحق لي أن أرشح نفسي للرئاسة . كم كان يسعدني أن يوافق السيد كين على الانضمام إلى مجلس الإدارة ولكنني عاجز الآن عن تأييد ترشيحه كرئيس للمجلس . أتمنى أن يفكر زملائي بالمجلس في إمكانية تأييد شخص خدم هذا البنك لأكثر من عشرين عاما بدلا من انتخاب شخص مجهول من الخارج ، احقير من قبل أب مكشوف على وفاة ابنه . أشكركم أيها السادة " .

ثم جلس .

نظرا للظروف ، اعتبر ويليام أن خطبة بارفيت كانت جيدة ، ولكنه لم يستفد من نصيحة السيد كوهين التي تؤكد على أهمية وقع الكلمات الأخيرة في المندثرة . نهض ويليام ثانية .

" أيها السادة ، لقد أشار السيد بارفيت بأنني شخص مجهول بالنسبة لكم . ولذلك فإنني لا أريد أن يشك أي منكم في شخصي أنا كما سبق وذكرت حفيد وسليل عائلة بنكية . لقد عملت في الشؤون المصرفية طوال حياتي وسوف يكون من غير الإنصاف أن أظهار بأنه لن يسعدني أن أتولى منصب رئاسة بنك ليستر . ولكنكم في المقابل إن قررت تأييد السيد بارفيت كرئيس للبنك ، فليكن . وسوف أصرح علانية بأنه ليست لي رغبة في أن أكون الرئيس المقبل لليستر ، وسوف يحميكم هذا من أي مزاعم أو ادعاءات بأنكم قد تنكرتم لوصية تشارلز ليستر " .

" ومع ذلك فإنه ليست لدي أية نية على الإطلاق لخدمة هذا البنك تحت رئاسة بيتر بارفيت . أود أن أكون صريحا للغاية في هذا الصدد . إنني أمثل أمامكم أيها السادة بنقطة قصور خطيرة عبر عنها السيد بارفيت بقوله أنني شخص خارجي مجهول . ولكنني مع ذلك أملك ميزة حصولي على مساندة رجل ليس حاضرا اليوم . رجل تكونون له جميعا كل الاحترام والإعجاب ، رجل اشتهر بحكمته وترفعه عن اتخاذ أي قرار متسرع أهوج . لذا فإنني أقترح ألا يهدر المجلس المزيد من وقته الثمين في التفكير في الشخص الذي يستحق أن يكون الرئيس المقبل لبنك ليستر . إن كانت هناك شكوك تدور في عقل أي منكم بشأن قدرتي على إدارة هذا البنك ، فليصوت لصالح السيد بارفيت . إنني لن أصوت في هذا الانتخاب ، أيها السادة ، وأفترض أن السيد بارفيت سوف يمتنع عن التصويت هو الآخر " .

قال بيتر بارفيت في غضب : " أنت لا تملك حق التصويت . أنت لست عضواً في المجلس بعد . أما أنا فأنا عضو وسوف أصوت "

" ليكن ما تريد يا سيد بارفيت . حتى لا يزعم أى شخص بأنك قد فوت على نفسك أية فرصة لكسب أكبر عدد من الأصوات "

انتظر ويليام إلى أن تترك الكلمة وقعها ويستوعبها الجميع ، وفي الوقت الذى سعى فيه أحد المديرين المجهول تماماً بالنسبة لويليام إلى مقاطعته ، واصل ويليام حديثه قائلاً : " سوف أطلب من السيد رودجرز بتصفته سكرتيراً ، بببب أن يشرع فى إجراء الاقتراع وعند استكمال التصويت أنها بسادة . بمكمكم إعادة البطاقات إليه " .

كانت نظارة ألفريد رودجرز الأحادية قد بدت بارزة نحو الخارج أثناء فترة الاجتماع . قام رودجرز - فى شيء من التوتر - بتعريف أوراق الاقتراع لكل مدير . عندما دون كل شخص اسم مرشحه ، أعيدت البطاقات إلى رودجرز .

" أعتقد أنه من الأحوط ، نظراً لهذه الظروف يا سيد رودجرز أن تحصى الأصوات علن . لتتلاشى الوقوع فى أى خطأ يعرض علينا إعادة الاقتراع ثانية "

" بالطبع يا سيد كين "

" هل هذا يناسبك يا سيد بارفيت ؟ "

أوما السيد بارفيت بالموافقة بدون أن يرفع رأسه .

" أشكركم ، تفضل بقراءة الأصوات بصوت مرتفع يا سيد رودجرز "

فتح سكرتير البنك البطاقة الأولى : " بارفيت "

ثم فتح الثانية :

" بارفيت "

أصبحت اللعبة الآن خارج نطاق سيطرة ويليام . كل السنوات التى قضاها فى انتظار الجائزة التى أخير تشارلز ليستر منذ زمن طويل بأنه سوف يحصل عليها يمكن أن تتلاشى من بين يديه على مدى الثوانى القليلة التالية .

" كين . بارفيت . كين "

ثلاثة أصوات لبارفيت مقابل اثنين لكين ، هل سيلاقى نفس المصير الذى لاقاه مع تونى سيمونس ؟

" كين كين بارفيت "

أربعة أصوات لكل منهما . كان ويليام مازال يلاحظ بارفيت وهو يتصبب عرقاً بغزارة ولم يكن هو يشعر بالاسترخاء .

" بارفيت "

لم يرتسم أى انطباع على وجه ويليام . أما بارفيت فقد سمح لنفسه بالبتسامة .

خمس أصوات مقابل أربعة

" كين كين كين "

اختفت الابتسامة

فقط اثنان ، فقط اثنان آخران ، أخذ ويليام يدعو الله ، ويكاد يرفع صوته بالدعاء .

" بارفيت ، بارفيت "

استغرق السكرتير على ما يبدو وقتاً طويلاً فى فتح بطاقة الاقتراع التى كانت قد طويت وأعيد طيها عدة مرات :

" كين " . ثمانية أصوات مقابل سبعة لصالح ويليام .

ثم حان دور آخر بطاقة اقتراع كان السكرتير بصدد فتحها
أخذ ويليام يراقب شفاة ألفريد رودجرز . رفع سكرتير المبلل
رأسه ، كان في هذه اللحظة أمم شخص داخل الغرفة :
" كين " . سقط رأس يارفيت بين يديه .

" أيها السادة ، نتيجة الاقتراع هي تسعة أصوات لصالح السيد
ويليام كين وسبعة لصالح السيد يارفيت . ولذلك فأنا أعلن السيد
ويليام كين رئيسا لبنك ليستر " .

ساد صمت رهيب داخل الغرفة واستدارت كل الرؤوس باستثناء
رأس بيتر يارفيت نحو ويليام في انتظار ما سوف يفعله الرئيس
الجديد .

سحب ويليام نفسا عميقا ووقف ثانية أمام المجلس ولكن في
هذه المرة وقف قبالة :

" أشكركم أيها السادة على هذه الثقة التي أوبيدونني بها . لقد
كانت رغبة السيد تشارلز ليستر أن أكون الرئيس التالي لهذا البنك
وأن سعيد لأنكم أكدتم على خياري من خلال التصويت . إنني لن
أدخر جهدا في خدمة هذا البنك . وهو د لى أستطيع تحقيقه بدون
مساعدة أعضاء المجلس المخلصين . ولكن أود أن أطلب من السيد
يارفيت أن ... "

هنا رفع بيتر يارفيت رأسه في تفاؤل .

" ... أن يحضر إلى مكتب الرئيس في غضون بضع دقائق .
وسوف أرغب بعد مقابلة السيد يارفيت في مقابلة السيد ليستر .
أمنى أيها السادة في صباح الغد أن نتاح فرصة مقابلة كس منكم
على انفراد . اجتماع مجلس الإدارة التالي سوف يعقد في موعده
الشهرى المعتاد . أما الآن فقد انتهى اجتماع اليوم " .

بدأ المديرين ينهضون من مقاعدهم ويتحدثون فيما بينهم . سار
ويليام مسرعا في الرواق متحاشيا النظرة الثاقبة التي كان يرميه بها
بيتر يارفيت . لحق به تيد ليتش وأرشده إلى مكتب الرئيس .

قال تيد ليتش : " لقد أقدمت على مجازفة بالغة اليوم . وقد
نجوت بأعجوبة . ما الذى كنت ستفعله إن كنت قد خسرت فى
التصويت ؟ "

قال ويليام في صوت لا يشوبه أى توتر : " كنت سأعود إلى
بوسطن " .

فتح تيد ليتش باب مكتب الرئيس لويليام . كانت الغرفة تماما
مثلما تذكرها ، ربما بدت له أكبر حجما قليلا عندما قال لتشارلز
ليستر وهو منازل طالبا في المدرسة الإعدادية إنه سوف يدير هذا
البنك يوما . أخذ ينظر صورة ارجل العظيم امعلقه خلف المكتب
ثم ألقى نحية على صورة الرئيس الراحل ثم جلس فوق الكرسي
الجلدي الاحمر الكبير ووضع مرفقيه فوق المكتب المصنوع من خشب
الاهوجنى . بينما كان يستخرج كتابه المغلف بالجلد من جيب
سترويه ويضعه فوق مكتبه سمع طوقا على الباب . دخل رجل مسن
اسرعة وهو يتكئ بكر ثقله على عماء ذات امقبص الفضى بركهد
تيد ليتش مع بعضهما على انفراد .

قال الرجل بلكنة إنجليزية بعض الشيء : " اسمى روبرت
كورك سميث " .

نهض ويليام من فوق مقعده وحياء . كان أكبر عضو في مجلس
الإدارة . كان شعره الرمادى وساعته الذهبية كبيرة الحجم تجعله
يبدو وكأنه من عصر آخر ولكن شهرته بالنزاهة والاستقامة كانت لا
تبارى في الدوائر المصرفية . لم يكن هناك رجل بحاجة لأن يوقع

عقدا مع روبرت كورك سميث ، كانت كلماته هي دائما عنده
وسنده . نظر إلى ويليام نظرة ثاقبة في عينيه .

" لقد صوت ضدك يا سيدى وبالطبع يمكنك أن تنتظر استقاسى
فوق مكتبك فى الحال " .

قال ويليام برفق : " تفضل بالجلوس يا سيدى ؟ "

أجاب الرجل : " شكرا يا سيدى " .

" لقد شرفت بذلك . كنت مع جدك فى هارفارد ومازلت أذكر
بمنتهى الأسف وفاة والدك المأساوية " .

قال ويليام : " وتشارلز ليستر ؟ "

" لقد كان صديقى المقرب . ولكن ما أوصى به لم يكن موافقا لما
يمليه على ضميرى . إننى لا أذيع سرا عندما أقول إننى لم أكن
لأختار بيتر بارفيت إن ترك الأمر لى ، كنت أفضل تيد ليتش
كرئيس للبنك ، ولكن بما أننى لم أتقاعس أبدا عن الإدلاء بصوتى
فى أى شيء على مدى حياتى ، فقد شعرت أننى يجب أن أساند
المرشح الذى وقف ضدك ، لأننى وجدت نفسى عاجزا عن مساندة
رجل لم أقابله فى حياتى قط " .

" أنا معجب بصدقك يا سيد كورك سميث ، ولكن أصبح بين
يدى الآن بنك يجب أن أديره . إننى أحتاجك فى هذه اللحظة أكثر
من حاجتك أنت لى ، لذا فأننى بصفتى شابا أصغر سنا أرجوك ألا
تقدم استقالتك " .

رفع الرجل العجوز رأسه وأخذ يحدق فى عيني ويليام وقال وهو
يضع كلتا يديه فوق مقبض عصاه : " أنا لست واثقا إن كان هذا
سيجدى أيها الشاب . لا يسعنى أن أغير موقفى ما بين يوم
وليلة " .

" امنحنى ستة أشهر يا سيدى وإن بقيت بعدها متمسكا
برأيك ، قلن أطالبك بالبقاء ثانية وسوف أرضخ لرغبتك " .

جلس الرجلان فى صمت قليل أن يتحدث كورك سميث ثانية :
" لقد كان تشارلز ليستر محقا ، أنت ابن ريتشارد كين " .

" سوف تواصل عملك فى البنك يا سيدى ؟ "

" سوف أفعل أيها الشاب الصغير ، ليس هناك شخص أكثر
حماقة من العجوز الأحمق ، ألا تعرف ذلك ؟ "

نهض روبرت كورك سميث ببطء بمساعدة عصاه . تحرك ويليام
لكى يساعد ولكنه كان قد مضى فى طريقه خارجا

" حظا سعيدا يا بنى . يمكنك أن تعتمد على مساندتى
التامة " . قال ويليام : " أشكرك يا سيدى " .

عندما فتح الرجل الباب ، رأى ويليام بيتر بارفيت منتظرا فى
الرواق . بينما كان روبرت سميث يغادر ، لم يتفوه رجلان بكلية

كان بيتر بارفيت هو الذى هادر بالتحدث قائلا : " حسنا . لقد
حاولت وخسرت . لا يسع المرء أكثر من لك " . ثم ضحك

وأضاف : " ليست هناك أية ضغائن بيننا يا ويليام ؟ " ثم مد يده
بوييم

" ليست هناك ضغائن يا سيد بارفيت . كما قلت تماما : لقد
حاولت وخسرت وأنت الآن سوف تقدم استقالتك من منصبك فى

هذا البنك " .

قال بارفيت : " سوف أفعل ماذا ؟ "

قال ويليام : " سوف تستقيل " .

" ولكن هذا أمر قاس أليس كذلك ؟ إن تصرفى لم يكن موجها
لشخصك بالمرّة . لقد كنت ببساطة أشعر بـ ... "

" لا أريدك في بنكى يا سيد بارفيت . سوف تغادر الليلة ولن تعود أبداً " .

" فإن قلت لك بأننى لن أرحل ؟ أنا أحمل عدداً لا بأس به من الأسهم فى البنك ومازلت أحظى بمساندة كبيرة من المجلس . ولكن الأهم من ذلك هو أنني يمكن أن أقاضيك "

" فى هذه الحالة سوف أنصحك بمراجعة قوانين البنك الثانوية جيداً يا سيد بارفيت ، والتي قضيت وقتاً غير قليل فى مراجعتها وتدارسها هذا الصباح "

استخرج ويليام الكتاب ذا الغلاف الجلدى الذى كان مازال فوق مكتبه أمامه وقلب بضع صفحات . ما إن عثر على الفقرة التى كان قد وضع عليها علامة فى صباح ذلك ليوم فر بصوت مرتفع " يحق لرئيس البنك أن يقيى أى موظف فقد ثقته فيه . " ثم رفع رأسه وقال : " وقد فقدت ثقتي فيك يا سيد بارفيت ولذلك فسوف تقدم استقالتك وسوف تحصل على راتبك لمدة عامين . أما إن دفعتمنى فى المقابل إلى إقالتك ، فسوف تغادر هذا البنك وأنت لا تملك سوى أسهمك " .

" ألا تمنحني فرصة ؟ "

" لقد منحتك فرصة الأسبوع الماضى على العشاء وقد كذبت علىّ وخدعتنى . هذه ليست الصفات التى أبحث عنها فى نائب الرئيس . هل تفضل الاستقالة أم الطرد يا سيد بارفيت ؟ "

" اللعنة عليك يا كين ، سوف أستقيل " .

" حسناً . اجلس واكتب خطاب الاستقالة الآن "

" كلا سوف يصلك الخطاب فى الصباح فى الوقت الذى سوف أختاره أنا " وبدأ يسير نحو الباب .

قال ويليام : " الآن وإلا أقلتكم بنفسى "

تردد بيتر بارفيت ثم رجع ثانية وسقط فوق كرسيه بجوار مكتب ويليام . مد له ويليام يده بورقة من الأوراق البنكية المكتوبة وقلماً . استخرج بارفيت قلمه الخاص وبدأ يكتب . عندما فرغ من الكتابة ، أخذ ويليام الخطاب وقرأه بعناية .

" طاب يومك يا سيد بارفيت "

غادر بيتر بارفيت الغرفة بدون أن ينطق بكلمة . ثم وصل تيد ليتش بعد أن غادر بلحظات .

" كنت تريد رؤيتي يا سيدى لرئيس ؟ "

قال ويليام : " نعم . أريد أن أعينك نائباً عاماً للبنك يا سيد ليتش . فقد قدم السيد بارفيت استقالته "

" يدهشنى سماع ذلك ، كنت أظن أن .. "

مد له ويليام يده بالخطب قرأ تيد ليتش الخطاب ثم نصر إلى ويليام .

" سوف يسعدنى أن أكون النائب العام للبنك ، أشكرك على هذه الثقة التى أوليتنى إياها " .

" حسناً . سوف يسعدنى أن تعد لى جدولاً للقاء كل المديرين على مدى اليومين التاليين . سوف أبدأ العمل غداً فى الثامنة صباحاً " .

" أمرك يا سيد كين " .

" ربما يمكنك أن تتفضل أيضاً بتقديم خطاب استقالة السيد بارفيت إلى سكرتارية البنك " .

" كما تحب يا سيدى الرئيس "

" اسمى ويليام ، هذا خطأ آخر اقتره السيد بارفيت "

ابتسم تيد ليتش فى تردد ، " أراك غداً صباحاً يا " . ثم تردد ثانية - " ويليام " - .

عندما غادر المكتب ؛ جلس ويليام على كرسي تشارلز ليستر وأخذ يدور حول نفسه في نشوة غامرة إلى أن شعر بالدوار . ثم نظر عبر النافذة إلى شوارع وول ستريت ، وهو يشعر بنشوة لمشاهدة النشاط لصاحب بناس بالخروج ومشهد البنوك الكبيرة الأخرى ودور المضاربة الأمريكية . لقد أصبح يشكل جزءا من كل هذا الآن .

جاءه صوت تسائي من خلفه : " ومن أنت بحق السماء ؟ " .

استدار ويليام فإذا به يجد أمامه سيدة في منتصف العمر ترتدي ثيابا أنيقة وترتسم عليها علامات الغضب .

قال ويليام : " ربما يمكنني أن أطرح عليك نفس السؤال " .

قالت السيدة في حدة : " أنا سكرتيرة رئيس مجلس الإدارة " .

قال ويليام : " وأنا رئيس مجلس الإدارة " .

. . .

على مدى الأيام القليلة التالية نقل ويليام أسرته إلى نيويورك حيث عثر على منزل مؤلف من أربعة طوابق في شارع إيست سيكستينث . كان البيت يضم كل ما تحتاج إليه كات ؛ حتى الحديقة الصغيرة الخلفية كانت موجودة . كانت الفترة المستغرقة لحين تجهيز مكان الإقامة قد طالعت عما هو متوقع بالنسبة لهم . على مدى اشهر الثلاثة الأولى كان ويليام يمدني ثوبان اليوم ثمانية وأربعين ساعة ، وفي تلك الأثناء وجد صعوبة في قطع الحبل الصرى الذي كان يوثق صلته ببوسطن بشكل جذري . كان توني سيمونس بمثابة عامل مساعد قوى وبدأ ويليام يدرك سر اختيار آلان ليويده له كرئيس لكنين وكابوت . للمرة الأولى كان ويليام على استعداد لأن يقر بأن آلان كان محقا في رأيه .

سرعان ما عجست حياة كين في نيويورك بالمشغل . كانت فيرجينيا قد بدأت بالفعل تحب وتخرج من الغرف ونصرت مكتب ويليام قبل أن تتمكن كات من إرجاعها مرة أخرى ، وكان ريتشارد يريد أن يقتنى سترة قصيرة مثل باقي الأولاد في نيويورك . وبصفتها زوجة لرئيس بنك في نيويورك كن على كات أن تتولى مهمة إعداد حفلات عشاء بشكل منتظم ؛ مما يسمح بشكل غير ملحوظ لكن مدير وعميل من عملاء بنك الأكثر أهمية أن يوصل كين ما يريد قوله إلى ويليام بشكل شخصي سواء بحث عن النصيحة أو مجرد التعبير عن آرائهم . وقد سيطرت كات على الوضع الجديد وأدأته بمنتهى الذكاء والخفة . وكان ويليام يشعر بكل الامتنان ويشكر قسم المنصفيات في كين وكابوت لأنه منحه أعظم هبة في حياته . عندما أخبرت كات ويليام أنها سوف تضع طفلا ثالثا ؛ كان كل ما طرأ على باله عندها أن يجيبها قائلًا : " وأين عثرت على هذا الوقت ؟ " . سعدت فيرجينيا سعادة غامرة بالنبا وهي لا تفهم تحديدا ما سبب انتفاخ بطن كات إلى هذا الحد ، أما ريتشارد فقد رفض مناقشة الأمر .

في غضون ستة أشهر ؛ كان النزاع مع سيمر بارفيت قد أصبح من أمور الماضي المنسية ؛ وأصبح ويليام عن جدارة رئيس ليستر وأحد الشخصيات التي يشهد لها بالكفاءة في الأوساط المالية في نيويورك . لم تمض بضعة أشهر أخرى حتى بدأ ويليام يتساءل عن الوجهة التي يحب أن يبدئ سر عندها لكي يحدد لنفسه هدفا جديدا . كان ويليام قد حقق طموح حياته وأصبح رئيسا للبنك ولكنه بخلاف ألكسندر . كان يشعر أن هذا المزيد من العوالم التي مازال يريد اقتحامها ولم يكن لديه لا بوقت ولا الرغبة في أن يجلس في مكانه وينتحب .

أنجيت كانت طفلها الثالث في نهاية أول عام لرئاسة ويليام لبنك ليستر ، كانت فتاة ثانية ، أطلقوا عليها اسم لوسي . وقد علم ويليام هيرجينيا التي كانت قد تعلمت السير عندها كيف تهدهد لوسي بينما كان ريتشارد وقتها قد بلغ السادسة من عمره وكان بصدد دخول الصف الأول من مدرسة بوكلي . وقد انتهز ريتشارد هذه الفرصة لكي يفتح أباه بشأن اقتناء مضرب ببسبول جديد . وقد أصبحت لوسي التي كانت لا تعرف كيف تصيغ مطالبها في شكل كلمات ، المرأة الثالثة التي تستطيع أن تجعل ويليام يلبي كل طلباتها .

في العام الأول من رئاسة ويليام لبنك ليستر حقق البنك أرباحا مرتفعة قليلا عن العام السابق وكان يتوقع تحقيق تحسن محووط في العام التالي .

وفي الأول من سبتمبر عام ١٩٣٩ ، غزا هتلر بولندا . كان أول رد فعل لويليام هو التفكير في هبيل روزنوفسكى وفندق البرون الجديد الذي أنشأه في بارت أفييرو والذي كان قد أصبح بالفعل لفندق المفضل لدى سكان نيويورك . كانت تقارير كوهين تشير إلى أن روزنوفسكى كان ينتقل من نجاح إلى نجاح وكان يزداد قوة بمرور الأيام بالرغم من أن أفكاره الجديدة بشأن التوسع في أوروبا كانت يجب أن ترجأ قليلا في ظل الوضع الراهن . لم يكن كوهين بمرور الوقت أيضا قد كشف عن أية علاقة مباشرة بين هنري أوسبورن وهابيل روزنوفسكى ولكنه أقر أنه أصبح من الصعب الإجابة عن كل التساؤلات التي كان يطرحها ويليام في هذا الصدد .

لم يدر بخلد ويليام يوما أن أمريكا يمكن أن تورط نفسها في حرب أوروبية أخرى ، ولكنه أبقى فرع بنك ليستر في لندن مفتوحا

لكي يؤكد من خلاله بوضوح إلى أي جانب ينتمي ، ولم يفكر للحظة في بيع الاثني عشر أكرا التي كان يملكها في هسبير ويكسون شاير . أما توني سيمونس في بوسطن فقد أخبر ويليام في المقابل أنه عازم على إغلاق فرع كين وكابوت في لندن . كان ويليام يستغل مشاكل فرع لندن كمبرر لزيارة مدينته المحبوبة بوسطن ولقاء توني . أصبح الرئيسان يلتقيان الآن في جو تسوده الراحة والصداقة بما أنه لم يعد ينظر أي منهما إلى الآخر باعتباره منافسا له . بل إن كلا منهما على العكس كان ينظر إلى صاحبة كمصدر للإلهام والأفكار الجديدة . وكما تنبأ توني فإن كين وكابوت خسرو بعض عملائه لأكثر أهمية برحيل ويليام إلى ليستر ، ولكن ويليام كان يحرص دائما على إخبار توني بكل التفاصيل عنده يصارحه أي عميل برغبته في نقل حسابه ولم يشجع أيًا منهم على ذلك . عندما جلس ويليام وتوني على إحدى الموائد الجانبية في لوك أوبر لتناول الغداء ، ذكر توني سيمونس لويليام أنه عازم على إغلاق فرع كين وكابوت في لندن

قال توني : " إن السبب الأول الذي دفعني إلى هذا التفكير بسيط . أعتقد أن البنك سوف يخسر المزيد من المال إن لم نقلل حجم الخصائر ونغادر إنجلترا " .

قال ويليام : " بالطبع سوف نفقد بعض المال ولكن يجب أن نساند الإنجليز " .

سأل توني : " لماذا ؟ نحن بنك ولنا ندى تشجيع " .
" إن بريطانيا ليست فريق ببسبول يا توني ، إنها أمة تضم شعبا ندين له بكل ميراثنا " .

قال توني : " دعك من السياسة ، لقد بدأت أشعر أنك قد فقدت كل مواهبك في الشؤون المصرفية ومع ذلك فإني أرى أن

هناك سببا أهم كثيرا يدفعنا إلى إغلاق فرع لندن . إن دخل هتلر بريطانيا بنفس الطريقة التي دخل بها فرنسا وبولندا وأنا واثق من أنه عازم على ذلك ، فإنه سيستول على البنك وأنا لست على استعداد لخسارة كل مليم نملكه في لندن "

قال ويليام : " لن يحدث . إن وضع هتلر قدمه فوق الأراضي البريطانية فإن أمريكا سوف تدخل الحرب في نفس اليوم " .

قال توني : " لن يحدث أبدا . لقد نفى الحزب الديمقراطي ذلك كما أن الشعب الأمريكي سوف يعلن رفضه التام "

قال ويليام : " إياك أن تصدق رجل سياسة وخاصة روزفلت . عندما يقول إن أمرا لن يحدث أبدا ، فقد يعنى بذلك اليوم فقط أو على الأقل ليس هذا الصباح . عليك فقط أن تتذكر ما قاله لنا ويلسون عام ١٩١٦ "

ضحك توني : " متى سترشح نفسك لمجلس الشيوخ يا ويليام ؟ " حسن ، هذا سؤال يمكنني أن أجيبك عنه بمنتهى الثقة الآن وهو أنني لن أرشح نفسي أبدا "

" إنني أحترم مشاعرتك يا ويليام ولكنني أريد أن أسأى بـالبنك عن كل هذا "

قال ويليام : " أنت الرئيس . إن حصلت على مساندة المجلس في هذا القرار ، يمكنك أن تغلق فرع البنك غدا ولن أستغل موقعي لكي أعارض قرار الأغلبية "

" إلى أن تدمج البنكين ويكون القرار قرارك " .

" لقد أخبرتك مرة يا توني أنني لن أقدم على ذلك إلى أن تنتهي فترة خدمتك في البنك "

" ولكنني أعتقد أننا ينبغي أن ندمج " .

قال ويليام وقد سكب الشراب على فراش المائدة غير مصدق لما سمعه : " ماذا ؟ يا إلهي ، سوف أقول لك شيئا واحدا فقط وهو أنك شخص لا يمكن توقع ما سوف يفعله " .

" إنني أضح مصلحة البنك دائما في الأولوية الأولى ، لقد كنت هكذا دائما يا ويليام . فكر في الوضع الحالي للحظة ، إن نيويورك الآن وأكثر من أي وقت مضى هي قلب أمريكا المالي وعندما يقتحم هتلر إنجلترا سوف تتحول إلى القلب المالي للعالم بأسره ، إن دمجنا سنكين سوف نشكر مؤسسة أكثر تكاملا وشمولية لأن تخصصات كل بنك تعتبر مكملة للبنك الآخر . فلقد حرص بنك كين وكابوت دائم على تقديم تحويل قوى لمجال صناعة السفن والصناعات الثقيلة وهو ما لم يفعله بنك ليستر إلا في نطاق محدود . وفي المقابل ، أنتم تعملون على نطاق واسع في المضاربة في البورصة وهو ما لا تقربه إلا ندر . باهيك عن أننا نملك في العديد من المدن مكاتب مزدوجة يمكن الاستغناء عنها "

تولّى ، وأوافقك الرأي في كل شيء قلته ولكنني مع ذلك أفضل البقاء في بريطانيا " .

" وهو ما يساند تماما ما أرمى إليه يا ويليام يمكننا عندها إغلاق فرع كين وكابوت في لندن ، ويمكنك في نفس الوقت أن تحتفظ بفرع ليستر هناك . وهذا يعنى أنه إن تعرضت لندن لأزق ، فلن يضرنا هذا كثيرا لأننا سوف نكون قد اندمجنا وبالتالي سوف نكون أقوى "

" ولكن كيف سيكون شعورك إن قلت لك إن القيود التي فرضها روزفلت على البنوك التجارية لن تسمح لنا بالعمل إلا من خلال ولاية واحدة ، وهذا الدمج لن ينجح إلا إن أدركنا العملية برمتها من نيويورك ، أي أن يوسطن لن تكون أكثر من مكتب قابض "

قال توني : " سوف أسألك . يمكنك أيضا أن تكتفى بالتمويل التجارى وتسقط الأعمال الاستثمارية " .

" كلا يا توني ، إن الحزب الديمقراطى جعل من المستحيل على رجب نزيه أن يقدم على الاثنين . وعلى أية حال فإن أبى كان يرى دائما أنك إما أن تقدم على خدمة مجموعة صغيرة من الأغنياء أو مجموعة كبيرة من الفقراء ، أى أن ليستر سوف يظل دائما يعمل فى مجال التمويل التجارى طالما بقيت أنا رئيسا للبنك ، ولكننا إن قررنا أن ندمج البنكين ، ألا ترى أن هناك مشاكل كبرى يمكن أن تحيق بنا ؟ " .

" القليل جدا من المشاكل والتي يمكن أن تخطأها بالنوايا الطيبة والعمل الجاد من كلا الجانبين . ومع ذلك ، يجب أن تفكر فى كل العواقب يا ويليام ، لأنك سوف تفقد بلا شك سيطرتك الشاملة على البنك الجديد لأنك سوف تفقد الأغلبية التي كنت تملكها للأسهم مما سوف يضعف من موقفك " .

" سوف أجازف بهذا مقابل أن أكون رئيسا لأكبر مؤسسة مالية فى أمريكا " .

عاد ويليام إلى نيويورك فى هذا المساء ، وهو مسرور من الحوار الذى دار بينه وبين توني وقرر عقد اجتماع لمجلس الإدارة لى طرح عليه عرض توني سيمونس . عندما وجد أن المجلس قد وافق على دمج البنكين مبدئيا ، أخبر كل مدير من مديري البنك أن يضع خطة شاملة تضم كل التفاصيل .

استغرق إعداد الخطة ثلاثة أشهر ، تقدم بعدها كل قسم بخبطته إلى مجلس الإدارة وقد توصل الجميع إلى نتيجة واحدة وهى أن

الدمج كن أمراً منطقياً تماماً لأن كل بنك يكمل البنك الآخر فى العديد من المجالات . باختلاف الفروع فى كل أنحاء أمريكا وفروع كل بنك فى أوروبا سوف تتسع دائرة نطاق عمل البنك ونشاطه بدرجة كبيرة . فضلا عن أن رئيس بنك ليستر كان يملك واحداً وخمسين بالمائة من بنك كين وكايوت مما يجعل دمج البنكين عبارة عن زواج سوف يخدم صالح البنكين . بل إن هناك بعض المديرين فى بنك ليستر الذين تساءلوا عن سبب تأخر ويليام فى الإقدام على ذلك من قبل . وقد رأى تيد ليتش أن تشارلز ليستر لا بد أنه كان يفكر فى هذا الأمر عندما اختار ويليام لرئاسة البنك .

استغرقت تفاصيل الدمج ما يقرب من عام كامل لتدارس كل التفاصيل وكان المحامون يعملون خلال هذه الفترة لإعداد كل الأوراق القانونية اللازمة . بعد تبادل الأسهم أصبح ويليام حاملاً لأكبر عدد من الأسهم وصل إلى ثمانية بالمائة من الشركة الجديدة وبذلك عين رئيساً ومديراً للبنك الجديد . بقي توني سيمونس فى بوسطن بصفته نائباً لرئيس مجلس الإدارة فى بوسطن بينما بقي تيد ليتش كنائب للبنك فى نيويورك . وقد أطلق على البنك التجارى الجديد اسم ليستر وكين وشركاه ، ولكن بقي معروف باسم بنك ليستر

قرر ويليام أن يعقد مؤتمراً صحفياً فى نيويورك للإعلان عن نجاح الدمج بين البنكين واختار يوم الاثنين الثامن من ديسمبر عام ١٩٤١ لى يحمل هذا النيا للدوائر المالية . ولكن المؤتمر الصحفى أُلغى لأنه فى صباح اليوم السابق كان اليابانيون قد هاجموا ميناء بيرل هاربور .

كان التقرير الصحفي قد أرسل عبر البريد إلى الصحف قبل أيام ولكن الصحف اسلية صباح الثلاثاء لم تخصص - وهو ما كان منطقيا في ظل هذه الظروف - سوى مساحة محدودة لإعلان الدمج . ولكن هذا القصور في التغطية الصحفية كن آخر ما شغل عقل ويليام وقتها .

لم يكن ويليام يعرف كيف ومتى سوف يخبر زوجته بأنه عازم على التطوع في الجيش . عندما سمعت كات بالنبأ أصابها الذعر بكل ما يمكن أن يعنيه هذا القرار وحاولت في الحال أن تثني ويليام عن قراره

سألته كات : " ما الذي تظن أنك يمكن أن تفعله أكثر مما عجز الملايين عن فعله ؟ "

قال ويليام : " لست واثقا . ولكن كل ما أنا واثق منه هو أنني يجب أن أفعل ما كان سيفعله أبى وجدى لو كانا في نفس مكاني " .

" كانا سيفعلان بلا شك ما يخدم مصلحة البنك " .
قال ويليام في حزم : " كلا . كانا سيفعلان ما يخدم مصلحة بلادنا " .

الجزء الخامس



١٩٤١ - ١٩٥٢

الفصل الرابع والعشرون



قرأ هابيل الموصوع الذى نشر حول دمج ليستر وكين وشركاه فى القسم المالى من جريدة شيكاغو تريبيون . بالرغم من أن معظم اساحة أفردت لتناول العواقب المحتملة لهجوم اليابانيين على ميناء بيرل هاربور ، كان يمكن أن يفوته هذا المقال المقتضب عن الدمج . لم يكن مصحوب بصورة قديمة لويليم كين . كانت الصورة قديمة إلى الحد الذى كان فيها ويليام يبدو بنفس الشكل الذى رآه به هابيل عندما قابله فى بوسطن منذ أكثر من عشر سنوات . لقد بدا كين فى الصورة بالطبع أصغر كثيرا من الوصف الذى أطلق عليه بأنه الرئيس اللامع لبنك ليستر وكين وشركاه الذى تشكل لتوه . ومن بين ما جاء فى المقال " إن البنك الجديد الذى جمع بين ليستر وشركاه فى نيويورك وكين وكابوت فى بوسطن اللذين يعتبران من أعرق المؤسسات البنكية يمكن أن يصيح واحدا من أهم المؤسسات المالية فى أمريكا . وكما أكدت جريدة التريبيون فإن الأسهم سوف

تكون محصورة في يد ما يقرب من عشرين شخصا من أصحاب الصلة أو الذين تربطهم علاقة وثيقة بالعائلتين "

سعد هابيل سعادة غامرة بهذه المعلومة التي أدرك من خلالها أن كين قد تخلى عن السيطرة التامة ، أخذ يقرأ المقال ثانية . حتى بالرغم من أن ويليام قد علا نجمه في العالم منذ أن أشهر كل منيف سيده في وجه الآخر ، إلا أن هذا هو ما حدث لهابيل أيضا ، ولكن بقي لديه حساب قديم يجب أن يسويه مع الرئيس الجديد لبنك لستر وكين .

كانت مجموعة البارون قد حققت أرباحا طائلة على مدى العقد الماضي مما مكن هابيل من تمديد ديونه للشخص الذي قدم له الدعم وفي نفس الوقت وفي بكل شروط الاتفاق الأساسي بينهما . وسرتم كان قد حصص على الملكية لكامله شركته خلال فترة عشر سنوات المنصوص عليها

بالرغم من أن هابيل كان قد أصبح زوجا أكثر اهتماما عن زوجته آنثى ، هذه الفترة . بما يرجع بدرجه كبيرة لعدم استعداد رافينا لمجاراة طموح زوجها ، فقد كان أبها رائعا . وبينما كانت زانها تتطلع لإنجاب طفل آخر يشغل وقت فراغها ، حثت هابيل على زيارة الطبيب . عندما أدرك هابيل - بعد أن عرف أنه مصاب بنقص في عدد الحيوانات المنوية نتيجة لسوء التغذية والمرض الذي تعرض له وهو صغير في سجون الألمان والروس - أن فلورنتينا سوف تظل ابنته الوحيدة ، تخلى عن أمه في إنجاب ولد وبدأ يقدق عليها كل شيء .

كانت شهرة هابيل في ذلك الوقت قد ذاعت في كل أنحاء أمريكا ، وكانت الصحافه تطلق عليه اسم " يارون شيكاغو " . لم

بعد دس يكتوثر بالسخرية التي تثار من وراء ظهره . كان وودك كوكسيفيتش قد وصل ولكن الأهم من ذلك هو أنه كان قد وصل ليبقى . كانت أرباح مجموعة القنادق الثلاثة عشر في العام المالي الأخير قد بلغت ما يقل قليلا عن مليون دولار ، ومع توافر فائض في رأس المال قرر هابيل أن الوقت قد حان لمزيد من التوسع . ثم جاء هجوم اليابانيين على منية بيرل هاربور .

منذ ذلك اليوم الأسود الذي انتفض فيه اليابانيون على الميناء في الأول من سبتمبر عام ١٩٣٩ ، كان النازيون قد اقتحموا بولندا وشيكو مع الروس في بريست ليتوفسك في وقت لاحق وقسموا ثلاثة وطنه فيما بينهم ، ومن وقتها كان هابيل يرسل بأموال طائلة إلى المنظمات الخيرية في بريطانيا لإنقاذ أعمال الإنقاذ والاعتراف في هذه الأم . كان هابيل قد خاض معركة شرسة داخل بحرب الديمقراطية وعلى مستوى الصحف أيضا لدفع أمريكا المحججه على اقبحم الحرب حتى إن كان سيمى ذلك عليها في ادعيت الياهن أن تساند الروس . ولكن جهوده بقيت بلا جدوى . إلا أن جاء يوم لأحد من شهر ديسمبر وأذاعت كل محطات الإذاعة تفاصيل الهجوم الشرس على أمة مسالمة وأدرك هابيل أن أمريكا لم يعد لها خيار آخر إلا دخول الحرب ، وفي الحادى عشر من ديسمبر استمع هابيل إلى الرئيس روزفلت وهو يعلن للأمة أن ألمانيا وإيطاليا أعلنتا الحرب على أمريكا . وبالرغم من أن هابيل كان قد عقد عزمه على الانضمام إلى الجيش ، فكان عليه أولا أن يدلى بتصريح شخصى خاص بحربه هو ولتحقيق هذه الغاية اتصل بكورتيس فنتون في بنك كونتيننتال تراست . على مر السنوات كانت ثقة هابيل في قدرة فنتون على الحكم السديد تزداد وتتوثق يوما بعد يوم ، حتى أنه أبقاه في مجلس إدارة مجموعة البارون

تكون محصورة في يد ما يقرب من عشرين شخصا من أصحاب الصلة أو الذين تربطهم علاقة وثيقة بالعائلتين "

سعد هابيل سعادة غامرة بهذه المعلومة التي أدرك من خلالها أن كين قد تخلى عن السيطرة التامة ، أخذ يقرأ المقال ثانية . حتى بالرغم من أن ويليام قد علا نجمه في العالم منذ أن أشهر كل منيف سيده في وجه الآخر ، إلا أن هذا هو ما حدث لهابيل أيضا ، ولكن بقي لديه حساب قديم يجب أن يسويه مع الرئيس الجديد لبنك لستر وكين .

كانت مجموعة البارون قد حققت أرباحا طائلة على مدى العقد الماضي مما مكن هابيل من تمديد ديونه للشخص الذي قدم له الدعم وفي نفس الوقت وفي بكل شروط الاتفاق الأساسي بينهما . وسرتم كان قد حصص على الملكية لكامله شركته خلال فترة عشر سنوات المنصوص عليها

بالرغم من أن هابيل كان قد أصبح زوجا أكثر اهتماما عن زوجته آنثى ، هذه الفترة . بما يرجع بدرجه كبيرة لعدم استعداد رافينا لمجاراة طموح زوجها ، فقد كان أبها رائعا . وبينما كانت زانها تتطلع لإنجاب طفل آخر يشغل وقت فراغها ، حثت هابيل على زيارة الطبيب . عندما أدرك هابيل - بعد أن عرف أنه مصاب بنقص في عدد الحيوانات المنوية نتيجة لسوء التغذية والمرض الذي تعرض له وهو صغير في سجون الألمان والروس - أن فلورنتينا سوف تظل ابنته الوحيدة ، تخلى عن أمه في إنجاب ولد وبدأ يقدق عليها كل شيء .

كانت شهرة هابيل في ذلك الوقت قد ذاعت في كل أنحاء أمريكا ، وكانت الصحافه تطلق عليه اسم " يارون شيكاغو " . لم

بعد دس يكتوثر بالسخرية التي تثار من وراء ظهره . كان وودك كوكسيفيتش قد وصل ولكن الأهم من ذلك هو أنه كان قد وصل ليبقى . كانت أرباح مجموعة القنادق الثلاثة عشر في العام المالي الأخير قد بلغت ما يقل قليلا عن مليون دولار ، ومع توافر فائض في رأس المال قرر هابيل أن الوقت قد حان لمزيد من التوسع . ثم جاء هجوم اليابانيين على منية بيرل هاربور .

منذ ذلك اليوم الأسود الذي انتفض فيه اليابانيون على الميناء في الأول من سبتمبر عام ١٩٣٩ ، كان النازيون قد اقتحموا بولندا وشيكو مع الروس في بريست ليتوفسك في وقت لاحق وقسموا ثلاثة وطنه فيما بينهم ، ومن وقتها كان هابيل يرسل بأموال طائلة إلى المنظمات الخيرية في بريطانيا لإنقاذ أعمال الإنقاذ والاعتراف في هذه الأم . كان هابيل قد خاض معركة شرسة داخل بحرب الديمقراطية وعلى مستوى الصحف أيضا لدفع أمريكا المحججه على اقبحم الحرب حتى إن كان سيمى ذلك عليها في ادعيت الياهن أن تساند الروس . ولكن جهوده بقيت بلا جدوى . إلا أن جاء يوم لأحد من شهر ديسمبر وأذاعت كل محطات الإذاعة تفاصيل الهجوم الشرس على أمة مسالمة وأدرك هابيل أن أمريكا لم يعد لها خيار آخر إلا دخول الحرب ، وفي الحادى عشر من ديسمبر استمع هابيل إلى الرئيس روزفلت وهو يعلن للأمة أن ألمانيا وإيطاليا أعلنتا الحرب على أمريكا . وبالرغم من أن هابيل كان قد عقد عزمه على الانضمام إلى الجيش ، فكان عليه أولا أن يدلى بتصريح شخصى خاص بحربه هو ولتحقيق هذه الغاية اتصل بكورتيس فنتون في بنك كونتيننتال تراست . على مر السنوات كانت ثقة هابيل في قدرة فنتون على الحكم السديد تزداد وتتوثق يوما بعد يوم ، حتى أنه أبقاه في مجلس إدارة مجموعة البارون

بالرغم من استحواذه على السيطرة الكاملة للمجموعة وذلك ليحافظ على العلاقة الوثيقة التي تربط بين مجموعة البارون وكونتينيانت تراست

رد كورتيس فنتون على هابيل في الطرف المقابل للهاتف ، ك :
كما هو حاله دائما مهذبا ورسميا .

سأله هابيل : " كم يبلغ الاحتياطي النقدي الذي تملكه المجموعة في حسابها ؟ " .

استخرج كورتيس فنتون الملف الذي يحمل اسم " الحساب رقم ٦ " وهو يتذكر الأيام التي كان السيد روزنوفسكي لا يملك فيها إلا ملغا واحدا ، ألقى نظرة على بعض الأرقام ثم قال :
" أقل قليلا من مليوني دولار " .

قال هابيل : " حسنا ، أريدك أن تبحث في أمر بنك قد تشكر حديثا تحت اسم ليستر وكين وشركاه . أريدك أن تعرف أسماء كل أصحاب الأسهم في بنك . ونسبة الأسهم التي يملكونها وإن كان لدى أي منهم تحت أي ظرف رغبة في بيع أسهمه . كل هذا يجب أن يتم دون علم رئيس البنك السيد ويليام كين ، وبدون أي ذكر لاسمي " .

كتم كورتيس فنتون أنفاسه ولم ينطق بكلمة . كان سعيدا بأن هابيل روزنوفسكي لن يتمكن من رؤية الدهشة على وجهه في ذلك الوقت . لم كان هابيل روزنوفسكي يريد أن يضع ماله في أي شيء ذي علاقة بويليام كين ؟ كان فنتون قد قرأ هو الآخر في جريدة الـ وول ستريت بشأن دمج بنكي العائلتين الشهيرتين . وكان على وشك أن يقاتله المقال هو الآخر بسبب أحداث الاعتداء على ميناء بيرمل هاربور والصراع الذي سببته له زوجته . ولكن طلب روزنوفسكي كان قد أنعش ذاكرته بوجود إرسال برفيقة تهنئة إلى

ويليام كين . دون ملحوظة في ملف مجموعة البارون وهو يستمع إلى تعليمات هابيل .

" عندما تحصل على التقرير كاملا أريدك أن تجمل لي ما توصلت إليه بشكل شخصي ، لا تدون شيئا كتابيا " .

" أملك يا سيد روزنوفسكي " .

قال كورتيس لنفسه : " أعتقد أن هناك شخصا ما يعرف ما يجري بين الرجلين ، ولكن - تيا - أنا لا أعرف شيئا " .

واصل هابيل حديثه : " أريدك أيضا أن تبحث لي تقريراً ربع سنوي عن كل التصريحات الرسمية الخاصة ببنك ليستر والشركات التي يتعامل معها " .

" بالطبع يا سيد روزنوفسكي " .

" أشكرك يا سيد فنتون . لقد نصحتني قسم التسويق بافتتاح فرع جديد لفندق البارون في مونتريال " .

" ألا تقلقك الحرب يا سيد روزنوفسكي ؟ " .

" يا الهي . كلا . إن وصل الألمان إلى مونتريال فسوف نغلق جميعا بما في ذلك الكونتينيانت تراست . على أية حال ، لقد هزمنا هؤلاء اللاعبين في المرة السابقة وسوف نلحق بهم الهزيمة ثانية . إن الفرق الوحيد بين هذه المرة والمرة السابقة هي أنني سوف أشارك في الحدث . طاب يومك يا سيد فنتون " .

كان كورتيس فنتون يتساءل وهو يضع ساعة الهاتف : " هل سيسمعي يوما أن أدرك ما يجري في عقل هابيل روزنوفسكي ؟ " ثم تحولت أفكاره إلى الطلب الآخر لهابيل ، الخاص بتفاصيل أسهم ليستر . كان هذا الأمر يثير قلقه بدرجة أكبر . بالرغم من أنه لم تعد هناك أية صلة تربط بين ويليام كين وروزنوفسكي ، أخذ فنتون يتساءل عما يمكن أن تؤول إليه الأمور إن حصل هابيل على عدد

يعتد به من الأسهم في ليستر . قرر فنتون أن يمتنع عن الإفصاح عن مخاوفه لروزنوفسكى في الوقت الراهن في انتظار اليوم الذى سوف يكشف فيه أى منهما عما كان يتطلع إليه .

كان هابيل أيضا يتساءل إن كان يجب أن يخبر كورتيس فنتون عن سبب رغبته في شراء أسهم في بنك ليستر ولكنه خلس إلى أنه كلما قل عدد الأشخاص الذين يعرفون ما هو عازم عليه كان ذلك أفضل .

تناسى هابيل ويليام كين مؤقتا وطلب من السكرتيرة أن تبحث عن جورج الذى كان قد عين مؤخرا نائبا لرئيس مجموعة البارون . كان جورج قد كبر مع هابيل وكان قد أصبح صديقه الصدوق . أخذ هابيل وهو جالس في مكتبه في الطابق الثانى والأربعين من الفندق ، يتأمل بحيرة متشجن التى كانت تعرف باسم الساحر الذهبى ثم عاد بفكره إلى بولندا . أخذ يسائل نفسه إن كان يمكن أن يطول به العمر إلى أن يرى قصره ثانية . واذى أصبح لآر داجر حذود الروس ورئيسهم ستالين . كان هابيل يدرك تماما أنه لو يعود يوما للاستعرا ولعيش في بولند ومع ذلك بقيت براودد الرعشة في إصلاح قصره . كانت فكرة أن الألمان أو الروس قد وضعوا أيديهم ثانية على قصره الرائع تدفعه إلى ... ولكن قطع مجيء جورج حبل أفكاره .

" كنت تريد أن ترانى يا هابيل ؟ "

كان جورج هو الرجل الوحيد في فندق البارون الذى كان ينادى هابيل باسمه الأول .

" نعم يا جورج ، هل تظن أنه بوسعك أن تدير مجموعة الفنادق بمفردك على مدى شهور قليلة قد أغيب خلالها ؟ "

قال جورج : " بالطبع أستطيع . ولكن لماذا ؟ هل قررت أخيرا أن تأخذ عطلة ؟ "

أجاب هابيل : " كلا ، سوف ألتحق بالحرب "

قال جورج : " ماذا ؟ ماذا ؟ " .

" سوف أذهب إلى نيويورك غدا صباحا لكى ألتطوع فى الجيش " .

" أنت مجنون ، سوف تقتل نفسك " .

أجاب هابيل : " لست عازما على ذلك . أنا عازم على قتل عدد من الألمان ، لقد أقلت منى هؤلاء اللقطاء فى المرة الأولى وليست لدى أية نية لكى أدهمهم يفلتوا فى هذه المرة " .

واصل جورج اعتراضه مبررا إياه بأن أمريكا سوف تكسب الحرب بدون جهود هابيل . أبدت زافيا هى الأخرى اعتراضها ، كانت تكره فكرة الحرب نفسها . أما فلورنتينا التى كانت تقترب وقتها من عامها الثامن فلم تكن تدرك تعديدا معنى كلمة حرب ، وكيف كن نفهم ن والده سوف يغييب لفترة طويلة جدا من الوقت فأجهشت بالبكاء .

بالرغم من جبهة الاعتراض سافر هابيل على متن أول طائرة متجهة إلى نيويورك فى اليوم التالي . بدت أمريكا وكأن الجميع بداخلها يتحركون فى أماكن مختلفة وشتى ، وجد هابيل المدينة زاخرة بالشباب الصغار الذين يرتدون الزى الكاكي والأزرق ، وحدهم جميع يودعون بأهم وروجتهم ومحبتهم والكس يؤكد وهو غير مصدق بأن الحرب سوف تنتهى فى غضون أسابيع قليلة .

وصل هابيل إلى فندق البارون فى نيويورك فى وقت العشاء . كانت قاعة الطعام زاخرة بالشباب والفتيات المشبهات بالجنود

والبحارة ورجال الطيران بينما كان فرانك سيناترا يغنى على أنغام الفرقة الموسيقية الشهيرة بقيادة تومى دورسى . بينما كان هابيل يتأمل هؤلاء الشباب الصغار وهم يتراقصون ، أخذ يتساءل كم منهم سوف تتاح له فرصة إحياء ليلة كهذه ثانية . لم يسمعه فى هذا الوقت إلا أن يتذكر حديث سامى الذى شرح له فيه كيف أصبح كبير ندى فى فندق بلازا . كان زملاؤه الثلاثة الأقدم منه فى العمل قد عادوا من الجبهة الغربية بساق واحدة فقط . لا أحد من الذين يرقصون الآن فوق الحلبة يملك أية فكرة أو تصور لحقيقة الحرب . لم يستطع أن يشارك فى الاحتفال إن جاز أن نسميه احتفالاً . وبدلاً من ذلك صعد إلى غرفته .

وفى الصباح ، ارتدى هابيل حلة سوداء وتوجه إلى مكتب التطوع فى ميدان تايمز . كان قد قرر أن يتطوع فى نيويورك حتى لا يتعرف أحد على هويته فى شيكاغو مما قد يجعلهم يقدمون على إبعاد عن جبهة الحرب ووضعه فى موقع مريح . كان مكتب التطوع أكثر زحاما من حلبة الرقص فى الليلة السابقة ولكن لم يكن هناك أى شخص متعلق بشخص آخر . لم يستطع هابيل أن يتجاهل أن الشباب الحاضر كان أكثر لياقة منه ، كان الصباح كله قد مر قبل أن يمنح هابيل وثيقة لكى يملأها ، وهى المهمة التى كان لا يمكن أن تستغرق أكثر من عشر دقائق فى مكتبه . ثم وقف بعدها فى صف لمدة أكثر من ساعتين فى انتظار إجراء مقابلة مع الضابط المسئول عن المتطوعين والذى سأله عن عمله .

قال هابيل : " إدارة الفنادق " ، ثم واصل حديثه بإخبار الضابط بكل التجارب التى اكتسبها أثناء الحرب الأولى . أخذ الضابط يتأمل فى رتبة الشخص المائل أمامه الذى يبلغ طوله خمس أقدام ووزنه ١٩٠ رطلا . لو كان هابيل قد أخبره أنه بارون

شيكاغو ، لما كان الضابط قد تشكك فى قصة السجن والهرب التى رواها له ، ولكن هابيل قرر أن يكتف هذه المعلومة حتى لا يحظى بأية معاملة خاصة .

كان كل ما قاله ضابط مكتب التطوع فى نهاية الحديث المنفرد الذى قام به هابيل : " يجب أن تجرى فحصاً بدنياً شاملاً غدا صباحاً " . ثم أضاف تعليقا شعر أنه أقل واجب يجب أن يقوم به " شكرا على تطوعك " .

وفى اليوم التالى انتظر هابيل لعدة ساعات أخرى للفحص البدنى . وقد قدم الطبيب الذى فحص هابيل تقريراً صريحا عن حالته العامة . كان هابيل قد تجنب مثل هذه التعليقات على مدى عدة سنوات بفضل وضعه ونجاحه . كان تصنيفه فى الدرجة الرابعة من درجات اللياقة بمثابة صدمة بالنسبة له .

" أنت مصاب بزيادة فى الوزن ، كما أن بصرك ضعيف . ومصاب بالعرج . بصراحة يا روزنوفسكى ، أنت غير لائق بالمرءة . لا يمكن أن نسوق إلى أرض المعركة رجالا يمكن أن يصايوا بنوبة قلبية حتى قبل لقاء العدو . ولكن هذا لا يعنى أنك لا يمكن أن تستغل مواهبك ، يمكنك أن تؤدى الكثير من الأعمال الكتابية فى الحرب إن كنت مهتم " .

شعر هابيل أنه يريد أن يضربه ، ولكنه كان يعلم أن هذا لن يجدى ولن يحقق له ما يريد .

قال هابيل : " كلا . أشكرك يا سيدى . أريد أن أحارب الألمان لا أن أرسل لهم خطايا " .

عاد هابيل إلى فندقه ليلتها حزينا محبطا إلى أن قرر أنه مازال أمامه أمل بعد . وفى اليوم التالى ، حاول ثانية وذهب إلى مكتب

تطوع آخر ولكنه عاد يجر أذيال الخيبة ثانية . كان الطبيب الثاني ربما أكثر أدبا من الطبيب الأول ولكنه كان واضحا تماما بشأن حالته ، ومرة أخرى حصل هابيل على استبعاد من الدرجة الرابعة . بدا من الواضح لهابيل أنه لن يسمح له بمقاتلة أحد وهو في حالته الصحية الراهنة .

وفي صباح اليوم التالي ؛ بحث هابيل عن مدرب لياقة إلى أن عثر عليه في شارع وست فينتي سفنت في إحدى صالات الألعاب الرياضية وبدأ يتلقى دروسا خاصة لللياقة البدنية . على مدى ثلاثة أشهر ؛ ظل يعمل ويبدل جهده يوميا لكي يقلل وزنه ويزيد لياقه الشخصية . كان يمارس رياضة الملاكمة والمصارعة والعدو والقفز ويحمل الأوزان ويجوع نفسه إلى أن انخفض وزنه إلى ١٥٥ رطلا وحتى أكد له مدربه أنه لا يمكن أن ينقص وزنه أكثر من ذلك و يحقق مستوى لياقة أعلى من ذلك . عاد هابيل إلى مكتب سطوح الأول وملأ نفس الوثيقة ثانية ولكنه كان أكثر تفاؤلا ~~بأنه~~ ^{بأنه} وأخير قرر الطبيب الذي أجرى له الفحص أنه يمكنه العودة ضمنيا للاحتياط .

قال هابيل : " ولكنني أريد أن أذهب إلى الحرب الآن . أريد أن أحارب هؤلاء الأوغاد "

قال الضابط : " سوف نتصل بك يا سيد كوسكيبتر من فضلك حافظ على لياقتك ، ربما نحتاج إليك في أي وقت " .

شعر هابيل بالحق عندما أخذ يشاهد الشباب الأمريكي الأصغر سدا وأكثر لياقة وهم يمشون بسهولة في مكتب التطوع للمشاركة في الحروب الحية . وبينما كان يشق طريقه عبر الباب ؛ غير واثق من خطته التالية ؛ سار مباشرة نحو رجل نحيف ومقرط الطول يرتدي زيا مزينا بالنجوم على الكتف .

" آسف يا سيدي " قالها هابيل ثم رفع نظره وسار في طريقه .

قال الجنرال : " أيها الشاب الصغير .. "

واصل هابيل سيره ولم يدر بخلده أنه يمكن أن يكون هو الشخص المقصود بهذا النداء ؛ لم يكن أحد قد ناداه من قبل بهذا الاسم ؛ منذ وقت بعيد لا يستطيع تذكره ؛ بالرغم من أنه كان مازال في الخامسة والثلاثين .

حاول الجنرال ثانية بصوت أعلى : " أيها الشاب الصغير "

في هذه المرة استدار هابيل وقال : " أنا يا سيدي ؟ "

" نعم أنت يا سيدي "

سار هابيل نحو الجنرال .

" هلا حضرة ^٢ إلى مكتبي من فضلك يا سيد روزنوفسكي ؟ "

ول هابيل لنفسه : " اللعنة . إن الرجل يعرف حقيقة أمري ولن يسمح لي أحد الآن أن أشارك في الحرب " . كان مكتب الضابط مؤقت يقع في الجزء الخلفي من المبنى ؛ كان عبارة عن غرفة صغيرة مزودة بمكتب وكريسيين من الخشب وطلاء أخضر وباب مفتوح . لم يكن هابيل ليسمح حتى لأقل موظف عنده في فندق البارون أن يعمل في ظل ظروف كهذه .

بدأ الجنرال حديثه وهو يموج بالحيرة : " سيد روزنوفسكي ، اسمي مارك كلارك وأنا أقود الجيش الخامس للولايات المتحدة . ولقد جئت من جزر جفرنرز اليوم في جولة تفتيش ولقائى بك اليوم مصادفة كان من دواعي سروري . لقد كنت معجبا بك منذ فترة طويلة . إن قصتك قصة تسعد قلب أي أمريكي . والآن ؛ أخبرني بما تفعله في مكتب التطوع "

قال هايبيل بدون تفكير : " ما الذى تظن أنى أفعله ؟ أنا آسف يا سيدى لم أقصد أن أكون فظا وإني كنت أريد فقط أن تسمح لي بأن أشارك في هذه الحرب اللعينة " .
سأله الجنرال : " ما الذى تريد أن تفعله فى هذه الحرب اللعينة ؟ "

" أريد أن أحارب الألمان "

سأله الجنرال فى ارتياب : " كضابط مشاة ؟ "

قال هايبيل : " نعم . ألا تريد أن تحصل على أكبر عدد من الرجال ؟ "

قال الجنرال : " بالطبع ولكننى يمكن أن أوظف مواهبك الخاصة فى استخدام يفوق كثيرا ضابط المشاة " .

قال هايبيل : " سوف أفعل أى شيء " .

قال الجنرال : " هل ستقبل بأن تفعل أى شيء حقاً ؟ أى شيء ؟ فإن طلبت منك أن تضع فندق بارون نيويورك تحت تصرف قيادة الجيش هنا ، فكيف سيكون رد فعلك ؟ لأنه بصراحة يا سيد روزنوفسكى ، سوف يكون هذا أكثر جدوى بالنسبة لنا من أن تنجح فى قتل عشرة جنود ألمان ؟ "

قال هايبيل : " هو لك . والآن هل ستسمح لي بالانضمام إلى الحرب ؟ "

قال الجنرال كلارك : " تعلم أنك مجنون ؟ أليس كذلك ؟ "

قال هايبيل وضحك الرجلان : " أنا بولتدى " وواصل هايبيل حديثه بعد أن اكتسب حديثه ثانية نبرة جادة : " لقد ولدت بجوار سلونيم فى يولندا . رأيت بيتى والألمان يسطون عليه وأختى وهى تتعصب على يد الروس . ثم هربت بعدها من معسكرات التعذيب

فى روسيا إلى أن أسمعنى الحظ ووصلت إلى أمريكا . أنا لست مجنوناً . هذا هو البلد الوحيد فى العالم الذى يمكن أن تصل إليه وأنت معدم ثم تصبح مليونيراً ببذل الجهد والعمل الجاد بغض النظر عن الثقافة التى تنتمى إليها . والآن هؤلاء الأوغاد يريدون حرباً ثانية . أنا لست مجنوناً أيها الجنرال وإنما أنا بشر " .

" حسناً ، إن كنت متحمساً إلى هذا الحد للانضمام إلى الجيش يا سيد روزنوفسكى ، فيمكننى أن أساعدك للانضمام إلينا للاستفادة منك ولكن ليس بالطريقة التى تتصورها . الجنرال ديميرز بحاجة إلى شخص يوليه مسئولية إمداد وتكوين الجيش الخامس وهو يحارب فى الجبهة الأمامية . إن كنت تعتقد أن نابليون كان محقاً عندما قال إن الجيش يزحف على معدته ، فيمكنك أن تلعب دوراً حيوياً . سوف تحصل على رتبة رائد إن توليت هذا العمل . هذه هى إحدى الطرق التى يمكنك بها بلا شك أن تساعد أمريكا على كسب الحرب . ما رأيك ؟ "

" أقبل يا سيدى الجنرال "

" أشكرك يا سيد روزنوفسكى " .

ضغط الجنرال على زر الجرس الكهربائى فوق مكتبه ، فجاء ملازم شاب صغير السن وحياء بمنتهى الجدية .

" أيها ملازم ، اصحب الرائد روزنوفسكى إلى شئون العاملين ثم أعدّه إلى " .

" أمرك يا سيدى " ثم استدار الملازم جهة هايبيل وقال :

" هلا ... تفضل من هنا أيها الرائد ؟ "

سار هايبيل خلف الملازم واستدار عندما وصل إلى الباب وقال :

" أشكرك يا جنرال " .

قضى هاييل عطلة نهاية الأسبوع في شيكاغو مع زافيا وفلورنتينا . ثم سألت زافيا عما يجب أن تفعله في حله الخمس عشرة .

أجاب هاييل متسائلاً عن معنى سؤالها : " احتفظي بهم . إنني لن أموت في الحرب " .

قالت : " أنا واثقة من ذلك يا هاييل ، ليس هذا ما يقلقني ، ولكن مقاسها أصبح كبيراً جداً بالنسبة لك الآن " .

ضحك هاييل وأخذ الحبل وتبرع بها لمركز إغاثة اللاجئين البولنديين . ثم عاد إلى نيويورك وتوجه إلى فندق البارون وألقى قائمة الحجزات المسبقة ، وبعد اثني عشر يوماً سلم المبنى إلى لجيش الأمريكي الخامس . أخذت الصحافة تشيد بقرار هاييل باعتباره " إيثاراً وتضحية " من رجل كان لاجئاً في الحرب العالمية الأولى .

مضت ثلاثة أشهر أخرى حتى طلب هاييل لتولي مهام عمله الجديد في الجيش ، قضاها هاييل في تنظيم الإدارة بشكل انشائي داخل فندق بارون نيويورك تحت قيادة الجنرال كلارك ثم التحق بعدها بقلعة فورت بينينج لاستكمال برنامج تدريب الضباط . عندما تلقى أخيراً الأوامر بالانضمام إلى الجنرال ديميرز في الجيش الخامس ، وجد أنه سوف يتوجه إلى مكان ما في شمال إفريقيا . بدأ هاييل يتساءل إن كان سيذهب يوماً ما إلى ألمانيا .

في اليوم الذي سبق رحيل هاييل ، كتب وصية طلب فيها من منفذ الوصية أن يسلموا مجموعة البارون إلى ديفيز مكستون بشروط مناسبة إذا ما قتل في الحرب . وقسم باقي ممتلكاته بين زافيا وفلورنتينا . كانت هذه هي المرة الأولى التي يفكر فيها في الموت منذ

عشرين عاماً ، ليس لأنه كان يعرف كيف يمكن أن يتعرض للموت وهو مشرف على المقصف الخاص بالجيش .

وأثناء إبحار السفينة من ميناء نيويورك - حدق هاييل في تمثال الحرية . وتذكر حينها كيف انتابه نفس الشعور عند رؤية التمثال للمرة الأولى في حياته منذ ما يقرب من عشرين عاماً . ما إن تخطت السفينة التمثال ؛ لم ينتظر هاييل إليه ثانية وإنما قل : " في المرة التالية التي سوف أراك فيها سوف تكون أمريكا قد انتصرت في الحرب " .

عبر هاييل المحيط الأطلسي ، وقد صاحب معه اثنين من كبار الطهاة وخمسة أفراد آخرين من العاملين في المطبخ والذين كانوا قد تطوعوا في الحرب . رست السفينة في الجزائر في الأول من فبراير عام ١٩٤٣ . قضى هاييل ما يقرب من عام كامل في هذا الجو الساخن والتراب ورمال الصحراء حرصاً خلالها على إطعام كل فرد من أفراد الفرقة العسكرية بأفضل ما يمكن .

كان تعليق الجنرال كلارك : " نحن لا نتناول طعاماً جيداً ولكننا نتناول طعاماً أفضل قليلاً من أي شخص آخر " .

تولى هاييل إدارة الفندق الجيد الوحيد في الجزائر وأحال المبنى إلى مركز قيادة للجنرال كلارك . بالرغم من أن هاييل كان يدرك أنه يلعب دوراً مهماً في الحرب ، فقد كان يتوق إلى المشاركة في حرب حقيقية ، ولكن الرائد المسئول عن الإمداد والتموين كان نادراً ما يزوج به في الخط الأمامي للجبهة إلا لإطعام الجنود .

كتب خطاباً إلى زافيا وجورج وأخذ يتابع ابتقه فلورنتينا وهي تكبر عن طريق الصور الفوتوغرافية . وتلقى ذات مرة خطاباً من كورتيس فنتون أخيه فيه بأن مجموعة البارون قد حققت ربحاً أكبر ، كانت كل الفنادق في الولايات المتحدة محتلة عن آخرها

بسبب الحركة الدائمة للفرق العسكرية والمدنيين . وقد حزن هابيل لانه لم يحضر احتفال افتتاح فرع الفندق قى مونتريال حيث مثله جورج . كانت هذه هي المرة الأولى التي غاب فيها عن افتتاح أحد فروع الفندق ولكن جورج راسله مؤكدا على مدى ما أحرزه الفرع الجديد من نجاح . بدأ هابيل يدرك إلى أي مدى شارك قى عمار امريكا وإلى أي مدى يود العودة إلى الأرض التي يعتبرها الآن وطنه . وسرعان ما بدأ هابيل يسأم أفريقيا والفوضى التي كانت تعج فيها والحبوب الطهيية واللآءات والحشرات . كانت هناك بعض المشاحنات الدائرة في الصحراء الغربية أو هكذا أكد له بعض الجنود العائدون من الجبهة ولكنه لم يشهد أي قتال حقيقي بالرغم من أنه عندما يحمل الطعام إلى الجبهة كان كثير ما يسمع إطلاق لنبيرن مما كان يزيد من حنقه . وفي أحد الأيام ولسعاده ، تقرر إرسال الجيش لخامس تحت قيادة الجنرال كلارن إلى جيمسبى أوروبا . أخذ هابيل يتطلع إلى رؤية بولندا ثانية .

استقر الجيش الخامس الأمريكى على الساحل الإيطالى بواسطة المركبت بيرمانيه وفام ابطيرار بسوفير غطاء جوى واجهيميم مقومة شرسة . أولا فى أنزيو ثم فى مونت كرينو ولكن هابيل لم يقترب من المعارك حتى بدأ يخشى أن تنتهى الحرب بدون أن يشهد معركة واحدة . ولكنه لم يكن يفوت طائفة يمكن أن نقله إلى مكان القتال . لم تتحسن فرصة هابيل فى المشاركة فى المعركة عندما رقى إلى رتبة مقدم وأرسل إلى لندن فى انتظار الأوامر التالية .

بدأ الهجوم العظيم يحتاج أوروبا . سار الحلفاء إلى فرنسا وحرروا باريس فى الخامس والعشرين من أغسطس عام ١٩٤٤ . بينما كان هابيل يسير مع الأمريكيين والجنود الفرنسيين المحررين

فى حدائق الشانزليزيه خلف الجنرال دي جول مرحبين بالهطل ، درس هابيل جيدا المدينة التي كانت مازالت رائعة ، وحدد المكان الذى سوف يبني فيه أول فندق من فنادق البارون فى فرنسا .

سار الحلفاء عبر الجزء الشمالى من فرنسا وعبر الحدود الألمانية فى رحلتهم الأخيرة نحو برلين . وقد عين هابيل فى الجيش الأول تحت قيادة الجنرال أومار برادلى . كان الطعام يصلهم فى الأساس من إنجلترا حيث كانت الإمدادات المحلية شبه معدومة ، لأن كل مدن والبلدان التي كان يص إلىها الحلفاء كانت قد عرضت بالفعل للدمار على يد الألمان أثناء انسحابهم . عندما كان هابيل يصل إلى أية مدينة جديدة ، كان يستغرق فقط بضع ساعات قليلة يجمع خلالها فى استكمال كل ما بقى من مستلزمات الطعام قبل أن تنجح أى قيادة أمريكية أخرى فى العثور على مصدر لجلب الطعام . كان الصبب لأمريكيون والإنجليز يجدون دائما سعادة بالغة فى تناول لعشاء مع فريق مدرعات التسع متسربين عن سر قدرة هذا الفريق على العثور على مشر هذه لمؤن الغذائية الممتازة . وفى إحدى المرات عندما دعى الجنرال جورج إس باتون لتناول العشاء مع الجنرال برادلى ، تعرف هابيل على باتون الشهير الذى كان يقود فرقه دائما فى المعارك شامرا مسدسه ذى الزناد العاجى اللامع . قال باتون : " إنها أفضل وجبة تناولتها طوال هذه الحرب اللعينة " .

وبحلول فبراير عام ١٩٤٥ ، كان هابيل قد اقترب من ثلاث سنوات قضاها فى خدمة الجيش وكان يعلم وقتها أن الحرب سوف تنتهى فى غضون أشهر . كان الجنرال برادلى يحرص دائما على إرسال بطاقات تهنئة له وبعض النياشين ليزين بها زيه العسكرى ،

ولكن كل هذا لم يجد مع هابيل . أخذ هابيل يتوسل إلى الجنرال أن يسمح له بالمشاركة ولو في معركة واحدة ولكن يودل لم يكن يوافق على طلبه .

بالرغم من أن مهمة نقل شاحنات الطعام إلى الخطوط الأمامية وتنظيف مخلفاته كانت مهمة الضباط الأصغر سناً ، فقد حرص هابيل على تحمل هذه المسؤولية بنفسه . وكما كان دأبه في إدارة فنادقه ، كان هابيل يحرص دائماً على إخفاء تحركاته عن كل العاملين معه ، كانوا يجهلون دائماً متى وأين سوف يحل في المرة التالية .

كانت النقالات مغطاة بسلامات قد سدفت متولية سلا انقطاع في المعسكر في ذلك اليوم من أيام شهر مارس . مد دفع هابيل و إنداء نظرة بنفسه على ما كان يجري في الخبئة عندما وصل الإمبر . في حد عدم قدرته على تحدر ما يجري . حشد ديس رجاله وأعد بنفسه الشاحنات الأربع عشرة المخصصة للطعام . ثم سحب معه ملازماً ورفيقاً وعريقتين وثمانية وعشرين عسكرياً .

كان التحرك بالشاحنات والتقدم بها إلى الأمام بالرغم من أن الجبهة كانت على بعد عشرين ميلاً فقط ، تحركوا شاقاً وبطيئاً ، في صباح ذلك اليوم تولى هابيل قيادة الشاحنة الأولى . مما أشعره قليلاً أنه مثل الجنرال باتون ، وقاد الشاحنات عبر الأمطار الكثيفة والطين اللزج السميك وكان عليه أن ينحى نفسه إلى جانب الطريق بشكل متكرر لكي يسمح بمرور سيارات الإسعاف وهي عائدة من أرض الجبهة . كانت الإصابات تحتل الأولوية عن المعدات . تمنى هابيل أن تكون معظمها إصابات ولكن لم تكن الحال كذلك وإنما

كان قلما يعثر على أية إيماءة أو إشارة من جانب المصاب تدل على استمرار بقائه على قيد الحياة . بدأ من الواضح لهابيل مع تقدمه إلى الأمام أن هناك حدثاً جليلاً يدور في أرض المعركة بالقرب من ريماجين حتى أنه بدأ يسمع دقات قلبه وهي تتسارع . لقد شعر على نحو ما أنه سوف يشارك هذه المرة في المعركة .

عندما وصل أخيراً إلى موقع القيادة سمع نيران العدو على بعد مسافة قريبة وبدأ يندق ساقه في غضب وهو يشاهد النقالات وهي تعود محملة بالجثث والمصابين من مكان مجهول لم يكن يعلمه . كان ديس قد سخم حبه به يجرى على أرض المعركة الحقيقية إنه كان يشعر أن أي قارئ لجريدة نيويورك تايمز يعرف عن الحرب أكثر مما يعرف هو .

وقف هابيل شاحنته بجانب المطبخ الميداني وقفز من داخلها وهو يحنى نفسه من الأمطار الثقيلة شاعراً بالخجل لكون غيره على بعد بضعة أميال يحمون أنفسهم من وهل الرصاص . بدأ يشرف على إزال ١٠٠ جثث من الحساء وص من اللحم ابتقرى و ٢٠٠ دجاجة ونصف طن من الزبد وثلاثة أطنان من البطاطس و ١٠٠ طن من الحبوب المعلية وعدد من جريات الطوارئ لكل ذاهب أو عائد من الجبهة . عندما وصل هابيل إلى الخيمة التي كانت تعج بالقوضى ، وجدها زاخرة بالوائد الطويلة والمقاعد الفارغة . ترك كبيرى الطهاة يعدان الطعام وطلب من العمال الشروع في تشيير البطاطس التي بلغ عددها ألف ثمرة بينما سار هو بحثاً عن القائد المسئول .

سار هابيل مباشرة نحو خيمة قائد اللواء الجنرال جون ليونارد لكي يعرف منه ما يجري بينما يتواصل مرور النقالات بجواره حاملة

الجنود الذين كانوا على وشك لفظ أنفاسهم الأخيرة كانت
الاصابات الخطيرة والأجساد الممزقة يمكن أن تشير غثيان
في الظروف العادية ، ولكنها بدت عادية طبيعية في
جين . بينما كان هابيل على وشك دخول الخيمة ، كان
ال ليونارد مصحوبا بمساعده يهرعان خارجين منها . أخذ
ث مع هابيل أثناء مواصلة السير .

ما الذي يمكن أن أسديه من أجلك أيها المقدم ؟
لقد بدأت أعد الطعام للمحاربين حسب الأوامر يا سيدى .

٢
لا تشغل بالك بالطعام الآن أيها المقدم مع سزوغ فجر اليوم
ف الملازم بوروز من الجيش التاسع جسرا يحمل طريق سكة
ية يصلح للاستخدام في شمال ريماجين ، إنه جسر لودندورف
صدرت أوامرى بوجوب عبور الجسر في الحال وبذل كل جهد
نحتل الجزء الشرقى من النهر . كان الألمان قد نجحوا إلى الآن
فجبر كل جسر على نهر الراين قبل أن نصل إليه ، لا يمكن
بقى هنا في انتظار الطعام إلى أن ينجح الألمان في هدم هذا
جسر أيضا ؟

سأله هابيل : " هل نجح الجيش التاسع في عبور الجسر ؟ "
جاء الجنرال " بالطبع نجح . ولكنه لاقى مقاومة شرسة
ا وصل إلى الغاية في الجانب البعيد . لقد سقطت الكتيبة الأولى
ميين ويعلم الله وحده كم جندياً خسرت هناك . يجدر بك الآن
المقدم أن تحزم هذا الطعام لأن هدفى الوحيد الآن هو أن أنقذ
عدد ممكن من رجالى "

قال هابيل : " هل هناك شيء يمكن أن أقوم به للمساعدة ؟ "

توقف الفاند عن السير للحظة وتأمل المقدم السمين . " كم معك
من الرجال تحت قهاتك المباشرة ؟ "

" معى ملازم ورقيب وغريقان وثمانية وعشرون جنديا أى ثلاثة
وثلاثون بمن فيهم أنا يا سيدى . "

" حسن . انصر بالمستشفى الميدانى بالتنسيق مع رجالك وانتقل
أكبر عدد من الجثث والمصابين يمكنك أن تصل إليهم . "

قال هابيل : " أمرك يا سيدى " وبدأ يركض عائدا إلى المطبخ
اميدانى حيث وجد رجاله يجلسون فى أحد الأركان يدخنون . لم
يلحظ أي منهم دخول هابيل إلى الخيمة .

" انهضوا أيها الكسالى ، أمامنا عمل جاد يجب أن ننجزه ،
على سبيل التغيير . "

نظر إليه الرجال الاثنان وثلاثون فى انتباه تام .
صاح هابيل : " اتبعونى سريعا . "

ثم استدار وبدأ يعدو ثانية ، ولكن فى هذه المرة فى اتجاه
المستشفى الميدانى . بينما كان الطبيب الشاب يصدر بعض
الإرشادات إلى المحندين المنطوعين لإسعافات الأولية ، وصل هابيل
ورجاله وقد انقطعت أنفاسهم عند مدخل الخيمة .

قال الطبيب : " هل يمكننى مساعدتك يا سيدى ؟ "

قال هابيل : " كلا بل أتمنى أن أخدمك أنا . معى اثنان
وثلاثون رجلا هنا وقد أمرنا الجنرال ليونارد بأن ننضم إلى
مجموعتكم " كانت هذه هى المرة الأولى التى يسمع فيها رجال
هابيل بهذا الأمر .

نظر الطبيب : فى إعجاب إلى المقدم : " تمام يا سيدى "

قال هابيل : " لا تنادني بسيدي . نحن هنا لكي نمد لكم يد المساعدة "

قال الطبيب ثانية : " تمام يا سيدي "

ثم أعطى هابيل بعض شارات الطب الحربى فبدأ الطهارة وعاملو المطبخ ومقشرو البطاطس يضعونها وهم يستمعون إلى إرشادات الطبيب . ذكر لهم الطبيب بعض التفاصيل الخاصة بالتحرك داخل الغابة عبر جسر لودندورف .

واصل الطبيب حديثه : " لقد منى الجيش التاسع بإصابات بالغة . سوف يبقى الجنود من أصحاب الخبرة الطبية فى أرض المعركة بينما سوف ينقل الباقون إلى هنا أكبر عدد ممكن من المصابين "

شعر هابيل بسعادة غامرة لأنه سوف يلعب دورا إيجابيا أخيرا فى المعركة . ثم أعطى الطبيب الذى أصبح وقتها مسئولاً عن فريق مؤلف من تسعة وأربعين رجلا ثماني عشرة نقالة إلى فريق العمل ومنح كلا منهم حقيبة طبية كاملة . كان هابيل يسير على بعد ياردة واحدة خلفه . بدأوا يمشون وهم يتقدمون عبر الطين والأمطار ثم توقفوا عن الفناء عندما وصلوا إلى الجسر وأخذت النقالات تتوالى لواحدة تلو الأخرى على مرمى منهم والتي كانت تحمل بما لا يدع مجالا للشك أجسادا توقفت فيها الحياة . سار الجميع فى صمت عبر الجسر فى صف واحد بجوار شريط القطار ، حيث شهدوا آثار التفجير الألماني الذى عجز عن تدمير الجسر . وفى تحركهم صوب الغابة بدأت أصوات النيران تقترب منهم ، وشعر هابيل بإثارة بالغة وهو يقترب من العدو وخاف مما يمكن أن يلحق برجاله على يد العدو . كانت صرخات الألم تتوالى من قبل الجنود الذين كانوا

يظنون حتى هذا اليوم أن الحرب كانت قد أوشكت على الانتهاء ..

أخذ هابيل يراقب الطبيب الشاب وهو يتوقف مرارا وتكرارا : ليبدل أقصى ما فى وسعه لإنقاذ كل شخص . وأحيانا كان عندما يشعر أنه ليس هناك بصيص من الأمل فى إسعاف رجل مصاب ، يبادر بقتله سريعا رحمة به . كان هابيل يجرى من جندى إلى آخر ، ويحمل فوق النقالة كل جندى عاجز عن مساعدة نفسه ويشرف على نقل المصابين إلى جسر لودندورف . ومع حلول الوقت الذى وصلت فيه المجموعة إلى حافة الغابة كان الطبيب وأحد مقشرو البطاطس وهابيل فقط هم الذين بقوا خارج اللعبة ، أما الآخرون فكانوا يحملون جثثا لوتى أو مصابين لكي يعودوا بهم إلى مستشفى

عندما اقتحم ثلاثتهم الغابة ، سمعوا أصوات الطلقات النارية وقد ازدادت اقترابا منهم . واستطاع هابيل أن يرى مدفعا بين العشب وهو مازال مصوبا نحو الجسر ولكنه قد دمر إلى حد يفوق الإصلاح . ثم سمع عددا من الطلقات النارية المتوالية والتي كانت عالية الصوت إلى الحد الذى جعل هابيل يدرك للمرة الأولى أن العدو على بعد بضعة مئات من الياردات فقط منه . ثم انحنى هابيل على ركبة واحدة فى حالة ترقب وقد أنصت بكل حواسه إلى أصوات الصباح من حوله . ثم فجأة تفجرت مجموعة أخرى من الطلقات نارية أمامه . قفز هابيل وأخذ يمدو إلى الأمام وقد سار الطبيب ومقشرو البطاطس وراه فى تردد . أخذوا يركضون على مدى مائة ياردة أخرى ، إلى أن وصلوا إلى ثغرات من العشب الأخضر المغطاة بالزعران وأجساد الجنود الأمريكيين . أخذ هابيل والطبيب يمدوان من جسد إلى آخر ثم " لا بد أنها كانت مذبحة " صاح هابيل بذلك

فى غضب وهو يسمع النيران وهى تتسحب . لم يعلق الطبيب بكلمة ، فقد كان يصيح على مدى ثلاثة أعوام .

كان كل ما قاله : " لا تشغل بالك بالموتى . فقط ابحث عن أى شخص مازال على قيد الحياة " .

صاح هابيل وهو يجثو على ركبتيه بجوار رقيب ممدد وسط الوحل : " هنا " . كان قد فقد عينيه . وضع هابيل قطعتين من الشاش داخل الفجوتين وانتظر فى نفاذ صبر .

قال الطبيب بدون أن يلقى نظرة ثانية على الرجل : " إنه ميت أيها المقدم " . جرى هابيل نحو الجسد التالى ثم الثالث ولكنه كان يصل دائما إلى نفس النتيجة ، كان مشهد رأس مصاب بإصابات بالغة هو المشهد الوحيد الذى استوقف هابيل وسط كل هذه الجثث . أخذ ينظر إلى هذا الرأس بنظرة حريئة بائسة . أخذ يكرر مثل طفر صغير بعض الكلمات التى كان قد حفظها عن البارون تسوف . نعم الدماء والدمار والويلات وسوف تسود إلى الحد الذى سيدفع الأدميات إلى التسم وهو يحملن أجساد أنثهن لمزقة من وطأة الحروب " ، ثم صاح وهو فى حالة هياج : " ألا تتغير الأمور أبدا ؟ "

قال الطبيب : " إنها أرض المعركة " .

عندما تفقد هابيل الثلاثين - أم أنهم كانوا أربعين - رجلا . استدار ثانية نحو الطبيب الذى كان يحاول أن ينقذ حياة قائد كان رأسه باستثناء عينيه المغمضة وفمه مغطى بالضمادات الفارقة فى الدماء . وقف هابيل بجوار الطبيب يشاهده فى يأس وهو يقرأ ما كان مدونا على كتفه - الفرقة التاسعة مدرعات - وتذكر كلمات الجنرال ليونارد : " يعلم الله وحده كم فقدنا من الرجال " . قال هابيل : " هؤلاء الألمان الأوغاد " .

قال الطبيب : " نعم يا سيدى " .

سأل هابيل : " هل لقي حتفه ؟ "

أجاب الطبيب بشكل تلقائى : " ربما ، ولكنه فقد الكثير من الدماء وقد تكون وفاته مسألة وقت " . ثم رفع رأسه وقال : " لم يعد هناك شئ يمكنك أن تقوم به هنا أيها المقدم . لم لا تحمل هذا الرجل إلى المستشفى الميدانى . قد تكون لديه فرصة للنجاة . وأعلم قائد القاعدة بأننى عازم على المواصلة ودعه يرسل لى كل رجل يمكنه أن يستغنى عنه " .

قال هابيل : " أمرك يا سيدى " وساعد الطبيب فى رفع القائد بعناية فوق النقالة . سار هابيل ومقشر البطاطس بيظه عائدين إلى المعسكر . كان الطبيب قد حذره من أن أى حركة مفاجئة للنقالة يمكن أن تجعل الرجل يفقد المزيد من الدماء . لم يسمح هابيل لمقشر البطاطس أن يتريح ولو لدقيقة واحدة على مدى الطريق الذى كان طوله يبلغ مئتين كاملين إلى أن وصلا إلى المستشفى . كان يريد أن يمس القائد كل فرصة بقيت أمامه لكى ينجو بحياته . ثم كان عليهما بعد ذلك أن يعودا إلى الطبيب فى الغابة .

على مدى أكثر من ساعة . ضلا يتعثران فى الوحل والمطر وشعر هابيل أنه واثق من أن القائد قد توفى . ولكنهم عندما وصلوا فى النهاية إلى المستشفى الميدانى ، كان الإنهاك قد بلغ مبلغه منهما وهما يضعان النقالة بين يدي الفريق الطبي الم علاج .

عندما نقل الطبيب بيظه الجسد المصاب ، فتح عينيه غير المغطاة وركز بصره على هابيل . حاول أن يرفع ذراعه . سلم عليه هابيل وكان سيقفز فرحا عندما رآه يفتح عينه ويحرك يده . لكم دعا الله أن يبقيه على قيد الحياة .

خرج هابيل راكضا من المستشفى وقد اعتراه حماس للمودة إلى الغابة مع زمرة الرجال ؛ عندما أوقفه ضابط الخدمة قائلا :
 " أيها المقدم ؛ لقد كنت أبحت عنك في كل مكان . هناك أكثر من ثلاثمائة رجل بحاجة إلى طعام . يا إلهي أين كنت يا رجل ؟ "
 " كنت أفعل شيئا قيما على سبيل التغيير "
 أخذ هبيل يفكر في النقيب الصغير وهو يعود ثانية إلى المطبخ الميداني .
 بالنسبة للرجلين كانت الحرب قد انتهت .

الفصل الخامس والعشرون



سارت النقلة بالنقيب إلى أن وصلت إلى خيمة حيث نقل برفق إلى مائدة الجراحة . استطاع النقيب ويليام كين من الفرقة التاسعة بدرعات أن يرى الممرضة وهي تنظر إليه في حزن ولكنه كان عاجزا عن سماع ما كانت تقوله . لم يكن واثق إن كان هذا راجعا إلى الضمادات التي تحيط برأسه أم لأنه قد أصبح أصم . أخذ يراقب شفيتها وهي تتحرك ولكنه لم يفهم شيئا . أغمض عينيه وأخذ يفكر . فكر طويلا في الماضي وقليل في المستقبل وفكر سريع فيما سوف يحدث إن مات . كان يعلم أنه إن قدر له أن يعيش فسوف يكون أمامه وقت طويل للتفكير . عاد عقله إلى كات في نيويورك .
 رأت الممرضة دمعة في عينيه .

كانت كات قد اعتزضت على إصراره على الالتحاق بالجيش . كان يعلم أنه يستحيل عليها أن تستوعب شيئا كهذا وأنه لن يستطيع أبد أن يبرر لها لأهـب التي تدفعه إلى الإقدام على ذلك مما جعله يكف عن المحاولة . كانت ذكرى وجهها الياـس الآن

بطارده . لم يكن ويليام قد فكر بجدية فى الموت ، فلا أحد يفكر فى الموت . وكان كل ما يريد فى ذلك الوقت هو أن يعيش ويعود إلى أسرته .

كان ويليام قد ترك ليستر تحت الإدارة المشتركة ليتدلى وتنوئى سيمونس ولم يكن قد أصدر أية تعليمات واجبة الاتباع فى حالة وفاته . كان الرجلان قد توسلا إليه لثلا يذهب . كانا بالنسبة له رجلين آخرين لا يفهمان . عندما التحق بالجيش أخيرا ، لم يقو على مواجهة أبنائه . كان ريتشارد وقتئذ فى السبعة من عمره وكان يحبس دموعه إلى أن قال له والده إنه لا يمكن أن يسافر معه لمحاربة الألمان .

أرسل ويليام بداية إلى مدرسة للضباط فى فيرمونت . كانت آخر مرة زار فيها فرمونت مع ماثيو حيث كانا يدرسان استريج أعلى المرتفعات ثم سريعا إلى أسفل . استمر البرنامج التدريبي على مدى ثلاثة أشهر استعدادا لاجلها لياقته للمرة الأولى منذ تخرجه فى هارفارد .

كان عام تعيينه الأول فى لندن مليئة بالجذب والشدة . كان يعمل ضابط رباط بين الأمريكيين والبريطانيين . كان مقره هو دورشستر التى استولى عليها المكتب الحربى الإنجليزى وسلمها للجيش الأمريكى لاستخدامها . كان ويليام قد قرأ فى مكان ما أن هايبيل روزنوفسكى قد فعل نفس الشيء فى فندق البارون فرع نيويورك وكان هو قد أقر ما فعله وأهداه . كان التعتيم وصفا فى الإنذار الهوائية قد جعلته يصدق بالفعل أنه مشترك فى حرب لكنه شعر أنه منفصل بشكل غريب عما يجرى على بعد مئات من الأميال القليلة جنوب هايد بارك . كان ويليام قد اعتاد طوال حياته أن يمسك بزمام المبادرة ، لم يكن يوما ما مشاهدا خارجيا . لم يكن

تحركه ما بين محل قيادة أيزنهاور فى سانت جيمس وغرفة عمليات تشرشل فى ستورى جيت تمثل بالنسبة لويليام معنى المبادرة بأية صورة . بات من الواضح بالنسبة له أنه لن يلتقى بألمانيا وجها لوجه أثناء فترة الحرب ما لم يغز هتلر ميدان ترافالجر .

عندما تم إرسال جزء من الجيش الأول إلى اسكتلندا للتدريب مع الهلاك واتش ، أرسل ويليام معهم كمراقب وطلب منه أن يوافي القيادة بتقرير لكل ما يجرى هناك . أثناء رحلته الطويلة البطيئة إلى اسكتلندا بالقطار ، بدأ يشعر أنه سرعان ما تحول إلى ساعى يريد ميجل ، وأخذ يتساءل عن سبب تطوعه بالجيش فى المقام الأول . هناك ، كان الهواء على الأقل مفعما برائحة إشارة الاستعداد للحرب ، وعندما عاد ويليام إلى لندن ، تقدم بالانتماس للالتحاق بالجيش . وقد وافق قائده على الفور لأنه كان يؤمن أنه لا مجال لحبس شخص يسعى للالتحاق بالحرب فى العمل المكتبى .

عاد ويليام بعد انقضاء ثلاثة أيام إلى اسكتلندا لى يتبع نظاما تدريبيا جديدا وبدأ تدريبيه مع الفرق العسكرية الأمريكية استعدادا لعمرو الذى كان جميعهم يعرفون أنه قد بات وشيكا . كان التدريب شاقا ومكثفا . كانت الليالى التى قضاها فى معارك مصنعة مع الهلاك واتش تختلف اختلافا بينا عن الليالى التى قضاها فى دورشستر لإعداد التقارير .

بعد ثلاثة أشهر أخرى ، تم إنزالهم بالمظلات لى ينضموا إلى قوات أومار برادلى ، التى كانت تتحرك عبر أوروبا . كانت رائحة النصر تعنى امكان وكن ويبين يريد أن يكون أول جندي تصد قدمه أرض برلين .

بدأ الجيش الأول يتقدم صوب الراين وهو مصمم على عبور أى جسر يمكن العثور عليه . كان النقيب كين قد تلقى فى هذا الصباح

أمرا بأن فرقته يجب أن تتقدم فوق جسر لندندورف وتسير إلى الأمام وتلتقي بالعدو بعد مسافة ميل في الشمال الشرقي من ريماجين في إحدى الغابات في الجانب البعيد من النهر . وقف ويليام أعلى المرتفع وأخذ يراقب الفرقة التاسعة مدرعات وهي تعبر الجسر وهو يتوقع أن يتم تفجير الجسر بأقصى قوة في أية لحظة .

كان قائده يقود فرقته خلفه . تبعه ويليام ومعه ١٢٠ رجلا تحت قيادته . كان معظمهم سيواجه . شأنهم شأن ويليام - العدو لأول مرة . لم يكن هذا تدريباً آخر مثل التدريبات التي كانوا يقومون بها مع الاسكتلنديين . حيث كانوا ينظرون بقتل بعضهم البعض بأسحة غير محشوة بالخبرة ثم يتناولون الغداء سوياً . كانوا يصد مواجهة الألمان برصاصهم الحي ، ربما كان هذا آخر غداء لهم .

عندما وصل ويليام إلى حافة الغابة ، لم يواجه هو أو رجاله أية مقاومة لذا فرروا ، أن يوصوا اسر في الغابة . كان اسقدم بصيد وكن دور أحداث حتى تصور ويليام ان فرقة التاسعة لابد انها قدمت على عمر محكم بلغ الدقة بما سمح لفرقة بان يمر خلفهم بسلام عندما فوجئ من حيث لا يدرى بانهم قد سقطوا في كمين . وإذا بوابل من الرصاص ينهال عليهم . بدا له كل شيء وكأنما انقضض عليهم بلا هوادة وفي آن واحد . انبطح رجال ويليام على الأرض وكل منهم يحاول أن يحمي نفسه ويلوذ بالأشجار . ولكنه كان قد فقد أكثر من نصف فرقته في غضون ثوان معدودة . كانت المعركة إن صح أن يطبق هذا عليها قد استمرت لأقل من دقيقة ولم يكن قد رأى ألمانيا واحدا . انحنى ويليام تحت القطاء النباتي لبضع ثوان أخرى إلى أن رأى لحسرتة الفوج الثاني من الفرقة التاسعة وهي تتقدم عبر الغابة . جرى من مأواه خلف إحدى الأشجار لكي يحذرهم من الفخ . فأصابته الرصاصة الأولى في رأسه فسقط على ركبتيه في

الوحل ثم واصل صياحه وتلويحه بشكل جنوني لكي يحذر زملاءه المتقدمين فأصابته الطلقة الثانية في عنقه والثالثة في صدره . بقي ممدداً في الوحل بانتظار الموت بدون أن يقدر له أن يرى وجه العدو ، كانت مينة جبانة .

كان الشيء التالي الذي أدركه ويليام هو أنه قد حمل على نقالة ولكن لم يكن بوسعهم أن يسمع أو يرى أي شيء وكان يتساءل إن كان الوقت ليلاً أم أنه قد أصيب بالعمى .

بدت له الرحلة طويلة ثم فتح عينيه ، وركز على المقدم الذي كان يعرج خارج الخيمة . كان هناك شيء مألوف في هذا الرجل ولكنه لم يتبينه . حملته النقالة إلى خيمة العمليات ووضعت فوق المائدة . حاول أن يقاوم النوم خشية أن يكون الموت .

استيقظ ويليام . كان مدركاً أن هناك شخصين يحاولان تحريره . كانا يحركانه ويديرانه بمنتهى الرفق ثم حققاه بإبرة . رأى ويليام في منامه كات وأمه ورأى ماثيو وهو يلعب مع ابنه ريتشارد ثم نام .

ثم استيقظ وقد شعر أنه نقل إلى سرير آخر ، بدأ بصيص من الأمل يحل محل الموت المحتوم . بقي ممدداً بلا حراك مركزاً عينيه على السقف القماشي للخيمة وهو عاجز عن تحريك رأسه . جاءت إليه إحدى الممرضات لكي تتحصن تقريراً الطبي ثم تفحصه هو . ثم نام .

ثم استيقظ . كم مضى من الوقت ؟ جاءت ممرضة أخرى . في هذه المرة كان بوسعهم أن يرى بشكل أفضل قليلاً . يا للسعادة ، يا للسعادة . لقد استطاع أن يحرك رأسه . ولكن بألم شديد . بقي يقظاً لأطول فترة ممكنة ؟ كان يريد أن يعيش . ثم نام .

* * *

استيقظ . فوجد أربعة أطباء يفحصونه ، ثم قرروا : ماذا ؟ عجر
عن سماع ما يقولون وبالتالي لم يدرك شيئا . حركوه ثانية ، وآهم
وهم يضعونه داخل عربة إسعاف . أغلقوا الباب وراءه ، ثم دار
المحرك وبدأت السيارة تتنقل فوق أرض صلبة بينما كانت هناك
ممرضة جالسة بجواره تحمله فى وضع مستقيم . شعر أن الرحلة
دامت على مدى ساعة كاملة ولكنه لم يكن واثقا من الزمن . وصلت
سيارة الإسعاف إلى أرض أكثر انسيابية ثم توقفت . ثم نقلوه ثانية .
ولكنهم كانوا فى هذه المرة يسرون فوق أرض مسطحة ثم صدوا
بضع درجات وأدخلوه فى غرفة مظلمة . انتظروا ثانية ثم بدأت
الغرفة تتحرك ، ربما كانت سيارة أخرى . أفلتت الغرفة . حثب
ممرضة بإبرة أخرى لم يتذكر عدده شيئا إلى أن شعر بلطائفة وهي
تهبط وتتوقف بقوه ثانية سيارة إسعاف أخرى . ممرضة
أخرى ، رائحة أخرى ، مدينة أخرى . وقال ويليام لنفسه : بها
نيويورك أو على الأقل مترك . ليست هناك رائحة كبد فى كل
العالم . سارت به سيارة الإسعاف الجديدة فوق أرض ناعمة ،
وكنيت تتوقف ثم ما تلبث أن تتحرك بشكل دأشم إلى أن وصلت إلى
المكان المطلوب فى آخر المطاف . حملوه ثانية ثم صدوا به إلى أعلى
داخل غرفة ذات جدران بيضاء . ثم وضوه فى فراش وثير . شعر
برأسه وهو يلمس الوسادة ، وعندما استيقظ ثانية . شعر أنه وحيد
تماما . ولكنه ركز بعدها بصره وخُيل له أنه قد رأى كات تقف
أمامه . حاول أن يرفع رأسه ويلمسها ، يحدثها ، ولكنه لم يجد
الكلمات . ابتسمت ، ولكنه كان يعلم أنها لم تستطع أن تتبين
ابتسامته ، وعندما استيقظ ثانية ، وجد كات مازالت موجودة
ولكنها كانت ترتدى ثوبا مختلفا . أم أنها جاءت وزهيت عدة

مرات ؟ حاول أن يحرك رأسه قليلا فرأى ابنه ريتشارد . لقد كان
طويلا للغاية ، وسما للغاية . كان يريد أن يرى ابتتيه ولكنه عجز
عن تحريك رأسه أكثر من ذلك . تحرك الجميع على مرمى بصره ،
فيرجينيا ، لا يمكن أن تكون قد كبرت إلى هذا الحد ، ولوسى ، لا
غير ممكن . أين ولت كل هذه السنوات ؟ ثم نام

ثم استيقظ . لم يكن أحد موجودا ولكنه كان قادرا على تحريك
رأسه ، وكانت بعض الضمادات قد أزيلت وكان يوسعه أن يرى
شكر أكثر وضوح . حاول أن يقول شيئا ولكنه لم يعثر على
كلمات . كنت كات تكتفى بالمراقبة . كن شعوره الأشقر قد
أصبح أكثر طولاً فى ذلك الوقت وكن مسدلا على كتفها . كانت
عندها البنيتان الرقيقتان وابتسامتها التى لا تنسى تبدو جميلة ،
جيلة للغاية . نطق باسمها وبتسمت ثم نام .

ثم استيقظ . كانت الضمادات قد قلت عن ذى قبل . فى هذه
المرّة تحدث ابنه

قال ريتشارد : " مرحبا يا أبى "

سمعه وأجاب : " مرحبا يا ريتشارد " ولكنه لم يسمع صوته .
ساعدته الممرضة على الجلوس لكى يحيى باقى أفراد أسرته .
فشكرها . لمس الطبيب كتفه .

" لقد انتهى الجانب الأسوأ يا سيد كين . وسرعان ما سوف
تتعافى وتعود إلى بيتك " .

ابتسم عندما دخلت كات الغرفة ، وقد تبعتها فيرجينيا
ولوسى . كانت هنالك الكثير من الأسئلة التى يريد أن يطرحها

عليهم . من أين يجب أن يبدأ ؟ كانت هناك فجوات فى ذاكرته بحاجة لأن تملأ . أخبرته كات أنه كان على وشك الموت . كان ويليام يعرف ذلك ولكنه لم يكن قد أدرك أن عاماً كاملاً قد مضى منذ أن سقطت فرقته فى الفخ الذى نصبه لهم الألمان فى غابة ريمجين .

أين ولت شهور الغياب عن الوعى ، هل ذهبت ؟ أليست الحياة المفقودة أشبه بالموت ؟ كان ريتشارد قد نهز الثانية عشرة ؟ كان يعد نفسه بالفعل للالتحاق بمدرسة سانت بول . كانت فيرجينيا فى التاسعة ولوسى قد نهزت السابعة . كانت ثيابهم تبدو قصيرة . كان عليه أن يبدأ التعارف عليهم جميعاً من جديد .

كانت كات أكثر جمالا مما كان يذكر ويليام . أخبرت ويليام كيف أنها لم تقبل يوماً احتمال موته ، وقصت له كيف أن ريتشارد كان يبلى بلاء حسناً فى دراسته فى بولكلى وكيف أن فيرجينيا ولوسى كانتا بحاجة إلى أب . ثم تماكنت نفسها وأخبرت ويليام بالجروح والإصابات التى كانت فى وجهه وصدره . وأنها سوف تستغرق وقتاً إلى أن تتعافى . حمدت الله على أن الأطباء قد أكدوا له بأن عقله لم يصب بأى ضرر وبأنه سوف يستعيد بصره كاملاً . كانت كل ما تريده كات فى ذلك الوقت هى أن تساعد زوجها على التعافى . كانت كات تريد أن يتم ذلك تدريجياً وطبيعياً ، أما ويليام فقد كان يريد أن يحدث بسرعة .

كان كل فرد من أفراد العائلة يلعب دوراً فى علاج ويليام . كان ريتشارد يساعد ولده على السير إلى أن نجح ويليام فى السير بمفرده بدون استعانة بعكاز . كانت لوسى تساعد على تذول غدائه إلى أن نجح ثانية فى تذوله بنفسه . أما فيرجينيا فقد كانت تقرأ له كتاب مارك ثوان ، لم يكن ويليام واثقاً إن كانت القراءة تفيدها هى أم

تفيدة هو ، ولكنهما كانا يستمتعان كثيراً . كانت كات تجلس بجواره ليلاً عندما كان يعجز عن الاستسلام للنوم . ثم أخيراً وبعد انقضاء أعْياد رأس السنة سمح لويليام بالعودة إلى بيته .

ما إن عاد ويليام إلى شارع إيست سيكستى إيست ، حتى بدأ يتعافى سريعاً ، حتى توقع له الأطباء أن يكون قادراً على العودة إلى عمله فى البنك فى غضون ستة أشهر . كان مازال مصاباً ببعض الجروح ولكنه كان على ما يرام . سمح له بمقابلة لزوار .

كان أول من جاء لزيارته تيد ليتش ، والذى اندهش قليلاً من الصورة التى بدا عليها ويليام ، كان هذا شيئاً يجب أن يعتاد عليه تيد لبعض الوقت . وقد علم ويليام من تيد أن ليستر قد تطور فى لعام الماضى وأن زملاءه فى البنك يتطلعون لرؤيته والترحيب به ثانية كرئيس للبنك . ثم زاره بعد ذلك تونى سيمونس وهو الذى حمل له أنباء حزينة وهى وفاة آلان ليويو وروبرت كورك سميث . سوف يفتقد ويليام حكيمتهما وحنكتهما ، ثم اتصل به توماس كوهين لكى يعرب له عن مدى سعادته بشفاؤه ولكى يقول له كما لو كان ذلك مازال ضرورياً بأنه قد كبر فى السن وبأنه قد أصبح شبه متقاعد عن العمل وبأنه قد أوكل كل أعماله إلى ابنه ثاديوس الذى كان قد افتتح مكتباً فى نيويورك . وأعرب له توماس كوهين عن أمله فى أن يواصل السيد كين تعامله مع شركته . فأكد له ويليام ذلك .

"هناك بالمناسبة يا سيد كين معلومة ينبغي أن أخبرك بها "

استمع ويليام إلى المحامى القديم فى صمت وانتابه الغضب ، الغضب الجامح .

الحرب قد تركت أثرها عليه . ركب هايبيل المصعد إلى الطابق الثانى والأربعين حيث يقع مكتبه ، فأخبره حارس الأمن فى حزم بأنه قد ضغط على زر الطابق الخاطئ

سأل هايبيل : " أين جورج نونفاك ؟ "
 أجاب الحارس : " فى شيكاغو أيها المقدم . "
 قال هايبيل : " حسنا ، اتصل به هناك . "
 " وما هو الاسم الذى سوف أخبره به ؟ "
 " هايبيل روزنوفسكى . "

تحرك الحارس سريعا .

جاءه صوت جورج المألوف وقد أفاض فى الاحتفاء والترحيب به وبعودته ثانية . أدرك هايبيل وقتها كم كان سعيدا بعودته وكيف أنه كان يرغب فى العودة إلى بيته . قرر ألا يبقى فى نيويورك فى هذه الليلة وأن يقطع ثمانمائة ميل إضمية إلى شيكاغو . حمل معه التقارير المحدثة التى قد أعدها جورج لكى يراجعها فى الطائرة . فر هايبيل كل التفاصيل الخاصة بما أحرزه . لينفذ من يقدم على مدى الفترة الأخيرة من الحرب وبدا من الواضح أن جورج قد أحسن صنعا بأن حافظ على استقرار الفندق أثناء فترة غيابه . كانت قيادته الحذرة قد جنبته لشكاوى كم أنها فى نفس الوقت حققت ارتفاعا فى الأرباح نظرا لاستدعاء الكثير من الموظفين للخدمة عسكرية أثناء الحرب وامتلاء الفنادق عن آخرها بسبب التحرك المستمر للأفراد فى كل أنحاء البلاد . قرر هايبيل أن يشرع فى تعيين طاقم عمل جديد فى الحال قبل أن تسطو الفنادق الأخرى على أفضل العناصر فور عودتها من الحرب .

الفصل السادس والعشرون



وقع الجنرال ألفريد جوديل على الانسحاب غير المشروط من الرايمز فى السابع من مايو عام ١٩٤٥ ، عندما وصل هايبيل إلى نيويورك لكى يستعد لاحتفالات النصر ونهاية الحرب . ومرة أخرى ، وجد الشوارع زاخرة بالشباب فى الزي العسكرى ، ولكن الوجوه فى هذه المرة كانت فى حالة نشوة حقيقية وليست سعادة مترقبة . حزن هايبيل لرؤية الكثير من الرجال يسيمرون على ساق واحدة أو يمشون ذراعاً وحداً أو أصيبوا بالعمى أو بجروح عميقة . لم تكن الحرب بالنسبة لهؤلاء قد انتهت ، كانت ستظل باقية بغض النظر عن تلك الورقة التى وقعت على بعد آلاف الأميال .

عندما دخل هايبيل فندق البارون فى زييه العسكرى ، لم يعرفه أحد . كانت آخر مرة رآوه فيها منذ سنوات عديدة فى زييه المدني ولم تكن التجاعيد قد شقت بعد وجهه الشاب . كان الوجه الذى بدا لهم الآن أكبر سناً من التسعة وثلاثين عاماً عمر هايبيل الحقيقى كما أن الخطوط العميقة المنهكة فى جبهة رأسه قد أكدت أن

زافيا بالرغم من أنها كانت مازالت فى الثامنة والثلاثين من عمرها إلى امرأة ممثلة زرية الملابس ؛ كانت تبدو امرأة متقدمة فى السن .
 يداية ، لم يكن هابيل وزافيا يعرفان كيف يعدص كل منهما الآخر ، وبعد مرور بضعة أسابيع فقط بدأ هابيل يدرك أن علاقته لن تعود ثانية إلى سابق عهدها مع زافيا . كانت زافيا لا تبذل إلا القليل من الجهد لكى تثير اهتمام هابيل كد نهب لم تكن تفخر بما حققه من إنجازات . وقد شعر هابيل بالحزن لعدم اهتمامها وحاول أن يثير حماسها لكى تشاركه حياته وعمله ولكنها لم تتجاوب معه . لم تكن زافيا تشعر بالرضا والسعادة إلا داخل بيتها مع ابنتها مع بنوعي ونلافيها قدر الإمكان لكن ما يحدث فى مجموعة البارون . استسلم هابيل لما آلت إليه زافيا وبدأ يسأل نفسه إلى أى حد يمكنه أن يبقى مخلصا لها . فى الوقت الذى كان يشعر فيه بالفخر والسعادة بفلورنتينا ، كان مظهر وروح زافيا يشعير فيه الإحساس بالبرود . مما دفعه إلى البحث عن حب جديد . وسرعان ما بدأ يحتلق أعذر نغدة شيكغو ويعتمد عن وحه زافيا القدر الذى كان يدينه فى صمت .

بدأ يسافر فى رحلات طويلة إلى الفنادق الأخرى ؛ ويصحب معه فلورنتينا أثناء العطلات المدرسية . قضى الأشهر الستة الأولى بعد عودته إلى أمريكا فى ربرة كل فرع من فروع مجموعة ابارون مثلما سبق له أن فعل بعد وفاة ديفيز ليروى . وفى غضون عام ؛ كانت كل الفنادق قد استعادت رونقها المعهود ؛ ولكن هابيل كان يبحث عن المزيد من الازدهار والتقدم . فأخبر كورتيس فنتون فى الاجتماع الربع سنوى التالى للمجموعة بأن فريق التسويق فى المجموعة قد نصحه بالإفدام على بناء فندقين فى المكسيك

عندما وصل هابيل إلى مطار مهيدواى ؛ الصالة رقم ١١ ، وجد جورج واقفا عند السور فى انتظاره للترحيب به . لم يكن جورج قد تغير كثيرا - ربما زاد وزنه بعض الشيء وفقد بعض الشعر فحسب - وفى غضون ساعة تبادلا خلالهما القصر وسعى كل منهما إلى إخبار الآخر بكل ما جرى على مدى السنوات الثلاث الماضية شعر هابيل أنه لم يرحل بعيدا . كان هابيل يشعر بالامتنان للهلاك آرو التى التقى على متنها بنائيه فى العمل .

ولكن جورج لم يتفرق بعرج هابيل والذى بات أكثر وضوحا عن ذى قبل .

قال جورج مازحا : " لم تعد الآن تملك ساقا لكى تقف عليها "

أجاب هابيل : " لم أعد أملك سوى بولنديا أحقق لكى أعتمد عليه "

ابتسم جورج لهابيل الذى بدا أشبه بدمية يدللها صاحبها .
 " أحمد الله على أن لدى بولنديا أحقق تولى رعاية كل شيء أثناء فترة غيابي بحثا عن الألمان "

لم يتو هابيل على منع نفسه من تفقد أحوال فندق البارون فى شيكاغو قبل أن يعود إلى بيته . كانت الأبهة التى كانت تحيط بالفندق وتزيهه قد خبت فى وقت الحرب . لاحظ هابيل أن هناك العديد من الأشياء التى كانت بحاجة إلى تجديد ؛ ولكن كل هذا كان يمكن أن يرجأ ، كان كل ما يريده الآن هو أن يرى زوجته وابنته . كان هذا هو أول ما صدم هابيل . لم يكن جورج قد تغير كثيرا على مدى ثلاثة أعوام ولكن فلورنتينا كانت قد بلغت الحادية عشرة وكانت قد أصبحت صبية جميلة مشرقة الوجه بينما تحولت

والبرازيل ١ حيث إنهم كانوا يبحثون عن أماكن جديدة لتوسيع مجموعة البارون .

قصاب هابيل " برون مدينة مكسيكو وبارون ريو دي جينيرو " كان وقع الأسماء قد أثار إعجابه
قال كورتيس فنتون " حسنا ، أنت تلك تمويلا جيدا لتعطية تكاليف البدء . لقد تراكمت الأرباح في غيابك . يمكنك أن نسمى فرعاً جديداً في أي مكان يقع . اختيارك عليه . يعلم الله وحده متى سوف تتوقف يا سيد روزنوفسكى " .

قال هابيل " يوماً ما يا سيد فنتون . سوف أننى فرعاً في مدينة وارسو . وعندئذ سوف أفكر في التوقف . ربما أكون قد سددت جزءاً من حسابي مع الأذن ولكن هناك حساب آخر يجب أن أسويه مع الروس " .

ضحك كورتيس فنتون (لم يدرك إلا في وقت متأخر من مساء ذلك اليوم عندما روى لأحدث لزوجته . أن هابيل روزنوفسكى كان يقصد كرسى ما قاله . سوف يبني فرعاً للبارون في وارسو)
" والآن ما هو موقعي من بنك كين ؟ "

أثر التغيير المفاجئ في نبرة هابيل . انزعاج كورتيس فنتون
لقد سزعج عندئذ أدرك أن هابيل روزنوفسكى كان مازال يحضر ويليام كين مسئولية وحدة ديفيز ليروى . فتح ملفه الخاص وقرأ .

" أسهم ليستر وكين وشركاه مقسمة بين أربعة عشر عضواً من أفراد عائلة ليستر وستة من الموظفين السابقين والحاليين ، بينما يملك السيد كين نفسه أكبر عدد من الأسهم والذي يصل إلى ثمانية بالمائة من أسهم البنك "

سأل هابيل : " هل يرغب أي شخص من عائلة ليستر في بيع سهم ؟ " .

" ربما إن عرضنا السعر المناسب . الآنسة سوزان ليستر اهتدت لرحل تشارلز ليستر . أبدت على نحو ما رغبتها في بيع نصيبها من الأسهم والسيد بينر بارفيت الدائب السابق لبنك ليستر عرض هو الآخر رغبته " .

" ما هي النسبة المئوية التي يملكها كل منهم ؟ " .
" يملك سوزان ليستر ستة بالمائة وبينر بارفيت اثنين بالمائة . "

" وما هو مبلغ مطلوب ؟ " .
نظر كورتيس فنتون إلى ملفه ثانية بينما ألقى هابيل نظره على آخر تقرير سنوي للليستر ثم تعلقت عيناه بابلند السابع
" الآنسة سوزان تريد مليون دولار مقابل الستة بالمائة والسيد بارفيت يريد مليون دولار مقابل الاثنين بالمائة " .

قال هابيل " السيد بارفيت رجل صانع سوف ننظر إلى أن يشعنى من طعمه . اشتر أسهم الآنسة سوزان ليستر في الحال بدون أن تكشف عن اسم المشتري وعلمنى بأى تغيير من جانب السيد بارفيت " .

ننحج كورتيس فنتون
سأل هابيل : " هل هناك ما يشير ضيقك يا سيد فنتون ؟ " .
تردد كورتيس فنتون : " كلا ، لا شيء " .
" جيد ، لأننى سوف أؤكد الأمر كله إلى شخص سوف تعرفه ؛ بل إنك تعرفه بالفعل — إنه هنرى أوسبورن " .
سأل كورتيس فنتون : " رجل الكونجرس " .
" أجل ، هل تعرفه ؟ " .

قال فنتون وقد كشف عن نبرة عدم تأييد في صوته ونكسر رأسه : " فقط أسمع عنه " .

تجاهل هابيل هذا النقد الصامت . كان يعلم جيدا سبعة أوسبورن ولكنه كان يملك القدرة على تخطي كل الإجراءات ليبروقراطية المعقدة والبت في القرارات السريعة مما دفع هابيل إلى الاعتقاد بأنه يستحق المجازفة . كما كان هناك أمر آخر وهو الكره المشترك بذى كان يجمعهما للسيد كين

" سوف أطلب من السيد أوسبورن أيضا أن يكون مديرا لمجموعة الفنادي وأن يتولى مسئولية تعاملا مع كبار هذه المجموعة أيضا يجب أن تهتم في منتهى السرية " .

قال في ضيق : " كما تحب " وهو يسأل نفسه عما إن كان يجدر به أن يهوج لهابيل روزنوفسكى بتخوفه من أوسبورن .

" أعلمنى في أسرع وقت ممكن بعقد الصفاة مع سوزان بيستر "

قال كورتيس فنتون بدون أن يرفع رأسه : " سوف أفعل يا سيد روزنوفسكى "

عاد هابيل إلى فندق البارون لتناول الغداء ، حيث وجد هنرى أوسبورن فى انتظاره .

قال هابيل عندما التقى به فى بهو الفندق : " رجل الكونجرس "

قال هنرى : " البارون " وضحك الاثنان وهما يسيران متأبطين ذراعى بعضهما البعض نحو قاعة الطعام حيث جلسا فى أحد الأركان . وبخ هابيل أحد النادل لأنه كان قد فقد زارا من أزرة سترته .

" كيف حال زوجتك يا هابيل ؟ "

" فى أحسن حال . وزوجتك أنت يا هنرى ؟ "

" إنها رائعة " . كان كلاهما يكذب .

" هل هناك جديد ؟ "

قال هنرى فى صوت لا يخلو من نبرة تأمر : " نعم هذا التنازل الذى كنت تريده فى أتلانتا قد تم إنجازه . سوف ننهى المستندات والاوراق اللازمة فى غضون أيام القليلة مقبلة وسوف يكون بوسعك أن تشرع فى بناء فندق بارون أتلانتا الجديد مع بداية الشهر "

" نحن لم نقدم على مجازفة قانونية كبيرة ، أليس كذلك ؟ "

أجاب هنرى أوسبورن ضاحكا : " لا شىء يمكن أن يصل إليه منافسوك ، هذا ما يمكننى أن أؤكدك لك يا هابيل "

" يسعدنى سماع هذا يا هنرى ، لا أريد أن أقع فى أية مشاكل قانونية "

قال هنرى : " كلا ، كلا ، فقط أنت وأنا نعرفان الحقيقة "

قال هابيل : " جيد . لقد أبليت بلاء حسنا معى على مدى سنوات يا هنرى وعلى أن أكافئك على هذا . ما رأيك فى أن تصبح مديرا لمجموعة البارون "

" سوف يكون هذا من دواعى فخري يا هابيل "

" لا تتبالغ يا هنرى . أنت تعلم أنك قد أنجزت إنجازا رائعا فى تخلص تصاريح البناء فى الولاية والمدينة . فلما لم أمتد يوما وقت للتعامل مع رجال السيدة وامبروقرطين كما أنهم على أية حال يفضلون التعامل مع رجل من خريرجى جامعة هارفارد حتى إن كان يتربص بهم "

" ولكنك كنت كريما جدا فى المقابل يا هابيل " .

فندق البارون تحت تصرف الجيش الأمريكى طوال فترة الحرب .
صاح أحد الحضور من مؤخرة القاعة قائلا :
" إن كل من نجا من الألمان يجب أن ينجو أيضا من الطعام
الذى سوف يقدمه هابيل "

ضحك آلاف المحاربين وأخذوا يهتلون ويتناولون الطعام ثم ساد
الصمت أثناء خطبة الجنرال التى تناولت أوصاف ما بعد الحرب فى
بولندا ، والتى كانت قد وقعت فى قبضة ستالين روسيا ، وأخذ
يحث الموصين على العزم والكذب لا كلى لتحرير أرضهم الأم من
قبضة الاستعمار . أراد هابيل أن يصدق أنه فى يوم ما سوف ينجح
البولنديون فى تحرير أراضيهم وسوف ينجح هو فى استعادة قصره
وبريميه ولكنه كان يشك فى ذلك كثير ، بعد أن أحكم ستالين قبضته
عليها بعد انتصاره فى يالتا .

واصل الجنرال خطبته مذكرا ضيوفه بأن المحاربين البولنديين
قد قدموا تضحيات بشرية ومادية تفوق كل ما قدمته المجموعات
لعرقية الأخرى فى الولايات المتحدة " كم أمريكى يمكن أن
يصدق أن بولندا قد فقدت ستة ملايين من مواطنيها بينما فقدت
تشيكوسلوفاكيا مائة ألف رجل " يرى بعض المراقبين أننا كنا حقيقى
بعدم الإقدام على الاستسلام عندما أدركنا أننا قد هزمنا . ولكن أنى
لأمة أبدت بطولة نادرة أمام آلة الحرب الألمانية المدمرة أن تصدق
بأنها قد هبت بهزيمة ؟ ولكننى أعلن لكم أيها الأصدقاء بأننا لم
نهزم الآن "

شعر هابيل بالحزن لأن معظم الأمريكيين كانوا لا يزالون ينتظرون
بعين السخرية لتضحيات البولنديين فى الحرب أو ما يسمى
بالبطولة البولندية . ثم حكى الجنرال للحضور قصة هابيل وكيف
أنه أسهم هو ومجموعة من الرجال فى إنقاذ الجنود الذين قتلوا

" هذا ليس أكثر مما تستحقه . والآن يجب أن ننجز عملا أكثر
أهمية سوف يسعدنا نحن الاثنين أن نقوم به . وهو عمل يتطلب
سرية تامة ولكنه سوف يستنفد الكثير من وقتك غير أنه سوف
يمنحنا فرصة للانتقام من عدونا المشترك الوافد من بوسطن ، السيد
ويليام كين " .

عندها وصل كبير النادل حاملا قطعتين من اللحم البقرى . أصغى
هنرى لهيبيل وهو يغمض له عن خططه للسيد من ويليام كين
بعد مرور بضعة أيام أخرى وفى الثامن من مايو عام ١٩٤٦ ،
سافر هابيل إلى نيويورك للاحتفال بأول عيد للنصر . كان قد أقام
مأدبة عشاء دعا إليها أكثر من ألف من المحاربين البولنديين كما
دعا الجنرال كزييميرس سونسكوفسكى القائد الأعلى للقوات
البولندية فى فرنسا بعد عام ١٩٤٣ كضيف شرف للحفل . ظل هابيل
ينتظر هذه المناسبة بفرغ الصبر على مدى أسابيع وصحب فلورنسيا
معه إلى نيويورك بينما بقيت زافيا فى شيكاغو .

وفى الليلة السابقة على الاحتفال ، بدت قاعة الاحتفالات فى
فندق البارون نيويورك فى أبهى صورها ، كانت كل مائدة من الموائد
الـ ١٢٠ مريئة بتيجوم وخطوط العلم الأمريكى واللونين الأبيض
والأحمر للعلم البولندى الوطنى . كانت هناك صور ضخمة
لأيزنهاور وماتون وبرادى وكلاى ومارشيسكى وسيكورسكى نرين
الجنرال . جلس هابيل فى قلب المائدة المركزية والجنرال عن يمينه
وفلورنسيا عن يساره .

عندها نهض الجنرال سونسكوفسكى لكى يخاطب الجمع .
أعلن أن المقدم روزنوفسكى قد أصبح رئيس مدى الحياة للمحاربين
البولنديين وذلك تقديرا لتضحيات التى قدمها لنقضية الأمريكية
البولندية وخاصة مقابل هديته الثمينة التى قدمها عندما سمح بوضع

وأصيبوا في معركة ريماجين . عندما أنهى الجنرال خطبته وجلس ، قام المحاربون وأخذوا يهللون ويصفقون للرجلين . كانت فلورنتينا تشعر بفخر كبير بأبيها .

اندهش هابيل عندما تناولت الصحافة هذا الحدث في صباح اليوم التالي لأن الإنجازات البولندية كانت نادرا ما تحظى بأى تقدير إعلامى أمريكى . كان شبه واثق من أن الصحافة لم تكن تنكبد نفسها عناء الاهتمام بالحدث ما لم يكن الأمر ذا علاقة ببارون شيكاغو . أخذ هابيل يرقل في فخر الشعور بالبطولة وقضى باقى يومه أمام عدسات المصورين والإدلاء بأحاديث صحفية .

ومع حلول المساء ، اعترى هابيل شعور بالإحباط . كان الجنرال قد سافر إلى لوس أنجلوس وفلورنتينا قد عادت إلى مدرستها في ست فورست وكان جورج قد مضى إلى شيكاغو وهنرى أوسبورن إلى واشنطن . بدا فندق البارون فى نيويورك فجأة خاويا وكبيرا على هابيل ولكنه لم يشعر بأية رغبة فى العودة إلى زافيا فى شيكاغو .

قرر هابيل أن يتناول العشاء مبكرا فى المطعم ، ثم يراجع بعدها التقرير الأسبوعي لثى وصيته عر باقى مجموعة لفسادى فىرر . بسزوى فى نفرة الملحة بمكنه كن ندرا ما يتناول الطعام وحده فى جناحه الخاص لأنه كان يحب دائما بدلا من ذلك أن يتناول فى قاعة الطعام لكى ينتهز فرصة مراقبة كل من يعمل فى الخدمة داخل القاعة . كان هابيل كلما اقتنى وبنى فنادق زاد بداخله الخوف من أن يفقد تواصله مع طاقم العاملين لديه .

ركب هابيل المصعد وهبط به إلى الطابق السفلى وتوقف عند مكتب الاستقبال لكى يسأل عن عدد الغزلاء المقيمين فى الفندق فى هذه الليلة ولكنه وجد نفسه مأخوذا بسيدة كانت توقع على ورقة التسجيل . كاد هابيل يقسم أنه يعرفها ولكن صعب عليه أن يتبينها

من على بعد . كانت فى منتصف الثلاثينات على الأرجح . عندما انتهت من تدوين البيانات الخاصة بها ، استدارت ونظرت إليه . قالت : " هابيل . كم هو رائع أن أراك " .

" يا إلهى ، ميلانى ، لقد تعرفت عليك بالكاد " .

" ولكنك لا تخفى على أحد يا هابيل " .

" لم أكن أعرف أنك فى نيويورك " .

" سوف أبيت الليلة فقط ، أنا هنا فى مهمة عمل لصالح المجلة " .

سأل هابيل فى نبرة عدم تصديق خفيفة : " أنت صحفية ؟ "

" كلا ، أنا المستشار الاقتصادى لمجموعة من المجلات مقرها فى دالاس . وأنا هنا لإجراء بحث تسويقي " .

" إنه عمل رائع " .

قالت ميلانى : " أؤكد لك أنه ليس عملا رائعا . ولكنه على الأقل يشغلنى " .

" هل يمكنك تناول العشاء معى الليلة ؟ "

" يالها من فكرة رائعة يا هابيل ولكننى بحاجة إلى أخذ حمام

وتغيير ملابسى إن كان بوسعك الانتظار ؟ "

" بالطبع ، يمكننى الانتظار . سوف أقالق فى قاعة الطعام عندما تكونين مستعدة . تعالى إلى مائتى ، لنقل بعد ساعة " .

ابتسمت موافقة ثم سارت نحو المصعد . شم هابيل رائحة عطرها وهى تسير فى طريقها .

تفحص قاعة تناول الطعام لكى يتأكد من وجود زهور جديدة فوقها ثم توجه إلى المطبخ لكى ينتقى لأطيب النى سوف يقدمها لميلانى . وأخيرا ، لما لم يجد شيئا يفعله جلس فى انتظارها . وجد نفسه يمترق النظر إلى ساعته وينظر إلى باب قاعة الطعام كل يضع

دقائق في انتظار وصولها . استغرقت أكثر من ساعة قليلا ولكنه اكتشف أنها كانت تستحق عناء الانتظار . عندما ظهرت أخيرا عند مدخل القاعة في فستان طويل يتلألأ تحت أضواء قاعة الطعام مما يوحى بلا شك بغلو ثمنه ، بدت رائعة الجمال . أوصلها كبير النادل إلى مائدة هابيل . نهض هابيل محييا إياها .

قال هابيل : " مرحبا يا ميلانى . يسعدنى أن أراك فى فندق البارون " .

قالت ميلانى : " يسعدنى أن أرى البارون وخاصة فى يوم احتفله " .

سأل هابيل : " ما الذى تعنيه ؟ "

" لقد قرأت كل ما نشر عن العشاء الكبير فى نيويورك بوست وكيف أنك قد جازفت بحياتك لإنقاذ المصابين فى رماجين . إنها قصة رائعة . لقد بددت لى وكأنت جنبدى المجهول والبطول المغوار " .

" هذه مبالغة " .

" أنت دائم التواضع يا هابيل ، لذا لا يسعنى إلا أن أصدق كل كلمة قبلت عنك "

" الحقيقة يا ميلانى هى أنني كنت أخشاك دائما " .

" البارون يخشى أحدا ، لا أصدق هذا " .

" أنا لست رجلا شريفا من رجال الجنوب كما سبق ونوهت بشك واضح من قبل يا عزيزتى " .

أجابت مبتسمة وهى تسمى لداعبته : " وأنت لن تكف عن تذكيرى بهذا الأمر . هل تزوجت من فتاتك البولندية اللطيفة ؟ "

" أجل فعلت " .

" وكيف سارت الأمور ؟ "

" لم تسر على ما يرام ، لقد أصبحت الآن بدينة وفى الأربعين من عمرها ولم تعد تثير فى أى شيء " .

قالت ميلانى ونبرة صوتها تكشف عن السعادة التى كانت تحاول إخفاها : " سوف تضيف أيضا أنها لم تعد تفهمك " .

سأل هابيل : " وهل وجدت لنفسك زوجا ؟ "

" أجل . لقد تزوجت من رجل جنوبى بمعنى الكلمة يتمتع بكل المزايا التى كنت أبحث عنها " .

قال هابيل : " تهانينا القلبية " .

" ولكننى طلقت منه العام الماضى بعد أن حصلت على تسوية كبيرة " .

قال هابيل فى نبرة سعادة : " آسف لذلك . المزيد من الشرب ؟ "

" هل تحاول أن توقعنى فى غرامك يا هابيل ؟ "

" ليس قبل أن تنهى حساءك أولا يا ميلانى . حتى جيل المهاجرين الأول من البولنديين يملك قهوا . بالرغم من أنني أشعر أنه قد حان دورى لأوقعك فى غرامى " .

" إذا يجب أن أحذرك يا هابيل أنني لم أقع فى غرام رجل منذ طلاقى من زوجى . ليس بسبب نقص العروض ولكن لأننى لم أعثر على الشخص المناسب . هناك الكثير من الأيادى الطامعة ولكن القليل جدا من الحب الحقيقي " .

بعد تناول السالمون المدخن واللحم البقرى وحلوى الكريم كن كل منهما قد حكى للآخر . فى هذه الأثناء - كل ما يخص حياته منذ آخر مرة التقيا فيها .

" هل نتناول القهوة فى الغرفة الملحقة بمكتبى يا ميلانى ؟ "

" وهل لدى أى ماختير آخر بعد هذا العشاء الرائع ؟ "

ضغط هابيل على الزر رقم ٤٢ ، نظرت ميلاني إلى الأرقام المدونة . سألته في براءة : " ما سبب غياب الطابق السابع عشر ؟ " لم يعثر هابيل على الكلمات لكي يرد عليها . قالت ميلاني محاولة مواصلة الحديث : " في المرة الأخيرة التي تناولت فيها القهوة في غرفتك — "

قال هابيل : " لا تذكريني " وهو يتذكر ضعفه . خرجا من المصعد في الطابق الثاني والأربعين بينما كان الخادم يفتح لهما باب الجناح .

قالت ميلاني وهي تدير عينيها في حجرة الإقامة للمرة الأولى : " يا إلهي ! يجب أن أقول يا هابيل إنك قد اكتسبت نمط أصحاب الملايين ، إنني لم أر شيئاً بمثل هذا الترف كله في حياتي " .

جاءت طريقة على الباب أوقفت هابيل عن الاقتراب من ميلاني . ثم ظهر نادل صغير يحمل إناء من القهوة .

قال هابيل : " أشكرك يا مايك يكفي هذا الليلة " .

قلت ميلاني مبتسمة : " هل سيكفي بالفعل ؟ "

كاد وجه النادل أن يكسى بحمرة الخجل لو لم يكن أسود .

أسرع بمغادرة الغرفة .

صب هابيل القهوة . أخذت تحتسى الشراب ببطء وهي تجلس ساقاً فوق الأخرى على الأرض . كان هابيل يريد أن يجلس عاقصاً ساقيه مثلها ولكنه لم يكن لينجح في الثبات على هذا الوضع لذا فضل بدلا من ذلك أن يستلقي بجورها . أخذت تربت على شعره وبدأ هو في شيء من التردد يمسك يدها . لكم يتذكر هذه الأيدي . ثم تبادل عبارات الحب للمرة الأولى ، قذفت ميلاني فردة حذاء فأطاحت بالقهوة فوق السجادة الفارسية .

ف قالت : " يا إلهي ! سجادتك الجميلة " .

قال هابيل : " انسى الأمر " . لم تبدى عليها أى امتعاض كما حدث مرة من قبل وهي تنظر إليه . ثم استسلمت له في النهاية ، ولكن سرعان ما شعر بالفتور فأخذ يضحك .

سألت ميلاني : " ما الذى يثير ضحكك ؟ "

قال هابيل : " لاشيء " وهو يتذكر حديث الدكتور جونسون عن فقدان الرجل لاهتمامه بالمرأة إذا استسلمت له .

ثم اقترب هابيل من ميلاني فوضعت رأسها على كتفه . اندهش هابيل في أنه سرعان ما فقد رغبته فيها وأخذ يتساهل عن إمكانية صرفها في رقة بدون أن يبدو ظفاً ، فإذا بها تقول : " أخشى أنني لن أستطيع أن أبقي هنا طوال الليل يا هابيل . لدى موعد في الصباح الباكر غداً ويجب أن أنام قليلاً ، لا أود أن أبدو وقد قضيت الليلة فوق سجادتك الفارسية " .

قال هابيل وهو يكشف عن نبرة ضيق ولكن ليس ضيقاً شديداً : " هل يجب أن ترحلى ؟ "

" آسفة يا عزيزي ، نعم " ثم وقفت وسارت نحو الباب .

قبلها بأناقة فوق يدها وهي تلمد الغرفة .

قال هابيل ، كاذباً : " أتمنى أن نتقابل في وقت قريب " . أجابت وهي تعلم أنه لم يكن يقصد ما قاله : " أتمنى ذلك أنا أيضاً " .

أغلق الباب خلفها وسار نحو الهاتف المجاور لفراشه .

سأل هابيل : " في أى غرفة تقيم الآنسة ميلاني ليروى ؟ "

سادت لحظة صمت سمع هابيل خلالها صوت تقليب دفاتر التسجيل .

طرق هابيل المنضدة بنفاد صبر .

جاءت الإجابة أخيراً : " ليس هناك أحد مسجل بهذا الاسم يا سيدى . لدينا بطاقة باسم السيدة ميلانى سيتون من دالاس . تكساس " والتي وصلت مساء هذا اليوم يا سيدى وسوف تغادر غد صباحاً " .

قال هايبيل : " أجل هذه هى السيدة المقصودة . سوف أسدد أث حسابها " .
" أمرك يا سيدى "

أعاد هايبيل سماعة الهاتف إلى مكانها ثم أخذ حماماً طويلاً بارداً تأهياً للنوم . شعر بالاسترخاء وهو يسير بجوار المدفأة ثم أوى إلى الفراش ولاحظ بقع القهوة التى كانت قد جفت وقتها فوق السجادة " يا لها من حمقاء " قالها بصوت عال وهو يطفىء النور .

بعد هذه الليلة : اكتشف هايبيل أن هناك العديد من بقع القهوة التى ظهرت على مسجاده الفارسية على مدى الشهور العديدة التالية : بعضها بسبب النادلات اللاتى كن يستجبن لرغبتهم والبعض الآخر لنزيلات لم يسددن فواتير إقامتهم فى الفندق. بعدما اتسعت الهوة التى تفصل بينه وبين زافيا . ولكن ما لم يكن يتوقعه أن تقدم زافيا على استئجار محقق سرى لكى يراقبه ثم ترفع عليه دعوى تطليق . كان الطلاق شيئاً غير مألوف فى الدوائر البولندية المحيطة بهابيل . حاول أن يثنى زافيا عن رغبتها وهو يدرك تماماً أن هذا لن يدعم بحال موقفه فى المجتمع البولندى الأمريكى ولكن الأسوأ هو أنه قد يعوق أى طموح اجتماعى أو سياسى يتطلع إليه . ولكن زافيا كانت مصرة على الطلاق والمضى قدماً فى إجراءاته . وقد اندهش هايبيل الذى وجد أن المرأة التى كانت قنوعة أثناء فترات انتصاره حسب تعبير جورج كانت قاسية فى انتقامها .

عندما استشار هايبيل محاميه الخاص : اكتشف للمرة الثانية كم بلغ عدد النادلات والنزيلات اللاتى لم يسددن تكاليف إقامتهم على مدى العام الأخير . فاستسلم . وكان الشيء الوحيد الذى ناضل هايبيل من أجله هو الحصول على حضانة ابنته فلورنتينا والتى كانت قد بلغت وقتها الثالثة عشرة من عمرها والحبب الحقيقى الوحيد فى حياته . أذعنّت زافيا لرغبته بعد صراع طويل ووافقت على تسوية مالية بلغت ٥٠٠ ألف دولار وحققها فى بيت شيكاغو وحققها فى رؤية فلورنتينا فى عطلة نهاية الأسبوع الأخير من كل شهر .

نقل هايبيل مقر عمله وبيته الدائم إلى نيويورك فداعبه جورج قائلاً : " يارون شيكاغو فى المتقى " بينما كان هايبيل يجوب أمريكا شمالاً جنوباً لبناء فروع جديدة للفندق ولا يعود إلى شيكاغو إلا لكى يقابل كورتيس فنتون فقط .

قال المحامى : " ألا تذكرنى يا سيد كين ؟ " .
قال ويليام : " يا إلهى ! أنت المناظر العظيم الذى وقف أمامى
فى هارفارد عام ألف وتسعمائة و ... وكم وعشرين ؟ "
" ثمانية وعشرين . لقد ربحنا المناظرة وتنازلت عن عضويتك
فى اليورسيليان " .

انفجر ويليام فى الضحك : " ربما ستبلى بلاء أفضل فى نفس
الفريق إن كان اتجاهك فى الاشتراكية يسمح لك بأن تمثل رأساليا
بارز " .

نهض لكى يصافح ثاديوس كوهين . للحظة كان كلاهما قد عاد
ثانية إلى المرحلة الجامعية .

ابتسم ويليام : " أنت لم تتناول هذا الشراب الذى قدمته لك فى
اليورسيليان ، ما الذى تحب أن تشربه ؟ " .

اعتذر ثاديوس وأجاب قائلا : " أنا لا أشرب " قالها بنفس
النبرة اللطيفة التى كان ويليام ما زال يذكرها عنه جيدا وأضاف :
" وأخشى أيضا أننى أصبحت رأساليا أنا الآخر " .

كان ثاديوس يحمل نفس رأس والده فوق كتفيه ، نفس
العقلية . بدا من الواضح أنه كان يملك خلفية جيدة عن ملف
روزنوفسكى وأوسبورن ومستعدا لطرح الأمر مع ويليام . شرح له
ويليام ما يريده تحديدا فى الوقت الراهن .

" تقريرا فوريا وتقريرا محدثا كل ثلاثة أشهر كما كنا تفعل فى
الماضى . مازالت السرية هى العامل الأكثر أهمية فى المقام الأول " .
قال ويليام : " ولكننى أريد أن أعرف كل معلومة يمكن أن تصر
إليها . لم يسع هايبيل روزنوفسكى لشراء أسهم ليستر ؟ هل مازال
يشعر أننى المسئول عن انتحار سيد فيز ليروى ؟ أمازال يريد حربا
مع كين وكابوت حتى بعد أن أصبح الآن جزءا من بنك ليستر ؟ ما

الفصل السابع والعشرون



بقى الخطاب مفتوحا فوق المائدة بجوار كرسى ويليام فى غرفة
المعيشة . جلس فى لباس النوم يقرأ الخطاب للمرة الثالثة وهو
يحاول أن يتصور السبب الذى يدفع هايبيل روزنوفسكى إلى الرغبة
فى اقتناء كل هذه الأسهم فى بنك ليستر وسبب تعيينه لهنرى
أوسبورن مديرا لمجموعة البارون . شعر ويليام أنه لم يعد بوسعه أن
يطبق كل هذه المجازفة فى التخمين ، فالتقط سماعة الهاتف .

اكتشف ويليام أن ابن السيد كوهين نسخة مصغرة من أبيه .
عندما وصل إلى شارع إيست سيكستى إيست ، لم يكن بحاجة إلى
تقديم نفسه ، فقد كان شعره قد بدأ يكتسى باللون الرمادى وفى
نفس الأماكن التى كانت تكسو شعر أبيه كما أنه كان يرتدى حلة
شبيهة بتلك التى كان يرتديها والده . بل ربما كانت بالفعل نفس
الحلة . أخذ ويليام يحرق إليه ولكن ليس فقط لأنه كان يشبه أباه
إلى حد كبير .

هو الدور الذى يلعبه هنرى أوسبورن فى كل هذا ؟ هل سيساعد أى لىء بينى وبين هابيل روزنوفسكى على تخفيف وصاة الموقف وخاصة إن أخبرته بأن البنك وليس أنا ، هو الذى رفض تمويل مجموعة ريكمونى ؟ "

كان القلم يجرى بين يدى كوهين مدونا كل هذه التساؤلات كما كان يفعل والده من قبل .

" كل هذه الأسئلة بحاجة إلى إجابات سريعة لكى أقرر ما إن كانت هناك ضرورة لإخطار المجلس بما يجرى ؟ "

ابتسم شادىوس كوهين ابتسامة والده الخجولة وهو يغلق حقيبته " سآف يكون مضطر لخوض كل هذه المعاناة أثناء فترة تعافيك . سوف أوافيك بكل الإجابات عندما أتحقق منها " . توقف عند الباب " لقد أعجبت كثيرا بما فعلته فى ريماجين "

استعاد ويليام صحته وعافيته سريعا على مدى الشهور التالية واختفت كل الجروح التى كانت تغطى وجهه وصدره حتى كانت آثارها تلتشى تماما . وفى مساء . كانت كات تجلس بجوارده . أن يستسلم للنوم وتهمس قائلة : " حمدا لله على سلامتك " . احتفت نوبات الصداع المؤلم والأرق واستعد ويليام قوة ذراعه الأيمن . لم تسمح به كات بالعودة إلى عمله إلا بعد أن قضى عطلة بحرية طويلة منعشة فى الساحل الغربى . خلال العطلة البحرية استرخى كين مع كات أكثر من أى وقت مضى منذ الشهر الذى قضياه سويا فى لندن . صرحت له كات بأنه ليس هناك شواطئ لكى ترسو عليها السفينة ويمارس فيها ويليام عمله ، بالرغم من أنها خافت من أنه لو بقى على متن السفينة لأسبوع آخر فسوف يطالب بالسفينة باعتبارها أحد أصول ليمستر وسوف يسعى لإعادة تنظيم طاقم العمل وسررات البحرية والتوقيات وحتى طريقة إبحار

السفينة نفسها والتى كان ويليام يطلق عليها اسم الباخرة العظيمة . وقد اكتست بشرة ويليام بالسمرة أثناء الرحلة وعاد وافر النشاط بعد أن رست السفينة فى ميناء نيويورك . ولم تعد كات قادرة على ثنيه عن العودة إلى عمله فى البنك فى أقرب فرصة .

سرعان ما انحصر ويليام فى العمل فى بنك ليستر ومشاكله ثانية . كان هناك جيل جديد من الرجال قد اقتحم مجال الأعمال بعد أن أصقل بخبرة الحرب ، كانت حركة السوق سريعة وبدا هذا الجيل وكأنه يدير البنوك الأمريكية الحديثة . فاز الرئيس ترومان بتغصير غير متوقع بفترة رئاسة ثانية فى البيت الأبيض بعد أن أعلنت جريدة الشيكغو تريبيون أن الرئيس تومى إى دوى قد فاز بالفعل . لم يكن ويليام يعرف إلا القدر الضئيل عن السيناتور السابق من ميسورى وذلك من خلال ما قرأه عنه فى الصحف . باعتباره جمهورية متحمسا ، تمنى لو عثر حزبه على الرجل الصحيح لتولى

عندما وصل تقرير الأول من شديوس كوهين إلى ويليام . أصبح الواضح بما لا يدع مجالا للشك أن هابيل روزنوفسكى كان مازال يرغب فى شراء أسهم فى بنك ليستر ، فقد سعى للاتصال بكل ورثة تشارلز ليستر ، ولكنه لم ينجح إلا فى عقد صفقة واحدة فقط . رفضت سوزان ليستر أن تقابل محامى ويليام عندما حاول الاتصال بها لذا لم يتبين سبب بيعها للثة بالمائة التى كانت تملكها . كان كل ما يستطيع أن يؤكد هو أنه لم تكن هناك أسباب مادية تدفعها إلى ذلك .

كان الملف الذى أعده كوهين شاملا متكاملا بدرجة تشير الإعجاب .

عين هنري أوسبورن على ما يبدو مديرا لمجموعة البارون عام ١٩٤٦ ، مع توليه مسئولية حساب ليستر . ولكن الأهم من ذلك هو أن هابيل روزنوفسكى كان قد حصل على أسهم سوزان ليستر على نحو يستحجب معه الكشف عن صاحب الأسهم الحقيقي وما إن كان هابيل أم أوسبورن . كان روزنوفسكى يملك الآن ستة بالمائة من أسهم ليستر وكان واضحا أنه كان على استعداد لدفع ٧٥٠ ألف دولار أخرى على الأقل لاقتناء لاثنتين بالائة خاصة ببيتر بارفيت . كان ويليام واثقا تماما مما يمكن أن يقدم عليه هابيل روزنوفسكى فى حال امتلاكه لثمانية بالمائة من الأسهم . ولكن كان ما يثير قلق ويليام بدرجة أكبر هو معدل نمو ليستر مقارنة بمعدل نمو مجموعة البارون ، حيث كان يبدو متراجعا عنه بدرجة كبيرة ، فقد كان معدل نمو البارون يقترب كثيرا من منافسيه هيلتون وشيراتون . بدأ ويليام يسأل نفسه ثانية ما إن كان قد أصبح من حكمه أن يخطر مجلس المديرين بما يجرى وما إذا كان ينبغي عليه أن يتصل بهابيل روزنوفسكى بشكر مباشر بعد عصر النبلى المورقة . صرح ويليام لكات بمخاوفه .

أجابت كات : " لا تفعل شيئا إلى أن تتأكد تماما من نواياه وإن كانت بالفعل ترقى إلى مستوى مخاوفك . قد لا يكون الأمر برمته أكثر من زوبعة فى فنجان "

" بوجود هنري أوسبورن فى الصورة ، أؤكد لك أن الأمر سوف يعدو أكثر من زوبعة فى فنجان . لا يجب أن أبقي ساكنا فى انتظار ما يخططانه لى "

" ربما يكون قد تغير يا ويليام . لقد مضى أكثر من عشرين عاما منذ آخر تعامل شخصى لك معه "

لم نزد كات على ذلك . ولكن ويليام رضى لقولها وأقنع نفسه به ولم يفعل شيئا باستثناء مراقبة كل ما يجرى عن كثب من خلال التقارير ربع السنوية التى كان كوهين يوافيه بها ، آملا أن يكون حدس كات فى محله .

لهابيل - وهو يشهد تتالى الحكومات الشيوعية العميلة الواحدة تلو الأخرى ؛ أنه قد جازف بحياته مقابل لا شيء . بدأ يختلط برجال السياسة فى واشنطن ويستقى برجال الصحافة ويقيم مآدب عشاء . سمجتماع البولندى الأمريكى إلى أن اقترن اسم القضية البولندية باسم "بارون شيكاغو" .

وقد كتب الدكتور ثيودور زيمانفيسكى ؛ الأستاذ السابق لمادة التاريخ فى جامعة كراكوف مقالاً افتتاحياً رائعاً عن هابيس و " نضاله من أجل الاعتراف ببلاده " فى جريدة فريدم ، مما شجع هابيل على الاتصال به . كان الأستاذ رجلاً مسناً ، وعندما دخل هابيل مكتبه اندش من وهن جسده لأنه لم يكن قد عرف عنه سوى حماسه وتأججه الفكرى . رحب الرجل بهابيل ترحيباً حاراً وقدم له بعض الشراب . قال الرجل : " بارون روزنوفسكى . لطالما عجبت بك ونضالك استواصل من أجل قصيتنا . بارعم من أنت لم تقطع شوطاً كبيراً إلا أنك على ما يبدو مازلت متشبهاً بالأمل " .

" ولم أفقد الأمل ؟ فلطالما آمنت بأن كل شيء ممكن الحدوث فى أمريكا " . ولكننى أخشى يا بارون أن الرجال الذين تسمى الآن للتأثير عليهم هم نفس الرجال الذين سمحوا بحدوث الأشياء فى المقام الأول . إنهم لن يقدموا على فعل شيء إيجابى لتحرير شعبنا " .

سأل هابيل : " لا أدرى ما الذى تقصده يا أستاذ ؛ لماذا لن يساعدونا ؟ "

مال الأستاذ إلى الورا فوق كرسيه ؛ " أنت تعرف بالطبع أيها البارون أن الجيوش الأمريكية قد صدرت لها أوامر واضحة بأن تتبطل فى تقديمها نحو الشرق لى تسمح للروس بالسيطرة على أوروبا الوسطى لى نحكم قبضتها عليها . كن باتون يمكن أن يحصل

الفصل الثامن والعشرون



جنت مجموعة فادق البارون أربح طائلة من ازدهار الاقتصاد الأمريكى فى فترة ما بعد الحرب . لم يكن حتى أرباح كهذه أمراً سهلاً منذ اعشرينيات من القرن - ومع مطلع الخمسينات بدأ يسود شعور عم بأن حالة الازدهار هذه سوف تدوم . ولكن النجاح المادى وحده لم يكن هو الشغل الشاغل الوحيد لهابيل مع تقدمه فى العمر . حيث بدأ يقلق بشأن القضية البولندية ووضع بولندا بعد الحرب بين دول العالم وشعر أن نجاحه لم يكن يساعد على مساندة بلاده التى تقع على بعد أربعة آلاف ميل منه . ما الذى قاله بأول زالسكى ؛ قنصل بولندا فى تركيا ؟ " ربما سوف تشهد فى حياتك بعضاً جديداً لبولندا " .

كان هابيل يبذل أقصى ما فى وسعه لى يؤثر ويقنع رجال الكونجرس فى الولايات المتحدة باتخاذ موقف أكثر حماساً بشأن السيطرة الروسية على أوروبا الشرقية . بدأ

" إن أخى لم يقبض عليه أبداً فى بولندا ، وإنما حرر من معسكر الحرب الألمانى بالقرب من فرانكفورت . وبقي فى معسكرات الأمريكيين لمدة شهر كامل ثم سلمته القوات الأمريكية إلى الروس "

" لا يمكن أن يكون هذا صحيحاً . ولم يفعلون ذلك ؟ "

كان الروس يريدون إعادة توطئ كل السلافيين . إعادة توطئهم بحيث يحكمون عليهم إما بالإعدام أو العبودية . ما لم يفعلوه هتلر فعله عليهم ستالين ، وأنا أستطيع أن أثبت أن أخى كان فى الجانب الأمريكى لأكثر من شهر "

استأنف هابيل حديثه : " ولكن هل كان هو استثناء أم كان هناك الكثيرون غيره ؟ "

قال زيمانوفيسكى بدون أن يبدى أى انفعال : " كلا . كان هناك الكثيرون ، مئات الآلاف ، ربما يصل عددهم إلى مليون . لا أعتقد أننا سوف نتوصل يوماً إلى عددهم الحقيقى . يبدو من الواضح أن القوات الأمريكية تحرص على إبقاء هذا الرقم فى طى الكتمان تحت اسم عملية " كى كاتل " .

" عملية كى كاتل ؟ ولكن لم يتحدث الناس فى هذا الشأن ؟ إن أدرك الآخرون أننا نحن - الأمريكيين - نرسل السجناء المحررين ثانية ليموتوا لدى الروس ، فسوف يصابون بالذعر "

" ليس هناك دليل ، ليس هناك وثائق مكتوبة عن عملية كى كاتل . مارك كلارك - ذلك الرجل النبيل - عصى الأوامر وحذر بعض السجناء مسبقاً وسمح لهم بالفرار من معسكرات الأمريكيين قبل تسليمهم للروس . ولكن عدد الفارين مازال قليلاً ولن يسمح بفرار أعداد كبيرة منهم . كان أخى أحد التمساء الذين لم يستطيعوا الفرار " . صمت الأستاذ لبرهه ثم استأنف : " على أية حال ، لقد تأخر الوقت كثيراً الآن "

إلى برلين قبل وصل الروس بزمان ولكن أيزنهاور طلب منه أن يتباطأ . إن زعماءنا فى واشنطن الذين تحاول أن تقنعهم بأن يتقدموا بعنادهم وجيوشهم إلى أوروبا ثانية ، هم نفس الرجال الذين نصحوا أيزنهاور بهذه الأمور .

" ولكنهم لم يكونوا يدركون فى حينها ما سوف يؤول إليه الاتحاد السوفيتى . كما أن الروس كانوا حلفاءنا ، أوافقك الراى فى أننا تساهلنا معهم كثيراً عام ١٩٤٥ ولكن ليس الأمريكيون أنفسهم هم الذين خانوا الشعب البولندى "

فبر أن يتحدث زيمانوفيسكى . سال ثانية إلى الوراء فوق كرسيه وأغمض عينيه فى إعياء :

" لكم تمنيت أن تتعرف على أخى يا بارون روزنوفسكى . لقد علمت فقط فى الأسبوع الماضى أنه قد توفي منذ ستة أشهر فى أحد المعسكرات الروسية التى لا تختلف كثيراً عن المعسكر الذى كنت فيه " .

تقدم هابيل إلى الأمام لكى يهدى بعض التعاطف مع الرجل ولكن زيمانوفيسكى رفع يده وقال : " كلا ، لا تقل شيئاً . لقد عرفت هذه المعسكرات بنفسك ، لذا يجب أن تدرك أن التعاطف لم يعد يجدى . يجب أن نغير العالم فى الوقت الذى يفظ فيه الآخرون فى سبات عميق " . ثم توقف لبرهه وأضاف : " لقد أرسل الأمريكيون أخى إلى الروس "

نظر إليه هابيل فى ذهول :

" الأمريكيون ؟ كيف يمكن أن يحدث هذا ؟ إذا كان أخوك قد قبض عليه فى بولندا على يد القوات الروسية ——— ؟ "

" ولكن الشعب الأمريكى يجب أن يعلم بذلك + سوف أشكل لجنة وأطبع منشورات وألقى خطبا . سوف يصغى إلينا رجال الكونجرس بكل تأكيد إن أخبرناهم بالحقيقة " .
" بارون روزنوفسكى + أعتقد أن هذا الأمر يفوق قدراتك كثيرا " . نهض هابيل من مقعده .

قال الأستاذ : " كلا + كلا + لا أقصد بهذا أن أقلل من شأنك . ولكنك لم تفهم بعد عقلية زعماء العالم . لقد وافقت أمريكا على تسليم هؤلاء المساكين لأن سديين طلب منهم ذلك أنا واثق من أنهم لم يفكروا يوما بأنه يمكن أن تعقد محاكمات ومعسكرات أشغال شاقة وإعدام . ولكننا الآن ونحن نقترّب من الخمسينات فلن يقر أحد بأنه قد تورط بشكل مباشر أو غير مباشر . كلا + إنهم س يفعلوا ذلك أبدا . إلا بعد مائة عام قادمة وعندما سيكون الجميع باستثناء مؤرخين قلائل قد نسوا أن بولندا فقدت ضحايا في الحرب أكثر من أى أمة على وجه الأرض بما فى ذلك ألمانيا ^{التي} كانت أمل فيه بحر هو أن تلعب دورا أكثر وصوحا وقوة فى الحياة السياسية " .

" لقد فكرت بالفعل فى هذا الأمر ولكننى لم أعثر على طريقة .
بأى شكل تقصد ؟ "

" لى آراء خاصة فى هذا الصدد أيها البارون لذا يجب أن تحرص على الاتصال بى " . وقف الرجل العجوز على قدميه واحتضن هابيل . ثم أضاف : " وفى هذه الأثناء + افعل كل ما يمكنك فعله من أجل خدمة قضيتنا ولكن لا تندم عندما توضع الأبواب فى وجهك " .

فى اللحظة التى وصل فيها هابيل إلى فندق البارون + التقط سماعة الهاتف وطلب من عامل الهاتف أن يطلب له مكتب

السيناتور دوجلاس . كان بول دوجلاس سيناتور إيلينوى المنتمى إلى الحزب الديمقراطى الليبرالى + الذى كان قد انتخب بواسطة جهود الآلة الانتخابية فى شيكاغو . يحرص دائما على مساعدة هابيل وتلبية كل مطالبه نظرا لأن دائرته الانتخابية تضم أكبر مجتمع بولندى فى البلاد . كان مساعده البولندى آدم توماسيفيتش يتولى مهمة التعامل مع كل ما يخص البولنديين .

" مرحبا يا آدم + أنا هابيل روزنوفسكى + أود أن أحادث السيناتور . هل يمكنك أن تتحدث لى موعدا للقاءه ؟ "

" أخشى أنه ليس موجودا اليوم يا سيد روزنوفسكى . أعرف أنه سوف يبعده أن يتحدث معك فور عودته إلى الولاية يوم الخميس القادم . سوف أخبره بأن يتصل بك مباشرة . هل تحب أن تترك له رسالة " .

" نعم أنت كبولندى سوف يعينك ما سوف أقول . جاءتنى تقارير من مصادر موثوقة بأن السلطات الأمريكية فى ألمانيا تساعد فى عودة المواطنين البولنديين إلى الأراضي التى احتلها لاتحاد السوفينى وأن العديد من هؤلاء البولنديين قد تم إرسالهم ثانية إلى معسكرات الأشغال الشاقة فى روسيا ولم يسمع عنهم من وقتها ثانية " .

سادت فترة صمت من الطرف المقابل .

" سوف أعلم السيناتور فور عودته يا سيد روزنوفسكى . شكر لاتصالك " .

ولكن السيناتور لم يتصل بهابيل يوم الخميس أو الجمعة أو فى عطلة نهاية الأسبوع . وفى صباح الاثنين + اتصل هابيل بمكتبه وثانية رد عليه آدم توماسيفيتش .

كاد هابيل يرى وجهه المكسو بحمرة الخجل : " نعم يا سيد روزنوفسكى . لقد ترك لك السيناتور رسالة ، فقد كان مشغولاً للغاية كما تعرف ، هناك الكثير من الأمور التى يجب أن يسويها قبل عطلة الكونجرس . لقد طلب منى أن أعلمك بأنه سوف يتصل بك فى الحال عندما يجد وقتاً " " هل أبلغته برسالتي ؟ "

" أجل ؛ بالطبع . وقد طلب منى أن يؤكد لك أنه واثق من أن الشائعة التى سمعتها ليست سوى دعاية مناهضة لتشويه سمعة الولايات المتحدة . وقد أضاف أن أحد القواد المشتركين أخبره أن القوات الأمريكية قد صدرت لها أوامر بعدم تسليم أى شخص تحت إشرافهم "

بدا توماسيفيتش وكأنه يقرأ خطبة أعدت جيداً وشعر هابيل أن أول ياب قد أوصد فى وجهه . فلم يكن السيناتور دوجلاس قد أقدم من قبل أبداً على تجنب محادثته

وضع هابيل سماعة الهاتف وطلب من سكرتيره أن يتصل بسيناتور آخر كان قد اشتهر بجراته فى الإفصاح عن رأيه فى أى شخص وإخضاعه للمساءلة .

جاء مكتب سيناتور جوزيف مكارثى على الخط وسأل عن اسم المتحدث فقلت له السيدة التى ردت على الهاتف بعدما سمعت اسم المتحدث وسبب الاتصال : " سوف أحاول العثور على السيناتور "

كان مكارثى يقترب من قمة مجده وكان هابيل يدرك أنه سوف يكون محظوظ إن حظى بالحديث معه لبضع دقائق على الهاتف كنت كلمات مكارثى الأولى : " السيد روزنوفسكى "

لم يكن هابيل واثقاً ما إن كان الرجل قد تعمد الخطأ فى نطق اسمه أم أنه كان هناك عيب فى الخط . " ما هو الأمر بالغ الخطورة الذى كنت تريد أن تناقشه معى ؟ " . تردد هابيل ؛ شعر بتوتر عندما أدرك أنه بالفعل يخاطب السيد مكارثى بشكل مباشر . جاءه صوت السيناتور ليخفف من وطأة شعوره بالتوتر : " سرك فى مأمن معى "

قل هبيب . " بالطبع " ثم صمت ثانية لكى يستجمع أفكاره . " لقد كنت أيتها السيناتور خطيباً مفوها فنأدى بتحرير أوروبا الشرقية من قبضة الشيوعية " " بالطبع أنا كذلك وأنا سعيد لأنك تفكر ذلك يا سيد روزنوفسكى "

فى هذه المرة كان هابيل واثقاً من أن الرجل قد أخطأ نطق اسمه عن عمد ولكنه قرر ألا يعلق على الأمر .

واصل السيناتور حديثه : " بالنسبة لأوروبا الشرقية أنت تعلم أنه لا يمكن الإقدام على تحرير بلادكم إلا بعد إقصاء هؤلاء الخونة عن حكومتنا " .

" هذا هو تحديداً ما أود أن أحادثك فيه أيتها السيناتور . لقد حققت نجاحاً باهراً فى تطهير حكومتنا من الخيانة ؛ ولكن إلى الآن بقيت أحد أكبر الجرائم الشيوعية خافية عن الرأى العام " " ما هى هذه الجريمة البشعة التى تتحدث عنها يا سيد روزنوفسكى ؟ فقد عثرت على أشياء كثيرة منذ وصولى إلى واشنطن "

" إننى أتحدث عن " - ثم سحب هابيل نفسه إلى أعلى قليلاً فى وضع أكثر استقامة فوق مقعده - " عن إعادة التوطين الإجبارى لآلاف من المواطنين البولنديين من قبل السلطات الأمريكية بعد

انتهاء الحرب . لقد تم إرسال الأبرياء المناهضين للشيوعية إلى بولندا ومنها إلى الاتحاد السوفيتي لكي يواجهوا مصيرا من اثنين إما الاستعباد أو القتل . " بقي هابيل في انتظار تلقى الرد ولكنه شعر أنه لن يحصل عليه . ثم سمع قوقعة وأخذ يتساءل إن كان هناك شخص آخر ينصت إلى الحوار .

قال السيناتور ، بعد أن تغيرت نبرته تماما " كيف يمكن أن تكون بهذا الغباء يا روزينيفسكي ؟ أنت تجرؤ على الاتصال بي لكي تخبرني بأن الجنود الأمريكيين الأوفياء أرسلوا آلاف البولنديين ثانية إلى الروس وأنه لم يسمع أحد بهذا الأمر ؟ هل تطلب مني أن أصدق ذلك ؟ حتى البولندي لا يمكن أن يصدق مثل هذا البهلاء . أنساءل كيف يمكن أن تصدق كذبة كهذه بدون دليل ؟ هل تريدني أيضا أن أصدق أن الجنود الأمريكيين خونة ؟ هل هذا ما تريد ؟ أخبرني يا روزينيفسكي ، ما الذي دهاكم جميعاً أيها الناس ؟ هل أنتم من الغباء بحيث تصدقون هذا التشنيع الشيوعي حتى إن كان بمثابة لكمة على وجوهكم ؟ هل أنتم على استعداد لإصدار وقت سيناتور مكبل بالعمل بسبب إشاعة روج لها المعسكر الأحمر لكي يثير الفلاقل في أوساط المهاجرين داخل أمريكا ؟ "

بقي هابيل بلا حراك ، ذاهلاً أمام هذه الثورة العارمة . قبل أن تنتهي نصف خطبة التقرير ، أدرك هابيل أن أي اعتراض سوف يكون بلا جدوى . بينما بقي منتظراً لانتهاء الخطبة المحمومة . شعر بالسعادة لأن السيناتور لم ير وجهه الذاهل .

قال هابيل في هدوء : " سيناتور ، أنا واثق أنك محق وإنني جد أسف لأنني أهذرت وقتك . إنني لم أفكر في الأمر على هذا النحو من قبل . "

قال مكارثي بنبرة أكثر تلطفاً : " حسناً ، هذا يثبت لك مدى مكر ومراوغة هؤلاء الأوغاد الشيوعيين . يجب أن تبقى عينيك مفتوحتين عليهم طوال الوقت . على أية حال ، أتمنى أن تكون أكثر إدراكاً الآن لهذا الخطر المحدق الذي يحيق بكل أمريكي " .

" بالطبع أيها السيناتور ، أشكرك ثانية على تكبد عناء محادثتي شخصياً . إلى اللقاء " .

" إلى اللقاء يا روزينيفسكي " .

سمع هابيل سماعة الهاتف وهي تعاد إلى مكانها وأدرك أن وقعها كان معاثلاً تماماً لوقع الباب الذي أغلق بشدة .

التعليقات الساخرة عليها عندما يحدث ريتشارد أى نشاز . أما لوسى فقد كانت تعشق أختها وأخاها وكانت تنتظر إلى فيرجينيا بعين الإجلال باعتبارها بيكاسو العصر الجديد وإلى ريتشارد باعتباره أفضل عازف للشيلو . بدأ ويليام يتساءل عما سوف يحمله المستقبل لأنبائه الثلاثة عندما يغيب هو عنهم .

كانت كات ترى أن أبناءها الثلاثة يبلون بلاء حسنا . كان ريتشارد الآن قد أصبح فى مدرسة سانت بول ، وقد أحرز تقدما كافيا فى الشيلو مكنه من الالتحاق بالفرقة الموسيقية فى المدرسة . بينما نجحت فيرجينيا فى رسم لوحة جميلة إلى حد سمح لها بتعليمها فى عرفة الأدبية . وقد أصبح من الواضح لكل أفراد الأسرة أن لوسى سوف تكون فائقة الجمال حيث إنها كانت تتلقى رسائل غرامية وهى لا تزال فى الحادية عشرة من عمرها من أولاد لم يكن لهم هم حتى هذه السن إلا بالبيسبول .

وفى عام ١٩٥١ ، قبل ريتشارد فى هارفارد وبالرغم من أنه لم ينجح فى الفوز بالمنحة الدراسية لمادة الرياضيات إلا أن كات أكدت لويليام أنه يلعب البيسبول ويعزف على الشيلو فى سانت بول ، وهما إنجازان لم يكن ويليام قد جروء على الاقتراب منهما . كان ويليام يفخر فى قرارة نفسه بإنجازات ريتشارد ولكنه كان مع ذلك يهمنى لكات بأنه لم يعرف الكثير من المصرفيين الذين يمارسون البيسبول ويعزفون على الشيلو .

كان العمل المصرفى يسير فى طريق الازدهار والتوسع فى وقت هيمن فيه الشعور بالسلام الدائم . وسرعان ما وجد ويليام نفسه غارقا فى العمل ولفترة قصيرة واقعا تحت وطأة تهديد هابيل روزنوفسكى ومشاكله النابعة من الماضى .

الفصل التاسع والعشرون



بدأ ويليام يشعر أنه قد تقدم فى السن عندما كانت كات تمازحه بشأن الشعيرات الرمادية التى بدأت تظهر فى رأسه والتى كان قد اعتاد إحصاءها من قبل ولكنه لم يعد قادرا على عدّها بعد أن ازداد عددها ، وعندما بدأ ريتشارد يحضر صديقاته إلى البيت ، كان ويليام يؤيد دائما ذوقه فى انتقاء السيدات الصغيرات ، كما كان ويليام يطلق عليهن ، ربما لأنهن جميعا كن يشبهن كات التى كان ويليام يعتبرها قد ازدادت جمالا فى منتصف العمر أكثر من أى وقت مضى . أما ابناته فيرجينيا ولوسى - اللتان كانتا قد أصبحتا أنستير صغيرتين فقد كانتا تشعان فى نفسه سعادة غامرة لأنهما كانتا تشبهان والدتهما . كانت فيرجينيا قد أصبحت فنانة حقيقية وكانت جدران غرفتها والمطبخ مغطاة بآخر أعمالها العبقريّة - كما كان يصفها ريتشارد ساخرا . وقد بدأ انتقام فيرجينيا من أخيها عندما بدأ دروس الشيلو والتى كان حتى الخدم يعلقون أحيانا بعض

كانت التقارير ربع السنوية المتوالية من ثاديوس كوهين تشير إلى أن نشاط روزنوفسكى قد بدأ يسير فى منحنى لم يكن بالإمكان تجاهله ؛ فقد كان يحاول من خلال طرف ثالث إعلام كل حامل أسهم باستثناء ويليام برغبته فى شراء أسهم ليستر . أخذ ويليام يتساءل إن كان هذه التوجه سوف يدفعه نحو مواجهة صريحة مع هذا البولندى . بدأ يشعر أن وقت إخطار مجلس إدارة بنك ليستر بتصرفات روزنوفسكى أصبح وشيكا ، وربما يقدم استقالته إذا أصبح البنك واقعا تحت الحصار ؛ وهو التصرف الذى سوف يشيع داخل هاييل روزنوفسكى الشعور بزهو الانتصار وهو السبب الوحيد الذى دفع ويليام إلى عدم الإقدام على هذا التصرف . وقد قرر أنه إن كتب عليه أن يفاضل من أجل حياته فسوف يفعل ويخوض الصراع . وإن كان هناك شخص يجب أن يسقط ويهزم فسوف يبذل أقصى جهده لئلا يكون هذا الشخص هو ويليام كين .

كانت مشكلة ما يجب فعله بشأن البرنامج الاستثمارى لهاييل روزنوفسكى قد أصبحت أخيرا خارج نطاق سيطرة ويليام . فى بدايات عام ١٩٥١ ، عرض على البنك مشروع تمويل شركة طيران أمريكية جديدة تسمى شركة طيران إنتر ستيت بعد أن حصلت على تصريح من إدارة الطيران الفيدرالى يسمح لها بتنظيم رحلات جوية بين الساحلين الشرقى والغربى . عرضت الشركة على بنك ليستر فكرة تمويل المشروع الذى كان سيتكلف ٣٠ مليون دولار وهو المبلغ الذى فرضته اللائحة الحكومية لدعم المشروع .

لاقى مشروع بعد الدراسة ترحيبا من قبل ويليام ووجده مشروع يستحق المساندة وكان يقضى كل وقته فى طرح عروض عامة للحصول على التمويل اللازم الذى تقدر قيمته بثلاثين مليون دولار . أما البنك باعتباره المشرف على المشروع فقد سخر كل موارده المالية

لمساندة المشروع الجديد . أصبح المشروع شغل ويليام الشاغل منذ عودته إلى ليستر ؛ وقد أدرك ويليام أن سمعته الشخصية أصبحت على المحك بعد أن اقتحم السوق بثلاثين مليون دولار . وفى يوليو ؛ عندما تم إعلان تفاصيل العرض ؛ تكالب الناس على شراء الأسهم التى نغدت فى غضون أيام . تلقى ويليام ثناء من كل القراء على الطريقة التى تعامل بها مع المشروع مما حقق له هذا النجاح منقطع النظير . كان ويليام هو الآخر يشعر بسعادة غامرة إلى أن قرأ فى تقرير ثاديوس كوهين التالى أن هاييل روزنوفسكى قد اقتنى من خلال إحدى شركاته الوهمية عشرة بالمائة من أسهم شركة طيران .

أدرك ويليام أن الوقت قد حان لإفصح عن مخاوفه لكل من تيد ليتش ~~وتونى سيمونس~~ . طلب من تونى أن يأتى إلى نيويورك حيث قصر على نائبى البنك ملحمة هاييل روزنوفسكى وهنرى أوسبورن .

رد تونى سيمونس الأول : " لم تخبرنا بالأمر من قبل ؟ " .

" كنت أتعامل مع مئات الشركات فى حجم مجموعة ريكوموند عندما كنت أعمل فى كين وكابوت يا تونى ولم يكن بوسعى وقتها أن أقرر إن كان جادا بشأن الانتقام . إننى لم أكتشف إلا مؤخرا فقط أن روزنوفسكى كان مصرا على التمسك منى عندما أقدم على شراء عشرة بالمائة من أسهم شركة طيران إنتر ستيت " .

قال تيد ليتش : " أعتقد أنها قد تكون مبالغة من جانبك لأن هناك شيئا واحدا فقط أنا واثق منه وهو أنه لن يكون من الحكمة إخطار باقى أفراد مجلس الإدارة بهذه المعلومات . إن آخر شيء

نريده بعد أيام قليلة من إعلان شركة جديدة هو إشارة موجة من الذعر يمكن أن تدفع المستثمرين إلى التخلص من الأسهم "

قال توني سيمونس : " بالطبع . لم لا تقابل هذا المدعو روزنوفسكى وتحدث معه ؟ "

أجاب ويليام : " أعتقد أن هذا هو ما يسعى وراءه تحديدًا . سوف يشعره هذا بلا شك بأن السك يشعر أنه قد وقع تحت الحصار "

" ألا ترى أن هذا السلوك يمكن أن يتغير إن أخبرته بأنك قد بذلت قصارى جهدك لكى يدعم است مجموعة ريكورد ولكلهم لم يؤيدوا وجهة نظرك و — ؟ "

" أنا واثق أن هذا لن يحدث قارقاً "

سأل تيد ليتش : " حسناً ، ما الذى تظن أن البنك يجب أن يفعله ؟ نحن بالطبع لا نملك أن نمنعه من شراء أسهم ليستر إن وجد من يريد اببيع . أما إن أقدمنا نحن على شراء أسهم صوف نضع أنفسنا بين قبضه يديه لانه سوف ندفع بذلك السعر إلى أعلى ونرفع قيمة ما يملكه بالفعل مما سوف يعرضه لضع إمارة للخطر أنا واثق من أن هذا هو أقصى ما يصبو إليه . نحن نمثل تحديداً الحجم الذى يتطلع هارى ترومان إلى الإيقاع به وليس هناك ما يتطلع إليه الحزب لديمقراطى . قصر من فصيحة وكارثة بنكية مع اقتراب الانتخابات "

قال ويليام : " أرى أنني لا أملك أن أفعل الكثير حيال الأمر ، ولكنى كان يجب أن أخبركم بنية روزنوفسكى لأنه قد يفجئنا بامر ما " .

قال توني سيمونس : " أعتقد أنه مازال أمامنا فرص أخرى وهى أن يكون الأمر كله لا يعدو كونه استثماراً بريئاً وأنه فقط يحترم موهبتك كمستثمر "

" كيف يمكن أن تقول ذلك يا توني وأنت تعلم أن زوج أسمى السابق متورط فى الأمر ؟ هل تظن أن روزنوفسكى قد استخدم هنرى أوسبورن لكى يدعم نجاحى ؟ هذا يعنى بوضوح أنك لا تفهم روزنوفسكى . لقد راقبته عن كثب على مدى عشرين عاماً . إنه لا يقبل الهزيمة ، إنه يواصل رمى النرد إلى أن يحقق المكسب ، إننى أعرفه جيداً كما لو كان فرداً من أفراد أسرتى . إنه سوف .. " .

" الآن ، لا تفرط فى المبالغة يا ويليام ، أنا أتوقع — " .

" لا أفرط فى المبالغ يا توني ؟ تذكر قوة السواد الخاصة بالتأسيس التى تمنح لأى شخص يحصل على ثمانية بالمائة من أسهم البنك وهى المادة التى أدرجتها بنفسى لكى أحمى نفسى من الإقالة . إن الرجل قد حصل بالفعل على ستة بالمائة من الأسهم وإن لم يكن هذا سيئاً بدرجة كافية بالنسبة للمستقبل فلا تنس أن روزنوفسكى يمكن أن يسحق شركة طيران إنتر ستيت فى الحال إن طرح كل أسهمه فى السوق دفعة واحدة " .

قال تيد ليتش : " ولكنه لن يجنى شيئاً من وراء هذا التصرف ، على العكس ، سوف يفقد الكثير من المال " .

قال ويليام : " صدقنى ، أنت لا تفهم الطريقة التى يفكر بها هاميل روزنوفسكى . إنه يملك شجاعة الأسد وهذه الخسارة لا تعنى شيئاً بالنسبة له . لقد بدأت أدرك سريعاً أن كل ما يصبو إليه هو أن يصبح مساوياً لى . أجل بالطبع قد يخسر مالا إن أغرق أسهم إنتر ستيت ولكن مع ذلك سوف تبقى له سلسلة فنادقه لكى يعتمد

عليها . إنه يملك واحداً وعشرين فندقاً الآن كما تعرف وهو يدرك تماماً أنه إن انهارت إنتر ستيت بين يوم وليلة فسوف نلتقي بدورنا لطمة قاسية . نحن كمصرفيين نكتسب مصداقيتنا من ثقة الجمهور فيجب بقدم عليه . وهي الثقة التي يمكن أن ينال منها هيبيل روزنوفسكى الآن أو في الوقت الذى يناسبه .

قال تونى سيمونس : " اهدأ يا ويليام . إن الأمر لم يصل بعد إلى هذا الحد ، الآن بعد أن عرفنا ما يرمى إليه روزنوفسكى . يمكننا أن نبقى تحت المراقبة الدقيقة . يمكننا أن نتصدى لتحركاته كلما احتجنا إلى ذلك . إن أول شئ يجب أن نتأكد منه هو ألا يقدم أحد على بيع أسهمه فى البنك قبل أن يعرض هذا عليك أولاً . إن البنك سوف يساند أى قرار أو تصرف سوف تتخذه . ولكنى مازلت أرى أن تتحدث مع روزنوفسكى بشكل شخصى وتصارحه بالأمر على الأقل سوف يسمح لك هذا بالكشف عن حقيقة نواياه وما يجب أن نعد أنفسنا لمواجهة " .

" هل هذا هو رأيك أنت الآخر يا تيد ؟ "

" نعم ، أوافق تونى الرأى ، أعتقد أنك بحسب أن تتصل به مباشرة . إن الكشف عن حقيقة نواياه سوف يحقق صالح البنك " .
جلس ويليام صامتا لبعض لحظات ثم نطق أخيراً : " إن كنتم تتفقان فى الرأى فيجدر بى أن أسعى للمحاولة ، ولكننى يجب أن أقر أن حكمتى قد يكون خاطئ نظر لكونى طرفاً شخصى فى الأمر فقط دعونى أفكر فى الأمر لأيم قليلة أوافيكما بعدها ثم توصلت إليه " .

بعدما غادر النائبان مكتبه ، جلس ويليام وحيداً يفكر فى التصرف الذى وافق على الإقدام عليه . بالصبح لن يكون هناك من

كبير فى النجاح مع هيبيل روزنوفسكى مدم هنرى أوسبورن متورط فى الأمر .

بعد أربعة أيام أخرى ، جلس ويليام فى مكتبه وطلب صدم مغاطعته تحت أى ظرف . كان يعرف أن هابيل روزنوفسكى يجلس هو الآخر فى مكتبه فى فندق بارون نيويورك . كان ويليام قد أرسل رجلاً لى يبقى مرابطاً داخل الفندق طواب النهار ويعلمه فور وصول سيد روزنوفسكى . اتصل برجر وأخبر ويليام أن هابيل وصل فى شامنة وسبع وعشرين دقيقة صباحاً وتوجه إلى مكتبه مبشرة فى لطبق الثنى والأربعين ولم يبرحه منذ ذلك الحين . التقط ويليام سماعة الهاتف وطلب من العامل أن يطلب له فندق البارون .

" فندق البارون نيويورك " .

قال ويليام فى توتر . " هل يمكن أن يحدث السيد روزنوفسكى ؟ "

كرر ويليام ولكن بصوت أكثر ثباتاً فى هذه المرة : " هل يمكن أن أحادث السيد روزنوفسكى من فضلك ؟ "

قالت السكرتيرة : " هل لى أن أعرف من المتحدث ؟ "

" اسمى ويليام كين " .

سادت فترة صمت طويلة أو ربما يكون ببساطة قد هينى لويليام هكذا .

" أنا لست واثقة إن كان موجوداً يا سيد كين ولكننى سوف

أرى ذلك " .

ثم سادت فترة صمت طويلة

" السيد كين ؟ "

" السيد روزنوفسكى ؟ "

سأل هابيل في صوت بالغ الهدوء مشوياً ببعض الكبرياء :

" ما الذى يمكن أن أسديه لك يا سيد كين ؟ "

بالرغم من أن ويليام كان قد أعد مقدمة حديثه بمنتهى العناية .
فقد كان واقعاً من أن صوته خرج مضطرباً .

قال ويليام : " أنا قلق ببعض الشيء بشأن أسهمك فى بنك
ليستريا سيد روزنوفسكى . وكذلك من وضعك القوى فى إحدى
الشركات التى نمتلكها . وقد فكرت ربما أن الوقت قد حان لكى
نلتقى ونفصح عن نوايانا . كما أن هناك أيضاً أمراً شخصياً أود أن
أخبرك به "

سادت فترة صمت طويلة . هل أغلق الهاتف ؟

" ليس هناك ما يمكن أن يدفعنى لمقابلتك بـ كبير يكسبى ما
أعرفه عن ماضيك ؛ لذلك فأنا لست بحاجة لسماع الأعذار . أبقى
عبيك مفتوحتين طوال الوقت وسوف تكشف بوضوح عن مبادئ
التي تختلف كثيراً عن تلك السوفى والنواب التى قرأت عنها فى
المراجع والكتب بـ سيد كين . فى يوم من الأيام سوف أدفعك
الرغبة فى اللقاء نفسك من الطابق السابع عشر ، من إحدى نوافذ
فنادقى لأنك سوف تعاني من مشاكل خطيرة مع بنك ليستريا بسبب
أسهمى . أنا فقط بحاجة إلى اثنين بالمائة من الأسهم لكى أنفذ المادة
رقم سبعة وكلانا يعرف ما يعنيه ذلك ؛ أليس كذلك ؟ ربما سوف
تقدر بعدها للمرة الأولى ما شعر به ديفيز ليروى وهو يتساءل على
مدى أشهر عن القرار الذى اتخذته البنك بشأن حياته . الآن يمكنك
أن تجلس وتتساءل على مدى سنوات عما أنا عازم على فعله بعد أن
أمتلك ثمانية بالمائة من أسهم البنك "

أثارت كلمات هابيل ذعر ويليام ولكنه نجح بشكل ما فى
التحامل على نفسه واستعادة هدوئه وهو يبدق فى نفس الوقت بيده

فى غضب فوق مكتبه : " يمكننى أن أتفهم شعورك يا سيد
روزنوفسكى ولكننى مازلت أعتقد أنه من الحكمة أن نلتقى لتباحث
الأمر . هناك أمر أو أمران أود أن أخبرك بهما "

" مثل الطريقة التى تحايلت بها على هنرى أوسبورن لكى تملبه
الخمسمائة ألف دولار يا سيد كين ؟ "

بقى ويليام صامتا وأراد أن ينفجر ولكنه ثانية ضغط على أعصابه
ونجح فى استعادة هدوئه

" كلا يا سيد روزنوفسكى ؛ إن ما أود أن أحادثك فيه ليس له
أية صلة بالسيد أوسبورن . إنه أمر شخصى خاص بك أنت
وحده . ومع ذلك ، فأستطيع أن أؤكد لك بأننى لم أسلب يوماً من
السيد أوسبورن شيئاً واحداً . "

" ولكن هذا ليس رأى هنرى . إنه يقول إنك المسئول عن وفاة
والدتك لأنك لم ترد أن تفى بالدين . وبعد ما فعلته مع ديفيز ليروى
فأنا لا أجد صعوبة فى تصديق ما يقول . "

لم يكن ويليام قد بذل من قبل جهداً مضنياً كهذا لكى يسيطر
على مشاعره . من يظن نفسه هذا الرجل ؟ وقد استغرق بضعة ثوان
لكى ينجح فى الرد : " أقترح أن نسوى سوء الفهم هذا من خلال
لقاء فى مكان محايد من اختيارك بحيث لا يتعرف فيه أحد
علينا . "

" هناك مكان واحد فقط لا يمكن أن يتعرف فيه أحد عليك يا
سيد كين . "

سأل ويليام : " أين ؟ "

قال هابيل : " فى السماء " ثم أعاد سماعه الهاتف إلى مكانها .

أجاب هابيل مقاطعا : " وكورتيس فنتون "
 " أجل ولكنه لا يمكن أن يكون قد أخبر كين . "
 " لا بد أنه فعل . ليس هناك شخص آخر . لا تنس أن كين كان
 يتعامل معه مباشرة عندما اشترت مجموعة ريكوموند من البنك .
 أعتقد أنه ظل بينهما تواصل منذ ذلك الوقت "

" يا إلهى "

" تبدو قلقا يا هنرى "

" إن كان ويليام كين يعرف كل شيء ، فهذا يعنى أن قوانين
 اللعبة قد اختلفت . أنا أحذرك يا هابيل ، إن هذا الرجل لا يحب
 الخسارة "

قال هابيل " ولا أنا . كم أر ويليام كين لا يخيفنى وأنا
 أحص كل هذه البطاقات الراحية بين يدى . ما هى آخر مقتنياتنا
 فى أسهم كين ؟ "

" على ما أذكر أنت تملك ستة بامائة من أسهم بنك ليستر
 وعشرة بامائة من شركة إنتر ستيت الجوية ، بالإضافة إلى الأسهم
 التى تملكها هنا وهناك من الشركات التى تتعامل مع بنك ليستر
 أنت فقط بحاجة إلى اثنين بامائة من بيستر لكى نفعل المادة رقم ٧
 ومازال بيتر بارفيت يراوغ من أجل البيع . "

قال هابيل : " ممتاز . أنا الآن أرى كيف يمكن أن نحسن
 الوضع . واصل تفاوضك مع بارفيت وضع فى اعتبارك أننى لست
 متعجلا لأتى أدرك تماما أن كين لا يستطيع الاقتراب منه . بالنسبة
 للوقت الحاضر ، لندع كين يتساءل عما نحن عازمون عليه .
 واحرص على ألا تفعل شيئا قبل أن أعود من أوروبا . يعد حديثي
 الهاتفى مع كين هذا الصباح ، يمكننى أن أؤكد لك ولكى لا أكون
 خطأ أنه قد بدأ يتصيب عرقا من هول الموقف . ولكن أصارحك القول

الفصل الثلاثون



قال هابيل للسكتريرة : " اتصلى بهنرى أوسبورن على الفور "
 أخذ يطرق بأصابعه على المكتب إلى أن استقرت السكتريرة
 خمس عشرة دقيقة فى العتور على رجر بكونجرس السيد أوسبورن
 الذى كان يجرى جولة مع أبناء دائرته حول مبنى الكابيتول
 " هابيل ، هل أنت المتحدث ؟ "

" نعم يا هنرى ، كنت أعتقد أنك أول شخص يجب أن يعرف
 أر كين يعرف كل شيء وهذا يعنى أن المعركة قد أصبحت الآن
 مكشوفة "

سأل هنرى فى قلق : " ما الذى تقصده بأنه يعرف كل شيء ؟
 هل تظن أنه يعرف أننى مشترك معك فى الأمر ؟ "
 " بالطبع يعلم ، كما يبدو أنه يعرف كل شيء عن حساباتى
 الخاصة فى بنك ليستر وشركة طيران إنتر ستيت . "

" ولكن كيف عرف بكل هذه الأشياء ؟ فلا أحد يعرف سواى أنا
 وأنت هذه الحسابات الخاصة . "

يا هنرى فأنا لا أتصعب عرقا . يمكنه أن يبقى على هذه الحال لأنه ليست لدى أية نية للإقدام على أى تحرك قبل أن أكون على أهبة الاستعداد .

قال هنرى : " حسنا سوف أوافيك بأى تطور مقلق " .

" يجب أن تضع فى اعتبارك يا هنرى أنه ليس هنا ما يقلقنا لقد أحكمنا قبضتنا على السيد كين وسوف نضغط عليه شيئا فشيئا " .

قال هنرى وقد بدت نبرة صوته أكثر سعادة : " سوف يسعدنى رؤية ذلك " .

" أحيانا أشعر أنك تكره كين أكثر مما أكرهه أنا " .

ضحك هنرى فى توتر : " استمتع بوقتك فى أوروبا " .

وضع هابيل سماعة الهاتف وأخذ يحدد إلى الغضاء وهو يفكر فى خطوته التالية ، وأصابه ما زالت تطرق بصوت مسموع مكتبه ، دخلت سكرتيرته المكتب .

" اتصلى بالسيد كورتيس فنتون فى بنك كوتيننتال تراست " قاله بدون أن ينظر إليها ، واصل الطريق على المكتب بأصابه . وواصل التحديق بعينيه ، بعد مرور لحظات قليلة دق جرس الهاتف .

" فنتون ؟ " .

" صباح الخير يا سيد روزنوفسكى ، كيف حالك ؟ " .

" أريدك أن تغلق كل حساباتى فى بنكك " .

لم يسمع هابيل ردا من الطرف المقابل .

" هل سمعتنى يا فنتون ؟ " .

قال الرجل المصرفى فى ذهول : " نعم ولكن هل لى أن أسألك عن السبب يا سيد روزنوفسكى ؟ " .

" لأننى لا أحب الخونة يا فنتون ، هذا هو السبب . كما أنك منذ هذه اللحظة لا تنتمى إلى مجلس إدارة مجموعة البارون ، سوف تصلك كل هذه التعليمات مكتوبة وتطالبك بتحويل كل حسابات شركتنا لدى البنك " .

" ولكننى لا أفهم السبب يا سيد روزنوفسكى ، ما الذى يعلمه " ؟ " .

وضع هابيل السماعة بينما كانت ابنته تدخل المكتب .

" لم يكن هذا جيدا يا أبى " .

قال هابيل ، بعد أن تغيرت نبرة صوته فى الحال : " لم أكن أقصد أن يكون جيدا ولكن لا تشغلى بالك بهذا يا عزيزتى . هل عثرت على كل الملابس التى كنت تبحثين عنها ؟ " .

" نعم ، شكرا يا أبى ولكننى لست واثقة كيف يرتدون ثيابهم فى لندن وباريس ، أتمنى فقط أن أكون قد انتقيت الملابس المناسبة حتى لا أبدو غير مسايرة للموضة هناك " .

" سوف تهدين فى غاية الأناقة يا عزيزتى ، أى شخص يتمتع بذوقك يجب ألا يخشى ذلك . سوف تكونين أجمل فتاة فى أوروبا . سوف يلحظون مدى رقى ذوق ملابسك . وسوف يتساقط الشباب الأوروبى فوق بعضهم البعض أمام جمالك ولكننى سوف أكون موجودا لإنقاذ الموقف . والآن دعينا نذهب ونتناول الغداء سويا ونناقش ما سوف يحدث أثناء تواجدك فى لندن " .

بعد عشرة أيام ، وبعد أن قضت فلورنتينا عطلة نهاية أسبوع طويلة مع والدها ، لتى لم يكن هابيل يتفقد أخبارها أبداً ، طار الوالد بصحبة ابنته من مطار ليدل في نيويورك إلى مطار هيثرو فى لندن . استغرقته الرحلة داخل الطائرة البوينج ٣٧٧ ما يقرب

من أربع عشرة ساعة وبالرغم من أنه كان لكل منهما مضجع خاص ، فإن أول شيء كانا يتطلعن إليه فور وصولهما إلى كلاريدج فى شارع بروك هو أخذ قسط وافر آخر من النوم .

كان هايبيل قد قام بهذه الرحلة لثلاثة أسباب : الأول هو أن يؤكد على عقود بناء فنادق البارون الجديدة فى لندن وباريس وربما فى روما ؛ والثانى أن يمنح فلورنتينا جولة أولى فى أوروبا قبل أن تبدأ دراستها فى رادكيلف لدراسة اللغات الحديثة ؛ والثالث وهو الأكثر أهمية أن يزور قصره فى بولندا ويرى إن كانت هناك فرصة لإثبات ملكيته له .

حققت رحلة لندن مكسبا قيما لكليهما . كان مستشارو هايبيل قد عثروا على موقع فى أحد أركان هايد بارك وكان قد أصدر تعليماته لمحامييه ببدء التفاوض الفوري لشراء الأرض واستخراج تصاريح البدء اللازمة لبدء فرع البارون فى العاصمة الإنجليزية . وقد شعرت فلورنتينا أن التقشف الذى كانت تعاني منه لندن إثر الحرب كان كبيرا مقارنة بالرفاهية التى كانت تعيشها فى بلدنا ومع ذلك فقد بدا سكان لندن وكأنهم مازالوا يؤمنون بأنهم أصحاب أكبر سلطة وقوة فى العالم . دعيت فلورنتينا للكثير من مآدب الغداء والعشاء والحفلات الراقصة وقد كان أبوها محقا عندما أكد لها أن ذوقها فى الملابس كان رائعا كما كان محقا بشأن تأثيره على الشباب الأوروبى . كانت فلورنتينا تعود كل ليلة بعينين متوهجتين لتقص على والدها حكايات عن معجبيها الجدد والتى كانت تنسى معظمها مع حلول صباح اليوم التالى ولكنها لم تكن تنساها كلها لأنها لم تكن واثقة ما إن كانت تريد أن تتزوج أحد رجال الحرس الذين كانوا يحبون إلقاء التحية عليها أو عضو مجلس اللوردات الذى كان فى

انتظار الملك . لم تكن فلورنتينا تدرك تماما ماذا يقصد بكلمة " فى انتظار الملك " ولكنه بالتأكيد كان يعرف تماما كيف يعامل امرأة .

فى باريس ظل الحال على ما هو عليه ؛ ونظرا لأن كليهما كان يجيد اللغة الفرنسية فقد نجحا فى التواصل جيدا مع سكان باريس تماما مثلما كان الحال فى انجلترا . كان من الطبيعى أن يشعر هايبيل بالملل فى نهاية الأسبوع الثانى من العطلة ويبدأ عبد الأيام الباقية على عودته إلى بلده لكى يستأنف عمله ، ولكن لم يراوده هذا الشعور وقلورنتينا فى صحبته . لقد أصبحت فلورنتينا - بعد انفصال أبيها عن أمها - محور حياته والوريث الوحيد لكل ثروته .

عندما حان وقت مغادرة باريس ؛ لم يكن أى منهما يريد أن يرحل ؛ فبقى لبضعة أيام أخرى ادعى خلالها هايبيل أنه سزال يفاوض من أجل شراء فندق شهير ولكنه متهالك فى بولفارد راسيل . لم يخبر مالك الفندق السيد نوفيه ، الذى كان يبدو أكثر تهالكا من الفندق نفسه ، أنه قد عزم على هدم البناء والبدء من الصفر . عندما وقع السيد نوفيه العقود بعد أيام قليلة ؛ أمر هايبيل بهدم الفندق بينما غادر هو وقلورنتينا بعدما نفذت كل حججهن للبقاء فى باريس إلى روما ولكن فى شيء من التردد .

بعد الود الإنجليزي وبهجة العاصمة الفرنسية ؛ جاء تجهيم ودمار المدينة الأبدية ليثبط روحهما المعنوية ؛ بعد أن شعر سكان روما أنه لم يعد قد بقى لهم ما يحتفون به . بدت متعة لندن وباريس وكأنها تبعد بعدا شاسعا عنها . فى لندن كانا قد قضيا أوقانهما فى التجول فى متنزهات رويال ياركز الرائعة وتأمل البيانيات التاريخية الفخمة وظلت فلورنتينا ترقص حتى وقت مبكر من الصباح . فى بليريس ؛ ذهبيا إلى الأوبرا وتناولوا الغداء على ضفة

السان وركبها السفينة فى النهر وشاهدا العروض المسرحية وذهبوا لتناول العشاء فى الحى اللاتينى . فى روما ؛ شعر هايبيل بحالة عدم استقرار مالى مخيفة وقرر أن يرجئ مشروعاته لبناء فندق فى العاصمة الإيطالية فى الوقت الراهن . شعرت فلورنتينا بتوق أبيها لرؤية قصره فى بولندا ثانية ؛ لذا اقترحت عليه مغادرة روما قبل الموعد المحدد ببضعة أيام .

اصطدم هايبيل بالبيروقراطية التى ترددت كثيرا فى منح تصريح له ولايته لدخول أحد بلاد السقار الحديدى ، وكان منح هذا التصريح أصعب من منح تصريح لبناء يحتوى على ٥٠٠ غرفة فى لندن . ما لم يبق محتفظ بمثابرة نكن قد سسلم ولكنه بعد أن نجح فى النهاية فى ختم جواز سفره هو وفلورنتينا ؛ استقل هو وابنته سيارة مستأجرة للتوجه إلى سلونيم . يف منتظرين لساعات عند الحدود البولندية ولم يسمعه إلا إجادته الفاتكة للغة البولندية . إن كان حرس الحدود قد أدركوا سبب إجادته للغة على هذا النحو لما سمحوا له بالدخول . استبدل هايبيل ٥٠٠ دولار بعملية البلد مما عم على الأقل على اكتساب رضا البولنديين ثم واصل رحلته فى السيارة . كانا كلما اقتريا من سلونيم ؛ ازداد شعور فلورنتينا بمدى أهمية الرحلة بالنسبة لأبيها .

" لم أرك من قبل يا أبى متحمسا بهذا الشكل لأى شيء . "

شرح لها هايبيل : " هذا هو المكان الذى ولدت فيه . بعد كل هذا الوقت الذى قضيته فى أمريكا حيث تنمير الأشياء كل يوم . تبدو لى العودة هنا أشبه بالحلم ؛ كل الأشياء بقيت كما كانت عليه منذ أن رحلت " .

بينما كان يقود السيارة إلى سلونيم ؛ اجتاح هايبيل شعور بالتقرب السعيد وهو يصد رؤية المكان الذى ولد فيه ثانية . رجع

إلى الوراء لفترة زمنية تقترب من أربعين عاما سمع صوته وهو طفل سأل البارون إن كن وقت لاجتياح لأوروبى قد حان لكى يسحب دوره فى الصراع . تفرقت الدموع فى عينيه وهو يتذكر كم كانت هذه الساعة قصيره وكما كان الدور الذى لعبه فى لصراع ضئيلا

وأخيرا انعطفا فى آخر منحنى قبل الاقتراب من أراضي البارون ورأوا الأبواب الحديدية الكبيرة المؤدية إلى القصر . ضحك هايبيل بصوت مرتفع فى حماس وهو يوقف السيارة .

" كل شيء بقى كما أذكره تماما . لم يتغير شيء . تعالى ؛ هيا سوف نذهب إلى الكوخ الذى قضيت فيه أول خمس سنوات من عمري ؛ لا أظن أن أى شيء يعيش هناك الآن . وبعدها سوف نذهب لمعينة قصرى "

تبعتهما فلورنتينا والدها وهو يسير فى ثقة فى أحد الطرق الصغيرة المؤدية إلى عبة من أشجار السوا والبوط الغضى بالحال والى لم ولن تتغير ولو بعد مائة عام . بعد أن سارا على مدى ما يقرب من عشرين دقيقة ؛ وصلا إلى بقعة خالية من الطحالب حيث وجدا أمامهما كوخ الصيد . وقف هايبيل وأخذ يتأمل . كان قد نسى كم كان بيته الأول ضئيلا ؛ هل يمكن أن يعيش تسعة أشخاص فى هذا المكان ؛ كان سطح الكوخ فى حالة برئى لها وكان حجر متأكلا والنوافذ مكسورة . اختفت حديقة الخضراوات المنسقة التى كانت موجودة هنا يوما ما تحت زحف النباتات البرية .

هل هجر الكوخ ؟ تأبطت فلورنتينا ذراع والدها وسارت به نحو الباب الأمامى . وقف هايبيل هناك بلا حراك فطرقت فلورنتينا الباب . بقيا منتظرين فى صمت . طرقت فلورنتينا الباب ثانية ولكن بصوت أعلى هذه المرة وأخيرا سمعا شخصا يتحرك بالداخل .

جاءهما صوت متذمر بالبولندية : " حسنا ، حسنا " وبعد لحظات فتح الباب قدر بوصة واحدة . وقفت السيدة مسنة منحنية الظهر هزيلة البدن تتأملهما ، كانت ترتدى ثياباً سوداء . كانت خصلات الشعر الأبيض الفضى تتناثر حول منديل يغطي رأسها وعيناها الرماديتان تحدقان في خواء إلى زائريها .

قال هابيل برقة بالإنجليزية : " لا يمكن " .

سألت السيدة المسنة في تشكك : " ما الذى تريد ؟ " .

لم يكن لديها أسنان وكن خط أنفها وفيها وذقنها يشكلان قوساً مقعراً .

أجاب هابيل بالبولندية : " هل يمكن أن ندخل ونحدث ؟ " . أدارت عينيها في خوف بينهما وقالت فى تأوه : " هيلينا العجوز لم تقترف خطأ " .

قال هابيل برفق : " أعلم . إننى أحمل لك أنباء جيدة " .

بقليل من التردد سمحت لهم السيدة بدخول الغرفة الباردة التى لا تحتوى إلا على أقل اقليل من الأثاث . ولكنها لم تعرض عليهما الجلوس . إن الغرفة لم تتغير - كرسيان ومائدة وذكرى أنه حتى وقت مغادرته للكوخ لم يكن يعرف معنى كلمة سجادة . ارتعدت فلورنتينا

" لا يمكننى إشعال النار " قالت السيدة المسنة ذلك وهى تحرك حامل الوقود بعضها . غير أن اللوح الخشبي الذى كان مشتعلًا قليلاً أبى أن يشتعل ثانية فأخذت تعبت بلا جدوى فى جيبها : " أنا بحاجة إلى ورقة " . نظرت إلى هابيل وقد لعت فى عينيها نظرة اهتمام للمرة الأولى وقالت : " هل تحمل أى ورق ؟ " .

نظر هابيل إليها فى ثبات وقال : " ألا تذكرينى ؟ " .

" كلا ، أنا لا أعرفك " .

" بلى تعرفينتى يا هيلينا ، أنا وودك " .

" أنت تعرف ابنى وودك ؟ " .

" أنا وودك " .

قالت بصوت حزين مرير : " كلا كلا . لقد كان هيئة عظيمة ، لقد كان يحمل علامة إلهية فى جسده . وقد أخذه البارون بعيداً . نعم لقد أخذ ابنى الأصغر — " .

خفت صوتها العجوز ثم خبا تماماً . جلست ولكن يديها العجوز الجعدة بقيت تعبت فى حجرها .

قال هابيل ، فى صوت أكثر إصراراً : " لقد عدت " ، ولكن المرأة العجوز لم تعده ، صامتة وحسب صوتها العجوز كأنها تجلس وحيدة فى كوئها

" لقد قتلوا زوجى ، جازيو ، وكل أنثائى الأعزاء اقتيدوا إلى المعسكرات باستثناء صوفيا . لقد خيبتها فرحلوا بدونها " . سأله هابيل : " وما الذى حدث لصوفيا الصغيرة ؟ " . قالت فى لامبالاة : " أخذها الروس فى الحرب الثانية " . انتفض هابيل .

ثم أيقظت المرأة نفسها من ذكرياتها وسألت : " ما الذى تريد ؟ لم تطرح على هذه الأسئلة ؟ " .

" أريد أن أقدم لك ابنتى فلورنتينا " .

" كان لى ابنة تدعى فلورنتينا ذات مرة ولكن الآن لم يبق إلا أنا " .

بدأ هابيل يفك أزرار سترته : " ولكن أنا — " .

فمنعته فلورنتينا وهى تتبسم إلى السيدة العجوز .

" كيف يمكن أن تكون قد عرفت ؟ لقد حدث كل هذا منذ زمن طويل قبل أن تولدى ؟ "

قالت فلورنتينا : " لقد أخبرونا في القرية . "

سألت السيدة العجوز : " هل تحمل أى أوراق معك ؟ أحتاج للورق لإشعال النار . "

نظر هابيل إلى فلورنتينا فى يأس : " كلا . أنا آسف . لم نحمل أية أوراق معنا . "

كررت السيدة العجوز فى سأم فى نبرة عدوانية ثانية : " إذن ماذا تريد ؟ "

قال هابيل بعد أن استسلم لاستحالة تذكرها له : " لاشئ . لقد جئنا فقط لكي نلقى التحية عليك . "

أخرج هابيل محفظته وأخذ منها كل العملات الورقية ابولونيد الجديدة التي كان قد استبدلها عند الحدود وأعطاهما للسيدة .

قالت السيدة وهي تتسلم كل ورقة وقد دسمت عندها لفراط السعادة : " أشكرك ، أشكرك . "

انحنى هابيل ليقبل أمه بالكفالة ولكنها تراجعت إلى الخلف . تابعت فلورنتينا ذراع أبيها وسارت به خارج الكوخ فى طريق

الغابة فى اتجاه السيارة

أخذت المرأة العجوز تراقبهما عبر النافذة إلا أن اختفيا عن نظرها . ثم أخذت الأوراق النقدية الجديدة وعقصتها فى شكل

كرات صغيرة ووضعتها جميعا بعناية فى المدفأة . اشتملت العملات لورفية فى لحل فوضعت الألواح الخشبية لصغيرة والأغصان

فوق العملات النقدية المشتعلة وجلست ببطء بجوار نيران المدفأة . كانت النيران هى الأفضل منذ أسابيع ؛ وأخذت تفرك يديها

لنستدفئ .

لم يتحدث هابيل فى طريق العودة إلى السيارة إلى أن ظهرت البوابات الحديدية ثانية . ثم أخذ يؤكد ويقسم لفلورنتينا وهو يبذل جهده لكي ينسى الكوخ الصغير قائلا : " أنت على وشك رؤية أجمل قصر فى العالم . "

" يجب أن تكف عن المياغة يا أبى . "

كرر هابيل فى هدوء : " فى العالم . "

ضحكت فلورنتينا . " سوف ترين بنفسك كيف أنه فى مستوى قصور فرساي . "

ركب السيارة ثانية وقاد هابيل لسيارة عبر البوابات متذكرا الحافلة التي نقلته آخر مرة عبر هذه البوابات وعلى مدى ميلين من

القيدة نحو القصر . أخذت الذكريات سواى عليه أيامه السعيدة وهو صغير مع البارون وليون وأيامه النعيسة فى القبو تحت حصار

الأسان وأيامه الأسوأ عندما اقتيد بعيد عن قصره على يد الروس عندما سيطر عليه اشعور بأنه لن يرى القصر ثانية . ولكنه الآن قد

عاد . عاد منتصرا لكي يطالب بحقه .

شقت السيارة الطريق وبقي الاثنان فى ترقب صامت فى انتظار اجتياز آخر منعطف لتأمل المشهد الأول من بيت البارون

روزنوفسكى . أوقف هابيل السيارة وأخذ بتأمل قصره . لم يسط أى منهما بكلمة . هل بقي كلام يمكن قوله " أخذنا يتأملان فى عدم

تصديق كل الدمار وأطلال حلمه الذى أطاحت به القذائف .

خرج هابيل وفلورنتينا ببطء من السيارة . بدون أن ينطق أى منهما بكلمة . أمسكت فلورنتينا بيد أبيها وقبضت عليها بقوة بينما

كانت الدموع تسيل على خديه . لم يبق من القصر إلا جدار ، يقف فى صمود وكأنه مازال يحتفظ بمجده القديم . أما باقى القصر فلم

يكن سوى كومة من الحجارة الحمراء والحطام . لم يطق أن يخبرها بالقاعات الفخمة والأجنحة المطايع وغرف النوم . سار هابيل فوق التلال الثلاثة المرتفعة والتي كانت قد سويت واكتست بالعشب الأخضر . هنا قبر السارون وابنه ليون وفلورنتينا الحبيبة . توقف عند كل قبر ولم يسهه إلا أن يفكر في أن ليون وفلورنتينا كان يجب أن يظلا على قيد الحياة حتى هذا اليوم . جثا عند رأسيهما وتذكر امشهد الرهيب الأخير لحياة كل منهما بمنتهى الوضوح . وفقت اينته بجواره ، وقد وضعت يدها فوق كتفه بدون أن تنطق بكلمة واحدة . مضى وقت طويل قبل أن ينهض هابيل ببطء ثم سار فوق الحطام ثانية وأطلال الحجارة المكسورة التي كانت تشكل يوما غرا رائعة مغممة بالضحك والسعادة . بقي هابيل صامتا بدون أن ينطق بكلمة ، وصلا إلى القبور . وهما يمكن بهد بعضهما البعض . هناك ، جلس هابيل على أرضية الغرفة الصغيرة الرطبة بجوار سور أو نصف السور المتبقى . أدار السور المضي حول معصمه .

" هنا قضى والدك أربع سنوات من عمره "

قالت فلورنتينا التي لم تجلس " لا يمكن أن يكون هذا قد حدث "

قال هابيل : " إنه أفضل الآن مما كان عليه من قبل . على الأقل ، هناك هواء نقي الآن وعصافير وشمس وشعور بالحرية . أما وقتها فلم يكن هناك شيء ، سوى الظلام وموت ورائحة الموت انتنة والأسوأ من ذلك تمنى الموت " .

" هيا يا أبي ، دعنا نخرج من هنا . إن البقاء هنا لن يزيد الأمور إلا سوءا "

قادت فلورنتينا والدها . الذي كان يسير في تردد نحو السيارة وقادتها ببطء في الطريق الطويل . لم يلتفت هابيل إلى الوراء نحو حطام القصر وهما يمران للمرة الأخيرة عبر البوابات الحديدية . في طريق العودة إلى وارسو ، قلما فتح هابيل فيه لينطق بكلمة بينما استسلمت فلورنتينا وكفت عن محاولاتها للتخفيف عن أبيها . عندما قال أبوها : " لم يبق الآن سوى شيء واحد يجب أن أحققه في حياتي " ، أخذت فلورنتينا تسأل نفسها عن معنى ما يقول . ولكنهم لم نلح عليه لمعرفة ما يقصد . بيد أنها نحتت في إقناعه بأن يتقضى عطلة نهاية أسبوع أخرى في لندن أثناء رحلة العودة التي أقبعت نفسها بأنها يمكن أن تعمل على تخفيف حزن أبيها قليلا وربما تساعد على نسيان ما حل بوالدته المحور وأطلال قصره في بولندا .

• • •

طار هابيل وفلورنتينا إلى لندن في اليوم التالي . وقد شعر هابيل بالعودة لبلده الذي يستطيع من خلاله أن يتواصل سريع مع أمريكا . ما إن حجزا في فندق كلاريدج ، حتى خرجت فلورنتينا لرؤية أصدقائها القدامى والتعرف على أصحاب جدد . قضى هابيل وقته في قراءة أعداد الصحف السابقة المترجمة في الفندق . لم يكن يحب أن يعرف أن هناك أحداثا قد وقعت أثناء غيابه . كان هذا يذكره بمنتهى الوضوح بأن العالم سوف يبقى دثرا بدونهم . كان هناك مقال في أحد الصفحات الداخلية لصحيفة التايمز قد لفت نظره . لقد حدث شيء ما أثناء غيابه . كانت إحدى الطائرات التابعة لشركة انتر سنيت قد سقطت فور إقلاعها

من مطار مدينة مكسيكو سيتي في صباح اليوم السابق .لقى كبل الركاب السبعة عشر وطاقم الطائرة حتفهم في الحادث . وقد حملت السلطات المكسيكية الشركة مسؤولية الحادث . التقط هابيس سماعة الهاتف وطلب إجراء مكالة خارجية .

سوف يعود يوم السبت على الأرجح إلى أمريكا . أخذ يبحث في دليله الصغير عن رقم الهاتف المنزلي .

جاءه صوت إنجليزى ينم عن الدقة : "سوف تتأخر المكالة ما يقرب من ثلاثين دقيقة " .

قال هابيل : " شكرا لك " ثم استلقى فوق فراشه وهو يفكر وقد وضع الهاتف بجواره . دق الجرس بعد عشرين دقيقة .

جاءه نفس الصوت المحدد الدقيق : "مكالتك الخارجية يا سيدى على الخط " .

" هابيل ، هل هذا أنت ؟ أين أنت ؟ " .

" نعم أنا هو بالطبع يا هنرى ، أنا فى لندن " .

جاء صوت الفتاة التى عادت إلى الخط : " هل انتهيت من المكالة ؟ " .

قال هابيل : " لم أبدأها بعد " .

" آسفة يا سيدى ، أعنى أنك تجرى مكالة فى أمريكا " .

" أجل بالطبع ، أشكرك . يا إلهى . هنرى . إنهم يتحدثون لغة مختلفة هنا " .

ضحك هنرى أوسبورن .

" الآن أنصت إلى . هل سمعت شيئا عن طائرة فيركز فيزكاوت التابعة لشركة إنتر ستيت التى تحطمت فى مدينة ميكسيكو

سيتى ؟ "

أجاب هنرى : " نعم سمعت بالأمر ولكن ليس هناك ما يقلق فى هذا . لقد كانت الطائرة مؤمناً عليها كما أن الشركة فى وضع مادى سليم تماماً ، لذا فليس هناك خسارة وقد بقيت الأسهم مستقرة " .

قال هابيل : " هذا التأمين هو آخر ما يعنينى " .

" قد تكون هذه هى أفضل فرصة لنا لكى نجرى محاولة صغيرة لاكتشاف مدى قوة وضع السيد كين " .

" لا أظن أننى أفهم ما تعنيه يا هابيل . ما الذى تقصده ؟ " .

" اسمعنى جيدا وسوف أشرح لك تحديدا ما قد عقدت العزم على أن تفعله يوم افتتاح المعاملات المالية فى سوق المال صباح الاثنين . سوف أعود إلى نيويورك يوم الثلاثاء لكى أشرف على

تنسيق الأمر بنفسى " .

استمع هنرى أوسبورن بإمعان إلى تعليمات هابيل روزنوفسكى .

وبعد عشرين دقيقة ، أعاد هابيل سماعة الهاتف إلى مكانها .

كان قد انتهى .

التالية . كان ويليام يراجع بریده فى البنك صباح الاثنين عندما اتصل به مضاربه فى البورصة وأخبره بأن هناك شخصاً ما قد عرض أسهماً تقدر بمليون دولار من أسهم انتر ستيت للبيع فى السوق . فاتخذ ويليام قراراً فوراً بشراء الأسهم من ثروته الخاصة وأصدر أمراً بالشراء فى الحال . وفى الثانية ظهراً من نفس اليوم ؛ طرحت أسهم أخرى لنفس الشركة تقدر بمليون دولار . قبل أن تتاح لويليام فرصة شراء هذه الأسهم ؛ بدأ السعر يتهاوى . ومع حلول موعد إغلاق تعاملات بورصة نيويورك فى الثالثة ؛ كان سعر أسهم انتر ستيت قد تراجع إلى ثلث قيمته .

وفى العاشرة وعشر دقائق من صباح اليوم التالى ؛ تلقى ويليام مكالمة هاتفية من مضاربه فى البورصة والذي كان صوته محموساً . لقد طرحت أسهم تقدر بمليون دولار من أسهم انتر ستيت فى السوق مع بداية المعاملات . وقد أخبره المضارب بأن الإغراق الأخير قد أحدث أثراً مدوياً ؛ كانت عروض البيع للأسهم انتر ستيت قد توالى وانهاالت من كل مكان ؛ وكان السعر قد وصل إلى أدنى مستوياته حتى وصل سعر السهم الواحد إلى بضعة سنتات قليلة . قيل ذلك بأربع وعشرين ساعة فقط كان سعر السهم يقدر بأربعة دولارات ونصف الدولار .

أصدر ويليام تعليماته إلى ألفريد روجرز سكرتير البنك بالدعوة لعقد اجتماع مجلس إدارة فى الاثنين التالى كان ويليام بحاجة إلى وقت لكى يبحث عن الشخص الذى يقف وراء هذا الإغراق فى السوق مع أنه كان شبه متأكد منه . بحلول يوم الأربعاء كان عليه أن يتخلى عن كل محاولة لإنقاذ انتر ستيت وشراء كل الحصص التى تطرح فى السوق . بعد إغلاق المعاملات المالية فى ذلك اليوم ؛ قررت لجنة التحقق من سلامة المعاملات فى البورصة بأنها سوف

الفصل الحادى والثلاثون



أدرك ويليام أنه سوف يلاقى مشاكل أكثر مما توقعه من هابيل روزنوفسكى عندما اتصل به كورتيس فنتون فى صباح اليوم وأخبره بأن بارون شيكاغو قرر أن يغلق كل حسابات مجموعة البارون فى كونتيننتال تراسى . وبأنه اتهم كورتيس فنتون بالخيانة والسلوك غير الأخلاقى .

قال الرجل المصرفى فى صوت ينم عن الضيق : " كنت أظن أننى قسمت بالصواب عندما كتبت إليك بشأن ممتلكات السيد روزنوفسكى فى بنك ليستر وقد قادنى هذا إلى فقد أهم عميل من عملاء البنك . أتساءل كيف سيكون رد فعل مجلس الإدارة " .

أخذ ويليام يهدئ من روع فنتون قليلاً ويعدد بأنه سوف يحدث رؤساءه ولكنه مع ذلك كان أكثر إشعاعاً وتعبيراً فى خطوة هيبير التالية .

بعد ما يقرب من شهر كامل ؛ عرف ويليام خطوة هابيل

تجرى تحقيقا بشأن المعاملات التجارية الخاصة بانتر ستيت . وقد أدرك ويليام أن مجلس إدارة ليستر كان يجب عليه أن يقرر الآن ما إن كان سيواصل دعمه لشركة الطيران على مدى لأشهر القليلة . متى ستجرى فيها اللجنة تحقيقها أم أنها سوف تتخلى عن الشركة . كانت البدائل تبدو مدمرة ؛ لكل من ثروة ويليام الخاصة وكذلك سمعة ليستر .

لم يفاجأ ويليام عندما اكتشف من خلال شاديوس كوهين فى اليوم التالى أن الشركة لن تعرفت أسهم شركة انتر ستيت والمعدرة بثلاثة ملايين دولار . هي الشركة التابعة لهيبل روزنوفسكى والنسبة تدعى شركة جارنتى للاستثمار . وقد أصدر مسئول الشركة بيانا صحفيا مقتضيا شرح فيه أسباب البيع وبأن مستقبل شركة لصرون لم يعد يهم الشركة بعد أن أكد "مسئول رسمى" تابع للحكومة المكسيكية بأن هناك قصورا فى الخدمة واجراءات الصيانة ، خاصة بشركة الطيران

قال ويليام فى ثوره " تصريح مسئول رسمى " . إن الحكومة المكسيكية لم تصدر بيانا مسئولوا واحدا يعتقد به منذ أن صرحت بأن سيبيدي كوزنيزلا سوف يفوز بمسابق المائة متر فى أولمبياد هينسكى "

ثارت ضجة إعلامية واسعة النطاق حول تصريح شركة جارنتى للاستثمار وفى يوم الجمعة قررت إدارة الطيران الفيدرالية إيقاف شركة الطيران من العمل إلى أن تجرى الوكالة تحقيقا موسعا فى مستوى الخدمة واجراءات الصيانة التى توفرها الشركة .

كان ويليام واثقا من أن شركة انتر ستيت لم يكن لديها ما تخفيه عن التحقيق . لكن إيقاف شركة الطيران أحدث تأثيرا مدمرا على الحجوزات قصيرة المدى . ليس هناك شركة طيران واحدة

يمكن أن تحقق أرباحا وهى موقوفة عن الطيران . وإنما يجب أن تحلق طائراتها فى الهواء لكى تحقق الأرباح .

ومما زاد مشاكل ويليام تفاقمًا ، بدأت شركات كبرى أخرى تفكر فى إيقاف تعاملاتها مع بنك ليستر . لقد بادرت الصحافة بالتصريح بأن بنك ليستر كان هو البنك الذى يدعم شركة طيران انتر ستيت . ولكن الشيء المثير للدهشة هو أن أسهم انتر ستيت بدأت ترتفع ثانية فى وقت متأخر من يوم الجمعة . ولم يستغرق ويليام وقتا طويلا لتخمين السبب . وقد تأكد من صحة تخمينه بالفعل لاحقا من شاديوس كوهين الذى أكد له أن المشتري كان هايبل روزنوفسكى . كان قد باع أسهمه بسعر مرتفع وهى ما زالت فى القمة وهو الآن يستعيد بها سعر زهيد بكميات صغيرة متتالية . أوماً ويليام برأسه فى أحوال كار هيبل بحسب ثروة صغيرة لنفسه بينما يفلس ويبدأ على مستوى المال والسمعة .

وقد حلص ويليام إلى أنه بالرغم من أن مجموعته البرون قد حاربت ثلاثة ملايين دولار إلا أنها نجحت فى تحقيق ثروة طائلة فضلا عن أن تلك الخسارة أوقفته لم تشر صيق روزنوفسكى والنسبة يمكن أن تساعد على أية حال فى خفض نسبة الضرائب المستحقة عليه . كان همه الوحيد هو أن يدمر سمعة ليستر قديما كاملا .

عندما عقد اجتماع مجلس إدارة بنك ليستر يوم الاثنين ، شرح ويليام بعض برمتيه مجلس إدارة ومديرى علاقته برؤسوفسكى ثم عرض تقديم استقالته . ولكنها لم تقبل ، كما أنه لم يتم التصويت عليها . ولكن كانت هناك همهمة دائرة ؛ إن زملاءه قد لا يتخذون نفس الموقف المتسامح منه فى المرة التالية .

واصل المجلس انعقاده ليبحث ما إن كان يجب عليه أن يواصل مساندة شركة الطيران أم لا . وقد أقنعهم توني سيمونس أن

لتحقيقات الفيدرالية سوف تخرج لصالح شركان الطيران وأن البنك وكذلك ويليام سوف يستردون أموالهم مع الوقت . كان على تونى أن يقر لويليام بعد الاجتماع أن قرارهم هذا سوف يكون لصالح روزنوفسكى على المدى الطويل ولكن البنك لم يكن أمامه خيار آخر إن كان يريد أن يحمى سمعته .

وقد ثبتت صحة رأى تونى فى كلا الأمرين . عندما نشرت لجنة التحقّق من سلامة المعاملات فى البورصة تقريرها أخيراً ، أعلنت براءة بنك ليستر من التلاعب فى أسهم شركة الطيران ووجهت بعض التوبيخ القاسى لشركة جارتنى للاستثمار . وعندما بدأ السوق معاملاته ثانية على أسهم إنتر ستيت صباح ذلك اليوم ، فوجئ ويليام بارتفاع سعر الأسهم باطراد . حيث استعاد سريعاً قيمته الأصلية التى تصل إلى أربعة ونصف دولار .

وقد أخبره ثادىوس كوهين ثانية بأن المشتوى الأساسى هو هابيل روزنوفسكى .

قال ويليام : " هذا هو كل ما يحتاجه فى الوقت الراهن ليس فقط لكى يجنى ثروة صائلة من وراء الصفقة ولكن اينب لكى يعيد الكرة وقتما شاء " .

قال ثادىوس كوهين : " فى الواقع هذا هو تحديدا ما تريده أنت " .

سأله ويليام : " ما الذى تقصده يا ثادىوس ؟ إنك لم تتحدث بمثل هذا الغموض من قبل " .

" لقد وقع السيد روزنوفسكى فى أول خطأ فى الحكم له لأنه خرق القانون ، وقد حان الآن دورك أنت لكى تلاحقه . إنه لا يدرك على الأرجح أن ما تورط فيه لم يكن قانونياً ، لأنه يسعى من وراء اللعبة إلى تحقيق مكاسب يسيل غير أخلاقية " .

سأله ويليام : " ما الذى تتحدث عنه ؟ " .

قال ثادىوس كوهين : " الأمر بسيط . بسبب انغماسك فى التركيز على روزنوفسكى - والعكس أيضاً - يبدو أن كليكما قد نسى الحقيقة الظاهرة ، والتى تنص على أنه إذا باع المرء أسهماً بنية إغراق السوق ثم إعادة شراء نفس الأسهم ثانية عندما يتدنى سعرها إلى الحضيض لكى يحقق ربحاً سريعاً ، فإنه بهذا قد اخترق قواعد وقوانين لجنة التحقّق من السلامة المعاملات التجارية فى البورصة وارتكب جريمة الاحتيال . أنا واثق من أن السيد روزنوفسكى لم يكن يبحث عن الربح بل إننا نعرف فى واقع الأمر أنه يريد أن يحرّك أنت شخصياً . ولكن من الذى يمكن أن يصدقه إن زعم بأنه أغرق الأسهم عندما شعر أن الشركة ليست مستقرة ، وذلك لأنه أعاد شراء أسهمها ثانية عندما وصلت إلى الحضيض ، والإجابة هى " لا أحد " . وبالمطبع ليس لجنة التحقّق من سلامة المعاملات التجارية فى لبورصة سوف أعد تقريراً كتيبياً وافياً بشأن الأمر وأرسله لك فى الغد يا ويليام وأوضح لك بالتفصيل كل لمسائل القانونية " .

قال ويليام بعد أن شعر بمسعادة غامرة عند سماع هذه الأنباء : " شكراً لك " .

وصل تقرير ثادىوس كوهين على مكتب ويليام فى التاسعة من صباح اليوم السالى وبعد أن قرأ ويليام محتوى التقرير بمنتهى العناية ، طلب عقد اجتماع آخر . وافق المديرون على الخطة التى وضعها ويليام . ثم طلب بعده من ثادىوس كوهين أن يعد مسودة كتابية دقيقة لنشرها من خلال الصحف مساء نفس اليوم . وقد نشر التقرير فى الصفحة الأولى من جريدة الـ وول ستريت صباح اليوم التالى وكان نصه :

ويليام كين رئيس مجلس إدارة بنك ليستر لديه مبررات تدفعه إلى الاعتقاد بأن كل أوامر البيع التي نقدتها جارتنى تراست فى نوفمبر عام ١٩٥٢ والخاصة بأسهم شركة إنتر ستيت وهى الشركة الذى يدعمها بنك ليستر ، كانت تستهدف فقط تحقيق ربح غير قانونى .

لقد ثبت أن شركة جارتنى للاستثمار هى التى طرحت أسهماً تقدر بمليون دولار لشركة إنتر ستيت فى السوق عند فتح المعاملات المالية يوم الاثنين ، ١٢ مايو عام ١٩٥٢ . ثم طرحت أسهماً تقدر بمليون دولار أخرى للبيع بعد خمس ساعات أخرى . ثم طرح أسهم تقدر بمليون دولار أخرى من قبل شركة جارتنى للاستثمار عند إعادة فتح المعاملات المالية فى يوم الثلاثاء ، ١٢ مايو عام ١٩٥٢ . وقد تسبب هذا فى سقوط سعر السهم إلى حد متدن . وبعد التحقيق الذى أجرته لجنة التحقق من سلامة المعاملات فى البورصة والذى أثبت أنه ليس هناك أية تعاملات غير قانونية على مستوى بنك ليستر وشركة طيران إنتر ستيت ، بدأ تداول الأسهم ثانية فى السوق وكانت الأسهم مطروحة بسعر متدن . فبادرت شركة جارتنى للاستثمار بشراء الحصص بالسعر التدننى . ثم واصلت شراء الأسهم إلى أن بلغت قيمة الأسهم التى اشترتها هذه الشركة ثلاثة ملايين دولار وهى القيمة التى حصلتها من بيع نفس الأسهم من قبل

أرسل رئيس ومدير بنك ليستر نسخة من كس الأوراق الموثقة إلى قسم الاحتيال فى لجنة التحقق من سلامة المعاملات فى البورصة وطالبوا اللجنة بإجراء تحقيق فى هذا الشأن .

ثم تم عرض نص قانون المعاملات المالية فى البورصة والذى يتحدث عن هذه القضية فى الفقرة التالية مصحوباً بتعليق بأن هذه هى تحديداً نوعيات القضايا التى كان يبحث عنها الرئيس ترومان . ثم ظهر رسم كروتونى أسفل المقال للرئيس هارى إس ترومان وهو يحبس أحد رجال الأعمال بيده داخل أحد علب الحلوى . ابتسم ويليام وهو يقرأ المقال ، واثقاً من أن هذا هو آخر ما سوف يسمعه عن هابيل روزنوفسكى .

تجهم هابيل روزنوفسكى ولم ينطق بكلمة عندما أعاد هنرى أوسبورن عليه ثانية قراءة المقال . رفع هابيل رأسه وهو يديق أصابعه بعصبية فوق مكتبه .

قال أوسبورن : " هؤلاء الفتيان فى واشنطن مصممون على استقلال هذه القضية أسوأ استقلال " .

قال هابيل : " ولكنك تعرف يا هنرى جيداً أننى لم أبيع أسهم إنتر ستيت لكى أغرق السوق . إن الربح الذى حققته لم يعن شيئاً بالنسبة لى " .

قال هنرى : " أعلم هذا ولكن ليس هناك سبيل لإقناع اللجنة المالية الخاصة بمجلس الشيوخ بأن بارون شيكاغو لم يكن يسعى وراء الربح المالى ، وأن كل ما كان يرمى إليه هو أن ينال من المدعو

ويليام كهن . لن يصدقك أحد بل إنهم سوف يطردونك خارج قاعة المحكمة ، بل خارج مجلس الشيوخ لكى أكون أكثر تحديداً .
قال هابيل : " اللعنة . والآن ماذا أفعل بحق السماء ؟ " .
" حسناً ، أولاً يجب أن تنكس رأسك إلى أقصى حد إلى أن تمر العاصفة . تضرع إلى الله أن تقع كارثة أكبر حجماً لترومان لكى ينشغل بها أو أن ينهك الساسة فى الانتخابات المقبلة وينسوا التحقيق فى خضم الأحداث . أما إن أسعفنا الحظ فقد تعمل الإدارة الجديدة على إسقاط الأمر برمته . مهما يكن ما أنت عازم عليه يا هابيل ، لا تشتتر المزيد من الأسهم فى أى شركة لها علاقة ببنك ليستر لكى تبقى فى مأمن . دعنى أبذل جهدى وأرى ما يمكننى عمله مع الديمقراطيين فى واشنطن " .

" ذكر مكتب هارى ترومان أننى قد تبرعت بخمسين ألف دولار لحملته الانتخابية أثناء الانتخابات الأخيرة وبأننى عازم على فعل نفس الشيء مع أدلاى " .

قال هنرى : " لقد قمت بهذا بالفعل ، بل إننى أنصحك بأن تتبرع بخمسين ألف دولار للجمهوريين أيضاً " .
قال هابيل : " إنهم يقرطون فى المبالغة والتهويل " .

" إنه التهويل الذى سوف يستغله كين إن منحناه هذه الفرصة " . ثم واصل النقر بأصابعه فوق المكتب .

الفصل الثانى والثلاثون



كشفت التقارير ربع السنوية لثايدوس كوهين أن هابيل روزنوفسكى قد توقف عن شراء أو بيع الأسهم التابعة لأى شركة لها علاقة ببنك ليستر . بدأ هابيل وكأنه قد أصبح يركز كل جهوده وطاقته فى بناء المزيد من الفنادق فى أوروبا ، كان كوهين يرى أن روزنوفسكى قرر أن يوقف نشاطه إلى أن تبت لجنة التحقيق من سلامة المعاملات المالية فى البورصة فى قضية انتر ستيت .
كان ممثلو لجنة التحقق من سلامة المعاملات المالية قد زاروا ويليام عدة مرات فى البنك . وقد تحدث معهم بمنتهى الصراحة ولكنهم لم يكشفوا من جانبهم أبداً فى المقابل عن تطور اجراءات التحقيق الخاص بالشخص المتورط فى انهيار الأسهم .
وأخيراً أنهت اللجنة تحقيقها وشكرت لويليام حسن تعاونه . ثم لم يُسمع عن اللجنة شيء بعد ذلك .

ومع اقتراب الانتخابات الرئاسية وتركيز ترومان لجهوده على حل اتحاد " دو بون " الصناعى ، بدأ ويليام يشعر بالخوف من أن يفلت هابيل روزنوفسكى من الفخ الذى أوقع نفسه فيه . لم يسعه إلا أن يفكر فى أن هنرى أوسبورن قد لجأ لبعض التحايل للتأثير على بعض رجال الكونجرس فى هذا الصدد .

وقد تذكر أن كوهين كان قد أشار فى أحد تقاريره السابقة أن هابيل قد تبرع بنحو ٥٠ ألف دولار لحملة ترومان الانتخابية . وقد اندهش عندما قرأ فى التقرير الأخير أنه تبرع بنفس المبلغ لأدلاى ستيفنسون ، مرشح الحزب الديمقراطى ، وألغا أخرى لحملة آيزنهاور .

كان ويليام - الذى لم يكن قد جال بخاطره يوماً أن يساعد أى مرشح غير جمهورى - يريد من آيزنهاور - المرشح المفاجأة الذى سار فى أول اقتراع فى مؤتمر شيكاغو - أن يهزم أدلاى ستيفنسون بالرغم من أنه كن وثما من أن الإدارة الجمهوريه سوف تكون أقل حرصاً من الإدارة الديمقراطيه فى تقصى التحقيق الخاص بالأسهم .

عندما فر الجنرال ديوييت دى آيزنهاور (يبدو أن الألفه كُنت مولعة به بالفعل) بانتخابات الرئاسة الرابعة والثلاثين للولايات المتحدة فى الرابع من نوفمبر عام ١٩٥٢ ، شعر ويليام أن هابيل روزنوفسكى قد أفلت من كل التهم الموجهة إليه وكان أمسه الوحيد هو أن تكون التجربة قد أقنعتة ألا يقترب من كل ما يخص شئون ليستر فى المستقبل . كانت المكافأة الوحيدة التى حصل عليها ويليام من وراء الانتخابات هى فقد هنرى أوسبورن لمقعده فى الكونجرس لصالح مرشح جمهورى آخر . يبدو أن منافس أوسبورن قد نجح فى تملق حزب آيزنهاور واقتناص المقعد . وقد دفع ذلك ثادىوس كوهين إلى الاعتقاد بأن هنرى أوسبورن سوف يفقد تأثيره المعهود على

هابيل روزنوفسكى . كانت الشائعات تؤكد أن أوسبورن - منذ أن طلق زوجته الثرية كان مدينًا بمبالغ مالية طائلة لروزنوفسكى وكان قد عاد إلى المقامرة ثانية بقوة .

كان ويليام أكثر سعادة وهذوا كما لم يكن منذ فترة طويلة وكان يتطلع إلى عهد أكثر ازدهاراً وأمناً فى ظل آيزنهاور الذى وعد الشعب بالرخاء فى خطبته الرئاسية الافتتاحية .

وبعد مرور العام الأول من الانتخابات الرئاسية ، بدأ ويليام يلقى تهديدات روزنوفسكى وراء ظهره وينظر إليها باعتبارها ضرباً من الماضى . وقد ذكر لثادىوس كوهين أن هذا هو آخر عهدهم بهابيل روزنوفسكى . لم يعلق كوهين على ذلك بكلمة ، لأنه لم يطلب منه ذلك .

ركز ويليام كل جهده فى بناء بيستر ، على مستوى محم والسعة ، وقد بدأ يتولد لديه شعور متزايد بأنه يفعل ذلك من أجل ابنه وليس من أجل نفسه . كان بعض العاملين فى بيست قد بدأوا يصفون عليه بالمر سم " لرجل الكبير " .

قالت كات : " يجب أن يحدث ذلك " . سألها ويليام فى حنان : " إذا لم يحدث ذلك لك ؟ " . نظرت كات إلى ويليام وابتسمت : " الآن أعرف كيف نجحت فى عقد الكثير من الصفقات مع رجال عديمى الجدوى " . ضحك ويليام ، وأضاف قائلاً : " وامرأة جميلة " .

بينما كان عيد ميلاد ريتشارد الواحد والعشرون قد بقى عليه عام واحد ، راجع ويليام شروط وصيته . خصص ٥ ملايين دولار لكات ومليونى دولار لكل ابنة من بناته وترك باقى ثروة العائلة كلها لريتشارد ، منوها بحزن إلى الجزء الكبير الذى سوف تقتطعه الضرائب من الثروة . كما ترك مبلغ مليون دولار لهارفارد .

كان ريتشارد قد استغل السنوات الأربع التي قضاها في هارفارد استغلالاً جيداً ومع بداية العام الأخير ؛ لم يكن مهيباً فقط لاجتياز العام بتفوق باهر وإنما كن أيضاً يعرف على الشيو في أوركسترا الجامعة وكان يلعب كرام للكرة في فريق البيسبول مما كان يثير إعجاب الجميع حتى ويليام نفسه . أما كات فقد كانت تحب أن تعرب عن مشاعرها بشكل يلائم من خلال طرح السؤال التالي : كم طالب يقضى عصر السبت في ممارسة البيسبول لصالح هارفارد ضد يال ومساء الأحد في عزف الشيلو في قاعة لويل الموسيقية لفريق التوريات التابع للجامعة ؟

مضت السنة الأخيرة سريعاً وعندما تخرج ريتشارد من هارفارد بعد أن حصل على شهادة لتفوق في الرياضيات والشيو وبيسبول . كان كات يحتاجه قبل أن يتحق بمدرسة الأعمال على الجانب الآخر من سهر تشارلز هو أن يقضى عطلة جيدة . طار إلى سربادوس مع فتاة تدعى ميرى بيجيلو التي لم يكن والدا ريتشارد يعلمان بوجودها . كانت الآنسة بيجيلو قد درست الموسيقى وغيرها من المواد في فاسار وعندما عادا من رحلتهم بعد شهرين ؛ بعد أن اصطبقا بنفس لون السكان الأصليين للبلد الذي سافرا إليه ؛ صحبها ريتشارد للقاء أهله . وقد وفق وبينام على الآنسة بيجيلو . فقد كنت فوق كرسى ، بسمة الأخ لآلان لوويد .

التحق ريتشارد بمدرسة الأعمال في الأول من أكتوبر عام ١٩٥٥ لكي يبدأ مشروع النخرج وأقام في البيت الأحمر . تخلص من كل أثاث عائلة كمين وورق الحائط الذي كان ماثيو قد علق عليه يوما قائلاً بأنه شديد الحداثة ، وعلق سجادة كبيرة غطت جدار غرفة المعيشة ووضع مائدة من خشب البوط في غرفة المائدة وغسالة أطباق في المطبخ .

الجزء السادس



١٩٥٢ - ١٩٦٣

الفصل الثالث والثلاثون



عاد هابيل من رحلة في اسطنبول في أكتوبر عام ١٩٥٢ ، فور سماعه بأنباء وفاة ديفيد مكستون المأساوية إثر أزمة قلبية مفاجئة . حضر الجنازة في شيكاغو مع جورج ولورنتينا وبمدها قدم أحر تعازيه للسيدة مكستون وأخبرها بأنها سوف تحل ضيفة على أي فرع من فروع فندق البارون في أي بقعة من العالم وقتما يحلو لها لم تدرك السيدة لم قدم لها هابيل هذا العرض السخي .

عندما عاد هابيل إلى نيويورك في اليوم التالي ، شعر بسعادة غامرة عندما وجد فوق مكتبه في الطابق الثاني والأربعين تقريراً من هنري أوسبورن يشير فيه إلى أن كل القلاقل التي كان قد تورط فيها قد انتهت . كان هنري يرى من وجهة نظره أن إدارة آيزنهاور لن تجرى على الأرجح تحقيقاً في الأزمة التي لحقت بشركة إنتر ستيت وخاصة بعد أن استقر سعر الأسهم لما يقرب من عام . لذا لم يكن هناك داع لإثارة الأزمة من جديد . بدأ نائب الرئيس

آيزنهاور ، ريتشارد إم . نيكسون أكثر إصراراً على ملاحقة الشيوعيين الذين لم يتمكن جو مكارثي من النيل منهم .

قضى هابيل أول عامين مركزاً على بناء فنادق في أوروبا . افتتحت فلورنتينا فندق بارون باريس عام ١٩٥٣ وفندق بارون لندن في نهاية عام ١٩٥٤ . كما كانت أعمالها أيضاً جارية بدرجات مختلفة في كل من بروكسل وروبو وأستردام وحينيف وإيدنبرج وكان استوكهولم ضمن برنامج توسعي لعشرة أعوام .

أصبح هابيل منهكاً في عمله إلى حد أنه لم يكن لديه سوى قدر ضئيل من الوقت للتفكير والالتفات إلى مدى ما أحرره ويسم كين من نجاح وازدهار . لم يكن قد أقدم على شراء أى سهم خاص بينك ليستر أو أى شركة من الشركات التابعة له ، بالرغم من أنه كان قد احتفظ بالأسمم التي كان قد فتناها أملاً في العثور على فرصة يوماً ما للاندخاض على ويليام كين وتلقيه درسا لا يفيق منه بسهولة . في المرة التالية عاهد هابيل نفسه : سوف أحرص على عدم اختراق القانون .

أثناء فترة غياب هابيل المتزايدة في الخارج ، كان جورج يدير مجموعة لبرون . كان هابيل يأمل أن تنضم إليهم فلورنتيت في مجلس الإدارة فور إتمام تعليمها في رادكليف في يونيو من عام ١٩٥٥ . كان قد اتخذ قراراً بالفعل بأنها يجب أن تتحمل مسؤولية إدارة كل المحلات التابعة للفندق ودعم القوة الشرائية بداخلها حيث إن هذه المحلات كانت تشكل في حد ذاتها امبراطورية منعقدة

شعرت فلورنتينا بحماس بالغ حيال العرض ولكنها كانت مصرة على اكتساب بعض الخبرة الخارجية قبل أن تنضم إلى مجموعة أبيه . لم تكن تعتقد بأن موهبتها الطبيعية في التصميم وتنسيق

الألوان والتنظيم يمكن أن تكون بديلاً عن الخبرة . اقترح عليها هابيل أن تتدرب في سويسرا تحت إدارة إم موريس في إحدى المدارس الفندقية الشهيرة في لوزان . ولكن فلورنتينا اعترضت على الفكرة وقالت لأبيها إنها تريد أن تعمل على مدى عامين في أحد متاجر نيويورك قبل أن تقرر ما إن كانت سوف تقبل أو ترفض عرض أبيها . كانت مصممة على اكتساب العمل عن جدارة " وليس فقط لأني ابنة أبي " على حد قولها لوالدها . فأيدها هابيل .

قال هابيل : " أحد متاجر نيويورك ، هذا أمر سهل ، سوف اتصل بوالتر هوفيج في تيفاني وأطلب منه أن تهدني من القعة " . قالت فلورنتينا ، في إصرار يكشف عن صفة العند التي ورثتها عن أبيها : " كلا . ما هو العمل الذي يوازي نادلاً في فندق بلازا ؟ " .

قال هابيل وهو يضحك : " فتاة مبيعات في أحد المتاجر العادية " .

قالت : " إذا ، هذا هو تحديداً ما سوف أفعله " . توقف هابيل عن الضحك : " هل أنت جادة ؟ ، بعد الشهادة التي حصلت عليها من رادكليف وكل الرحلات التي قمت بها ، تريد أن تكوني فتاة مبيعات مجهولة في أحد المتاجر ؟ " .

أجابت فلورنتينا : " كونك كنت نادلاً مجهولاً في البلازا لم يضر في شيء عندما قمت ببناء أكبر سلسلة فنادق في العالم " . كان هابيل يدرك تماماً متى يذعن للهزيمة . كان عليه فقط أن ينظر في عيني ابنته ذات الإرادة الصلبة لكي يدرك أنها كانت قد عقدت العزم وأنه لن يثيب أو يقنعها أحد بتغيير رأيها سواء بطريقة ودية أو غير ذلك .

بعدها تخرجت فلورنتينا من رادكليف ، قضت شهرا في أوروبا مع أبيها لتتفقد مدى ما أحرزته فنادق الهارون من تقدم هناك . افتتحت رسميا بارون بروكسل واجتذبت إعجاب مدير الإدارة الوسيم الناطق بالفرنسية والذي اتهمه هابيل بأن رائحته تشبه رائحة الثوم . ولكنها قررت أن تتخلى عن الرجل بعد ثلاثة أيام عندما وصلت العلاقة إلى مرحلة القبلات ، غير أنها لم توافق أباهما الرأي أبدا في أن الثوم كان هو السبب .

عندما عادت فلورنتينا إلى نيويورك مع أبيها ، قدمت على الفور طلبا لشغل إحدى الوظائف الخالية (كانت هذه هي الكلمات المستخدمة في الإعلان) الخاصة "بمساعديات بيع تحت التدريب" في محلات بلومينجديل . عندما حررت استمارة طلب الالتحاق بالعمل لم تذكر اسمها الأصلي وإنما أطلقت على نفسها اسما مستعارا " جيسى كوفاتز " ، بعد أن أدركت تمام الإدراك أنه لن يدعها أحد لحالها إن عرف أنها ابنة بارون شيكاغو .

وبالرغم من اعتراض أبيها ، تركت أيضا جناحها في بارون نيويورك وبدأ تبحث عن مكان آخر للعيش فيه . وثانية استسلم هابيل برعبها وقدم لها شقة أنيقة في الطابق السابع والخمسين في أحد الشوارع القريبة من النهر الغربي ، كهدية في عيد ميلادها الثاني والعشرين .

كانت فلورنتينا تحظى بحياة زاهرة في نيويورك ، كانت تستمتع بحياة اجتماعية حافلة ولكنها كانت قد قررت منذ فترة أن تخفي أمر عملها في محلات بلومينجديل عن أصدقائها . كانت تخشى أن يبدي كل منهم رغبته في زيارتها في مقر عملها مما كان يمكن أن يكشف عن حقيقة أمرها ويجعلها تحظى بمعاملة خاصة .

عندما سألتها أصدقائها بالفعل عن عملها ، اكتفت بإخبارهم بأنها تساعد في إدارة بعض المتاجر في فنادق أبيها . لم تشر إجابتها رغبة أي سائل .

استغرقت جيسى كوفاتز بعض الوقت إلى أن اعتادت على الاسم وبدأت عملها في قسم أدوات التجميل . بعد ستة أشهر ، كانت على استعداد لأن تدير متجرها الخاص بأدوات التجميل . كانت الفتيات في محلات بلومينجديل يعملن في ثنائيات ، وهو ما استغلته فلورنتينا على الفور لصالحها فأختارت أكثر الفتيات كسلا في القسم . كان هذا الاختيار قد ناسب كلا الفتاتين ، حيث وقع اختيار فلورنتينا على فتاة جميلة شقراء جاهلة تدعى ميسى لم يكن لها هم في الحياة سوى السعادة عندما تشير إلى السادسة . الرجال .

سرعان ما توثقت العلاقة بين الفتاتين كزميلات وليس كصديقات . تعلمت فلورنتينا الكثير من زميلاتها في العمل بشأن كيفية عدم أداء العمل والإفلات في نفس الوقت من عين المدير المسئول عن الطابق وأيضا عن كيفية اقتناص الرجال .

حقق قسم أدوات التجميل أرباحا مرتفعة بعد السنة أشهر الأولى بنى عملت فيها الفتاتان في القسم حتى بالرغم من أن ميسى كانت تقضى جل وقتها في تجربة المساحيق بدلا من بيعها . كانت تستغرق ساعتين لإعادة طلاء أظفارها . أما فلورنتينا في المقابل فقد اكتشمت أنها لا تتمكن بموهبة فطرية في البيع وأنها كانت يجد متعة في ذلك . كان هذا شذئي بسبب تماما وبعد انقضاء الأسابيع القليلة الأولى ، كان المدير ينظر إليها بوصفها تتمتع بكفاءة لا يتمتع بها كثير من الموظفين الذين عملوا عنده على مدى سنوات .

نادرا ما تحصل عليها فتاة قبل أن تقضى خمس سنوات من العمل على الأقل في المتجر . كانت ميسى تعمل فى بلومينجديل منذ أن كانت فى السابعة عشرة من عمرها ، أى خمس سنوات كاملة ، أما فلورنتينا فكانت قد أتمت بالكاد عامها الأول فى المتجر . ولكن نظرا لأن سجل مبيعاتهما كان قد حقق رقما مميزا ، فقد قرر المدير أن يمنحهما فرصة للعمل فى الطابق الأرضى فى قسم الأدوات المكتبية . عجزت ميسى عن اكتساب أية ميزة شخصية لنفسها من قسم الأدوات المكتبية لأنها لم تكن تكثرث بالقراءة فضلا عن عدم اهتمامها بمرءة بالكتابة . لم تكن فلورنتينا واثقة بعد أن عمت معها على مدار عام كاس بن كانت تجيد القراءة والكتابة . ومع ذلك فإن عمر فى القسم الجديد قد نسب ميسى تماما لأنها كانت تعشق جذب الانتباه . لذا واصلت الفتاتان نجاحهما

وقد أعجب هابيل ذات مرة لجورج بأنه قد زار بلومينجديل ورأى فلورنتينا سرا وعليه أن يقر بأنها برعة فى عملها . وقد أكد لهن أنه فى العمل بأنه يتطلع لأن تنتهى العامين فترة التدريب لكى يتمكن هو من تعيينها فى فنادقه . كان الاثنان قد اتفقا على تعيين فلورنتينا نائب للمجموعة بعد أن تترك عملها فى بلومينجديل . مع تحملها مسؤولية خاصة عن المتاجر الخاصة بالفندق . كانت فلورنتينا فتاة نادرة المواهب والإمكانات لذا كن هابيل واثق من أنها لن تجد أي صعوبة تذكر فى تحمل المسؤولية التى كانت فى انتظارها .

* * *

قضت فلورنتينا الأشهر الستة الأخيرة فى بلومينجديل فى الطابق الأرضى ، كمسئولة عن ست موائد عرض بعد أن حملت لقب

كانت شراكتها مع ميسى تناسبها تماما ، وعندما تم نقلها إلى قسم الملابس ، واصلت ميسى توافقهما المتبادل وكانت تقضى جل وقتها فى ارتداء الملابس بينما كانت فلورنتينا تقضى وقتها فى بيعها . كنت ميسى تتمتع أيضا بمقدرتها على اجتذاب الرجال . حتى إن كانوا بصحبة زوجاتهم . بغض النظر عن طبيعة السلعة وذلك بنظراتهم فقط . وما إن يسقط الرجال فى شباكها ، فإن فلورنتينا تتقدم منهم وتنجح فى بيع أى شيء لهم . كان يبدو من الصعب أن يحقق هذا الثنائى نجاحا فى قسم الملابس ، ولكن فلورنتينا كانت مع ذلك تنجح فى أغلب الوقت فى إسقاط ضحايا ميسى . القليل فقط هو الذى كان ينجح فى الإفلات والنجاة بنقوده .

حققت الأرباح فى الأشهر الستة الأولى ارتفاعا وصل إلى ٣٠ بائنة وقرر مشرف الطابق أن الثنائى يجيدان على الأرجح العمل مع بعضهما بعض . لم تسع فلورنتينا إلى التفوه بكلمة لكى تعبرص على هذا الانطباع . فى الوقت الذى كانت تشكو فيها معظم المساعدات فى المحل من قلة العمل الذى تقوم به زميلاتها ، كانت فلورنتينا تشيد بميسى باعتبارها الشريكة المثالية للعمل وكانت تقول إنها قد أكسبتها الكثير من الخبرة بشأن الطريقة التى يعمل بها متجر كبير كهذا . ولكنها لم تشر إلى النصيحة التى ذكرتها لم ميسى أيضا بشأن كيفية التعامل مع الرجال مفرطى العواطف والشعر .

كان أفضل تقدير يمكن أن تحصل عليه عاملة فى بلومينجديل هو أن تعين فى أحد الأقسام الأمامية عند المدخل المطل على شارع ليكسينجتون آفنيو بحيث تكون أول من يراها أى عميل فور دخوله من الباب . كان الحصول على قسم كهذا يعد بمثابة ترقية بسيطة

مشرف شان . كانت مسئوليتها تتضمن الإشراف على المخازن ومكاتب التحصيل النقدي والإشراف العام على ثمانية عشر موظفا كانت إدارة بلومينجديل قد قررت بالفعل بأن جيسى كوفاتز كانت مرشحا أمثل لأن تكون مشتريا .

لم تكن فلورنتينا قد أخبرت بعد مرءوسيا في العمل بأنهم سوف تترك العمل بعد فترة قصيرة لكي تلتحق بالعمل كنائب مدير في مجموعة والدها . بينما كانت الأشهر الستة تقترب من نهايتها ، بدأت تسأل نفسها عما سوف يلحق بميسى اسكنيد بعدما تترك العمل . كانت ميسى تفترض أن جيسى سوف تبقى في بلومينجديل إلى الأبد . ثم يكن هذا هو حال الجميع . وله تنبؤ الأمر مع نفسها ثانية . فكرت فلورنتينا أنها ربما يمكن أن تمنحها وظيفة في أحد المناجر تابعة لشركة ابرون بيويرت طاب بقيت في أحد الأقسام التي تجتذب الرجال ، فهي بارعة في هذا الشأن . وفي عصر أحد الأيام ، كانت ميسى تبيع لأحد الزبائن ، تجولت معه بين القفازات ثم الكوفيات ثم القبعات ، ثم جذبت فلورنتينا جانبا وأشارت إلى شاب صغير كان يتباطأ عند قفازات اليد .

سألت ميسى وهي غارقة في الضحك : " ما رأيك فيه ؟ " . ألقت فلورنتينا نظرة على الرجل بعدما ألحمت عليها ميسى ولكنها في هذه المرة كان عليها أن تقر بأن الرجل كان جذابا بالفعل . مرة واحدة شعرت فلورنتينا أنها تحسد ميسى . قال فلورنتينا : " ولكنهم لا يريدون دائما سوى شيء واحد يا ميسى " .

قالت ميسى : " أعلم ويمكنه أن يحصل عليه " .

قالت فلورنتينا وهي تضحك مستديرة نحو إحدى الزبائن التي بدأت تفقد صبرها إزاء تجاهل ميسى لوجودها : " أنا واثقة من أنه سوف يسعد بسماع ذلك " . استغلت ميسى حركة فلورنتينا وهرعت لخدمة الرجل الذي كان يبحث عن القفازات . أخذت فلورنتينا تراقبها بطرف عيتها . كانت سعيدة لأنه كان يسترق النظر إليها من آن إلى آخر وقد سيطر عليه الاضطراب لكي يتأكد من أن ميسى لم تكن تتعرض للمراقبة من قبل مشرفتها . ابتسمت ميسى للرجل بعد أن ترك المحل مغادرا بعد شراء زوج من القفازات الجلدية الزرقاء .

سألت فلورنتينا وهي مدركة أنها تشعر ببعض الغيرة من غنيمة ميسى الجديدة : " حسنا ، كيف حال العميل ؟ " .

أجابت ميسى : " إنه لم يبد أية رغبة . ولكنني واثقة من أنه سوف يعود " .

وقد صدقت ميسى في توقعها فقد عاد الشاب في اليوم التالي ، وأخذ يعبث في القفازات ، وقد ارتسمت عليه علامات الاضطراب أكثر من ذي قبل .

قالت فلورنتينا : " أعتقد أنه يجدر بك أن تذهبي لمساعدته " . أسرع ميسى مذعنة لطلبها ، كادت فلورنتينا تضحك بصوت مرتفع عندما عادت بعد وضع دقائق ، وغادر الزبون حاملا زوجا آخر من القفازات زرقاء اللون .

قالت فلورنتينا في سخرية غير مصدقة : " زوجن ! لابد انه يعني من عدة مغازات " . قالت ميسى : " إنه أمر محيط للغاية لأنني أعتقد أنه شاب مهذب " .

قالت فلورنتينا : " أجل إنه ليس سيئا " .

وفي اليوم التالي ، وصل الشاب ، فهرعت ميسى نحوه تاركة سيدة عجوز في منتصف حديثها معها . اسرعت فلورنتينا وحلت محل ميسى وأخذت ثانية ترافق ميسى بطرف عينها . فى هذه المرة بدا العميل والبائعة وقد انخرطا فى حديث مستفيض مع بعضهما البعض وأخيرا غادر الرجل الشاب حاملا زوجا آخر من القفازات الجلدية الزرقاء .

قالت فلورنتينا : " لا بد أنه يعاني بالفعل من عقدة القفازات " .

أجابت ميسى : " أجل أظن ذلك ولكنه لم يطلب منى لقاءه إلا الآن " .

ذهلت فلورنتينا .

قالت ميسى : " اسمعى . إن جاء غدا ، هل يمكنك أن تتولى أنت مهمة خدمته ، أعقد أنه يحشى أن يطلب لفئى بشكل مباشر . قد يجد الأمر أكثر سهولة من خلاك أنت " .

ضحكت فلورنتينا : " تحت أمرك يا سيدتى " .

قالت ميسى : " ماذا ؟ " .

" لا يهم . أشك فى أننى سوف أنجح فى بيع زوج من القفازات له " .

عندما وصل الشاب إلى المتجر فى اليوم التالي فى نفس الموعد الذى كان قد وصل فيه فى اليوم السابق ، وتوجه مباشرة نحو قسم القفازات ، شعرت فلورنتينا أن هذا الشاب كان يتمتع بدرجة عالية من المثابرة

لكزت ميسى فلورنتينا التى قررت أن الوقت قد حان لكى تستمتع بوقتها قليلا .

" مساء الخير يا سيدى " .

قال الشاب وهو ينظر إليها فى دهشة ، أو ربما خيبة أمل : " مساء الخير " .

قالت فلورنتينا : " هل يمكنكى مساعدتك ؟ " .

قال الشاب بنبرة غير مقنعة : " كلا ، أقصد ، نعم . أريد شراء زوج من القفازات " .

" أمرك يا سيدى . هل فكرت فى اللون الأزرق الغامق ؟ القفازات الجلدية ، أنا واثقة أن لدينا المقاس الذى يناسبك ما لم يكن قد نفذ " .

نظر إليها فى ريبة وهى تمد يدها بالقفازات . جرب المقاس ولكنه كان كبيرا بعض الشيء . عرضت عليه فلورنتينا زوجا آخر ولكنه كان ضيقا قليلا . نظر نحو ميسى . كانت شبه محاطة ببحر من الرجال ، ولكنها لم تكن غارقة فى البحر لأنها كانت تسترق النظر إليه وتبتسم . ابتسم إليها فى توتر . مدت فلورنتينا يدها له بزوج قفازات آخر . كان هذا هو المقاس المناسب .

قالت فلورنتينا : " أعتقد أن هذا ما كنت تبحث عنه " .

أجاب الزبون وقد ظهرت عليه بوضوح علامات الحرج : " كلا ، ليس هذا تحديدا " .

قررت فلورنتينا أن الوقت قد حان لمساعدة الرجل المسكين على اجتياز هذه المحنة . أخفضت صوتها وقالت : " سوف أذهب لإنقاذ ميسى ، لم لا تقابلها خارج المتجر ؟ أنا واثقة أنها سوف توافق " .

قال الشاب الصغير : " كلا أنت لا تفهمين . إننى لا أريد أن أقابلها هي وإنما أريد أن أقابلك أنت " .

لم تنطق فلورنتينا بكلمة واحدة . ولكن الرجل بدا وكأنه قد تما لك رباطة جأشه وواصل قائلاً :

" هل تقبلين دعوتى على العشاء الليلة ؟ " .

سمعت نفسها وهي ترد بالإيجاب .

" هل أمر لأصحبك من بيتك ؟ " .

قالت فلورنتينا ، ربما بسمرة قوية بعض الشيء : " كلا " .

ولكن آخر شيء كانت تريد هو أن يقابلها في شقتها حيث سيسين له ولأى شخص بأنها أكثر من مجرد فتاة مبيعات أو بائعة في متجر . وأضاف بسرعة : " لتتقابل في المطعم " .

" أين تودين أن نذهب ؟ " .

حاولت فلورنتينا ثانية أن تفكر في مكان لا يبدو متكلفا .

بادر بالقول : " آلان في الشارع ثلاثة وسبعين ؟ " .

قالت فلورنتينا ، وهي تفكر في مدى تفوق نيسى عليها في حل هذه المواقف : " حسنا ، هذا مناسب " .

" قرابة الثامنة مساء ، هل هذا يناسبك ؟ " .

أجابته فلورنتينا : " قرابة الثامنة " .

غادر الشاب المتجرب مبتسما . بينما وقفت فلورنتينا تراقبه وهو

يرحل ويختفى عن نظرها في الشارع ، أدركت فجأة أنه قد غادر

بدون أن يشتري زوج القفازات .

قضت فلورنتينا وقتا طويلا في انتقاء الثوب المناسب الذى يمكن

ان ترتديه في هذه الليلة . كانت تريد أن تكون واثقة من أن الثوب

لن يصبح قائلا بأنه يحمل علامة بيرج دورف جودمان . كانت قد

اقتنت بعض الملابس التى تناسب عملها في بلومينجديل ، ولكن الملابس كانت مقتصرة على الاستخدام الخاص بالعمل وكانت لا

ترتدى أيًا من هذه الملابس أثناء خروجها ليلا . إن كان الرجل الذى سوف تقابله - يا إلهي إنها حتى لا تعرف اسمه - يظن أنها بائعة

فيجب ألا تخذله . لم يسمعها إلا أن تقر بأنها بالفعل كانت تتوق للخروج معه أكثر مما ينبغي .

غادرت شقتها في شارع إيست فيفتي سيفنث قبل الثامنة بقليل وكان عليها أن يسطر دقائق عديدة قبل أن تنجح في عبور على

سيارة أجرة .

قالت لقائد السيارة : " آلان من فضلك " .

" الواقع في الشارع رقم ثلاثة وسبعين ؟ " .

" نعم " .

" تفضل يا سيدتى " .

عندما وصلت فلورنتينا إلى المطعم ، كانت قد تأخرت لوضع دقائق . بدأت عينها تدوران بحثا عن الشاب . كان يقف في

المدخل يلوح إليها . كان قد بدل ملابسه وارتدى بنطالا رماديا فضفاضا وسترة زرقاء . فكرت فلورنتينا : يا لها من ملابس أنيقة ،

وكم هو وسيم .

بدأت فلورنتينا حديثها : " آسفة على التأخر " .

" لا يهم ، المهم أنك قد حضرت " .

قالت فلورنتينا : " وهل ظننت أنني لن أحضر ؟ " .

ابتسم : " لم أكن واثقا . آسفة ، لا أعرف اسمك " .

قالت فلورنتينا وهي مصرة على الاحتفاظ باسمها المستعار :

" جيمى كوفاتز . وما اسمك أنت ؟ " .

قال الشاب وهو يمد لها يده لكي يصافحها : "ريتشارد كبير "

مدت يدها هي الأخرى فأمسك بها لفترة أطول قليلا مما توقعته

بدأت حديثها : " وما الذى تفعله فى الأوقات التى لا تشتري فيها قفازات من بلومينجديل ؟ "

" أنا فى كلية الأعمال فى هارفارد "

" أنا مندهشة من أنهم لم يلقنوك فى الكلية بأن كل شخص لا يملك إلا زوجاً واحداً من الأيدي " .

ضحكوا وتقسم على نحو هادئ وودود جعلها تتعنى لو كان بوسعها أن تبدأ الحديث ثانية وتخبره بأنهما ربما كانا قد التقيا فى كمبريدج أثناء دراستها فى رادكليف .

قال ريتشارد وهو يمسك بذراعها ويقودها إلى المائدة : " هيا نجلس " .

نظرت فلورنتينا إلى قائمة الطعام المعروضة .

قالت : " شريحة السليسيورى "

قال ريتشارد : " هل هذا اسم من أسماء الهامبرجر ؟ "

ضحك الاثنان بالطريقة التى يضحك بها اثنان لا يعرفان بعضهما البعض ويسعيان للتعرف . أدركت أنه اندهش لكونها قد أدركت ما يرمى إليه .

لم يكن قد سبق لفلورنتينا أن استمتعت بصحبة شخص آخر هكذا اللهم إلا نادرا . حكى لها ريتشارد عن نيويورك والمسرح والموسيقى - التى كانت تمثل له حبه الأول - بنبرة مريحة وسلسة

أشعرتها فى وقت قصير بالراحة والانسجام . ربما كان يعلم أنها بائعة فى محل ولكنه كان يعاملها وكأنها فتاة من عائلة عريقة . تمنى لو لم يكن قد بدا عليه الاندهاش الشديد عندما اكتشف أنها تشاركه معظم اهتماماته . عندما طلب منها أن تتحدث عن نفسها قليلا لم تخبره بشيء أكثر من أنها فتاة بولندية تعيش فى نيويورك مع والديها . وقد شعرت فلورنتينا مع امتداد ساعات اللقاء بينهما أن الخداع أصبح غير محتمل ولكن . قد لا يتقابلان مرة أخرى بعد الليلة لذا بدا لها أن كل ما تقوله غير ذى أهمية .

عندما انتهى اللقاء وعجز كل منهما عن تناول المزيد من القهوة ، قائما وغادرا المطعم ووقف ريتشارد يبحث عن سيارة أجرة ولكنها كانت جميعا قد أنهت عملها لذلك اليوم .

سأل ريتشارد : " أين تعيشين ؟ "

" سارع فيمتنى سيقتك "

ول وهو يمسك بيد فلورنتينا : " إذن فلنتمشى حتى هناك " .

انضمت موافقة أخذا بسيران ويتوقفان ويتفقدان معروضات المتاجر عبر نوافذ العرض ويضحكان ويتحدثان . لم يلاحظ أى منهما أن السيارات الأجرة كان تمر بجوارهما فى هذه الأثناء . وقد استغرق كل هذا ما يقرب من ساعة إلى أن قطعوا مسافة الستة عشر مبنى وأوشكت فلورنتينا أن تبوح له بالحقيقة عندما وصلا إلى شارع فيفتى سيفنت . توقفت عند بناء قديم على بعد بضعة مئات من الأمتار من منزلها الحقيقى .

قالت : " هنا يعيش أهلى " .

بدا مترددا ثم أطلق يدها .

قال ريتشارد : " أتمنى أن نتقابل ثانية "

أجابت فلورنتينا بنبرة مهذبة مودعة : " يسعدنى هذا "

سألها ريتشارد في خجل : " غدا ؟ " .

سألت فلورنتينا : " غدا ؟ "

" نعم ، لم لا نذهب إلى البلو إنجيل ونشاهد بوبى شورت - ثم أمسك يدها ثانية - إنه أكثر رومانسية قليلا من آلان . "

شعرت فلورنتينا لدقائق أنها قد أخذت على غرة . لم تكن قد خططت شيئا مسبقا للعد

أضاف ريتشارد قبل أن تفيق من دهشتها : " إلا إذا لم تكن لديك رغبة

قالت في هدوء : " سوف يسعدني ذلك " .

" سوف أتناول العشاء مع أبى ثم أمر لكى أصحبك فى العاشرة " .

قالت فلورنتينا : " كلا ، كلا سوف أقابلك هناك ، إنه لا يبعد سوى مسافة بسيطة من منزلى " .

" فى العاشرة مساء إذن " ثم انحنى وقبلها برفق على خدها وقال : " تصبحين على خير يا جيسى " ثم اختفى فى الظلام .

سارت فلورنتينا ببطء نحو شقتها ، متمنية لو لم تكن قد أخبرته بكل هذه الأكاذيب عن نفسها . ولكن مازال الأمر برمته يمكن أن ينتهى فى غضون أيام . لم يسمعها إلا أن تتمنى ألا يحدث ذلك

• • •

ميسى التى لم تكن بعد قد سامحت فلورنتينا أخذت تلح طويلا على فلورنتينا طوال اليوم التالى لكى تقص عليها كل ما يخص ريتشارد . وأخذت فلورنتينا تسمى بدورها لتغيير الحديث ولكن يلا جدوى .

غادرت فلورنتينا بلومينجديل فى اللحظة التى أغلق فيها المحل أبوابه ، كانت هذه هى المرة الأولى التى تغادر فيها قبل ميسى على مدى عامين . أخذت حماما طويلا ، وارتدت أجمل ثوب فى حدود ما لا يلفت النظر وسارت نحو البلو إنجيل . عندما وصلت كان ريتشارد واقفا فى انتظارها خارج حجرة حجز التذاكر . أمسك يدها وسارا نحو قاعة الانتظار حيث كان يصلهما صوت بوبى شورت منسابا عبر الهواء : " هل تخبرنى بالحقيقة أم أنها كذبة أخرى ؟ " .

عندما دخلت فلورنتينا القاعة ، رفع شورت يده مرحبا بها . تظاهرت فلورنتينا بأنها لم تلحظه . كان السيد شورت قد حل نجما مستضافا فى فندق البارون فى مناسبتين أو ثلاث مناسبات ولم يخطر ببال فلورنتينا أنه يمكن أن يتذكرها . لاحظ ريتشارد ما بدر من شورت وارتسمت عليه علامات الدهشة . ثم افترض أنه ربما كان يحيي شخصا آخر . عندما جلسا على إحدى الموائد فى الغرفة خافتة الإضاءة ، حرصت فلورنتينا على أن تجلس موجهة ظهرها إلى البيانو حتى لا يتكرر الموقف ثانية .

طلب ريتشارد شرابا بدون أن يترك يدها وسألها عن يومها . لم تكن تريد أن تخبره بما حدث فى يومها ، كانت تريد أن تقول له الحقيقة : " ريتشارد هناك شئ يجب أن — " .

قال رجل وسم وقف بجوار ريتشارد : " مرحبا يا ريتشارد " . " مرحبا يا ستيف . هلا عرفتك بجيسى كوفاتز — ستيف مليون ، لقد كنا ندرس فى هارفارد سويا " .

أنصتت فلورنتينا إلى حديثهما عن فريق يانكيز فى نيويورك والإعاقة التى أصابت آيزنهاور بسبب الجولف والحالة المتردية التى وصل إليها فريق يانكيز وكيف أنه يمسير من سيبى إلى أسوأ . ثم

أخيرا انصرف ستيف بعد أن قال لها في لهجة أنيقة : " سعدت بلقائك يا جيسى " .

كان قد فوت بذلك الفرصة على فلورنتينا .

بدأ ريتشارد يخبرها بالخطط التي عزم على تنفيذها بعد التخرج من كلية الأعمال . كان يأمل أن يعود إلى نيويورك ويلتحق بالعمل في بنك أبيه ، بنك ليستر . كانت فلورنتينا قد سمعت بهذا الاسم من قبل ولكنها لم تتذكر الملابسات . ولكنها لم تشعروا بالارتياح .

قضى الاثنان ليلة طويلة سويا ، يتصاحكان ويأكلان ويتحدثان ، ويمسكان بيد بعضهما البعض وهما يستمعان إلى هوى شورت . عندما سارا عائدين ، توقف ريتشارد عند أحد أركان شارع فيفثي سيفنت وبيس فيورنتيب للمرء لأوى . لم تكن فلورنتينا قد شعرت من قبل بم يطلق عليه غيبه لأوى . عندما تركب في صلام الشرع ، أدركت أنه في هذه المرة لم يذكر القد . وشعرت بشيء من الكآبة من جراء ذلك .

وقد استعادت شعورها بالسعادة مرة أخرى عندما اتصل بها ريتشارد هاتفيا في بلومنجديين يوم الاثنين طالبا منها أن تقابله يوم الجمعة .

قضت فلورنتينا مع ريتشارد معظم عطلة نهاية الأسبوع ، ذهبوا لحضور حفل موسيقى ثم لمشاهدة أحد الأفلام ، حتى عرض فريق يا تكيـز في نيويورك لم يفتهما . عندما انتهت عطلة نهاية الأسبوع ، أدركت فلورنتينا أنها قد حككت لريتشارد الكثير من الأكاذيب البيضاء بشأن أصلها وماضيها وبأن حديثها وقصاريه قد أصبح يثير رغبة وحيرة ريتشارد في أكثر من مناسبة . مما جعل من

الاستحيل عليها أن تخبره بالقصة الحقيقية المختلفة تماما عما روت له . عندما عاد ريتشارد إلى هارفارد مساء الأحد ، أقنعت نفسها أن هذا الخداع لن يكون ذا قيمة بعد أن تنتهى علاقتهما . ولكن ريتشارد أخذ يتصل بها هاتفيا كل يوم على مدى أسبوع كامل وقضى عطلتى نهاية الأسبوعين التاليين معها ، عندها أدركت فلورنتينا أن الأمر لن يكون بهذه البساطة وأنها قد بدأت تتعلق بريتشارد وتحبه . ما إن أقرت بذلك لنفسها ، أدركت أنها يجب أن تخبره بالحقيقة في عطلة نهاية الأسبوع التالية .

جيسى بأنه قد عاد إلى المدينة (على مدى الأسابيع العشرة الماضية كان قد أهدى زوجها من القفازات لكل أقاربه) ، لذا أخير والدته فى يوم الجمعة هذا بأنه سوف يذهب لشراء شفرة حلاقة .
قالت والدته : " لا تشغل نفسك يا عزيزى ، يمكنك أن تستخدم شفرة والدك " .

قال ريتشارد : " كلا - كلا - لا تشغلى بالك ، سوف أذهب وأشتري بعض الشفرات . فحن لا تستخدم نفس النوع على أية حال . لن أستغرق سوى بضع دقائق " .

كاد ريتشارد يركض قاطعا الطريق إلى بلومينجديل ونجح فى الوثوب داخل المحل قبل أن يغلق أبوابه . كان يعلم أنه سوف يقابل جيسى فى الساعة والنصف ولكنه لم يكن يمكن أن يفوت على نفسه فرصة مجرد رؤيتها . كان ستيف مهليون قد أخبره ذات مرة أن الحب للأطفال فقط ، فكتب ريتشارد على مرآة الحلاقة التى كانت قد كسيت بالخار فى صباح ذلك اليوم : " أنا طفل " .

غير أن ريتشارد عندما وصل إلى بلومينجديل فى يوم الجمعة هذا ، لم يجد جيسى موجودة هناك . كانت ميسى تقف فى أحد أركان المحل تقلم أظافرها ، فاقترب منها وسألها عن جيسى وإن كانت مازالت موجودة . نظرت إليه ميسى وكأنه قد قطع عليها عملا مهما كانت تقوم به " كلا ، لقد غادرت إلى بيتها يا ريتشارد ، لقد غادرت بضع ثوان مبكرا . لا يمكن أن تكون قد ابتعدت كثيرا . كنت أظن أنك سوف تقبّلها فى وقت لاحق " .

جرى ريتشارد فى شارع ليكسنجتون . أخذ يبحث عن جيسى بين الوجوه وهو يسير فى طريق منزلها ، ثم لمحها فى الجانب المقابل من الشارع ، وهى تمشي نحو شارع فيث . هذا من الواضح أنها لم تكن تسير عائدة إلى منزلها وقد قرر ريتشارد عندها مع

الفصل الرابع والثلاثون



كان ريتشارد غارقاً فى أحلام يقظته على مدى المحاضرات الصباحية . كان مغرماً بهذه الفتاة معاً حال دون تركيزه فى "إنهيار البورصة عام تسعة وعشرين " . كيف يمكن أن يخبر والده بأنه يريد أن يتزوج من فتاة بولندية تعمل فى بيع القفازات والقبعات والكوفيات فى أحد أقسام بلومينجديل ؟ عجز ريتشارد عن تبين سبب تواضع طموحها بما لا يتناسب مع مستوى ذكائها وقدراتها . كان واثقاً من أنه لو أتاحت لها نفس القرص التى أتاحت له لما كان قد انتهى بها المآل فى بلومينجديل . قرر ريتشارد أن أبويه يجب أن يتقبلا خبره لأنه كـ قد عقد العزم على صليب للروح فى عطلة نهاية الأسبوع .

كان ريتشارد كلما عاد إلى منزل أبويه فى عطلة نهاية الأسبوع ، يبادر بمغادرة المنزل فى شارع إيست سيكستى إيتث ويتوجه إلى محل بلومينجديل لشراء أى شيء ، أى ساعة بسيطة فقط لكي يعلم

القليل من الشعور بالذنب بأنه سوف يتبعها . عندما وصلت إلى سكرينر في شارع فورتى إيت ، توقف وأخذ يراقبها وهي تدخل المكتب . إن كانت تريد أن تحصل على شيء لقراءته كان يمكنها بالطبع أن تحصل عليه من بلومينجدير . تعجب ريتشارد . أخذ ينظر من خلال النافذة بينما كانت تتحدث مع أحد موظفي المبيعات ، الذى تركها ليضع دقائق ثم عاد حاملا كتابين . استطاع ريتشارد أن يتيين اسم الكتابين : " مجتمع الرخاء " لـ جون كينيث جلابريت و " روسيا من الداخل " لـ جون جونسون . وقعت جيسى على استلام الكتابين - مما أدهش ريتشارد - ثم غادرت المحل بينما وقف هو مختبئا فى أحد الأركان .

قال ريتشارد بصوت مرتفع وهو يراقبها وهي تدخل محل بيندل : " من تكون ؟ " . حياها الحارس بمنتهى الاحترام راسما انطبعا ينم عن التيجير على وجهه ، وثانية أخذ ريتشارد يتساءل متلصحا عبر النافذة وشاهد البانعات وهن يحمن حول فلورنتينا ويبدین أكثر من الاحترام المعهود . ظهرت سيدة أكبر سنا وهي تحمل لفافة ، بدا من الواضح أن جيسى كانت فى انتظارها . فتحت اللفافة ، وإذا بثوب سهرة بسيط ولكن فى غاية الأناقة . ابتسمت فلورنتينا وأومات للبانعة التى وضعت بدورها الثوب فى صندوق بنى فى أبيض . حركت فلورنتينا شفتيها قائلة " اشكرك " ثم توجهت نحو الباب بدون حتى أن توقع على الشراء . ذهل ريتشارد من المشهد الذى رآه ونجح بالكاد فى عدم الاصطدام بها أثناء خروجها من المحل ووثوبها داخل إحدى السيارات الأجرة .

تملك ريتشارد نفسه وطلب من السائق أن يتبع السيارة . عندما تخطت السيارة المنزل الصغير الذى كان من المفترض أنه بيت أهلها ، بدأ الشعور بالريبة يملك ريتشارد . لا عجب أنها لم

تدعنى يوما إلى الدخول . واصلت السيارة التى كانت تحملها السير إلى بضع مئات أخرى من اليارات ثم توقفت أمام منزل جديد رائع يقف أمامه بواب بالزى الكامل ، فتح لها الباب . فى دهول وتوجس كامل ، قفز ريتشارد من السيارة وبدأ يتقدم نحو الباب الذى دخلت منه واختفت عبره .

جاء الصوت من خلفه : " خمسة وتسعون سنتنا يا عزيزى " قال ريتشارد ورمى له بخمسة دولارات ونسى أن يتسلم الباقي : " آه ، آسف " .

قال السائق : " شكرا لك . لقد أسعدت اليوم شخصا بكس تأكيد " .

أسرع ريتشارد عبر باب ونجح فى الإمساك بفلورنتينا عند المصعد . أخذت فلورنتينا تحقق فيه بدون أن تنطق بكلمة . سأله ريتشارد بينما كان باب المصعد يغلق : " من أنت ؟ " .

همست : " ريتشارد لقد كنت على وشك مصارحتك بكل شيء هذا المساء . لم تتح لى يوما فرصة مناسبة لإخبارك " .

قال ريتشارد وهو يتبع فلورنتينا نحو شقتها : " بكل تأكيد كنت ستخبرينى . لقد كنت تقصين على مجموعة من الأكاذيب التى لا تنتهى على مدى ثلاثة أشهر . حسنا لقد حان وقت الإفصاح عن الحقيقة " .

لم تكن فلورنتينا قد رأت ريتشارد فى مثل هذا الغضب من قبل ، وشكت فى أن هذا يمكن أن يكون نادر الحدوث . شق طريقه فجأة وسر أمامها بينما تقدمت هى لتفتح الباب . نظر إلى الشقة ، عند نهاية المدخل كانت هناك غرفة معيشة كبيرة ذات سجادة شرقية أنيقة . وساعة حائط قديمة رائعة على الجدار معلقة فى

مقابل مائدة جانبية تحمل إباء من الزهور الياضعة كانت الغرفة جميلة حتى بالنسبة لمستوى بيت ريتشارد الذي قال :

' منزل رائع بالنسبة لدعوة أنساءل أى من محبيك يسدد لك ثمن هذا '

صفعته فلورنتينا بشدة على وجهه .

وقالت : " كيف تجرؤ ؟ اخرج من بيتي " .

بعد أن سمعت الكلمات التي تفوهت بها - انخرطت في بكاء لم تكن تريد أن يرحل أبدا - أخذها ريتشارد بيير ذراعيه وقال

" يا بهي - ساف - كان هذا خطأ فظيع - أرحوك سباحي - إننى أحبك كثيرا وكنت أظن أننى أعرفك جيدا ولكننى اكتشفت الآن أننى لا أعرف شيئا " .

ريتشارد - أن أحب أياف وأنا أسفه لأننى صفعتك له كسر أريد أن أهدل ولكن ليس هناك شخص آخر - أفسد لك - ثم تهدج صوتها .

قال ريتشارد وهو يقبلها : " وأنا أستحق هذا " .

سقط فوق الأريكة وهما متشبثان ببعضهما البعض وبقيتا بلا حراك ليضع لحظات . أخذ يجفف دموعها .

قال ريتشارد : " أحبك . لقد أحببتك منذ اللحظة الأولى التي وقع فيها عليك بصرى . هل تتبلين بالزواج منى ؟ لأننى لا أعيا بحقيقة أمرك أو من تكوينين يا جيسى أو ماذا تفعلين ، ولكننى أعلم أننى يجب أن أقضى باقى عمرى معك " .

' أريد أن أتزوجك أيضا يا ريتشارد ولكن عليك أن تعرف قبل كل شيء الحقيقة " .

وأخبرته فلورنتينا بأصعب وشرحت له فى النهاية ما دفعها للعمل فى بنومينجدين - عند أتمت حكيتها - لم ينطق ريتشارد بكلمة

سألت - " هل كفت عن حبى بالفعل ؟ بعد أن عرفت حقيقتى " .

مار ريتشارد فى هدوء تام - يا عزيزتى إن أبى يكره والدك "

" يا الذى بعدد " .

" يا أفسده هو انه فى كل مرة يذكر فيه اسم والدك أممه - يجس حنونه - ويقول من هدف والدك الوحيد فى الحياة هو أن يدمر عائته كى " .

قالت فلورنتينا فى صدمة : " ماذا ؟ لماذا ؟ إننى لم أسمع اسم أبى قط - كيف يعرفان بعضهما البعض ؟ " .

كان قد دور ريتشارد لكى يوضح لفلورنتينا كى شىء كست ولدت قد حكته له بشأن لنزاع بين والده ووالدها

قالت : " يا الهى ، لابد أن هذا هو الخائن الذى كان أبى يتحدث عنه عند نشر حسبه من لينت بعد خمسة وعشرين عام من التعامل معه ما الذى سنفعله ؟ " .

قال ريتشارد : " سوف نخبرهم بالحقيقة ، سوف نخبرهم بأننا قد تعالينا ببراءة وأحببت بعضنا بعضا وبأننا سوف نتزوج وأمر أى شىء يقومون به لن يحول دون ذلك " .

قالت فلورنتينا : " دعنا ننتظر لبضعة أسابيع قليلة " .

قال ريتشارد : " لماذا ؟ هل تظنين أن والدك يمكن أن يثنيك عن الزواج منى ؟ " .

قالت ، وهى تلمسه برفقة " كلا يا ريتشارد لن يحدث هذا أبدا يا عزيزى ولكن دعنا ننظر إن كان بوسعنا فعل أى شيء للترقيق بسيد فيرنس تواجههما بالأمر الواقع على أية حال يمكن أن يكون الوضع أخف وطأة مما تتصور . فقد ذكرت أن القضية الخاصة بشركة الطيران قد انتهت منذ خمس سنوات "

" ولكن شعورهما مازال متأججا ، أنا واثق من ذلك . إن أبى يمكن أن يفقد صوابه إن شاهدنا سويا ، ناهيك عما سوف يفعله إن عرف بأمر زواجنا "

" هذا ادعى لأن نريت قليلًا قبل أن نخطرهما بالحقيقة سوف يمنحنا هذا وقت لكى نمتز على أفضل طريقة للمضى قدما فى هذا الأمر "

قليلها ثانية : " أحبك يا جيسى "

" فلوريتينا "

قال : " وهذا شيء آخر يجب أن أتعود عليه ، أحبك يا فلوريتينا "

...

على مدى لأسابيع الأربعة الدالية . عند ريتشارد وفلورنتين إلى الكشف عن أكبر قدر من الحقيقة بشأن الصراع بين أبويهما . سافرت فلورنتينا إلى شيكاغو للقاء أمها والتي اندهشت لكم المعلومات التي كانت تعرفها عن الأمر وكذلك لجأت إلى استجواب جورج نوفاك من خلال أسئلة محكمة غير مباشرة والتي كشفت لها عن ياس جورج الشخصى لأى محاولة لثنى والدها عما أطلق عليه " هوس بهذه القضية " . أما ريتشارد من جانبه فقد تأكد من خلال مراجعة ملفات أبيه وحديثه مع أمه أن الكراهية بين الرجلين كانت

متبادلة . وقد اتضح لهما مع كل اكتشاف بأنه ليست هناك طريقة رقيقة لإعلان نيا ارتباطهما .

كان ريتشارد متبها وريقا وكان يتقبل كل الأمور بصدر رحب . كان يقدر كى ما فى وسعه لكى يصرف انتباه فلورنتينا عن المشكلة التي تواجههما . كانا يذهبان إلى المسرح ويقضيان فترات الظهيرة فى التراج وفى أيام الأحاد ينترهن سيرا على الأقدام لمسافات طويلة فى سترال بارك . كانت فلورنتينا تصحب أيضا ريتشارد لحضور مباريات فريق يانكيز بنيويورك والتي لم تكن تفهمها . كما أنهما حضرا حفلا موسيقيا عشقته فلورنتينا التي أبت أن تصدق أن ريتشارد كان يحيد العزف على الشيلو حتى قدم لب عزفا خاصا فى شقتها . أخذت تصفق له فى حماس عندما أنهى عزف سوناتا برامز المفضل لديه بدون أن يلحظ أنه كان يفكر فيها أثناء فترة العزف .

قال ريتشارد وهو يمسكها بين ذراعيه : " يجب أن نخبرهما سرنا "

" أعلم أنت يجب أن نخبرهما ولكننى فقط لا أريد أن أخرج مشاعر أبى "

كان هذا هو دوره لكى يجيبها قائلا : " أعرف " تجنبنا فلورنتينا النظر إلى عينيه : " الجمعة القادمة سوف يعود من واشنطن "

قال ريتشارد وهو يمسك بها : " إذن هو يوم الجمعة القادم " عاد ريتشارد إلى هارفارد صباح الاثنين ، وكانا يتحدثان فى الهاتف مساء كل ليلة ، بدون أن يتراجع أى منهما قيد أنملة وقد عزم كل العزم على المضى قدما فى الخطة .

فى يوم الجمعة ، وصل ريتشارد إلى نيويورك فى وقت مبكر عن المعتاد وقضى ساعة منفردا مع فلورنتينا التي كانت قد استأذنت من

عملها لنصف يوم . بينما كانا يتوجهان إلى أحد أركان شارع فيفتى سيفنت توقفا عند الإشارة الحمراء استدار ريتشارد نحو فلورنتين وطلب منها ثانية أن تتزوجه . ثم أخرج علبة جلدية حمراء صغيرة من جيبه وفتحها ووضع خاتما فى الإصبع الثالث من يدها اليسرى . كان خاتما من الياقوت المصع بالاس . كان الخاتم جميلا إلى الحد الذى جعل الدموع تسيل من عينيها . لقد كان مقاسه مناسباً تماماً . كان المارة ينظرون إليهما فى تعجب بينما كانا يقفان عند أحد الأركان متشبهين ببعض متجاهلين إشارة السير بخضراء . عندما لاحظا إشارة فى اليد . فر كلاهما الآخر قبل أن يمضى كل منهما فى الطريق المقابل لمواجهة أبويهما . كان قد انغما على لهما ، شبيه فى شدة فلورنتينا بعد انقضاء هذا الكابوس . حاولت أن تبتسم وسط دموعها .

سارت فلورنتين نحو فندق السرون . وهى سطر من وقت لآخر إلى خاتمتها . بدا لها الخاتم جديداً وغريباً على إصبعها وهى ، إليها أن كل المارة كانوا يتاملون جمال الياقوت . أما بالنسبة لها فقد بدا الخاتم رائع الجمال بجوار الخاتم القديم المفضل لديها . كانت فلورنتينا قد ذهلت عندما وضع ريتشارد الخاتم فى إصبعها . لمسته وشعرت أنه يمنحها الشجاعة بالرغم من أنها كانت قد لاحظت أن خطواتها كانت تتباطأ كلما اقتربت من الفندق .

عندما وصلت إلى مكتب الاستقبال ، أخبرها الموظف بأن والدها كان مع جورج نوفت فى الاستراحة منحفه بمكتبه واصل وأخبره بأن فلورنتينا فى طريقها إليه . وصل المصعد إلى الطابق الثانى والأربعين بسرعة فائقة ، وترددت فلورنتينا قبل أن تخرج منه . خطت خارجة فوق السجادة الخضراء وسمعت صوت باب المصعد

وهو يغلظ وراءها . وقتت وحيدة فى الرواق للحظة قبل أن تطرق باب أبيها فى هدوء . فتح هابيل الباب فى الحال .

" فلورنتينا ، يالها من مفاجأة سارة . تعالى ، يا عزيزتى . لم أكن أتوقع رؤيتك اليوم "

كان جورج نوفال يقف بجوار نافذة غرفة المعيشة ناظراً إلى بارك آفينيو . استدار لى يحيى ابنة صديقه . كانت عين فلورنتين ترجوه أن يرحل . إن بقى ، كانت فلورنتينا تدرك تماماً أنها سوف تفقد أعصابها . اذهب ، اذهب ، اذهب ، ظلت الكلمة تتردد فى عقلها . شعر جورج بقلقها فى الحال .

" يجب أن أعود إلى العمل يا هابيل . هناك مهرجان كبير سوف يصل إلى الفندق الليلة "

قال هابيل ضاحكاً : " اطلب منه أن يترك فيله عند فندق بلازا " . ثم أضاف : " الآن بعد أن وصلت فلورنتينا ، اجلس معنا واحس شرايا آخر "

نظر جورج إلى فلورنتينا وقال : " لا يا هابيل ، يجب أن أرحل . إن الرجل قد حجز الطابق الثالث والثلاثين كله . إن أقل ما يتوقعه هو أن يستقبله نائب الرئيس بنفسه . طاب مسؤك ب فلورنتين " . تركبهم بمعددهما . فداهم فلورنتينا فجأة الشعور بأنهم تمنعت لو لم يكن قد رحل .

قال هابيل وهو يربت على شعر ابنته فى حنو : " كيف حال بلومينجديل " . من احبربهم بنك كنت أفضل مشرف مبتدى عرصوه منذ سنوات ؟ سوف يفاجأون عندما يعرفون أن الوظيفة التالية لجيسى نوافتز هى افتتاح فرع بارون إيدنبرج " . ضحك بصوت مرتفع .

قالت فلورنتينا وهي تمد يدها اليسرى في حياء " سوف أتزوج يا أبي ". لم يخطر ببالها أية كلمة أخرى يمكن أن تصيغ إلى ما قالت ، فبقيت في انتظار رد فعله قال هابيل ، وقد شعر بما يفوق الصدمة قليلا : " هذه مفاجأة ؟ ليس كذلك ؟ " .

" ليس تحديا يا أبي ، لقد تعرفت به منذ فترة " .

" هل أعرفه ؟ هل قابلته من قبل ؟ " .

" كلا يا أبي ، لم يحدث " .

" أين يعيش ؟ هو أصله ، هو هو بوندى ؟ لم أثرت السرية في هذا الشأن يا فلورنتينا ؟ " .

" إنه ليس بولنديا يا أبي ، إنه ابن رجل مصرفي ؟ " .

بهت هابيل ، أدركت فلورنتينا في الحال ما يدور في رأس أبيها الذي وقف مشدوها بينما تكشفت له الحقيقة سريعا .

" اسمه ريتشارد كين يا أبي " .

استدار هابيل لكي يقف قبالتها وسألها : " هل هو ابن ويليام

كين ؟ " .

قالت فلورنتينا : " نعم ، هو كذلك " .

" هل يمكنك أن تفكرى في الزواج من ابن ويليام كين ؟ هل تعرفين ما فعله هذا الرجل بي ؟ " .

قالت فلورنتينا : " أعتقد ذلك " .

صاح هابيل الذي اطلق ثورة عارمة بدت وكأنها سوف تدوم إلى الأبد : " لا يمكنك حتى أن تفكرى في الأمر " مما أثبت لفلورنتين أن الرجلين كنا قد فقدوا صوابهما وفي السببية ، فاصت فلورنتين والدها لكي تخبره أنها كانت تعرف كل الحقائق .

" هل تعرفينها بالفعل يا سيدتي الصغيرة ، وهل كنت تعرفين أن ويليام كين كان المسئول عن وفاة صديقي المقرب ؟ نعم هو الرجل الذى دفع ديفيز ليروى إلى الإقدام على الانتحار وهو الذى حاول أن يفلسنى . لو لم ينقذنى ديفيد مكستون آنذاك ، لكان كين قد استولى على قنادى وباعها بدون أى تردد . وأين كان يمكن أن أكون الآن لو كن ويليام كين قد أقدم على هذا الفعل ؟ لكن قد اسعدت لحظ بالفعل وانتهى بك المآل بائعة فى بلومينجديل . هل فكرت فى هذا يا فلورنتينا ؟ " .

" نعم يا أبي ، لم أفكر إلا فى هذا على مدى الأسابيع الماضية ريتشارد وأنا نشعر بالغنى حيال الكراهية التى توجد بينك وبين أبيه . إنه يهله الآن " .

قال هابيل : " حسنا ، يمكننى أن أخبرك تحديدا كيف سيكون رد فعله . سوف يفقد صوابه . إن هذا الرجل لن يسمح لابنه الغالى أن يتزوج منك ، أى أنه يمكنك أن تنسى الأمر كله برمتيه يا سيدتي الصغيرة " .

ارتفع صوته ثانية وكأنه صياح .

قالت فى صوت مرتفع : " لا يمكن أن أنسى الأمر يا أبى ، نحن نحب بعضنا البعض ، ونحن بحاجة إلى مباركتك لهذا الزواج وليس غضبك " .

قال هابيل ، بعد أن احمر وجهه : " الآن أصنى إلى يا فلورنتينا ، أنا أمنعك من رؤية هذا الفتى ثانية . هل تسمعينى " .

" نعم أسمعك . ولكننى سوف أقابله . لن أتخلى عن ريتشارد بسبب كراهيتك لأبيه " .

وجدت نفسها تقف بشدة على احكامم الذى يحيط بصبعها وترتجف قلبا

قال هابيل وقد بدأ وجهه يزداد احمراراً : " لن يحدث هذا . لن أسمح بهذا الزواج أبداً ، ابنتى الوحيدة تهجرنى من أجل ابن هذا الوغد . أنا أقول لك إنك لن تتزوجيه " .

" أنا لن أهجرك يا أبى . كان يمكن أن أهرب معه لو كان هذا ما أريده ولكننى لا يمكن أن أتزوج دون علمك " . كانت تشعر أن هناك رعشة فى صوتها . " ولكننى تعديت الواحد وعشرين عام الآن وسوف أتزوج ريتشارد . سوف أقضى باقى عمرى معه . أرجوك ساعدنى يا أبى ، يمكن أن تلتقى به ، عندها سوف تستوعب ما أشعر به حياله " .

" لن أسمح له أبداً أن يدخل بيتى . لا أريد أن أقابل أى ابن من أبناء ويليام كين . لن أسمح له أبداً ، هل تسمعينى ؟ " . " إذن يجب أن أتركك " .

" فلورنتينا . إن تركتنى لتتزوجى من ابن كين ، فسوف أحرملك من ثروتى . لن تنال شيئاً واحداً ، هل تسمعينى ؟ " .

ثم رق صوت هابيل : " والآن اعلى الأمر يا ابنتى ، سوف تنسيه ، مازلت شابة وهناك الكثير من الرجال المناسبين الذين يمكنك أن تزوج بهم " .

قالت فلورنتينا : " لا أريد أياً من هؤلاء الرجال . لقد قابلت الرجل الذى سوف أتزوجه وليس خطاه أنه ابن أبى . لم يختار أى منا والده " .

قال هابيل ثائراً : " إن لم تكن عائلتنا جيدة بما يكفى بالنسبة لك ، يمكنك أن ترحلى وأقسم أننى لن أسمح بذكر اسمك فى

وجودى ثانية ، لآخر مرة أحذرك يا فلورنتينا ، لا تتزوجى من هذا الفتى " .

" أبى ، سوف تتزوج ، بالرغم من أن كلينا قد تعدى سن وجوب الحصول على موافقتك ، فأنا أتمنى أن تمنحنى هذه الموافقة " .

نظر هابيل بعيداً عبر النافذة وسار نحوها : " هل أنت حامل ؟ هل هذا هو السبب ؟ هل يجب أن تتزوجيه ؟ " .

" كلا يا أبى " .

سألها هابيل : " هل دخل شقتك ؟ " .

صدم السؤال فلورنتينا ، ولكنها لم تتردد .

ثم أجابت : " أجل عدة مرات " .

رفع هابيل ذراعه وصفعها على وجهها . سال الدم على ذقنها وكادت تسقط . استدارت وركضت خارج الغرفة وهى تبكى ثم

ضطبت على زر المصعد وهى تضع إحدى يديها فوق شفتها لتخفه

فتح الباب فوجدت جورج فى انتظار المصعد . لمحت تعبير

الصدمة الذى ارتسم على وجهه وهى تقفز داخل إحدى السيارات .

بينما وقف جورج يتأملها وهى تبكى .

ما إن خرجت فلورنتينا إلى الشارع حتى استقلت سيارة أجرة إلى

بيتها مباشرة . وفى طريقها ، وضعت قطعة منديل ورقى فوق

جرحها . كان ريتشارد قد سبقها فى الوصول وكان يقف تحت

المظلة حانها رأسه وقد ارتسمت تعبيرات البؤس على وجهه .

قفزت من السيارة وجرت نحوه . حينما صعدا فتحت الباب

وأغلقتة سريعاً ورامها وهى تشعر بالأمان .

" أحبك يا ريتشارد " .

قال ريتشارد وهو يحيطها بكلتا يديه : " أحبك أيضاً " .

قالت فلورنتينا في يأس : " لا يجب أن أسألك كيف كان رد فعل أبيك " .

قال ريتشارد : " لم أره غاضباً مثل اليوم . وقد نعت والدك بأنه بولندي وصولي . وسألني عن سبب عدم زواجي من فتاة من نفس بيئتي الاجتماعية والثقافية " .
" وكيف أجبت ؟ " .

" قلت له إن إنسانة رائعة مثلك لا يمكن أن تستبدل بإحدى نيفات العائلات الغريبة التي تتناسب معنا . فقد صوابه تماما " .
واصل حديثه : " ثم هددني بأنه سوف يحرمني من كل سنت من أمواله إن تزوجتك . منى سوف يدركون أننا لا نكثرث السنة بهذا المال اللعين " .

" حاولت أن أستعين بمنى . ولكن حتى هي عجزت عن احتواء ثورتها . وأصر على أن تغادر الغرفة . لم أره من قبل في حياتي يعمل أُمى بهذه الطريقة . كانت تنتحب مع زاد من مصممي عسى فرارى . لقد تركته في منتصف حديثه وأدعو الله ألا يفسد غضبه على فيرجينيا أو لوسي . ما الذي حدث عندما أخبرته والدك ؟ " .

قالت فلورنتينا في هدوء تام : " صفني لأول مرة في حياتي . أعتقد أنه يمكن أن يقتلك إن عثر عليك معي . ريتشارد يا عزيزي . يجب أن نرحل من هنا قبل أن يعثر علينا . سوف تكون هذه الثقة بالطبع هي أول ما سوف يتوجه إليه . أشعر بالرعب " .

" ليس هناك مدعاة لهذا الرعب يا فلورنتينا . سوف نغادر الليلة ونبتعد عن هذه المدينة قدر الإمكان . اللعنة . فليدعونا لشأننا " .

" كم يلزمك من الوقت لكي تحزم حقائبك ؟ " .

قال ريتشارد : " لا يلزمي شيء فأننا لا نستطيع أن أعود إلى المنزل الآن . احزمي أنت حقائبك ثم سوف نرحل . معي ما يقرب من مائتي دولار . ما رأيك بالزواج من رجل لا يملك سوى مائتي دولار ؟ " .

" هذا أقصى ما تحلم به يائسة في متجر في ظني . ولكنني كنت أحلم دائماً أن أكون سيدة منزل ولكنك سوف تطلب مني في هذه الحالة مهراً " ثم أضافت وهي تعبت في حقيباتها " حسن . معي أت أيضاً مائتين وأربعين دولار وبطاقة ائتمان . أنت مدين لي بمئة وخمسين دولاراً يا ريتشارد كين يمكنك أن تسدد لدين مقبل فائدة دولار واحد سنوياً " .

في ثلاثين دقيقة كانت فلورنتينا قد حزمست حقائبها ثم جلست على مكتبها وكتبت خطاباً سريعاً وتركته فوق المنضدة المجاورة لقرائنها

استدعى ريتشارد سيرة أجرة . وقد شعرت فلورنتينا بسعادة غامرة عندما لاحظت تماسك ريتشارد وقدرته على حسن التصرف في أوقات الأزمة معاً أشعرها بمزيد من الاسترخاء . قال ريتشارد بعد أن وضع حقائب فلورنتينا الثلاثة في حقيبة السيارة : " إلى إيدل وايلد " .

وفي المطار حجز تذكرتين إلى سان فرانسيسكو . لقد اختاراً المدينة ذات الباب الذهبي فقط لأنها بدأت الأبعد فوق خريطة الولايات المتحدة .

وفى السابعة والنصف أقلعت الطائرة الأمريكية سويفر كونستليشين
١٠٤٩ من أرض المطار لتقطع رحلة استمرت سبع ساعات . ساعد
ريتشارد فلورنتينا فى ربط حزامها . فابتسمت له :
" هل تعلم كم أحبك يا سيد كين ؟ "
" نعم ، أظن ذلك يا سيدة كين . "

الفصل الخامس والثلاثون



وصل هابيل وجورج إلى شقة فلورنتينا بعد دقائق من مغادرة
ريتشارد وفلورنتينا إلى المطار . كان هابيل قد شعر بالفعل بالندم على
الصفعة التى وجهها لابنته . لم يكن حتى يتصور حياته بدون ابنته
الوحيدة . كان كل ما يهمه فقط هو أن يصل إليها قبل أن يفوت
الأوان ، ربما يكون قد بقى أن يثنىها عن الزواج من فتى كين
بالإقناع الهادئ . كان على استعداد لأن يقدم لها أى شىء مقابل
التنازل عن هذه الزيجة .

دق جورج جرس الباب ووقف هو وهابيل خارج الباب . لم
يُجب أحد . ضغط جورج الجرس ثانية وانتظرا لبعض الوقت . ثم
أخرج هابيل المصحح الاحتياطى الذى كان يحمله لشقة ابنته لكى
يستخدمه فى حالة الطوارئ . بحثا فى كل الغرف دون أن يتوقع
أى منهما العثور عليها .

قال جورج وهو ينضم إلى هابيل فى غرفة النوم : " لابد أنها قد
رحلت بالفعل " .

قال هابيل : " نعم ولكن إلى أين ؟ " ثم وقع نظره على الخطاب الموجه إليه فوق المنضدة . تذكر آخر مرة رأى فيها خطابا موجها إليه يجوار الفراش الذى لم ينم عليه أحد . فتحه على الفور .

أبى العزيز

سامحنى لأننى هربت ولكننى أحب ريتشارد ولن أتخلى عنه بسبب كراهيتك لوالده . سوف نتزوج على الفور ولن يحول أى شيء سوف تفعله دون ذلك . إن حاولت يوما النيل منه بأية صورة فهذا يعنى أنك تنال منى أنا أيضاً . ليس لدى أى مناهة العودة إلى نيويورك ثانية إلى أن تسوى الصراع بيننا وبين عائلة كين .

أحبك أكثر مما تتصور وسوف أبقى دائما معتنة لكل شيء فعلته من أجلى . أدعو الله ألا تكون هذه هى نهاية علاقتنا ولكن إلى أن تغير رأيك " لا تطارد السراب " لأنك لن تجده أبدا "

ابنتك المحبة

فلورنتينا

أعطى هابيل الخطاب لجورج ثم سقط فوق السرير . قرأ جورج الخطاب وسأله فى يأس : " هل هناك أى شيء يمكن أن أقوم به ؟ " .

" نعم يا جورج . أريد أن أعيد ابنتى حتى إن كان هذا يعنى أن تعامل مباشرة مع كين . هناك شيء واحد فقط أنا واثق منه وهو أنه

يريد أن يتصدى هو الآخر لهذا الزواج بأى ثمن . اتصل به فى الحال "

استغرق جورج بعض الوقت إلى أن عثر على رقم ويليام كين الذى لم يكن مسجلا فى الدليل . وافق حارس أمن البنك أخيرا على إعطاء الرقم لجورج عندما أصر الأخير على أن هناك ثمة مسألة عائلية عاجلة . جلس هابيل على السرير فى صمت حاملا خطاب فلورنتينا بين يديه ؛ وتذكر عندما كانت صغيرة وأخذ يعلمها هذه الحكمة البولندية القديمة التى كتبتها له فى الخطاب . عندما تجح جورج فى الاتصال بممزل كين ؛ جاءه صوت رجل على الهاتف . سأل جورج : " هل يمكن أن أتحدث مع السيد ويليام كين ؟ " .

سأله صوت رابط الجأش : " من المتحدث ؟ " .

قال جورج : " السيد هابيل روزنوفسكى " .

" سوف أرى إن كان موجودا "

قال جورج وهو يمرر سماعة الهاتف إلى هابيل : " أعتقد أنه أحد الخدم . لقد ذهب لبحث عنه " .بقى هابيل منتظرا وهو ينقر بأصابعه فوق المنضدة المجاورة للسرير .

" ويليام كين يتحدث "

" أنا هابيل روزنوفسكى " .

" هل هذا صحيح ؟ " كان صوت ويليام باردا . " ومتى تحديدنا فكرت فى أن تلاحق ابنتك ابنى ؟ لابد أنه فى الوقت الذى فشلت فيه فشلا ذريعا فى التسبب فى انهيار بنكى ؟ "

" لا تكن فظا هكذا " ثم ضغط هابيل على أعصابه وقال : " إن حرصى على منع هذا الزواج بأى ثمن لا يقل عن حرصك . إننى لم

أحاول قط أن أسلبك ابنك بل إنني لم أعلم بوجوده إلا اليوم . إنني أحب ابنتي حتى أكثر من كراهيتي لك وأنا لا أريد أن أفقده . إلا يمكن أن نتقابل لكي نقتارب الأمر سوياً ؟ ” .

قال ويليام . “ كلا . لقد صبت منك نفس هذا الطلب ذات مرة في الماضي يا سيد روزنوفسكي وقد أوضحت لي تماماً متى وأين سوف نصلني . يمكنني أن أنظر حتى هذا الوقت . لأنني واثق من أنك سوف تجد نفسك هناك وليس أنا ” .

“ ما جسدوى إشارة الماضي الآن يا كين ؟ إن كنت تعرفك مكانهما . ربما يكون قد بقي بوسنا أن نمنعهما . هذا هو ما نرسله أنت أيضاً . أم أنك سوف تكون فخوراً عندما تقف مكتوف اليدين وتشاهد ابنك وهو يتزوج ابنتي بدلاً من أن تساعدني ... ”

سمع سماعة الهاتف وهي تغلق وهو يتفوه بكلمة تساعدني . دفع هبيل رأسه بيديه وأخذ ييكى . فصاحبه جورج وعاد به إلى فندق البارون .

على مدى هذه الليلة واليوم التالي ، حاول هابيل بشتى السبل التي تراءت له أن يعثر على فلورنتينا . حتى أنه اتصل بوالدتها التي اعترفت له بأن ابنتها قد حكمت لها كل شيء ، بخصوص ريتشارد .

قالت في نبرة شماعة : “ لقد بدا لي شاباً لطيفاً ”

سألها هابيل بعد أن نفذ صبره : “ هل تعرفين أين هما الآن ؟ ” .

“ نعم ”

“ أين ؟ ” .

“ اعرف بنفسك ” ثم وضعت سماعة الهاتف هي الأخرى .

نشر هابيل الإعلانات في كل الصحف وحتى بعض الإعلانات في المذيع وحاول أن يجعل الشرطة تتدخل ولكنها اكتفت بإعلان نداء عام لأن ابنته كانت قد تخلفت الواحد وعشرين عاماً . لم يصله أى خبر عن ابنته . وأخيراً كان عليه أن يقر ويعترف لنفسه بأنها بلا شك سوف تكون قد تزوجت بالفعل من ابن كين بحلول وقت عثوره عليها .

أخذ يعيد قراءة خطابها مراراً وتكراراً وقرر ألا يسعى أبداً لإنقاذ الأذى به بأي شكل من الأشكال . أما والده فهذا شأن آخر . لقد جثا هابيل روزنوفسكي على ركبتيه راجياً هذا اللعين أن ينفست إليه ، مما جعله يقسم أنه عندما تحين الفرصة ، سوف يقضى على ويليام كين للأبد . بدأ جورج يشعر بالخوف من حدة المشاعر والضغائن التي كان يحملها صديقه القديم لكين .

سأل “ هل ألقى رحلة فلورنتينا ؟ ” .

كان هابيل قد نسي تماماً أنه كان قد عزم على اصطحاب فلورنتينا في رحلة إلى أوروبا بعد أن تستكمل فترة تدريبها التي امتدت لعامين في محلات بلومينجديل في نهاية الشهر . كانت ستفتتح فرع برون إيدنبرج وبارون كان .

قال هابيل ، بالرغم من أنه كان قد أصبح لا يعبأ من فتح ماذا أو إن كانت الفئادق مفتوحة أساساً أم لا : “ لا يمكن أن ألقى الرحلة . يجب أن أسافر وأفتتح الفئادق بنفسى . ولكن أثناء فترة غيابى يا جورج ، واصل محاولتك في الكشف عن مكان فلورنتينا ولا تدعها تعرف . يجب ألا تشعر أنني أحاول أن نحسن عيبي . إنها لن تسامحنى على هذا أبداً إن اكتشفت الأمر وعليك بمراقبة زافياً فربما تكون ورقتك الرابعة معها . ولكن احرص لأننى واثق

من أنها ستحاول استغلال ما حدث . من الواضح أنها قد أخبرت فلورنتينا وقصت عليها كل ما كانت تعرفه عن أمر كين .

" هل تريد أن يتدخل أوسبورن في هذه المسألة ؟ "

" كلا ، ليس الآن ، لم يحن بعد الوقت المناسب للتخلص من كين . عندما أنقض عليه يجب أن أكون واقفاً أننى سوف أقضى عليه للأبد . دع كين لحاله في الوقت الحالي ، يمكننى أن أعود لكى أنال منه في وقت لاحق . أما الآن فأنا أريد أن أركز على فلورنتينا " .

وعد جورج هابيل بأنه سوف يكون قد عثر عليها مع حلول موعد عودته من رحلته .

. . .

افتتح هابيل بارون إيدنبرج بعد ثلاثة أسابيع بدا الفندق غاية في الروعة وهو يقف فوق المرتفع المصل على أثينا من جبهة الشمال . كانت هناك بعض الأشياء الصغيرة التي تثير ضيق هابيل دائماً عند افتتاح أى فرع جديد من فروع الفندق والسبب كان سعى لتفقدتها ومراجعتها فور وصوله . مثل حدوث صدمة كهربائية بسيطة بسبب السجاجيد المصنوعة من النايلون فور الضغط على زر الإضاءة أو تأخر خدمة الغرف على مدى أربعين دقيقة لتلبية الطلبات أو فراش يكون صغير الحجم بالنسبة لأى شخص بدين أو طويل القامة .

وقد بادرت الصحافة بالتنبؤ به بأن فلورنتينا روزنوفسكى - ابنة بارون شيكاغو - هي التي كان من المفترض أن تفتتح الفروع الجديدة . وأشار أحد أعمدة النخبة في الصنادى إكسبريس إلى أنه يبدو أن هناك خلافاً عائلياً وذكرت أن هابيل لم يكن متحمساً

كعاداته وكان محنياً بعض الشيء . استذكر هابيل ما جاء في المقال وأشار إلى أنه قد تخطى الخمسين فقط من عمره أى أنه ليس السن الذى يمكن أن يشرع فيه فى الانحباء - كان موظف العلاقات العامة لديه قد أخبره بأن يقول ذلك . ولكن هذا الرد لم يقنع الصحافة وفى اليوم التالى نشرت الديلى ميلى صورة للوحة كان قد تم التخلص منها فى إحدى سلات المهملات ؛ محفور عليها :

بارون إيدنبرج

افتتحته

فلورنتينا روزنوفسكى

١٧ أكتوبر ، عام ١٩٥٨

طار هابيل إلى كان . حيث كان يقف هناك أحد الفروع الأخرى الرائعة للفندق ولكنه كان في هذه المرة يطل على البحر المتوسط ولكن هذا لم يصرفه عن التفكير فى ابنته . كان قد تم التخلص من لوحة افتتاح أخرى مكتوبة بالفرنسية فى هذه المرة . كان الافتتاح فى غياب فلورنتينا قد فقد كل رونقه .

بدأ هابيل يشعر بالخوف من أنه قد يقضى باقى عمره بدون أن يرى ابنته ثانية . لكى يقتل وحدته ، عمد إلى التجول فى أنحاء البلاد ، ولكن كل هذا لم يساعد فى إخراجه من الشعور بالوحدة . إن ابن ويليام كين الآن يملك الشخص الوحيد اسذى كان هابيل يحبه بحق

لم تعد فرنسا تثير فى نفسه الشعور بالإثارة والتشويق . وما إن أنهى عمله هناك ، طار إلى يون لكى يستكمل مفاوضاته حول الموقع الذى سوف يشتريه لبناء أول فرع للفندق هناك فى ألدن - بقى على

اتصال دائم مع جورج هاتفيا الذى لم ينجح فى العثور على فلورنتينا فضلا عن وجود بعض المعلومات المزعجة للغاية التى وردت إليه بشأن هنرى أوسبورن .

قال جورج : " لقد أوقع نفسه فى ديون ثقيلة ثانية "

قال هابيل : " لقد حذرته فى المرة السابقة بأننى سوف أتخلص منه . لقد أصبح بدون جدوى بالنسبة لأى شخص منذ أن فقد مقعده فى الكونجرس . أعتقد أننى يجب أن أتعامل مع المشكلة شخصيا فور عودتي "

قال جورج : " لقد بدأ يهدد "

قال هابيل : " ليس هناك جديد فى كل هذا . إننى لم أذع هذه التهديدات تقال منى فى الماضى . أخبره بأنه إما كانت مصليبه فيجب أن ينتظر إلى أن أعود "

قال جورج : " وما هو الموعد المتوقع لعودتك ؟ "

" ثلاثة أسابيع . أربعة على الأكثر . أريد أن أبحث عن بعض مواقع فى تركيا ومصر . لقد بدأ هينونز بالفعل بنشئ فروعا له فى هذه المناطق وسوف تبين السبب . وهو ما يذكرنى بـ جورج بالخبراء الذين أكدوا لى أنك سوف تعجز تماما عن العثور على بما أن تتأقضى الشرق الأوسط . إن العرب لم يعرفوا بعد كيف يعثرون على بعضهم البعض ناهيك عن الزوار من الدول القريبة . لذا سوف أدعك تدبر كل شيء كالعادة إلى أن أتصل أنا بك "

قضى هابيل أكثر من ثلاثة أسابيع يحثا عن مواقع لبناء فنادق جديدة فى الدول العربية . كان مستشاروه من الوجهاء وكان كل منهم يدعى بأن له صلة وثيقة بالوزير المسئول وبأن هناك قرابة بعيدة تربط به . ولكنه مع ذلك كان يتبين دائما أن الوزير المذكور لم يكن هو الوزير المناسب أو أن رابطة القرابة كانت بعيدة جدا .

كان القرار الأكيد الوحيد الذى توصل إليه هابيل بعد ثلاثة وعشرين يوما قضاها فى الصحراء والرمال والحر أنه إذا كان توقع المستثمرين فى محله وبأن هذه الأراضي سوف تتفجر بالبترول فسوف تكون منطقة الخليج بحاجة للكثير من الفنادق على المدى البعيد وهذا يعنى أن البارون يجب أن يشرع فى التخطيط بعناية لهذا الأمر

نجح هابيل فى العثور على عدة مواقع لبناء فنادق من خلال معارفه من الوجهاء ولكنه عجز عن تبين أيام بملك بالفعل سلطة جمعية إقطاع سنولين على الأقل فى أمريكا كان هنرى أوسبورن يعرف دانت سنول صحيح لدى يجب أن يمنح الرشوة أنشأ هابيل مكتب صغير فى البحرين وترك لدى الممثلين المحليين انطباعا راسحا بأن مجموعة البارون بصدد البحث لفعلى عن مواقع لبناء فنادق فى كل أنحاء العالم العربى .

طار هابيل إلى إسطنبول حيث عثر بسرعة على الموقع المثالى لبناء الفندق اسطل على البوسفور . على بعد مئات الهارات فقط من السفارة الإنجليزية القديمة . وقد استغرق فى تأملاته طويلا وهو ينف فوق الأرض العارية التى امتلكها هناك متذكرا المرة الأخيرة التى كان فيها هذا فى نفس مكان . احكم قبضة يده وأمسك بمعصم يده اليمنى . سمع ثانية صياح الغواص . مازال هذا يثير شعوره بالفزع والغثيان بالرغم من مرور ثلاثين عاما على الحدث .

بعد أن تملك هابيل الشعور بالإنهاك من رحلاته الطويلة طار إلى بيته فى نيويورك . لم يكن قد شغل باله وفكره طوال رحلته الطويلة سوى ابنته فلورنتينا . وكعادته دائما . كان جورج واقفا فى انتظار وصول هابيل خارج سور الجعرك لاستقباله . لم يكن التعبير على وجهه يجعل أى جديد .

سأل هابيل وهو يجلس فى المقعد الخلفى للسيارة الكاديلاك بينما كان السائق يضع حقائبه فى حقيبة السيارة : " هل هناك أية أنباء ؟ "

قال جورج وهو يضغط زر النافذة الجانبية : " هناك بعض الأخبار السيئة وبعض الأخبار السارة " . فارتفعت نافذة زجاجية تفصل بين الجزء المخصص للسائق والجزء المخصص للركاب فى الخلف داخل السيارة . وأضاف : " لقد اتصلت فلورنتينا بوالدتها . إنها تعيش فى شقة صغيرة فى سان فرانسيسكو "

سأل هابيل : " هل تزوجت ؟ "

قال جورج : " نعم " .

لم ينطق أى منهما بكلمة واحدة للحظات .

سأل هابيل : " وابن كين ؟ "

" لقد عثر على عمل فى أحد البنوك . يبدو أن الكثير من الأبواب قد أغلقت فى وجهه لأنه لم يكمل دراسته فى كلية الاعمال فى هارفارد فضلا عن أن والده لم يتدخل فى الأمر . ليس هناك الكثير من الأشخاص الذين على استعداد لتعيينه إن كان هذا الأمر يمكن أن يثير ضيق أبيه وأخيراً عثر على وظيفة أمين صندوق فى بنك أمريكا . إنها وظيفة تقل كثير عن الوظيفة التى تتناسب مع مؤهلاته " .

" وفلورنتينا ؟ "

" إنها تعمل مساعدة مدير فى محل للأزياء يدعى "واى أوت كولومبوس" بالقرب من منتزه جولدن جيت . لقد سعت هى الأخرى للحصول على قرض من عدة بنوك "

سأل هابيل فى قلق : " لماذا ؟ هل تواجه أية صعوبات ؟ "

" كلا ولكنها تبحث عن رأسمال لكى تفتح محلها الخاص "

" وما هو المبلغ الذى تريده ؟ "

" هى بحاجة إلى أربعة وثلاثين ألف دولار لكى تستأجر مبنى صغير فى توب هيل "

جلس هابيل يكر فيما قاله جورج . وهو يدق بأصابعه الصغيرة على نافذة السيارة . " دعها تحصل على المال يا جورج . دع الأمر يبدو وكأنه دين حقيقى من أحد البنوك وحرص على ألا تكتشف تورطى فى الأمر "

ثم واصل نقره بأصابعه : " يجب أن يبقى هذا الأمر فى طى الكتمان يا جورج "

" أمرك يا هابيل "

" واخبرنى بكل مجريات الأمور وكل التفاصيل مهما كانت ثانوية " .

" وماذا عن ريتشارد ؟ "

قال هابيل : " لا يعنينى أمره . والآن ما هى الأنباء السيئة ؟ "

" إنها مشاكل هنرى أوسبورن ثانية . يبدو أنه مكسب بالديون لكل لئس أن واثق الآن من أن كل مصدره للمال أصبح يقتصر عليك أنت وحدك . إنه مازال يلوح بالتهديد بشأن كشف أمر الرثوى التى قدمتها من قبل أثناء عملك . إنه يقول إنه قد احتفظ بكل الأوراق التى تؤكد ما يقوله وهو يدعى أنك قد حصلت على مبلغ إضافى عن طريق الرشوة عند اندلاع حريق فندق ريكوموند لتقديم فى شيكاغو . هو يقول بأنه يملك ملفا يصل سعه إلى ثلاث بوصات "

قال هابيل : " سوف أسوى أمر أوسبورن هذا الصباح "

قضى جورج باقى الطريق إلى مينتين وهو يقص على هابيل كل الأخبار الخاصة بالعمل فى الفندق . كان كل شيء مرضيا باستثناء أنه قد تم لاستيلاء على فندق البرون فى لا جوس بعد وقوع انقلاب هناك . ولكن هذا لم يقلق هابيل أبدا .

• • •

و فى صباح اليوم التالى قابل هابيل هنرى أوسبورن . بدا أوسبورن مسنا ومنهكا وبدا وجهه . الذى كان يوما ما وسيما ، مليئا بالتجاعيد . لم يشر هنرى إلى الملف السميك . قال هنرى : " أنا بحاجة لبعض المال لكى أتدبر بعض الأمور ، لم يحالفنى الحظ فى الآونة الأخيرة "

" ثانية يا هنرى ؟ فى سنك هذه كان يجب أن تكون قد تعلمت من دروس الدصى أنت لا تعرف إلا الهرجعة مع سافات الخيول والنساء . تريد هذه المرة ؟ "

قال هنرى : " ماذا عشرة آلاف دولار تكفينى . "

قال هابيل وهو يعيد الكلمات على مسامعه : " عشرة آلاف ؟ من تظننى ، منجم ذهب ؟ لقد كان المبلغ المطلوب خمسة آلاف فقط فى المرة السابقة "

قال هنرى محاولا أن يبدو مازحا : " إنه التضخم . "

قال هابيل وهو يخرج دفتر شيكاته : " هذه هى آخر مرة ، هل تفهمنى ؟ إن طلبت أية نقود بعد اليوم سوف أطردك من مجلس الإدارة وأسليك كل ما تملك . "

" أنت صديق حقيقى يا هابيل . أقسم لك أننى لن أعود لطلب المال ثانية . أقسم لك على ذلك . لن أعود أبدا " ثم استل سيجاراً

من فوق مكتب هابيل وأشعله : " شكرا لك يا هابيل ، لن تندم على ذلك أبدا " .

غادر أوسبورن وهو ينفث دخان السيجار فى الوقت الذى دخل فيه جورج المكتب . بقى جورج منتظرا إلى أن أغلق الباب " ما الذى فعلته مع هنرى ؟ " .

قال هابيل : " لقد استسلمت له ولكن للمرة الأخيرة ، ولكن لا أعرف لماذا ، لقد كلفنى عشرة آلاف — "

قال جورج : " أعتقد أنك قد أخطأت ، لأنه سوف يعتقد أن تهديداته قد أخافتك وسوف يعود لطلب المال كلما احتاج إليه " قال هابيل : " يجدر به ألا يفعل لأننى لم أعد أطيق صبرا عليه ، مهما يكن ما فعله لى فى الماضى لقد انتهى الأمر الآن . هل هناك جديد بشأن ابنتى " .

" فلورنتينا على ما يرام ، ولكن يبدو أنك كنت محقا بشأن زافيا ، إنها تزورها بانتظام لكى تطمئن عليها " قال هابيل : " تلك المرأة اللعينة "

أضاف جورج : " السيدة كين أيضا ذهبت إليهما مرتين " " وماذا عن كين ؟ " .

" ليست هناك أية إشارة على أنه استسلم للأمر " .

قال هابيل : " على الأقل هناك شيء مشترك بيننا " .

" لقد اتخذت كل الإجراءات الخاصة بقرض فلورنتينا من بنك كروكر ناشيونال فى سان فرانسيسكو . لقد تقدمت بطلب إلى قسم القروض هناك منذ أقل من أسبوع . سوف يبدو الاتفاق لها على أنه أحد القروض العادية التى يمنحها البنك بدون أية تسهيلات خاصة . بل إن البنك سوف يضيف عليها نصفاً بالمائة إضافية حتى

لا يثير شكوكها . ولكن ما لا تعرفه هو أن الدين مغطى بضمانك أنت .

قال هابيل : " شكرا لك يا جورج ، هذا رائع . أراهنك مقابل عشرة دولارات أنها سوف تسد الدين في غضون عامين ولن تكون بحاجة لقرض آخر " .

" لن أجازف على رهان كهذا ، لم لا تراهن هنرى ، لأنه خاسر " .

ضحك هابيل : " أعلمنى بكل مجريات الأمور تفصيلا . كل مجريات الأمور " .

الفصل السادس والثلاثون



شعر ويليام أنه قد حصل على تقرير واف بكل شيء عندما راجع التقرير ربع السنوى لثادىوس كوهين . ولكن كان هناك شيء واحد فقط يشغل باله . لم يتخذ هابيل روزنوفسكى أى إجراء بخصوص الأسهم التى اقتناها فى بنك ليستر ، لم يبيع ويليام إلا أن يتذكر أن روزنوفسكى مازال يملك ستة بالمائة من البنك ويأنه بامتلاك اثنين بالمائة إضافية يمكن أن يُفعل المسألة رقم سبعة من قوانين ليستر . كان يصعب عليه أن يصدق أن هابيل مازال يخشى لجنة التحقق من سلامة المعاملات بالبورصة ، وخاصة أن إدارة آيزنهاور كانت قد استقرت فى فترتها الثانية ولم تبد أى اهتمام بالتحقيق الذى تم فى هذا الصدد .

وقد شعر ويليام بسعادة غامرة عندما قرأ فى الصحف أن هنرى أوسبورن قد وقع ثانية فى مشاكل مالية وأن روزنوفسكى مازال محتفظا به . أخذ ويليام يسأل نفسه إلى متى سوف يدوم الوضع

على هذا الحال وما الذى يحمله هنرى أوسبورن ضد روزنوفسكى . هل يمكن أن يكون هابيل روزنوفسكى يعانى بما يكفى من مشاكله الخاصة بحيث لم يعد يجد الوقت الكافى أو لم يعد يشغل باله بالقضاء على ويليام كين ؟ أشارت تقارير كوهين إلى ازدهار الفروع الثمانية الجديدة التى بناها روزنوفسكى فى مناطق مختلفة من العالم . بالرغم من أن بارون لندن كان قد حقق خسائر وبارون لاجوس كان قد أصبح خارج حيازة هابيل إلا أن الفنان واصلت ازدهارها واكتسابها لمزيد من القوة . أعاد ويليام قراءة جريدة صنداى كسبريس التى تشير إلى أن فورنسب روزنوفسكى لم تفتح بارون إيدنبورج وأخذ يفكر فى ابنه . ثم أغلق التقرير واحتفظ بالملف فى خزانته بعد أن اقتنع بأنه لا يحمل ما يمكن أن يثير قلقه .

ندم وينيام على الطريقة التى تعامل بها مع ريتشارد والثورة التى فاجأه بها . بالرغم من أنه لم يكن يريد ابنة روزنوفسكى فى حياته فقد تمنى لو لم يكن قد أدار ظهره كلية على هذا النحو لابنه الوحيد . كانت كات قد دافعت عن ريتشارد دفاعاً مستميتاً وكان لها حديث طويل مرير مع ويليام فى هذا الصدد . وهو ما لم يحدث إلا نادراً فى حياتهما الزوجية . ولكنهما نجحا فى النهاية فى حسم الخلاف . كانت كات تسعى بشتى الطرق والحيل من محاولات الإقناع الهادئة وحتى ذرف الدموع ولكن يبدو أن أياً من هذه الوسائل لن ينجح فى إقناع ويليام . كانت فيرجينيا ولوسى أيضاً قد افتمدتا أخاهما . قالت فيرجينيا : " لن ينتقد أحد رسوماتى بعد اليوم " ، قالت كات : " أليس تعليقاً قاسياً ؟ " . حاولت فيرجينيا أن تبتسم .

بدأت لوسى تحبس نفسها فى الحمام وتدير الماء وتكتب رسائل سرية إلى ريتشارد الذى لم يتبين يوماً سبب ارتفاع نسبة الرطوبة فى

رسائلها . لم يجزأ أحد على ذكر اسم ريتشارد فى البيت أمام ويليام مما أشاع روح الحزن بين أفراد الأسرة .

حاول ويليام أن يقضى المزيد من الوقت فى البنك حتى أنه كان يعمل لساعات متأخرة من الليل على أمل أن يساعد هذا على تخطي الأزمة . ولكن جهوده لم تنجح . كان البنك يفرض عليه ثانية أن يبذل كامل طاقته فى الوقت الذى شعر فيه أنه فى أمس الحاجة إلى الراحة . كان ويليام قد عين ستة نواب للرئاسة على مدى العامين السابقين لعلهم يحملون عن عاتقه بعض الجهد الذى كان يبذله . ولكن العكس هو الذى حدث . لقد خلقوا المزيد من العمل والجهد والمزيد من القرارات التى كان يجب عليه أن يبت فيها وكان أكثرهم ذكاء هو جيك توماس والذى بدا الأقرب لأن يحس محل ويليام كرئيس للبنك ما لم يكن ريتشارد قد استسلم لفتاة روزنوفسكى . بالرغم من أن أرباح است واصلت ارتفاعها عما بعد عام . وجد ويليام أنه لم يعد مهتماً بكسب المال . ربما أصبح يواجه الآن المشكلة التى واجهها تشارلز ليستر ذات يوم . لم يعد لديه ولد لكى يخلّف له كل هذه الثروة ورئاسة البنك . كان ويليام قد استأصل ريتشارد من حياته وأعاد كتابة وصيته وتقسيم الثروة التى كان يجب أن تزول إلى ريتشارد .

فى العام الذى احتفل فيه ويليام بعيد زواجه الفضى : قرر أن يصحب كات والبنات فى عطلة طويلة فى أوروبا على أمل أن تساعدنهم فى تناسى ريتشارد . سافر الجميع إلى لندن للمرة الأولى داخل طائرة نفثة من طراز بوينج ٧٠٧ وأقاموا فى فندق ريتز . أعاد الفندق إلى ويليام الكثير من التكريات السعيدة عن رحلته الأولى مع كات إلى أوروبا . قاما برحلة شاعرية إلى أوكسفورد وصحبا فيرجينيا

ولوسي إلى يونيفرستى سيتى ثم سافروا إلى سترادفورد أون إيغون لمشاهدة إحدى مسرحيات شكسبير وكانت مسرحية ريتشارد الثالث لأوليفيه . تمنى الجميع لو كان الملك يحمل اسما مختلفا .

فى رحلة العودة من سترادفورد ، توقف الجميع عند دار عبادة فى هنلى مطلة على التايمز وهى دار العبادة التى كان قد تزوج فيها ويليام وكات . كانوا يريدون أن يقيموا فى فندق بهل ولكن لم تكن هناك سوى غرفة واحدة شاغرة . ثم نشب جدل داخل السيارة فى طريق العودة بين كات وويليام عما إن كان اسم الرجل الذى عقد قرانهما ، توكسبوري أم دوكسبوري ، لم يتوصلا إلى نتيجة حاسمة قبل بلوغ فندق ريتز . ولكنهما اتفقا على شيء واحد فقط وهو أن السطح الجديد للدار كان يستحق الثمن الذى دفع فيه .

قال ويليام : " أفضل خمسمائة دولار استثمرتها فى حياتي طار الجميع إلى إيطاليا بعد أسبوع ، بعد أن شاهدوا كسر المزارات التى يجب أن يزورها كل أمريكي مخلص وغيره من العديد من المزارات الأخرى فى إنجلترا . فى روما ، استقرت الفتان فى تناول الشراب الإيطالي الرديء مما أصابهما بالمرض فى ليلة عيد ميلاد فيرجينيا . بينما أسرف ويليام فى تناول المعجنات الشهية وأضاف إلى وزنه سبعة أرطال . كان الجميع يمكن أن يكون أكثر سعادة إن كان قد تخلص من التفكير فى ريتشارد . بكت فيرجينيا فى تلك الليلة وحاولت كات أن تهدئ من روعها . ظلت فيرجينيا تقول : " لم لا يخبر أحد أبى بأن هناك أشياء أهم من الكبرياء ؟ " . لم تجد كات إجابة لسؤال ابنتها .

عندما عادوا إلى نيويورك ، شعر ويليام بأنه قد جدد نشاطه وأصبح ثانية متحمسا للعودة إلى عمله فى البنك . وفقد الأبطال السبعة فى سبعة أيام

وبمرور الشهور ، شعر أن الأشياء بدأت تعود إلى الروتين المضجر ثانية . ولكن هذا الروتين قد حُرق عندما أعلنت فيرجينيا من سويت براير أنها سوف تتزوج طالبا من كلية القانون من جامعة فيرجينيا . نزل النيا على ويليام نزول الصاعقة ، حيث قال :
" ولكننا ما زلنا صغيرة "

قالت كات : " إنها فى الثانية والعشرين . إنها لم تعد طفلة يا ويليام . ما رأيك فى أن تصبح جدا ؟ "

قال ويليام فى ذعر : " ما الذى تقصدين ؟ إن فيرجينيا ليست حاملا . اليس كذلك ؟ " .

قالت كات : " يا إلهي ، كلا " ثم بدأت تتحدث بصوت أكثر نعومة ورقة كما لو كان قد كشف أمرها " لقد رزق ريتشارد وفلوريتسا بولند "
" وكيف عرفت ؟ "

أجابته كات : " لقد بعث ريتشارد خطايا لكى يخبرنى بالنيابا . ألم يحن الوقت لكى تسامحه يا ويليام ؟ " .
قال ويليام وهو يسير خارج الغرفة فى غضب : " أبدا " .
تنهدت كات فى إعيا . إنه حتى لم يسأل إن كان حفيده كين ذكرا أم أنثى .

أقيم حفل زفاف فيرجينيا فى بوسطن عصر يوم جميل من أواخر أيام شهر مارس فى العام التالى . كان ويليام قد أيد بعد تفكير طويل زواج ابنته من ديفيد تيلفورد هذا المحامى الشاب ، الذى اختارته فيرجينيا لكى تقضى معه باقى حياتها .

كانت فيرجينا تريد أن يكون أخوها ريتشارد موجوداً في حفل الزفاف وتوسلت كات إلى ويليام لكي يوافق على دعوته لحضور الزفاف ولكنه رفض رفضاً قاطعاً . بالرغم من أن هذا اليوم كان يجب أن يكون أجمل وأسهل يوم في حياة فيرجينيا ؛ فقد كانت على استعداد لأن تبذل كل الهدايا التي قدمت لها لكي ترى أباهما وريتشارد يقفان بجانب بعضهما البعض في الصور التي التقطت في الحفل . كان ويليام يريد أن يوافق على طلبها ولكنه كان يعرف تماماً أن ريتشارد كان سيرفض الحضور بدون ابنة روزنوفسكى . ومع ذلك فقد شعر ويليام بالفخر عندما علم أن ريتشارد قد رقى لوظيفة نائب مدير في البنك الذي كان يعمل فيه . وفي يوم الزفاف أرسل ريتشارد هدية وبرقية إلى أخته . وضع ويليام الهدية في حقيبة سيارة فيرجينيا ولم يسمح بقراءة البرقية .

الفصل السابع والثلاثون



كان هابيل يجلس وحيداً في مكتبه في فندق بارون نيويورك ؛ في انتظار مقابلة معول الحملة الانتخابية لكي يندى . كان الرجل قد تأخر عشرين دقيقة بالفعل . كان هابيل يطرق مكتبه بأصابعه في عصبية عندما دخلت عليه سكرتيرته .

" السيد فينمنت هوجين يريد أن يقابلك يا سيدى " .

نهض هابيل من فوق مقعده وقال وهو يربت على ظهر الشاب الوسيم : " تفضل يا سيد هوجين " .

" كيف حالك ؟ " .

قال الرجل في لكنة أهالي بوسطن التي لا تخطئها الأذن :

" على ما يرام يا سيد روزنوفسكى . آسف على تأخرى بمصر الشئ " .

قال هابيل : " لم ألاحظ هذا التأخر ، هل تريد تناول شراب يا سيد هوجين " .

" كلا ؛ شكرا لك يا سيد روزنوفسكى فانا أحاول ألا أشرب عندما يكون لدى عدة لقاءات في يوم واحد "

قال هابيل : " أنت محق تماما . أرجو ألا تمنع أن أتناول أنا شرابا . ليست لدى خطط لمقابلة الكثير من الأشخاص اليوم "

ضحك هوجين ضحكة رجل مؤهب لسماع العديد من مثل هذه النكات على مدى يومه .

" الآن ما الذى يمكن أن أقدمه لك يا سيد هوجين ؟ "

" حسنا يا سيد روزنوفسكى - كنا نأمل أن تتحمل ثانية تكلفة الحفل المزمع إقامته "

" لقد كنت دائما ديمقراطى التوجه كما تعرف يا سيد هوجين .

لقد ساندت حملة فرانكلين دى روزفلت وهارى ترومان وأدلاى ستيفنسون ؛ بالرغم من أننى لم أكن أفهم نصف الكلام الذى كان يقوله أدلاى "

ضحك الرجلان ضحكا مصطنعا

" كما أننى ساعدت أيضا صديقى القديم ديك ديلى فى شيكاغو وساندت إيد موسكى الصغير - ابن المهاجر البولندى كما تعرف - فى حملته لكى يكون حاكما لولاية ماين عام أربعة وخمسين "

قال هوجين بنبهة تتم عن أن وقت سرد الأحداث قد انتهى :

" لقد كنت مساندا مخلصا للحزب فى الماضى ؛ لا أحد يمكن أن ينكر ذلك يا سيد روزنوفسكى ، كما أننا نعرف أن الديمقراطيين - ليس أقلهم عضو الكونجرس السابق هنرى أوسبورن - قد أسدوا لك صنيعا فى المقابل . أعتقد أنه من غير الضرورى أن أشير إلى تفاصيل تلك الحادثة المؤسفة لشركة إنتر ستيت "

قال هابيل : " كان هذا منذ زمن طويل . إنه أمر ولى "

قال السيد هوجين : " أوافقك . وبالرغم من أن معظم أصحاب الملايين العصاميين لا يحبون تدقيق النظر فى شئونهم ؛ فإنك أول من سوف يقدر أننا يجب أن نتوخى الحذر جيدا . إن المرشح - كما سوف تدرك - لا يمكن أن يقبل أى مجازفة شخصية مع اقتراب الانتخابات . ويتكسون يحب أن تقع كارثة فى مثل هذا الوقت من الصراع "

" نحن نفهم بعضنا البعض بوضوح يا سيد هوجين . دعنا من هذا الآن ؛ كم تتوقع أن أدفع لمساندة حملتك الانتخابية ؟ "

" أنا بحاجة إلى كل سنت يمكن أن أحصل عليه . إن نيكسون يحصل على الكثير من الدعم المادى فى كل أنحاء البلاد وهو منافس شرس لرجلنا على البيت الأبيض "

قال هابيل : " حسنا سوف أساند كيندى إن ساندنى . الأمر فى مثل هذه البساطة "

" سوف تسعده مساندتك يا سيد روزنوفسكى نحن جميعا نعلم أنك إحدى دعائم المجتمع البولندى كما أن السيناتور كيندى يعلم جيدا الموقف الشجاع الذى اتخذته نيابة عن أبناء بلدك الذين لا يزالون فى معسكرات الأسر خلف الستار الحديدى ؛ ناهيك عن الخدمات التى قدمتها أثناء الحرب . لقد سمح لى بأن أخطر بك بأن مرشحى قد وافق على أن يفتح فندق البارون الجديد فى لوس أنجلوس أثناء رحلته الانتخابية "

قال هابيل : " هذا نبأ سار "

" كما أن المرشح يعرف تماما أنك تريد أن تمنح بولندا أفضل امتيازات فيما يخص التجارة الخارجية مع الولايات المتحدة "

" هذا أقل ما نستحقه بعد الخدمات التى قدمناها فى الحرب " . ثم صمت للحظة وسأل : " ماذا عن الشأن القديم "

"إن السيناتور كيندى يطرح رأى المجتمع الأمريكى البولندى حالياً ولم نقابل بأى اعتراض فى هذا الصدد . بالطبع إنه لن ينجح فى التوصل إلى قرار نهائى قبل أن ينتخب ."

سأل هايبيل : " بالطبع . هل تكفى مائتان وخمسون ألف دولار لكى تساعد على اتخاذ هذا القرار ؟ "

لم ينطق هوجين بكلمة .

قال هايبيل : " سوف يصل المال إلى مقر حملتكم الانتخابية بنهاية هذا الأسبوع يا سيد هوجين ، أعدك بهذا . "

كانت الصفقة قد عقدت . نهض هايبيل : " أرجوك احصل نحياتى إلى لسيناتور كيندى مع فاتق تمنياتى له بأن يصبح الرئيس المقبل للولايات المتحدة . لقد عزفت عن ريتشارد نيكسون بعد معاملته اللفظة لهيلين جاهان دوجلاس ، وعلى أية حال هناك أسباب شخصية تجعلنى لا أريد لهنرى كابوت أن يصبح رئيساً للرئيس . "

قال السيد هوجين : " سوف يسعدنى أن أبلغه برسالتك ، شكراً لمساندتك المستمرة للحزب الديمقراطى وخاصة مرشحى " مد رجلى بوسطن يده مصافحاً . فالتقطها هايبيل .

" ابق على اتصال يا سيد هوجين . أنا لا أضحى بمثل هذا الببلغ من المال بدون أن أنتظر مقابلاً لاستثمارى "

قال هوجين : " أتفهم ذلك تماماً . "

سار هايبيل مع ضيفه حتى المصعد وعاد إلى مكتبه مبتسماً . وبدأ يطرق بأصابعه المكتب ثانية . ظهرت سكرتيرته من جديد .

قال هايبيل " اطلبى من السيد نواك أن يحضر إلى " .

جاء جورج من مكتبه بعد بضع دقائق .

" أعتقد أننى عقدت صفقة جيدة يا جورج . "

" تهانينا يا هايبيل . أنا سعيد . إن أصبح كيندى الرئيس المقبل فسوف يتحقق أحد أكبر أحلامك . كم ستفخر بك فلورنتينا . "

ابتسم هايبين عندما سمع اسمها وقال ضاحكاً : " هل تعلم ما هى بصدده تلك الفتاة العنيدة الصلبة ؟ هل رأيت صحيفة لوس أنجلوس تايمز الأسبوع الماضى يا جورج ؟ "

هز جورج رأسه فأعطاه هايبيل نسخة من الصحيفة . كانت هناك صورة مؤطرة بدائرة من البحر الأحمر . قرأ جورج العنوان بصوت مرتفع : " فلورنتينا كين تفتح ثالث محلاتها ، فى لوس أنجلوس هذه المرة . إيب تملك بالفعل محلين فى سان فرانسيسكو وهى تتبنى أن تفتح محلاً آخر فى سان دييغو قبل نهاية العام . محلات فلورنتينا - كم كان يطلق عليها - سرعان ما سوف تمثل بكامبورتب بالمشاهير بالسياسة لباريس . "

ضحك جورج وهو يضع الصحيفة

قال هايبيل : " لا بد أنها هى التى كتبت هذه الكلمات بنفسها . لعل أتوق إلى افتتاح فرعها فى نيويورك . أراهن على أنها سوف تحقق ذلك فى غضون خمسة أعوام ، عشرة على الأكثر . هل تريد أن تقدم على رهان آخر يا جورج ؟ "

" أنا لم أقبل الرهان الأول كما تذكر يا هايبيل . وإلا لكنت قد خسرت عشرة دولارات . "

رفع هايبيل رأسه وقال بصوت أكثر هدوءاً : " هل تظن أنها سوف تأتى وتشهد افتتاح السيناتور كيندى لفندق البرون الجديد فى لوس أنجلوس يا جورج ؟ هل تظن أنها يمكن أن تفعل ذلك ؟ "

" هذا يتوقف على دعوتك لابن كين . "

قال هابر : " هذا لن يحدث أبداً إن فتى كين هذا لا يساوى شيئاً . لقد قرأت كل ما يخصه فى تقريرك الأخير . لقد ترك بنك أمريك لكى يعمل مع فلورنتينا ، إنه حتى لم يفلح فى الاحتفاظ بعمل جيد ، لقد تعلق بنجاحها " .

" لقد أصبحت تنتقى قراءاتك يا هابيل . أنت تعلم جيداً أن الحقيقة غير ذلك . لقد أوضحت لك الأمور جيداً : إن كين أصبح مسؤولاً عن الأمور المالية بينما تولت فلورنتينا مهمة إدارة المحلات يبدو أنها شراكة مثالية . لا تنس أن هناك بنكاً أوروبياً كان قد عرض على كين فرصة أن يدير القسم الأوروبى فى أمريكا ولكن فلورنتينا أخذت تلح عليه للانضمام إليها لأنها لم تعد قادرة على تدير الأمور المالية وحدها . هابيل ، يجب أن تقبل حقيقة أن زواجهما أثبت نجاحه . علم أنه أمر يصعب عليك استساغته ولكن لم لا تنزل من فوق جوادك العالى وتلتقى به ؟ "

" أنت أعز أصدقائى يا جورج . لا أحد فى العالم يجزؤ على أن يحدثنى فى هذا الشأن . لذا يمكننى أن أقول لك لم لا أستطيع النزول من فوق جوادى العالى . ليس قهر أن يظهر كين أنه على استعداد لأن يقابلنى فى منتصف الطريق . حتى ذلك الوقت ، لن استجديه ثانية وهو مازال حياً يراقبى " .

" ماذا لو مت أنت أولاً يا هابيل ؟ فأنت فى مثل عمره تماماً " .

" إذن سوف أكون خاسراً وسوف تترك فلورنتينا كل شيء " .
" لقد أخبرتنى من قبل أنها لن تحصل على شيء " . وأنتك سوف تغير وصيتك لصالح حفيدك " .

" لم أستطع أن أفعل هذا يا جورج . عندما حان وقت تغيير المستندات لم أقو على تنفيذ ما قلته . ما الذى سوف ينتهى به الحال بهذا الحفيد اللعين ، سوف يرث ثروة كل منا " .

أخرج هابيل محفظة من جيبه ، وأخذ يقلب بعض الصور القديمة لفلورنتينا ثم ستخرج صورة جديدة لحفيده وأراها لجورج

قال جورج : " فتى صغير وسيم " .

قال هابيل : " بالطبع . إنه نسخة من أمه " .

ضحك جورج : " أنت لا تستسلم أبداً يا هابيل ؟ "

" ما هو الاسم الذى تظن أنهم أطلقوه عليه ؟ "

قال جورج : " ما الذى تعنيه ؟ أنت تعرف جيداً اسمه " .

" أعنى ما هو الاسم الذى ينادونه به بالفعل ؟ "

قال جورج : " وكيف لي أن أعرف ؟ "

قال هابيل : " حاول أن تعرف ، فهذا أمر يعينى " .

قال جورج : " وكيف لي أن أعرف ذلك ؟ هل كنت تريدنى أن

أطلب من أحدهم مراقبته وهم يدفعون بعربته فى منتزه جولدن حيث برك ؟ لقد كانت تعليمات واضحة وهى لا أرى فلورنتينا تكتشف يوماً أنك مازلت مهتماً بأمرها أو بأمر ابن كين " .

قال هابيل : " هذا يذكرنى أنه مازالت هناك بعض الأمور التى

يجب أن أسويها مع أبيه " .

سأل جورج : " ما الذى سوف تفعله بأسهمك فى ليستر ؟ بيترو

برفيت بدأ يعيد طرح الاثنين بالدنة التى يملكها وأنا لا أثق فى هنرى لإجراء التفاوض معه . مع طرح هذه النسبة للبيع ، سوف يشترك الجميع فى الصفقة باستثناءك أنت " .

" لن أفعل شيئاً بقدر ما أكره كين فأنا لا أريد أن أوقع نفسى فى مأزق إلى أن أتأكد من فوز كيندى بالانتخابات . سوف أبقى

الوضع كما هو عليه حتى هذا الوقت . إن فشل كيندى ، سوف اشترى الاثنين بالمائة الخاصة ببارفيت وأنفذ الخطة التى سبق وناقشناها من قبل . ولا تشغل بالك بهنرى ؛ لقد انتزعت منه بالفعل الملف الخاص بكين . من الآن فصاعدا سوف أتعامل مع هذا الملف بنفسى " .

" ولكنى أشعر بالقلق بالفعل يا هابيل . أعلم أنه قد أغرق نفسه فى الديون ثانية مع نصف وكلاء المراهنات فى شيكاغو ، ولن أندش إن وجدته عائدا إلى نيويورك فى أى لحظة الآن لكى يستجد بك " .

" إن هنرى لن يأتى هنا . لقد أوضحت له الأمر تماما فى المرة السابقة وقلت له إننى إن رأيت ثانية فلن أعطيه سقنا واحدا . فإن جاءنى يستجدى النقود ، فسوف يقعد مقعده فى مجلس الإدارة ومصدر رزقه الوحيد " .

قال جورج : " هذا ما يثير إزعاجى بدرجة أكبر . دعنا نفرض أنه قد تحامل على نفسه ونوجه إلى كمن مباشرة كى يمتصد المال " .

" لا يمكن يا جورج . إن هنرى هو الرجل الوحيد الذى يكره كين حتى أكثر مما أكرهه أنا ، ولديه أسبايه " .

" كيف يمكن أن تكون واثقا من ذلك إلى هذا الحد ؟ "

قال هابيل : " لقد كانت والددة ويليام كين زوجة هنرى الثانية وقد طرده ويليام وهو مازال فى السادسة عشرة من عمره من منزله " .

" يا إلهى وكيف عرفت ذلك ؟ "

قال هابيل : " ليس هناك شىء لا أعرفه عن ويليام كين أو هنرى فى هذا الصدد . ليس هناك ما يخفى على يدى بلعلى بأننى

أنا وكين قد ولدنا فى يوم واحد وأنا واثق وأراهن على أنه هو الآخر يعرف عنى بقدر ما أعرف أنا عنه . لذا يجب أن نتوخى الحذر جيدا فى الوقت الراهن . ولكن لا تشغل بالك بأن هنرى يمكن أن يقدم على هذا ؛ سوف يستسلم لكى لا أفصح عن أن اسمه الحقيقى وهو " فيتروى توجنا " فضلا عن أنه قد قضى ذات مرة عقوبة فى السجن " .

" يا إلهى ، وهل يعرف هنرى أنك تعرف كل هذا عنه ؟ "

" كلا لا يعرف . لقد احتفظت بكل هذه المعلومات لنفسى على مدى سنوات . لأننى طالما آمنت يا جورج أنه إذا كان هناك رجل يشكل تهديدا لك فيجب أن تعد له العدة وتحفظ بسلاحك ضد . وأنا لم توبهنرى يوما منذ اللحظة التى قترح عليّ فيها أن أطلب بمزيد من التعويض من شركة التأمين التى كان مازال يعمل بها مقابل حصوله على نسبة من الزيادة ؛ بالرغم من أننى لا أنكر أنه كان ذا نفع بالغ فى الماضى . كما أننى واثق من أنه لن يسبب لى أية مشاكل فى المستقبل لأنه بدون راتبه الذى يحصل عليه سوف يكون مقلما . انس أمر هنرى يا جورج ودعنا نتسم بالمزيد من الإيجابية . ما هو آخر موعد لاستكمال فندق بارون لوس أنجلوس ؟ " .

قال جورج : " منتصف سبتمبر " .

" رائع . أى ستة أسابيع قبل موعد الانتخابات . عندما يفتح كيندى هذا الفندق ، سوف تنشر الأنباء على كل الصفحات الافتتاحية من الجرائد والصحف الأمريكية " .

وصل ثاديوس كوهين إلى البنك بعد أربعين دقيقة . أنصت ويليام إليه بإمعان .

عندما أفرغ كوهين ما فى جعبته . قال ويليام : " لم يكن والدك ليقتر مثل هذه الأساليب المتلوية " .

قال ثاديوس كوهين : " وكذلك والدك أنت ، ولكنهما لم يواجها أمثال هابيل روزنوفسكى "

" ما الذى يجعلك تعتقد أن خطتك سوف تنجح ؟ "

" انظر إلى قضية برنارد جولدفاین وشيرمان آدمز . فقط ألف

وسمائة واثنان وأربعون دولار مدرجة فى فواتير فندق بالإضافة إلى معطف من الفراء ، ولا تنس أن الرئيس قد أخرج عندما اتهم آدمز بأنه يستغل مكانته السياسية كمساعد للرئيس . نحن نعرف أن السيد روزنوفسكى يسمى لأكثر من ذلك بكثير ، أى أنه سوف يكون من الأسهل أن نقال منه " .

" وكم سيكلفنى هذا ؟ "

" خمسة وعشرين ألفاً ميدنيا ولكن قد يكون بوسعى أن أعقد الصفقة بمبلغ أقل من ذلك " .

" وكيف تتأكد من أن روزنوفسكى لن يكشف تورطى فى الأمر ؟ " .

" سوف أستخدم شخصاً ثالثاً لا يعرف حتى اسمك كوسيط فى العملية " .

" وإن نجحنا فى عقد الصفقة ما الذى تعتقد أننا يجب أن نفعله بعد ذلك ؟ "

" يجب أن ترسل كل التفاصيل إلى مكتب السيئاتور جون كيندى وأنا أضمن لك أنه سوف يضع حداً لطموحات هابيل روزنوفسكى إلى الأبد . فى الوقت الذى ستهتز فيه مصداقيته سوف

الفصل الثامن والثلاثون



عندما عاد ويليام إلى نيويورك بعد أحد المؤتمرات المصرفية فى واشنطن ، وجد رسالة فى انتظاره تطلب منه الاتصال بثاديوس كوهين فى الحال . لم يكن ويليام قد تحدث مع كوهين منذ فترة طويلة لأن هابيل روزنوفسكى لم يكن يسعى لإثارة المشكل معه منذ آخر اتصال هاتفى غير مكتمل بينهم . عشية زواج ريتشارد وفلورنتينا منذ ما يقرب من ثلاث سنوات . فضلاً عن أن التقارير ربع السنوية التى كان يتلقاها كانت تؤكد أن هابيل لم يكن يسعى لبيع أو شراء أية أسهم فى البنك . ومع ذلك فقد اتصل ويليام بثاديوس كوهين فى الحال وقد اعتراه إلى حد ما الشعور بالخوف . وقد أخبر المحامى وينيام أنه قد وقع على بعض المعلومات التى لم يكن يريد أن يصرح بها عبر الهاتف . فطلب منه ويليام أن يحضر إلى البنك فى أقرب فرصة .

يستحيل عليه أن يفعل المادة السابعة من قوانين البنك حتى إن نجح في امتلاكها .

قال ويليام : " ربما ، إن أصبح كيندى رئيساً .

ولكن ما الذى سيحدث إن فاز نيكسون بالانتخابات ؟ إنه متقدم بالفعل فى صناديق الاقتراع كما أننى بالقطع أرى أن فرصته فى النجاح تفوق فرصة كيندى . هل تظن أن أمريكا يمكن أن تدفع بالفعل برجل من أصل روماني إلى البيت الأبيض ؟ لا أتصور ذلك ، ولكننى أقر أن استثمار خمسة وعشرين ألف دولار مبلغ تافه إن كانت هناك فرصة حقيقية فى القضاء على هابيل روزنوفسكى إلى الأبد لكى أبقى أنا فى مأمن داخل بنكى " .

" إن أصبح كيندى رئيساً .. "

قال ثاديوس كوهين : " أنا واثق من ذلك " .

فتح ويليام درج مكتبه وأخرج دفتر حسابات كبيراً بحبر عنوان " حساب خاص " وكتب بالحروف : اثنان ، خمسة ، صفر ، صفر ، صفر .

الفصل التاسع والثلاثون



ثم محقق افتتاح كيندى لفندق البارون الدوى الصحفى القوى الذى توقعه له هبيل . بالرغم من أن المرشح افتتح بالفعل الفندق إلا أنه ظهر فى عشرات من المناسبات الأخرى فى لوس أنجلوس فى نفس اليوم فضلاً عن أنه التقى بنيكسون فى إحدى المناظرات التلفزيونية مساء اليوم التالى . ومع ذلك فقد حظى افتتاح الفندق الجديد بتغطية لا بأس بها فى الصحافة الوطنية وقد أكد فينسننت هوجين لهابيل على انفراد أن كيندى لم ينس وعده بشأن الأمر القديم . كان محل فلورنتينا على بعد بضعة مئات من المياردات القليلة فقط من البارون الجديد ولكن الأب لم يلتق بابنته أبداً .

وبعد حصول جون كيندى على أصوات المجمع الانتخابي فى ولاية إيلينوى أصبح فى حكم الأكيد أنه سوف يصبح الرئيس الخامس والثلاثين للولايات المتحدة ، شارك هابيل فى احتفالات الحزب الديمقراطي بالفوز فى مقر الحزب فى ميدان تايمز ولم يعد

إلى بيته قبل الخامسة من صباح اليوم التالي .

قال لجورج : " أمامي الكثير لكي أحتفل به . سوف أكون الـ ... " ثم سقط نائما قبل أن يكمل عبارته . ابتسم جورج وأودعه في فراشه .

...

أخذ ويليام يراقب تطور الانتخابات من مكتبه الهادئ في شارع إيست سيكسكي إيثرث . بعد عودة رجل إيلينوى إلى البيت الأبيض . وهو الأمر الذي لم يأكد حتى العاشرة من صباح يوم التالي (لم يكن ويليام يثق مطلقا بالمعدة دالي) . أعلن ولاتر كرونكييت أن كل شيء قد انتهى باستثناء الصباح . فالتقط وييم سماعة الهاتف واتصل برقم منزل ثاديوس كوهين .

كان كل ما قاله هو : " لقد كانت الخمسة والعشرون ألف دولار استثمارا حكيما يا ثاديوس . ولآن يجب ألا نمنح هابيل فترة راحة ولكن لا تجهز عليه قبل أن يقوم برحلته إلى تركيا " .

أعاد ويليام سماعة الهاتف إلى مكانها وذهب إلى فراشه . كان محبطا بسبب سقوط ريتشارد نيكسون في الانتخابات أمام كيندي وبسبب عدم حصول ابن عمه البعيد هنري كابوت على منصب نائب الرئيس ولكنه الحظ الذي لم يحالفهما ...

عندما تلقى هابيل دعوة لكي يحل ضيفا في إحدى الحفلات الافتتاحية الراقصة للرئيس كيندي في واشنطن ، كان هناك شخص واحد فقط هو الذي كان يريد هابيل أن يتقاسم فرحته معه . وقد أفصح لجورج بما كان يجول في نفسه ولكن جورج أكد له أن فلورنتينا لن تلبى دعوته أبدا ما لم يقنعها بأن الصراع الدائر مع والد

ريتشارد يمكن أن يوضع له حد . لذا أدرك أنه يجب أن يذهب إلى هناك وحيدا .

كان هابيل قد اقتنى حلة داكنة الزرقة أعدت خصيصا لهذه المناسبة وحجز لنفسه الجناح الرئاسي في بارون واشنطن في يوم الافتتاح . وقد استمتع بمراقبة الرئيس الشاب وهو يلقي خطبته الافتتاحية وهو مغمم بالأمل والتطلع إلى المستقبل .

" جميل جديد من الأمريكيين ، ولدوا في هذا القرن " ، لقد كان هابيل يحمل هذه الصفة "جيل صقلته الحروب" كان هابيل بالطبع يحمل هذه الصفة أيضا ، "جيل تعلم الانضباط في ظل السلام المر العصيب" ، وكانت هذه الصفة أيضا تنطبق على هابيل . " لا تسل عما يمكن أن يقدمه لك الوطن وإنما سل نفسك عما يمكنك أن تفعله للوطن " .

نهض الحشد تصنيفا للرجل ، وقد تجاهل الجميع الثلوج المتساقطة لتى عجزت عن تبديد وقع كلمات جون إف كيندي . هذا الخطيب المفوه .

عاد هابيل إلى بارون واشنطن وهو في حالة نشوة . استحم قبل أن يغير ملايحه لتناول العشاء وارتدى رابطة عنق بيضاء ورداء يذيل طويل أعد خصيصا أيضا لهذه المناسبة . عندما تفحص هيئته الفخمة في المرآة ؛ كان عليه أن يعترف لنفسه بأنه لا يمثل آخر صيحة في عالم الألق . كن الخياط قد بذل أقصى جهده (كان عليه أن يحيك لهابيل ثلاث حلل مسائية جديدة وأكبر حجما على مدى الأعوام الثلاثة الماضية) . كانت فلورنتينا سوف توبخه على تلك البوصات الزائدة . كما اعتادت أن تطلق عليها - والتي كانت ترى أنه كان يمكن أن يفعل شيئا حيالها . لم كان فكره يقوده دائما إلى فلورنتينا ؟ تفحص نياشينه التي كان يرتديها جيدا ؛ النيشان الأول

كان نيشان المحارب البولندى ثم نيشان الخدمة فى أوروبا والصحراء ثم نيشان السكاكين ، كما كان يطلق عليه . نظير خدماته المتميزة فى قطاع المؤن والإمداد .

وصل إجمالى الحفلات الراقصة الافتتاحية فى واشنطن إلى سبع حفلات فى مساء ذلك اليوم ووصلت هابيل دعوة لحضور الحفل المقام فى نادى الجيش بالعاصمة . جلس فى أحد الأركان المخصصة للديمقراطيين البولنديين من نيويورك وشيكاغو . كان لديهم الكثير لكى يحتفلوا به . كان يدموند موسكى فى مجلس الشيوخ كما كان عشرة بولنديين آخرين قد انتخبوا فى الكونجرس . لم يرد ذكر المرشحين الجمهوريين البولنديين الذين تم انتخابهم مؤخرًا . قضى هابيل أمسية جميلة مع اثنين من أصدقائه القدامى الذين كانوا يشكلون معه أعضاء المجلس الأمريكى البولندى . وقد سأله الاثنان عن أخبار فلورنتينا .

قاطع دخول جون إف كيندى وزوجته الجميلة جاكلين الحفل . مكثا ما يقرب من خمس عشرة دقيقة وتحديثا مع نخبة مختارة ثم غادرا الحفل . بالرغم من أن هابيل لم يتحدث مع الرئيس بشكل شخصى حتى بالرغم من أنه كان قد غادر مائدته ووضع نفسه فى مكان استراتيجى فى طريق سير كيندى ، فقد نجح فى التحدث مع فينسنت هوجين بينما كان يستعد للرحيل مع زمرة كيندى . " سيد روزنوفسكى ، يا لها من مصادفة رائعة " .

كان هابيل يود أن يشرح للرجل أنه لا شيء فى حياته يحدث مصادفة ولكن لم يكن الوقت أو المكان يسمح بذلك . أمسك هوجين ذراع هابيل وقاده سريعا وراء أحد أعمدة القاعة المصنوعة من الرخام .

" لا يمكننى أن أتحدث معك كثيرا الآن يا سيد روزنوفسكى ، لأننى يجب أن أنفى دلائل للرئيس وسكنى أتوقع أن تصلك مكانة منا فى المستقبل القريب . إن الرئيس أمامه بالطبع الكثير من المواعيد والارتباطات حاليا " .
قال هابيل : " بالطبع " .

واصل فنسنت هوجين حديثه : " ولكننى آمل أن يصادق على كل ما يخصك فى أواخر شهر مارس أو بداية شهر إبريل . هل لى أن أكون أول من يقدم تهانيه إليك يا سيد روزنوفسكى ؟ أنا واثق من أنك سوف تبلى بلاء حسنا فى خدمة الرئيس " .

وقف هابيل يراقب فنسنت هوجين وهو يركض بالفعل لكى يلحق بموكب كيندى ، والذي كان يصعد بالفعل على متن سيارة ليموزين مفتوحة .

قال أحد أصدقاء هابيل من البولنديين : " تبدو فخورا بنفسك " فى الوقت الذى عد فيه هابيل إلى المائدة لكى يسنم إحدى قطع اللحم لبقرى انقاسى والتي لم يكن هابيل يسمح بدخول أى سبب فندق البارون ، وأضاف : " هل دعاك كيندى لكى تكون وزير خارجيته الجديد ؟ " .
ضحك الجميع .

قال هابيل : " ليس بعد ، ولكنه أخبرنى بأن الإقامة فى البيت الأبيض لم تكن بنفس مستوى جودة فندق البارون " .

طار هابيل إلى نيويورك فى صباح اليوم التالى بعد أن زار الحى البولندى . وقد أثارته فيه الزيارة ذكرى فلورنتينا . كان مطار واشنطن القومى يجمع بالفوضى حتى أن هابيل كان قد وصل إلى بارون نيويورك متأخرا ثلاث ساعات عما كان قد خطط له . تناول

معه جورج العشاء والذي أدرك أن كل شيء سار على ما يرام عندما طلب هابيل تناول اللحم البقري الذي يحبه .

قال هابيل : سوف نحتفل الليلة . لقد قابلت هوجين في الحفل وسوف يتم انصديق على تعييني في المنصب الجديد خلال الأسابيع القليلة التالية . إن الإعلان الرسمي سوف يصدر على الرجح فور عودتي من الشرق الأوسط .

" تهان يا هابيل . أنت الأكثر استحقاقا لهذا الشرف " .

" شكرا لك يا جورج . وأنا أؤكد لك أن مكافأتك عندما يتم تعييني رسميا أنني سوف أعينك أنت رئيس لمجموعة البارون أنت غياي " .

شرب جورج كأسا آخر . كانا قد اقتربا عندها من نصف الزجاجاة .

" كم سيطول غيابك هذه المرة يا هابيل ؟ "

" ثلاثة أسابيع فقط . أريد أن أتأكد من حسن سير مشاريعي في الدول العربية ثم سوف أتوجه بعدها إلى تركيا لكي أفتتح فرع اسطنبول هناك . أعقد أنني سوف أمر أيضا على لندن وباريس في الطريق " .

قضى هابيل ثلاثة أيام أخرى في إنجلترا زيادة عن الفترة التي كان قد خطط لها محاولا الكشف عن أسباب المشاكل مع المدير الذي بدا يلقي كل اللوم على لاتحادات البريطانية . كان فرع البارون في لندن من بين زلات هابيل القليلة ، بالرغم من أنه عجز عن التوصل إلى سبب هذه الخسارة المستمرة في الفندق . كان يمكن أن يفكر في إغلاق الفرع ولكن البارون يجب أن يكون له تواجد في عاصمة إنجلترا ، لذا لجأ ثانية إلى إقالة المدير وتعيين مدير جديد .

أما فرع البارون في باريس فقد كان النموذج المناقض تماما ، كان العندق من بين أكثر الفروع نجاحا في أوروبا . وقد اعترف هابيس ذات مرة لفلورنتينا - في شيء من التردد مثل التردد الذي يشوب حديث الأب عندما يقر بفضل أحد أبنائه - أن بارون باريس هو الأقرب إلى قلبه . كان هابيل يجد كل شيء في بولفار د راسبيل منظما أحسن تنظيم ومنمقا . قضى هابيل يومين فقط في باريس قبل أن يطير إلى الشرق الأوسط .

أصبح هابيل يملك في هذا الوقت خمسة مواقع في دول الخليج ولكن فرع برون الرياض وحده هو الذي كان بالفعل تحت الإنشاء . لو كان هابيل أصغر سن لكن قد بقي في الشرق الأوسط لعمدين بنفسه لكي يشرف بنفسه على سير الأمور . ولكنه لم يتحمل التراب والسخونة وعدم توافر الحمول كما أنه لم يستطع البعد عن صنع القرار في واشنطن . ترك الأمور لأحد مساعديه الشباب من نواب الرئيس ، الذي وعده هابيل بأنه سوف يسمح له بالعودة إلى أمريكا فقط إن أثبت نجاحا في التعامل مع العرب في الشرق الأوسط . ترك مساعد نائب الرئيس المسكين في أغنى بقعة على سطح الأرض وطار إلى تركيا .

كان هابيل قد زار تركيا عدة مرات على مدى السنوات القليلة الماضية لكي يراقب تطور فندق بارون اسطنبول . كانت العسطينية تمش دائما بالنسبة لهابيل شيئا خاصا لأنه كان يحمل ذكرى خاصة له . كان يتطعم إلى افتتاح بارون جديد في البلد الذي كان آخر محطة له قبل أن يبدأ حياته الجديدة في أمريكا . بينما كان يقض حقائبه في أحد الأجنحة الرئاسية الأخرى ، وجد هابيل خمس عشرة دعوة في انتظار رده . كان قد اعتاد أن

يجد عدة دعوات في انتظاره في أوقات افتتاح الفنادق . كان هناك حشد من محبي الحفلات يظهر دائما بشكل سحري مبديا رغبته في حضور الحفلات الافتتاحية . ولكن في هذه المرة تحديدا ، وصلت هايبل دعوتها عشاء كائنا بمثابة مفاجأة سارة بالنسبة له ، كانت الدعوات مرسلتين من رجلين لا يمكن أن يصنفا على أنهما من محبي الحفلات وهما سفيرا أمريكا وبريطانيا . كانت الدعوة إلى السفارة الإنجليزية لا تقاوم حيث إنه لم يذهب إلى هناك منذ ما يقرب من أربعين عاما .

تناول هايبل العشاء في هذه الليلة كضيف لسير برنارد بورو ، السفير الإنجليزي في تركيا . ولدهشته وجد نفسه جالسا بجوار السفير وزوجته وهو شرف لم يحظ به هايبل من قبل في أية سفرة في الماضي . عندما انتهى العشاء ، صادرت النساء القاعة - وفق لتقليد الإنجليزي الأصيل - بينما بقي الرجال لتدخين السجائر وتناول المشروبات . دعى هايبل للانضمام إلى السفير الأمريكي - فليشر وارين - في مكتب السير برنارد . كان سير برنارد قد لام السفير الأمريكي على دعوة البارون على العشاء قبله .

قال السفير الأمريكي وهو يشعل سيجارة كوبية كبيرة : " إن المعرفة هي إحدى الصفات الأصلية في الجنس الإنجليزي " . قال السير برنارد : " سوف أقول شيئا واحدا فقط للأمريكيين : إنهم لا يدركون أبدا متى يصابون بالهزيمة " .

أخذ هايبل ينصت إلى الحوار الدبلوماسي المحنك الدائر ويسأل نفسه عن سبب تواجده في هذه الجلسة الخاصة .

قال السير برنارد : " ألا يجدر بنا تهنئة السيد هايبل بـ ... ؟ " .

احمر وجه هايبل وحول نظره سريعا نحو السفير الأمريكي أصلا في أن يساعده في الخروج من هذا المأزق .

قال سير برنارد وهو ينظر إلى السفير الأمريكي : " آه ، هل أطلقت الهرة من سرها يا فليشر ؟ لقد أخبرتنى أن التعيين أصبح معلنا يا عزيزي " .

قال فليشر وارين : " يكاد يكون كذلك ولكن الإنجليز لا يكتفون سوا لفترة طويلة " .

قال السير برنارد : " ألهذا استغرقتم وقتا طويلا قبل أن تعرفوا أننا في حالة حرب مع الألمان ؟ " .

" ثم تحركت لنحرق لنصر . أليس كذلك ؟ " .

قال السير برنارد : " والمجد " .

ضحك السفير الأمريكي : " لقد أخبرت بأن الإعلان الرسمي سوف يتم الصريح به بعد أيام قليلة " .

نظر الرجلان إلى هايبل الذي بقي صامتا

قال السير برنارد : " حسن ، إن أسمح لي أن أكون أول من يهنئك ب صاحب السعادة أسمى لك كسر السعادة في منصبك الجديد " .

تورد وجه هايبل فور سماع اللقب الذي ظل يهمس به أمام مرآة حلافته على مدى الشهور بقليلة ماضية . واصل السفير لإنجليز حديثه : " يجب أن تعتاد على لقب صاحب السعادة كما تعرف والكثير من الأشياء الأخرى الأسوأ من ذلك . وخاصة كل المهام اللينة التي سوف يفرض عليك حضورها ، الواحدة تلو الأخرى . إذا كنت تعاني من زيادة في الوزن الآن فإنها لا تقارن بالزيادة التي سوف تصاب بها عند نهاية فترة خدمتك . قد يمتد بك العمر لكى

تمتحن للحرب الباردة . إنها الشيء الوحيد الذى يمكن أن يبقى حياتك الاجتماعية متواصلة " .

ابتسم السفير الأمريكى : " أحسنت صنعا يا هابيل وهل لى أن أبعث لك بأفضل أمنياتى مقابل نجاحك المتواصل . متى كانت المرة الأخيرة التى زرت فيها بولندا ؟ "

قال هابيل : " لم أزرها إلا مرة واحدة ، كانت رحلة قصيرة منذ سنوات قليلة ولكننى طالبا أردت العودة إلى هناك منذ ذلك الوقت " .

قال فليتشر وارين : " حسنا ، سوف تعود منتصرا . هل تعلم أين تقع سفارتك فى وارسو ؟ "

قال هابيل : " كلا ، لا أعرف " .

قال السير برنارد : " ليس بناء سيئا . تذكر أن المستعمرين لم يظاؤا أوروبا بأقدامهم إلا بعد الحرب العسية الثانية ولكن الضعم مرعب . أنا واثق من أنك سوف تتدبر هذا الأمر جيدا يا سيد روزنوفسكى أخشى أن الشيء الوحيد الذى يمكن أن تفعله لعلاج ذلك هو أن تبنى فرعا للبارون فى وارسو . سوف يكون هذا أقل ما يتوقع منك كسفير وبولندى حكيم " .

جلس هابيل فى حالة انتشاء ، يضحك ويستمتع بالمزج الهالية للسير برنارد وجد نفسه يشعر برتية مع نفسه والعالم كان يتوق إلى العودة إلى أمريكا لإخبار فلورنتين بالانباء السارة . بعد أن بدا التعيين رسميا . سوف تفخر به . قرر وقتها أنه فور عودته إلى نيويورك سوف يحجز مقعدا لسن فرانسيسكو لى يصلح كس شى مع ابنته . لقد كان هذا هو ما يريد طوال الوقت ولكنه أصبح الآن يملك مبررا لذلك . سوف يجبر نفسه بشكل أو آخر على الإعجاب بفتى كهن . يجب أن يكف عن الإشارة إليه باسم فتى كهن . ما هو

اسمه ، ريتشارد ؟ . انتاب هابيل فجأة الشعور بالارتياح فور اتخاذه هذا القرار .

بعد أن عاد الرجال الثلاثة إلى حيث تجلس السيدات فى القاعة الرئيسية ، تقدم هابيل لأمسا كتف السفير الإنجليزى : " يجب أن أنصرف الآن يا صاحب السعادة " .

قال السير برنارد : " سوف تعود إلى البارون . اسمح لى أن أصحبك إلى سهارتك يا صديقى العزيز " .

ودعت زوجة السفير هابيل وتمنت له ليلة سعيدة عند الباب . " عمت مساء يا سيدة بوروو ، شكرا على هذه الأمسية الرائعة " .

ابتسمت : " أعلم أنه من المفترض ألا أعلم شيئا يا سيد روزنوفسكى ولكن تهانها الحارة على تعيينك . لابد أنك تشعر بالسعادة لأنك سوف تعود إلى بلدك الأم كممثل أعلى لبلادك " .

أجاب هابيل ببساطة : " بالفعل " .

صاحب السير برنارد هابيل هابيل الدرج الرخامى للسفارة إلى السيارة المنتظرة . فتح السائق باب السيارة .

قال السير برنارد : " تصبح على خير يا روزنوفسكى وحظا سعيدا فى وارسو . أتمنى أن تكون قد استمتعت بوجبتك الأولى فى السفارة الإنجليزية " .

" إنها الثانية فى الواقع يا سير برنارد "

" لقد جئت إلى هنا من قبل أيها الفتى العجوز ؟ ولكننا عندما راجعنا قائمة أسماء الضيوف فى كتاب الضيوف لم نجد اسمك مدونا " .

قال هابيل : " كلا . فى المرة الأخيرة التى تناولت فيها العشاء فى السفارة الإنجليزية ، تناولت الطعام فى المطبخ . لا أعتقد أنهم يحتفظون بسجل أسماء للأشخاص الذين تناولوا الطعام فى المطبخ ، كان الطعام فى ذلك الوقت هو أفضل ما تناولت منذ سنوات " ابتسم هابيل وهو يركب فى المقعد الخلفى من السيارة . بدا من الواضح له أن السير برنارد لم يكن واثقا ما إن كان يجب أن يصدق أو لا يصدق رواية هابيل .

بينما قادت السيارة هابيل عائدة إلى البارون ، أخذ هابيل يطرق بأصابعه زجاج النافذة الجانبية وهو يهمس لنفسه : كم كان يحب أن يعود إلى أمريكا صباح اليوم التالى ولكن لم يكن بوسعهم أن يلغى دعوة العشاء مع فليتشر وارين فى السفارة الأمريكية مساء اليوم التالى . هذا ليس تصرفا يليق بسفير مقبل ، أيها الفتى العجوز ، جاءه وقع كلمات السير برنارد وهو ينطق بها .

كان تناول العشاء مع السفير الأمريكى أمرا ممتعا . وجد هابيل يشرح للسادة الضيوف كيف أن به الحال إلى تناول لظعم فى مصبح السفارة الإنجليزية من قبل . عندما أخبرهم بالحقيقة ، أخذوا يتأملونه فى إعجاب يفرض دهشة . لم يكن واثقا إن كان الكثيرون من بينهم قد صدقوا روايته وكيف أنه كاد يفقد يده ولكنهم جميع أبداوا إعجابهم بالسوار الغضى وفى هذه الليلة أطلق عليه الجميع اسم "صاحب السعادة " .

وفى اليوم التالى ، استيقظ هابيل من نومه ميكرا تأهباً لرحلة العودة إلى أمريكا . طارت الطائرة إلى بلجراد حيث بقى هناك على مدى ست عشرة ساعة فى انتظار الطائرة التالية . كان هناك عيب فى معدات الهبوط ، هكذا أخبروه . جلس فى المطار وأخذ يحتسى القهوة اليوغوسلافية غير المستساغة . لم يكن التناقض بين السفارة

الإنجليزية والطعم المقدم فى الدول الشيوعية أمرا خافيا تمام على هابيل . وأخيرا أقلعت الطائرة لكى تتعرض لتأخير آخر فى مطار أمستردام . ولكن فى هذه المرة طلب من الركاب تغيير الطائرة ، عندما وصل هابيل أخيرا إلى مطار ايدل وايلد ، كان قد قطع ما يقرب من ستة وثلاثين ساعة . كان منهكا إلى حد عدم قدرته على السير . ما إن غادر المنطقة الخاصة بالجمارك ، حتى وجد نفسه محاطا بالصحفيين والكاميرات التى ظلت تلتقط صورا له . ابتسم فى الحال . قال لنفسه : " لايد أنه قد تم إعلان النيا ، لقد أصبح التعيين الآن رسميا " . وقف بأكبر قدر ممكن من الاستقامة ، وسار ببطء وهيبه محاولا إخفاء عرجه . لم يجد أى إشارة تتم عن وجود جورج حيث كانت الكاميرات تتسابق حرصا من المصورين على التقاط صور .

ثم وقع نظره على جورج واقفا عند نهاية الحشد ، وقد بدا وكأنه ميت . خفق قلب هابيل وهو يعبر الحاجز ، وإذا بصحفى يلقي عليه سؤالا أبعد ما يكون عن السؤال الذى كان يتوقعه " هل لديك أية إجابة على التهم الموجهة إليك ؟ "

واصلت الكاميرات التقاطها للصور وتواصلت معها الأسئلة التى لا تنتهى

" هل الاتهامات صحيحة يا سيد روزنوفسكى ؟ "

" كم دفعت تحديدا لرجل الكونجرس السيد أوسبورن ؟ "

هل تنكر التهم ؟ "

" هل عدت إلى أمريكا لكى تواجه المحاكمة ؟ "

ثم كتبوا إجابات هابيل بالرغم من أنه لم ينطق بكلمة واحدة .

ثم صاح هابيل وسط الحشدة قائلا : " أخرجونى من هنا ! "

قدم جورج ليشق طريقه العثر وسط الحشد ونجح فى الوصول إلى ثم شق طريقه ثانية بصعوبة وسط اجموع المحتشدة إلى أن به إلى السيارة الكاديلاك التى كانت تقف فى انتظاره
حنى هاويل ودفن وجهه بين يديه أمام الكاميرات التى كانت ل تلتقط له صوراً ثم صاح جورج فى السائق طالب منه أن

سأل السائق : " إلى البارون يا سيدى ؟ "

كلا . إلى شقة الأنسة روزنوفسكى فى الشارع إيست فيفى

سأل هاويل : " لماذا ؟ "

لأن فندق البارون يعج بالصحفيين فى انتظارك .

سأل هاويل : " أنا لا أقهم . فى اسطنبول عاملونى على أنى المرتقب وعندما أعود إلى وطنى أجد نفسى أعامل على أنى . ما الذى يجرى بحق السماء يا جورج ؟ "

سأل جورج : " هل تريد أن أقصر عليك الأمر كله أم تريد أن إلى أن تقابل محاميك ؟ "

سأل هاويل : " محامى ؟ هل استدعيت محاميا لكى يمثلنى ؟ "

اتش ثرافورد جيلكز : إنه الأفضل .

والأعلى ثمناً "

لا أعتقد أنك يمكن أن تعبأ بالاد فى طرف كهذا

بييل .

لقد تركته فى دار القضاء ولكنه قال لى إنه سوف يحضر إلى

بما أن ينهى الاجراءات هناك .

لا يمكن أن أنتظر كل هذا الوقت يا جورج أستحلفك بأنه ما

يب . أخبرنى حالا .

التقط جورج نفسا عميقا وقال : " لقد صدر إذن من النيابة بالقبض عليك " .

" وما هى التهمة الموجهة لى بحق السماء ؟ "

" رشوة مسئولين حكوميين " .

قال هاويل معترف " ولكننى لم تورط يوما بشكل مباشر فى التعامل مع مسئولين حكوميين "

" أعلم ولكن هنرى أوسبورن تورط وم فعله يبدو أنه فعله باسمك ونيابة عنك " .

قال هاويل : " يا إلهى ! لم يكن ينبغي أبدا أن أستخدم هذا الرجل أعتقد أن كراهيتك المشتركة لكين قد أعمت بصرى

ولكننى مازلت أجد صعوبة فى أن يكون هنرى قد حكى كل شيء . لأن هذا سوف يدينه هو الآخر تماما " .

قال جورج : " ولكن هنرى اختفى . وافتاجأة الكبرى هى أنه فجأة وبشكل غامض سد كل ديونه "

قال هاويل وهو يكاد ييمض بالكلمات : " إنه ويليام كين " .

قال جورج : " ليس هناك دليل على تورطه فى الأمر . ولكنك لم نعر على أى دليل فى هذا الاتجاه "

" وهل نحن بحاجة إلى دليل ؟ أخبرنى أنت كيف توصلت السلطات إلى التفاصيل الخاصة بهذا الشأن ؟ "

قال جورج : " لا نعرف كل هذه الأمور . يبدو أن هناك طردا مجهولا قد يعث مباشرة إلى القضاء فى واشنطن "

قال هاويل : " يحمل طابع نيويورك بالطبع "

" كلا : شيكاغو "

صمت هاويل للحظات وقال أخيرا : " لا يمكن أن يكون هنرى هو الذى أرسل الطرد إليهم . هذا أبعد ما يكون عن المنطق " .

قال جورج : " كيف يمكن أن تكون واثقا إلى هذا الحد ؟ "
 " لأنك قلت إن كل ديونه قد سددت ودار القضاء لا يمكن أن يوافق على دفع كل هذا المبلغ من المال ما لم يكن يسمى للقبض على آل كابون ، لا بد أن هنرى قد باع الملف إلى شخص ما . ولكن من هو هذا الشخص ؟ الشيء الوحيد الذى يمكن أن أؤكد عليه أنه لا يمكن أن يكون هنرى قد صرح بالمعلومات إلى ويليام مباشرة "
 قال جورج : " مباشرة " .

قال هابيل " مباشرة . ربما لم يكن قد باع المعلومات بشكل مباشر . ربما يكون كين قد استخدم وسيطا لعقد الصفقة إذا كان لديه علم مسبق بأن هنرى مثقل بالديون وبأن وكلاء المراهقات يطاردهن فى كل مكان "

" قد يكون هذا صحيحا ب هابيل لأن الأمر بكل تأكيد لم يكن يتطلب محققا خاصا محظنا لكى يتوصل إلى حقيقة المشكلة الدية التى يعانى منها أوسبورن . لقد كان الأمر معروفا فى أوساط المراهقات فى شيكاغو ، ولكن لا تقفز إلى استنتاج بعد دع البحث يفرغ أولا ما فى جعبته " .

توقفت السيارة الكاديلاك خارج منزل فلورنتينا السابق ، الذى احتفظ به هابيل ودأب على صيانته على أمل أن تعود ابنته إليه يوما ما . وجد جورج إتش جيلكز فى انتظارهما فى مدخل العمارة فصحبهما جميعا وفتح باب الشقة ودعاهم للدخول .

" أخبرنى بالأشوأ يا سيد جيلكز . دعنا ننهى الأمر "
 بدأ حديثه : " آسف يا سيد روزنوفسكى ؛ السيد توفاك أخبرنى بشأن وارسو "

" لقد انتهى كل هذا الآن ، لذا دعنا نسمى أيضا لقب "ها صاحب السعادة " فأنا واثق أن فنسنت هوجين إن سئل فلن يتذكر

حتى اسمى . أخبرنى يا سيد جيلكز الآن ما هى التهمة الموجهة ؟ "

" أنت تواجه سبع عشرة تهمة فساد ورشوة لموظفين حكوميين فى ولايات مختلفة . لقد عقدت اتفاقا مبدئيا مع وزارة العدل أن تقوم بالقبض عليك من منزلك هذا غدا صباحا وأن يطلقوا سراحك فى اليوم نفسه مقابل دفع كفالة " .

قال هابيل : " أمر مريح للغاية ولكن ماذا لو ثبتت على التهم ؟ "

قال إتش ترافورد جيلكز وكأنه أمر واقع : " يجب أن يكونوا قادرين على إثبات بعض التهم ولكن طالما بقى هنرى أوسبورن محتبسا فسوف يكون من الصعب إثبات تورطك فى معظم التهم ولكن يجب أن توطن نفسك يا سيد روزنوفسكى على حقيقة أن الجزء الأكبر من الضرر قد وقع بالفعل سواء ثبتت إدانتك أم لم تثبت " .

قال هابيل وهو ينظر إلى صورته فى الصفحة الأمامية من الديلى نيوز والننى احصره معه إتش ترافورد جيلكز على ما يبدو " أرى ذلك بمنتهى الوضوح . يجب أن تعرف يا سيد جيلكز من الذى اشترى هذا الملف من هنرى أوسبورن استخدم أكبر عدد من الأشخاص تحتج إليه أت لا عيب بالتكليف ولكن يجب أن تكشف عن اسم الشخص وتكشف عنه سريعا ؛ لأننى إن اكتشفت أن ويليام كين هو الذى يقف وراء هذه القضية فسوف أقضى عليه نهائيا " .

قال السيد إتش ترافورد جيلكز : " لا تورط نفسك فى المزيد من المشاكل ؛ يكفىك ما أنت فيه الآن أنت غارق فى هذه القضية حتى أذنك " .

قال هابيل : " لا تقلق . عندما أفضى على كين ، سوف أستخدم طريقة قانونية لا تضمني تحت طائلة العقاب " .
 " والآن أنصت إلى يامعان يا سيد روزنوفسكى . انس ويليام كين في الوقت الراهن واشغل نفسك بالمحاكمة التي سوف تواجهها . سوف تكون هذه المحاكمة هي أهم حدث سوف تواجهه في حياتك ما لم تكن تكثرت بقضاء الأعوام العشرة التالية من حياتك داخل السجن . والآن لم يعد هناك ما يمكن أن تفعله الليلة في هذا الشأن . سوف أبعث رجالى للبحث عن هنرى أوسبورن وسوف أصدر تصريحاً صحفياً أذكر فيه كين اتهم المنسوبة إليك وأؤكد أنسى أمست تفسيراً كاملاً سوف يبرئ ساحتك كليا " .

سأل جورج متفائلاً : " وهل تملك تفسيراً بالفعل ؟ "

قال جيلكز : " كلا ولكن هذا سوف يمنحني بعض الوقت الذي أحتاج إليه للتفكير . وسوف أقول إنه عندما تنح للسيد روزنوفسكى فرصة لمراجعة قائمة الأسماء فإنني لن أندعش إذا اكتشف أنه لم يسبق له مطلقاً أن اتصل مباشرة بأى من أصحاب هذه الأسماء . يمكن أن يكون هنرى أوسبورن قد عمل دائماً بصعته وسيطاً بدون أن يظهر السيد روزنوفسكى في الصورة . سوف تكون مهمتي الثالثة إذن هي إثبات أن هنرى قد تعدى السلطة المخولة إليه كمدير للمجموعة . ولكنى أحذرك يا سيد روزنوفسكى إن كنت قد قابلت أى اسم من أسماء الأشخاص المذكورين في الملف يجب أن تبذلني بالله عليك ، لأنك يجب أن تعرف مسبقاً أن القضاء سوف يجعلهم جميعاً يقفون على منصة الشهادة ضدك . سوف أترك لك نسخة من القائمة ولن نشغل بالنا بها إلا ابتداء من الغد . اذهب الآن إلى فراشك وخذ قسطاً من النوم . لا بد أنك منهك من رحلتك . سوف أراك في الصباح " .

تم اعتقال هابيل في هدوء في شقة ابنته في الثامنة والنصف صباحاً واقتيد بواسطة سيارة عسكرية إلى دار القضاء الفيديرالى فى الحى الجنوبي من نيويورك . كانت الألوان الصاخبة لعيد الحب في نوافذ عرض المحلات والمتاجر قد ضاعفت بداخله الشعور بالوحدة . كان جيلكز يأمل أن يكون قد أنجز كل الترتيبات بأقصى قدر من السرية يحول دون تجمهر الصحافة . ولكنه ما إن وصل إلى دار القضاء حتى وجد هابيل نفسة ثانية محاطاً بالمصورين والصحفيين . جرى نحو دار القضاء وجورج أمامه وجيلكز من خلفه . جلسوا في صمت في غرفة الانتظار في انتظار دور القضية .

عندما طلب منهم الدخول ، لم تدم جلسة توجيه التهم أكثر من بضع دقائق وكانت بمثابة هبوط مفاجئ غريب . قرأ الكاتب التهم وكان آتش ترافورد جيلكز يجيب عن كل تهمة قائلاً : " ليس مذنباً " نهاية عن موكله ثم طالب بعدها بالإفراج عنه بكفالة . لم تبتد الحكومة - كما تم الاتفاق عليه مسبقاً - أى اعتراض على الطلب . طلب جيلكز من القاضى بريسكوت ثلاثة شهور على الأقل لكى يعد الدفاع اللازم . حدد القاضى موعداً لظفر القضية في السابع عشر من شهر مايو .

أصبح هابيل حراً ثانية ، حراً لمواجهة الصحافة والمزيد من عدسات المصورين . كان السائق يجلس وراء عجلة القيادة في انتظار خروج هابيل عند نهاية الدرج مباشرة وقد ترك الباب الخلفى مفتوحاً . كان المحرك داثراً بالفعل وكان على السائق أن يؤدى بعض مهارات القيادة المحترفة لكى يراوغ ويتفادى الصحفيين الذين كانوا مازالوا يطاردون هابيل . عندما توقفت السيارة فى شارع

إيمت فيفتي سبقت ، استدار هابيل نحو جورج ووضع ذراعه فوق كتفه

قال هابيل وهو يحاول أن يضحك : " والآن أنصت إلى يا جورج ، يجب أن تدبر المجموعة بمفردك لما لا يقل عن ثلاثة أشهر بينما سوف أعكف أنا على إعداد الدفاع مع السيد جيلكز . دعنا نأمل أنك لن تتوى مهمة الإدارة بمفردك إلى الأبد بعد ذلك " "بالطبع لن يحدث هذا يا هابيل ، سوف يخرجك السيد جيلكز من هذا المأزق . وسوف ترى " . التقط جورج حقيبته وربت على ذراع هابيل وقال : " اتسم يا هابيل " ثم ترك الرجلين يدخلان لمباراة التي توجد فيها الشقة .

قل هابيل للمحامي وهما يجلسان في غرفة المعيشة : " لا أدري كيف كان يمكن أن يكون حالي بدون جورج . لقد جئنا إلى أمريكا على متن نفس السفينة منذ ما يقرب من أربعين سنة مضت وكابدنا الكثير منذ ذلك الوقت . والآن يبدو أنه مازال أمامنا الكثير لكي نكابه ، لذا دعنا نبدأ يا سيد جيلكز . هل هناك جديد عن هنري أوسبورن ؟ "

" كلا ولكن هناك ستة من رجال يسعون للعثور عليه ، وأنا واثق من أن القضاء قد عين من جانب ستة رجال آخرين للبحث عنه ، لذا يجب أن تكون واثقا من أننا سوف نضع أيدينا عليه ، ولكن هذا لا يعنى أننا نريدهم أن يصلوا إليه أولا " .

سأل هابيل : " ماذا عن الرجل الذى باع أوسبورن له الملف ؟ " " لدى بعض الرجال الثقات فى شيكاغو سوف يتولون مهمة الكشف عن هذا الأمر أيضا " .

قال هابيل : " جيد والآن حان وقت مراجعة الملف الذى يحتوى على الأسماء والذى تركت لى نسخة منه مساء أمس " .

بدأ إتش جيلكز بقراءة التهم المنسوبة ومراجعة كل منها بالتفصيل مع هابيل .

بعد ما يقرب من ثلاثة أسابيع من اللقاءات المستمرة ، وبعد أن تأكد جيلكز تماما أن هابيل لم يعد لديه المزيد من المعلومات لكى يدلى له بها ، ترك موكله لكى يوتاح . لم يتم خلال الأسابيع الثلاثة التوصل إلى هنري أوسبورن سواء من قبل رجال جيلكز أو رجال القضاء . كما لم يتجح رجال جيلكز فى التوصل إلى الشخص الذى باع له أوسبورن الملف حتى بدأ المحامى يتساءل إن كان تخمين هابيل فى محله .

مع اقتراب موعد المحاكمة ، بدأ هابيل يواجه احتمال الذهاب إلى السجن بالفعل . كان وقتها فى الخامسة والخمسين من عمره وكان يخشى أن يقضى السنوات القليلة المتبقية من عمره بنفس الطريقة التى بدأ بها حياته وهو صغير . وكما ذكر له إتش ترافورد جيلكز فإن الحكومة إن نجحت فى إثبات التهم المذكورة فى ملف أوسبورن فإن فيها ما يكفى لإيداع هابيل فى السجن لوقت طويل للغاية . كان ظلم - كما بدا الأمر لهابيل - التهم المنسوبة إليه يثير غضبه ، كانت التجاوزات التى اقترفها أوسبورن باسم هابيل تجاوزات حقيقية ولكنها لم تكن استثنائية حتى أن هابيل كان يشك فى إمكانية قيام أى عمل جديد واستمراره بدون النجوى لمثل هذا النوع من التجاوزات والرشاوى لمثل هؤلاء الأشخاص المثبتين بالخط العريض فى ملف ترافورد جيلكز . أخذ يتذكر بمرارة هذا الوجه الاناعم غير العائى لويليام كين الشاب وهو يجلس فى أمان فى مكتبه فى بوسطن على مدى كل السنوات الماضية فوق كومة من المال الموروث دفنت أصوله غير المشريفة على الأرجح فى أمان تحسب أجيال رفلت فى الاحترام . ثم بعثت فلورنتينا بخطاب مؤثر لأبيها ،

وضعت معه بعض الصور لابتها وأخبرت أباها في الخطاب أنها مازالت تحبه وتحترمه وأنها تؤمن ببراءته .

قبل ثلاثة أيام من بدء المحاكمة ؛ نجح قسم العدل في العثور على هنرى أوسبورن في نيو أورليانز . كان يمكن ألا يصلوا إليه بسرعة ما لم يكن قد وصل إلى أحد المستشفيات المحلية ساقير مكسورتين . وقد توصل أحد رجال الشرطة إلى أن هنرى قد أصيب بهذه الكسور إثر سعيه للتهرب من بعض ديون المقامرة . إنهم لا يحبون ذلك في نيو أورليانز . وبعدما وضعت اصصادات اللازمة على ساقى هنرى أوسبورن ؛ تم نقله على متن إحدى الطائرات إلى نيويورك من قبل وزارة العدل .

علق المحامى في جفاء : " ما من شك أن السيد أوسبورن سوف يجد التهم المتسوية إليه متواضعة بشكل لافت " .

قال هايبيل : " إذن هذه هى لعبته . سوف ألتقى أنا اللطمة بينف يفر هو . لأن من نتوصل أبداً إلى الشخص اللعين لذى بع له أوسبورن الملف " .

قال جيلكز : " كلا ؛ فى هذا أنت مخطئ يا سيد روزنوفسكى . لقد كان هذا هو الشيء الوحيد الذى كان أوسبورن على استعداد لأن يمضغ عنه . لقد أكد لى أن الشخص لم يكن ويليام كين وأنه لا يمكن أن يبيع الملف لكين تحت أى ظرف من الظروف . لقد دفع رجل من شيكاغو يدعى هارى سميث للسيد أوسبورن ثمن الملف نقداً ولكن الأمر المثير هو أن الاسم نفسه كان اسماً مستعاراً لأن هناك عشرات من الرجال فى شيكاغو الذين يحملون اسم هارى سميث بينما لا تنطبق أوصاف أى منهم على الرجل الذى اشتري الملف " .

قال هايبيل : " اعثر على الرجل . واعثر عليه قبل بدء المحاكمة " .

قال جيلكز : " نحن نتحرك بالفعل فى هذا الاتجاه . إن كنى الرجل مازال موجوداً فى شيكاغو فسوف نعثر عليه فى غضون أسبوع . وقد أضاف أوسبورن أن هذا الرجل المدعو سميث أكد له أنه يريد الملف لأسباب شخصية فقط أى أنه لم تكن لديه أية نية للكشف عن محتواه للسلطات " .

سأل هايبيل : " إذن لم كان سميث يريد الملف فى المقام الأول ؟ " .

" كان الهدف هو الابتزاز . ولهذا حرص هنرى أوسبورن على الاختفاء لكي يتحاشى مواجهته . إن فكرت فى هذا ملياً يا سيد روزنوفسكى فسوف يتبين لك أن أوسبورن رغم كل شيء يقول الحقيقة ؛ لأن التهم التى يحتوى عليها الملف تدنيه إلى أقصى حد . أى أنه لا بد أن يكون قد انزعج بقدر انزعاجك عندما سمع أن الملف وصل إلى أيدي وزارة العدل . لهذا قرر أن يختبئ وواثق أن يعتقد صفقة مع الولاية عندما تم القبض عليه " .

قال هايبيل : " هل تعرف أن السبب الوحيد الذى جعلنى أستخدم الرجل هو أنه كان يكره ويليام كين بقدر ما كنت أكرهه والآن نال منا ويليام نحن الاثنين ؟ " .

قال جيلكز : " ليس هناك دليل على تورط السيد كين " .

" لست بحاجة إلى دليل " .

تأخرت المحاكمة بناء على رغبة الحكومة التى زعمت أنها بحاجة لمزيد من الوقت لاستجواب هنرى أوسبورن قبل طرح القضية . كان أوسبورن هو الشاهد الأساسى فى الادعاء . اعترض جيلكز بشدة على المحكمه دافع بأن صحة موكله الذى لم يعد شامناً

صغيراً أصبحت تتداعى تحت وطأة الادعاءات الكاذبة التي كان يواجهها . ولكن طلب جيلكز قوبل بالرفض من قبل القاضي برسكوت ، الذى وافق على طلب الحكومة وأرجأ المحاكمة لأربعة أسابيع أخرى .

مر الشهر بطيناً على هابيل ، وقبل يومين من بدء المحاكمة ؛ بدأ هابيل يوطن نفسه على احتمال ثبوت التهمة عليه ومواجهة حكم بالسجن لفترة طويلة . ثم عثر محقق جيلكز فى شيكغو على الرجل الذى يدعى هارى سميث والذى وجد أنه محقق محلى خاص استخدم اسماً مستعاراً تحت تعليمات صارمة من قبل الجهة التى استخدمته وكانت إحدى الشركات القانونية فى نيويورك . وقد تكبد جيلكز ألف دولار وأربعاً وعشرين ساعة إضافية قبل أن يكشف له هارى سميث عن اسم المكتب المتورط فى الأمر وهو مكتب كوهين ، كوهين وبابلون .

قال هابيل فى الحال فور إخباره : " إنه محامى كين " . سأل جيلكز : " هل أنت وافق من ذلك ؟ لقد شعرت من خلال كل المعلومات التى أخبرتنى بها عن السيد كين أنه آخر شخص يمكن أن يلجأ للتعامل مع شركة يهودية " .

" منذ زمن طويل ؛ عندما اشتريت الفنادق من بنك كين ؛ كانت هناك بعض الأوراق التى تم تخليصها من قبل رجل يدعى توماس كوهين . لسبب ما ؛ استخدم البنك اثنين من المحامين لعقد الصفقة " .

سأل جورج هابيل : " ما الذى تريدنى أن أفعله فى ذلك ؟ " قال ترافورد جيلكز : " لا شئ ، يجب ألا نشير المزيد من المشاكل قبل المحاكمة . هل تفهمنى جيداً يا سيد روزنوفسكى ؟ "

قال هابيل : " نعم سوف أتعامل مع كين فور انتهاء المحاكمة . والآن يا سيد جيلكز ؛ أنصت إلى جيداً . يجب أن ترجع ثانية إلى أوسبورن فى الحال وتخبره بأن الملف قد بيع بواسطة هارى سميث إلى ويليم كين وأن كين استخدم الملف لكى ينتقم منا ويقضى علينا نحن الاثنين . وأنا أقسم لك أن أوسبورن عندما يسمع بهذا لن يفتح فمه فوق كرسى الشهادة بغض النظر عن كل ما تعهد به واتفق عليه مع وزارة العدل . هنرى أوسبورن هو الشخص الوحيد على ظهر الأرض الذى يكره ويليم كين أكثر مما يكره أنا " .

قال جيلكز الذى بدت عليه علامات عدم الاقتناع الكامل بما يقوله هابيل : " أمرك ، ولكننى يجب أن أحذرك يا سيد روزنوفسكى انه مازال يلقي اللوم عليك كلية وأنه إلى الآن لم يكن سوى عقبة فى طريق إثبات براءتك " . " يمكننى أن أضمن ذلك يا سيد جيلكز . سوف تتغير طريقة تصرفه فور سماعه اسم كين " .

حصل السيد جيلكز على تصريح لزيارة أوسبورن على مدى عشر دقائق مساء نفس اليوم فى رترننته . ستمتع بيه أوسبورن دون أن ينطق بكلمة . كان جيلكز واثقاً من أن لأنبياء الجديدة لم تتدرك أى انطباع لدى الشاهد الأساسى للحكومة لذا قرر أن ينتظر حتى صباح اليوم التالى قبل أن يخبر السيد روزنوفسكى بما حدث . لقد فضل أن يحصل موكله على قسط وافر من الراحة قبل أن يواجه المحاكمة فى صباح اليوم التالى .

قبل أربع ساعات من بدء المحاكمة ، وجد الحارس الذى كان يحمل لأوسبورن الإفطار ، الرجل مشنوقاً داخل زنزانته .

كان قد استخدم رابطة عنق هارفارد .

بدأت المحاكمة بعد أن فقدت الحكومة شاهدها الأساسي ، لذا طالبت الحكومة بتأجيل المحاكمة ثانية . وبعد سماع دفاع مستميت من قبل اتش ترافورد جيلكز لمراعاة الحالة الصحية لموكله ؛ رفض القاضي برسكوت الطلب ثانية . كان الجمهور يتابع كل تفاصيل محاكمة بارون شيكاغو على شاشات التلفاز ومن خلال الصحف . ولكن ما أثار دهشة هابيل هو تواجد زافيا ضمن جمهور الحاضرين في المحاكمة وقد بدت عليها علامات الاستمئاع بكل لحظة ضيق يمر بها . بعد تسعة أيام من المحاكمة ، أدرك الادعاء أن قضيتهم لم تكن محكمة وعرض عقد صفقة مع اتش ترافورد جيلكز . أثناء رفع الجلسة ؛ عرض جيلكز على هابيل الصفقة المقترحة .

" سوف يسقطون عنك كل التهم الأساسية الخاصة بالرشوة إن اعترفت بتورطك في بعض القضايا الفرعية الخاصة بسعيك للتأثير بشكل غير لائق على بعض المسؤولين الحكوميين "

" وكيف تقيم فرص نجاحي إن رفضت الصفقة ؟ "

قال جيلكز : " خسمون بالمائة "

" وإن لم أقلت ؟ "

" القاضي برسكوت رجل صعب المراس . وقد يتراوح حكمه ما بين يوم وست سنوات "

" وإن وافقت على عقد الصفقة واعترفت ببعض التهم الصغيرة فما الذي سيحدث ؟ "

قال جيلكز : " سوف تخرج بأقل الخسائر . سوف أندesh إن وصل الأمر لأكثر من ذلك . "

جلس هابيل وأخذ يفكر في البدائل المطروحة للحظات .

" سوف أقبل الصفقة ، دعنا ننهي هذا الأمر "

أخير محامو الحكومة القاضي بأنهم سوف يسقطون خمس عشرة تهمة من التهم المنسوبة إلى هابيل روزنوفسكي . نهض اتش ترافورد جيلكز من مقعده وأخبر المحكمة أن موكله يريد أن يغير الدعوة القضائية إلى " مذنب " في تهمتين من التهم البسيطة . ثم صرف المحلفين وأغلق القاضي برسكوت القول لهابيل وشن عليه هجوما عنيفا مذكرا إياه بأن حقه في إنجاز أعماله لا يشمل حقه في رشوة وإفساد الموظفين الحكوميين . إن الرشوة جريمة وهي جريمة أكثر سوءا عندما تصدر من شخص ذكي وكفء ليس بحاجة أن يتدنى لمثل هذا المستوى من التعامل . وأضاف : " في الدول الأخرى قد تبدو الرشوة مقبولة وإحدى الوسائل العادية المستخدمة في الحياة اليومية ولكن الأمر ليس كذلك في الولايات المتحدة الأمريكية " في إشارة منه لكي يشعر هابيل بأنه مهاجر لا يعتد به . أصدر القاضي برسكوت حكمه بحبس هابيل ستة أشهر مع وقف التنفيذ ودفع ٢٥ ألف دولار أتعابا للقضية .

صحب جورج هابيل إلى فندق البارون وجلسا في الاستراحة يتناولان الطعام لأكثر من ساعة قبل أن يتحدث هابيل .

" جورج أريدك أن تتصل ببيتر بارفيت وأن تدفع له مليون دولار التي طلبها من قبيل مقابل شراء حصته في بنك ليستر لأنني بمجرد أن أضع يدي على الثمانية بالمائة سوف أفعل المائدة السبعة وأقصى على ويليام كين داخل مجلس إدارته "

أوما جورج بالموافقة في حزن بعد أن أدرك أن المعركة لم تنته بعد .

بعد مرور بضعة أيام قليلة أعلنت وزارة الخارجية الأمريكية أن بولندا قد حصلت على أفضل عقود التجارة الخارجية مع الولايات المتحدة الأمريكية وأن سمير بولابات المتحدة لقدم في ورسو هو جون مورز كابوت .

الفصل الأربعون



في إحدى ليالى شهر فبراير الجميلة ، جلس ويليام كين وأخذ يعيد قراءة تقارير ثاديوس كوهين . كان هنرى أوسبورن قد قدم كل معلومات التي كان يحتاج إليها للإجهاز على هابيل روزنوفسكى وقبض ٢٥ ألف دولار فى المقابل ثم اختفى . هذه هى بعينها الطريقة التى يتصرف بها الرجل ، هكذا فكر ويليام وهو يعيد النسخة المصورة فى الملف داخل خزائنه . كانت النسخة الأصلية قد أرسلت إلى وزارة العدل فى واشنطن ، قبل بضعة أيام من قبل ثاديوس كوهين .

عندما عاد هابيل روزنوفسكى من تركيا وتم اعتقاله ، بقى ويليام فى انتظار انتقامه وفكر أنه سوف يسعى لإغراق أسهم إنتر ستيت فى سوق المال فى الحال . ولكن ويليام كان مستعدا ومتأهبا فى هذه المرة . كان قد حذر مضاربة بالفعل من أن إنتر ستيت قد تطرح فى سوق المال بكميات كبيرة . وكانت تعليماته واضحة فى هذا

الصدد ؛ كان قد أمره بشرائها فى الحال بحيث لا يهبط السعر .
وكن على استعداد ثانية لأن يستخدم ماله الخاص كإجراء وقائى
قصير المدى لكى يتجنب أية مضايقات من قبل البنك . كما عمد
ويليام أيضا إلى تمرير مذكرة إلى كل حاملى أسهم ليستر مطالبا بإيهم
بعدم بيع أية أسهم خاصة بانتراستيت بدون الرجوع إليه أولا .

وبمرور الأسابيع ؛ لم تصدر أية إشارة تحرك من قبل هابيل
روزنوفسكى حتى بدأ ويليام يظن أن ثاديوس كوهين كان محقا فى
افتراضه بأن هابيل لم ينجح فى التوصل لتورط ويليام فى القضية
التي أطاحت به وبأنه بكل تأكيد يلقى كل اللوم على هنرى
أوسبورن .

لقد كان ثاديوس كوهين واثقا من أن شهادة أوسبورن يمكن أن
تضع هابيل روزنوفسكى خلف القضبان لفترة طويلة جدا مما يحول
دون إمكانية من جانبه لاستخدام المادة السابعة من قانون البنك أو
تمثيل أى تهديد للبنك أو ويليام كين . كان ويليام يأمل أيضا أن
يعيد الحكم ريتشارد إلى صوابه ويجعله يعود إلى البيت . إن
تكشفت له مثل هذه الأمور الخاصة بالعائلة فسوف يلفظ فتاة
روزنوفسكى عندما يعلم أن والدها لم يكن رجلا نزيها .

كان ويليام سيرحب بعودة ريتشارد . لقد أصبحت هناك فجوة
فى مجلس إدارة بنك ليستر بعد تقاعد تونى سيمونس والموت
المفاجئ لتيد ليتش ؛ كان ريتشارد يجب أن يعود إلى نيويورك قبل
عبد ميلاد ويليام الخامس والستين والذي كان سبحر بعد عشر
سنوات وإلا فقد تكون هذه هى المرة الأولى على مدى أكثر من قرن
من الزمان التي لن يجلس فيها أى شخص من أفراد عائلة كين
داخل مجلس الإدارة . كانت تقارير كوهين تشير إلى أن ريتشارد
كان قد عقد عددا من الصفقات الرائجة الرائعة لصالح فلورنتينا ولكن

فرصة حصول ريتشارد على رئاسة البنك سوف تعنى له بكل تأكيد
أكثر مما يعنيه العمل مع فتاة روزنوفسكى .

كان هناك سبب آخر يثير ضيق ويليام وهو أنه لم يعد يثق فى
الجيل الجديد من المديرين فى البنك . كان جاك توماس - نائب
الرئيس الجديد - هو الفتى المفضل لتولى رئاسة البنك بعد ويليام . قد
يكون بالفعل قد استكمل تعليمه فى برستون وتخرج من بيتا كاب
ولكنه كان متهوراً ؛ مصطنعا للغاية ؛ فكر ويليام ؛ كما أن طموحه
كان جامحا ؛ لم يكن على الإطلاق الرجل المناسب لرئاسة بنك
ليسر . كان على ويليام أن يظل محتفظا بكرسيه حتى الخامسة
والستين محاولا خلالها إقناع ريتشارد بأن ينضم إلى البنك قبل أن
يتم الخامسة والستين بوقت كاف . كان ويليام يدرك تماما أن كات
على استعداد لأن تستعيد ريتشارد بأى ثمن ولكن بمرور السنين وجد
ويليام صعوبة فى التخلي عن عساده . ومما هون عليهما الأمر أن
زواج فيرجينيا كان يسر على ما يرام وكانت قد أصبحت حاملا .
إذا رفض ريتشارد العودة إلى المنزل والتخلي عن فتاة روزنوفسكى ؛
يمكنه أن يترك إذن كل شيء لفيرجينيا ؛ إن أنجبت حفيدا ذكرا .

كان ويليام فى مكتبه فى البنك عندما داهمته أول أزمة قلبية
لم تكن أزمة خطيرة أخبره الأطباء وقتها أنه يجب أن يستريح
قليلا ولكنه سوف يحيا لما لا يقل عن عشرين عاما أخرى . وقد
أخبر ويليام طبيبه الشاب النافع - كم كان يفتقد أندور مكنزى ! -
أنه كان يريد أن يبقى على قيد الحياة لعشر سنوات أخرى فقط لكى
يشهد نهاية خدمته فى البنك .

على مدى الأسابيع للمقابلة التى قضاهها فى فترة نقاهة فى
المنزل ؛ سمح ويليام فى شيء من التردد والتوجس لجاك توماس أن

يتولى مسئولية اتخاذ القرارات في البنك ولكن ما إن عاد ويليام إلى البنك بادر باستعادة وضعه كاملاً كرئيس للبنك خشية أن يكون توماس قد أفرط في استغلال السلطة أثناء فترة غيابه . من آن إلى آخر ؛ كانت كات تجد في نفسها الشجاعة لكي تتوصل إلى ويليام بأن يدعيه تحدث ريتشارد بشكر مباشر ولكنه بقي على عناده قائلاً : " إن الفتى يعرف تماماً أنه يمكن أن يعود إلى المنزل في أي وقت شاء . وكل ما عليه فعله هو أن ينهي علاقته بتلك الفتاة الماكرة "

في اليوم الذي انتحر فيه هنري أوسبورن ؛ أصيب ويليام بأزمة قلبية ثانية ولكنه لم يعلق على الألم . بقيت كات مستيقظة بجوارده طوال الليل خشية أن يموت ولكن رغبته في التعرف على مصير محاكمة هابيل روزنوفسكى أبقته على قيد الحياة . أخذ ويليام يراقب تطور القضية ومجرياتها بمنتهى الاهتمام لأنه كان يدرك أن وفاة أوسبورن سوف تقوى موقف روزنوفسكى إلى أقصى حد . عندئذ تم إطلاق سراح روزنوفسكى أخيراً بحكم بسيط اقتصر على ستة أشهر مع إيقاف التنفيذ ودفع غرامة تقدر بـ ٢٥ ألف دولار ؛ لم تثر بساطة الحكم دهشة ويليام . لم يكن من الصعب تصور أن الحكومة قد وافقت على عقد صفقة مع محامي هابيل روزنوفسكى اللامع .

ولكن ويليام اندهش - مع ذلك - عندما شعر بالذنب بعض الشيء وبقدر من الارتياح لأن هابيل روزنوفسكى لم يواجه عقوبة السجن . ما إن انتهت المحاكمة ؛ لم يعد ويليام يعبأ ما إن كان هابيل سوف يفرق أسهم إنتر ستيت أم لا في سوق المال . كان مازال مستعداً لمواجهة . ولكن لم يحدث شيء ومضت الأسابيع حتى بدأ ويليام يفقد اهتمامه ببارون شيكاغو ولم يعد يشغل تفكيره سوى ريتشارد الذي كان يريد الآن أن يراه بشدة . " التقدم في السن

والخوف من الموت يحدث تغيراً مفاجئاً في القلب " . لقد قرأ هذه العبارة ذات مرة . وفي صباح أحد أيام شهر سبتمبر ؛ صرح لكات برغبته . لم تسأله عن سبب تغيير رأيه ؛ كان يكفيها أن تعرف أن ويليام كان يريد أن يرى ابنه الوحيد .

قالت لزوجها : " سوف أتصل بريتشارد في الحال وأدعوه هو وزوجته " وكان عدم اعتراضه على ذكر عبارة هو وزوجته بمثابة مفاجأة سعيدة بالنسبة لها .

قال ويليام في هدوء : " لا بأس . أرجوك أبلغني ريتشارد أنني أريد أن أراه ثانية قبل أن أموت "

" لا تكن سخيفاً يا عزيزى لقد قال لك الطبيب أن تهدأ قليلاً وسوف يحيا عشرين عاماً أخرى "

" أنا فقط أريد أن أستكمل فترة خدمتي في البنك كرئيس وأرى ريتشارد في مكنتي سوف يكفيني هذا ساذجاً لا نسافرين إلى ساحر شبيه وتعلمين ريتشارد برغبتي يا كات ؟ "

سأله كات في ضطراب : " ما الذى تعنيه بكلمة ثانية ؟ " بتسم ويليام " أعلم أنك قد ذهبت إلى سان فرانسيسكو عدة مرات بالفعل يا عزيزتى . كلما كنت أسافر في رحلة عمل على مدى السنوات القليلة الماضية ؛ كنت تنتهزين الفرصة لزيارة والدتك . ولكنها عندما توفيت في العام الماضى ؛ أصبحت أعذارك مفضوحة للغاية . لقد تزوجنا منذ سبعة وعشرين عاماً وأنا أعلم الآن تماماً كل عاداتك . مازلت محتفظة بنفس الجمال الذى عرفته فيك يا عزيزتى ولكننى لا أظن أن يكون لك عشيق وأنت فى الرابعة والخمسين . لذا لم يكن من الصعب على أن أدرك أنك كنت تزورين ريتشارد " .

قالت كات : " أجل كنت أزوره لِمَ لم تذكر هذا الأمر من قبل طالما كنت تعرفه ؟ "

قال ويليام : " لأننى فى صميم قلبى كنت سعيدا بذلك . كنت أكره فكرة أن يكون قد فقد اتصاله بكليتنا . كيف حاله ؟ "

" كلاهما على ما يرام ولقد أصبح لديك حفيذة الآن فضلا عن الحفيد . "

كرّر ويليام : " حفيذة وحفيد ؟ "

قالت كات : " أجل ، اسمها أنابيل " ،

سأل ويليام لأول مرة : " واسم حفيدى ؟ "

عندما أخبرته كات بالاسم ، كان عليه أن يبتسم .

لقد كنت نصف كذبة .

قال ويليام : " جيد . هلا سافرت إلى سان فرانسيسكو لتعدى الأمر . أخبريه أننى أحبه " . كان قد سمع ذات مرة رجلا كبيرا آخر وهو يقول هذه العبارة ؛ رجل كان على وشك أن يفقد ابنه . شعرت كات فى هذه الليلة بسعادة لم تشعر بها منذ سنوات . اتصلت بريتشارد لكى تخبره بأنها سوف تحضر لزيارته فى الأسبوع التالى حاملة أنباء سعيدة معها .

عندما عادت كات إلى نيويورك بعد ثلاثة أسابيع ؛ سعد ويليام عندما أخبرته بأن ريتشارد وفلورنتينا سوف يأتیان لزيارته فى مقبيل العام التالى والتي كانت أول فرصة متاحة لهما لمغادرة سان فرانسيسكو معا . كانت تحمل معها الكثير من القصص والأخبار وأخذت تقص عليه مدى ما أحرزاه من نجاح وكيف أن حفيد ويليام كان نسخة من جده وكيف أن ريتشارد وفلورنتينا كانا يتطلعان للعودة إلى نيويورك للزيارة .

استمع ويليام بإمعان لكل ما حكته ووجد نفسه هو الآخر سعيدا وراضيا عن نفسه . كان قد أعجب بكل ما سمعه بشأن فلورنتينا وبدأ يخشى من أن ريتشارد إن لم يعد مبكرا فإنه لن يعود أبدا ؛ وهذا يعنى أن تزول رئاسة البنك إلى جاك توماس . لم يكتثر ويليام بالتفكير فى ذلك .

عاد ويليام إلى عمله فى الاثنين التالى بمعنويات مرتفعة بعد فترة غياب طويلة ؛ وبعد أن تعافى جيدا من النوبة القلبية الثانية انتدبه شعور بأنه قد أصبح لديه الآن هدف يستحق أن يعيش من أجله .

قال الطبيب الشاب النابه : " يجب أن تكون أكثر هدوءا وحرصا " ولكن ويليام كان مصمما على استعادة وضعه وهيبته كاملة كرئيس للبنك حتى يمهّد الطريق لابنته الوحيدة . فور وصوله للبنك حياه البواب الذى أخبره بأن السيد جاك توماس كان يتحدث عنه وكان قد اتصل به فى البيت فى وقت سابق . شكر ويليام موظفه القديم ؛ كان هذا الموظف هو الشخص الوحيد الذى خدم ليستر لسنوات تفوق سنوات خدمة رئيس البنك نفسه .

سأل : " هل هناك أمر ما لا يمكن إرجاؤه ؟ "

" كلا يا سيدى "

سار ويليام ببطء نحو مكتب رئيس البنك . عندما فتح الباب وجد ثلاثة من المديرين مجتمعين بالفعل ووجد جاك توماس جالسا متخذًا وضعه تماما فى مقعده .

قال ويليام ضاحكا : " هل كان غيابى طويلا إلى هذه الحد ؟ ألم أعد رئيسا لمجلس الإدارة ؟ "

قال جاك توماس وهو ينهض سريعا من فوق مقعد الرئيس .

" بالطبع أنت كذلك . مرحبا بك ثانية يا ويليام " .

وجد ويليام صعوبة في استساعة استخدام جاك توماس لاسمه الأول . إن هذا الجيل متبسط لدرجة كبيرة . لم يكن أى منهما يعرف الآخر إلا منذ سنوات قليلة فقط ولم يكن أى منهم قد تخطى الأربعين بيوم واحد .

سأل ويليام : " ما الخطب ؟ " " هابيل روزنوفسكى " قالها جاك توماس بدون إبداء أى تعبير

شعر ويليام بقصة فى معدته وجلس فوق أقرب مقعد جلدى . سأل ويليام فى إنهاك : " ما الذى يريد هذه المرة ؟ ألا يمكنه أن يدعنى أستكمل ما بقى لى من أيام فى هدوء وسلام ؟ " سار جاك توماس نحو ويليام :

" لقد عزم على تفعيل المادة السابعة وقد قرر أن يعقد اجتماعا ينيب فيه شخصا عنه هدفه الوحيد إقالتك من منصبك " .

" لا يمكنه أن يفعل ذلك . لأنه لا يعطك الثمانية بالمائة اللازمة . وقد نص قانون البنك بوضوح على أن مدير البنك يجب أن يخطر مباشرة فى الحال إن حصل أى شخص خارجى على ثمانية بالمائة من الأسهم " .

" إنه يقول إنه سوف يحصل على الثمانية بالمائة غدا صباحا " .

قال ويليام : " كلا - كلا - لقد راقبت هذا الأمر بمنتهى العناية ؛ ليس هناك شخص يمكن أن يبيع أسهمه لروزنوفسكى . ليس هناك أى شخص يمكن أن يفعل ذلك " .

قال جاك توماس " بيتر بارفيت " قال ويليام وهو يبتسم فى زهو : " كلا . لقد اشتريت أسهمه منذ عام من خلال طرف ثالث " .

ارتسمت علامات الصدمة على جاك توماس وبقي الجميع صامتين لعدة دقائق .

أدرك ويليام للمرة الأولى فى حياته كم كان توماس يريد أن يكون الرئيس التالى للمستر .

قال جاك توماس : " حسنا . إنه يزعم بأنه سوف يحصل على الثمانية بالمائة بحلول الغد مما سوف يمنحه حق انتخاب ثلاثة مديريين فى مجلس الإدارة ومنع تفعيل أى قرار مصيرى خاص بسياسة البنك لمدة ثلاثة أشهر . إنها الشروط التى أدخلتها أنت فى قانون البنك لكى تحافظ على وضعك بداخله على المدى الطويل . كما أنه قد عقد العزم أيضا على إعلان قراره من خلال الإعلانات فى كل أنحاء البلاد . إنه يهدد - على سبيل الاحتياط - بأنه سوف يقوم بانقلاب فى ليستر معتمدا على قوة البارون إن لاقى أى اعتراض من جانبنا . وقد أوضح لنا أن هناك وسيلة واحدة فقط سوف تجعله يتخلى عن كل هذه الخطط تماما " .

قال ويليام : " وما هى هذه الوسيلة ؟ " أجاب جاك توماس : " أن تقدم أنت استقالتك كرئيس للبنك " .

قال ويليام فى صوت يشبه الصياح : " ولكن هذا ابتزاز " . " ربما ، ولكنك إن لم تقدم استقالتك قبل ظهرية الاثنين القادم فسوف يصدر هذا الإعلان لكل حاملى الأسهم . لقد حجز بالفعل مساحة فى أربعين جريدة ومجلة " .

قال ويليام : " لقد جن الرجل " . ثم أخرج منديله من جيب سترته ومسح جبينه .

قال جاك توماس : " ولكن هذا ليس كل شيء " . لقد طالب أيضا ألا يحل أى شخص من عائلة كين محلك فى مجلس الإدارة

على مدى السنوات العشر التالية وأن استقالتك لا يجب أن تكون مسببة أى لا يجب أن تكون بسبب حالتك المرضية أو أى سبب آخر يبرر رحيلك المفاجئ "

لقد كان يحمل ملفا كبيرا يحمل عنوان : " مجموعة البارون "

كرر ويليام وهو يقرأ الخطاب : " مجنون " .

قال جاك توماس : " ومع ذلك فقد دعوت لعقد اجتماع للمجلس غدا فى العاشرة صباحا ، أعتقد أنك يجب أن تدرس مطالبه تفصيلا يا ويليام " .

ترك المديرين الثلاثة ويليام وحيدا فى مكتبه ولم يزره أحد طوال اليوم . جلس فى مكتبه محاولا أن يتصل بأى مدير من المديرين الآخرين ولكنه لم ينجح إلا فى التحدث مع واحد أو اثنين منهم ولم يشعر أنه واثق من أنهم سوف يمنحوه المسندة . فارتأت ان الاجتماع لن يكون معروف العواقب ولكن طالما لم يكن هناك شخص آخر يحسن الثمائية أسهم . فهذا يعنى أنه فى مأمن . وبدأ بعد - مند -

على ذلك - استراتيجيته لكى يستعيد زمام سيطرته على مجلس الإدارة . راجع قائمة حاملى لأسهم . على حد علمه لم يكن أى منهم على استعداد لأن يبيع أسهمه . ضحك فى نفسه . لقد فشل هابيل روزنوفسكى فى إحداث الانقلاب ثم عاد إلى بيته فى وقت مبكر من مساء ذلك اليوم وحبس نفسه فى مكتبه لكى يفكر فى كل وسائل القضاء على هابيل روزنوفسكى نهائيا . لم يذهب إلى فراشه قبل الثالثة صباحا ولكنه كان قد قرر ما ينبغى عليه عمله . يجب أن أزيح جاك توماس من مجلس الإدارة بحيث يحل ريتشارد محله .

وصل ويليام إلى اجتماع مجلس الإدارة فى وقت مبكر فى صباح اليوم التالى وجلس فى مكتبه يراجع كل ملاحظاته واثقا من نصره . شعر أن خطته كانت محكمة وبأنه قد وضع كل شىء فى الحسبان . وفى العاشرة إلا خمس دقائق ، أبلغته السكرتيرة بأن هناك شخصا يدعى " هابيل روزنوفسكى يريد أن يحادثه على الهاتف " .

قال ويليام : " ماذا ؟ "

" السيد روزنوفسكى " .

كرر ويليام الاسم فى عدم تصديق : " أوصلىنى بالسيد روزنوفسكى " .

" أتركها سيدى " .

سيد كين ؟ " تلك النبوة المتعالية التى لا يمكن أن ينساها

ويليام

قال ويليام مجهدا : " نعم ، ما الذى تسعى وراءه هذه المرة ؟ " باسم فواتين البنك . يجب أن أخطر أنتى أصبحت الآن أملاك ثمانية بالمائة من أسهم ليستر وبأنتى عازم على تفعيل المادة السابعة بـ بـ يتم تنفيذ كـ مطبى فى موعد أقصاه ظهر غد الاثنين " .

تمتم ويليام قائلا : " من أين حصلت على الاثنين بالمائة المتبقية ؟ "

وضع هابيل السماعة . فأسرع ويليام بمراجعة قائمة أسماء حاملى الأسهم محاولا العثور على الشخص الذى أقدم على خيانتة . كان ويليام مازال يرجف عندما دق جرس الهاتف ثانية .

" اجتماع مجلس الإدارة على وشك البدء يا سيدى "

مع دقائق العاشرة دخل ويليام قاعة الاجتماعات . نظر حول المائدة وأدرك فجأة كم كان لا يعرف إلا عددا محدودا من المديرين الجدد . فى المرة الأخيرة التى كان عليه أن يواجه صراعا داخل هذه الغرفة ، لم يكن يعرف أيها من المديرين ومع ذلك فقد كسب معركته . انقسم لنفسه وهو مازال واثقا بدرجة معقولة من أنه قادر على إلحاق الهزيمة بهابيل روزنوفسكى . نهض ويليام وبدأ يخاطب مجلس الإدارة :

"أيها السادة ، لقد دعونا لعقد هذا الاجتماع لأننا تلقينا إخطارا من السيد هابيل روزنوفسكى صاحب مجموعة البارون - وهو مجرم أدانته القانون ولكنه يملك جرأة تهديدى بشكل مباشر - بأنه سوف يستخدم الثمانية بالدنة التى يملكها فى بكى بكى يخرجنا ويأبنا إن لم نستجب لمطالبه فسوف يسعى لإحداث انقلاب من خلال إجراء انتخابات جديدة ما لم أقدم استقالتي من رئاسة وإدارة البنك بدون أى تبرير . أنتم جميعا تعرفون أنه لم يبق لى سوى تسع سنوات فى خدمة البنك لحين وقت التقاعد وهذا يعنى أنسى إن غادرت ، لئنك فى هذا تاريخ فإنه سوف يساء تفسير استقالتي فى عالم المال " .

نظر ويليام إلى الملاحظات التى دونها أمامه بعد أن قرر أن يخوض معركته بضراوة .

"أنا على استعداد ، أيها السادة ، أن أضع كل أسهمى وعشرة ملايين دولار إضافية من مالى الخاص تحت تصرف البنك للتصدي لأى عمل يقدم عليه السيد روزنوفسكى مع الحفاظ على وضع ليسبر المالى بتعويض أى خسارة من مالى الخاص . أتمنى - أيها السادة - فى ظل هذه الظروف أن أحظى بكامل مساندتكم ضد هابيل

روزنوفسكى . أنا واثق من أنكم لستم رجالا يمكن أن يذعنوا لهذا الابتزاز الرخيص " .

ساد الصمت فى القاعة . شعر ويليام أنه قد حقق نصرا مؤكدا . ولكن إذا جاك توماس يسأله إن كان يمكن أن يستجوبه المجلس بشأن علاقته بهبيل روزنوفسكى فاجأ انطرب ويليام ولكنه وافق بدون تردد . لم يكن جاك توماس يخفيه .

قال جاك توماس : " هذا الصراع الدائر بينك وبين هابيل روزنوفسكى استمر لأكثر من ثلاثين عاما . هل تعتقد أننا إن وافقنا على خطتك هذه فسوف يضع هذا حدا للصراع بينكما ؟ " تتم ويليام قائلا وهو يجول بعينه فى كل أرجاء الغرفة بحثا عن المساندة : " ما الذى يمكن أن يفعله الرجل أكثر من ذلك ؟ ما الذى يمكن أن يفعله أكثر من ذلك ؟ "

قال سكرتير الشركة الجديد الذى لم يكن يروق لويليام : " لا يمكن أن نتكهن بذلك ولكنه بعد امتلاك الثمانية بالمائة يملك سلطات تضاهي كل سلطاتك . كما أننا جميعا نعرف أنكما مصران على عدم الاستسلام والانخراط فى هذا الصراع حتى النهاية . بالرغم من أنك قد قدمت عشرة ملايين دولار لكى تحمى وضعك المالى ، إن دأب روزنوفسكى على التدخل وعرقلة القرارات الخاصة بسياسات البنك وعدم الاجتماعات وتنظيم عطاءات بدون الانتمت إلى مصلحة البنك ، فإن هذا سوف يثير ذعرا . سوف يعرض هذا البنك والشركات التابعة له - التى يجب أن نؤدى واجبنا نحوها بصفتنا مديرين داخل البنك - على أفضل الاحتمالات لحرج بالغ ، أما على أسوأ الظروف فيمكن أن يؤدى فى النهاية إلى الانهيار " .

قال ويليام : " كلا ، كلا . بوجود مساندتى الشخصية يمكن أن نواجه كل هذه الأمور ونتصدى لها " .

واصل سكرتير الشركة حديثه : " إن القرار الذي يجب أن نتخذه اليوم هو هل نحن على استعداد لمواجهة السيد روزنوفسكى والتصدى له ؛ بالرغم من أن هذا يمكن أن يكبدنا خسائر على المدى الطويل " .

قال ويليام : " ليس إن تعهدت بتوفير التغطية المالية اللازمة من مالى الخاص " .

قال جاك توماس : " يمكنك أن تفعل ذلك ولكننا لسنا بصدد مناقشة الأمور المالية وحدها هنا ؛ هناك مشاكل كبيرة أخرى سوف يعرض على البنك مواجهتها الآن بعد أن أصبح روزنوفسكى قادر على تفعيل المادة السابعة ؛ يمكنه أن يعيث معنا كما يحلو له . أى أن البنك يمكن أن يقضى كل وقته بعد ذلك فقط فى التصدى لأعيب هابيل روزنوفسكى ومراقبة تحركاته " .

صمت جاك توماس لكى يحدث كلامه التأثير المطلوب على المجلس . بينما بقى ويليام صامتا . ثم نظر توماس إلى ويليام واستطرد حديثه قائلا : " الآن يجب أن أشرح عليك سؤالا شحصب للغاية يا سيدى الرئيس يثير قلق كل من فى هذه القاعة وأتضمن أن تكون صريحا فى إجابتك مهما كانت مثيرة لفضيقتك " .

رفع ويليام رأسه وهو يسأل نفسه عما يمكن أن يكون السؤال . ما الذى كان يتحدثون فيه من ورائه ؟ من يحق السماء يظن توماس جاك هذا نفسه ؟ شعر ويليام أنه يخسر المبادرة .

قال ويليام : " سوف أجيب عن أى سؤال يطرحه على المجلس . ليس هناك شيء أو شخص أخشاه " وكان أثناء ذلك ينظر بحدة إلى جاك توماس .

قال جاك توماس : " شكرا لك سيدى الرئيس ؛ هل كنت بشكل أو آخر متورطا فى الملف الذى أرسل إلى وزارة العدل فى

واشنطن والذى أدى إلى اعتقال هابيل روزنوفسكى واتهامه بالاحتياط فى الوقت الذى كنت تعرف فيه أنه أحد حاملى الأسهم الأساسيين فى بنك ليستر ؟

سأله ويليام : " هل قال لك هذا ؟ "

" نعم ؛ هو يزعم بأنك سبب اعتقاله الوحيد " .

بقى ويليام صامتا لبضع دقائق مفكرا فى الإجابة بينما نظر ثانية إلى الملاحظات المدونة أمامه . ولكنها لم تسعفه . لم يكن قد خطر ببال ويليام أن يطرح عليه مثل هذا السؤال ولكنه لم يسبق له أبدا أن كذب على المجلس على مدى ثلاثة وعشرين عاما ؛ ولن يقدم على ذلك الآن .

قال ويليام كاسرا حاجز الصمت : " أجل ؛ فعلت ؛ لقد وقعت المعلومات بين يدى ورأيت أن واجبى يحتم على أن أبعث بالملف إلى وزارة العدل " .

" وكيف وقعت المعلومات بين يديك ؟ "

لم يجب ويليام .

قال جاك توماس : " أعتقد أننا جميعا نعرف الإجابة عن هذا السؤال يا سيدى الرئيس . كما أنك قد أخطرت السلطات بدون أن تخطر مجلس إدارة البنك بما أنت عازم عليه وبهذا عرضتنا جميعا للخطر . عرضت سمعتنا ومستقبلنا وكل شيء فى البنك للخطر من أجل صراعك الشخصى " .

قال ويليام وهو يعلم أنه كان يصيح : " ولكن روزنوفسكى كان يسعى لتدميرى " .

" لذا من أجل أن تدمره جازفت باستقرار البنك وسمعته " .

قال ويليام : " إنه بنكى "

قال جاك توماس : " كلا إنه ليس بتركك . أنت تملك فقط ثمانية بالمائة من الأسهم تماما مثل السيد روزنوفسكى وأنت الآن رئيس ومدير بنك ليستر ولكن البنك ليس ملكك لكى توظفه لخدمة مصالحك الشخصية بدون استشارة باقى المديرين " .

قال ويليام : " يجب أن أطالب بإجراء اقتراع ثقة من المجلس . أنا أطلب مساندتكم ضد هابيل روزنوفسكى " .

قال سكرتير البنك : " هذا ليس له علاقة باقتراع الثقة بل سيكون بشأن كونك مستحقا أو غير مستحق لإدارة البنك فى الظروف الراهنة ، ألا تدرك ذلك يا سيادة الرئيس ؟ "

قال ويليام هو يشيح بعينه : " لكن . هذا المجلس يجب أن يقرر ما إن كان يريد أن ينهى تاريخى العملى بامتهان الآن بعد ما يقرب من ربع قرن من خدمة البنك أو مواجهة تهديدات مجرم مدان " .

أوما جاك توماس إلى سكرتير البيت فوزع بطاقت الاقتراع على كل عضو من أعضاء المجلس . شعر ويليام أن الأمر كله كان متدبرا مسبقا قبل الاجتماع . أنقى نظرة على التسعة والعشرين رجلا المنتقبين حول مائدة الاجتماعات . كان قد اختار العديد منهم بنفسه . كان قد سمع ذات مرة أن هناك مجموعة صغيرة من المديرين تساند الحزب الديمقراطى وجون كيندى . بعضهم لن يدع روزنوفسكى ينال منه . ولكن ليس الآن . وقال فى نفسه : " أرجوكم دعونى أستكمل فترة عملى كرئيس للبنك ، ثم سوف أنصرف بعدها فى هدوء دون أن أحدث جلبة ولكن ليس بهذه الطريقة " .

أخذ ويليام يتأمل أعضاء مجلس الإدارة وهم يعيدون بطاقات الاقتراع إلى السكرتير . كان يفتحها ببطء . كان الصمت يسود الغرفة وكل العيون مركزة على السكرتير وهو يفتح البطاقات الأخيرة

المتبقية ، مع تدوين كلمتى " نعم " و " لا " بمنتهى الدقة على قطعة من الورق كانت موضوعة أمامه والتى كانت مقسمة إلى عمودين . لاحظ ويليام أنه كانت هناك قائمة أطول من الأخرى بشكر لافت ولكنه لم يتبين أيهم لم يكن يتصور يوما أن يحدث داخل قاعة مجلس إدارته تصويت بينه وبين هابيل روزنوفسكى .

كان السكرتير يقول شيئا . لم يصدق ويليام أذنيه . سبعة عشر صوتا مقابل اثني عشر صوتا ، فقد ويليام ثقة المجلس . استطاع ويليام بالكاد أن ينهض من مقعده . كان هابيل روزنوفسكى قد هزمه فى معركتهم الأخيرة . لم يسمع صوت أحد منذ أن غدر ويليام قاعة الاجتماعات . عاد إلى مكتب رئيس البنك والتقط معطفه وتوقف فقط لكى يلتقى نظرة أخيرة على صورة تشارلز ليستر ثم سار ببطء بطول الرواق الطويل ومنه إلى الباب الأمامى .

قال البواب : " تسرنا عودتك ثانية يا سيدى الرئيس . أراك غدا يا سيدى " .

أدرك ويليام أنه لن يرى الرجل ثانية . فاستدار وصافح الرجل الذى أرشده إلى مكان قاعة الاجتماعات منذ ثلاثة وعشرين عام مضت .

قال الرجل الذى داهمته المفاجأة : " تصبح على خير يا سيدى " بينما وقف يراقب ويليام وهو يركب فى المقعد الخلفى من السيارة لآخر مرة .

قاد السائق السيارة عائدا إلى المنزل وعندما وصل إلى شارع إيست سيكستى إيتش ، انهار ويليام عند عقبة الباب الأمامى . فقام السائق وكت بإدخاله إلى المنزل . تبينت كات أنه كان يبكى فلقته بذراعيها

" ما الخطب يا ويليام ؟ ما الذى حدث ؟ "

قال وهو ينتحب : " لقد طردوني من بنكى . مجلس إدارتى لم يعد يثق بى . عندما بدأ الأمر جدياً ، ساندوا هابيل روزنوفسكى " .

نجحت كات فى وضعه فى فراشه وجلست معه طوال الليل . لم ينطق بكلمة . ولم يتم ليلتها .

جاء الخبر فى جريدة الوول ستريت فى صباح الاثنين التالى بالبطاقة التالية : " ويليام لويل كين رئيس ومدير بنك ليستر قدم استقالته بعد اجتماع مجلس الإدارة بالأمس " .

لم يذكر أى تبرير للاستقالة أو إن كانت ترجع لأسباب مرضية لهذا الرحيل المفجئ كما لم يمكن هناك أى مويه بأن ابنه سوف يحل محله فى مجلس الإدارة . كان ويليم يدرك تماماً أن الشائعات سوف تحوم حوله فى وول ستريت وأن عليه أن يتوقع الأسوأ . جلس فى فراشه وحيداً لم يعد عابئاً بكم ما يجرى فى هذا العالم . قرأ هابيل خبر استقالة ويليام كين فى جريدة الوول ستريت فى نفس اليوم . فرغ سماعة الهاتف واتصل ببنك ليستر وطلب محادثة الرئيس الجديد . بعد بضع ثوان قليلة جاءه صوت جاك توماس على الخط .

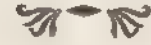
" صباح الخير يا سيد روزنوفسكى " .

" صباح الخير يا سيد توماس . أريد أن أؤكد أنني سوف أمنح أسهم إنتر ستيت للبنك بسعر السوق اليوم كما أن أسهمى التى تمثل ثمانية بالمائة فى ليستر سوف تدفع باسمك أنت شخصياً مقابل مليونى دولار " .

" شكراً لك يا سيد روزنوفسكى ، هذا سخاء بالغ منك " .

قال هابيل روزنوفسكى : " لست بحاجة لشكرى يا سيادة الرئيس ، هذا ليس أكثر مما اتفقنا عليه عندما بعثنى حصة الاثنين بالمائة الخاصة بك " .

الفصل الحادى والأربعون



الجزء السابع



١٩٦٣ - ١٩٦٧

فوجئ هابيل عندما شعر أن فوزه النهائى على ويليام لم يمنحه تلك السعادة الغامرة التى كان يتوقعها .

حاول جورج أن يقنعه بأن يسافر إلى وارسو بحثا عن موقع لبناء فندق للبارون هناك ولكن هابيل لم يشعر برغبة فى ذلك . كان كلب كبير ؛ شعر أنه أصبح يخشى أن يموت فى الغربة بدون أن يرى فلورنتينا ثانية .بقى هابيل على مدى أشهر لا يبدى أى اهتمام بنشاط المجموعة . وعندما تعرض جون إف كيندى للاغتيال فى الثانى والعشرين من نوفمبر عام ١٩٦٣ ؛ ازداد شعور هابيل بالاحباط والخوف على أمريكا . ولكن جورج نجح فى إقناعه فى النهاية بأن القيام برحلة خارجية لن يضره . وبأن الأمور قد تبدو مختلفة وأكثر سهولة عند عودته .

سافر هابيل إلى وارسو حيث حصل على موافقة لبناء أول فنادق مجموعة البارون في دول شيوعية . كان إتقانه للغة قد ترك انطباعا رائعا لدى المسئولين في وارسو وكان سعيدا بأنه نجح فى التفوق على الهوليداي إن والإنتيركونتيننتال فيما وراء الستار الحديدى . ولكنه لم يسمعه أن يتجاهل ... كما لم يسمعه أن يمنع نفسه من التأثر عند عين جور روفيسكى أول سفير أمريكى من "صل بولندى لى وارسو من قبل لهندون جونسون . ولكن يبدو الآن أنه لم يعد هناك شيء يمكن أن يشعره بالسمادة . كان قد قضى على كير وفقد ابنه وأخذ يسأل نفسه إن كان ويليام ينتابه نفس الشعور حيال ابنه . بعد وارسو ، طاف العالم ، كان يقيم فى فنادقه القديمة ويشهد بناء صديقة الجديدة . ففتح أول برور فى كيب ناون فى جنوب أفريقيا وطار عائدا إلى ألمانيا لكى يفتح بارون دوسلدورف .

ثم قضى هابيل بعدها ستة أشهر فى بارونه المفضل فى باريس وهو يجوب الشوارع يومى ويحضر حفلات الأوبرا ومسرح ماسك . أنه يستعيد ذكرياته الجميلة مع فلورنتينا .

غادر باريس فى النهاية وعاد إلى أمريكا بعد فترة عربة طويلة بينما كان يهبط درجات الطائرة التابعة للطيران الفرنسى إير فرانس ٧٠٧ فى مطار كيندى الدولى ، بدا ظهره منحنيًا ورأسه الخالى من الشعر مغطى بقبعة سوداء لم يعرفه أحد . كان جورج واقفا فى استقباله ، جورج المخلص ، الأمين ، وقد بدا أكبر سنا قليلا . أخطره جورج كالعادة بكل مجريات الأمور فى المجموعة . كانت الأرباح - على ما يبدو - أكبر من المعتاد بسبب سعى موظفيه الجدد إلى التفانى فى خدمة الفندق فى مختلف أنحاء العالم . أصبح هابيل يملك ٧٢ فندقا بطاقة تشغيل تصل إلى ٢٢ ألف موظف . لم

يبد هابيل مصغيا لما يقول جورج . كان كل ما يريد أن يعرفه هو أخبار فلورنتينا .

قال جورج : " إنها على ما يرام وسوف تأتي إلى نيويورك فى بداية العام المقبل "

سأل هابيل وقد اعتراه حماس مفاجئ : " لماذا ؟ "

" سوف تفتتح محلها الجديد فى فيث آفينو "

" فيث آفيو "

قال جورج : " إنه المحل الحادى عشر " .

" هل رأيتها يا جورج ؟ "

" نعم " .

" هل هى على ما يرام ، هل هى سعيدة ؟ "

" كلاهما على ما يرام وكلاهما سعيد وكلاهما ساجح . يجب أن يكون فخرا بها . هدير . لقد أصبح حفيدك الآن فتى قويا كما أن لك حفيدة جميلة . إنها صورة من فلورنتينا عندما كانت فى مثل سنها " .

" هل ستوافق على رؤيتى ؟ "

" هل ستوافق على رؤية زوجها ؟ "

" كلا يا جورج لا يمكن أبدا أن أقابل هذا الفتى طالما بقى والده على قيد الحياة " .

" ماذا لو مت قبله ؟ "

بقى هابيل وجورج صامتين بطول الطريق نحو الفندق وتناول هابيل عشاءه بمفرده فى جناحه فى هذه الليلة .

على مدى الأشهر الستة التالية ، لم يفادر الاستراحة مرة واحدة .

فوق ياقة ثوبها المرتفعة رحبت بجورج وقدمته لكت ولوسى كين اللتين كانتا تتحدثان مع زافيا . كانت علامات السعادة مرتسمة على وجه كات ولوسى وفاجأ جورج بالسؤال عن هابيل روزنوفسكى .

" لقد قلت له إنه رجل عنيد ممن مجنون لتفويته هذا الحفل .

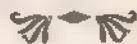
هل السيد كين هنا ؟ "

فوجئ جورج برد كات كين .

كان ويليام مازال يخاطب النيويورك تايمز فى تذمر - كن قد قرأ ما ينير ضيقه عن حونسون والقوت لأمريكىه فى فيننام ثم طوى الصحيفة ونهض من الفراش . أخذ يرتدى ملابسه ببطء وينظر إلى نفسه فى المرآة بعد أن انتهى من ارتداؤها . كان يبدو وكأنه رجل مصرى - قطب وجهه . وهل يمكن أن يبدو شيئا آخر ؟ ارتدى معطفا أسود ثقيلا وقبعته القديمة والنقط عصاه السوداء السمكة ذات المقيض الفضى ، تلك التى كان روبرت كورك قد تركها له ، واستطاع بشك ما أن يصير إلى الشارع . كانت هذه هى أول مرة يخرج فيها إلى الشارع بمفرده على مدى ثلاث سنوات منذ آخر مرة أصيب فيها بأزمة قلبية حادة . اندهشت الخدمة عندما رأته يغادر المنزل بمفرده .

كان مساء يوم ربيع دافئ على غير العادة ، ولكن ويليام شعر بالبرودة بعد أن لارم البيت طويلا . سترق وقت طويلا إلى أن وصل إلى شارع فيفت آفينيو وشارع فيفتى سيكس . وعندما وصل فى النهاية إلى هناك ، كان المكان أمام المحل مكتظا بالناس إلى حد أعجزة عن شق طريقه وسط الحشد نحو الداخل . وقف عند أحد المتحنيات وأخذ يراقب الناس وهم يستمتعون بوقتهم . كان هناك

الفصل الثانى والأربعون



عندما افتتحت فلورنتينا كين محلها الجديد فى فيفت آفينيو فى مارس عام ١٩٦٧ ، بدا وكأن كل سكان نيويورك كانوا حاضرين باستثناء هابيل روزنوفسكى وويليام كين . كانت كات ولوسى قد تركتا ويليام وحيد فى فراشه يحدث نفسه وذهبا إلى افتتاح محل فلورنتينا . ترك جورج هابيل فى جناحه لكى يذهب لحضور الاحتفال . كان قد حاول أن يقنعه بأن يصحبه ولكن هابيل علق قائلا بأن استه كانت قد افتتحت عشر محلات بدونه وبار افتتاح محل آخر بدونه لن يضيرها فى شيء . فما كان من جورج إلا أن نعتقه بأنه عنيد ممن مجنون وتركه وذهب وحيدا . عندما وصل إلى المحل ، كان محلا رائعا مغطى بمساجيد سمكة وآخر صيحة فى عالم المفروشات السويدية ، تذكر جورج الطريقة التى اعتاد أن ينجز بها هابيل الأشياء . وجد فلورنتينا ترندى ثوبا أزرق طويلا وهى تضع علامة إف التى أصبحت الآن إحدى العلامات التجارية الشهيرة

شباب سعداء متحمسون يشقون طريقهم داخل محل فلورنتينا الجميل . كانت بعض الفتيات يرتدين التتورات الجديدة الواردة من لندن . ماذا بعد ؟ فكر ويليام ثم وقع نظره على ابنه وهو يحدث كات . لقد كبر وأصبح شاباً بالغ الوسامه ، كان طويلاً وواثقاً من نفسه وهادئاً ؛ كان يتمتع بروح القيادة والسلطة التي ذكرت ويليام بأبيه . ولكنه في خضم الزحام والضوضاء ، لم يستطع أن يتبين فلورنتينا . بقي واقفاً هناك لما يقرب من ساعة مستمتعاً بالناظرين والحضور الذين كانوا يجوبون المحل ذهاباً وإياباً ، نادماً على سنوات العناد التي أضاعها بعيداً عن ابنه .

بدأ الهواء يعصف في شارع فيفت آفينيو . كان ويليام قد نسى كم كان برد مارس قارساً . رفع ياقته إلى أعلى ، يجب أن يعود إلى المنزل ؛ لأنهم كان جميعاً سيمودون إلى هناك مساء لتناول العشاء ؛ وكان بصدد رؤية ولقاء فلورنتينا وأحفاده للمرة الأولى . حفيده وحفيده الصغيرة آنابيل ؛ وابنه الحبيب . كان قد أخبر كات كم كان أحرق ورجاه أن تسامحه . كان كل ما أجابته به - بقدر ما كان يذكر - " سوف أحبك دائماً " . كانت فلورنتينا قد بعثت إليه خطاب . كم كن خطاباً رقيقاً . أبدت تفهماً كاملاً وتسامحاً بشأن كل ما وقع في الماضي . ثم ختمت خطابها بعبارة " أتوق إلى رؤيتك " .

يجب أن يعود إلى المنزل . كانت كات ستوبخه توبيخاً شديداً إن عرفت أنه ترك المنزل في هذه الليلة الباردة . ولكنه كان يجب أن يشهد افتتاح المحل وعلى أية حال فسوف يقابلهم جميعاً في مساء ذلك اليوم . يجب أن يغادر الآن ويسدعهم يستمتعون

ياحتفالهم . لن يخبرهم أنه ذهب إلى هناك . سوف يبقى هذا دائم سرا من أسراره .

استدار لكي يعود إلى منزله ورأى رجلاً يقف على بعد ياردات قليلة مرتدياً معطفاً أسود وقبعة أخفى بها الجزء الأكبر من وجهه وكوفية حول عنقه . كان هو الآخر يشعر بالبرودة . لم تكن ليلة مناسبة للرجال المسنين ؛ هكذا فكر ويليام بينما كان يمر بجواره ثم وقع بصره على السوار الفضي الذي كان يلف معصم الرجل ؛ تحت كفه مبشرة . وفي ومضة استعاد ويليام كل الذكريات وربط بينها جميعاً لأول مرة . كانت البداية في بلازا ثم بوسطن ثم ألمانيا والآن فيفت آفينيو . استدار الرجل وبدأ يسير نحوه ، لا بد أنه ظل واقفاً هنا لفترة طويلة لأن وجهه كان قد احمر من شدة الهواء . أخذ يحدق إلى ويليام بعينه الزرقاوين اللتين لا تخطئهما العين . كانا الآن على بعد ياردات قليلة من بعضهما البعض . وهما يمران ؛ رفع ويليام قبعته القديمة محيياً الرجل . فرد الرجل تحيته بتحية وواصل كل منهما سيره في طريق مختلف بدون أن ينطقا بكلمة واحدة .

جال بخاطر ويليام أنه يجب أن يعود إلى المنزل ؛ قيل أن يعودوا إلى هناك . إن مقعة لقاء ريتشارد وابنيه سوف تجعل الحياة تستحق العيش ثانية . يجب أن يتعرف على فلورنتينا جيداً ويجب أن يطلب منها أن تسامحه ؛ يجب أن يثق في أنها سوف تتفهم كل ما فهمه هو أخيراً الآن . يا لها من فتاة رائعة ؛ هكذا قال له الجميع .

الفصل الثالث والأربعون



وضع هابيل المظروف على المنضدة المجاورة لفراشه . لم يكن قد ارتدى ملابسه بعد . كان قد اعتاد ألا ينهض قبل الثانية عشرة ظهرا . حاول أن يزيح صينية الإفطار من عند ركبتيه ويضعها على الأرض . كانت انحناءة مجهددة تتطلب قدرا كبيرا من البراعة في مثل هذه السن . فوجد نفسه مضطرا في النهاية إلى دفعها لكي تسقط على الأرض . لم يكن اليوم مختلفا عن الأيام التي سبقته . لم يعد يكتثر . التقط المظروف مرة أخرى وقرأ الخطاب المرفق للمرة الثانية

" بناء على رغبة الراحل السيد كورتيس فنتون - الذي كان يشغل في وقت ما منصب مدير بنك كونتيننتال تراسيت في شارع لاسال في شيكاغو - نرسل إليك الخطاب المرفق وفق رغبته بوجوب إرساله عند وقوع ظروف معينة . يرجى إخطارنا فور وصول الخطاب بالتوقيع على النسخة المرفقة وإعادتها في المظروف الذي

عندما وصل إلى شارع إيست سيكسثي إيتث ، تعثر إلى أن عثر على مفتاحه ثم فتح الباب الأمامي . وأخير الخادمة بأنها يجب أن تضيء كل الأنوار ، ويجب أن تشعل النار للترحيب بهم . كان سعيدا للغاية ولكنه كان في قمة الإنهاك .

قال ويليام : " ارفعى الستائر وأضيئي الشموع في غرفة المائدة . سوف نحتفل بالكثير اليوم " .

كان ويليام يتوق إلى عودتهم . جلس على الكرسي الجلدي القديم بجوار النيران المشتعلة وأخذ يفكر في سعادة في الأمسية التي كانت في انتظاره . سوف يلتق أحفاده حوله ، كل السنوات التي افتقدها . متى نطق حفيده لأول مرة بكلمة " ثلاثة " ؟ إنها فرصة لدهن اماضى واكتساب المسحة لعيش لمستقبل كنت لغرفة رائعة للغاية ودافئة بعد برد الهواء ، ولكن الرحلة كانت تستحق العناء .

بعد بضعة دقائق ، سمعت جلبة وضوضاء سعيدة أسفل الدرج وجاءت الخادمة لتخبر ويليام بأن ابنه قد وصل . كلارك يتف في البهو مع أمه وزوجته وأجمل طفلين كانت قد رأتهم الخادمة ثم أسرع لكي تتأكد من أن العشاء جاهز وسوف يقدم في الوقت المحدد . كانت تريد أن يكون كل شيء مثاليا في ذلك المساء .

عندما دخل ريتشارد الغرفة ، كانت فلورنطينا تقف بجواره . كانت تبدو مشرقة .

قال ريتشارد : " أبي أود أن أقدم لك زوجتي " .

ولكن ويليام لويل كان بوده أن يستدير لكي يرد التحية ولكنه لم يستطع . كان قد فارق الحياة .

يحمل عنواننا والمرفق أيضا بمحتوى المظروف "

عزيزى السيد روزنوفسكى

لقد بقى هذا الخطاب فى حوزة محامى الخاص
حتى اليوم لأسباب سوف تتضح لك بعد مواصلة
القراءة

عندما أغلقت حساباتك فى بنك كونتيننتال تراسست
عام ١٩٥١ بعد تعامل دام بيننا لأكثر من عشرين عاما ،
بالرغم من أن هذا بالطبع كان يثير حزني ؛ ولكن لأننى
كنت أعرف أنك تشعر أننى تصرفت بشكل مشين .
ولكن ما لم تعرفه فى ذلك الوقت هو أننى كنت قد
تلقيت تعليمات صارمة من الشخص الذى ساندك ألا
أكشف لك عن بعض الحقائق

عندما زرتنى لأول مرة فى البنك عام ١٩٢٩ ،
طلبت منى أن أقدم لك مساندة مالية لكى تسدد الدين
الذى خلفه لك ديفيز ليروى لكى تمتلك الفنادق التى
كانت تشكل وقتها مجموعة ريكوموند . لم أتمكن وقتها
من العثور على ممول لمساندتك بالرغم من أننى حاولت
بنفسى أن أتصل بالعديد منهم . ولكننى أوليت الأمر
اهتماما خاصا لأننى شعرت وقتها أنك تتمتع بحماس
متدفق سوف يدفعك للنجاح فى المجال الذى اخترته .
وقد سعدت كثيرا عندما تقدم بى العمر أن ثقتى كانت
فى محلها . يجب أن أضيف أيضا أننى شعرت وقتها
بقدر من المسؤولية لأننى أنا الذى كنت قد نصحتك
بشراء الخمسة والعشرين بالمائة من أسهم مجموعة
ريكوموند من السيدة إيمى ليروى فى الوقت الذى لم أكن

أملك فيه أية دراية عن الضائقة المالية التى كان يمر بها
السيد ليروى عندها .

لقد ابتعدت عن الموضوع الأساسى .

لم أنجح فى العثور على ممول لمساندتك وكنت قد
فقدت كل الأمل عندما جئت لزيارتى فى صباح
الاثنين . أما زلت تذكر هذا اليوم ؟ ولكن قبل موعدك
المحدد بثلاثين دقيقة فقط ، تلقيت مكالمة هاتفية من
ممول على استعداد لأن يمدك بالمال اللازم والذى كان
يشاركنى فى ثقته الكبيرة فى شخصك . ولكن كن
شرطه الوحيد - كما ذكرت لك فى ذلك الوقت - هو أن
يبقى مجهولا لأن تمويله لك كان يمكن أن يشكل
تعارضا مع مصالحته الخاصة والمهنية . لقد كانت
الشروط التى قدمها لك فى ذلك الوقت لكى تستعيد
سيطرتك على مجموعة ريكوموند ؛ شروطا سخية للغاية
من وجهة نظرى وقد أفدت أنت منها أفضل إفادة . وقد
سعد مولك سعادة بالغة عندما نجحت فى استثمار
أمواله وإعادة تسديد الدين الأصلى .

لقد فقدت كل اتصال بك بعد عام ١٩٥١ ولكننى
بعد أن تفاعدت من عملى فى البنك بقليل ؛ قرأت قصة
محزنة بشأن مولك فى الصحف ؛ حثتنى على كتابة
هذا الخطاب . حال واقفتى انمى قبل أى منكما

إننى أكتب إليك الآن ليس لكى أثبت حسن نيتى
فى الأمر برمته ولكن لكى لا تواصل العيش تحت اعتقاد
واه بأن مولك كان السيد ديفيد مكستون صاحب فساد
ستيفنس . لقد كان السيد مكستون أحد كبار المعجبين

بك ولكنه لم يخاطبني أبداً في هذا الشأن . إن الرجل الذي جعل إنشاء مجموعة البارون ممكنة - ببصيرته النافذة وسخائه الشخصي - هو ويليام لويل كين ، رئيس بنك ليستر في نيويورك .

لقد توسلت للسيد كين أن يخبرك بهذا الأمر ولكنه رفض أن يخبرك أحد النصوص الأساسية وهو أن أي مستفيد من استثمارات ثروة العائلة يجب أن يجهل المصدر الممول له . وبعدما سددت الدين ثم علم السيد كين بعد ذلك بعلاقتك بهنرى أوسبورن وعمله بشكل شخصي في مجموعة البارون أصبح السيد كين أكثر إصراراً على تكتم الأمر .

لقد أصدرت أوامري بالتخلص من هذا الخطاب إن وافقت الغية قبل السيد كين . الذي كان سيتلقى في هذه الحالة خطاباً آخر أشرح له فيه جهلك التام بكل ما أسداه لك .

أيّا كان من سيتلقى الخطاب منكما ، فقد شرفت بالتعامل معكما .

المخلص دائماً

كورتيس فنتون

التقط هيبيل سماعة الهاتف من جانب فرائه وقال : " ابحث السيد جورج فوراً . يجب أن أردى ملابسى "

الفصل الرابع والأربعون



كانت جنازة ويليام لويل كين جنازة مشرفة وقف ريتشارد وفلورنثينا بجوار كات وفيرجينيا وبوسى في الجانب المقابر كان هذا التنسيق سيروق للجدة كين . حضر الجنازة ثلاثة من أعضاء مجلس الشيوخ وخمسة من الكونجرس ومعظم رجال امصارف البارزين وصاحب جريدة الودل ستريت . كان جاك توماس وكبير مدير من مديري مجلس إدارة بنك ليستر حاضرين . كانت رؤوس الجميع منكسة تبتهل إلى الله من أجل ويليام

لم يلحظ أحد الرجلين اللذين كانا يقفان في مؤخرة الجمع برؤوس منكسة ؛ وقد بدا كل منهما منفصلاً عن الحفل الأساسي . كانا قد وصلا متأخرين بضع دقائق وانصرفا في هدوء في نهاية امراسم ولكن فلورنثينا عرفت بعرج غندم أسرع الرجل القصير العجوز بمغادرة القاعة . وأخبرت ريتشارد . ولكنهما تكتما الأمر عن كات .

بعد بضعة أيام قليلة ، ذهب الرجل الأطول قائمة إلى محل فلورنتينا لكي يقابلها في فيث آفينيو . كان قد سمع أنها بصدد العودة إلى سان فرانسيسكو وكان يسعى للحصول على مساعدتها قبل أن ترحل . استمعت لما جاء به الرجل بمنتهى الإمعان ورحبت بطلبه .

* * *

وصلت فلورنتينا وريتشارد إلى فندق البارون في عصر اليوم التالي . كان جورج نوفاك واقفا لاستقبالهما هناك وقادهما إلى الطابق الثاني والأربعين . بعد عشر سنوات ، تعرفت فلورنتينا بالكاد على والدها ، الذي كان طريح الفراش ، والذي كان يرتدى نظارات نصف دائرية عند مؤخرة أنفه ، كان فراشه مازال بدون وسائد ولكنه كان يبتسم في تردد . أخذوا يتحدثان عن أيامهما السعيدة وضحكا قليلا وبكيا كثيرا .

قال هايبيل : " يجب أن تسامحنا يا ريتشارد . إن البولنديين جنس عاطفي " .

قال ريتشارد : " أعلم ، فأبنائي نصف بولنديين " . تناولوا جميعا العشاء في وقت متأخر من هذا اليوم ، كان عشاء فاخرا من اللحم البقري الشهي ، يتناسب مع عودة الأينة الغالية .

تحدث هايبيل عن المستقبل وكيف يرى مستقبل مجموعة البارون ، وقال :

" يجب أن تكون هناك فلورنتينا في كل فندق " .

ضحكت فلورنتينا ووافقت على الرأي .

أخبر ريتشارد عن كم الحزن الذي يشعر به تجاه أبيه ، وأفصح تفصيليا عن كل الأخطاء التي اقترفها في حقهِ على مدى سنوات طويلة وكيف أنه لم يخطر بباله يوما حتى ولو للحظة أن ويليام يمكن أن يكون الشخص الذي موله وكيف أنه كان يحب أن يحظى ولو بقرصة واحدة لكي يشكره بشكل شخصي على ما أسداه له .

قال ريتشارد : " كان سيتقهم موقفك " .

قال هايبيل : " لقد التقينا ببعضنا البعض ، هل تعرف ذلك ؟ " في اليوم الذي توفي فيه " .

حدثت فلورنتينا وريتشارد إليه بدهشة .

قال هايبيل : " أجل لقد حدث ذلك بالفعل . لقد مررتُ بجوار بعضنا البعض في فيث آفينيو ، كان قد ذهب إلى هناك لكي يشاهد افتتاح محلّك . لقد رفع قبعته محييا إياي . لقد كان هذا كافيا . كافيا للغاية " .

كان قد بقي لهايبيل طلب واحد يطلبه من فلورنتينا وهو أن تصحبه هي وريتشارد في رحلته إلى وارسو بعد تسعة أشهر لافتتاح آخر فرع من البارون .

قال هايبيل ، وقد اعتراه الحماس ثانية : " هل لك أن تتصور بارون وارسو ؟ الآن أصبح لدينا فندق لا يمكن أن يفتتحه إلا رئيس مجموعة البارون " .

* * *

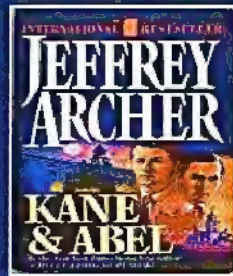
على مدى الأشهر القليلة التالية كانت عائلة كين تزور هايبيل بانتظام وبدأت فلورنتينا تزاد اقترابا من والدها ثانية . أعجب هايبيل بريتشارد إعجابا بالغا وببصيرته التي كانت تضبط دائما

طموحات ابنته الجامعة . كما عشق حفيديه . أما الصغيرة آنا بيل فقد كانت شيئاً مختلفاً . نادراً ما شعر هابيل في حياته السابقة بمثل السعادة التي شعر بها في هذه الفترة من حياته وبدأ يعد العدة لكي يرجع إلى يولندا ظافراً لافتتاح بارون وارسو .

افتتح رئيس مجموعة البارون فندق وارسو بعد ستة أشهر بعد الموعد المحدد . كانت عقود البناء تستغرق وقتاً طويلاً لإنجازها في وارسو كما كان الحال في كل مناحي الحياة الأخرى هناك . في خطابها الأول - كرئيس للمجموعة - أخطرت فلورنتينا الحضور كيف أن شعورها بالفخر بافتتاح هذا الفندق الرائع أصبح ممزوجاً بالألم فراق أبيها الراحل وغيابه عن افتتاح الفندق بنفسه . في وصيته ترك هابيل كل ثروته لفلورنتينا باستثناء تركه ضئيلة وصفها القائم على تنفيذ الوصية بأنها هدية ثقيلة متمثلة في سوار فضي نادر ولكنه ذو قيمة لا تقدر ، محفور عليه اسم الأسطورة " بارون هابيل روزنوفسكي " . كان الشخص الذي تركت له هذه الهبة هو حفيده " ويليام هابيل كين " .

www.rewity.com
^ RAYAHEEN ^
www.rewity.com
^ RAYAHEEN ^

«قنبلة شديدة الانفجار» - بايلشرز ويكلي



ولدا في عالمين مختلفين وجميعهما مصير واحد

في الخامس عشر من إبريل عام ١٩٠٦، جاء طفلان إلى العالم. جاء الأول إلى حياة مترفة تحقها الرفاهية والرخاء، أما الثاني فقد ولد في عالم الشقاء والكفاح. كبر كل منهما في جانب مختلف من الكرة الأرضية، وتربى الأول في ظل حياة مرفهة عرف فيها المدارس العريقة وتعرف على التاريخ من خلال القراءة؛ أما الثاني فقد نشأ في ظل الحروب والبيوتية، وأشقاه التاريخ الذي كان جزءاً منه.

ويليام لويل كين، سليل عائلة مرموقة في بوسطن تعمل في المجال المصرفي، أما إميل روزنفوسكي فقد كان مهاجراً بولندياً لا يملك حتى قوت يومه؛ كان أحدهما من الذهب والآخر من الصلب. كان روزنفوسكي هو العدو اللدود لكن، بينما كان كين يجسد كل ما كان روزنفوسكي يناضل ضده، في ظل الصراع المحتدم بينهما كان كل منهما يدرك أنه لن يكون هناك سوى غالب واحد ومغلوب واحد أو منتصر ومهزوم.

على مدار ثلاثة أجيال، وفي ظل عالم يموج بالتغير السريع؛ ثارت صراعات عاتية وتحققت أحلام وانهارت امبراطوريات وخفت بريق الثروة.

«رواية تأخذ بألياب القراء من أول صفحة إلى آخر صفحة، إنها رائعة».

«جون باركهام»

«أجدي المصطفى أحد هذه الرواية التي تعد أفضل الروايات التي قرأتها على الإطلاق».

«أوتو بريمتجر»

«ليس هناك راوٍ على قيد الحياة أفضل من كاتب هذه الرواية».

«لاري كينج»

مكتبة جرير
JARIR BOOKSTORE
... not just a bookstore ...



